

بين الناظم "ابن مالك" والشارح ابنه "بدر الدين" للكاتب إبراهيم الإزكاوي

أحب العلم ، وأكب على الدراسة^[1]
المتعمقة ، خاصة في ميادين النحو واللغة
ومما ساعد على ذلك ، ذكاء نادر ،
وعقلية واعية ، ونفس صافية .

وقد تعرفت على هذه التعقيبات عن
طريق كتاب شرح الألفية لابن الناظم
(بدر الدين) الذي يعتبر بحق مز.
المراجع الأساسية لشرح الألفية ويغلب
على الظن أنه أول شرح عليها حتى
امتاز أن يصير علما بالغلبة للشارح
إذا أطلق في هذه المصنفات .

وعن طريق مؤلفات ابن مالك التي
تيسر اطلاعي عليها كالتسهيل وشرحه
وشرح عمدة الحافظ ، وعدة الالفاظ
وشواهد التوضيح والتصحيح على
مشكلات الجامع الصحيح استطعت
بحمد الله أن أتعرف على بعض

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا
محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى
آله الطيبين الأطهار ، وأصحابه الهادين
الأبرار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين .

وبعد . . .

لقد آثرت دراسة بعض تعقيبات
بدر الدين « في كتابه شرح الألفية^[2]
ابن مالك » ، لوالده ابن مالك (الناظم)
لأن بدر الدين (ابن الناظم) تعقب
أباه كثيرا دون هوادة في بعض المسائل
النحوية ، وربما حملة التعقيب على
الإتيان ببيت بدل بيت الناظم (ابن
مالك) ، وسنوضح ذلك إن شاء الله
في هذا البحث .

ولقد عاشا في عصر واحد من الزمن
(القرن السابع الهجري) ، وكل منهما

مسائل الاختلاف بين العالمين الجليلين
وقد استأنست بكتب أخرى لهذا ،
الغرض كهمع الهوامع للسيوطي ، وشرح
التصريح للشيخ خالد الأزهرى والجنى
الدانى للمرادى ، وبعض شراح الألفية
كابن عقيل والأشمونى .

وقد مهدت لكل تعقيب بتمهيد
موجز ، عرضت فيه رأى كل منهما^١
(ابن مالك وابنه بدر الدين) ثم^٢
ذكرت أقوالهما من واقع مؤلفاتهما ،
وبعد ذلك عرضت آراء بعض العلماء
ممن وافقت أقوالهم كلا من العالمين ، ثم
رجحت ما ظهر لى رجحانه مؤيدا ما أقول
بالدليل ما أمكن .

فإذا كنت قد وفقت فى بحثى هذا
فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن
كانت الأخرى فى حسبي أنى اجتهدت
« وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » .

وقبل أن أتعرض لهذه التعقيبات
أردت أن أذكر طرفا يسيرا عن حياتهما
ومكانتهما العلمية .
ابن مالك « الناظم » :

اسمه ونسبه : هو جمال الدين محمد
ابن عبد الله بن عبد الله بن مالك
الجيانى الطائى الشافعى النحوى نزيل
دمشق^(١) .
مولده :

ولد ابن مالك بجيان مدينة ،
بالأندلس سنة ٦٠٠ هـ على أكثر
الروايات واقتصر عليها ابن شاكر فى
فوات الوفيات^(٢) ، وابن كثير فى
البداية والنهاية^(٣) .
أخلاقه :

أجمع الذين ترجموا لابن مالك على
أنه يمتاز بركة القلب ، وكسال الفعل
والدين المتين ، وأنه كان حريصاً على
العلم وحفظه ، حتى إنه حفظه يوم
وفاته ثمانية شواهد^(٤) .

(١) انظر ترجمته فى نفح الطيب ٢ / ٢٢٢ وما بعدها ، وبغية الوعاة ١ / ١٣٠ وما بعدها وشذرات الذهب
٣٣٩ / ٥ ، ومفتاح السعادة ١ / ١٩٣ وما بعدها .
(٢) فوات الوفيات ٢ / ٤٥٢ وما بعدها .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ٢٦٧ .
(٤) نفح الطيب ٧ / ٢٥٧ وما بعدها .

مذهبه الفقهي :

والتزموا تأخيرَه في نحو لن
يفرَزَ فذا بالمنى إلا الحسن

قال : « والإشارة إلى الحسن بن علي -
رضي الله عنهما - وإلى ما فاز به من
الثواب الجزيل والثناء الجميل ، إذ
أذعن لمصالحة معاوية - رضي الله عنه -
فاغمد الله بفعله سيف الفتن تصديقاً
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به
بين فئتين عظيميتين من المسلمين »^(٣)
ففي الوقت يثنى فيه المصنف على الحسن
ابن علي - رضي الله عنهما - يقول
عن معاوية (رضي الله عنه) ومما يؤيد
القول بأن ابن مالك - رحمه الله -
ينتمي إلى مذهب أهل السنة والجماعة
أنه كان يهدم آراء المعتزلة ، ففي باب
إعراب الفعل يقول : « ثم أشرت
إلى ضعف قول من رأى تأييد النفي
بلن وهو الزمخشري في أنموذجه ،

يكاد يجسع كل من تعرض للمذهب
المصنف على أنه كان مالكيًا بالمغرب
شافعيًا بالمشرق ، وليس من المستبعد
أن يكون مرد هذا إلى أن ابن مالك
نشأ بالأندلس ، وكان المذهب المالكي
سائدًا على عهده فلما حل بالمشرق
ورأى المذهب الشافعي في مقدمة المذاهب
وبخاصة في مصر والشام ، أتاحت له
فرصة الموازنة ، وحرية الاختيار
بين المذهبين . وذكر الصفيدي في الوافي
بالوفيات^(١) ، والسيوطي في بغية
الوعاء^(٢) أن ابن مالك قد انفرد
عن المغاربة بشيئين : الكرم ، ومذهب
الشافعي

مذهبه الاعتقادي :

يبدو لي من مؤلفات ابن مالك أنه
كان سنيًا معتدلاً لا معتزلاً ولا شيعيًا
يظهر ذلك بوضوح عند شرحه لقوله
في الكافية :

(١) انظر وافي الوفيات ٣ / ٣٦٠ .

(٢) بغية الوعاء ١ / ١٣٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسيكي ٥ / ٢٨ .

(٣) شرح الكافية الشافية مخطوطة ص ٧٢ .

وحامله على ذلك اعتقاده أن الله - تعالى لا يُرى وهو اعتقاد باطل بعبارة ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعني ثبوت الرؤية، جعلنا الله من أهلها وأعادنا من عدم الإيمان بها ^(١)»

فابن مالك رد على قول الزمخشري بنفى الرؤية لأنها من مبادئ المعتزلة قال الشهرستاني في الملل والنحل حين تحدث عن المعتزلة .

« واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ^(٢)»

منزلة العلمية :

نشأ ابن مالك محبا للعلم، مقبلا على مؤلفات من سبقوه وكان - رحمه الله له باع طويل في اللغة قال الصنفى ، « جلس ابن مالك يوما وذكر ما انفرد به صاحب المحكم - ابن سيده - ت ٤٥٨ هـ عن الأزهري في اللغة ^(٣)» .

أما النحو والصرف فكان فيه بحرا لا يشق لجه ^(٤) وفي هذا المجال عجب الفضلاء من فرط ذكائه ، وقوة حافظته واستحضاره لكل ما مر به حتى أصبحوا في حيرة من أمره ، وانبرى من بينهم من يقول : « إن ابن مالك ما خلى للنحو حرمة ^(٥)» .

وبمثل هذه العقلية الفذة ، استطاع ابن مالك أن يربى على متقدميه ، ويظهر على معاصريه ، حتى صار يضرب به المثل في دقائق النحو وغوامض الصرف ^(٦) .

مذهبه النحوى :

لم يكن ابن مالك متعصبا للمذهب أى من المدرستين البصرة والكوفة ، من هنا رأينا المصنف يؤيد البصريين إن سار الحق في ركابهم ، ويوافق الكوفيين إن رأى الصراب معهم ، ويفند آراء

(١) المرجع السابق ١٧١ .

(٢) الملل والنحل تفتح الله بدران ٦٢ .

(٣) السواني بالوفيات ٣ / ٣٥٩ ، ونفع الطيب ٢ / ٢٢٣ .

(٤) فوات الوفيات ٢ / ٢٢٧ دائرة معارف البستانى ١ / ٦٧٤

(٥) نفع الطيب ٧ / ٢٧٢ ، بغية الوعاة ١ / ١٣٠ .

(٦) دائرة معارف القرن العشرين ٩ / ٤٧١ ، دائرة معارف البستانى ١ / ٦٧٥ .

هؤلاء وهؤلاء إن كان رأيه يخالفهم
فقد ذهب ابن مالك - تبعاً - لجمهور
البصريين إلى أن الفعل ينقسم إلى
ماضٍ ومضارع ، وأمر ، والكوفيون
يروون أن القسمة ثنائية ، وأن الفعل
ماضٍ ومضارع فقط ، أما الأمر -
في نظرهم - فإنه مقتطع من المضارع
وليس أصلاً برأسه ، وهو معرب مجزوم
بلام الأمر التي حذف حذفاً مستمراً^(١) .

كما وافق البصريين في أن (كى)
تأتى حرف جر ، كما تأتى ناصبة
للمضارع ، وذهب الكوفيون إلى أنها
ناصبة دائماً ، ومذهب الأحنف أنها
حرف جر دائماً^(٢) .

ومن المسائل التي وافق فيها الكوفيون :
امتناع تقديم خبر ليس عليها قياساً
على فعل التعجب وعسى ونعم وبئس
بجامع عدم التصرف وأجاز البصريون
تقديم خبر ليس عليها^(٣) .

كما وافق الكوفيون في جواز نيابة
غير المفعول به عن الفاعل مع وجوده ،
ومنع ذلك البصريين إلا الأحنف^(٤) .
مؤلفاته :

حاز المصنف (ابن مالك) قصب
السبق في جميع الفنون ، ومؤلفاته
خير شاهد على ذلك ، وأشهر كتبه
ما يلي :

- ١- الكافية الشافية
- ٢- شرح الكافية الشافية .
- ٣- الخلاصة المشهورة بالألفية
- ٤- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد
- ٥- شرح التسهيل .
- ٦- شرح عمدة الحافظ وعدة الالفاظ .
- ٧- شواهد التوضيح والتصحيح
لمشكلات الجامع الصحيح
- ٨- شرح الاعتضاد في الفرق بين
لطاء والضاد .
- ٩- اللامية في القراءات .
- ١٠- كتاب في العروض .

(١) انظر شرح التسهيل لابن مالك ١٥ .

(٢) انظر عمدة الحافظ وعدة الالفاظ ١٦١ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف ٩٢ مسألة ١٨ ، وشرح المفصل ٧ / ١١٤ .

(٤) تسهيل الفوائد ٧٧ .

١١ - تحفة المودود في المقصور والمدود .
والبيان ، والبديع ، والعروض ، والمنطق .

١٢ - الدالية في القراءات^(١) .

توفي - رحمه الله - بدمشق سنة ٦٧٢ هـ^(٢) .

ابن الناظم « الشارح » :

هو محمد بدر الدين بن محمد بن عبد الله بن مالك ولد بدمشق ، ويغلب على الظن أنه ولد بعد سنة ٦٤٠ هـ لأنه قد توفي كهلاً سنة ٦٨٦ هـ^(٣)

أخذ عن والده ، ونشأ حاد الذهن ووقع بينه وبين أبيه خلاف ، فسكن لأجلها بعلبك ، فقرأ عليه بها جماعة ، ولما مات أبوه ذهب إلى دمشق وولى وظيفة والده ، وتصدى للاشتغال والتصنيف^(٤) .

وكان - رحمه الله - إماماً ، فهما ذكياً ، وإماماً في النحو ، والمعاني

ومن مؤلفاته :

١ - شرح ألفية والده .

٢ - شرح كافية والده أيضاً .

٣ - شرح لاميته .

٤ - شرح الملحّة .

٥ - شرح التسهيل ولم يتمه

٦ - شرح الحاجبية .

٧ - مقدمة في العروض .

٨ - مقدمة في المنطق^(٥) .

وقد تعقب والده في نظمه دون هوادة في بعض المسائل التي نحن بصددنا في هذا البحث إن شاء الله ، وهذا مما يدل على أمانته العلمية وقوة ذكائه وغزارة علمه ، نفع الله بهما وجزاهما عن العربية خير الجزاء .

(١) انظر مؤلفاته - مفتاح السعادة ١ - ١٩٣

(٢) انظر نشأة النحو ٢٢٢ .

(٣) ترجمته في الوافي بالوفيات ١ / ١٢٩ ، ١٣٠ ، وبنية الوعاة ١ / ٢٢٥ وشذرات الذهب ٥ / ٣٩٨

(٤) انظر نشأة النحو ٢٣٠ .

(٥) انظر المراجع السابقة .

بين الناظم « ابن مالك » والشارح بدر الدين
ابنه » :

من ذلك على سبيل المثال : استشهاده
في أول باب نعم وبئس للكوفيين على
اسميتها بقول الراجز :

صَبَّحَكَ اللهُ بِخَيْرٍ بِأَكْرَبِ
بِنَعْمٍ طَيْرٍ وَشَبَابٍ فَانْحِرِ (٢)

وصحة الشطر الثاني « بِنَعْمٍ عَيْنٍ ...
لخ » كما في لسان العرب (٣) ، وعلى
هذا ضاع الاستشهاد بالبيت مع أنه
اقتضاه في هذا الاستشهاد الأشموني (٤) .

ويلاحظ على ابن الناظم أنه ربما
ساق شعر المحدثين استدلالاً ، فقد
جزز ذكر الخبر بعد لولا إن دل عليه
دليل واستشهد على ذلك بقول أبي
العلاء المعري .

يُنْدِبُ الرَّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ
فَلَوْلَا الْغَيْمُ يُمَسِّكُهُ لَسَالاً (٥)

يغلب على الظن أن أول شرح
على ألفية ابن مالك ، هو شرح
ابن الناظم . والشرح - في الحقيقة -
يميل إلى دقة العبارة وصعوبة المأخذ
أحياناً ويغلب عليه الاختصار ، مع
الوفاء بمطالب الشرح والبيان .

وهذا الشرح كان الضياء الذي استنار
به الشراح لألفية والده ، والمنار
الذي اهتدى بهديه من تصدى لشرح
الخلاصة (الألفية) لهذا كله امتاز
هذا الشرح أن يصير علماً بالغلبة
« للشارح » إذا أطلق في هذه المصنفات (١) .

ولقد أصبح هذا الشرح من المراجع
الأساسية لشرح الألفية - كما ذكرت
لديجة أن شرح ابن الناظم وردت فيه
بعض شواهد محرفة نقلها عنه من
أشئ بعده .

(١) انظر نشأة النحو ٢٣١ .

(٢) هذا بيت من الرجز ، ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين ، والشاهد فيه قوله بنعم فان الكوفيين إلا
الكسائي قد ذهبوا إلى أن « نعم » وبئس اسمان بمعنى المدح والذم ، واستدلوا على اسميتها بأخبار منها دخول حرف الجر
عليهما والبيت من شواهد العيني ٤ / ٢ وهمع اللوامع ٢ / ٨٤ ، والدرر اللوامع ٥ / ١٩٥ .

(٣) لسان العرب مادة (ن ع م)

(٤) شرح الأشموني ٣ / ٢٧ .

(٥) من شواهد شذور الذهب ٣٦ ، والمغني ٢٧٣ ، ٥٤٢ ، وشرح التصريح ١ / ١٧٩ ، والعيني ١ / ٥٤٠
وهمع اللوامع ١ / ١٠٤ والدرر اللوامع ٢ / ٢٧ والأشموني ١ / ٢١٥ .

واقْتَفَاهُ فِي الْإِسْتِشْهَادِ بِهَذَا الْبَيْتِ ابْنُ
هَشَامٍ فِي شَأْنِ نَوْرِ الذَّهَبِ وَالْمَغْنَى . وَالشَّيْخُ
خَالِدُ الْأَزْهَرِيُّ ، فِي شَرْحِ التَّصْرِيفِ ، وَالْعَيْنِيُّ
فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ الْأَلْفِيَةِ . وَالسِّيُوطِيُّ
مَعَ الْهَوَامِعِ وَالشَّنَقِيطِيِّ فِي دُرَرِ اللُّوَامِعِ
وَالْأَشْمُونِيِّ فِي شَرْحِهِ .

وَلَقَدْ كَثُرَتِ الْحَوَاشِي عَلَى شَرْحِ
ابْنِ النَّازِمِ ، فَكُتِبَ عَلَيْهِ ابْنُ جَمَاعَةَ
وَالْعَيْنِيُّ وَالسِّيُوطِيُّ وَزَكَرِيَّا الْأَنْصَارِيُّ
وَابْنُ قَاسِمِ الْعِبَادِيِّ وَغَيْرُهُمْ^(١)

وَلَقَدْ تَعَقَّبَ ابْنُ النَّازِمِ أَبَاهُ كَثِيرًا
كَمَا ذَكَرْتُ - دُونَ هُوَادَةَ فِي بَعْضِ
الْمَسَائِلِ ، وَرَبَّمَا حَمَلَهُ التَّعَقُّبُ عَلَى
الِإِتْيَاتِ بِبَيْتٍ بَدَلَ بَيْتِ النَّازِمِ ، فَنَفِي
بَابِ التَّنَازُعِ رَأَى أَنَّ قَوْلَ وَالِدِهِ :

بَلْ حَذَفَهُ الزَّمُّ إِنْ يَكُنْ غَيْرَ خَبِيرٍ
وَأَخَّرَنَّهُ إِنْ يَكُنْ هُوَ الْخَبِيرُ^(٢)

يَفِيدُ أَنَّ ضَمِيرَ الْمُتَنَازِعِ فِيهِ إِنْ كَانَ
الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ فِي بَابِ ظَنْ يَجِبُ حَذْفُهُ

مَعَ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَفْعُولَيْنِ فَاسْتَتَصَوَّبَ
أَنَّ يَقُولَ بَدَلَهُ :

وَاحْذِفْهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَفْعُولَ حَسَبٍ
وَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ فَأَخَّرْهُ تَصِيبًا^(٣)

إِلَّا أَنَّ الشَّرَاحَ بَعْدَهُ مِنْ ابْنِ هَشَامٍ
وَابْنِ عَقِيلٍ وَالْأَشْمُونِيِّ وَغَيْرِهِمْ تَصَلُّوا
لِرَدِّ عَلَيْهِ .

فَالْمُرَادِيُّ قَالَ : قَوْلُهُ مَفْعُولَ حَسَبٍ
يُوهِمُ أَنَّ غَيْرَ مَفْعُولٍ (حَسَبٍ) يَجِبُ
حَذْفُهُ حَذْفَهُ وَإِنْ كَانَ خَبِيرًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ
لِأَنَّ خَبِيرَ كَانَ لَا يَحْذِفُ أَيْضًا ، بَلْ
يُؤَخَّرُ كَمَفْعُولٍ حَسَبٍ نَحْوِ زَيْدٍ كَانَ
وَكَانَتْ قَائِمًا إِيَّاهُ وَهَذَا مِنْدَرَجٌ تَحْتَ
قَوْلِ الْمُصَنِّفِ « غَيْرَ خَبِيرٍ » .

وَلَوْ قَالَ .

بَلْ حَذَفَهُ إِنْ كَانَ فَضْلَةً حُتِّمَ
وَغَيْرُهَا تَأْخِيرُهُ قَدْ التُّزِمَ
لِلْأَجَادِ^(٤) .

وَاعْتَرَضَ الْأَشْمُونِيُّ أَيْضًا عَلَى كَلَامِ
الْمُرَادِيِّ فَقَالَ : « وَعَلَى هَذَا أَيْضًا مِنْ

(١) انظر نشأة النحو ٢٣٢ .

(٢) ألفية ابن مالك ٦٦ .

(٣) شرح الألفية لابن الناظم ٢٥٩ .

(٤) شرح الألفية للمرادي ٧٣ / ٢ .

[المؤاخذة ما على بيت الأصل من عدم
اشتراطه من اللبس. . . فكان الأحسن
أن يقول :

وَاحْذِفْهُ لَا إِنْ خِيفَ لَبْسٌ ، أَوْ يُرَى
لِعُمْدَةٍ فَجِيءَ بِهِ مُؤَخَّرًا (١)

ولهذا قال العلامة الملوى على شرحه
للمكودي مهاجما ابن الناظم وردا عليه
في بعض مواقفه مع أبيه :

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنِ
لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبَزْلِ الْقِنَاعِيْسِ (٢)
ومواضع التعقيبات بين الناظم والشارح
كثيرة ، ونكتفى بما يصور أهم هذه
التعقيبات .

وأعنى بها : الموافقة الصريحة أو
المخالفة أو الاستدراكات من الشارح
على الناظم (ابن مالك) في ألفيته ،
ونكتفى بما يصور أهم هذه التعقيبات
على سبيل المثال لا الحصر ، فمن ذلك :

١- ابن مالك قسم المعرفة في ألفيته
إلى ستة أقسام ، وهي : الضمير ،
واسم الإشارة ، والعلم ، والمضاف إلى
معرفة ، والمعرف بالألف واللام واسم
الموصول وأهمل المعرف بالنداء ، فقال ،

وَعَيْرُهُ مَعْرِفَةٌ كَهُمْ وَذِي
وَهْنَدُ وَابْنِي وَالْغُلَامَ وَالَّذِي (٣)

لهذا قال ابنه : « وواحد أهمله المصنف
وهو المعرف بالنداء نحو يارجل (٤) .

وكلام ابن مالك هنا - أى في
الألفية - لا يشمل ذلك ، وقد نه
على المعرف بالنداء في شرحه لعمدة
الحافظ. وعادة الالفاظ فقال :

« وإما معرف بالنداء كيارجل (٥) .

٢- إذا كان خبر كان وأخواتها ،
ضمميرا ، فإنه يجوز اتصاله وانفصاله ،
واختلف في المختار منهما ، فاختار
ابن مالك الاتصال نحو كنته

(١) شرح الألفية للأسمونى ١٠٧ / ٢ .

(٢) حاشية الملوى على شرح المكودي لألفية ابن مالك ٧٣ .

(٣) ألفية ابن مالك ١٥ .

(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٥ .

(٥) شرح عمدة الحافظ وعدة الالفاظ لابن مالك ٤٩ .

لَعْنِ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا
عَنِ الْعَهْدِ ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَخَيَّرُ (٣)

وقول الآخر :

لَيْسَ إِيَّايَ وَإِيَّايَا

ك ، وَلَا نَخْشَى رَقِيبًا (٤)

وابن عقيل يرى أن مذهب سيبويه
أرجح فيقول : « ومذهب سيبويه
أرجح لأنه هو الكثير في لسان العرب
على ما حكاه سيبويه عنهم وهو المشافه
لهم » (٥)

وابن الناظم أيد والده في هذه المسألة
فقال : « والصحيح اختيار الاتصال
لكثرتة في النظم والنثر الفصيح » (٦)

وأما نحو خلتنييه وهو كل فعل
تعدى إلى مفعولين: الثاني منهما نحر

فيقول :

وَصِيْلٌ أَوْ أَفْصِيْلٌ هَاءٌ سَلْبِيَّةٌ وَمَا
أَشْبَهَهُ فِي كُنْتَهُ الْخَلْفُ انْتَمَى
كَذَلِكَ خَلْتَنِيَّةٌ وَاتِّصَالًا

أَخْتَارَ ، غَيْرَى اخْتَارَ الْإِنْفِصَالًا (١)

واختار سيبويه الانفصال نحو كنت إياه
ولقد ورد الأمران كثيرا في كلام
العرب ، فمن الاتصال قول أبي الأسود
الدؤلي يخاطب غلاماً له كان يشرب
النبيذ فيضطرب شأنه وتسمهء حالته .

فَإِنْ لَا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهَا فَإِنَّهُ

أَخُوهَا غَدْتَهُ أُمَّهُ بِأَبَانِيهَا (٢)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم
لعمر بن الخطاب في شأن ابن الصياد :
إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإلا يكنه
فلا خير لك في قتله .

ومن الانفصال قول عمر بن أبي ربيعة
المخزومي .

(١) ألفية ابن مالك ١٧ .

(٢) البيت في الكتاب لسيبويه ٤٦ / ١ ، والمقتضب للمبرد ٩٨ / ٣ ، والمقرب لابن عصفور ٩٥ / ١

(٣) البيت في شرح المفصل لابن يعين ١٠٧ / ٣ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٣١٢ / ٥ وشرح التصريح

١٠٨ / ١ .

(٤) البيت في المنصف لابن جني ٦٢ / ٣ ، ومع الهوامع للسيوطي ٦٤ / ١ ، وخزانة الأدب للبغدادي

٣٢٢ / ٥ .

(٥) شرح ابن عقيل ١٠٤ / ١ .

(٦) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٦٣ .

في الأصل وهما ضميران ، فابن مالك
اختار الاتصال أيضاً تقول خلتني لأنه
أخصر ومذهب سيبويه الانفصال .

ولقد ورد الأمران في فصيح الكلام
أيضاً ، فمن الاتصال قوله تعالى ،
إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ، وَلَوْ
أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا ﴿١١﴾ .

وقول الشاعر :

بُلِّغْتُ صُنْعَ امْرِئٍ بِرٌّ إِخَالِكُهُ ﴿١٢﴾

إِذْ لَمْ تَزَلْ لَأَكْتِسَابِ الْحَمْدِ مُبْتَدِرًا ﴿١٣﴾

وابن الناظم خالف والده في ذلك فقال :
ثم ذكر - ابن مالك - أنه يختار
الاتصال ، وأن منهم من يختار الانفصال
نظراً إلى أنه خبر في الأصل وليس
مرضياً ، لأن الاتصال قد جاء في
الكتاب العزيز في قوله تعالى (إِذْ
يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ، وَلَوْ
أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ) .

والانفصال لا يكاد يعثر عليه إلا
في الشعر كقوله ﴿١٤﴾ :

أَخِي حَسِبْتُكَ إِيَّاهُ وَقَدْ مَلِئْتُ

أَرْجَاءَ صَدْرِكَ بِالْأَضْعَانِ وَالْإِحْنِ ﴿١٥﴾

وما ذهب إليه ابن مالك والرومانى
وابن الطراوة هو الراجح عندي ، لأن
الاتصال أرجح في خبر كان ، وفي
المفعول الثانى من مفعولى ضن وأنحواتها
وذلك من قبيل أن الاتصال في البابين
أكثر وروداً عن العرب .

وقد ورد الاتصال في خبر « كان »
في الحديث الذى رويناها سابقاً ، وورد
الاتصال في المفعول الثانى من باب
ظن في القرآن الكريم فيما قد ذكرناه
ولم يرد في القرآن الانفصال في أحد
البابين.. أصلاً وبحسبك أن يكون ،
الاتصال هو الطريق الذى استعمله
القرآن الكريم باطراد .

(١) من الآية ٤٣ من سورة الأنفال .

(٢) البيت في كتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعينى ١ / ٢٨٧ وشرح التصريح ١ / ١٠٨

شرح الأشموني ١ / ١١٩ .

(٣) لم يعرف قائله ، واستشهد به العينى ١ / ٢٧٦ ، وشرح التصريح ١ / ١٠٧ ، وشرح الأشموني ١ / ١١٩ .

(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٦٥ :

٣- إذا اجتمع الاسم واللقب فإن كانا مفردين ، وجب عند البصريين الإضافة نحو: هذا سعيد كرز ، ورأيت سعيداً كرزاً ، ومررت بسعيد كرز . وابن مالك اختار هذا الرأي فقال :
وَإِنْ يَكُونَا مُفْرَدَيْنِ فَأَضِفْ
حَتْمًا وَإِلَّا أَتَّبِعِ الَّذِي رَدِفَ^(١)

وأجاز الكوفيون إتباع الثاني^١ للأول على أنه بدل منه أو عطف بيان نحو هذا سعيد كرز ، ورأيت سعيداً كرزاً ومررت بسعيد كرز ، ويجوز أيضاً القطع إلى النصب بإضمار فعل ، وإلى الرفع بإضمار مبتدأ نحو مررت بسعيد كرزاً ، وكرز أى أعنى كرزاً ، وهو كرز :

وابن الناظم اختار رأى الكوفيين ، وخالف والده فقال : « وما قاله الكوفيون في ذلك لا ياباه القياس^(٢) » .

وما ذهب إليه الكوفيون عندى هو الحق ولهذا جرى عليه ابن مالك في شرح التسهيل فقال : « فالمفردان يشاركان في الإتيان والقطع وينفردان بالإضافة كسعيد كرز ، ولم يذكر فيها سيبويه إلا الإضافة^(٣) » .

٤- اختلف النحاة في جواز تقديم خبر ليس عليها ، فذهب الكوفيون والمبرد والزجاج وابن السراج وابن مالك إلى المنع^(٤) .

وذهب الزمخشري تبعاً لجمهور ، البصريين وأبو علي الفارسي وابن برهان^١ إلى الجواز فتقول : قائماً ليس زيد^(٥) .

فابن مالك نهج منهج الكوفيين ولهذا قال :

وَقَدِّمِ إِنْ شِئْتَ عَلَى الْفِعْلِ الْخَبَرَ
مَا لَمْ يَكُنْ دَامَ وَفِي لَيْسَ نَظَرُ

(١) ألفية ابن مالك ٢٠ .

(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٧٣ .

(٣) شرح التسهيل ١ / ١٩٣ .

(٤) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ٩٢ مسألة رقم ١٨ .

(٥) انظر شرح اللمع لابن برهان ٥٨ ، ٥٩ ، وشرح المفصل ٧ / ١١٤ .

وَمَنْعَ تَقْدِيمِ عَلَيْهَا أَمْثَلُ
عِنْدِي وَقَوْمُ الْجَوَازِ فَضَّلُوا^(١)

وَحَذَفُ عَامِلِ الْمُؤَكَّدِ امْتِنَعُ
وَفِي سِوَاهُ لِلدَّلِيلِ مَتَّسَعٌ^(٤)

وابن الناظم خالف والده في هذه المسألة واختار الجواز فقال : « فلا يلزم من امتناع التقديم على هذه الأفعال امتناع تقديم خبر ليس عايبها »^(٢) وما ذهب إليه ابن مالك والكوفيون من عدم جواز تقديم خبر (ليس) عليها هو الراجح عندي ، وذلك بسبب ضعفها بعدم التصرف ، ولأن (عسى) لا يتقدم خبرها إجماعاً لعدم تصرفها .

٥- المصدر المؤكد - مثل قولك فهمت فهما - لا يجوز حذف عامله ، لأنه مسوق لتقرير عامله وتقويته ، والحذف مناف لذلك^(٣) .

وأما غير المؤكد فيحذف عامله للدلالة عليه مثل ما ضربت ، فتقول بلى ضربياً مولماً ، أو بلى ضربيتين وهذا ما يراه ابن مالك فقال :

والشارح « ابن الناظم » خالف رأى والده ، ورد عليه فقال : « فإنهم يحذفون عامل المؤكد حذفاً جائزاً ، وإذا كان خبراً عن اسم عين في غير تكرير ولا حصر نحو أنت سيرا ، وميرا ، وحذفاً واجباً في مواضع يأتي ذكرها نحو سقيا ، ورعيا ، وحمداً ، وشكراً ، لا كفراً .

فمنع مثل هذا : إما لسهوه عن وروده ، وإما للبناء على أن المسوغ [لحذف العامل منه نية التخصيص ، وهو دعوى على خلاف الأصل ، ولا يقتضيها فحوى الكلام]^(٥)

وابن عقيل رد على ابن الناظم في هذه المسألة فقال : « وقول ابن المصنف إن قوله : وحذف عامل المؤكد امتنع

(١) متن الكافية الشافية في علم العربية لابن مالك ١٧ .

(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ١٣٦ .

(٣) انظر شرح ابن عقيل ٢ / ١٧٥ ، وحاشية السباني ٢ - ١١٥ .

(٤) ألفية ابن مالك ٦٨ .

(٥) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٢٦٦ .

سهو فيه ، لأن قولك ضريباً زيدا
مصدر مؤكد ، وعامله محذوف وجوبا
ليس بصحيح ^(١)»

ويعجبني ما استأنس به العلامة الملوى

على شرح المكودي تعليقا على ما تقدم
ودفعا للاعتراض :

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ
لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبِزْلِ الْقَنَاعِيْسِ ^(٢)

والراجح عندي في هذه المسألة ما
ذهب إليه ابن مالك ، وأن الأمثلة
التي ساقها ابن الناظم ليست من باب
التوكيد في شيء ، لأن المصدر فيها
نائب مناب العامل ، دال على ما يدل
عليه ، وهو عوض منه ، ويدل على ذلك
عدم جواز الجمع بينهما لأنه لا يجمع
بين العوض والمعوض .

٦- سوى ، مذهب الخليل وسيبويه

والفراء ومن تبعهم فيها ، أنها لا تكون
إلا ظرفا ، فإذا قلت قام القول سوى
زيد « فسوى » عندهم منصوبة على
الظرفية ^(٣) .

ومذهب الكوفيين ، وتبعهم ابن
مالك أنها تأتي ظرفاً ، وتأتي اسماً
متأثراً بالعوامل من غير ضرورة ولا
شدوذ ، وأنها كغيرها ، فتعامل بما
تعامل به غير وإلى هذا أشار بقوله

وَلِسْمَى سَوَى سَوَاءٍ اجْعَلَا

عَلَى الْأَصْحَحِّ مَا لِغَيْرِ جُعِلَا ^(٤)

واستدل الكوفيون بورود ذلك في
الكلام العرب نثرا ونظما .
فمن وقوعها مرفوعة قول محمد بن
عبد الله بن مسلم .

وَإِذَا تَبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى

فَسَوَاكَ بِأَيْعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَى ^(٥)

(١) شرح ابن عقيل ٢ / ١٧٥ ، ١٧٦ ويراجع الرد عن ابن الناظم في المرجع السابق .

(٢) حاشية الملوى على شرح المكودي لألفية ابن مالك ٧٣ .

(٣) انظر توضيح المقاصد للمرادي ٢ / ١١٦ وشرح الأشموني ٢ / ١٥٨ .

(٤) ألفية ابن مالك ٧٥ .

(٥) استشهاد به السيوطي في كتابه مع الهوامع ١ / ٢٠٢ ، والشنقيطي في كتابه درر اللوامع ٣ / ٩٢ ،

والأشموني ٢ / ١٥٩ .

ومن استعمالها منصوبة على غير
الظرفية قول الشاعر :

لَدَيْكَ كَفِيلٌ بِالْمَنَى لِمُؤَمِّلٍ
وَإِنَّ سِوَاكَ مَنْ يُؤَمِّلُهُ يَشْتَقِي (١)

من استعمالها مجرورة قول الرسول
صلى الله عليه وسلم : « دَعَوْتُ رَبِّي
أَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيَّ أُمَّتِي عَدُوًّا مِنْ سِوَى
أَنْفُسِيهَا » .

ومذهب الرماني وأبي البقاء العكبري
أنها تستعمل ظرفا منصوبا على الظرفية
وتستعمل غير ظرف ، ولكن استعمالها
ظرفا أكثر من استعمالها غير ظرف (٢)
وقد اختار ابن هشام هذا الرأي وقال :
« وإلى مذهبها أذهب » (٣) وابن الناظم
وافق أباه في ذلك فقال : « فليس
الأمر في سوى كما قال سيبويه ،
فلذلك جعل الشيخ (رحمه الله)
خلافه هو الأصح » (٤) .

وما ذهب إليه الكوفيون وابن مالك
هو الراجح عندي لكثرة الشواهد ،
الواردة عن العرب التي تؤيد رأيهم .
وتنمنا من أن نتمحل لتأويلها ، أو أن
ندعى أنها ضرورة من ضرورات الشعر .

٧- صاحب الحال قد يكون مجرورا
بحرف جر أصلي مثل : مررت بهند
جالسة . وقد يكون مجرورا بحرف جر زائد
كقولك : ما جاء من أحد راكبا .

ولا خلاف بين النحاة في أن صاحب
الحال إذا كان مجرورا بحرف جر
زائد يجور تقديم الحال عليه وتأخيرها
عنه كقولك : ما جاء من أحد راكبا
وما جاء راكبا من أحد .

والخلاف منحصر بينهم في تقديم
الحال على صاحبها المجرور بحرف جر
أصلي ، فذهب الفارسي ، وابن كيسان
وابن برهان ، وتابعهم ابن مالك

(١) البيت لم يعرف قائله ، انظر شرح العيني ٣ / ١٢٥ ، وشرح الأشموني ٢ / ١٥٩ .

(٢) انظر شرح الأشموني ٢ / ١٦٠ .

(٣) انظر هامش شرح ابن عقيل ٢ / ٢٣١ .

(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٣٠٥ .

جر أصلى هو الأصوب لكثرة ورود الشعر
العربى فى ذلك .

٨- اختلاف النحاة فى معنى الإضافة
المحضنة .

فذهب سيبويه والجمهور وتبعهم أبو
على الفارسى والإمام عبد القاهر الجرجانى
إلى أن الإضافة لا تعدو أن تكون بمعنى
اللام أو من ^(٥) .

فيتعين تقدير « من » إن كان
المضاف إليه جنسا للمضاف مثل هذا
ثوب حرير وخاتم ذهب أى هـ- هذا
ثوب من حرير ، وخاتم من ذهب .

فإن لم يتعين تقدير « من » فالإضافة
بمعنى اللام مثل هذا غلام محمد ، وهذه

إلى جواز ذلك نورود السماع ^(١) ،
واستدلوا بقول الشاعر :

لَئِنْ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ هَيْمَانَ صَادِيًا
إِلَى حَبِيبًا ، إِنَّهَا لَعَبِيبٌ ^(٢)
وقول الآخر :

مَشْغُوفَةٌ بِكَ قَدْ شَغِفْتُ وَإِنَّمَا
حُمُّ الْفِرَاقِ فَمَا إِلَيْكَ سَبِيلٌ ^(٣)
وأكثر النحاة لا يجوزون تقديم الحال
على صاحبها المجرور بحرف جر أصلى
فلا يجوز عندهم مررت جالسة بهند .
والشارح ابن الناظم وافق على رأى
أبيه فقال : « وخالفهم الشيخ (رحمه
الله) فى هذه المسألة ، وأجاز تقديم
الحال على صاحبها للمجرور بحرف ^(٤)»

وذكر بدر الدين ما يؤيد مذهب والده .
وأرى : أن الرأى الذى يجوز
تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف

(١) انظر شرح الأشموني ١٧٦/٣ ، ١٧٣ ، وشرح ابن عقيل ٢٦٤/٢ .

(٢) البيت لكثير عزة انظر العيني ١٥٦/٣ ، وشرح الأشموني ١٧٧/٢ .
والشاهد فى هيمان حيث وقع حالا عن الياء فى إلى وتقدمت عليه مع كونه مجرورا .

(٣) البيت لم يعرف قائله : انظر العيني ١٦٢/٣ ، وشرح الأشموني ١٧٧/٢ والشاهد فى مشغوفة حيث وقع
حالا من المجرور وهو الكاف فى بك .

(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٣٢٣ .

(٥) انظر كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجانى ٨٧٠/٢ ، ٨٧١ ، وانظر الأصول لابن

السراج ٥/٢ ، وشرح ابن عقيل ٤٣/٣ ، ٤٤ .

دار عبد الله أي غلام لمحمد ، ودار
لعبد الله^(١) .

وذهب بعض النحاة إلى أن الإضافة
تكون بمعنى اللام فقط ، وعللوا ذلك
بأن كلا من الظرف والتبعية يصح
فيه اعتبار معنى اللام^(٢) .

ومن العلماء من ذهب إلى أن الإضافة
كما تكون بمعنى « مِنْ » و « اللَّام »
تكون أيضاً بمعنى « فِي » إن كان
المضاف إليه ظرفاً واقعاً فيه المضاف
واستدلوا على رأيهم بشواهد من القرآن
الكريم والشعر العربي ، من ذلك : قوله
تعالى « لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ
تَرْبِصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ^(٣) .

وقوله تعالى : « بَلْ مَكْرٌ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٤)
وقول حسان بن ثابت .

تَسَائِلُ عَنْ قَوْمٍ هِجَانَ سَمِيدِعِ ،
لَتَنَى الْبُؤْسُ مِغْوَارِ الصَّبَاحِ جَسُورِ^(٥)

وابن مالك وافق على ذلك .

يقول الشارح « ابن الناظم » : واختار
الشيخ (رحمه الله) هذا المذهب فلذلك
قال :

وَالثَّانِي اجْتَرَأَ وَأَنُو « مِنْ » أَوْ « فِي » إِذَا
لَمْ يَصْلِحَ إِلَّا ذَاكَ ، وَاللَّامُ خُذًا^(٦)
وابن الناظم خالف والده في هذا الرأي
فقال :

« والإضافة بمعنى « فِي » مختلف فيها
والحمل على المتفق عليه أولى من الحمل
على المختلف فيه^(٧) .

وقال أيضاً : « إن دعوى كون
الإضافة بمعنى « فِي » يستلزم
دعوى كثرة الاشتراك في معناها ، وهو
على خلاف الأصل ، فيجب اجتنابها^(٨) »
وذكر ابن الناظم أدلة على ضعف ما رآه
والده في هذه المسألة .

(١) المراجع السابقة .

(٢) انظر حاشية الصبان ٢٣٨/٢ .

(٣) من الآية ٢٢٦ من سورة البقرة .

(٤) من الآية ٣٣ من سورة سبأ .

(٥) البيت من شواهد العيني ٣٥٨/٣ .

(٦) ألفية ابن مالك (٧) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٣٨٣ .

(٨) المرجع السابق ٣٨٢ .

وما ذهب إليه سيبويه وجمهور النحاة من أن الإضافة المحضة تكون بمعنى «اللام» أو «من» هو الراجح عنرى وذلك لقوة أدلتهم .

٩ - لا خلاف في امتناع تقديم معمول فعل التعجب عليه ، لأن الفعل الجامد ضعيف في ذاته ، فلا يتصرف في معموله بتغيير موضعه ، لا بتقديمه عليه ، ولا بالفصل بينه وبينه ، فلا يجوز أن نقول : محمدا ما أحسن ، ولا ما محمدا أحسن ، ولا بمحمد أحسن^(١)

ولا خلاف أيضاً في امتناع الفصل بين فعل التعجب وبين المتعجب منه - كما ذكرت - بتغيير الظرف والجار والمجرور ، كالحال والمنادى مثلاً فلا يجوز أن تقول : ما أحسن ضاحكا محمدا ولا ما أحسن يا عبد الله عاليا .

وأما الفصل بالظرف والجار والمجرور ففيه خلاف مشهور؛ فذهب سيبويه

والأخفش والمبرد والزمخشري ومن وافقهم إلى منع الفصل^(٢) .

بين فعل التعجب ومعموله بالظرف والجار والمجرور ، فلا يقال : ما أحسن في بيت الدار محمدا ، ولا أكرم اليوم بعلى ، واحتجوا بأن التعجب جرى مجرى الأمتال والأمثال لا تتغير .

ويرى أكثر النحاة جواز الفصل بين فعل التعجب ومعموله بالظرف والجار والمجرور ، وهو اختيار ابن مالك والشارح . يقول ابن الناظم : « والصواب أن ذلك جائز وهو المشهور والمتصور^(٣) » وما ذهب إليه أكثر النحاة وابن مالك وابن الناظم هر الذي أميل إليه ، لورود الفصل في النشر وفي الشعر العربي ، بكثرة ، ولأنهم يتوسعون في الظرف والجار والمجرور .

وما ورد فيه الفصل قول الشاعر

عَبَّالًا نَسَبًا لِلْمُسْلِمِينَ تَقَدَّمُوا
« أَحَبُّ إِلَيْنَا أَنْ تَكُونَ الْمُتَسَلِّمًا »^(٤)

(١) انظر شرح الأشموني ٣ / ٢٤ ، ٢٥ ، وابن عقيل ٣ / ١٥٦ ، ١٥٧ وشرح المفصل ٧ / ١٥٠ .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٤٦٤ .

(٤) قاله الشاعر : العباس بن مرداس ، البيت من شواهد العيني ٣ / ٦٥٦ والتصريح ٢ / ٣٥٣ ، ومع الهوامع ٢ / ٩٠ ، ٩١ ، ودرر اللوامع ٥ / ٢٣٤ . والشاهد قوله « إلينا » فقد فصل بين فعل التعجب وهو « أحب » وفاعله الذي انسبك من الحرف المصدرى ومعموله ، وذلك جائز في الأصح على مذهب النحاة .

وقول الآخر :

خَلِيلِيَّ مَا أَحْرَى بِنَدَى اللَّبِّ أَنْ يُرَى
صَبُورًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ^(١)

ومن النثر قول عمرو بن معد يكرب :

« مَا أَحْسَنَ فِي الْهَيْجَاءِ لِقَاءَهَا وَأَكْثَرَ
فِي اللَّزِيذَاتِ عَطَاءَنَا ، وَأَثْبَتَ فِي الْمَكْرُمَاتِ
بِقَاءَهَا » .

هكذا قال ابن مالك :

وَفِعْلٌ هَذَا الْبَابِ لَنْ يُقْدَمَا
مَعْمُولُهُ وَوَصْلُهُ بِهِ الْزَمَا

وَفَصْلُهُ بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفٍ جَرٍّ
مُسْتَعْمَلٌ وَالْخُلْفُ فِي ذَلِكَ اسْتَقَرَّ^(٢)

١٠- منع سيبويه والسيراfi وابن

جنى ومن تبعهم الجمع بين الفاعل

الظاهر والتمييز في باب نعم وبئس .

فلا يجوز أن تقول على رأيهم : نعم
الرجل رجلا محمدا . لأن الإبهام قد

ارتفع بظهور الفاعل فلا حاجة إلى
تمييز^(٣) وأجاز ذلك المبرد وابن السراج .

وأبو علي الفارسي وابن مالك وابن
الناظم^(٤) يقول ابن مالك :

وَجَمْعٌ تَمْيِيزِيٌّ ، وَفَاعِلٌ ظَهَرَ
فِيهِ خِلَافٌ عَنْهُمْ قَدْ اشْتَهَرَ^(٥)

وما ذهب إليه ابن مالك من جواز

الجمع بين الفاعل الظاهر ، والتمييز

في نعم وبئس هو الذي أميل إليه لكثرة

ورود ذلك نظما ونثرا

فمن النظم قول الشاعر

تَزَوُّوا بِمِثْلِ زَادِ أَبِيكَ فَيَنْتَ

فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادَا^(٦)

(١) البيت لم يعرف قائله ، واستشهد به العيني ٣ / ٦٦٢ ، والهمع ٢ / ٩١ والدرر ٥ / ٢٤٢ ، وحاشية
يس ٢ / ٩٠ ، والأشموني ٣ / ٢٤ والشاهد قوله : « بنى اللب » حيث فصل بين فعل التعجب وهو « أخرى » ومعموله
وهو المصدر المنسبك من الحرف المصدرى وذلك جائز في الأصح على مذهب النحاة .

(٢) ألفية ابن مالك ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣) انظر الكتاب لسبويه ١ / ٣٠١ ، والخصائص لابن جنى ١ / ٣٩٥ واللمع لابن جنى ٢٢٢ .

(٤) انظر المقتضب ٢ - ١٤٢ ، والأصول لابن السراج ١ - ١١٤ ، وشرح الألفية لابن الناظم ٤٧٠ ، ٤٧١
والمقتصد في شرح الإيضاح ١ / ٣٧٢ .

(٥) ألفية ابن مالك ١٠٤ .

(٦) البيت لجرير (من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز) وهو من شواهد المقرب لابن عصفور ١ / ٦٩ ،

ومغنى اللبيب ٤٦٣ ، وشرح شواهد المغنى للبيدادي ١ / ٦٣ .

وقول الشاعر :

التَّغْلِبِيُّونَ بِئْسَ الْفَحْلُ فَحَلُّهُمُ
فَحْلًا وَأَمَّهُمْ زَلَاءٌ مِنْطَبِقُ (١)

ومن النثر ما حكى من كلامهم : نعم
القتيل قتيلا أصلح بين بكر وتغاب .

لهذا قال ابن الناظم : « وما ذهب
إليه المبرد هو الأصح ، فإن التسييز
كما يجيء لرفع الإبهام ، كذلك يجيء
للتوكيد » (٢) .

١١- مذهب الكوفيين - واختاره
ابن مالك - جواز توكيد النكرة ،
المحدودة لحصول الفائدة مثل : صمت
شهرًا كله ، ولا يجوز عندهم توكيد
النكرة غير المحدودة مثل حين ، ووقت
وزمان ، لأنه لا فائدة في توكيدها .
ومنع البصريون توكيد النكرة سواء

كانت محدودة أو غير محدودة (٣) وابن
الناظم وافق والده في ذلك . يقول : وقول
الكوفيين أولى بالصواب لصحة السماع
بذلك ، ولأن في توكيد النكرة المحدودة -
فائدة كالتى في توكيد المعرفة ، فإن من
قال : صمت شهرًا ، قد يريد جميع
الشهر ، وقد يراد أكثره ، ففي قوله
احتمال ، فإذا قال : « صمت شهرًا كله »
ارتفع الاحتمال وصار كلامه نصًا على
مقصوده فلو لم يسمع من العرب لكان
جديرًا بأن يجوز قياسًا ، فكيف به
واستعماله ثابت (٤) .

والرأى عندي هو ما قاله الكوفيون
لوجود السماع بذلك شعرا ومن ذلك
قول عبد الله بن مسالم الهذلي :

لَكِنَّهُ شَاقَهُ أَنْ قِيلَ ذَا رَجَبٍ
يَأْلَيْتُ عِدَّةَ حَوْلِ كُلِّهِ رَجَبٍ (٥)

(١) البيت لجرير وهو من شواهد المقرب ١ / ٦٨ وشرح العيني ٤ / ٧ ، وهم الهوامع ٢ / ٨٦ ودرر اللوامع
٥ / ٢٠٨ .

(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٤٧١ .

(٣) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٣٩ مسألة ٦٣ .

(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(٥) البيت من شواهد الإنصاف ٢٤٠ وابن يعيثن ٣ / ٣٥ والأشمونى ٣ / ٧٧ .

وإلى هذا يشير ابن مالك بقوله :

وَإِنْ يُفِيدُ تَوْكِيدُ مَنْكُورٍ قُبِيلٍ
وَعَنْ نُحَاةِ الْبَصْرَةِ الْمَنْحُ شَمِلٌ^(١)

١٢- لا يؤكد المثني - فيما سماع من
العرب - إلا بالنفس ، أو بالعين ،
أو بكلا في التذكير ، أو بكلتا في
التأنيث .

ومذهب البصريين أنه لا يؤكد بغير
ذلك .

ولا يثنى « أجمع » ولا « جمعاء » ،
وهذا ما ذهب إليه ابن مالك^(٢) وأجاز
الكوفيون في القياس أن يؤكد المثني
في التذكير بأجمعين ، وفي التأنيث
بجمعاوين تقول : جاء الجيشان أجمعان
وجاءت القبياتان جمعاوان ، استغناء
بكلا وكتلا .

وأشار ابن خروف إلى أن ذلك لا
مانع منه .

وابن الناظم خالف والده في هذه
المسألة ، واختار رأى الكوفيين فقال :
« وعندى أن ثم ما يمنع منه . . . فلو
قلت جاء الجيشان أجمعان لم يابيه
القياس^(٣) .

وما ذهب إليه البصريون هو الراجح
عندى ، لأن ما قاله الكوفيون لم ينقل^(٤)
عن العرب ، وإلى هذا يشير ابن
مالك بقوله

وَأَعْنِ « بَكَلْتَا » فِي مُثْنَى « وَكَلَا »
عَنْ وَزْنِ فَعْلَاءَ وَوَزْنِ أَفْعَلَا^(٥)

١٣- الحكم إن كان المعطوف عايه
ضميرا مجرورا ، ذهب جمهور البصريين
والزجاج والزمخشري إلى وجوب إعادة
الجار ، إن كان المعطوف عليه ضميرا
مجرورا ، واستدلوا على ذلك بقوله
تعالى :

« قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ »^(٥)

(١) ألفية ابن مالك ١١٢ .

(٢) التمهيد لابن مالك ١٦٥ .

(٣) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٠٨ .

(٤) ألفية ابن مالك ١١٣ .

(٥) مز الآية ٦٤ من سورة الأنعام .

وقوله تعالى: « وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ
تَحْمَلُونَ »^(١) وقوله تعالى: « فَقَالَ
لَهَا وَالْأَرْضِ انْتِيَا »^(٢)

وذهب يونس والفراء والأخفش
والكوفيون وتبعهم ابن مالك إلى جواز
العطف على الضمير المجرور بدون إعادة
الجر^(٣).

يقول الشارح « ابن الناظم »
وهو اختيار الشيخ^(٤)

ويقول ابن مالك في هذه المسألة
وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفِ عَلَى
ضَمِيرٍ خَفِضٍ لِأَزْمًا قَدْ جُعِلَا

وَلَيْسَ عِنْدِي لِأَزْمًا إِذْ قَدْ أَتَى
فِي النَّظْمِ وَالنَّشْرِ الصَّحِيحِ مُتَبَتَا^(٥)
فابن مالك جوز العطف على الضمير

بدون إعادة الجر لورود السماع نظماً
ونشراً .

من ذلك قوله تعالى: « وَأَتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ »^(٦) بخفض
الأرحام ، وهي قراءة ابن عباس .
ومنه قول الشاعر

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا
فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ^(٧)

ومذهب الجرمي والزبدي : أنه إذا
أكد الضمير جاز العطف بدون إعادة
الجار مثل قولك : مررت بك أنت
وزيد^(٨) .

وابن الناظم خالف والده « ابن مالك »
في ذلك فقال : « والدليل على أن
العطف المذكور - العطف على الضمير

(١) سورة المؤمنون آية ٢٣ .

(٢) من الآية ١١ من سورة فصلت .

(٣) انظر الإنصاف ٢٤٦ مسألة ٦٥ .

(٤) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٤٤ .

(٥) ألفية ابن مالك ١٢٠ .

(٦) من الآية ١ من سورة النساء .

(٧) البيت لم يعرف قائله وهو من شواهد الكتاب ٣٩٢ / ١ ، والكامل ٣ / ٣٩ وشرح أبيات سيبويه

للسيرا في ٢ / ٢٠٧ ، والخزانة ٥ / ١٢٣ .

(٨) شرح الأشموني ٣ / ١١٥ ، ١١٦ .

المخفوض بدون إعادة حرف الجر -

لا يجوز في القياس من وجهين .

أحدهما : أن الضمير المجرور شبيه بالتنوين لمعاقبته له ، وكونه على حرف واحد ، فلا يجوز العطف عليه ، كما لم يجز العطف على التنوين .

الثاني : أن الضمير المتصل متصل كاسمه ، والجار والمجرور كشيء واحد فإذا اجتمع على الضمير الاتصال أشبه العطف عليه العطف على بعض الكلمة ، فلم يجز ، ووجب إما تكرير الجار ، وإما النصب بإضمار فعل^(١) وما ذهب إليه ابن مالك - تبعاً للكوفيين من جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار - هو الراجح عندي لورود الشواهد التي تؤيد ذلك من القرآن الكريم والشعر العربي ، وقد تقدم ذكرها .

١٤ - لا يجوز حذف حرف النداء

من اسم الجنس واسم الإشارة إلا فيما ندر من نحو قولهم : « أَطْرُقُ كَرًّا »^(٢)

و « أَفْتَدِ مَخْنُوقٌ »^(٣) و « أَصْبِحْ

لَيْلٌ »^(٤) وقول الله سبحانه وتعالى :

« ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ »^(٥)

وهذا ما ذهب إليه البصريون ، فيقتصرون

حذف حرف النداء في ذلك على السماع .

وعند الكوفيين : أن حذف حرف

النداء من اسم الجنس والمشار إليه قياس

مطرد ومنه قول الشاعر

إِذَا هَمَلْتُ عَيْنِي لَهَا قَالَ صَاحِبِي

بِمِثْلِكَ إِهْدِنَا لَوْعَةً وَغَرَامٌ^(٦)

وابن مالك اختار مذهب الكوفيين

ولهذا قال :

وَذَلِكَ فِي اسْمِ الْجِنْسِ وَالْمُشَارَلِهُ

قَلٌّ وَمَنْ يَمْنَعُهُ فَاَنْصُرْ عَاذِلَهُ^(٧)

(١) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٤٦ .

(٢) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١ / ١٩٤ ، والمستقصى للزنجشري ١ / ٢٢١ .

(٣) المستقصى للزنجشري ١ / ٢٦٥ .

(٤) مجمع الأمثال للميداني ١ / ٢٧٣ ، وجمهرة الأمثال ١ / ١٩٢ .

(٥) من الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٦) قاله ذو الرمة ، والبيت من شواهد العيني ٤ / ٢٣٥ ، التصريح ٢ / ١٦٥ وشرح الأشموني ٣ / ١٣٦

والشاهد في هذا حيث حذف منه حرف النداء .

(٧) ألفية ابن مالك ١٢٣ .

وقد صرح ابن مالك في شرح الكافية
بموافقته للكوفيين في اسم الجنس فقال
« وقولهم في هذا أصح »^(١) .

وابن الناظم خالف ابن مالك في
ذلك فقال : « وأما اسم الجنس ،
واسم الإشارة فلا يحذف منهما حرف
النداء . . . وذلك لأن حرف
النداء في اسم الجنس كالعوض من
أداة التعريف ، فحقه ألا يحذف كما
لم تحذف الأداة ، واسم الإشارة في
معنى اسم الجنس ، فجري مجراه »^(٢)

وأرى أن الإنصاف في هذه المسألة
هو الرجح عندى ، فالحذف يكون
قياساً في اسم الجنس لكثرة وقوعه
إنظماً ونشراً ، ويكون الحذف حرف
نداء سماعياً في اسم الإشارة إذ لم يرد
إلا في الشعر .

١٥ - انفردت « لو » الشرطية من
بين أخواتها بمباشرة (أن) كقوله
تعالى :

« وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ
إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ »^(٣) .

واختلف في موضع « أن » وصياتها
بعد « لو » .

فذهب الكوفيون والمبرد والزمخجاري
والزمخشري إلى أنها فاعل لفعل محذوف
والتقدير « ولو ثبت أنهم صبروا »^(٤)

ولهذا قال الزمخشري في كشفه « أنهم
صبروا في موضع رفع على الفاعلية لأن
المعنى ولو ثبت صبرهم »^(٥)

ويرى سيبويه ووافقه ابن مالك أنها
في موضع رفع بالابتداء^(٦) .

وابن الناظم خالف رأى والده فقال :
« و (لو) مثل (أن) في أن شرطها
لا يكون إلا فعلاً »^(٧)

(١) شرح الأشموني ٣/١٣٧ .

(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٥٦٦ .

(٣) من الآية ٥ من سورة الحجرات .

(٤) انظر المقتضب للمبرد ٣/٧٧ ، والكشاف للزمخشري ٣/٥٥٩ .

(٥) الكشاف للزمخشري ٣/٥٥٩ .

(٦) انظر شرح الأشموني ٤/٤٠ .

(٧) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٧١١ .

مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَقْلَامٌ^(٤)
 فالشاهد في الآية وقوع خبر أن بعد
 لو اسما جامدا وهو قوله « أقلام
 وكقول الشاعر :

وَلَوْ أَنَّهَا عُصْفُورَةٌ لَحَسِبْتَهَا
 مَسْوَمَةً تَدْعُو عَيْدًا وَأَزْنَمًا^(٥)

وقول الشاعر :

وَلَوْ أَنَّ حَيًّا فَائِتُ الْمَوْتِ فَاتَهُ
 أَخُو الْحَرْبِ فَوْقَ الْقَارِحِ الْعَدَوَانِ^(٦)

وقول الراجز :

لَوْ أَنَّ حَيًّا مُدْرِكُ الْفَلَّاحِ
 أَدْرَكَهُ مَلَاعِبُ الرَّمَّاحِ^(٧)

إلى هذا أشار ابن مالك بقوله

وَهِيَ فِي الْأَخْتِصَاصِ بِالْفِعْلِ كَانُ
 وَبِأَشْرَتِ أَنْ (كَلَوْ) أَنِّي فَطِنُ

والراجح عندي ما ذهب إليه الكوفيون
 ومن تبعهم ، لأنه أقيس لاختصاص
 لو بالأفعال ولذلك قال ابن يعيش
 « ولاقتضاء (لو) الفعل إذا وقع بعدها
 (أَنْ) المشددة لم يكن بد من فعل في
 أخبرها نحو قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ
 آمَنُوا وَاتَّقَوْا)^(١) ونحو قوله تعالى :
 (وَلَوْ أَنَّنِ قرآنًا سُيرتُ بِهِ
 الْجِبَالُ)^{(٢)(٣)}

واختلف النحاة أيضاً في خبر (أَنْ)
 الواقعة بعد (لو) ، فأوجب الزمخشري
 أن يكون فعلا ، ولم يجوز كونه اسما
 مشتقا .

وخالفه ابن مالك واعترض عليه .
 ورأى أن ما منعه الزمخشري شائع ذائع
 في كلام العرب ، كقوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّ

(١) من الآية ١٠٣ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٩ / ١١ .

(٥) البيت للعوام بن شوذب أو لحرير ، وهو من شواهد المغني ٢٧٠ . وشرح شواهد المغني للبغدادي ٥ / ٩٧
 والجنى الداني ٢٨١ .

(٦) البيت لصخر بن عمرو السلمي ، وهو من شواهد العيني ٤ / ٤٥٦ ، ولسان العرب مادة (عدا) ،
 وشرح الأشموني ٤ / ٤٢ .

(٧) قاله ليبيد ، والبيت من شواهد المغني ٢٧٠ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٦٦٣ وشرح الأشموني ٤ / ٤٢

اسما مشتقاً ، ولم يتنبه لها الزمخشري ...
وهي قوله تعالى : « يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ
فِي الْأَعْرَابِ »^(٢٣)

وصفوة القول : أن الزمخشري منع
أن يكون الخبر اسما مشتقاً ، أما إن
كان اسما جامدا كما في قوله تعالى :
« وَكَوَّ أَنْ مَافِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ
أَقْلَامٌ » فجائز عنده لتعذر صوغ الفعل
منه

هذه هي أهم التعقيبات التي تراءت لي
لآبين العالمين الجليلين الناظم (ابن مالك)
والشارح (ابن الناظم بدر الدين) .
وبعد :

فإنه أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً
لوجهه الكريم وأن ينفع به ، إنه على
ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

وَلَيْسَ حَتَّى كَوْنِ فِعْلٍ خَبَرًا
مِنْ بَعْدِ لَوْ أَنَّ وَمِمَّا أَثَرًا
لَوْ أَنَّ حَيًّا ! مُدْرِكُ الْفَلَّاحِ
أَذْرَكُهُ مَلَاعِبُ الرَّمَّاحِ^(١)

وابن الناظم وافق أباه في هذا الرأي
وبهذه الأبيات السابقة رد ابن الناظم
على الزمخشري ومن تبعه فقال

« وزعم الزمخشري : أن خبر (أن)
بعد (لو) لا يكون إلا فعلا وهو
باطل »^(٢)

والراجع عندي ما ذهب إليه ابن مالك ،
لأن مازعمه الزمخشري يتعارض مع
الشواهد السابقة التي وقع فيها الاسم
المشتق خبر (إن) الواقعة بعد (لو)

ولهذا قال ابن هشام في المغنى : « وقد
وجدت آية في التنزيل وقع فيها الخبر

(١) متن الكافية لابن مالك ٩١ .

(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٧١٢ .

(٣) مغنى اللبيب لابن هشام ٢٧٠ / ١ ، وانظر الأشموني ٤ / ١ ، والجنى الداني للبرادى ٢٨٢

أهم مصادر ومراجع البحث

- ١- الأصول في النحو لابن السراج تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
 - ٢- الأعلام لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .
 - ٣- ألفية ابن مالك في النحو والصرف ، المطبعة النموذجية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
 - ٤- الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة ، الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
 - ٥- بغية الرعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ، عيسى البابي الحلبي ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .
 - ٦- تيسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربى بجمهورية مصر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
 - ٧- تفسير الكشاف للزمخشري تحقيق ، محمد الصادق قمحاوى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
 - ٨- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن على سليمان ، الطبعة الثانية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، بدون تاريخ .
 - ٩- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري تحقيق الأستاذين محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش مطبعة المؤسسة العربية الحديثة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
 - ١٠- العجنى الدانى في حروف المعانى للمرادى .
- تحقيق الأستاذين: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، منشورات دار الآفاق الجديدة بببيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- ١١- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، بدون تاريخ .
- ١٢- حاشية يس العليمي على شرح التصريح ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ
- ١٣- خزانة الأدب للبغدادى تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ م .
- ١٤- الخصائص لابن جني تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى ببيروت ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .
- ١٥- الدرر اللوامع للشنقيطي تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم دار البحوث العلمية بالكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
- ١٧- شرح أبيات سيبويه للسيراني ، تحقيق الدكتور محمد على سلطاني ، مطبعة الحجاز بدمشق ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ١٨- شرح أبيات المغني للبغدادى ، تحقيق الأستاذين عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف دقاق ، ط. زيد بن ثابت بدمش ، ط. الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ١٩- شرح الأشموني ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي . بدون تاريخ .
- ٢٠- شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ، تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، دار الجيل ببيروت ، بدون تاريخ .

- ٢١- شرح التسهيل لابن مالك تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ .
- ٢٢- شرح شواهد الألفية للعينى ، مطبعة إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي بدون تاريخ .
- ٢٣- شرح شواهد المغنى للسيوطى ، لجنة التراث العربى ، بدون تاريخ .
- ٢٤- شرح عمدة الحفاظ وعدة اللافظ لابن مالك ، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدى ، الطبعة الأولى ، مطبعة الأمانة بالقاهرة ، بدون تاريخ .
- ٢٥- شرح المفصل لابن يعيش ، مكتبة المتنبي بالقاهرة ، عالم الكتب ببيروت بدون تاريخ .
- ٢٦- الكامل للمبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار نهضة مصر بدون تاريخ .
- ٢٧- الكتاب لسيبويه ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، ١٣١٦ هـ .
- ٢٨- لسان العرب لابن منظور ، مطبعة دار المعارف بدون تاريخ .
- ٢٩- اللمع لابن جنى ، تحقيق الدكتور حسين محمد شرف ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٣٠- متن الكافية الشافية فى علم العربية لابن مالك ، مطبعة الهلال ، بالفجالة مصر ، بدون تاريخ .
- ٣١- مجمع الأمثال للميدانى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

٣٢- المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ، دار الكتب العلمية ببيروت - الطبعة الثانية
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٣٣- مغنى اللبيب لابن هشام ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني
بدون تاريخ .

٣٤- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعينى على خزانة الأدب المطبعة
الأميرية ببولاق ، بدون تاريخ .

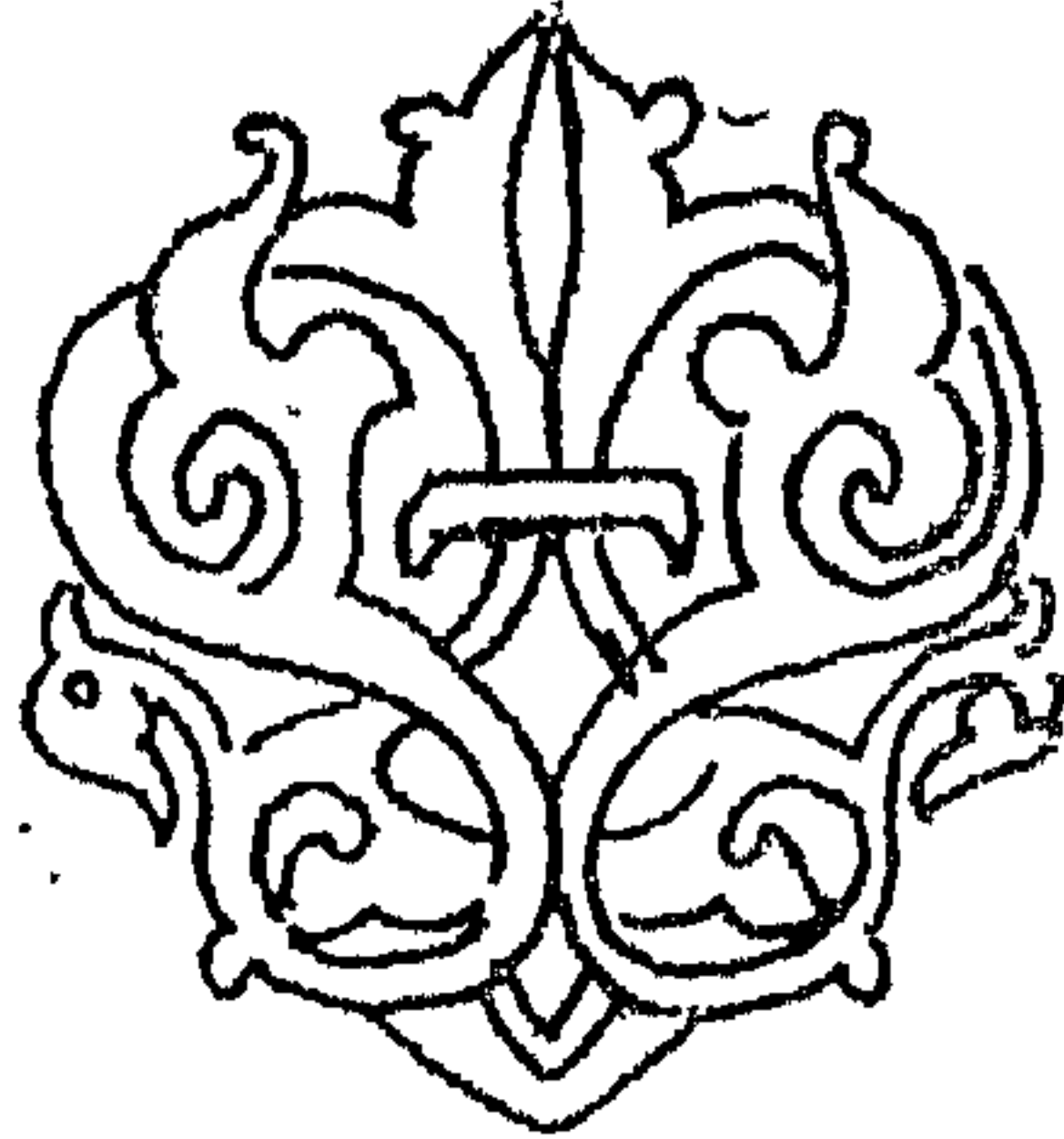
٣٥- المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر العرجاني . تحقيق الدكتور كاظم بحر
المرجان ، دار الرشيد بالعراق ١٩٨٢ م .

٣٦- المقتضب للمبرد تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضية ، مطبعة المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية ١٣٩٩ هـ .

٣٧- المترب لابن عصفور تحقيق الأستاذين أحمد الجوارى وعبد الله الجبورى ، مطبعة
العاني ببغداد الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

٣٨- هجع الهوامع شرح جمع العوامع للسيوطي ، دار المعرفة ببيروت بدون تاريخ .

ابراهيم محمد احمد الازكاوى
المدرس بكلية التربية بجامعة المنوفية



إِضْمَارٌ أَنْ قَبْلَ الْمُضَارِعِ وَالْقَوْلُ فِيهِ لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْعَلِيمِ فَوْرِهِ

إِضْمَارٌ أَنْ وَجُوبًا فِي الْمَوَاضِعِ الْآتِيَةِ : ليس العطاء من الفضول سماحة .

حتى تجود وما لديك فليل

٤- بعد أو بمعنى حتى التي تفيد

(إلى أن) وهي التي يسبقها فعل

ينقض شيئاً فشيئاً مثل ؛

لاستسهل الصعب أو ادرك المنى

فما انقادت الآمال الا لصابر

أو تفيد معنى (الا أن) وذلك إذا

كان الفعل قبلها لا ينقض شيئاً فشيئاً

مثل

وكنت إذا غمزت قناة قوم

كسرت كعوبها أو تستقيما

٥- بعد فاء السبية في جواب النفي

المحض « لا يقضى عليهم فيموتوا » .

أو جواب الطلب ، أمرا مثل

يا ناق سيرى عنقاً فسيحاً

إلى سليمان فنستريحها

١- بعد لام انجود التي تفيد

تأكيد النفي ، وهي حرف جر وتسبق

يكون ماض لفظاً أو معنى منفي بما

مثل « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم »

أو لم « لم يكن الله ليغفر لهم » .

٢- بعد كي التعليلية عند البصريين

وهي حرف جر بمعنى اللام مثل جئت

كي تكرمني إذا قدرت النصب بأن

٣- بعد حتى الجارة التي تفيد

التعليل وذلك إذا كان ما قبلها علة

لما بعدها مثل أسلم حتى تدخل الجنة ،

أو تفيد الغاية « إذا كان ما بعدها غاية

لما قبلها مثل : سرت حتى أدخل المدينة

أو التي تفيد معنى « الا » مثل « لن

تذالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »

وكقول الشاعر :

أو نهياً مثل « لا تطفوا فيه فيحل عليكم غضبي » .

أو دعاء مثل (رب انصرني فلا أخذل)
أو استفهاما مثل « فهل لنا من شفعا
فيشفعوا لنا » .

أو عرضاً (ألا تنزل عندنا فتصيب خيرا) .

أو تحضيضا مثل (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق) .

أو تمنيا مثل (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) .

أو ترجيا (عند الكوفيين) مثل (لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات)

٦- بعد واو المعية في جواب النفي مثل
(ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أو الطلب ، أمرا مثل :

فقلت أدعى وأدعو إن أندى

لصوت أن ينادى داعيان

أو نهيا مثل :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار
عليك إذا فعلت عظيم أو استفهاما مثل :

ألم أك جاركم ويكون بيني

وبينكم المودة والإخاء

١- إذا وقع المضارع بعد الفاء أو واو
أو ثم أو بين الشرط والجزاء فإن
من وجوه إعرابه أن ينصب بأن مضمرة
وجوبا .

مثل إن نأتني فتحدثني أحسن
إليك ، ومن يأتني ويحدثني أحسن
إليه . « ومن يخرج من بيته مهاجرا
إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
أجره على الله » . في قراءة من نصب
(يدرك) .

وان تزرني أو تحسن إلى أحسن
إليك .

٨- المضارع السابق الواقع بعد تمام
الشرط والجزاء .

فان من وجوه إعرابه أن ينصب
بأن مضمرة وجوبا .

مثل : (وان تبدوا ما في أنفسكم أو
تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن
يشاء وكذا) وان تخفوها وتؤتوها

الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم
قرء (بالجزم والرفع والنصب) في
(يغفر ويكفر)

مواضع اضرارها جوازا :

١- بعد لام التعليل التي لم تعقبها
(لا) مثل (جئتكَ لأراك أو لأن أراك)
٢ - ٣ - ٤ - ٥ بعد عطف بالواو
أو الفاء أو ثم أو أو على اسم خالص
أى غير مقصود به معنى الفعل .

وامثالها على الترتيب السابق

ألبس عبادة وتقر عينى

أحب إلى من لبس الشفوف

لولا توقع معتر فأرضيه

ما كنت أوتر أترابا على ترب

انى وقتلى سليكا ثم أعقله

كالثور يضرب لما عافت البقر

وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا

أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا

ومثله :

ولولا رجال من رزام أعزة

وآل سبيع أو أسوءك علقما

استعمال ان فى خبر افعال المقاربة :

أفعال هذا الباب أربعة أقسام :

(أ) ما يجب اقتران خبره بأن

وهو حرى واخلولق

مثل : فحرى أن يكون ذاك وكانا

أخلو لقت السماء أن تمطر

(ب) ما يغلب اقترانه بها وهو عسى

وأوشك

مثل : «عسى الله أن يأتى بالفتح» .

وقول الشاعر :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا

إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

وذلك أن عسى طمع ، وهو لا يكون

الا فيما يستقبل فناسب الخبر أن يدل

على الاستقبال فلزمته أن التى تخلص

المضارع للاستقبال .

وقد تشبه عسى بكاد فتسقط أن من

الخبر ويرفع الفعل كما هو مع كاد .

وبعض المستقبل أقرب إلى الحال من

بعض ، فاذا قال عيسى زيد أيقوم

فكأنه قرب حتى أشبه قرب كاد مثل :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه
يكون وراءه فـرج قـريب
وكانا أو شك في :

يوشك من فر من منيته

في بعض غراته يوافقها

(ج) وما يجب تجرد خبره من
أن وهو أفعال الشروع لأنها للأخذ في
الفعل فخبيرها في المعنى حال ، وأن
تخلص للاستقبال ، فوجودها ينافي
معنى الفعل مثل : أنشأت أعرب عدا
كان مكنونا .

أخذت أسأل والرسوم تجيبني .

(د) وما يغلب تجرده وهو كاد
وكرب

وجرد خبر كاد من أن لانهم أرادوا
قرب وقوعه في الحال وأن تصرف المعنى
إلى الاستقبال ، فلم يأتوا بها لتدافع
المعنيين

مثل (فذبحوها وما كادوا يفعلون)

(يكاد زيتها يضىء)

كرب القلب من جواه يذوب

حين قال الوشاة هند غضوب

وقد تشبه كاد بعسى فيقرن خبرها بأن مثل
قد كاد من طول البلى أن يصححها .
وفي الحديث كاد الفقر أن يكون كفرا
وقد كربت أعناقها أن تقطعا

قال ابن يعيش وإذا أدخلوا أن في
خبر كاد فكأنه بعد عن الحال حتى
أشبه عسى

حذف أن :

١ - حذف أن في غير مواضع ضميرها
وجوباً وجوازا - وقد سبقت - مع نصب
المضارع شاذ لا يقبل منه إلا ما نقله
العدول من مثل :

قراءة الحسن بنصب (أعيد) في
(قل اغيير الله تأمروني أعيد)

وفي قراءة بنصب (يدمغه) في (بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) .

وفي قراءة الأعرج بنصب (يسفك)
في (ويسفك الدماء) .

وفي قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلصى

وقول الشاعر :

وهم رجال يشفعوا لي فلم أجـد

شـفيعاً إليه غير جمود يعادله

خذ اللص قبل يأخذك

تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ،

ومن يحفرها .

ونهنهت نفسي بعد ماكدت أفعله .

ولايجوز القياس على النصب مع حذف أن ، واجاز ذلك الكوفيون ومن وافقهم ، وذهب أبو العباس إلى أنه إذا حذفت أن بقي عملها لأن الأضمار لايزيل العمل كما في رب وأكثر العوامل .

لأقال أبو حيان والصحيح قصره على السماع لأنه لم يرد منه إلا ما ذكرناه وهو نزر فلا ينبغي أن يجعل ذلك قانوناً كلياً يقاس عليه .

وحذف أن في غير مواضع اضمارها مع رفع الفعل بعدها ليس يشاذ وذلك مذهب أبي الحسن ، وهو ظاهر كلام ابن مالك في شرح التسهيل فانه جعل منه (ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعا) فيريكم صلة لأن الواو حذفت وبقي

يرريكم مرفوعاً وهذا هو القياس . لأن

الحرف عامل ضعيف فإذا حذف بطل عمله

وقد روى ذلك في مواضع النصب من الأمثلة السابقة .

وبناءً على ذلك وتأييداً له قال

ابن يعيش في شرح المفصل (١١٧/٧) .

إن الفعل في خبر عسى إذا تجرد من أن كان مرفوعاً وإنما يرفع الفعل بوقوعه موقع الاسم مثل :

عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر

منهمر جون الريباب سكبوب

واشباهه كثير .

٣- وذهب قوم إلى أن حذف أن مقصور على السماع مطلقاً فلا يرفع ولا ينصب بعد الحذف إلا ما سمع وإلى ذلك ذهب متأخرو المغاربة قيل وهو الصحيح .

حذف أن قبل المضارع في الاستعمال اللغوي

أولاً : بعد قبل ، وقبيل جاء في المثل (خذ اللص قبل يأخذك) .

وقال المتنبي يرثى أبا الهيجاء عبد الله
ابن سيف الدولة وقد مات طفلاً
سنة ٥٣٣٨ هـ

وقال أيضاً
فاسبق الشمس قبل تبديد بشمس
سرهما في غمامة الكأس جهر

أيفطبه. التوراب، قبل فطامه
ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل
وقبل يرى من جوده ما رأيت
ويسمع فيه ما سمعت من العذل
وقال أيضاً :

وقال أيضاً
فاشرب على مذهب أزهاره
من ذهب في فضة تجرى
قبل يريك الصبح بلوره
يلمع في فيروزج الفجر

فما جلست حتى كأنني كنت تبوسع الخطبا

وقال ابن حيوس الدمشقي (٤٧٣ هـ) :

كفاطمة عن درها قبل ترضع
وقال تميم بن المعز الفاطمي :
ويمنعني من الشكوى إلى الله علمه
بجملة ما ألقاه قبل أقول

لازلت تحكم في الأنام مخولا
ملكاً يزول الدهر قبل يزول
وقال ظافر الحداد الإسكندري (القرن
السادس)

وقال أيضاً

لا أدعى الفضل قبل يشهد لي
به أداني الدنيا وأقصاها
وقال الشريف العقيلي (من أشرف
الطلالين في مصر) القرن الرابع والخامس
الهجري)

من قبل - ل بي - أو تنهل عيناه
ومن أساليب الرسالة للإمام الشافعي
تحقيق الأستاذ أحمد شاكر .

قبل تكمل الصلاة

قبل يحل عليك

وجاء في شعر المحدثين إيليا أبي ماصي

تشتاق عيني قبل يغمضها الردى
لوز. أنها اكتحل ولو برمالها

إفكن لداعي التقى مجيباً
من قبل تدعى فلا تجيباناً

وحديث أبي ذر : أوصاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا أسأل الناس شيئاً^(٤)

وحديث معاذ : لو كنت امرأة بشراً
سجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها^(٥)

وحديث أنس : .. إنما بقي من حاجتي
يسير وأخاف أنساها^(٦) .

وحديث هشام بن عامر (لا يحل لمسلم
يحصار مسلماً فوق ثلاث ليال^(٧)) .

وحديث حرمة (قلت يا رسول الله
ما تأمرني بعمل^(٨)) .

وحديث جابر : لا ينبغي لأحد يدخل
الجنة ، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمه

ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل
النار ، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة^(٩) .

وحديث عمر بن الخطاب لسعد

وفي قول الشاعر المهجري (زكى قنصل) :

! ما كنت أعلم قبل يجمعنا الهوى

أن النعيم على مدى خطوات

ومثال قبيل قول المتنبي

يا حاي غيره - ا واحسبني

أوجد ميتا قبيل أفقدها

! ثانياً : في غير أساوب قبل :

من الحديث :

قوله عليه السلام لا يحل لامرأة تؤمن
بإلله واليوم الآخر تحد على ميت فوق
ثلاث^(١٠)

وقوله : لا يحل لامرأة تسأل طلاق
أختها^(١١)

وحديث عوف بن مالك : فلقدر رأيت
بعض أولئك النفس يستقط سوطه فمأيسأل
أحدًا يناوله إياه^(١٢) .

- (١) البخارى : باب أحد المرأة على غير ازوجها (الفتح ٣ : ١١٧) .
- (٢) البخارى : باب الشروط التي لا تحل في النكاح (الفتح ٩ : ١٩٠) .
- (٣) تهذيب الآثار الخبر ٣٩ .
- (٤) تهذيب الآثار الخبر ٤٩ .
- (٥) سند أحمد ٥ / ٢٨٨ .
- (٦) الأدب المفرد رقم ٢٧٨ .
- (٧) الأدب المفرد رقم ٤٠٧ .
- (٨) الأدب المفرد رقم ٢٢٢ .
- (٩) الأدب المفرد رقم ٩٧٠ .

ابن أبي وقاص : لقد شكاك أهل الكوفة
في كل شيء حتى زعموا أنك لا تحسن
تصلي ٣٣ .^(١)

وفي مسند أحمد . ليس يحسن يكتب^(٢)
من الشعر والنثر .

مع فعل الإدارة :

أريد أنخاطب الأمير^(٣) .

وقال ابن الرومي :

وهو عيب يكاد يستقط. فيه

كل حر يريد يظهر حاله

وقال ابن حيوس يمدح أكبر الجيوش

أراد يرينا الله جاهك عنده

ومن منك أولى بالمحبة والزلفى..

تريد... في كل وقت

وذلك عند أمثالي عزيز .

وقال محمود أبو الوفا :

أريد أضحك للدنيا فيمنعني

أن عاقبتني على بعض ابتساماتي

وبعد أفعال متعدية غير فعل الإرادة :
أحب تقطن عندي ، أتحسن تتوضأ ،
ما يحسن يتوضأ ، نكتب تتذمه^(٤)
، ما أحسن أصف^(٥)

، أحتاج أحفظ ، أخاف لايقبل مني^(٦)

لاشتهيت تصفع نفسك^(٧) .

وبعد أفعال لازمة :

فما قدرنا نقابله () تتجراتشهد عندي^(١)

ومره يحفرها () فكيف تلاومني أعجب
بنفسي^(١) .

فعمد على أبيه لا يعمل الصرف

موقع المصدر المجرور بحرف الجر
أو الإضافة .

لايد من تبعها^(٢) .

فتهاربت منه خوف يطوف عليه^(٣) .

... على شريطة تعطيني^(٤) .

(١) مسند الحميري ١ / ٣٨ .

(٢) سند أحمد ٤ / ٢٩٨ .

(٣) سيرة أحمد بن طولون تحقيق الأستاذ كرد على .

(٤) من أخبار القناه للقاضي وكيع .

(٥) للريخ بغداد .

(٦) أخبار سيويه المصري لابن زولاق (القرن الرابع) .

(٧) المغرب لابن عصفور .

وفي موقع المصدر المرفوع :

عليه يتعلم الصلاة .

ومن آياته يريكم البرق .

وقد تحذف أن والمضارع معاً كما في

قول المتنبي :

ولو أني استطعت خفضت طرفي

فلم أبصر به حتى أراكا

أي لو استطعت (أن أخفض) .

- وقوله تعالى :

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم .

أي لو شاء الله (أن أتلوه) .

ولو شاء ربك ما فعلوه .

ولو شاء ربك ألا يفعلوه ما فعلوه .

التخريج النحوي لتلك الأساليب :

نلاحظ في المواضع التي حذف فيها أن

أنها كلها في مقام يتطلب المصدر . إما فاعلاً

في مثل (لايحجل لامرأة تحدد على ميت ، أي

لايحجل لامرأة حدها على ميت) .

ومثله لايحجل لامرأة سؤال طلاق أختها

لايحجل لمسلم مصارحة أخيه ، لاينبغي لأحد دخول

وإما مفعولاً به :

بعد الفعل المتعدى ولاسيما فعل الإرادة .

أريد مخاطبة الأمير ، كل حر يريد إظهار

حاله .

أريد الضحك للدنيا ، ما أحسن وصف

... الخ .

لا تحسن الصلاة ، يحسن الكتابة

وأخاف نسيانها .

وإما منصوباً على نزع الخافض إذا كان

الفعل لازماً .

في مثل فما قدرنا على أن نقابله ،

تتجرأ على أن تشهد ، تلومني على أن

أعجب ومره بان يحفرها ، أوصاني بعدم

السؤال .

وإما مجروراً بحرف الجر :

في لا بد من (أن تبعها)

أو بالإضافة بعد قبل ، قبيل (قبل

يرى) قبل رؤيته ... الخ

ويظهر ذلك استعمالها القرآني فقد

وردت مضافة للمصدر موقلاً وصريحاً

الرسالة الشافعي : تحقيق أحمد شاكر .

ثلاثين مرة من جملة استعمالها مضافة
(٣٩) مرة
وجود أن (أخرى كما في تسمع بالمعدي
خبير من أن تراه :

وإما مرفوعاً على أنه مبتدأ في
عليه تعلم الصلاة (أي تعلم الصلاة)
ومن آياته يريكم البرق (أي إراءتكم
البرق من آياته)
أو خبر، في « تسمع بالمعدي » خير من
أن تراه
إلا أي هذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلصي
أو أن يقتضى المقام المصدر الذى يعرب
فاعلاً أو مفعولاً به أو منصوباً بنزع الخافض
أو مجروراً بمن أو الإضافة أو مرفوعاً
مبتدأً أو خبراً

وخلاصة القول أن الاستعمال اللغوى
جوز حذف أن في نصوص كثيرة
وبخاصة إذا قامت أدلة على حذفها من
- وحق هذا الفعل أن يكون مرفوعاً بعد
حذف أن
- يسوغ في الاستعمال

بعض المراجع

ابن عقيل وحاشية الخضرى

حاشية الصبان على الأشمونى

التصريح

همع الهوامع

المفصل لابن يعيش

مذكرة للأستاذ شوقى أمين عضو المجمع

مذكرة للأستاذ محمود شاكر عضو المجمع

ديوان المتنبي من بحوث مؤتمر الدورة ٤٥

عبد العليم السيد فودة
خبير لجنة الأصول بالمجمع

" أقائم أخواك " وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضى

بالاعتماد على مفهومي الموضع والمثال

(أعظم فارق يفترق فيه النحو العربي الأصيل عن اللسانيات الغربية الحديثة)

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

فالكثير من النحو أو الأنحاء العربية - أى الضروب من الكلام (1) - التى سمعت من أفواه فصحاء العرب ودوتها اللغويون يعتمد النحويون فى تفسيرها على مفهوم الموضع فما هو الموضع عندهم وهل مجرد موقع الوحدة اللغوية فى مدرج الكلام أو هو شىء أكثر من ذلك تجريدا وهل يوجد الآن فى علوم اللسان الحديثة (أو اللسانيات) شىء يماثل هذا المفهوم العربى الهام أو يقاربه ؟ ثم إن كان فى هذه العلوم الحديثة تصور قريب من هذا ففى ماذا يلتقيان وفى ماذا يختلفان ؟ وسنحاول فى الوقت نفسه أن تبين الأهمية العظيمة التى يكتسبها مفهوم الموضع فى تفسير بنية اللغة ونمثل لذلك ، إن شاء الله ، باعتمادنا على العبارة المشهورة : " أقائم أخواك " التى شغلت عقول النحاة مدة طويلة .

يكثُر فى كلام النحاة الأولين مجيء مثل هذه العبارات : " هذا موضع لا يدخله ... " . (الكتاب . 226/1) وموضعه موضع اسم منون " (276) " وفى موضع ابتداء " (354) " . ولا يكاد فصل من فصول كتاب سيبويه يخلو من لفظة موضع أو ما يشتق منها وما يرادفها (بل لا تكاد صفحة من هذا الكتاب تخلو من هذا المفهوم ولو ضمينا) . وكذلك هو الأمر بالنسبة لمفهوم المثال وما يقوم مقام المصطلح مثل الحدّ أو الباب ويعتقد الكثير من المحدثين أن هذه الألفاظ إنما معناها القاعدة النحوية ليس إلا . فهذه المصطلحات وإن كانت تحتل هذا المعنى إذا نظرنا إليها بمنظار معلم العربية إلا أنها تشمل على معان علمية دقيقة تتجاوز هذا التأويل المدرسى إلى أبعد حد كما سنراه .

*ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة عشرة يوم الأربعاء ٨ من ذى القعدة سنة ١٤١٦ هـ الموافق ٢٧ من مارس (آذار) سنة

١٩٩٦ م .

(١) ومن ثم جاء لقب " النحويون " الذى يكثر مجيؤه فى كتاب سيبويه وهو نسبة هؤلاء إلى ما كانوا يتدارسونه من " الحلاء " الكلام والجدير بالملاحظة أنه لا يوجد فى كتاب سيبويه لفظة " نحو " بمعنى علم النحو . ظهرت لأول مرة عند تلميذه الأحنف فى " معان القرآن " : " أهل النحو " (375/1 ، مرة واحدة) وعند معاصره الفراء فى معان القرآن : " قياس النحو " (161/1 ، مرة واحدة أيضا) . فاختصر الأحنف عبارة " النحويين " ثم جاء الفراء وأضاف إليها كلمة القياس فصارت كلمة النحو تسدل على العلم نفسه (وسبق كلمة النحويين) فى الزمان وعدم استقلال كلمة " نحو " قبل الأحنف يرجع ما قلناه .

1) استعمال النحويين الأولين لهذا المصطلح ومحاولة اكتشاف أغراضهم منه
الموضع كمقياس لمعرفة جنس العنصر اللغوي وحكمه .

(1) الموضع في مستوى التركيب

عرفنا بما سبق أن للوحدات اللغوية مواضع خاصة في تركيب الكلام فإذا وضعت في غير موضعها فإما أن يقبح ذلك في غير الشعر وإما أن يكون لحناً لم تتكلم به العرب . والموضع تعرف به أجناس هذه الوحدات فكل وحدة تستطيع أن تدخل في موضع الأسماء أو موضع الأفعال أو موضع حروف المعاني فمعنى ذلك أنها تتدرج تحت أحد هذه الأجناس ويكون مجراها وحكمها (= مسلكها وأحوالها) مثل مجراها وحكمها . هذا، كما يقولون، حدّ الكلام وأصله . وقد يكون للعنصر الواحد أكثر من موضع فيتحوّل حكمه ومجراه بحسب الموضع فيجرى بجرى الباب الذى ينتمى إلى ذلك الموضع .

يقول المبرد : " أما (مَنْ) فتكون فاعلة ومفعولة وغير ذلك ... وموقعها في الكلام في ثلاثة مواضع : تكون خيراً معرفة إذا وصلت ونكرة إذا انكرت وتكون استفهاماً وجزاء " (172/3) ، وقد يقع الاسم موضع الحرف فيبنى ولا سيما إذا لزم هذا الموضع وهذا هو سرّ بناء كل الأسماء التى تقع في موضع الحرف ويقتضى

جاء في كتاب سيويه : " ويبين لك أنها ليست بأسماء إنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك . ألا ترى أنك لو قلت : إن يضرب يأتينا لم يكن كلاماً " (1/3) .

ويقول المبرد في هذا المعنى : " فمن ذلك الأسماء كم وأين وكيف وما ومتى وهذا وهؤلاء وجميع المبهمة ومنها الذى والى ومنها حيث . واعلم أن الدليل على أن مل ذكر أسماء وقوعها في مواضع الأسماء وتأديتها ما تؤديه سائر الأسماء " (المقتضب (3/172) .

وجاء في الكتاب : " ولو كان صفة لم يجز أن يدخل عليها اللام لأنك لا تدخلها في ذا الموضع على الصفة " (375/1) . وأيضاً : " وليس (المفعول له) في موضع ابتداء ولا موضعاً بينى على مبتدأ (186/1)

و " لكنه موضع لا تدخله الألف واللام " (224/1) .

ويقول سيويه أيضاً : " وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه نحو . قولك قد زيدا رأيت وكى زيدا يأتيك " (8/1) .

ذلك أنها تضمن معناه — دون أن يخرجها من كونها أسماء لأنها — وهذا شيء امتياز العرب باكتشافه — قد يقع الشيء في موضعين أو أكثر في نفس العبارة ومعنى ذلك أنه يستطيع أن يغطي أكثر من موضع في عبارة واحدة وذلك مثل "مَنْ" (التي هي الأصل في الاستفهام (1) وما الاستفهامتين والظروف التي تستعمل في الاستفهام فإنها تقع في موضع الحرف تكون بمثلة الهمزة (كما رأينا) فتقدم وجوبا وتكون في نفس التركيب في موضع خبر في مثل "أين زيد" فلا يكون هذا الخبر إلا مقدما ، وليس من الضروري أن يكون مجرى الشيء مما تلا تماما لمجرى الباب المنقول إليه وموضعه ، وقد ألح النحويون على ذلك كثيرا : " وقد يقع الشيء موقع الشيء وليس إعرابه كإعرابه وذلك قولك مررت برجل يقول "ذاك" فيقول في موضع قائل وليس إعرابه كإعرابه " الكتاب (280/1) و : "زيد في قولك : يا زيد بن عمرو موضع نصب كما أن أم في موضع جرّ في قولك : يا ابن أم ولكنه لفظ كما ذكرت وهو على الأصل " (314/1).

فالموضع على هذا الأساس شيء ومحتواه أى ما يدخل فيه ، شيء آخر ، ونستنتج من هذا أمرا مهما جدا (قد فات الكثير من اللسانيين الغربيين وأتباعهم من العرب) وهو أن موقع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام غير موضعها ، فالاهتمام بما ظهر في اللفظ وموقعه أى الموقع الذى تقع فيه في كلام محصل (=actualised) في مكان محسوس من كلام ملفوظ بالفعل هو جوهر المذهب الذى اختص به المنتمون إلى المدرسة الاستغرافية أو القرائنية الأمريكية فالـ Distribution (2) عندهم هو استغراق القرائن التى يمكن أن تكتنف بها الوحدة أى جميع مواقعها الممكنة في الكلام أو كما يقول عنها الرماني : قسمة مواقعها (فقد جاء في شرحه : " ما قسمة المواقع إن المكسورة وأن. " المفتوحة " (شرحه 165/5) .

والدليل على عدم تطابق الموقع المحصّل المحسوس للوحدة والموضع عند النحاة العرب هو تمييزهم بين حالة الوحدة التى هى عليه في اللفظ وما ينبغى أن تكون عليه بحسب ما يقتضيه القياس أو الهباب وقد يتطابق اللفظ والموضع وقد يفترقان

(1) والأصل هو الملازم لمجرى واحد مستمر لا يفارقه ولا يحتاج الى علامة تدل عليه مثل الفروع .

(2) لا أدري لماذا يختار بعض الناس معنى التوزيع في ترجمة هذه الكلمة فهذا المعنى غير مقصود أبدا وأقرب كلمة عربية إلى

مقصودهم هى القسمة كما سنراه عند ذكرنا لقول الرماني ويسمى موقع الوحدة عند القرائنيين Slot.

فإذا جاء اللفظ مخالفا للموضع بحث النحاة عن العلة أى عن العارض الذى أخرجه عن أصله ووجهه .

وإذا جاء الموضع وخالف ظاهره قيل إنه ردّ إلى أصله . ويبين ذلك قول سيبويه فى (قبل وبعد) مضمومتين: " قد يكونان فى موضع نصب وجر ولفظهما مرفوع فإذا أضفتها رددتهما إلى الأصل " (311/1) وقال أيضا: " عملت (لا) فيما بعدها وإن كان موضع ابتداء كما عملت (مِنْ) فى الغلام وإن كان موضع ابتداء (فى : هل مِنْ غلام ؟) (354) وقال الخليل فى نحو " لا أم لى . . . ولا أب " كما أن الشاعر ممن قال فلسنا بالجبال ولا الحديد " أجراه على الموضع (1) (352/1) . فالحمل على الموضع كثير فى كلام العرب . ولا ينبغى أن نذهب بعيدا فالموضع لا يمكن أن يكون الموقع الظاهر فى اللفظ ، وباللفظ أى بظهور لفظة محسوسة فى مكان معين من الكلام كما هو الشأن عند القرائيين الأمريكين (Slot) لسبب بسيط وهو أولا اعتبار النحاة الموضع الذى تظهر فيه الوحدة فى مستوى التراكيب واحدا سواء قدمت أم أخرت وذلك مثل " ضربت زيد أو زيدا ضربت " فهذا يدل على أن الموضع المقصود عندهم غير الموقع اللفظى . وثانيا إطلاقهم كلمة

الموضع على الخالى من كل وحدة وبعبارة أوضح على الموقع الذى كان يمكن أن تظهر فيه وحدة تنتمى إلى الباب من الوحدات التى تدخل عادة فى هذا الموضع . فبالنسبة الى جملة مثل " كتاب " كجواب للسؤال : ما هذا ؟ أو ما بيدك ؟ ففيها ثلاثة مواضع وهى : موضع الابتداء ، وموضع المبتدأ ، وموضع الخبر ، ولم يظهر فى اللفظ إلا عنصر واحد فى موضع الخبر وكان يمكن أن تأتى كلمة " هذا " فى موضع المبتدأ بل وحرف التوكيد " إن " مع " هذا " إن رأى المتكلم أن التوكيد ههنا ضرورى (بحسب مقتضى الحال) .

فبهذا يتضح أن الموضع هو موقع تقديرى واعتبارى أى مجرد تقتضيه بنية الجملة فى مستوى التراكيب وقد يكون خاليا فلا يظهر له أثر فى اللفظ المسموع فهو وضع معين يجب أن يكون عليه كل واحد من مكونات الجملة لفظا أو تقديرا فقد تخلو الجملة من بعض أجزائها إلا أن مواضعها موجودة متصورة مرسومة فى مثال الجملة أى نمطها وقياسها . وما يقال عن الموضع ههنا يمكن أن يقال عن الموضع فى مستويات أدنى منها .

ب (الموضع فى مستوى ما نسميه فى النظرية الخليلية الحديثة باللفظة:

(1) لا على الحرف الذى عمل فى الاسم " كما قال سيبويه قبل ذلك .

مفرد أو اسم واحد (45-44.229-228/1) وكل هذه الدواخل يقول عنها النحاة إنها من تمام الاسم (الكتاب 323.306.128.45-44/1) وشرح الرماني (133/2.91/3) .
 "فكتاب" هو بمتزلة "الكتاب" لأنه يأتي في موضعه في مستوى الجملة وبتزلة "كتاب زيد" و "الكتاب الذي قرأته أمس" وبتزلة "بالكتاب" في موضع المعمول الثاني فكل هذه الزوائد موضع في بنية الاسم . فإذا قلنا "بكتاب" فهناك موضع تقديرى بين الباء وكتاب وهو موضع الألف واللام . وهما هي ذى المواضع الستة :

حرف الجر	أداة التعريف	النواة الاسمية	علامة الإعراب	التنوين (I) أو المضاف إليه	الصفة
→ 2	→ 1	↔ 0	← 1	← 2	← 3

فكل هذه المواضع تكون مثال الاسم وحتى لا يقع التباس بين الاسم ككلمة مفردة (أى مجردة مما يدخل عليها) وبين الاسم مع الزوائد الداخلة عليه أطلقنا على هذا الأخير مصطلحا استعمله الرضى وابن يعيش وهو اللفظة (الاسمية أو الفعلية) (انظر مقالاتنا عن اللسانيات الخليلية الحديثة) .

إن الاسم أو الفعل عند النحاة الأولين لا ينحصران في مثل : كتاب ورجل وفهرس وضرب وجلس وأمثلهما أى لا يكون مثل كتاب هو الوضع الوحيد لما يسميه النحاة اسما وكذلك ضرب أو ضربت أو ضربوا لا تكون أفعالا هي وحدها . وذلك لأن في مثل " كتاب " يمكن أن تدخل عليه أشياء خاصة بالاسم يمتاز بها وحده فتدخل عليه وتخرج كما يقول الخليل (ولا تدخل على غير الاسم) فهي منه إذن (كثيرا ما يقول سيبويه : " هو من اسمه " (45-44/1 أو داخل في الاسم : 28,89,84/) مشيرا إلى هذه الأشياء الداخلة عليه وقد ينفى ذلك بالنسبة إلى أشياء لا تدخل عليه فيقول " ليست من اسمه " أو منفصل عنه " (208.202). وعلى هذا فعبارة " كتاب " تقتضى كاسم كامل الاسمية عددا من المواضع يكون كل واحد منها موضعا خاصا لإحدى الزوائد التى تدخل على الاسم ففى الاسم فى تصور الخليل وسيبويه أى كبنية ومثال ستة مواضع يمكن أن تخلو كلها مما تدخل فيها إلا الموضع المركزى وهو " الاسم المفرد " كما يقول سيبويه، وكل عبارة تتكون من هذه النواة مع زيادة خاصة فهي بمتزلة اسم

(1) وليست كل الأسماء تحتل كل هذه الزوائد فهناك المنوع من الصرف لا يحتل التنوين والكسر — إلا فى حالات معينة — وهناك العلم المعروف بنفسه لا تدخل عليه ال وهناك المبني لا يدخل عليه الإعراب وغير ذلك .

ج) الموضع في مستوى الكلم :

إن الكلمة (1) هي كل ما يمكن أن يدخل في إحدى المواضع الخاصة باللفظة أو المواضع الخاصة بالوحدات التركيبية (الجملة المفيدة) (2) . فالكلمة التي يمكن أن تحلل إلى مكونات أصلية وزوائد هي الاسم المفرد المعرب والفعل المتصرف . ومن المعروف أن الكلمة المفردة المتصرفة تنحل إلى مادة أصلية ومثال أو وزن . فلكل واحد من هذين المكونين موضع . فالأصل التقديرى يتكون من ثلاثة أو أربعة أحرف مرتبة ترتيباً مثل الكاف والتاء والباء في كتب وكتاب وكتاب ومكتب فلكل حرف موضع هو رتبته . وأما مثال الكلمة وهو كما حدده الرضى (بدقة عجيبة جداً) : " عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه " (شرح الشافية 2/1) : ففيه مواضع الفاء والعين واللام (فى الثلاثى) وهى متغيرات ومواضع الزوائد وهى الثوابت بالنسبة للوزن . وههنا أيضاً يعتبر الموضع اعتبارياً وذلك لأن موضع الفاء أو العين أو اللام مثلاً قد يكون خالياً وذلك مثل " ف أمر من " وفى " فموضع الفاء

(1) قد تكون الكلمة مورفياً أى وحدة دالة وقد تكون أكثر من مورفيم

(2) الفرق بين الأولى والثانية أن مواضع الجملة المفيدة وهى موضع العامل وموضع المفعول الأول وموضع المفعول الثانى ومواضع المخصصات الزائدة قد يدخل فيها - خلافاً لمواضع اللفظة - الاسم المفرد / أو بزوائده أو الفعل مع فاعله وحده أو بزوائده (اللفظة الاسمية والفعلية) وحتى التراكيب (جمل تقع في موضع المفرد) انظر كتابنا : علم العربية وعلم اللسان العام .

وموضع اللام خاليان والفرق بين هذا المستوى وما فوقه من المستويات هو أن الخلو هنا هو قسرى واضطرارى وهو لعارض صوتى . أما فى مستوى اللفظة وما فوقها فهو من محض اختيار المتكلم (بحسب غرضه ومقتضى الحال) . ثم هناك فرق آخر بين مستوى التراكيب وما تحته وهو أن العناصر الداخلة فى اللفظة والداخلة فى الكلمة لا يمكن أن يحصل فيها تقدم وتأخير أما المستوى الأعلى فيمكن ذلك فى بعض الأوضاع لكن بشروط معينة .

إن الموضع فى كل هذه المستويات هو كما قلنا عبارة عن موقع اعتبارى تدخل فيه مجموعة من العناصر تختص به فى الأصل . ونضيف شيئاً مهماً هنا يخص كيفية اكتشاف المواضع أو استنباط البنى والمثل عند النحاة الأولين وهو كالتالى : (لا ننسى أن الخليل كان من أبرز الرياضيين) : يتولد الموضع (بهذا المعنى) عن عمليتين اثنتين :

1) بجمل عبارة على عبارات أخرى
من جنسها لبيان تكافئها (على المحور التركيبى) إن كان هناك تكافؤ .

(2) بمقارنة ترتيب عناصر كل عبارة لاكتشاف الترتيب المشترك بينها (على المحور التصريفي الاستبدالي (1)). والترتيب بين هاتين العمليتين - وهو القياس التمثيلي العربي - ينتج منه المثال أو البنية الجردة التي تجمع بين هذه العبارات من حيث بنيتها ليس إلا. وهذا هو " الجامع " الذي به يتعادل الحكم .

(د) الموضع في مستوى الخطاب (وله علاقة بحكم الكلام من استفهام وخبر وأمر ونهى وشرط وغير ذلك):

يستعمل النحاة العرب الموضع في هذا المستوى كلما أضافوه إلى الكلام بحرف "من" : " وموضعها من الكلام (كلهم أن يعمّ بعضها ويؤكد ببعضها بعد ما يذكر الاسم (الكتاب 274/1) أى موضعها بالنسبة إلى معاني الخطاب . و " واعلم أن لكم موضعين : أحدهما الاستفهام ... والموضع الآخر (2) 291/1 . ويقول المراد : " وإنما تنظر في هذه المصادر إلى معانيها فإن كان الموضع بعدها أمرا أو دعاء لم يكن إلا نصبا " (المقتضب 221/3) . ويقول الرماني : " لأن التحذير مما يخاف منه وقوع المخوف فهو موضع إعجال لا يحتمل تطويل الكلام (الأشباه ، 298/1) .

ومما سبق نستنتج أن المثال عند النحاة العرب هو مجموعة من المواضع

(1) كما يقول اللسانيون المحدثون .

الاعتبارية مرتبة ترتيبا معيناً تدخل في بعضها ، وقد تخلو منها العناصر الأصلية وفي بعضها الآخر الزائدة . ولا ينحصر المثال في مستوى الكلم (الأوزان) بل يوجد في كل مستويات اللغة بما فيها التراكيب وما فوقها .

فمثال التركيب في مستوى الجملة المفيدة يتكون من موضع الفعل والابتداء والنواسخ وهو موضع العامل ومن موضع الفاعل وهو موضع المعمول الأول (المبتدأ والفاعل وما يقوم مقامها) وموضع المعمول الثاني (الخبر والمفعول به وما يقوم مقامهما) وهى النواة وتدخّل على هذه النواة مواضع للعناصر المخصصة (الحال والتمييز والمفاعيل الأخرى) .

ومثال اللفظة قد مضى تمثيله . وهناك مثال واحد للاسم وثلاثة مثل للفعل أما مثل الكلم أو أوزانها وأبنيتها (الاسم المفرد والفعل المفرد) فقال النحاة بأنها تبلغ ألفا وثلاثمائة مثالا . وقد أحصى منها سيبويه ثلاثمائة تقريبا وهى أشهرها .

(2) " أقائم أخواك " كمثال لا يمكن أن تفسر بنيته إلا بالاعتماد على مفهوم الموضع .

1- ما قاله الخليل وسيبويه

جاء في الكتاب : " وزعم الخليل رحمه الله أنه يستقبح أن يقول : " قائم زيد " وذلك

(2) الخبر هنا يقابل الإنشاء لا المبتدأ (والإنشاء كلمة أحدثت كمصطلح بعد سيبويه ويقابل الخبر بهذا المعنى عند سيبويه كل ما ليس

بواجب ، كما يقول إلا النفى .

إذا لم تجعل قائما مقدما مبنيا على المبتدأ ... فإذا لم يريدوا هذا المعنى وأرادوا أن يجعلوه فعلا كقوله : يقول زيد وقام زيد قبح لأنه اسم . وإنما حسن عندهم أن يجرى مجرى الفعل إذا كان صفة جرى على موصوف أو جرى على اسم قد عمل فيه كما أنه لا يكون مفعولا في "ضارب" حتى يكون محمولا على غيره فيقول : " هذا ضارب زيدا " ... ولا يكون " ضارب زيدا " على " ضربت زيدا " فكما لم يجز هذا كذلك استقبحوا أن يجرى مجرى الفعل المبتدأ " (278/1).

ذكر سيبويه هنا المواضع التي يحسن بحىء الصفة العاملة عمل الفعل فيها إلا موضعا واحدا وهو أهمها : أى موضع الفعل وذلك عند كلامه عن مواضع الاسم التي يمكن أن يقع فيها الفعل وخاصة المضارع ليعين علة رفعه . فقال " اعلم أنها إذا كلنت في موضع اسم مبتدأ ... فأما ما كان في موضع مبتدأ فقولك : يقول زيد ذاك ... ومن ذلك أيضا : هلا يقول زيد ذاك " فيقول في موضع ابتداء " (409-410).

في هذا الكلام شيء من الغموض وذلك بسبب استعمال سيبويه لعبارة " موضع مبتدأ " . فنتج عن ذلك أن التبس الأمر

على كل من جاء بعده فاعتقدوا أن سيبويه أراد بهذا الموضع الاسم الذي يعمل فيه الابتداء .

2- ما قاله الأخفش وابن السراج :

يقول ابن السراج : " وحسن عندهم : " أقائم أبوك " " وأخارج أخوك " تشبيها بهذا إذا اعتمد قائم على شيء قبله ... فإذا قلت : (أقائم أبوك) فقائم مرتفع بالابتداء و(أبوك) رفع بفعلها وهما قد سدّ مسدّ الخير " (الأصول 32/1-33). وتبعه أصحابه في ذلك بالحرف مثل أبي على الفارسي (الإيضاح 34/1-35) والرماني (شرح الكتاب ، 136/2) وكذلك كل من جاء بعده . فمن أين لهم هذا التفسير ؟ والإجابة عن هذا السؤال توجد في كتب الأصول لابن السراج فقد ذكر أقوال الأخفش تلميذ سيبويه في هذا النحو بالذات . قال : قال الأخفش : أقول : " إن في الدار جالسا أخواك " فأنصب جالسا يان وأرفع الأخوين بفعلهما وأستغني بهما عن خبر إن كما أقول : أذهب أخواك فأرفع أذهب بالابتداء وأخواك بفعلهما وأستغني بهما عن خبر بالابتداء لأن خبر الابتداء جىء به ل يتم الكلام ... وتقول : إن فيها قائما أخواك

وإن شئت قائمين أخويك فتنصب أخويك
بان وقائمين على الحال وفيها خبر إن وهو
خبر مقدم " انتهى كلام الأخفش ويواصل
ابن السراج: وأجاز الفراء: إن قائما الزيدان
وإن قائما الزيدون على معنى: إن من قام
الزيدان .. (الأصول 286-287).

يظهر من هذا جليا أن الأخفش
فهم من عبارة سيويه " في موضع اسم
مبتدأ أو موضع مبتدأ " أن اسم الفاعل
العامل عمل فعله هو مبتدأ وأن الابتداء
وبالتالي ، هو الذى رفعه، وكونه مرفوعا
يقتضى أن يكون له رافع مع علمه -
وهو واضح - أن لهذه الصفة فاعل فلجأ
إلى وجود هذا الفاعل ليفسر عدم وجود
خبر بهذا المبتدأ مع أنه كلام تام .

3 - ما قاله الرضى:

وأول من انتبه، فى علمنا ، إلى ضعف هذا
التأويل هو الرضى الاسترابادى . وقد ميز
قبله ابن الحاجب صاحب النص الذى
شرحه ، بين المبتدأ الذى يلزمه خبر
وهذا الذى يسميه مبتدأ أيضا لكن
من نوع آخر وهو شىء يحتاج إلى
توضيح . وامتاز الرضى هو وحده بأن
قال: " وهذا ليس بشىء بل لم يكن لهذا
المبتدأ أصل من خبر حتى يحذف ويسد "

غيره مسده ولو تكلفت تقدير خبر لم
يتأت إذ هو فى المعنى كالفعل والفعل لا
خبر له . فمن ثم تم بفاعله كلاما ... ولهذا
أيضا لا يصغر ولا يوصف ولا يعرف ولا
يثنى ولا يجمع إلا على لغة أكلون
البراغيث " (شرح الكافية 86/1) وقال
أيضا : " فهذه كلها مبتدآت لا أخبار لها
لما فيها من معنى الفعل ولا يدخل نواسخ
المبتدأ عليها لما فيها من معنى النفى
فيلزم الصدر ... ويجوز عند الأخفش
والفراء : " إن قائما الزيدان وسوغ
الكوفيون هذا الاستعمال فى ظن أيضا
نحو : ظننت قائما الزيدان وكلاهما بعيد
عن القياس (1) لأن الصفة لا تصير فاعلها
جملة كالفعل إلا مع دخول معنى يناسب
الفعل عليها كمعنى النفى والاستفهام أو
دخول ما لا بد من تقديرها فعلا بعده
كلام الموصلة . وأما إن وظن فليسا
من ذينك فى شىء بل هما يطلبان الاسمية
فلا يصح تقديرها فعلا بعدهما (المرجع
نفسه ، 87) .

كلام رجل عبقرى ! وعهدنا به
يهجم بذهنه مثل الخليل على أدق المعانى
العلمية وأعمقها . أما فيما يخص كلام
سيويه فلم يدرك الأخفش ومن تبعه فى
ذلك أن عبارة الكتاب : " فى موضع اسم
مبتدأ " هى مساوية لـ " فى موضع الفعل

(1) ولم يأت زيادة على ذلك أى سماع يويده .

المبتدأ " الكتاب (278/1). فالفعل المبتدأ
عنده هو الفعل الذى وقع فى موضعه
الأصلى (إذ قد يقع فى موضع الاسم)
أى موضع العامل فى الاسم غير الجار وهو
الفعل والنواسخ والابتداء والدليل على
ذلك أن سيبويه قال بالنص الصريح: إن
اسم الفاعل هنا فى موضع ابتداء ثم إنه
يسمى كل ما يغطى هذا الموضع مبتدأ
وذلك مثل الفعل كما قلنا (كتاب
458,410,278/1). وقال عن " أن " إنها لا
تكون إلا مبتدأة (461/1). فالاسم المبتدأ
ليس عنده ههنا الاسم الذى عمل فيه
الابتداء كما فهمه الأنخفش بل الاسم
الذى يقع فى موضع الابتداء نفسه الذى
هو موضع العامل فى الاسم لأنه يعمل
عمل الفعل تماما ويتم به الكلام ويقوم

مقامه فى موضعه وليس فى موضع الاسم
الذى يعمل فيه الابتداء والدليل على ذلك
ينحصر فى هاتين الحقيقتين :
1- لا يتصرف اسم الفاعل (هنا فقط)
تصرف الاسم (التعريف والتمييز والتثنية
والجمع والوصف)
2- لا يمكن أن يحذف فى هذه الحالة
الفاعل وغيره مما يعمل فيه ويجوز هذا أو
ذاك فى الصفة العاملة عمل الفعل فى غير
هذا الموضع : يقال : هنّ حواج بيت الله
" بالنصب (الكتاب 57/1). والصفة
العاملة هنا فى موضع خبر (معمول 2)
كما يجوز حذف معمول الصفة فاعلا أو
مفعولا فى غير موضع العامل يجوز: مررت
برجل ضارب أخوه عمرا وبرجل ضلوب
وهذا متعذر إذا جاءت الصفة العاملة فى
موضع العامل فلا يحذف الفاعل لأنه به
يتم الكلام . ويمكن أن يرسم هذا هكذا :
أنظر الجدول فى الصفحة التالية

مثال (أو حدّ إجرائي) لهذه الأنحاء

ص	ع	م(1)	م(2)
موضع ماله الصدارة	موضع العامل (الابتداء أو النواسخ أو الفعل)	موضع المعمول الأول أول ما يشغل العامل الفاعل والمبتدأ واسم النواسخ	موضع المعمول الثاني (المفعول به أو الخبر)
φ (1)	يقوم	أخوالك	المعمول 2 هنا قد يكون معه وما (وجوبا أو جوازا)
أ	قائم	أخوالك	مقامها
ما	قائم	أخوالك	
أ أو ما	ضارب	أخوالك	
φ (2)	φ (الابتداء)	أخوالك	زيداً
إن	(3)	أخويك	قائمان
φ (2)	كان	أخواك	قائمان
φ (2)	ظننتُ	أخويك	قائمين
			قائمين

جملة فعلية
ومنها يقوم
مقامها

وبالقلب :
قائمان أخواك
المعمول هنا
ضروري

القياس العربي (4)
(اسنباط البنية
الجامعة من
عدة أنحاء)

- (1) هذه علامة الخلل فالفعل جاء في موضعه الأصلي (الفعل المبتدأ) فلا يحتاج إلى نفي أو استفهام بخلاف اسمي الفاعل والمفعول .
(2) هذا الموضع يمكن أن يظهر فيه كل ماله الصدارة (نفي ، استفهام وعدم دخول أي شيء - φ)
(3) إن وحدها تُفطى موضع الصدارة وموضع العامل في الاسم في الوقت نفسه .
(4) قارن بقول ابن السراج : " قياس ظننت وإن وكان والابتداء واحد (الأصول (78/2) .

وبهذا الرسم تتضح أهمية الموضوع
(في داخل المثال) العظيمة كما تتضح
أهمية العملية الاستنباطية التي هي القياس
التمثيلي (حمل شيء على شيء لجامع
بينهما) ويستحيل في هذا القياس الممثل
بهذا الرسم أن تدخل إن أو ظننت على
أقائم وسيبويه (مع شيخه الجليل والرضي)
هم الذين تنبهوا إلى ذلك .

أما إعراب هذه الصفة فهذا راجع
إلى أصلها وهي الاسمية وكونها في موضع
الفعل لا يمنعها من هاتين الميزتين الاسميتين:
دخول التنوين والإعراب . ويمكن أن
تكون مجرورة (مثل : غير قائم أخواك)
أو مرفوعة . أما الرفع فهو لتجردها
وجوبا من العامل اللفظي رافعا أو ناصبا
إذ هي في موضعها وفي نفس الوقت
لتجردها من الجار (الذي قد يدخل عليها
والجار من حدّ الاسم أي داخل فيه) .

وهذا يفسر أيضا أن سيبويه يجعل
عامل الرفع في الفعل المضارع وقوعه في
موضع الاسم وهذا الاسم هو هذه الصفة
لا أي اسم فلا يمكن أن يقال إن تجرّده من
الناصب والجازم كما ذهب إلى ذلك
الكوفيون ثم ابن مالك هو عامل الرفع فيه
لأن ما يعمل — كما قال سيبويه — في
الاسم — وهو هنا التجرد — لا يعمل في
الفعل (الكتاب 409/1) وهذا تفسير خليلي

لم يتفطن له ابن مالك كعادته .
إن هذه الطريقة في تحليل الكلام
واكتشاف البنية الجامعة للعدد الكبير من
الأنحاء قد بناها النحاة الأولون ، كما
رأينا ، على عدد من المفاهيم والتصورات
وعدد من الأساليب في علاج الكلام .
فأما مفهوم الموضوع ، كما وصفناه ،
وكذلك المثال (والوزن بالنسبة للكلمة)
فلا يوجد مثلها في اللسانيات الغربية
إطلاقا . والسبب في ذلك أن النحاة
لا يقتضى التحليل عندهم فقط على ظهر
الكلام أي على اللفظ المسموع وحده
كما هو الشأن عند اللسانيين المنتمين إلى
مذهب البنية . فالنحاة العرب ينطلقون
هم أيضا من اللفظ في ظاهره ولكن لا
يتناولون الكلام جملة جملة والقطعة بعد
القطعة فيقابلوا بينها لاظهار الفوارق بينها
من حيث صفاتها الذاتية بل يحملون هذا
النحو على ذلك أي يجعلون الأنحاء الكثيرة
من تلك التي تنتمي إلى باب واحد (إلى
مجموعة بالمعنى الرياضي) بعضها بسازاء
بعض حتى يظهر الترتيب والنظم (لا
الصفات الذاتية فقط) والمثال الذي
يجمعها ويجعل منها بابا ويؤديهم هذا
العمل القياسي الاستنباطي إلى استخراج
مواضع أو أوضاع في داخل المثال وهي
العناصر المجردة التي يتكوّن منها المثال أو

الاستثناء النحوي ودوره في التركيب

للدكتور مصطفى النحاس

الملخص

يتعرض البحث لموضوع الاستثناء في النحو ، وتأثيره في التركيب ، سواء من ناحية الاعراب ، أو من ناحية بناء التركيب نفسه ، وما يتبع ذلك من حذف أو تقدير أو توليد جمل جديدة ، أو نقتين للفوائد في بعض الجمل .

ويبين البحث أن من الاستثناء ما هو ظاهر ، تنبىء عنه الحركة الأعرابية وحرف العطف الذي يتحول الى معنى وظيفى جديد ، ومنه ما هو خفى ، يحتاج في معرفته الى ادراك وفهم عميق للأساليب . ويشير البحث الى أهمية الاستثناء في تخريج بعض القراءات أو الضرورات أو تليل بعض اللهجات ، وينسرق بين الاستثناء البياني والاستثناء النحوي .

مدخل :

فصلت عن الأولى : فلم تعطف عليها « (ابن هشام ٣٨٣/٢) :

ومثله قوله تعالى (٥٢ ، ٥١ / ١٥) :

« ونبئهم عن ضيف إبراهيم : إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما . قال إنامنكم وجلون» .

فجملة « قال » جواب لسؤال مقدر ، هو : فماذا قال لهم ؟ :

ومعنى هذا أن الاستثناء البياني يلزمه أمران :

سؤال مقدر ← فماذا قال لهم ؟

يجدر أن نفرق هنا بين نوعين من الاستثناء

الاستثناء البياني

والاستثناء النحوي

فالأول : ما كان جوابا لسؤال مقدر

نحو قوله تعالى (٥١ / ٢٤ ، ٢٥) :

«هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين :

إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام

قوم منكرون» :

« فإن جملة القول الثانية جواب لسؤال

مقدر ، تقديره : فماذا قال لهم ؟ ولهذا

١١٤- فاعل مأخوذ من السؤال المقدر ← قال : ..

والثاني : وهو ما يعيننا هنا : يقصد به عدم تعلق الجملة نحويًا بما قبلها . تعلق إتباع أو إخبار أو وصف أو حال أو صلة ؛ أي أنه يؤدي إلى انفصال الجملة المستأنفة عن الجملة السابقة عليها إعرابيا . وقيام حركة إعرابية جديدة تعبر عن معنى الاستئناف كما سيأتي . وقد اجتمع النوعان في قول الشاعر :

زعم العواذل أنني نبي غمرة

صدقوا ، ولكن غمرتي لا تنجلي

فجملة « صدقوا » استئناف بياني ؛ لأنها جواب لسؤال مقدر : « صدقوا أم كذبوا ؟ فقيل صدقوا » (ابن هشام ٢ / ٣٨٣) وجملة « غمرتي لا تنجلي » استئناف نحوي بـ « ولكن » .

وقد قالوا : إن كل استئناف بياني هو

نحوي ؛ وليس العكس .

والمتبع لمفهوم الاستئناف في كتب النحو يلاحظ أنه يأتي بألفاظ مختلفة ؛ وبأسماء متعددة . فسيبويه - مثلا - يطلق عليه : « الابتداء والقطع » جاء في الكتاب (٦٠ / ١) :

« وتقول : ما عبد الله خارجا ولا معن »
ذاهب : ترفعه على ألا تشارك الاسم الآخر في
« ما » ولكن تبتدئه « وفي موضع آخر
يقول (٦١ / ١) : « ترفعه على الابتداء
والقطع من الأول » .

والكسائي يطلق عليه « القطع والمخالفة »
فكلمة (ظريفا) في جملة : رأيت زيدا
ظريفا : منصوبة عنده على القطع : ثم يعرف
القطع قائلا : « أن يكون أراد النعت فلما
كان ما قبله معرفة : وهو نكرة : انقطع
منه وخالفه » (ابن السراج أ - ١ / ٢٦١)
والفراء (١٨٧ / ٢) يطلق عليه :
الاستئناف ، فتموله تعالى : « لا تخاف دركا
ولا تخشى » (٧٧ / ٢٠) ورد في قراءة
حمزة : « لا تخف دركا ولا تخشى » بجزم
(تخف) على الجزاء . ورفع (ولا تخشى)
على الاستئناف .

فالمصطلحات - - إذن - أربعة : الابتداء -

القطع - مخالفة - الاستئناف .

وقد يطلق عليه : الفصل .

والذي يبدو أن سيبويه يساوي بين
القطع والابتداء : كما أن الكسائي يساوي
بين القطع والمخالفة ، وكأها بمعنى الاستئناف

وقد جمع ابن هشام بين الجملة الابتدائية
والجملة الاستئنافية فقال (٣٨٢ / ٢) :
« . . . الابتدائية ، وتسمى أيضا المستأنفة »

وهو أوضح ؛ لأن الجملة الابتدائية تطلق
أيضا على الجملة المصدرية بالمبتدأ ، ولو كان
لها محل . ويبدو أن ابن هشام اعتمد على
المعنى اللغوي للاستئناف ، ففي اللسان (مادة
أنف) الاستئناف : الابتداء ، . . . يقال :

استأنفت الشيء إذا ابتدأته . والابتداء بهذا المفهوم يشمل الحمل الاسمية والحمل الفعلية الواقعة في بدء الكلام . وهذه الحمل لا محل لها من الإعراب . لأنها لا تحمل محل المفرد . ويرى ابن هشام أن مصطلح « الاستئناف » أوضح ؛ لأن الحملة الابتدائية تطلق أيضا على الحملة المصدرية بالابتداء ، وأو كان لها محل . وأيضا الابتدائية يتوهم قصرها على المفتوح بها النطق (ابن هشام ٣٨٢/٢ ، الأمير ٤٦/٢) .

والحق أن يفصل بين المفهومين ؛ فالاستئنافية هي الحملة التي تأتي في أثناء الكلام منقطعة عما قبلها صناعياً ، أي أن الاستئناف يؤدي إلى انفصال الحملة المستأنفة عن الحمل السابقة عليها . ولا يضر الارتباط معنى بين الحملتين في هذه الحالة ؛ لأن الارتباط المعنوي لا يستلزم محلية الإعراب ، كما ذكر الأمير في حاشيته (٤٦/٢) .

وإذا نظرنا إلى ما ذكره سيبويه في هذه المسألة نجد أن مفهوم الابتداء لديه كان مرتبطاً دائماً بقطع الكلام عما قبله ، ولم يتعرض لما سماه ابن هشام « الحملة الابتدائية » فالاستئناف عند سيبويه يعني : قطع الحمل عما قبلها نحويًا ، كما يفهم من كلامه :

وهذا هو ما يهمننا في الاستئناف النحوي ؛ لأنه هو الذي يترتب عليه تغيير في حركة

الإعراب ، وقد يؤدي إلى إنتاج جمل جديدة كما سنرى .

تأثير الاستئناف في الحركة الاعرابية :

إن دراسة الاستئناف تهيئنا إلى جوانب مهمة في التركيب ؛ بعضها يتعلق بالحركة الاعرابية ؛ وبعضها الآخر يتعلق بالتركيب نفسه .

فما يتعلق بالحركة الاعرابية نجد أن الكلمة التي يحكم عليها بأنها بداية الحملة المستأنفة تخرج عن حركتها التي كانت عليها إن الضمة حسب ، فإذا كانت مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة أو مجزومة ؛ فإنها لا تخرج إلا إلى الرفع .

ومن أمثلة ذلك :

١ - قوله تعالى في سورة الحج (٥/٢٢) :

« لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء . »

وقوله (١٨٦/٧) :

« من يضلل الله فلا هادي له وينذرهم في طغيانهم يعمهون . »

وقوله (٢٨٢/٢) :

« واتقوا الله ويعلمكم الله . »

بالرفع على الاستئناف في ذلك كله ، إذ لو كانت الواو للعطف لانتصب (نقر) ، ولحزم (ينذر) وللزم عطف الخبر على الأمر في الآية الأخيرة :

٢ - قول الشاعر :

على الحكمم المأني يوماً إذا قضيت

قضيته ألا يجوز ويقصد

(ابن هشام ١/٣٥٩)

قالوا وخرجت عن معناها النحوى ، وهو العطف ، وركبت تركيباً جديداً ، ورفع الفعل بعدها . ولم ينصب عطفاً على ما قبله ، وصارت جملة (ويقصد) لا محال لها من الإعراب . يقول ابن هشام (١/٣٥٩) : « وهذا متعين الاستثناف ، لأن العطف يجعاه شريكاً في النفي ، فيلزم التناقض » .

٣ - « كذلك قولهم : دعني ولا أعود » :

لأنه لو نصب كان المعنى : ليجتمع تركك لعقوبتي وتركى لما تنهاني عنه ، وهذا باطل ؛

لأن طلبه ترك العقوبة إنما هو في الحال ، فإذا

تتيد ترك المنهى عنه بالحال لم يحصل غرض نفي

المؤدب » . (ابن هشام ١ / ٣٥٩) ولذا

فالضمة هي الحركة المناسبة للمعنى المراد ،

أما الفتحة من حيث هي علامة النصب على

المعية بعد الواو فتؤدى إلى فساد المعنى ،

ويكون الاستثناف هو المعول عليه في تغيير

الحركة الإعرابية من : دعني ولا أعود

إلى : دعني ولا أعود :

٤ - وقول جميل بثينة :

ألم تسأل الربيع القنواء في نطق

وهل تسخبر نك اليوم ببداء سسلق

(البغدادى ٣/٦٠١)

« أى : فهو ينطق ؛ لأنها لو كانت

عاطفة لحزم ما بعدها ، ولو كانت للسببية

لنصب ، ومثله : « وإنما يقول نه كن فيكون »

بالرفع . أى : فهو يكون حينئذ .

وقول الخطيئة :

الشعر صعب وطويل سلّمه

إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه

زات به إلى الخضيض قدمه

يريد أن يُعربّه فيعجزه

أى : فهو يعجزه ، ولا يجوز نصبه بالعطف

لأنه لا يريد أن يعجزه « ابن هشام ١/١٦٨ » .

٥ - ومن أمثلة القراء في الاستثناف :

« أعطيتك ألفاً ثم أعطيتك قبل ذلك مالا ،

فيكون :د . » .

فـ « ثم » هنا حرف استثناف ؛ إذ لا يصح

العطف ، لفقدان الترتيب .

ومنه ما ذكره ابن هشام (١ : ١١٨) :

« أعجبتى ما صنعت اليوم ، ثم ما صنعت

أمس أعجب » وذلك لأن ما صنعه أمس

لا يمكن أن يكون في الترتيب بعد ما صنعه

اليوم :

ومن ذلك قول الشاعر :

إن من ساد ، ثم ساد أبوه

ثم قد ساد ، قبل ذلك ، جده (١)

(المرادى : ٤٢٨)

وقال ابن عصفور : ما ذكره القراء من أن المقصود بـ « ثم » ، ترتيب الإخبار لا ترتيب الشئ في نفسه ، وكأنه قال : اسمع مني هذا الذي هو : بلغني ما صنعت اليوم ، ثم اسمع مني هذا الخبر الآخر الذي هو : ما صنعت أمس أعجب - ليس بشئ ؛ لأن « ثم » تقتضي تأخر الثاني عن الأول بمهلة ، ولا مهلة بين الإخبارين » (المرادى : ٤٢٨) .

٦ - ومن هذا التقبيل قول جرير :

فما زالت القتلى تتمجج دماءها

بدجاجة ، حتى ماء دجلة أشكك

(ابن هشام ١/١٢٨)

وقول الفرزدق :

فواعجبا ، حتى كليب تسبني

كأن أباه نهشل أو مجاشع

(ابن هشام ١/١٢٩)

يقول ابن هشام (١/١٢٩) : « ولا بد من تقدير محذوف قبل (حتى) في هذا البيت

يكون ما بعد (حتى) غاية له ، أي : فواعجبا ، يسبني الناس : حتى كليب تسبني » .

وتدخل (حتى) على الجملة الفعلية ؛ سواء كان فعلها ماضياً ، نحو قوله تعالى (٧/٩٥) : « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة . حتى عفوا وقالوا... » .

أو مضارعاً ، نحو قول حسان .

يُغشون حتى ما تهرك كلابهم

لا يسألون عن السواد المقبل

(ابن هشام ١/١٢٩)

ومن التعبيرات الشائعة في اللغة المعاصرة : حتى أنت (يا فلان) ويؤخذ عن هذا التعبير أنه لم يرد قبله كلام ، لكن يمكن جملة على تقدير محذوف قبل حتى ، مثل : يقسو على الناس حتى أنت يا (فلان) .. أو يعيرني الناس حتى أنت .. أو نحو ذلك ، بحسب ما يمل به المتكلم .

تأثير الاستئناف في التركيب :

عرضنا فيما سبق نماذج من تأثير الاستئناف في الحركة الإعرابية ، ورأينا كيف تخرج الكلمة الواقعة في بداية الجملة المستأنفة عن

(١) البيت لأبي نواس ، وروايته ، كما ذكر السيوطي (٥/٢٣٦) :

قل إن ساد تم ساد أبوه قبله ، ثم قبل ذلك جده

حركتها التي كانت عليها إلى الضم . وهذا النوع من الاستثناء يعتمد فيه غالباً على ظاهر العبارة : وما فيها من روابط لغوية (مثل الواو - الفاء - ثم - حتى . .) حيث تخرج عن معناها الوظيفي وهو العطف ، إلى معنى نحوي جديد . هو الاستثناء .

وقد أشرنا في صدر هذا البحث إلى أن تأثير الاستثناء لا يقتصر على الحركة الإعرابية ، بل قد يمتد إلى التركيب نفسه ، وطريقة تأليف الكلام ونظمه ، وهذا النوع من الاستثناء لا ينبغي الاعتماد فيه على ظاهر العبارة . وإنما من روابط لغوية ، بل يحتاج - مع ذلك - إلى قوة إدراك ، وفهم للأساليب العربية ، واحتكام إلى المعنى الذي يتضمنه التركيب .

وقد أشار ابن هشام إلى هذا النوع من الاستثناء ، وقال (٢ / ٣٨٣) : « ومن الاستثناء ما قد يخفى » وله أمثلة كثيرة ، منها

١ - قوله تعالى (٧ / ٣٧) : « وحفياً من كل شيطان مارد . لا يسمعون إلى الملائ الأعلى ويؤمنون من كل جانب . . » فإن الذي يتبادر إلى الذهن أن جملة (لا يسمعون) صفة لكل شيطان أو حال منه ، وكلامها باطل ، إذا لامعني للحفظ من شيطان لا يسمع . وإنما هي للاستثناء النحوي .

« وإذا توهمت أنها حال مقدرة فلتعلم أنك مخطن أيضاً ، لأن الحال المتقدرة تعني

أن صاحبها هو الذي يتقدر ما تتضمنه ، والشيطان في هذه الآيات ليس هو المقدر لعدم التسميع ، بل الله هو الذي حجبه ، ومنعه » (قباوة : ٣٧) فجملة (لا يسمعون) لا يصح أن تعرب صفة أو حالا ، لأن هذا لا يتسق مع المعنى المقصود من الآية الكريمة . وهنا يؤدي النحو وظيفة مهمة ، تمثل في الحكم على تلك الجملة بأنها مستأنزة : فالكلام قد استوقف بعد توقف .

٢ - ومن يقف عند الآية الكريمة : « فلا يحزنك قولهم ، إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون » (٧٦ / ٣٧) فإنه ربما يتبادر إلى ذهنه أن جملة « إنا نعلم . . . » مقول القول ، وليس كذلك ؛ لأن القول ليس للكفار ، وإنما هو لله عز وجل ، فهى في الحقيقة جملة استئنافية .

كذا قوله تعالى (٦٠ / ٦٥) : « ولا يحزنك قولهم ؛ إن العزة لله جميعاً » قال ابن هشام (١ / ٣٨٤) : « وهى كالتى قبلها » لأنها ليست من قول الكافرين ولا يعمل أن تصدر عنهم وهم الذين يحاربون الله ورسوله ، وإنما هى استئنافية يثبت الله بها قلب النبي ﷺ ومن معه ، ولذا لا بد من إحداث سكتة لطيفة قبل الجملة المستأنزة .

٣ - وزعم أبو حاتم السجستاني أن من الاستثناء (تثير الأرض) في قوله تعالى (٧١ / ٢) « قال إنه يقول : إنها بقررة ، لاذلول ، تثير الأرض ولا تسقى الحرث

مساومة لاشية فيها « وادعى أن ذلك من عجائب هذه البقرة ، فهي ليست مذلة للحراثة والسقي ، ولكنها تثير الأرض كالمذلة والحق أن الأخبار لم تأت بأن تلك البقرة إذ كان فيها عجائب ، وإنما جاءت بأنهم كلفوا بأمر ممكن وجوده ، لا بأمر خارق للعادة ولهذا فإن جملة (تثير) ليست استثنائية ، وإنما هي في محل رفع صفة لـ « ذلول » وجملة (تسقى) معطوفة على « لا ذلول » ، والتقدير لا ذلول مثيرة الأرض ، ولا ساقية للحرث .

ولو كانت كما زعم أبو حاتم لوجب تكرار

(لا) بعد (لا ذلول) لأن القياس يقتضى ذلك ، خلافاً للكوفيين والبرد « (قباوة: ٣٨) »

إذ لا يقال « مررت برجل لا شاعر » حتى تقول « ولا كاتب » (ابن هشام ٢/٣٨٤) .

وقد يقال إن (لا) تكررت بقوله تعالى (ولا تسقى الحرث) والرد : أن ذلك إنما وقع بعد الاستثناء على زعم أبي حاتم .

ولكن إذا قصد بالاستثناء الاعتراض جاز في الصناعة ما ذهب إليه أبو حاتم وإن كان المعنى يدفعه وينكره .

٤- ومن هذا النوع من الاستثناء : « جملة العامل المنغى لتأخره ، نحو : « زيد قائم أظن » فأما العامل المنغى لتوسطه ، نحو « زيد أظن قائم » فجملته أيضاً لا محل لها إلا أنها من باب جمل الاعتراض » (ابن هشام ٢/٣٨٢) .

وعند التحليل النحوي للجمل في هذه المسألة نجد أن الجملة الأساسية « قد أصابها التقدير الذي أدى إلى إلغاء بعضها : والحكم على بعضها الآخر بالاستثناء : والجملتان :

(أ) زيد قائم أظن

(ب) زيد أظن قائم

مأخوذتان من جملة أساسية ، هي :

(ج) أظن زيدا قائما

وتلك الجملة الأساسية قد أصابها عدة عمليات نحوية ، على النحو التالي :

(د) زيدا قائما أظن : تأخير (أظن) بوضعها في آخر الجملة .

(هـ) زيد قائم أظن : إلغاء العمل النحوي للفعل (أظن) .

(و) زيدا أظن قائما : توسط (أظن) بين معموليها .

(ز) زيد أظن قائم : إلغاء العمل النحوي للفعل (أظن) .

والجملتان (أ) ، (ب) أصلهما المقدر هو الذي نجده في (ج) ، ومن هنا فإن التقدير متصل فيما بينه : وعند ابن هشام أن الجملة (ب) تندرج تحت قضية تقديرية أخرى تخص إلغاء العامل النحوي لتوسطه . أما الجملة (أ) فيمكن أن تكون (أظن) جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب « (ياقوت : ٧٤ ، ٧٥) .

٥- وتعد الجملة الواقعة بعد « أم » المنقطعة من الجمل الاستئنافية ؛ لاستقلالها عما قبلها . وقد وقع خلاف بين النحاة حول المواقع التركيبية لـ « أم » المنقطعة فقالوا :
- تقع بعد الأخبار المختصة : نحو قوله تعالى (٣٠٢/٢٢) .

« تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين : أم يتحولون افتراء »

- وتقع بعد همزة لغير الاستفهام : نحو قوله تعالى (١٩٥/٧) :

« ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها »

- أو الاستفهام بغير الهمزة ، نحو قوله سبحانه (١٦/١٣) :

« هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور »

« واختلف في معناها ، فقال البصريون هي بمعنى « بل » ، أي الإضراب ، وبمعنى الهمزة مطلقاً . وقال الكسائي وهشام : هي كـ « بل » وتاليها . أي ما بعدها كتلاوها أي كما قبلها ، فإذا قلت : قام زيد أم عمرو فالمعنى : بل قام عمرو . وإذا قلت : هل قام زيد أم عمرو . فالمعنى : بل هل قام عمرو . . . »

(السيوطي ٥ / ٢٤٢) .

ورد بقوله تعالى (٢٧/٣٨ ، ٢٨) :

« وما خلقتنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار »

« فأم » لم يتقدمها استفهام ، وقد استؤنفت بـ « أم » السؤال على جهة الإنكار والرد . ولا يمكن أن يكون ما بعدها موجبا ، فليس مثل ما قبلها .

وقال الفراء : هي كـ « بل » إذا وقعت بعد استفهام ، كقوله :

فو الله ما أدري أسألتني تغولت

أم النوم أم كل إلى حبيب

أي : بل كل (السيوطي ٥ / ٢٤٣) .

ورد بأن المعنى على الاستفهام : أي : بل أكل إلى حبيب ، لأنها لما تمثلت لعينه لم يدر أذلك في النوم أم صارت من الغول : لأن العرب تزعم أنها تبدو منزينة لتفتن ، ثم لما جوز أن تكون تغولت داخله الشاك ، فقال بل أكل إلى حبيب ؛ أي الغول وسلمى كل منهما إلى حبيب .

« وقال أبو عبيدة : هي كالمزعة مطلقاً قال : ومنه قوله تعالى (١٠٨/٢) : « أم تريدون أن تسألوا رسولكم » وجاء في الجمع (٢٤٣/٥) : « هي كالمزعة إن لم يتقدم عليها استفهام »

همزة الاستفهام وهمزة التسوية المختصتين «أم»
المتصلة . أو هي الواقعة بعد الخبر أو أداة
استفهام غير الهمزة أو بعد همزة غير استفهام .
ويمكن رسم الصور التركيبية لـ «أم»
المنقطعة على الوجه الآتي :

ويتضح من عرض الآراء السابقة أن
الاتفاق قائم على معنى الاستثناف في «أم»
المنقطعة . لكن الخلاف في مواقعها التركيبية ؛
فأكثر النحاة على أن «أم» المنقطعة هي الواقعة
بين جملتين غير مسبوقتين بالهمزتين ؛ أي

البناء الداخلي للتركيب

الشكل الظاهري للتركيب

قام زيد أم عمرو	←	قام زيد بل قام عمرو (خبر) .
هل قام زيد أم عمرو ؟	←	هل قام زيد بل هل قام عمرو ؟
أزيد قائم أم عمرو	←	أزيد قائم بل أقائم عمرو (إنكار)
أزيد قائم أم عمرو ؟	←	أزيد قائم بل أقائم عمرو ؟ (استفهام بالهمزة)

٦- ويبلغ هذا النوع من الاستثناف
قوته في قول سيديويه (٦١/١) :

«وتقول : ما زيد ذاهبا ولا عاقل عمرو
لأنك لو قلت : ما زيد عاقلا عمرو . لم يكن
كلاما ؛ لأنه ليس من سببه . فترفعه على
الابتداء والقطع من الأول ؛ كأنك قلت
«وما عاقل عمرو» .

فالواو في : ما زيد ذاهبا ولا عاقل عمرو
ليست عاطفة ، وإنما هي للقطع من الأول
ولذا يرفع ما بعدها على الابتداء «ولم يجز
نصبه على « ما » لأنك لو ذكرت « ما »
ثم قدمت الخبر لم يكن إلا رفعا» (سيديويه
٦١/١) .

وفي جميع الحالات وقعت « أم » بين
جملتين . وتظهر قيمة هذا الاختلاف في
إعطاء صور تركيبية متعددة للجملتين المستأنفة
بـ « أم » . هذا إلى جانب ما تضيفه هذه
التركيب من توسعة في الاستعمال . .

ويلاحظ أن الصور الثلاث الأولى تكاد
تكون موضع اتفاق ؛ أما الصورة الأخيرة
فموضع خلاف واضح ؛ ويظهر الفرق بين
الصورة الثالثة والصورة الرابعة من وضع
علامة الاستفهام (؟) في حالة السؤال ؛ أما
في الإنكار فلا حاجة إلى هذه العلامة .
ويقوم التنعيم مقام العلامة في حالة النطق .

ويمكن توضيح ما جاء في هذا النص بالشكل الآتي :

ما زيد ذاهبا ولا عاقل عمرو (الجملة الأساسية)

↓

مازيد عاقلا عمرو (جملة غير نحوية)

↓

ما عاقل عمرو (جملة نحوية)

لفظه فقلت : ما زيد ذاهبا ولا محسنا زيد
فذلك جائز أيضا ، لكن رفع « محسن »
أجود من نصبه في هذه الحالة ، حتى يكون
التركيب مكونا من جملتين ، وإن كان
المراد بالاسم في الجملة الثانية نفس الاسم
في الجملة الأولى . أما إذ جئنا بأجنبي كما في
المسألة التي معنا (ما زيد ذاهبا ولا عاقل
عمرو) فعمره أجنبي من زيد ، فإن الرفع
واجب : على القطع والابتداء .

وفي هذا يقول سيديويه (١ / ٦٢) :
« وتقول : ما زيد ذاهبا ولا محسن زيد ،
الرفع أجود ، وإن كنت تريد الأول ؛
لأنك لو قلت : ما زيد منطلقا زيد (١) ،
لم يكن حد الكلام ، وكان ههنا ضعيفا ،
ولم يكن كقولك : ما زيد منطلقا هو ؛
لأنك قد استغنيت عن إظهاره ، وإنما

فالتركيب الأول تركيب نحوي ، بني
عليه سيديويه تغيير الحركة الإعرابية من النصب
عطفنا ؛ إذ لا توجد علاقة تربط ما بعد
الواو بما قبلها - إلى الرفع ابتداء ، والتركيب
الثاني فاسد لأنه بني على النصب ، والنصب
لا يجوز لما ذكرنا من عدم وجود علاقة تجعل
ما بعد الواو يشترك في « ما » : أما التركيب
الثالث فهو نتيجة لما تبين من فساد التركيب
الثاني . ومعنى هذا أن التمتع يؤدي إلى
إنتاج بعض الحمل النحوية من تلك التي
تكون غير نحوية ، كما ينهم من كلام
سيديويه .

والأصل في هذه المسألة أن الاسم الظاهر
متى احتيج إلى تكريره في جملة واحدة
كان الاختيار ذكر ضميره ، نحو : ما زيد
ذاهبا ولا محسنا ، أي هو . أما إذا أعدت

(١) ما زيد منطلقا زيد = ما زيد ذاهبا زيد ، وهي مأخوذة من المثال الأساسي : ما زيد ذاهبا ولا
محسن زيد . وهذه طريقة سيديويه في الكتاب : يستخدم النموذج اللغوي من خلال أمثلة مختلفة ، فمرة يقول :
ما زيد ذاهبا ولا عاقل عمرو ، ومرة يقول : ما زيد منطلقا ، ولا قائم عمرو . فالمهم عنده النموذج ، وذلك
دليل على أن النحو عنده تراكيبي .

ينبغي لك أن تضمه ؛ ألا ترى أنك لو قلت :
مازيد منطلقا أبوزيد ؛ لم يكن كقولك :
مازيد منطلقا أبوه ؛ لأنك قد استغنيت
عن الإظهار ؛ فلما كان هذا كذلك أجرى
مجرى الأجنبي ؛ واستؤنف على حاله . . .

ويختلف الأمر لو كانت الأداة المصدر
بها التركيب : « كان » أو « ليس » حيث
« يجوز فيها النصب وإن قدمت الخبر ،
ولم يكن ملتبسا ؛ لأنك لو ذكرتها كان
الخبر فيها مقدها مثله مؤخرًا ، وذلك قولك :
ماكان زيد ذاهبا ولاقائما عمرو » (سيبويه
١ / ٦١) .

ويرجع ذلك إلى أن « كان » و « ليس »
كل منها أصل في بابيه . ويجوز تقديم الخبر
على الاسم معها . أما « ما » الحجازية ،
فمن شروط إعمالها : ألا يتقدم ؛
اسمها « وذلك يشترط العمل ، فلا
تتصرف في العمل بأن تعمل النصب قبل
الرفع » (الرضى ١ / ٢٦٧) .

وبالمقارنة بين التركيبين :
مازيد ذاهبا ولاعاقل عمرو
ماكان زيد ذاهبا ولاقائما عمرو

يظهر لنا التحليل الآتي :

(ب)

ماكان زيد ذاهبا ولاقائما عمرو
↓
ماكان قائما عمرو (نحوى)

أو الضرورات ؛ أو تقدير بعض أجزاء
الجملة .

ومن ذلك - مثلا - :

١ - تخريج (لانتخشي) في قوله تعالى
(٢٠ / ٧٧) :

« لانتخاف دركا ولاتخشي »

(أ)

مازيد ذاهبا ولاعاقل عمرو
↓
مازيد عاقلا عمرو (غير نحوى)
↓
ماعاقل عمرو (نحوى)

ومن هنا وقع الاستئناف في النموذج (أ)
وأدى إلى إنتاج جملة نحوية من تركيب
غير نحوى ، كما أدى إلى تغيير الحركة
الإعرابية من النصب إلى الرفع .

الاستئناف والتفصيد :

للاستئناف أهميته في تفنين بعض القواعد
الخاصة بالتركيب ، أو تخريج بعض القراءات

على الاستئناف في قراءة حمزة : « لا تخف »
دركا ولا تخشى « حيث جزم (لا تخف)
على الجزاء في جواب الأمر : « فاضرب
خم طريقا في البحر يبسا » : ورفع (لا تخشى)
على الاستئناف . كما قال سبحانه (١١١ / ٣) :
« لن يضروكم إلا أذى ، وإن يقاتلوكم
يولوكم الأدبار ، ثم لا ينصرون » « فاستأنف
بـ « ثم » فهذا مثله » (الفراء ٢ / ١٨٧) .

« فالواو » و « ثم » في الآيتين السابقتين
ليستا للعطف ، وإنما هما للاستئناف ، وإلا
لجزم ما بعدهما عطفًا على الجزاء .

٢- تأويل معاني بعض الحروف ،
ما يؤدي إلى الاستئناف ، ويتبع ذلك
الاختلاف في تقدير حركة الإعراب ،
فقول الشاعر :

ألقى الصحيفة كي يُخفف رحاه
والزاد حتى نعله ألتاها

فكلمة (نعله) تحتل :

(أ) الرفع على أساس أنها مستأنفة
مرفوعة :

(ب) الجر إذا قدرنا (حتى) مثل
(إن) فهي تعمل الجر .

(ج) النصب بالفعل . (ابن السراج
ب / ٥٧) .

والنصب بالفعل هنا يقصد به : النصب
على الاشتغال ؛ أي بفعل محذوف وجوبا
يفسره الفعل المذكور .

٣- تخريج بعض الضرورات الشعرية ،
مثل :

(أ) قول الأخطل :

وقال رائداهم ارسوا نزاوها

فكل حتف امرىء يمضى لمقدار

فالغنى على الاستئناف : أي : ارسوا ،
نحن نزاوها :

(سيديويه ٣ / ٩٦)

(ب) قول عمرو بن الإطناية :

يامال والحق عنده فقفوا

تؤتون فيه الوفاء معترفا

فكأنه قال : قفوا ، إنكم تؤتون فيه
الوفاء معترفا .

(سيديويه ٣ / ٩٦)

(ج) قول معروف الدبيري :

كونوا كمن واسى أخاه بنفسه

نعيشُ جمعا أو نموتُ كلانا

أي : كونوا هكذا ، إنا نعيش جميعا أو
نموت كلانا إن كان هذا أمرنا

(سيديويه ٣ / ٩٦)

والكى يفهم السامع معنى الاستئناف
فى هذه النصوص لآلأء من إءاء سكة
ءففة قبل النطق بالءمة المسأفة : وءم
الشفم المناسب .

٤ - ءمى بعض القواعد الءاصة بالءمة :
ومن ذلك :

« لا يفصل : بين الموصوف وصفه
بإلا » .

فلا يقال : « ءاعى ءل إلا راكب »
لأنها كشفى وأءء : فلا يفصل بينهما بها ،
كما لا يفصل بين الصلة والموصول : ولا بين
المضاف والمضاف إليه . ولأن « إلا »
وما بعدها فى ءكم ءمة مسأفة : والبصفة
لا مسأفة : ولا ءكون فى ءكم المسأفة
(السوطى ٣ / ٢٧٥) .

ومن هنا كانت ءمة : ءاعى ءل
إلا راكب : لا ءوز عند النءاة . .

و ءكون ءمة الاستثناء فى مثل : ءضر القوم
إلا زبءا ، ذات بذفةى :

بذفة ءارءفة : ءضر القوم إلا زبءا

وبذفة ءاءفة : ءضر القوم وأسءنى
زبءا .

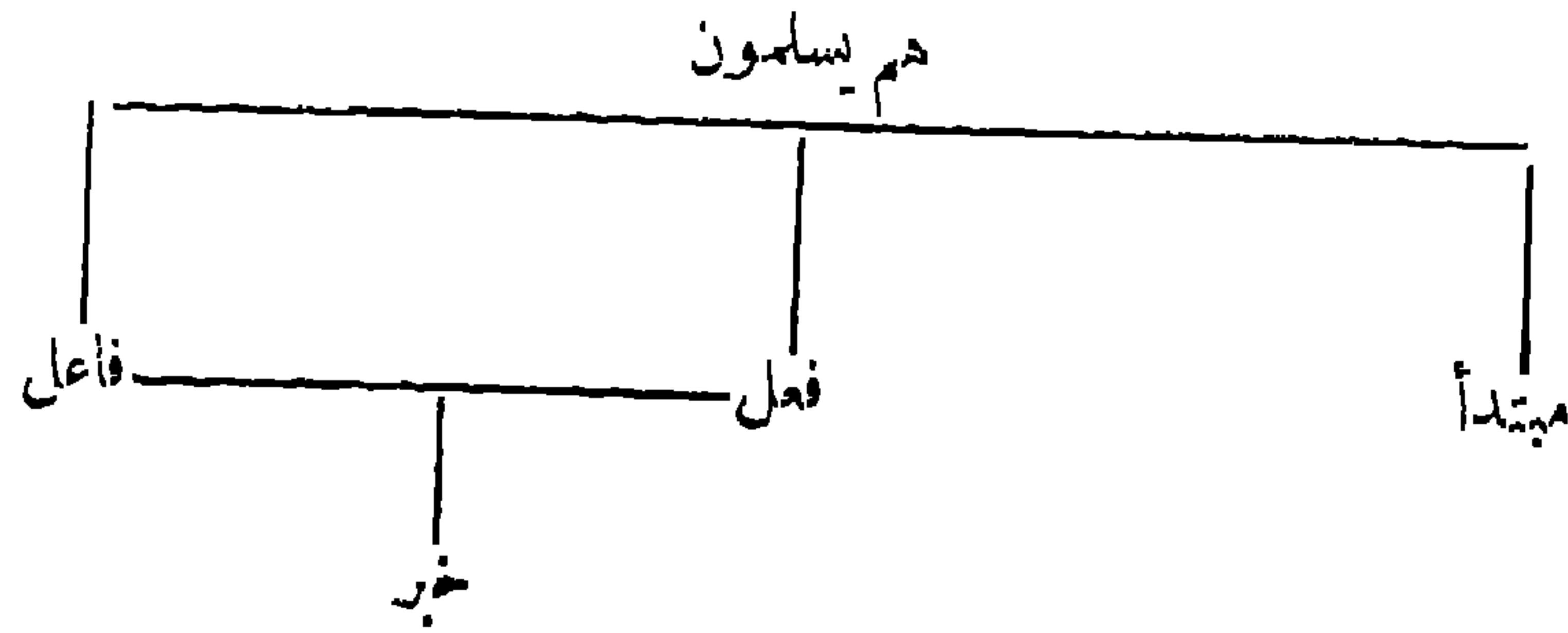
ولذلك يمكن اءءار (إلا زبءا) ءمة
مسأفة : على ءءفر « إلا » بـ « أسءنى »

٥ - وقد يفءضى الاستئناف ءءفر
ءعرب مءءأ فى بعض الءم . وبعءه ءمة
ءبر : نحو قوله ءعالى (٤٨ ، ١٦) :

« سءءءءون إلى قوم أولى بأس شءءء .
ءقافونهم أو يسلمون » .

أى : أو هم يسلمون : على رأى ابن
ءعش (٧ / ٢٣)

و ءءلل هذه الءمة ءكون على الشكل
الآئى :



النكرة محتاج إلى الوصف ، فأكد التقطع بحرف هو نص في التقطع ، أعني الواو .. «

ويجوز في المعرفة التقطع أيضا بالواو ، نحو :

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ
سَمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْحَزَرِ

النازِلين بكل معترك
والطيبون معاقد الأزر

ينصب الأول (النازِلين) بإضمار «أمدح
أو أذكر» ورفع الثاني (والطيبون) بإضمار
«هم» على التقطع فيها . ويجوز العكس
بإتباع الأول لقومي على الرفع ، وقطع
الثاني بإضمار «أمدح أو أذكر» ، كما
يجوز رفعها معا ، ونصبها معا .

(الأزهرى ١١٦/٢)

ويمكن وضع الصور الممكنة في هذين
البيتين على النحو التالي :

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي
عَلَى الْقَطْعِ فِيهَا

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي
عَلَى الْإِتْبَاعِ فِيهَا لِقَوْمِي

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي
عَلَى الْإِتْبَاعِ لِقَوْمِي
عَلَى الْقَطْعِ

ومن ذلك قطع النعت إلى الرفع ، على
تقدير ضحير يعرب مبتدأ ، بعده خبر
مفرد ، نحو قولنا :

اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبْدَكَ الْمَسْكِينُ

أى : هو المسكين ، على الاستئناف
والقطع .

أما النعت المقطوع إلى النصب ، نحو
قول الشاعر :

وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ عَطَلٍ

وشعثا مراضيع مثل السعالى

فقد أجاز بعض النحويين قطع النعت
بالواو ، مستدلا بهذا البيت ، حيث أتبع
النعت الأول ، وهو «عطل» وقطع
الثاني وهو «شعثا» فنصبه بفعل محذوف
تقديره : أخص أو أذم .

يقول الرضى : (٣١٦ / ١) :
« والأعراف مجيء نعت النكرة المقطوع
بالواو الدالة على القطع والفصل ؛ إذ ظاهر

لا يعلمان قومي النازلين والطيبين
على القطع فبهما

١ - فالمراد يرى بأنه على إضمار الفاء ،
وأن الكلام فيه حذف ، والأصل المقدر هو :

إن قام زيد فأنا أقوم

وهذا يؤدي إلى تقدير أمرين :

(أ) الفاء .

(ب) مبتدأ محذوف « أنا » .

- وسيبويه يرى أن « أقوم » في جملة
« إن قام زيد أقوم » مؤخر من تقديم :
فكأن :

إن قام زيد أقوم

أصلها :

أقوم إن قام زيد

وجواب الشرط محذوف ، ويؤيده
التزامهم في مثل ذلك كون الشرط ماضياً ،
وعليه تكون جملة « أقوم » مستأنفة ،
لعدم تعلقها بما قبلها :

وينبئ على هذا الخلاف مسألتان :

١ - إحداهما : هل يجوز : زيداً إن أتاني
أكرمهُ ، بنصب (زيداً) ؟

هذا بناء على أن مفهوم الاستئناف قطع
الجملة المستأنفة وفصلها عما قبلها نحوياً ،
بمعنى عدم تعلقها بما قبلها تعلق إتيان أو
إخبار أو وصف أو حال أو صلة . كما
ذكر الأمير في حاشيته (٤٦ / ٢) .

وبذلك يدخل مفهوم القطع أو المخالفة
عند الكسائي الذي أشرنا إليه في صدر
هذا البحث في الاستئناف . فقد مثل
الكسائي للقطع بقوله : رأيت زيدا ظريفاً .
ثم عرف القطع قائلاً : « أن يكون أراد
النعته ، فإن كان ما قبله معرفة ، وهو زكرة ،
انقطع منه وخالفه » (١) (ابن السراج
أ - ١ / ٢٦١) .

مسائل خلافية :

ذكر ابن هشام في المغني (٣٨٥ / ٢) ،
(٣٨٦) أن من الحمل ما جرى فيه خلاف بين
النحويين ، أهو مستأنف أم لا ؟ ومن أمثلة
ذلك :

١ - جملة « أقوم » من نحو قولنا :
« إن قام زيد أقوم » .

(١) الصفة في المثال : رأيت زيدا ظريفاً ، جعلها الكسائي على القطع ، ولم يجعلها « حالا » لأن الصفة
المشبهة فيها معنى الثبوت والنزوم ، والحال وصف متتمل غالباً . قد يقع الحال لازمة ، لكن في مواضع معينة ،
كأن تدل على خاتمة ، و « فجاءت به سبط العظام . . . » أو تكون مسبوقة (دعوت الله سميعاً) . . الخ :

فسيبويه يجيزه ، كما يجيز : زيدا أكرمه .
 إن أتاني ؛ لعدم ارتباط (أكرمه) بالشرط
 قبلها ، فيمكن أن تفسر عاملا يعمل النصب
 في « زيدا » . والمبرد يمنع ؛ لأنه في سياق
 أداة الشرط ، فلا يعمل فيما تقدم على الشرط ،
 ولا يفسر عاملا فيه .

والثانية : إذا جيء بعد هذا الفعل المرفوع
 بفعل معطوف ؛ هل يجزم أم لا ؟
 فعلى رأى سيبويه لا يجوز الجزم ؛ وعلى قول
 المبرد ينبغي أن يجوز الرفع بالعطف
 على لفظ الفعل ؛ والجزم بالعطف على محل
 الجملة المقدره بعد الفاء .

ويمكن تصور ذلك على النحو الآتي :

إن قام زيد أقوم

↓

إن قام زيد أقوم وأكرمه (على رأى
 سيبويه)

↓

إن قام زيد أقوم وأكرمه (على رأى
 المبرد)

لأن الأصل عند سيبويه :

أقوم وأكرم زيدا إن قام

وعند المبرد :

إن قام زيد فأنا أقوم وأكرمه

ولذلك جاز عنده الرفع على اللفظ ،

والجزم على المحل .

٢ - « منذ ومنذ » وما بعدهما ، في نحو :

« مارأيت منذ يومان »

- فالسيراني يرى أن « منذ » وما بعدها

في موضع نصب على الحال ، يقول

ابن هشام (٢ / ٣٨٦) : « وليس بشيء

لعدم الربط » .

- ويرى الجمهور أن الجملة أمثلة

جوابا لسؤال :

(أ) تقديره عند من قدر (منذ)

مبتدأ : ما أمداً ذلك ؟

(ب) وعند من قدر (منذ) خبراً :

ما بينك وبين لقائه ؟

وذلك على النحو الآتي :

مارأيت منذ يومان

↓ ↓

مبتدأ خبر (جوابا لسؤال مقدر :

ما أمداً ذلك ؟)

مارأيت منذ يومان

↓ ↓

خبر مبتدأ (جوابا لسؤال مقدر :

ما بينك وبين لقائه ؟)

ويكون المعنى على الأول : الأمد يومان

وعلى الثاني : يومان بيني وبين لقائه .

٣- ومن مسائل الخلاف التي ذكرها
ابن هشام (٢ / ٣٨٦) : جملة أفعال
الاستثناء (ليس ولا يكون وخلا وعدا
وحاشا)

٤- فالسيرا في يرى أنها حال ؛ إذ
معنى :

« قام القوم ليس زيدا » قام القوم خالين
عن زيد

وجوز السيرا في مع ذلك الاستثناء .

- وأوجب ابن عصفور الاستثناء
في هذه الجملة . فإن تغير تركيب الجملة ،
بأن قلنا : جاءني رجال ليسوا زيدا -

بتذكير المستثنى منه ، وظهور الضمير
مع ليس ، خرجت الجملة عن الاستثناء ،
ولامانع من إعرابها صفة ؛ لاستيغناء الجانب
الشكلي لجملة الصفة .

الاستثناء النحوي والاستثناء البياني :

تقدم أن كل استثناء بياني هو نحوي ،
وليس العكس ، وذلك لأن الاستثناء
البياني يقوم على عنصرين مهمين :

(أ) سؤال مقدر .

(ب) فعل مأخوذ من السؤال المقدر .

ولا يتحقق هذان في الاستثناء النحوي :

٥- فمثلا في قوله تعالى (١١ / ٦٩) :

« ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ،
قالوا سلاما ، قال سلام » .

سؤال مقدر : فماذا قال لهم ؟
والفعل المأخوذ من هذا السؤال : قال .
وجملتا القول استثناء نحوي .
- وفي قوله تعالى (٢٤ / ٣٦ ، ٣٧) :
« يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال
بفتح باء « يسبح » على قراءة بعضهم .
السؤال المقدر : من يسبح ؟
والفعل المأخوذ منه : يسبح (وهو غير
مذكور) .

والجملتان استثناء نحوي .

من هنا خص البيانيون الاستثناء بما
كان جوابا لسؤال مقدر ، ويعده النحويون
استثناء نحوي ، لأنه منفصل ومقطوع
عما قبله إعرابيا ، ولا تضر العلاقة المعنوية ،
« لأن الارتباط المعنوي لا يستلزم محلية
الإعراب » (الأمير ٢ / ٤٦) .

ومما تقدم يتضح :

١- أن الاستثناء النحوي نوعان :

(أ) نوع يتضمن الحمل المقطوعة عما

قبلها بوساطة حرف من أحرف

العطف الآتية : أو - الواو -

الفاء - ثم - حتى - أم المنقطعة -

بل - لكن .

ويمكن تسميتها : أحرف القطع ، لأنها
تقطع الجملة عما قبلها ، بمعنى أنها يستأنف
بها كلام جديد ، وإن كانت في الأصل
للعطف .

وهذا المعنى قريب من المعنى الذى قصده أبو جعفر النحاس من كتابه : « التقطع والائتناف » فهو يقصد بالتقطع : الوقف . وبالائتناف : الابتداء . وذلك لأن أحرف التقطع تقطع الكلام عما قبله صناعيا (نحويا) فهى تقوم مقام (السكت) فى الوقف الاختيارى ، الذى سماه أبو جعفر التقطع . فالواو - مثلا - فى حالة الكتابة تقوم مقام السكت فى حالة النطق . وقد تعرضنا لهذا الموضوع فى مكان آخر (١) .

(ب) ونوع يحتاج إلى فهم وإدراك وتعمق ؛ سواء تضمن حرف عطف أو لم يتضمن .

وقد أشار إليه ابن هشام بقوله (٢ / ٣٨٣) :

« من الاستئناف ما قد يخفى » وله أمثلة كثيرة .

٢ - أن للاستئناف دورا كبيرا فى تخريج بعض القراءات القرآنية مثل قراءة : « يسبِّحُ لها فيها بالغدو والآصال رجال » . ومثل قراءة : « لا تخفُ دركا ولا تخشى » . وفى تخريج بعض الضرورات الشعرية . كما سبق .

بل قد تخرج عليه بعض النهجات . مثل لمحة « أكلونى البراغيث » التى جاء عليها قوله تعالى (٢١ / ٣) :

« وأسروا النجوى الذين ظلموا » فيعرب « الذين » على الاستئناف كما ذكر القراء (٢ / ١٩٨) .

٣ - أن للاستئناف دورا فى تقنين بعض القواعد الخاصة بالجملة : مثل قاعدة « عدم الفصل بين الموصوف وصفته ؛ إلا » . وأن « إلا » وما بعدها تعد فى حكم الجملة المستأنفة . كما بينا . وكذا قواعد انتمت المقطوع .

٤ - أن الاستئناف قد يقتضى تقدير ضمير يعرب مبتدأ فى بعض الحمل ؛ كما قد يقتضى توليد أو إنتاج بعض الحمل النحوية ؛ وقد وضعنا ذلك فى الأمثلة التى ذكرها سيبويه وغيره .

٥ - وقد يكون الاستئناف النحوى جملى قول : إحداهما سؤال مقدر ، والثانية جواب هذا السؤال . وهذا ما يعرف عند البيهانيين بالاستئناف البياني .

(١) ينظر :

(أ) الفواصل الصوتية فى الكلام وأثرها على المواقع النحوية : المجلة العربية للعلوم الإنسانية - الكويت العدد ٢٤ .

(ب) اندلالات النحوية بحروف المصاحبة لبعض التراكيب : مجلة مجمع اللغة العربية بالتماهرة - العدد ٦٤ .

المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأمير (الشيخ محمد الأمير) .
حاشية الأمير علي مغني اللبيب لابن هشام - القاهرة د . ت
- ٣ - البغدادي (عبد القادر بن عمر) :
خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٧ .
- ٤ - الرضي (محمد بن الحسن ، ت : ٦٨٦ هـ) :
شرح الكافية - حيدرآباد ، د . ت
- ٥ - ابن السراج (أبو بكر بن السراج ، ت : ٣١٦ هـ) :
(أ) الأصول في النحو ، تحقيق عبد الحسين النشلي - بغداد ١٩٧٣ .
(ب) الموجز في النحو ، تحقيق مصطفى الشويخي ، وبن سالم دارجي - بيروت ١٩٦٥ .
- ٦ - سيبويه (أبو بشر عمرو بن قنبر . ت : ١٨٠ هـ) :
كتاب سيبويه ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٦ .
- ٧ - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ، ت : ٩١١ هـ) :
جمع الخوامع ، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم - الكويت ١٩٧٩ .
- ٨ - الفراء (أبو زكريا يحيى ، ت : ٢٠٧ هـ) :
معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار - القاهرة ١٩٥٥ .
- ٩ - قباوة (فخر الدين) :
إعراب الحمل وأشباه الحمل - دمشق ١٩٧٢ .
- ١٠ - المرادي (الحسن بن قاسم ، ت : ٧٤٩ هـ) :
الحنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، دمشق ١٩٧٣ .
- ١١ - ابن هشام (جبال الدين بن يوسف . ت : ٧٦١ هـ) :
مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد - القاهرة ، د . ت
- ١٢ - ياقوت (محمود سليمان) :
قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين - القاهرة ١٩٨٥ .

الإفادة والعلاقات البيانية للدكتور تيمام حسان

الأمر « ، لمطابقة ذلك لأحد أوضاع الكلام (وضع الجملة الخبرية) .

وليس من الكلام أيضا أن يقال
بِ (الحمد لله الذي أبلغ محمد عقيدة الإسلام للناس) وذلك لعدم وجود الرابط من ضمير ونحوه . ولكن من الكلام أن يقال : « الحمد لله الذي أبلغ محمد عقيدة الإسلام له إلى الناس » . ومنه على رغم اللبس أن يقال : « الحمد لله الذي أبلغ محمد شريعته إلى الناس » إذ تفتقر إعادة الضمير إلى قرينة ، فإذا قامت القرينة صح الكلام وأفاد .

(ب) أن يكون المقصود بـ « الوضع » اشتمال الجملة على كلمات عربية بأصل الوضع ، فينصرف القيد إلى المفردات التي في الجملة لا إلى نمط التركيب . فإذا كان الأمر كذلك فليس من الكلام (على رغم صحة النمط) أن يقال :

« حنكف الجعبور بقعاصة الكلابيص
الفيفانة » .

عرف ابن مالك الكلام بأنه « لفظ مفيد » ، وعرفه صاحب الأجرومية ونقل عنه الخزولي في القانون بقوله : « الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع » ، فأضاف قيد التركيب إلى « اللفظ » وقيد الوضع إلى « المفيد » . ولكن من هذين القيدين ما يجعله ضروريا للتعريف . فأما التقييد بلفظ « المركب » فتأتى ضرورته من أن اللفظ إذا لم يكن مركبا فهو مفرد والمعروف أن اللفظ المفرد معناه مفرد لا تستفاد منه نسبة ، وفلك شأن كل الألفاظ المفردة في معجم اللغة ، فكل من هذه الألفاظ « كلمة » لا « كلام » . وهذا ما سنعود إليه عند تناولنا للعلاقات البيانية . وأما قيد « الوضع » فقد يفهم منه أحد أمرين :

(١) أن يكون المقصود بالوضع نمط تركيب الجملة (أيا كان هذا النمط خبراً أو شرطاً أو إنشاءً) فصورة كل تركيب من هذه التراكيب « وضع » من أوضاع الكلام وشرط من شروط تركيبه . ومن ثم لا يعد من الكلام أن يقال : (عملى وقمف الأمر زيد جلية) ولكن من الكلام أن يقال : « وقف زيد على جلية

لأن « مفردات الجملة » ليست كلمات عربية الوضع ، أما نمط التركيب فطابق لشروط الصناعة إلى درجة يمكن معها إعرابه .

ويدخل تحت هذا القيد أيضا أن تتسم العلاقة بين ألفاظ الجملة ، بالمناسبة المعجمية ، ولذلك لا يعد من الكلام أن يقال .

« غضب الهواء على ضمير القمر »

لأن الهواء لا وجدان له ، ولأن القمر لا ضمير له ، ولانقطاع الصلة بين الهواء والقمر . فكل ذلك يجعل العلاقة بين ألفاظ الجملة علاقة « المفارقة المعجمية » ولا يجعلها « مناسبة معجمية » وذلك يعود بنا إلى مخالفة أصل الوضع الاستعمالي للمفردات .

وقد يتحقق الوضع بالمعنيين السابقين في كلام لا وجود فيه للعلاقات الإعرابية كما في المثال التالي (الذي نعتذر عنه للآية لقرآنية الكريمة) :

أرأيتك هذا الذي كرمت على اثنين
أخرتن إلى أقصى المدى لأحتنكنه .

وقد يختلف النمط التركيبي للجملة من حيث الالتزام ، أو عدم الالتزام بشروطها ، والافتقار والاختصاص والرتبة الخ فيسمى

ذلك اختلافا في « السبك » مع وصف السبك بالقوة حيننا وبالضعف حيننا آخر فيرتبط ذلك بالإفادة طردأ وعكسأه . بهذا نفهم لماذا كان قول الشاعر يتسم بضعف السبك حين قال :

وما مثله في الناس إلا مملك

أبو أمه حي أبوه يقاربه

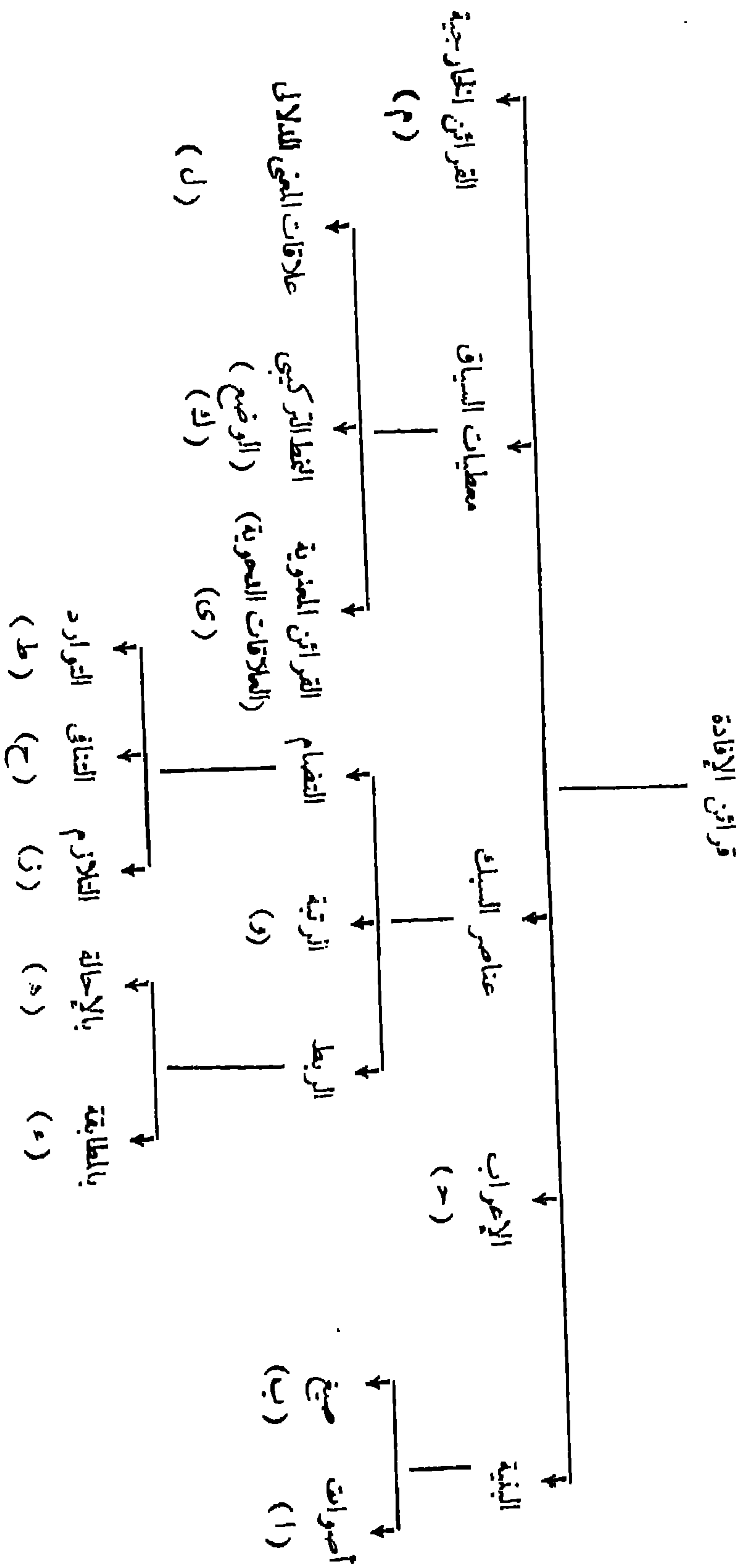
وقد جاء ضعف السبك هنا للأسباب التالية :

١ - الفصل بأجنبي بين المبتدأ (أبو أمه) والخبر (أبوه) على عكس مطالب التضام (بالوصل) .

٢ - الفصل بين الموصوف (حي) وصفته الجملة (يقاربه) على عكس مطالب التضام أيضا .

٣ - تأخير المستثنى منه (حي) على المستثنى (مملك) على عكس مطالب الرتبة . لكل هذا ضعف السبك وتعثرت الإفادة فاحتاج فهم البيت إلى إيمان التأمل .

بعد هذه المقدمة التي أرجو أن يكون مفهوم الإفادة قد اتضح بها أود أن أعرض تخطيطا يكشف عن ارتباط الإفادة بالقرائن ويمكننا من نقد التعريفين السابقين للكلام المفيد .



إذ يمتنع في (إن) أن تكون نافية لثلاث
يقع البيت في التناقض ، ولا شرطية لثلاث
يقع في تحصيل الحاصل إذ لا يقال : زيد كريم
وإن كان جواداً ، فلم يبق إلا أن تكون
(إن) مخففة من الثقلية ويستقيم المعنى .

وهذه المعطيات نفسها تمنع أن يكون
قوله تعالى : « وما أعجلك عن قومك يا موسى »
تعجباً وتؤكد أنه من قبيل الاستفهام
لورود الجواب بعد ذلك ، وتمنع أيضاً
عطف الملائكة على الضمير في قوله تعالى
« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة »
وتحتم عطف الملائكة على لفظ الجلالة
لقوله بعد ذلك مباشرة : « لا إله إلا هو »
العزیز الحكيم . فعلى الرغم من ضرورة
ذلك للإفادة لم تشمل قيود الجزولي على
ما يتصل بذلك .

أما القرائن الخارجية فليست من اللغة
وإن أعانت على الإفادة أو توقفت الإفادة
عليها أحياناً . وتأتي أهميتها من ارتباطها
بالموقف الذي حدث فيه التكلم سواء أكان
هذا الارتباط تاريخياً أم جغرافياً أم اجتماعياً
الخ وقد يرد سى بن أبي طالب كرم الله
وجهه قول الخوارج : « لاحكم إلا الله »
بإرجاع العبارة إلى قرائنها الخارجية المتمثلة
في الصراع العسكري والفكري ورغبة
كل من المتصارعين في إحراز النصر على
خصمه . ففصل على بن ما اشتملت عليه

والتضام أخطر عناصر السبك : وهو
يتفرع إلى ثلاثة أفرع هي التلازم والتنافي
والتوارد . فالمتصود بالتلازم افتقار أحد
العنصرين في الكلام إلى الآخر أو اختصاصه
به وإذا ذكر النحاة « المتلازمين » فالمتصود
المفتقر وما افتقر إليه ، والمختص وما اختص
به : وأما التنافي فيتمثل في قول النحاة :
« لا يجتمع كذا وكذا » و « لا يدخل كذا
على كذا » وقولهم : « إذا انتفى شرط من
الشروط امتنع كذا » . وهكذا تدل أقوال
النحاة على أن العنصرين المذكورين متنافيان .

أما التوارد وهو الثالث من فروع التضام
فسنعود إليه بعد قليل .

يتضح مما سبق أن قيد التركيب في تعريف
الأجرمية والجزولي يتناول البنية والإعراب
وعناصر السبك وفروعها ، وأن قيد الوضع
يرمى إما إلى أصل وضع الكلمة أو إلى
نمط تركيب الجملة ولما إلى كليهما .

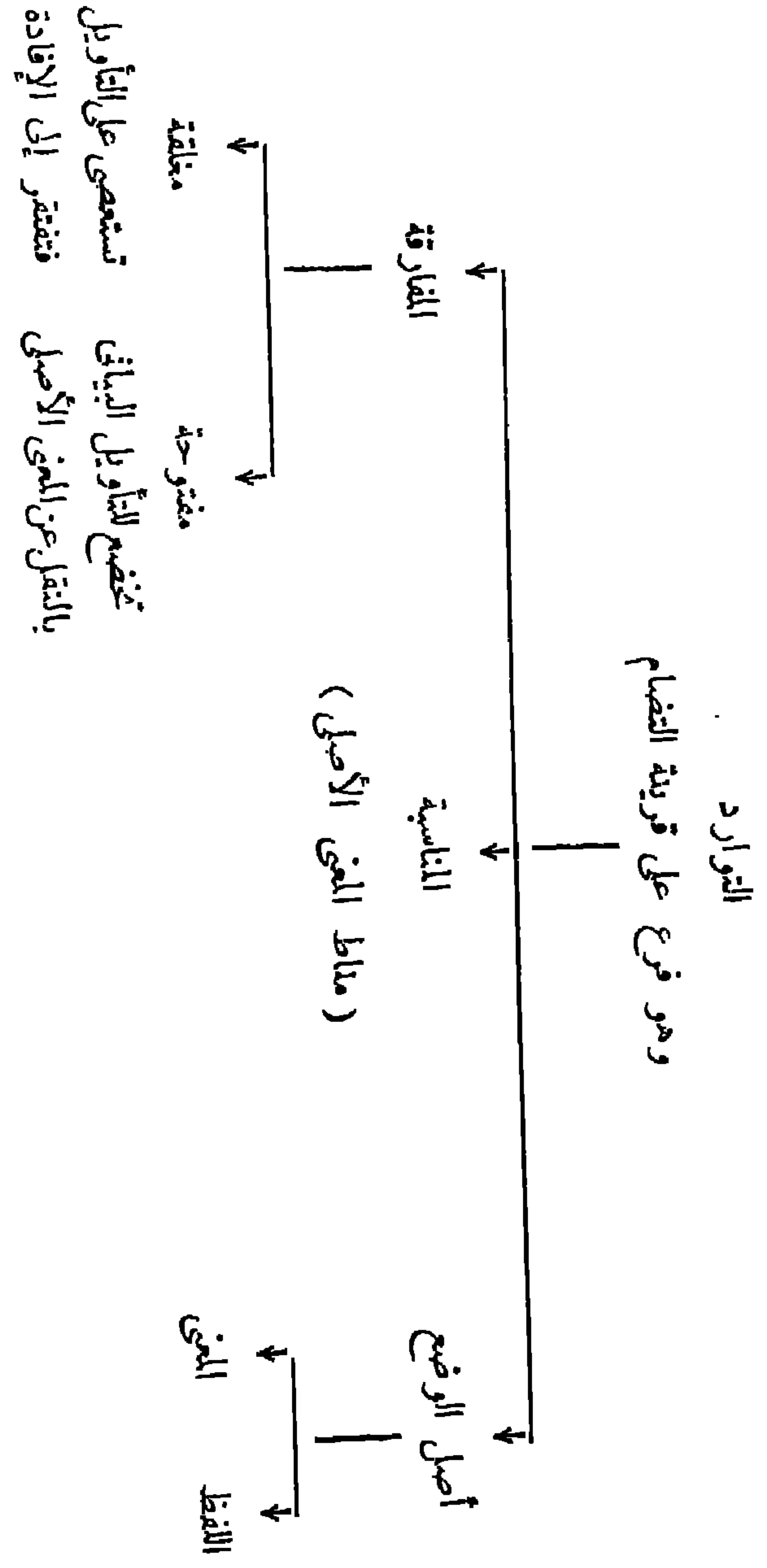
ولكنه يقصر دون شمول أمور أخرى
مما يتعلق بالتوارد ومعطيات السياق ،
كالعلاقات المعنوية من الإسناد إلى التعدية
إلى الغائية إلى الظرفية والملابسة . الخ .
وكمعطيات السياق وعلاقاته المنطقية وإشارة
بعض أجزائه إلى بعضه كما في قول
الشاعر .

أنا ابن أباة الصنيم من آل مالك
وإن مالك كانت كرام المعادز

هذه العبارة من معنى حرفي مطلق ومعنى
مقامي مقيد بظرف الصراع . فأما من حيث
معناها الحرفي فهي في رأيه ورأي خصومه
« كلمة حق » وأما معناها المقامي فقد « أريد
بها باطل » ولقد صاغ على عبارته هذه في
ضوء ما عن له من قرائن خارجية . وهكذا

أختلفت « إفادة » القول عن « إفادة » القرائن
الخارجية .

ندخل بعد ذلك إلى الرابطة بين الإفادة
والعلاقات البيانية ونمهد لذلك بالتخطيط
التالي :



وظيفية عامة (وهي الحروف والضمائر ونحوها) ولا يتضح مدلولها إلا في السياق فهي غير صالحة للإفراد . والطائفة الثانية هي طائفة الكلمات المعجمية ذوات الأصل الاستثنائي والصيغة الصرفية وهي تصلح للإفراد فتدل عند الإفراد على معنى مفرد (وهي الأسماء والأوصاف والأفعال) . وهذه الطائفة الأخيرة هي التي تنسب في هذا المقال إلى « أصل الوضع » وإلى « المعنى الأصلي » أي الذي لها بأصل الوضع . ولكن هذه الكلمات قد يكون لها معاني أخرى ليست بأصل الوضع جاءت بطريق التوسع :
قارن:

نصل عند هذه النقطة إلى ما أوجأناه سابقا من القول في التوارد الذي هو فرع على قرينة التضام . ولقد رأينا من قبل أن التركيب لا يمكن وصفه بأنه « عربي » إلا إذا تحقق في مفرداته أن تكون عربية بأصل الوضع وتحقق لنمطه التركيبي أن يكون ذا سبك مقبول موافق لشروط الصياغة النحوية . ومن الواضح أن النمط ينتمي إلى النحو ولكن أصل الوضع ينتمي إلى المعجم . والكلمات المعجمية طائفتان عظيمتان أولاها طائفة الكلمات التركيبية التي لاتخضع لأصل اشتقاق ولا لصيغة صرفية وتدل على معان

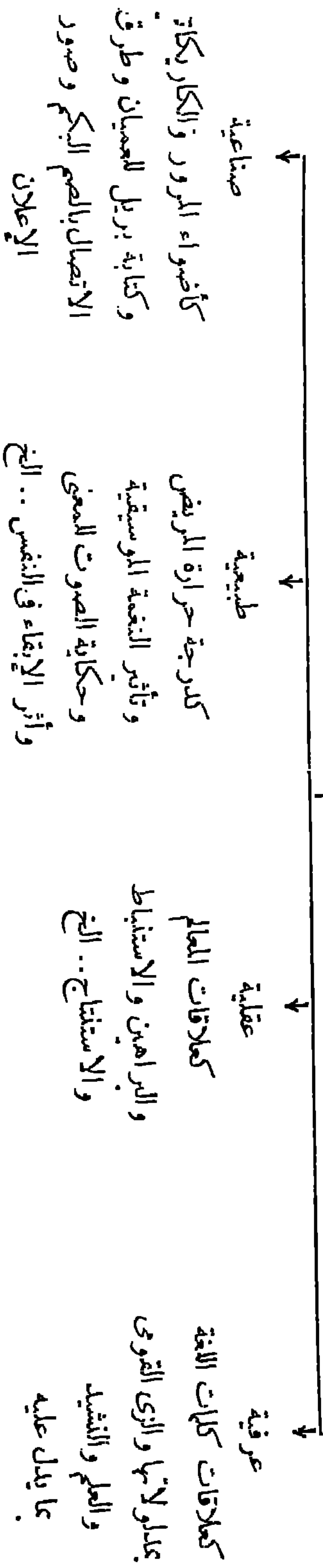
معناها	الكلمة المقصودة	التركيب
صفع	ضرب	ضرب زيد عمرا
ذكر	ضرب	ضرب الله مثلا
أقام	ضرب	ضرب لصفيفه خيمة
حدد	ضرب	ضرب له موعداً
سعى	ضرب	ضرب في الأرض
حسب	ضرب	ضرب ٦x٥
ارتبك	ضرب	ضرب أخماسا في أسداس
سك	ضرب	ضرب النقود
فرض	ضرب	ضرب عليهم ضريبة
نوع	ضرب	هذا ضرب من التخمين

وليس معنى ذلك أن الضرب مشترك لفظي ، لأن هناك فارقا بين تعدد المعنى المعجمي كما وضحته الأمثلة السابقة وبين الاشتراك اللفظي . ويتضح هذا الفارق عند إفراد اللفظ . فإن نسبت إلى اللفظ المفرد معنى أصليا واحدا ونسبت غير هذا المعنى إلى تقلبات السياق فجملة المعاني في تلك الحال من قبيل تعدد المعنى المعجمي . أما إذا تبادر إلى ذهنك عند إفراد اللفظ معنيان أو أكثر في وقت معا فذلك مشترك لفظي نشأ الاشتراك فيه إما عن طول العهد بمجاز ما بحيث أصبح اللفظ لاصقا بهذا المعنى المجازي لصوقه بمعناه الأصلي ، وإما من اختلاف معاني اللفظ الواحد باختلاف القبائل ، فحين قيده علماء الرحلة إلى البادية أثبتوا له كل المعاني المختلفة دون تمييز أو تخصيص بتبيلة ما ، وهكذا عرف المتأخرون اللفظ وله أكثر من معنى وقدوه مشتركا تبعا لما رآه علماء الرحلة .

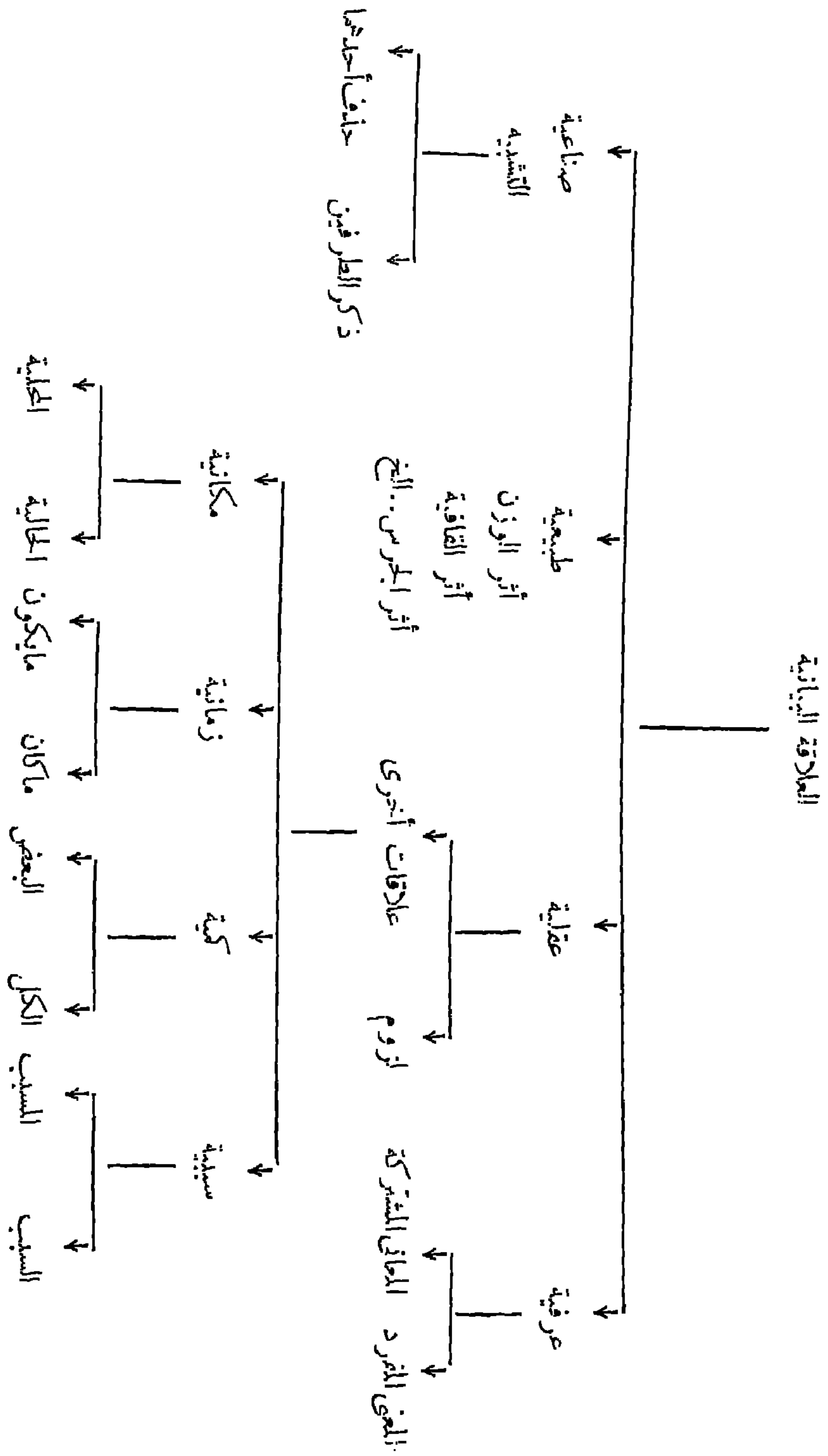
والنقطة الثانية التي تستدعي النظر هي نوع العلاقة بين الكلمة المفردة وما ينسب إليها

من معنى (وهذا هو المقصود بالعلاقات اليبانية التي في عنوان هذا المقال) . ولقد اشتغل علماء العلامات أو السمات أو كما يسمونها : « السيميولوجيا » بهذه العلاقة بين اللفظ وما ينسب إليه من معنى ، فكانت نظرتهم أوسع من النظرة اللغوية الخضة ، لأنهم نظروا في السمات أو العلاقات في جملتها أيا كانت طبيعتها (عرفية أم عقلية أم طبيعية أم صناعية) وتناولوا العلاقة بين العلامة ومعناها . ويحسن أن نشير هنا إلى أن مصطلحي العلامة والسمة من المصطلحات المستعملة في التراث العربي . فكلنا يتكلم عن « العلامات » الإعرابية وابن مالك يستعمل « السمة » في قوله عن نون الرفع : « وحذفها للنصب والحزم سمة » ولعل قرب الحروف أو اتحادها في لفظي « السمة » و « السيميولوجيا » يبرر تعريب اسم هذا العلم إلى « علم السمات » و « علم الوسم » . ولقد يكون من المجدى أن نعرض تخطيطا لمجمل أنواع العلاقات هكذا :

العلاقة بين السمة والموسم



وهذه الأنواع جميعها توجد بين الكليات ومعانيها في حدود تطبيقات علم البيان كما يبدو في التخطيط التالي :



أو (فهم السحاب) فقد أسندنا الفعل إلى غير من هو له . والعلاقة بين ألفاظ التركيب الأول (فهم التلميذ المدرس) علاقة « مناسبة معجمية » ، أما في الأمثلة الأخرى فالعلاقة « مفارقة معجمية » .

إذا رجعنا إلى ما سبق من تخطيط فكرة التوارد والتفريع عليها ألفينا المفارقة المعجمية تنفرع إلى فرعين سميتهما أحدهما « المفارقة المفتوحة » وسميها الآخر « المفارقة المغلقة » . ويلزمنا الآن أن نفرق بين نوعي المفارقة انكشف عن صلة كل منهما بموضوع هذا المقال (الإفادة والعلاقات البيانية) .

لقد سبق أن أشرنا عند الكلام عن العلاقات البيانية إلى أن العلاقة بين اللفظ ومعناه الأصلي (المعجمي) علاقة عرفية . فإذا سمع المرء لفظ « كتاب » أدرك فور سماعه ما اتفق الناس على قصده بهذا اللفظ . وكذلك الأمر بالنسبة لألفاظ أخرى مثل : بيت - رجل - امرأة - أب - أم - أخ - أخت الخ ، فلا خلاف بين الناس على فهم المقصود بكل من هذه الألفاظ . ولكن هذا المعنى المعجمي صالح أن يتعدد بسبب التوسع في استعماله . فلا يمكن تحديد معناه عند تعدده إلا بواسطة التركيب الذي هو فيه ، أي بواسطة معطيات السياق ، أو كما أحب أن أسميها : « قرينة السياق » .

والنقطة الثالثة التي تستوجب النظر في هذا الصدد هي ما يسمى باسم « الحقول المعجمية » ، وقد أشرنا عند التعليق على عبارة « غضب الهواء على ضمير التمر » إلى أن كل لفظ من ألفاظ هذا التركيب قد تعلق بغير ما هو له من الألفاظ ؛ فكان ذلك إرهابا بفكرة الحقول المعجمية .

ولقد توحى عبارة البيانيين في وصفهم لـ « جز العقل بأنه » إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير من هو له « بأن المسند إليه إما أن يكون ذا علاقة من نوع معين بالفعل أو ما في معناه ، أو لا تكون له بها علاقة . ومعنى ذلك أن ألفاظ المعجم تقع في طوائف ينسجم بعضها مع بعض في نطاق التركيب أو لا ينسجم أو بعبارة أخرى هناك ما يعرف باسم « الحقول المعجمية » . ومعنى أن يكون اللفظ في حقل معجمي معين أن يتطلب مع الألفاظ المشاركة له في الحقل نفسه شروطا خاصة فيما يرد معه في التركيب من الألفاظ . فقد يتطلب الفعل في فاعله أو مفعوله شروطا خاصة من حيث المعنى كما يتطلب ذلك كل مبتدأ فيما يخبر به عنه . فإذا تحققت هذه الشروط كان الإسناد إلى من هو له أما إذا لم تتحقق فالإسناد عندئذ إلى غير من هو له . فالفعل « فهم » مثلا يتطلب فاعلا يصح منه الفهم ومفعولا صالحا لأن يستوعبه الفهم كما في (فهم التلميذ المدرس) . فإذا قلنا (فهم الحجر) أو (فهمت الريح)

ولقد بدا هذا واضحا عندما عددنا معانى الفعل « ضرب » في تراكيب مختلفة : واستنبطنا معناه في كل حالة من قرينة سياق الكلام . وهكذا يصبح السياق عوننا على الإفادة :

وهذه العلاقة العرفية تنعدم عند المفارقة المعجمية مغلقة كانت هذه المفارقة أم مفتوحة . فأما المفارقة المغلقة فتدخل فيما أطلق عليه سيوييه مصطلح « الإحالة » : وكذلك فيما يسميه تشومسكى في أيامنا هذه : non-grammaticality . وذلك لعدم انسجام بعض ألفاظ التركيب مع البعض الآخر ، كالذى نراه في عبارة : (سأزورك بالأمس) أو (فخر عليهم السقف من تحتهم) .

وبهذا النوع من المفارقة تنفى الإفادة تماما : من حيث لا نستطيع إجراء أى مصالحة بين ألفاظ التركيب بأى نوع من أنواع التأويل .

نصل عند هذه النقطة إلى ما أطلقنا عليه : المفارقة المعجمية المفتوحة ، لنرى كيف تتحقق الإفادة على رغم المفارقة بين ألفاظ التركيب : وإذا كانت المناسبة المعجمية تفرض التقاء المعنى الأصلي ذى العلاقة العرفية بمعنى لفظ آخر ، فإن هذا الالتقاء يمكن التعبير عنه بأن أحد اللفظين قد أسند إلى من هوله . فإذا قلنا : قرأ زيد الصحيفة ، فلا اعتراض على وقوع القراءة من زيد ولا على وقوعها على ما اشتتات عليه الصحيفة ؛ لأن من شأن زيد أن يتعلم القراءة فيحلقها .

ومن شأن الصحيفة أن تشتمل على نص يقرأ . وهكذا تتحقق المناسبة المعجمية بين الألفاظ الثلاثة التى تكونت منها الجملة . فما الذى يحدث لو أردنا أن نحول هذه الجملة إلى صورة أخرى مثل : قرأ زيد أفكار عمرو ، ثم قصدنا بالأفكار ما يدور في خلد عمرو من تأمل وتدبير ؟ من الواضح عندئذ أن أفكار عمرو ليست مكتوبة فتقرأ : وإذا كان الأمر كذلك فإن بين لفظي « القراءة » و « الأفكار » مفارقة معجمية مفتوحة تستدعى التأويل . وإنما استدعت التأويل لأننا لم نجد فيها ما يدعو إلى المسارعة بالرفض بتهمة الإحالة كما فعلنا بتركيب : غضب الهواء على ضمير القمر . أما كيف يتم التأويل في هذه الحالة بالذات فذلك بأن نستبدل بالعلاقة العرفية بين « قرأ » ومعناها الذى يفهم منها على مستوى المعجم علاقة أخرى صناعية فردية غير عرفية ينشئها المتكلم ولا يفهمها السامع إلا بقرينة ترصد للدلالة على إرادتها دون غيرها . تلك هى مانعرفه باسم علاقة المشابهة . ويمكن إيضاح ذلك على النحو التالى :

شبه المتكلم مطلق التبيين بالقراءة التى هى تبيين من نوع خاص : ثم حذف المشبه (مطلق التبيين) وأقام المشبه به مقامه . ثم اشتق من القراءة « قرأ » بمعنى « تبيين » على طريقة الاستعارة التبعية وقرينة إرادة الحجاز ما يترتب على إرادة الحقيقة من مفارقة بين لفظي « قرأ » و « الأفكار » .

ولكن العلاقة البديلة ليست صناعية دائما . بل إنها تكون عقلية في بعض الأحوال كما في الكناية والحجاز المرسل . هذه العلاقة العقلية يدركها العقل بحكم تكوينه ، لأنها من قبيل البديهيات . فإذا قلنا : « فلان كثير الرماد » كان على الذهن أن يجيب على سؤال **ضمنى** وارد هو : لم كثر الرماد ؟ عندئذ يكون الجواب : لكثرة الإحراق . فيرد على الذهن سؤال آخر : ولم كثر الإحراق ؟ والجواب أنه كثر ضرورة كثرة الطبخ . فينتقل الذهن إلى سؤال غيره : ولم كثر الطبخ ؟ والجواب : لكثرة الآكلين . وأخيرا يرد سؤال يقول : ولم كثر الآكلون ؟ والجواب : لأن فلانا وسعهم بكرمه ، فهو كريم . فإذا عبرنا عن علاقة اللزوم برموز السهام هكذا (←) حصلنا على الصورة الآتية :

كثرة الرماد ← كثرة الإحراق ←
كثرة الطبخ ← كثرة الآكلين ← الكرم
ولكن المرء يفضل دائما أن يضع المسألة في صورة معادلة طرفها الأول كل حالات اللزوم بالتفصيل السابق وطرفها الثاني **(أى بعد علامة =)** هو : كثير الرماد ← كريم . وهكذا تختصر معادلة اللزوم فيقال : « كثير الرماد أى كريم » . على أن ذلك إنما هو أقوى الاحتمالين في الكناية . أما الاحتمال الآخر فهو إرادة المعنى الأصلي (القريب) فيتحول المعنى إلى نطاق الحقيقة ويخرج من مجال الكناية ، وإدراك علاقة

اللزوم لا يفتقر إلى قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي وسبب ذلك أن علاقة اللزوم عقلية والعلاقات العقلية مستغنية بنفسها عن القرائن . وإذا كان تحقق الإفادة هنا بالعقل (لا بالوضع) فقد حق لنا أن نعترض على إطلاق قول الجزولى : « المفيد بالوضع » .

وكذلك الحال بالنسبة إلى علاقات الحجاز المرسل . فهى إما غائبة (سببية أو مسببية) وإما كمية (كاية أو بعضية) وإما زمانية (ماكان أو ما يكون) وإما مكانية (حالية أو محلية) . ومعنى أن هذه العلاقات عقلية أنها يمكن ردها إلى المقولات العشر المنطقية التى هى جزء من تركيب العقل . فالغائية يمكن ردها إلى مقولة « الإضافة » والكمية إلى مقولة (الكم) والزمانية إلى مقولة (الزمان) والمكانية إلى مقولة (المكان) . وهنا أيضا نعترض على عبارة : « المفيد بالوضع » .

ومع أن العلاقات العقلية تدرك دون حاجة إلى قرينة صارفة عن إرادة العلاقة العرفية (وقد مضت الإشارة إلى ذلك عند الكلام عن علاقة اللزوم ، نجد العلاقات فى الحجاز المرسل مدعومة على نحو ما بواسطة « المفارقة المعجمية المفتوحة » كما لو كانت هذه العلاقة صناعية . فإذا قلنا مثلا : « بنى الأمير المدينة » فليس من المقبول أن يشمر الأمير عن ساعديه فى بناء المدينة (وهذه هى المفارقة بين « بنى » و « الأمير ») ولكن المتبادر إلى الذهن أن

يأمر الأمير عماله ببئناها (وهذه هي العلاقة العقلية أو علاقة السببية) . وإذا قلنا للسند التي تعتمد على تحلية ماء البحر : « إن الناس شربوا ماء البحر » فلا يتصور من الناس أنهم استنفدوا ماء البحر (وتلك هي نقطة المفارقة) ولكنهم شربوا بعضه (وتلك هي العلاقة) . وإذا قلنا اطاب الطب : « يادكتور » فنحن نعلم أنه غير حامل لهذا اللقب (وتلك هي المفارقة) ولكننا نأمل أن يحصل على اللقب في المستقبل (وتلك هي العلاقة) . وإذا قلناه إن القصر العيني يقدم العلاج بالخجان « فالقصر بناء من أحجار لا يقدم علاجاً (وهذه هي المفارقة) وإنما يقدمه الأطباء الذين يتخذون من القصر مقراً لعملهم (وتلك هي العلاقة) . كل هذه المفارقات المعجمية واضحة في الذهن ترفد العلاقات العقلية وتجعلها أسرع إلى الفهم ، وإن كانت العلاقات العقلية كما سبقت الإشارة ليست بحاجة إلى قرينة .

والملاحظ الاعتراف للفظ بمعنيين أحدهما قريب والآخر بعيد وإنما يكون في موضعين أحدهما الكناية والآخر التورية . فإذا قلنا : فلان مبسوط الكف فذلك كناية عن كرم فلان ، أما إذا أردنا بالكف « المنع » فإن العبارة تتحول إلى تورية عن البخل . والفرق بين الحالتين :

١ - أن لفظ الكف في الكناية قصد به راحة اليد لا غير . أما مع التورية فقد تحول إلى مشترك لفظي يمكن أن يراد به راحة اليد أو المنع .

٢ - أن الكناية تقوم على نسبة البسط إلى الكف (بواسطة التركيب الإضافي) وأن التورية تقوم على لفظ « الكف » فقط مع إمكان استبدال لفظ آخر بلفظ مبسوط مثل « طويل » مثلاً .

٣ - أن الكناية يحكمها اللزوم العقلي فلا تحتاج إلى قرينة ولكن التورية يحكمها الاشتراك اللفظي ومن ثم تفتقر إلى القرينة .

نخرج مما تقدم بالحقائق الآتية :

أولاً : أن تعريف الإفادة عند النحاة ليس جامعاً ولا مانعاً لأنه يربط الإفادة بعناصر غير عناصرها الحقيقية .

ثانياً : أن الإفادة لا تعتمد على « الوضع » فقط (أيا كان معنى الوضع) وإنما ترتبط بظواهر معجمية كالمناسبة والمفارقة لم ينتبه لها المتقدمون .

ثالثاً : أن الإفادة ذات درجات منها :

(أ) امتناعها بامتناع اللفظ نحو :

(على وقف الأمر زيد حلية) .

(ب) امتناعها بامتناع أصل الوضع نحو :

(حنكف الجعبور بقعاصة الكلابيص النقيفانة) .

(ج) امتناعها بسبب المفارقة المغلقة نحو :

(غضب الهواء علي ضحير القسر) .

(د) نقصها دون امتناع بسبب رداءة السبك
نحو:

وما مثله في الناس إلا مملك

أبو أمه حتى أبوه يقاربه

ويقول الشاعر :

لن ما رأيت أبا يزيد مقاتلا

أدع القتال وأترك الهيجاء

للفصل بين (لن) و (أدع) بتركيب
مصدرى ظرفي ولأن (لن ما) تسمع على
صورة (لمتا) :

رابعاً : أن الإفادة يمكن أن تتم بغير المعنى
الأصلي (الذي بأصل الوضع) للكلمات :

(أ) إما بواسطة علاقة عقابية لا تتطلب قرينة
كما في الكناية .

(ب) وإما بواسطة علاقة صناعية (المشابهة)
تعتمد على قرينة تحل مشكلة اشتغال
التركيب على مفارقة معجمية مفتوحة ،
أو تحول بين التركيب وبين اللبس .

إذا أخذنا في الحسبان كل ذلك أمكننا أن
نقول مع ابن مالك : « كلامنا لفظ مفيد »
أما إذا غفلنا عن هذه الأمور فإن الإفادة قد
لا تتحقق في الكلام .

والله ولي التوفيق .

تمام حسان

عضو المجمع



في التركيب اللغوي

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

(١)

معرفة مواقع المفردات في التراكيب وترتيب المفردات في الجملة العربية ترتيباً يجوز تقديم الكلمات وتأخيرها في المواقع المختلفة ، كما أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها كما يقول ابن الأثير (٢) ، لأن التركيب أعسر وأشق ، ألا ترى أن ألفاظ القرآن الكريم - من حيث انفرادها - قد استعملتها العرب ومن بعدهم ، ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه ؟ وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب ، وهذا يتفق وما قاله المحدثون من أن شخصية اللغة تكمن في تراكيبها ، وطرق وصف كلماتها في جمل ، وهذا أمر يوصف بالثبات والرسوخ (٤) ، يؤكد ما جاء في

يجد الباحثون كثيراً من النصوص اللغوية مبنوثة في كتب التراث النحوي واللغوي والبلاغي والأصولي والفقهية وكلها تؤكد عناية العربي بالتركيب وتحليلاته واستكناه أسرارها للغوص وراء أعماقه ، من ذلك ما ذكره ابن جني (١) «من أن حال الوصل أعلى رتبة من حال المقف ، وذلك أن الكلام إنما وضع لفائدة ، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة ، وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول» كما أن الاسم لا يستحق الإعراب إلا إذا ركب مع غيره ، وهذا معنى قول بهاء الدين بن النحاس من أن الأعراب دخل الأسماء لطريان المعاني عليها عند التركيب (٢) ، ويرتبط بالحالة الإعرابية

(١) الخصائص : ٢٣١/٢

(٢) الأشباه والنظائر ١٥٥/٢ فما بعدها . حيدر آباد ١٣١٦ / ١٣١٧ هـ .

(٣) المثل السائر : ٢١٣/١ مكتبة النهضة . القاهرة .

(٤) التركيب ومدى عناية اللغويين العرب بدراسته : اللسان العربي ١٠٨ مقال د. محمود عبد السلام شرف الدين :

عام ١٩٧٦ ، ط. أولى .

كتابات اللغويين الأوربيين من قولهم :
الإنسان ينسج جملا ، أو قولهم : إن
معنى (خيط) الكلمات ليس في حدّ
ذاتها ، ولكن في تراكيبها في جمل (١)

ولهذا أطلق المعاصرون على التركيب
مصطلح (النسج) وعلى مفرداته لفظة
(خيوط) كذلك أطلق على التركيب
(التصرف) و(النظم) (٢) و(التأليف)
و(الترتيب) و(الترصيف) و(التعليق) (٣) .
ومن مظاهر التركيب: الحذف والذكر
والتقديم و التأخير والقصر وأساليب
التعجب والمطابقة وترتيب المواقع بين
الأجزاء داخل الجملة وهو ما عرف
باسم (الرتبة) وهي : مالا ينبغي
مخالفتها وتسمى (الرتبة المحفوظة) أو
ما يكمن مخالفتها وتسمى (الرتبة غير
المحفوظة) وفيها يتمثل قواعد النظام
النحوي ، وأي خروج عنه يؤدي إلى عدم
الصحة نحويا .

وكما تحدث علماء العربية عن نظام

الجملة : أجزائها وترتيب هذه الأجزاء ،
مما رتبته التأخير ، كما أن التقديم قد
يكون بالنسبة لأجزاء معينة ، كذلك
تحدثوا عن (التضام) والأجزاء التي
تتلازم فلا يجوز الفصل بينها ، وما
يمكن أن يفصل ، كما حددوا ما يكون
أساسيا من أجزاء الجملة وما يكون
ثانويا يستغنى عنه ، وعن قواعد الحذف
والأجزاء التي يجوز حذفها ، وتلك التي
لا يجوز ، وشروط هذا الحذف (٤) ،
ومعنى ما سبق أن التراكيب صورت
مجالا تعبيريا واسعا ، فبعضها كان في
الأمر والنهي وبعضها في الخبر ، فهي
قد مثلت الأسلوب العربي كاملا غير
منقوص ، كما أن قوانينها في التركيب
تعرضت للتجاوز في المباحث اللغوية
والبلاغية ، فحوّل كل من ضمير المتكلم
والمخاطب والغائب إلى سواه ، وعبر بكل
منها عما كان يجب أن يعبر عنه بغيره ،
كما حلّ المفرد والمثنى والجمع كل محلّ

(١) المرجع السابق .

(٢) استعمال عبد القاهر

(٣) استعمال سيبويه . انظر : الكتاب ٦/١ فما بعدها . ط. بولاق .

وانظر مقالي (علامات الإعراب بين النظر والتطبيق) مجلة معهد اللغة بمكة المكرمة عدد : ١٤٠٣/٢ هـ / ١٩٨٤
(٤) مجلة معهد اللغة بمكة المكرمة عدد ١٤٠٤/٢ بحث للدكتور عبد الحكيم راضي .

الأخر ، وخطوب كلّ بما يستحقه غيره ،
كما جاء خبر المذكر وصفته مؤنثين ،
وبالعكس جاء خبر المؤنث وصفته
مذكرين ، وعدّ ذلك من شجاعة العربية ،
كما أن التركيب يمكن أن يتجاوز بهذه
الانحرافات حدود اللغة القياسية ليدخل
في حدود لغة القبائل العربية ، وقد ظهر
مصطلحات تشير إلى ذلك مثل مصطلح
(العدول) أو (الحمل على المعنى) أو
(الخروج على خلاف مقتضى الظاهر)
ومعنى هذا : عدول هذه التراكيب عن
(معتاد حالها) ومخالفة وجه الاستعمال
المطرد فيها .

ومن الذين تناولوا الأسلوب من
وجهة نظر تحويلية : ريتشارد أهمان
P.ohman حيث ذهب إلى أن من
الإمكانات التي يمكن أن يقدمها النحو
التوليدي لدراسة الأسلوب ما ذهب إليه
من تصويره لمستويين من تحقق اللغة
هما : البنية التركيبية السطحية والبنية
العميقة ؛ وأنه في ضوء هذا الإطار

(١) المرجع السابق .

(٢) الإعراب والتركيب : ص ٢٦٦ وص (ف) من المقدمة . د. محمود شرف الدين ، ط. أولى

النظري يمكن القول بأن استغلال الكاتب
لأنواع بعينها من التحويلات .. هذا
الاستغلال يشكل أسلوبه التركيبي حيث
يكون في مقدوره مع وجود عدد من
القوالب التحويلية المتاحة للتعبير عن بنية
عميقة ما - أن يفضل قوالب بعينها على
قوالب أخرى (١) ، وهذه التراكيب وإن
بدت متباعدة سطحا ، فإنها متقاربة
عمقا ، لأن هناك خيطا داخليا يربط
بينها حتى إنه يمكن الحديث عن نصب
وجرّ لشيء واحد ، أو عن تركيب اسمي
فعلى معا (٢) ، لأن العبرة للمعنى ، وإذا
تغيرت الأشكال فالبنية العميقة ثابتة
مما يجعل بين السطح والعمق مودة
ورحمة ونسباً وقربى ، وذلك يحقق
التلوين التركيبي والتنوع الأدائي ، وهذا
يعود إلى ما بين التراكيب من غنى في
البدائل والمواقع والمقابلات مما يسهل
عملية التحول حتى يصل بك في النهاية
إلى روح التركيب وعمقه .

ومن الظواهر التي تتعلق بتقوية

التركيب وهي من داخل التركيب :
«التعريف» ويكون بالعلمية أو الموصول أو
الإشارة أو الإضافة. «والتنكير» وقد
يكون للتعظيم أو التكثر.

و«التكرير» سواء أكان تكريراً للفظ
أم كان تكريراً للمعنى ، ويدخل في
تكرير الجملة ما يستفاد من أسلوب
القصر ؛ لأن المنفي فيه يتضمن إثبات
مقابله . كما أن المثبت فيه يتضمن نفي
مقابله ، فقول العباس بن الأحنف :

أنا لم أرزق مودتكم

إنما للعبد ما رزقا

قوله : إنما للعبد ما رزقا جملة
واحدة تفيد معنى جملتين : الأولى مثبتة
«للعبد ما رزقا» والأخرى منفية «ليس
للعبد ما لم يرزقه» .

«والزيادة»^(١) وتشمل : إضافة
المؤكدات إلى الجمل والاعتراض والإيغال
، والتتميم .

«والعدول عن الأصل» كوضع
الإنشاء موضع الخبر ، ومن أغراضه
إظهار العناية بالشيء كقوله تعالى : (قل
أمر ربّي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند
كل مسجد» الأعراف ١٩ ، لم يقل :
وإقامة وجوهكم ، إشعاراً بالعناية بأمر
الصلاة لعظم شأنها .

«والصمت» ويعدّ زمن الصمت جزءاً

من صوت اللحن ، ولا يقلّ أهمية عن
غيره في التركيب تعبيراً أو تأثيراً .

ففي قول الحق : «كلاً إذا بلغت
التراقي وقيل من»^(٢) . راق «فالقرآن يصور
مشهد الاحتضار ، وحين تبلغ الروح

(١) وقد تكون الزيادة أو الإضافة - جزءاً من الوزن أو اللحن الموسيقي وتلعب دوراً في الأداء معنى ومبنى لا يقل
عن دور الكلمات ، وفي قصة يوسف آية ٩٦ : «فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً» ف (أن)
ضرورية وهي جزء من التركيب وأداة في التصوير إلى جانب الإيقاع الذي يصور نوعاً من القلق الذي يعيشه
الأب ، كما أن وجودها يمنح العبارة امتداداً في الزمان والمكان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه
إلى أبيه، ولو قرأنا التركيب من غير (أن) لأحسنا نوعاً من الكسر واضطراباً في النغم وتلاشي في الإيقاع
المتوازن بين المدات الثلاث المتعاقبة وهي (لما ، جاء ، ألقاه) فهي جزء لا يتفصل عن التركيب وسلامة أدائه ،
وذلك على الرغم من قول النحاة . بأنها زائدة (انظر : مجلة التراث العربي عدد: إبريل - يوليو ١٩٨٤ قواعد
تشكل النغم د، نعيم اليافي).

(٢) القيامة ٢٦ و ٢٧ .

التراقي يكون النزح الأخير ، عندها يشعر الإنسان بالغصّة ، والغصّة عقبة أمام الصوت ، وقفة وسكّنة ، فكان لابد من لحظة صمت ، واللحن يعزف والنغمة تنساب ، فالصمت لحاجة معنوية وحاجة إيقاعية في التركيب ، سكّنة في المشهد واللحن تعبر عن الحقيقة والواقع (١) .

ومن المؤسف حقا أن الباحث لا يملك نصوصا للهجّات العربية القديمة على مستوى التركيب ، لأن الزمن قد ضنّ بها ، وضاعت في غيابات التاريخ ، ودراستنا لها - والتي أقوم بها الآن - هي من خلال النصوص في اللغة الفصحى ، ولا أستطيع أن أضع يدي على الأساليب نفسها التي كان يصطنعها هؤلاء في لهجاتهم اليومية ؛ لأن ما وصلنا منها ما هو إلا مجرد ألفاظ وكلمات - يصفها اللغويون بأنها لهجة لتميم أو لقيس أو الحجاز ... ولم يحتفظ لنا الرواة بوصف دقيق لهذه

(١) مجلة التراث العربي " السابق .

اللهجات ، وإنما الأمر لا يزيد عن نتف قليلة نلتمسها هنا وهناك في كتبهم ومصادرهم لا تهدي الباحث ولا تروي غلته (٢) - ولهذا كله كانت دراستنا لها مبنية على التخمين والاستنتاج ولكننا قوينا هذا التخمين في دراسة هذه اللهجات - بدراسة الفصحى النموذجية ، فإنها كانت معوانا طالما أنار الطريق في شكوك البحث ومشكلاته ، وقد لمحنا فيها انعكاسا للغات العرب إذ ذاك ، وهذه اللمحات اللهجية قليلة فيها ، لأن لغتها هي الفصحى النموذجية ، تلك التي طغت على جميع اللهجات ، وأصبحت مثلا أعلى للاحتذاء بها ، ومع كل هذا لا يستطيع الباحث أن يعيد بناء أسلوب كامل للهجة من اللهجات القديمة على مستوى التركيب ، وما وصلنا من أساليبها - على ضحالتها - لم يأت بأسلوب العربي الشعبي ، وإنما صيغ وركّب على أيدي النحاة العرب من مثل

(٢) ولهذا يرى ركندورف Ruckendorf في مقدمة كتابه عن العلاقات النحوية في اللغة العربية الفصحى - أن دراسة هذا الجانب من المهام الملحة التي ينبغي أن ينهض به النحاة واللغويون المعاصرون ، الفصحى ولهجاتها ص ١٧٧ ، د. البركاوي

قولهم «أما علما فعالم» أو «أما علم
«فعالم» على لسان الحجاز وتميم ،
فعرابية لهجات القبائل لم تصلنا كما
يتكلمها أهلها ، بل وصلتنا وهي في
طريق تلاشيها تتعاقب عليها الصيغ
والتراكيب والأساليب بسرعة لكي تنصهر
في الفصحى .

وكم كنت أحب أن تكون هذه
التراكيب منطوقة أو مسجلة - لا مكتوبة
- لأن الكتابة ضيقت سمات هذه
اللهجات وأخفت الكثير من نتواتها ، ولو
تيسر ذلك لخاض البحث في أمور كان
لا بد من دراستها و الكشف عنها وذلك
مثل : القواعد العامة التي تشكل النظام
الأساسي للتراكيب عند القبائل ،
كتركيب الجملة الاسمية والفعلية
والمضاف والمضاف إليه .. ونسبة
التراكيب المعبرة عن الحدث بالتراكيب
المعبرة عن الصفات ، واختلاف التركيب
عند الصبيان والشباب والشيوخ
والنساء ، واختلافه كذلك في اللغة

المنطوقة عنه في اللغة المكتوبة ، كما
تكشف التراكيب عن الكثير من المميزات
المزاجية لأصحابها سواء أكانوا بدوا أم
حضرا ، حتى يمكن من خلال التركيب
أن نحدد الشخصية . وصدق أحد النقاد
حين قال « إن الأسلوب هو الرجل
نفسه » .

كما أن أكثر نصوص التراكيب
اللغوية التي جاعتنا عن القبائل وردت
بعيدة عن صلتها بالمتكلمين والسامعين ،
وذلك فقدت دلالتها بفقدان النص الحي ،
وخطر وجود هذه الأشكال التركيبية
منعزبة عن السياق أدى إلى تفسيرات
متعسفة ، من ذلك قولهم :

١ - ما أغفله عنك ! شيئا .

قالوا إنه مثل يضرب للشديد
الغفلة^(١)، إذ المعنى : انظر . أو تفكر
شيئا ، لكنه حذف للكثرة ، وقال
السيرافي على سيبويه^(٢) : ما فسره من
مضى إلى أن مات المبرد ، وفسره
الزجاج فقال : معناه على كلام قد تقدم

(١) المستقصى في أمثال العرب ٣١٣/٢ للزمخشري ، ط. حيد رآباد ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .

(٢) ١٢٩/٢ تحقيق : هارون .

كأن قائلاً قال : زيد ليس بغافل عني ،
فقال المجيب: بل ما أغفله عنك ! وأراد
أن يبعثه على أن يعرف صحة كلامه ،
فقال : انظر شيئاً - فإنك تعرف ما أقول
لك ، كما تقول : انظر قليلاً وتفكر شيئاً
أي : تفكر قليلاً (١) .

وفي اللسان (٢) : وقال بكر المازني :
سألت أبا زيد والأصمعي وأبا مالك
والأخفش عن هذا الحرف فقالوا جميعاً :
ما ندري ما هو ، وقال الأخفش : أنا
منذ خلقت أسأل عن هذا (٣) .

٢ - وفي جمهرة الأمثال لأبي هلال
العسكري (٤) يقول في شرح «بعين ما
أريئكَ» إن معناه : أعجل ، وهو من
الكلام الذي قد عرف معناه سماعاً من
غير أن يدل عليه لفظه ، وهذا يؤكد أن
لغة العرب لم ترد علينا بكما لها ، وأن
فيها أشياء غابت أو غامت حتى عن

العلماء و الرواة .

وهذه التراكيب ذات العبارة
المحذوفة أو المقدرة هي من قبيل اللغة
الانفعالية التي تعتمد على القرائن ، فإذا
غابت القرينة غاب المعنى أو غام في
التركيب ، ومن القرائن التي تحدد
المعنى: الترقيم في اللغة المنطوقة
والترقيم في اللغة المكتوبة .

٣ - ورد في التكملة والذيل (٥) . أن
أبا الهميسع - وهو من أعراب مدين -
كانوا لا يكادون يفهمون كلامه .

٤ - ويروى عنهم «دُه درين سعد
القين» ورواية أخرى «دُهدرين وطرطبين»
وهو مثل لمن يأتي الباطل استهزاء به ،
ويقول عنه أبو هلال العسكري (٦) : إنه
كلمة لا معنى لها ، كما أن الأصمعي لا
يعرف أصله ، واختلف الرواة في حكاية
لفظ المثل فيرويه (٧) ابن العلاء كما سبق

(١) أنظر الأمالي الشجرية : ٢١٢/٢ .

(٢) مادة (عقل)

(٣) أنظر : شرح لباب الإعراب للفاي ، مخطوط بدار الكتب المصرية : ١٥١ .

(٤) ٢٣٦/١ .

(٥) للصغاني : ٢٢٧، ٤ .

(٦) جمهرة الامثال : ١ / ٢٩٥ .

(٧) أنظر : كتاب الأمثال ٨٢ لأبي عبيد . تحقيق د. قطامش . ط ١ .

ويرجع ذلك إلى أن في اللغة تراكيب
مفرقة في القدم لم تجر استعمالها في
عصر النحاة ، وإنما أخذت من شواهد
قديمة جاهلية ، ولكنها رزقت طول العمر
حيث صادفها النحاة في زوايا النسيان ،
زد على ذلك أن هذه الشواهد وغيرها
جاءت مكتوبة ، والكتابة لا تظهر
الخلافاً اللهجية غالباً كما كان ينطقها
أهلها ، ولهذا كثيراً ما يقع سوء الفهم
واللبس في اللهجات على عاتق الكتابة ،
ومثلها في ذلك مثل الشعر حيث يختفي
فيه كثير من الميول اللهجية ، لأن الشعر
نظم باللغة الأدبية وإذا تأثر الشاعر
بلغته فإن هذا التأثير يكون محدوداً جداً ،
أما الرجز فإنه يصور لهجة القبيلة
بأمانة؛ لأنه يعتمد على الارتجال فهو
أقرب إلى السليقة من غيره ، وعلى أي

ويقول : نصبوا دهرين بإضمار فعل
ينصبه ، وتركوا تنوين سعد استخفافاً .
ورواه أبو عبيدة «دهدرين وسعد القين»
بالواو ونصب سعد القين .

ورواه آخرون «دهدري سعد القين»
بالقصر وبغير نون الإثنين ، ورواه ابن
اسكبت «دهدرين ساعد القين» ورواه أبو
زياد الكلابي^(١) «دهدرية سعد القين»
بالهاء وربما كان هذا التركيب لهجة
حجازية بائدة ، وكان للحجاز لهجات
ضاعت لا نعرف عنها شيئاً يذكر ، وهي
تمثل مرحلة سابقة على الطور الأدبي^(٢) .
ولهذا نجد كثيراً من الأساليب
يختلف حولها النحاة : أترفع أو تجزم ،
حيث يقدرون ويوجهون ويعلون
ويحذفون^(٣) ، ولو درست التراكيب
متصلة بسياقها لما وقع ما وقع من
خلاف بين علماء العربية^(٤) .

(١) وانظر روايات كثيرة لهذا المثل في . الدرر الفاخرة ٥٠٦/٢ فما بعدها ، حمزة الأصبهاني ، تحقيق د. قطامش ، دار المعارف مصر .

(٢) الأمثال في النثر العربي القديم ٦٧ د. عبد المجيد عابدين . دار مصر للطباعة ط ١ .

(٣) الكتاب ٩٦/٣ هارون وانظر الحذف في المثل العربي د. عبد الفتاح الحموز . ط عمان .

(٤) الكتاب ٣ / ١٩٨٢ .

حال فالجانب التركيبي في لغات القبائل
معقد(١) ، ومن الصعب فهمه والوقوف
عليه بالتفصيل ، لأننا لم نعش في جوه
وبيئته ، بعكس الجوانب الأخرى
كالجانب الصوتي أو الصرفي فإننا

نستطيع أن نلمس التغيير في أطوار
حياته، بل نقيس ذلك بالأجهزة العلمية
والمختبرات، كما أنه أقل ارتباطا بالمعنى،
ولهذا كان أيسر من فهم التركيب الذي
يعتمد على المعنى كما سبق .

(١) لمن يتصدى لدراسة التركيب عند القبائل أن يكون على علم بالعرب وأحوال مجتمعاتها وظعننها وإقامتها
ومياها وجبالها ، وتهاثمها وأنجادها ، وبدوها وحضرها ، وجميع ما في بيئاتهم الطبيعية ، لأن التراكيب
كثيرا ما تحمل إشارات تشير إلى ذلك ، كما تعتمد على عناصر تراثية مثل : سفينة نوح ، وكتب أصحاب
الكهف ، وصبر أيوب بمعنى شدة الاحتمال ، وكنز قارون ، وقميص عثمان بمعنى التعلل بالأسباب ، وشعرة
معاوية بمعنى الكياسة في المعاملة ، وجزاء سنما، يعنى الغدر ، أو على عناصر طبيعية مثل : نقش الحجر ،
وسحابة صيف بمعنى الشيء الذي يزول سريعا ، أو على الطير مثل : بيضة الديك بمعنى الشيء النادر ، فلا بد
من الإحاطة بالبيئة التي عاش فيها هذا العربي ، لتساعد على الكشف في دلالات التركيب انظر «التعبير
الاصطلاحي ، د. كريم حسام الدين . الأنجلو المصرية . ط. أولى .

وعلى الباحث أن يعرف أن الكلمات لا تنحصر داخل المعجم والكتب وحدها ، وإنما تتفاعل خارجها وتجري
على السنة المتكلمين ، وعلى الباحث أن يلم بالاستعمالات المحظورة والمحسنة التي حلت محلها من خلال
الجانبين الاجتماعي واللغوي لدى الجماعة القبلية ، عارفا بالمجال الدلالي الخاص بحياة العرب معتقدا وعادة
وتصريحا وتعريضا ، فقد يعدل المتكلم عن النطق بكلمة في التركيب تحدث نوعا من اللبس أو الحرج إلى كلمة
أخرى محسنة ومثال ذلك : ما روى عن الخليفة المؤمن أنه كان بيده (مساويك) فسأل الحسن بن سهل : ما
هذه ؟ فقال : ضد محاسنك يا أمير المؤمنين ، وكره أن يقول : «مساويك» المحظورات اللغوية ٦٨ ، د. كريم
حسام الدين . ط. أولى .

ومن هذا القبيل ما ذكر عن الخليفة المنصور أنه كان في بستان ومعه الربيع فقال له : ما هذه الشجرة ؟
قال: شجر الوفاق يا أمير المؤمنين ، وكانت شجرة (الخلاف) فتفاعل المنصور بذلك «المرجع السابق» .

(٢)

يوغل في القدم إلى درجة يصعب - إن لم يستحل - إدراك أوليته .

فالإعراب وهو من سمات الفصحى - لم تكن تستطيعه كل العرب ، ولم يكن في متناول جميع قبائلها يوضح ذلك قول أبي العيناء (أبو عبد الله محمد بن القاسم الضرير ، ت ٢٨٢ هـ) : ما رأيت مثل الأصمعي قط ، أنشد بيتا من الشعر فاختلس الإعراب ، ثم قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : كلام العرب الدرج . وحدثني عبد الله بن سوار أن أباه قال : العرب تجتاز بالإعراب اجتيازاً . وحدثني عيسى بن عمر أن ابن أبي إسحاق قال : العرب ترفرف على الإعراف ولا تتفهيق فيه ، وسمعت يونس يقول : العرب تشام الإعراب ولا تحققه ، وسمعت الخشخاش بن الحباب يقول : العرب تقع بالإعراب وكأنها لم ترد .

وفي مجال التركيب لا يكاد يعثر المرء على دراسة واحدة للنحاة أو اللغويين تتناول بالتحديد ما كان بين لهجات القبائل من فروق تركيبية وإنما هي نتف وأمشاج تتخلل الدرس النحوي، وهذه الأمشاج وإن كانت نادرة فإنها كافية للدلالة على وجود فروق تركيبية بين لهجات القبائل من جهة ، ثم بين لهجات القبائل والفصحى من جهة أخرى ، يقول د. علي أبو المكارم (١) : يبدو مما في النحو من إشارات أن اللهجات قد خضعت لظاهرة التصرف الإعرابي ، وإن كان خضوعاً مغايراً - إلى حد ما - عن النمط الذي خضعت له اللغة الفصحى ، ويظهر هذا من الخلاف بين الأدوات (متى ، لعل ، إن النافية ، أن المصدرية ، لم الجازمة) فعملها يختلف في الفصحى عنها في لغات القبائل ، وظاهرة هذا الخلاف قديمة جداً ، ولعله

(١) الظواهر اللغوية في التراث النحوي ٤١ د . علي أبو المكارم ط. القاهرة الحديثة .

وسمعت أبا الخطاب يقول : إعراب
العرب الخطف والحذف، فتعجب كل من
حضر منه .

يقول د. محمد البنا : وهذه الرويات
المتعددة من الدرج والاجتياز والرفرفة
والمشامة والخطف والحذف (١) ، تعني
اختلاس الحركة والإسراع في أدائها
وعدم تحقيقها أو إشباعها أو إبرازها ..
فهذا أداء العرب في لغة الخطاب أو أداء
بعضهم ، أما اللغة الأدبية فهي التي
كانت تحقق الحركات الإعرابية ولا
تسرع في أدائها بل تعطي الحرف حقه
من الوفاء والكمال وهذا سمة العربية
الفصحى .

فإذا رجعنا إلى التركيب وجدناه قد
ينحرف أحيانا لعدم التطابق وأبرزه

التذكير والتأنيث ويسوق له الجاحظ(٢)
شاهدا من قول شاعر في جاريته :

أول ما أسمع منها في السحر

تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر

والسوءة السواء في ذكر القمر

ثم يليه : الترتيب ، وقد أشار ابن

جني إلى ذلك (٣) ، وسأشير إلى جانب

من أمثله :

(١) - ضرب يحيى بشري :

وهنا يلزم الترتيب من تقديم الفاعل
وتأخير المفعول ، حيث لا قرينة وانتفاء
الحركة الإعرابية ، إذ لو ظهرت لكنت
حرًا في التقديم والتأخير .

(٢) أكل يحيى كمثرى :

الفاعل هو (يحيى) تقدم أو تأخر
لوجود قرينة معنوية .

(١) الإدراج = الطي واللف فكأنك إذا وصلت الحرف فقد طويته ولم تنشره ولم تبرزه . الاجتياز = الإسراع .
الاختلاس = الأخذ في خفية . الرفرفة = حركة جناح الطائر شبه بها أداء المتكلم . والمشامة = مفاعلة من
شم، والإشمام : أن يشم الحرف الساكن حرفا ، كقولك في الضمة (هذا عمل) وتسكت ، فتجد في فيك
إشماما للام يبلغ أن يكون واوا ولا تحريكا يعتد به ، والإشمام لا تدركه الآن وإنما العين .
أنظر الخصائص ٣٢٨/٢ وسر الصناعة ٦٤/١ و٦٧-٦٨ ، والخطف = جذب ، الشيء وأخذه بسرعة .
وحذف الشيء = قطعه من طرفه . أنظر: الإعراب سمة العربية الفصحى ٢٩ هامش . د. محمد البنا .
(٢) البيان والتبيين : ٧٣/١ هارون . وكانت إذا أرادت أن تقول القمر : قالت : الكَمَر .
(٣) الخصائص : ٣٥/١ .

(٣) ضربت هذا هذه :

إلحاق تاء التأنيث قرينة لفظية على
أن الفاعل مؤنث فلك أن تقدم وأن
تؤخر.

(٤) ولدت هذه هذه :

يجوز التقديم والتأخير ، لأن حال
الأم مختلف عن حال البنت .

(٥) ضرب يحيى نفسه بشرى :

يجوز التقديم والتأخير لوجود
التابع.

فالترتيب في التراكيب كما سبق -
يراه ابن جني مرتبطاً بظهور علامة
الإعراب وبالقرائن اللفظية والمعنوية ،
لأنها تعين الموقع ، تقدم الكلام أو
تأخر فإذا لم تظهر الحركة
الإعرابية أو القرائن لفظية أو معنوية -
امتنع التقديم والتأخير .

ولما كان هدف التركيب هو المعنى ،
كان لابد من وجود عوامل مساعدة في
تحديد هذا المعنى ، وأهمها :

أ) السياق اللغوي .

ب) التنغيم .

ج) الموقف .

د) الترقيم في اللغات المكتوبة .

فتعدد معاني التركيب الواحد
أمر قائم ومحتمل في ظل انعدام
وجود السياق ، كما أن الترقيم
وهو استعمال الفواصل والإشارات
الكتابية وما شابهها - له دور في
تحديد المعنى المقصود حين تتعدد
المعاني المحتملة ، والتنغيم كذلك بما
يحمل من نبرات ولون وتثبت وإسراع
وتطعم (١) .

وإليك شاهداً مما روى أن أبا هريرة
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
من قال لا إله إلا الله فقد دخل الجنة ،
فذهب يبشر المسلمين ذات اليمين وذات
الشمال ، فلقى عمر بن الخطاب وهو
على تلك الحالة فدفعه إلى خلفه فوق
على إسنه ، فذهب إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وأخبره الخبر ، فاستحضر

(١) انظر : النبر في نطق العربية الفصحى : د/ عبد الله ربيع ، وكذلك : التزمين في نطق العربية الفصحى
د. عبدالعزیز علام . رسالتان مخطوطتان - بكلية اللغة العربية بالأزهر .

عمر وكلمه في ذلك ، فقال : « يا رسول الله : إن الناس إذا سمعوا ذلك يتكلمون ، فخلّهم يعملون » ، فاستحسن كلامه وقال: خلّهم يعملون .

فانظر إلى جملة : خلّهم يعملون ، فإنها في كلامه صلى الله عليه وسلم غيرها في كلام عمر رضى الله عنه من حيث المراد ، وإن كانت هي من حيث اللفظ (١) .

فالمعنى في التركيبين السابقين قد اختلف للاختلاف في هيئة النطق وإن كانت العبارة في التركيبين واحدة ، والاختلاف في الهيئة يكون بالشدة والرخاوة والسرعة والبطء والتفخيم والترقيق والوصل والقطع والنبس والتزمين . والمعاجم العربية وكتب التراث لم تنقل لنا الهيئات التي كان عليها العربي حين النطق ، بل لم تضع في الكتابة إشارات تدل عليها ، من هنا التبست التراكييب لعدم الوقوف على الهيئة التي صدرت من المتكلم عليها

ولهذا يقول بعض المحققين : إن نقل الأخبار في الحوادث التاريخية بالطريقة التي عليها المؤرخون لا يفيد القطع ولا يحمل على اليقين ، وإنما يفيد الظن(٢) .

وهناك عوامل مساعدة أخرى لفهم التراكييب تتجلي في :
(أ) الاختيار الدقيق .
(ب) الموقعية .
(ج) المطابقة .
(د) الإعراب .
(هـ) الأداء .

واليك بيان لبعض ما سبق .

أولاً : في قولك «صعدت علواً»
يختلف معاني المنصوب على النحو التالي :

(١) المفعول به، إذا فهمنا من المقام (تعدية) ويكون المعنى:صعدت مكاناً عالياً .

(٢) نائب المفعول المطلق . إذا فهمنا من المقام (توكيدا) والمعنى حينئذ : علوت علواً .

(١) معيزات لغات العرب ٢٤ حفني ناصف . ط٢ . ط جامعة القاهرة : ١٩٥٧ .

(٢) المرجع السابق ٣٥ .

(٣) المفعول لأجله : إذا فهمنا من المقام (سببيه) والمعنى حينئذ : صعدت لأعلو .

فالجمله السابقة واحدة ، ولكنها ، متعددة المعنى ؛ لأن لها أكثر من بنية عميقة .

ثانيا : والتنغيم له دلالة على معاني التركيب مثل كلمة : لا ، نعم ، يا سلام ، الله .. حين تقال بنغمات متعددة ، ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والإثبات لمعان مثل : الحزن والفرح والشك والتأنيب والتحقير حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عنه تباين هذه المعاني مع ما يصاحبها من قرائن حالية (١) ومن ذلك ما يقوله ابن جني : وقد حذفنا الصفة ودلت الحال عليها ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون :

ليل طويل وكأن هذا إنما حذفنا فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك . وأنت تحس هنا من نفسك إذا تأملتة ، وذلك أن تكون في مدح إنسان و الثناء عليه ، فتقول كان والله رجلا ! فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة ، وتمكن في تمطيط (اللام) وإطالة الصوت بها وعليها أي : رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك . وكذلك تقول : سألناه فوجدناه إنسانا ! وتمكن الصوت (بإنسان) وتفخمه أو نحو ذلك (٢) .

وكذلك إن ذمته بالضيق قلت : سألناه وكان إنسانا . ! وتزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك : إنسانا لئima ، أو لحزا أو ميخلا أو نحو ذلك .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٢ و ٣٥٤ د. تمام حسان .

(٢) الخصائص : ٢/٣٧٠ فما بعدها .

فالتنغيم والنبر السياقي وتعبيرات الوجه واعتبار المقام والمقال وجميعها من القرائن اللفظية أو المقالية التي تعين على تحديد دلالة التركيب ، كما أن المثال الذي أتى به ابن جني يختلف في سرعة أدائه وبطئه فهو يستغرق زمنا أطول في حالة البطء ، على حين يستغرق زمنا أقصر في حالة السرعة ، كما لوحظ أن لجملة الاستفهام نظاما خاصا للنغمات يختلف عن نظام جملة الشرط أو التقرير أو الإخبار (١) .

ثالثا : نعرف في الفصحى أن الفعل يجب إفراده دائما حتى إن كان فاعله مثنى أو مجموعا ، أما قبيلة طيء فقد روى عنها أنها كانت تلحق الفعل علامة تثنية للفاعل وعلامة جمع للفاعل

المجموع ، وتعرف هذه الظاهرة عند النحاة بلغة (أكلوني البراغيث) أو لغة (يتعاقبون) وقد أشرت إلى ذلك في ثنايا الكتاب في (التركيب) وإنما أردت هنا أن أوضح أمرين :

أولهما : أن الاستاذ سعيد الأفغاني ذكر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة قوله (٢) :

ولا تظنن سيبويه والخليل يجوزان ذلك ، ولا يقول هذا عربي عاقل البتة .

والحقيقة أن سيبويه والخليل يجوزان ذلك ، ولا يقول هذا عربي عاقل البتة ، والحقيقة أن سيبويه أشار إلى ذلك في كتابه وسمها لغة (أكلوني البراغيث) (٣) ، كما أن هذه اللغة وردت في العبرية والآرامية والحبشية ، كما

(١) النغمة تختلف باختلاف التركيب ، فالتركيب التقريري نغمته هابطة والتركيب الاستفهامي نغمته صاعدة وهناك نغمة مسطحة ، كما تختلف النغمة في الوقف عنها في الوصل (اقرأ عن النغمة المسطحة : اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ٢٢٠ - ٢٣١ واقرأ كذلك عن النغمة قرينة من قرائن التعليق ٢٢٦ من المرجع السابق .

(٢) ج ٤٨ / ٢١٧ .

(٣) انظر الكتاب ١ / ٥ ، ٣٣٦ فما بعدها .

وردت في القرآن والحديث والشعر القديم والحديث وفي لهجاتنا العامية كذلك .

أما الآخر : وهو ما قصدت إليه ، فقد لحظه د. أحمد كشك (١) حين قال : إن تفسير النحاة لهذه الظاهرة يثبت أن هناك اتصالا نطقيا بين الفعل المطابق في العدد وبين فاعله الظاهر ، على حين أن الواقع النطقي الاستعمالي في رأيي يوحى بوجود سكتة بينهما ، توحى هذه السكتة بسؤال مفهوم من المقام والمقال فحين نقول على سبيل المثال : أكلوني البراغيث . أو ظلموني الناس ، فإن هناك سكتة واردة بعد الفعلين أكلوني وظلموني ، توحى بسؤال مؤداه : مَنْ أكلك؟ مَنْ ظلمك؟

وهنا يكون الجواب استثنافا تماما مع التقدير : أكلني البراغيث ، ظلمني الناس .. والسكتة توحى بالقطع في موقف انفعالي لإنسان أحس إحساسا بالغا بالظلم ، فلم يعد باستطاعته أن

(١) أنظر كتابه من وظائف الصوت اللغوي ٩٩ ط أولى .

يرتب جملة د فعة واحدة بل قسملها لا شعوريا التقسيم الذي يوحى بتردده وانقسامه هو ، ولعل الورود الكثير لهذه الظاهرة في أسلوب الشعر المعتمد على التوتر النفسي الانفعالي يؤكد ما قلناه ، ناهيك عن أن التنغيم والضغط (النبر) على الأفعال مع ضمائها . يعطي إحياء بالتكثير في بابه .

كما أرى أن هذا التركيب يقال في سياق موقفي ، ومن أبرز عناصر السياق الموقفي عنصر الزمان والمكان .

والسباق الموقفي يساعد في تحديد المعنى حين تتعدد احتمالات معنى التركيب .

رابعا : كما قد يكون التركيب محتملا معنيين وذلك في قوله تعالى : (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَأَمَّىٰ النِّسَاءَ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) النساء

١٢٧، فيحتمل التركيب أن يكون المحذوف حرف الجر (في) أن تنكحوهن لجمالهن ، و(عن) أن تنكحوهن لدمايتهن، فيصبح المعنى محتملا للشقين معا، **ووقع فيه الغموض بسبب المحذوف الذي لا يظهر إلا في البنية العميقة**، ولكن إذا عرفنا المقام والموقف زمانا ومكانا ساعدنا في تحديد المعنى حين تتعدد الاحتمالات في التركيب ، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا جاءه وليُّ اليتيمة نظر؛ فإن كانت جميلة غنية قال : **زوجه غيرك** والتمس لها من هو خير منك، وإن كانت دميمة ولا مال لها قال : **تزوجه فأنت أحق بها**.

ولهذا اختلف الفقهاء في الحكم المستنبط من الآية (١) ، فالمعنى هو الذي يعين المحذوف في التركيب ، والعربية عندما تحذف لهدف ، **وليس الحذف في**

التركيب فوضى وإنما يقرر في ضوء موقف اجتماعي .

خامسا: وجدنا في لهجات القبائل أن تراكيبها تختلف إلى حدّ عن تراكيب الفصحى ، لأن لهجات القبائل بعيدة عن الاطراد والثبات والاستقرار، فهي تمثل عنصر التحول والتغير ، ولذلك نجد فيها التراكيب الناقصة ، والتراكيب التي عدل صاحبها عن إكمالها ، والتراكيب الذي تطوع السامع بإكمالها ، والجملة التي أغنت الإشارة عن ذكرها (٢) .

وفي غيبة السياق والنبر وهيئة النطق في لغات القبائل علينا أن نفرع إلى لغات العامة في الوطن العربي الكبير ، فإذا رأينا في لهجة قوم من العامة خصائص تركيبية تشبه خصائص لغة قبيلة من العرب ، حكمنا أولا بأن أولئك القوم ينتسبون لتلك

(١) انظر كتب التفسير : الطبري والكشاف وغيرها .

(٢) الأصول ٨٨ د. تمام . ط الدار البيضاء .

القبيلة ، وثانياً بأن هيئة نطقهم الموجودة الآن لابد أن تكون موروثاً عنهم ، وحينئذ يمكننا أن ننسب إلى المورث ما تحققناه في الوارث ، يؤكد هذا أن بعض زملائي (١) وكان يدرس في الرياض من زمن طويل - أخبرني أنه ما سمع مؤذناً في مسجد من مساجد الرياض إلا هو ينصب خبر (إن) في الأذان عند قوله : أشهد أن محمداً رسول الله . ولقد حاول أن يسأل العلماء في الرياض عن ذلك فلم يجيبوا بأكثر من أن الأذان في بلاد نجد عامة وقف على قسم من الناس لا يشركهم فيه سواهم ، ويتساءل أفلا يجوز أن يكون إجماع المؤذنين على هذه الرواية

- وهم جلدة واحدة - دليلاً على أن نصب الجزأين لغة لبعض العرب وأن هؤلاء من سلالة القبائل النجدية التميمية القديمة ؟ فقد روى أن عامة تميم ، ورؤية وقومه كانوا ينصبون الجزأين ، ولا غرابة حيث سار الأحفاد على لغة الأجداد ، هذا ، وقد سمعت كثيراً من المؤذنين السعوديين ممن ينتمون إلى أصل بدوي ينطقون هذا النطق ، وسمعت في ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ في صلاة الظهر مؤذناً في مسجد القبليين بالمدينة المنورة - على صاحبها أفضل والسلام - ينصب خبر (أن) وهو (رسول الله) في الأذان .

(١) هو الدكتور يوسف الضبيح .

الاجتماعية وما يلابس التركيب من حال
المخاطب وحال المتكلم وموضوع الكلام
.. وقد هداه هذا الاتساع إلى استكناه
(البنية الجوانبيه) للتركيب (٤) كما كان
ينظر إلى ما يكون من علاقات الكلمات
داخل التركيب في ضوء ما يمكن من
علاقات الأفراد في مجتمع يقوم على
اعتبار الأنساب ورعاية روابط الدم ،
واستعان على تحليل بعض التراكيب
والكشف عن بنيتها (الجوانبية) بمفاتيح
من فهم المواصفات الاجتماعية مع
مراعاة العلاقات الخاصة التي تربط بين
الناس (٥) . أما لغات القبائل فكان يتناول
التركيب فيها - مع اختلافها على أنها
مواد نظام لغوي واحد ، أو طبقات صرح
لغوي واحد ، مع لم شواردها وضبطها
بأصل اللغة المشتركة فلا يفهمها على

وكما أشار المحدثون إلى دراسة :
المقام والنبر والتزمين والسياق - أشار
إليها أيضا علماؤنا الأقدمون ، فها هو
شيخ النحاة يفرع إلى السياق والمقام
والموقف الاجتماعي (١) ، كما تنبه إلى أثر
المتغيرات الخارجية على التركيب في
اختيار أحد وجهين جائزين في مقياس
النحو ، واعتبر الموقف فيصلا في الحكم
لصحة التراكيب وخطئها ، واختلف
التركيب عنده وفقا لحالة الانفراد
والاجتماع في حالة المخاطب في الإقبال
والإدبار (٢) ويعتبر الموقف الكلامي كلاً
واحدا فيفتفر حذف أحد العناصر من
التركيب إذا كان في سياقه الكلامي دليل
عليه (٣) ، كما جمع سيبويه بين التفسير
اللغوي والسياق في الترتيب واتسع في
تحليل التراكيب إلى وصف المواقف

(١) الكتاب ٨٣/١ و ٢٩٦ ، ٢٤٣ تحقيق هارون .

(٢) الكتاب ١ / ٢٤٤ هارون .

(٣) الكتاب ١ / ٢٩٦ فما بعدها ، هارون .

(٤) نظرية النحو العربي ٨٧ - ٩٧ د . نهاد الموسى . ط. أولى .

(٥) الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه : د . نهاد الموسى ونشر في مجلة حضارة الإسلام القسم
الثالث ١٣٩٤ - ١٩٧٤ دمشق ،

حدثها وفق قواعد مستقلة بل يسلكها في النظام اللغوي الفصيح ، ونظر لذلك بأمتة لهجية قبلية من بني يربوع وطهية (من تميم) والحجاز وتميم ولغة (أكلوني البراغيث) (١) .

وقد رصد عملية التوحيد اللغوي في التركيب التي تمثلت في تنازل بعض القبائل عن بعض سماتها اللهجية أمثالاً للغة القرآن واستجابة للتوحيد اللغوي الجديد ، فقد استشهد على (ما) الحجازية بقوله تعالى : «ما هذا بشراً» في لغة أهل الحجاز ، أما بنو تميم فيرفعونها إلا من دري كيف هي في المصحف (٢) ، وبهذا ترى كل قبيلة سماتها اللغوية الخاصة بها تسهم في إشادة الصرح العربي الموحد ، حيث ربطها بالفصحى ، لأن هذه موصولة النسب بتلك ، وكان سيبويه يرى أحياناً أن ما يجوز في لهجة قد لا يجوز في أخرى قال : وتقول : «ما فيها إلا زيد ،

وما علمت أن فيها إلا زيدا فإن قلبته فجعلته يلي (أن) و (ما) في لغة أهل الحجاز قبح ولم يجز لأنهما ليس بفعل فيحتمل قلبهما ، كما لم يجز فيهما التقديم والتأخير ، ولم يجز ، ما أنت إلا ذاهباً ، ولكنه لما طال الكلام قسوي واحتمل ذلك كأشياء تجوز في الكلام إذا طال وتزداد حسناً » (٣) .

إن التراكيب تشكلها أمور متعددة لا بد من فحصها، تتمثل في الدلالة والصيغة والموقع والأداء والسياق والنسق الصوتي، كما يشكلها الحذف والتقدير والإضمار والحمل على المعنى، وهي جميعاً وسائل منهجية لتصحيح اللفظ المنطوق لي مطابق المعنى المراد ، والتركييب لا يفهم إلا بملاحظة هذه القيم ، ولولاها لوقعنا في كثير من اللبس والغموض وإليك إشارات لذلك :

(١) سمع بعضهم شيخاً يعرب لتلاميذه (قيماً) (٤) من قوله تعالى : «ولم

(١) الكتاب ٢٠ / ٤٠ .

(٢) المرجع السابق وانظر الكتاب ١ / ٥٩ .

(٣) سيبويه ٢١٧ / ٢ تحقيق هارون .

(٤) المغني ٢ / ٥٨٩ تحقيق مازن المبارك وزميله . لبنان .

يجعل له عوجا قيما» الكهف ٢١ -
صفة لـ (عوجا) فقال له : كيف يكون
العوج قيما ؟ وإنما هي حال من اسم
محنوف هو وعامله أي : أنزله قيما .
ورحم الله القراء حيث وقفوا على ألف
التنوين في (عوجا) وقفة لطيفة دفعا لهذا
التوهم ، وهذا أثر من آثار السكتة
الصوتية في التحليل النحوي (١) .

(٢) أخذ عبد الملك بن مروان رجلا
كان يرى رأي الخوارج ، فقال له ألسنت
القائل :

ومنا سويدُ والبطين وقَعْنَبُ
ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ
فقال الخارجي : إنما قلت أميرَ
المؤمنين ، أي يا أمير المؤمنين ، فأمر
بتخلية سبيله .

(٣) وقول عبد الله بن قيس الرقيات "

لن تراها ولو تأملت إلا
ولها في مفارق الرأس طيبا

والوجه : الرفع على معنى : ولها
طيب في مفارق الرأس ، وذهب
سيبويه (٢) إلى أنه منصوب على المعنى ،
لأن الطيب داخل في الرؤية فنصب على
هذا التأويل ، ويقول ابن جني (٣) : الرؤية
ليس لها طريق إلى الطيب في مفارقها ،
اللهم إلا أن تكون حاسرة الرأس غير
مقنعة ، وهي بذلة لا توصف وتطرح به
الخفريات ، فابن جني يرى أن المقدر
(ترى) القلبية لا (ترى) البصرية وهذا
معنى قوله : فوجب أن يكون الفعل المقدر
لنصب الطيب مما يصحب الرؤية لا
الرؤية نفسها ، فكأنه قال : لن تراها إلا
وتعلم لها أو تتحقق لها في مفارق الرأس
طيبا (٤) .

فالحكم النحوي يركز على المجتمع :
متكلما أو مخاطبا ، ويجعله فيصلا في
التركيب جوازا ومنعا .

(٤) وفي قوله تعالى : «وأتينا ثمود
الناقة مبصرة» ٥٩/الإسراء ، فالنظرة

(١) وانظر في هذه السكتات : سورة يس ٥٢ ، وسورة المطففين ١٤ وسورة القيامة ٢٧ .

(٢) الكتاب : ١ / ١٤٤ بولاق .

(٣) الخصائص ٢ / ٤٢٩ .

(٤) وانظر : شرح المفصل ١ / ١٢٥ لابن يعيش .

الأولى ترى (مبصرة) حال من الناقة ،
والفهم السديد ينظر إلى السياق العام ،
وأن قبلها : وما منعنا أن نرسل بالآيات
إلا أن كذب بها الأولون وأتينا ثمود
الناقة مبصرة فظلموا بها» فمبصرة
صفة لموصوف محذوف تقديره : آية ، إذ
الكلام في الآيات لا في النوق ، والناقة
حين ذكرت هنا ذكرت لأنها آية ، لا لأنها
ناقة وكفى .

والعربي لا يحذف إلا إذا كان
الحذف أبين لمراده ، وأنطق بحجته من
الذكر ، والنحاة عندما يحذفون أو
يقدرّون - كانوا على أصول مقررة
فقاسوا النضير ، واستدلوا بالحاضر على
الغائب ، حكى ابن جني في المحتسب
قال : «وسمعت سنة خمس وخمسين
(من القرن الرابع الهجري) غلاما حدثا
من عقيل ومعه سيف في يده ، فقال له
بعض الحاضرين - وكنا مصحرين (١) :
يا أعرابي ، سيفك هذا يقطع البطيخ ؟
فقال: إي = والله = وغوارب الرجال .

فنصب الغوارب على ذلك ، أي : ويقطع
غوارب الرجال « (٢) .

(٥) ويقول سيبويه في قولهم «له علمُ
علمُ الفقهاء ، وله رأي رأي الأصلاء .
وإنما كان الرفع في هذا الوجه ، لأن
هذه خصال تذكرها في الرجل كالحكم
والعلم والفضل - ولم ترد أن تخبر بأنك
مررت برجل في حال تعلم ولا تفهم ،
ولكنك أردت أن تذكر الرجل بفضل فيه ،
وأن ذلك خصلة قد استكملها ، كقولك له:
حسب حسب الصالحين ، لأن هذه
الأشياء وما يشابهها صارت تحلية
عند الناس وعلامات .. ثم أردف (وإن
شئت نصبت فقلت : له علم علم
الفقهاء، كأنك مررت به في حال تعلم
وتفقه ، وكأنه لم يستكمل أن يقال له :
عالم» (٣) .

(٦) ويقول سيبويه «لا يجوز لك أن
تقول : الحمدُ لزيد ، في مقام التعظيم
فإنه ليس كل شيء من الكلام يكون
تعظيما لله عز وجل يكون تعظيما لغيره

(١) أصح القوم : برزوا في الصحراء .

(٢) الاعراب سمة العربية الفصحى ١٧ د . محمد البنا . نقلا عن محتسب بن جني : ٢١٠/١ .

(٣) الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه ٦٧ د . نهاد الموسى وانظر الكتاب ٣٦١/١ فما بعدها هارون .

من المخلوقين (١) ، فسيبويه خصص تركيباً معلوماً وربطه بموقف خاص (٢) .

(٧) وحمل الكلام على المعنى لا على اللفظ باب واسع وكثير ، ظهر عند سيبويه (٣) ، وابن جني (٤) ، وقد مثل له بقول الشاعر :

أ - يا ليت زوجك قد غدا

متقلدا سيفاً ورمحاً

أي : وحاملاً رمحاً ، فهو محمول على المعنى الأول لا لفظه .

ب- علفتها تبناً وماء بارداً

حتى شئت همالة عيناها

أي : وسقيتها ماء .

ج- إذا ما الغانيات برزن يوماً

وزججْنَ الحواجبَ والعيونا

أي : وكحلن .

يقول د. محمد حماسة عبد اللطيف:

والغاية من الكلام معناه ولا بد أن يستقيم

مع غايته في اللفظ وإلا ففي التقدير ، وقد كان الحمل على المعنى وسيلة دلالية بارعة ربطت بين بناء الجملة وبنيتها أو بين سطحها وعمقها في منهج النحاة العرب ، كما أن الحمل على المعنى علاج لكل مخالفة بين ظاهر اللفظ والتقدير ، أو بين العبارة المنطوقة والقواعد ، وهو يشير - كما يرى هنري فليش - إلى أن علم التراكيب كان بالأحرى تفسيرا للعلاقات الدلالية الكامنة وراء القول (٥) ، فلم يكتف النحاة بمظهر التركيب أو وصفه بل فسروا هذا المظهر بأن أرجعوه إلى الأصل الذي أخذ منه وأوضحوا التغييرات اللغوية التي تعرض لها في جميع المجالات .

ولم يكن النحاة وحدهم هم الذين تنبهوا إلى إدراك أهمية السياق بشقيه اللغوي والاجتماعي أو المقامي والمقالي على التركيب ، فعلماء القراءات اهتموا

(١) الكتاب : ٣٩٢/١ هارون .

(٢) الكتاب : ٦٥/٢ تحقيق : هارون .

(٣) المتاب : ١٨٠/٢ تحقيق هارون .

(٤) المحتسب ١ / ٢٣٦ والخصائص : ٤٣١/٢ فما بعدها .

(٥) النحو والدلالة ١٦٠ فما بعدها . د. محمد حماسة عبد اللطيف ط ١ القاهرة .

بمواضع الوصل والوقف - وهما دالتان
تنغميتان - وأثرهما على التركيب
والنص القرآني يتميز عن سائر
النصوص المكتوبة بهذه الخصوصية
الصوتية التي حفظت لنا طرق أدائه .
كما عرف المفسرون أسباب نزول الآيات
وهي الأحداث والوقائع الملازمة للنص
القرآني، كما تنبه علماء البلاغة إلى
ذلك، ويظهر هذا من قولهم : لكل مقام
مقال ، وكيف يتغير التركيب بتغيير المقام
(الموقف الكلامي) ، كما أنهم اهتموا
بدراسة التراكيب اللغوية أو (النظم) على
النحو الذي بينه عبد القاهر الجرجاني.

واهتم لأصوليون أيضا بعناصر
السياق اللفظية والاجتماعية والموقف
الكلامي وأثرها على المعنى والتركيب
اللغوي وصدق ابن القيم حين قال
«والسياق يرشد إلى تبين الجمل ،
وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال
غير المراد، وتخصيص العام وتقييد
المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهذا من أعظم
القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن
أهمله غلط في نظره ، وغالط في
مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى : «ذق
إنك أنت العزيز الكريم» كيف تجد سياقه
يدل أنه الذليل الحقير (١).

أحمد علم الدين الجندي

الخبير بالمجمع

(١) دراسة المعنى عند الأصوليين ٢٣١ د. طاهر حمودة ، الدار الجامعية اسكندرية .

الغائبُ والغائبةُ من الجانبِ الصّرفيّ

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقدمة :

علم الأصوات Phonetics قديم ضارب في القدم ، عرفه الهنود والإغريق والرومان والعرب ، وبذلوا فيه جهودا مشكورة ، ثم أهملت بعد ذلك تلك الدراسات حتى أشرق العصر الحديث فهياً للدارسين وسائل البحث من التجارب العملية والآلية ، كما يسّر الاستعانة بعلم وظائف الأعضاء والتشريح والفيزياء . وربما كان من أسباب إهمال تلك الدراسات في الفترة الوسطى عدم إقبال الباحثين عليها ؛ لأنّ جل اهتمامهم كان منصبا على الدراسات النحوية والصرفية ، وهما محور أسرار اللغة ، كما يظنون ، أما الدرس الصوتي فكان نافلة وترفا ،

وعلماء القراءات القرآنية في العالم الإسلامي هم الذين حملوا على أكتافهم عبء هذه الدراسات الصوتية ، وكانت جهودهم موفقة ، ونتائج بحوثهم دقيقة على الرغم من نقص وسائلها ، وإن كانوا لم يقصدوا تلك الدراسات لذاتها ، وإنما أوحى إليهم ضبط القرآن وترتيبه بهذه الأبحاث . ونحن نؤمن الآن أن كل دراسة صرفية أو نحوية لا تقوم على أساس صوتي مصيرها الفشل ، لأنّ العلاقة وثيقة بين علم وظائف الأصوات Phonology وبين الدرس الصرفي والنحوي. ومن أخطر المزالق ما وُجِع فيه علماء العربية حيث اهتموا بالأصوات الصامتة وبنوا عليها دراسة التصريف

(١) انظر أمثلة لذلك في : علم اللغة العام القسم الثاني ٢٤٤ . د . كمال بشر . دار المعارف . القاهرة .

والاشتقاق دون ذكر للحركات، وأعانهم على ذلك وجود رموز للحروف العربية مستقلة دون الحركات التي لم تظهر إلا على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، مع أن للحركات خطورتها في تنويع أصل كل معنى، وعن طريق الحركات يتحقق تغير المعنى الصرفي، والدور البنائي الوظيفي، فهم عنوا بالمكتوب ولم يعنوا بالمنطوق، ولهذا وقعوا في أخطاء لا حصر لها في الدرس الصوتي الصرفي والنحوي، فالكتابة هي التي صرفت علماء العربية عن أهمية أصوات اللين،^(١) فضاعت دراسة المقاطع من بين أيديهم، إذ الحركة القصيرة تكون مع الحرف الساكن مقطعا مستقلا فهي تكون قسم المقاطع العربية، ولما أهملوا الحركات، أهملوا كذلك حروف المد واللين، فكانت إشارتهم إليها سطحية وكثيرا ما أهملوها في الكتابة، إلا أننا يجب أن نذكر ابن جني عالم العربية الفذ حيث أشار إلى هذه الحركات وعلاقتها بحروف المد واللين وإن كانت إشارته يحيطها

بعض الغموض، فقال « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد، وهي الألف والواو والياء، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي: الكسرة والفتحة والضمة، فالفتحة أبعاض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدما^١ النحويين يسمون الفتحة: الألف الصغيرة والكسرة: الياء الصغيرة، والضمة: الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة^(١) » فابن جني لاحظ بأنه لا فرق بين الحركات وأصوات المد واللين إلا في الكم وإن كان لم يحدد الفرق بين الحركة والمد في قوله «الحركات أبعاض حروف المد» .

فالحركة الطويلة تساوي حركتين قصيرتين، عند علماء اللغة المحدثين . فإذا أضفنا إلى ذلك أن حروف المد أوضح في السمع، وهي مجهورة، والمجهور أقوى جرساً ظهر لنا مقدار مكانها في الحقل الصوتي، كما لاحظ العروضيون أهميتها في موازين الشعر

(١) سر صناعة الإعراب ١٩/١ لابن جني . ط أول ١٩٥٤

وموسيقاه، ثم هي تمثل علامة الإهراب في كل من : المثني وجمع المذكر السالم وماحقته ، والأسماء الخمسة ، وأخيراً « تعتبر من العناصر الضرورية في بناء نظامي النبر في الصرف ، والتنغيم في النحو^(١) » وهذا البحث يتصدى لأصوات العلل ، ويختار من بينها : الواو والياء ليحدد زاوية واحدة يقوم بفحصها ودرسها ، وحسبه ذلك .

تلك الزاوية محل الدراسة ، هي تعاقب^(٢) الواو والياء على الصيغة ، وحرف العلة إذا كان متحركاً سمى علة لاغير مثل : عوض ، حيل ، سور ، وإذا كان ساكناً وقبله حركة مجانسة سمى علة ومدى مثل : نور. عيد . دار وإن سكن وانفتح ما قبله سمى : ليناً مثل توب ، سيف . وقد رمز علماء العربية لحروف العلة والمد واللين بـرمز واحد ، وهو إما الواو ، وإما الياء ، وإما الألف ، وكان هذا من الأسباب التي أوقعت في

اللبس والخلط ، فلا فرق عندهم بين : وجد ، ويوجد فيرمزون لهما بالواو ، ويرمزون بالياء في يلد ، ويرمى . على الرغم من الفرق بينهما ، أما المصطلحات العلمية فقد فرقت بينهما : الواو الحرف : w والواو الحركة : o والياء الحرف : y والياء الحركة : h وبهذا يكون لكل من الواو والياء مدلولان مختلفان في الأبجدية ، وقيمتان صوتيتان . كونهما صوتين صامتين ، وكونهما حركتين^(٣) . وقد تسمى الواو والياء في الحالة الأولى (بأنصاف الحركات) أو تسمى (أشباه أصوات اللين) ، ذلك لأن لهما جانباً يشبه أصوات اللين ، وجانباً آخر يشبه صفات الأصوات الصامتة . والمعروف أن هذه الأصوات تتأثر بما يجاورها من أصوات فتتغير^(٤) صفاتها لتصبح مفخمة^(٥) أو مرققة ، أو بين التفخيم والترقيق .

وهناك مشابهة بين صوتي المد واللين - الواو والياء جمعتهما من التراث - عدا

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٧٢ دكتور تمام حسان . الهيئة العامة للكتاب .
(٢) لابن جني كتاب سناه (التعاقب) وهو مفقود حتى الآن ، وقد أشار إليه ياقوت في كتابه . مجمع الأدباء ، ترجمة أبي الفتح عثمان بن جني ج ١٢ ص ١١٠ وأرجح أن باعوتاً رآه بدليل قوله « وأطرف به ! وحججه مائتا ورقة » وأنظر الأشباه والنظائر للسيوطي ١/١٢٩ حيث أشار أيضاً إلى هذا الكتاب ونسبه لابن جني .
(٣) دراسات في علم اللغة ١٣٠ . القسم الأول . د . كمال بشر . ط الثانية . دار المعارف

ماسدجله علماء التصريف من قلب أحد
الصوتيين إلى الآخر ، وذلك في بابي
الإبدال والإعلال ، وإليك جوانب منها :
١- أن كلا من الواو والياء من أصوات
اللين الضيقة ، بخلاف الألف .

٢- أن الواو امتداد للضم مع فرق
يسير في وضع اللسان ، والياء امتداد
للكسر مع نفس الفرق في وضع اللسان

٣- الواو أخوت الياء ، والضم أخو الكسر ،
والدليل على ذلك أنها - يجتمعان
في الردف . يقول زهير :

ولا تكثر على ذي الضغن عتياً

ولا ذكرَ التجرم للذنوب

ولا تسأله عما سوف يبدى

ولا عن عيبه لك بالمغيب

متى تك في صديق أو عدو

تخبرك العيون عن القلوب (١)

فجاء : بالمغيب مع القلوب .

وقول أبي نواس (٢) :

أجارة بيتينا أبوك غيور

وميسور مايرجى لديك عسير

(١) أسرار العربية ٣١٦ لابن الأنباري . ط دمشق .

(٢) ديوانه ٤٨٠ مطبعة مصر .

(٣) الحصائص ٨٦/١ الملل .

فجاء بغيور مع عسير .

وكقول الشاعر :

دع الأطلال تسفيها الجنوب

وتبلى عهد جدتها الخطوب

ونخل لراكب الوجناء أرضاً

تخب بها النجيب والنَّجيب

ويقول ابن جنى : ألا تعلم كيف

استجازوا الجمع بين الواو والياء ردفين

نحو : سعيد ، وعمود (٣) ، وأرجح أن تلك

الظاهرة كانت موجودة في الشعر البدوي

القديم كقول امرئ القيس :

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني

جرداء معروقة اللحيين سرحوب

ثم قال فيها :

كالدلو بُتت عراها وهي مثقلة

وخانها وذم منها وتكريب

فقد استعمل امرؤ القيس كلمة

(سرحوب) ثم (تكريب) .

ولكن هذه الظاهرة تقل أو تمحى في

البيئات المتحضرة ، يؤكد ذلك أننا لانجد

٤- ثرٌ ، مُتَقَمًا في شعر شاعر كابن الرومي
مثلاً .

٤- كما سلكت الواو والياء مسلكاً واحداً
في حالة الوقف . حيث تحذف الكسرة
منضمة وتتبقى الفتحة فتقول :
هـ ز يـ . ومررت بزييد ، ثم تقول :
أيت زيدا .

٥- أن قبيلة طي . كانت تقف
على الألف المتطرفة بالواو حيناً وبالياء
حين آخر فكانوا يقولون في : أفعى :
فعا . وأفعى . ولعل السبب في هذا
أنك إذا وقفت على الألف خفيت غاية
جدة . فأبدلوا منها ياء أو واو ؛
ولا حتى أن الواو والياء أظهر من الألف .

٦- قال لتنوين واوا بعد الضمة ،
وياء بعد كسرة ، وذلك أن أزد السراة
كانوا يقولون : جاء زيدو ، مررت بزيدي^(٢)
معناه فعلاً ذلك حرصاً على بيان الإعراب
... يقف : إذ الإعراب غالباً ما يزول
في حالة الوقف .

٧- أن العرب تسقط الياء اكتفاءً
بالكسرة ، كما تحذف الواو اكتفاءً
بالضمة قبلها ، فمثال حذف الياء قول
الشاعر :

كفَّاكَ كفُّ ما يليق درهما
جوداً وأخرى (تعط) بالسيف الدما^(٣)
وهي لهجة هذيل .

وأن الياءات المتطرفة كقولها تعالى :
« الداع . . . والجوار ، و . . يأت ،
والليل إذا يسر .

- من القراء من يحذف هذه الياءات ،
وهي لغة هذيل^(٤) .

ومثال حذف الواو ما أنشده الكسائي :
متى (تقول) خلت من أهلها الدار

كأنهم بجناحي طائرٍ طاروا
وهذه الظاهرة في هوازن وقيس .

كما كانت مناطق جغرافية شاسعة
يسكنها قبائل قيس وأسد - تحذف الواو

١- حجة ٨٢٩/٢ للمرزوق ، والهمع ٢٠٦/٢ للسيوطي .

٢- زبد شجرية ١/٢٨٠ . وشرح الشافية ٢/٢٧٤ ، وأنظر : كتابنا : اللهجات العربية في التراث ٣٩٢
تصوير امينة تامة لكتاب القاهرة .

٣- البحر المحيط ٥/٢٦١

(٤) إتخاف فضلاء البشر ١١٣

١- في الأفعال : « قد دَوخوا الرجل
 وديخوه ، وقد تحيزت إلى فئة ، وقد
 تحوزت ، وساغ الرجل طعامه يسيغه ،
 وبعضهم يقول : يسوغه ^(٣) » .

٢- في العين : « إن فلانا سريع الأوبة
 والأيبة ^(٤) » . والمواثق والمياثق .

٣- وتكون المعاقبة (ب) في اللام : « كنوت
 الرجل وكنيته ، وعزوت الرجل -
 وعزيته ^(٥) - إذا نسبته إلى أبيه .

٤- وتكون المعاقبة في التثنية : نسيان
 ونسوان ، ورحوان ورحيان ^(٦) .

٥- وتكون المعاقبة في الجمع : هو ذو
 دغيات ودغوات [أى أخلاق رديئة] .

٦- وتكون المعاقبة في صيغة فعول :
 هو الكذاب الأثوم والأثيم ^(٧) .

٧- وقد تعتقب الياء والواو زائدتين
 من بنات الأربع ، روى ابن السكيت :

والياء وهما علامة المضمر ، فقد سمع
 سيبويه بعضهم ينشد : أ

١- طافت بأعلاقه خوذ يمانية

تدعو العرائين من بكر وما جمع

٢- وقول عنتره :

(يادار عبلة بالجواء تكلم) ^(١) .

والأصل في البيت الأول : وما جمعوا .

والثاني : تكلمى ^(٢) .

وظاهرة الحذف السابقة أكدتها قراءات

قرآنية ، حتى لا يظن ظان أن هذا الحذف

للضرورة الشعرية ^(٣) .

فهذه الأشياء السابقة شركة بين الواو

والياء وهى تؤكد التشابه بينهما وذلك

يزكى انتقال وتعاقب كل منهما ، من

مخرجه إلى مخرج الآخر .

- ٢ -

وقد أمدتنا المصادر العربية بأمثلة

للتعاقب ، التقطناها ، وقمنا بتنظيمها ،

واستنتجنا منها قضايا ومسائل :

(١) سيبويه ٣٠٢/٢ ط بولاق .

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٥٥٨ .

(٣) أدب الكاتب ٣٦٥ لابن قتيبة ط السعادة . تحقيق محيى الدين ، والمخصص ٢٠/١٤

(٤) أدب الكاتب ٤٥٩ واللسان ٣٢٥/٢ (٥) المزهرة للسيوطى ٢٧٩/٢ ، أدب الكاتب ٣٦٤

(٦) المخصص ٢٥/١٤ (٧) المخصص ٢٥/١٤

(*) تقول المعاجم : عاقبته فى الرحلة إذا ركبت أنت مرة وركب هو مرة . وهما يتعاقبان كالليل والنهار .
 وقال ابن فارس : الباب كله يرجع إلى أصل واحد هو : أن يجيء الشيء بعقب الشيء . أى : متأخرا عنه . وفى المعاجم
 أيضا : نخل معاقبة : تحمل عاما وتخلف آخر . والتعاقب والاعتقاب : التداول (اللسان والمصباح وبختمار اصباح)
 فمضى المعاقبة عند علماء اللغة يرتبط بمناها الخاص وهو قلب المجازيين الواو ياء .

« جعلته على حنديرة عيني وحندورة عيني .
أى نصب عيني^(١) .

وقد يرد سؤال مؤداه . هل يمكن أن
نضع نظاماً للقبائل تسيير عليه في هذه
الظاهرة ؟ كأن ندعى مثلاً أن قبيلة هربية ،
أو مساحة جغرافية من البشر تؤثر نظاماً
من المعاقبة تتخالف به مع غيرها .

أرى أنه لا يمكن أن نحسم برأى ، حتى
نعرض لنصوص لغوية من شأنها أن
تساعدنا في استنباط حكم ، وإليك بعضها :

١- ما روى عن الأصمعي من قوله :
سألت المفضل عن قول الأعشى :

لعمري لمن أمسى من القوم شاخصاً

لقد نال خيصاً من عفيرة خائصاً

فقلت : ما معنى خيصاً خائصاً ؟ فقال :

أراه من قولهم : فلان يخرص العطاء في

بني فلان - أى يقلله فكأن خيصاً شئ
يسير ، ثم بالغ بقوله : خائصاً - قلت
له : فكان يجب أن يقول : لقد نال
خوصاً ، إذ هو من قولهم : هو يخرص
العطاء . فقال : هو على المعاقبة ، وهي لغة
لأهل الحجاز^(٢) . وزاد اللسان « وأهل
الحجاز يسمون : الصواغ = الصياغ ،
ويقولون : الصيام : للصوام ، ومثله كثير^(٣) .
كما عزا الفراء الصيغة اليائية إلى الحجاز^(٤) ،
ومثل ذلك فعل ابن جنى في محتسبه^(٥) ،
وابن خالويه في شواذ^(٦) ، وابن السكيت
في إصلاحه^(٧) ، وابن سيده في مخصصه^(٨) ،
وابن جرير الطبري في تفسيره^(٩) ،
وأبو الطيب اللغوي في إبداله^(١٠) .

وأرجح أصالة الصيغة الواوية لسببين :

أولهما : كثرة استعمال الصيغة الواوية .

ثانيهما : أن اشتقاق الصيغ من الواوية^(١١) .

(٢) المخصص ١٩/١٤

(٤) معاني القرآن ١٩٠/١ للفراء .

(٥) المحتسب في شواذ القراءات ١٧٥/١ مخطوط بالجمهورية بدار الكتب المصرية .

(٦) مختصر شواذ القرآن ١٩ لابن خالويه .

(٧) إصلاح المنطق ١٣٧ لابن السكيت

(٨) المخصص ٦٢/٨٠ ٣٢/٣١ ٣١/١٢

(٩) تفسير الطبري ١٦٠/٦ ط دار المعارف .

(١٠) الإبدال ٤٧٨/٢ / لأبي الطيب . ط دمشق .

(١١) يؤكد ذلك ما جاء في اللسان ٣٢٥/٢ من قول الشاعر يدعو الإبل إلى الماء (جاوتها فهاجها جواته) ورواه

بعضهم : جايها . وهذا إنما هو على المعاقبة . أصلها : جاوتها ؛ لأنه فاعلها من : حوت جوت . وطلب الخفة

فقلب الواو ياء ، ألا تراه رجيع في قوله : فهاجها جواته - إلى الأصل الذي هو الواو .

ولكن قد تطف بعض الشواهد لتحول

بين نتيجتنا السابقة - وأهمها :

١- ما رواه أبو هريرة أن قوما يتعادون

فقال ما لهم ، فقالوا : خرج الدجال : فقال :

كذبة كذبا الصياغون ، وروى الصواغون :

أى اختلقها الكذابون^(٧) .

٢- جاء عن ابن منظور في حديث

على - رضى الله عنه - : « واعدت صواغا

من بنى قينقاع^(٨) .

والمعروف أن المتكلم في النص الأول هو

الرسول صلى الله عليه وسلم . والشاهد

الثانى على ، وكلاهما قرشيان . وكان

يجب أن تكون الرواية بالياء فى «صواغا»

و« الصواغون » حتى يستقيم ما سبق أن

قررناه ، وأرجح أن رواية الحديث الأولى

بالياء ، بدليل ما جاء من رواية أخرى

بالياء فيه ، وإنما جاءت رواية الواو ؛ لأن

الحديث ربما روى على لهجة رجل من لغته

إيثار الواو على الياء ، وأما ما جاء عن ابن

٢- ما جاء عن أبي على :

ليث عليه من البردى هبرية

: كالمزبراني عيار بأوصال^(١)

ويروى : عيال وعوال ، فأما : عوال

فمن عال عولا ، وأما عيال- فلا أعرف

ما هى : إلا أن يكون على المعاقبة التى بين

الياء والواو بغير علة - وهى حجازية^(٢) .

٣- كما روى عن تميم يقولون :

القنوة ، والحجاز تقول : القنية^(٣) .

٤- وفى اللسان : أن (حوث) بالواو

لغة تميم^(٤) .

٥- وأن تميما تقول : قانسوة ، على حين

تنطقها الحجاز : قانسية^(٥) « ويقال :

قنوت وقنيت : عزيت الأولى الواوية لتميم ،

واليائية للحجاز^(٦) .

ومن هذا العرض نقترح أن الحجاز

آثرت الياء ، وأن تميما آثرت الواو .

(١) المزبراني - شعر مجتمع على موضع الكاهل . المخصص ٦٢/٨

(٢) المخصص ٦٢/٨ (٣) المزهر ٢٧٦/٢ للسوطى

(٤) اللسان ٤٤٥/٢ (٥) المزهر ٢٧٦/٢

(٦) المزهر ٢٧٦/٢ وقارنه بما جاء فى قصيدة ابن مالك فى الأفعال الواوية واليائية . فى المزهر ٢٧٩ / ٢ .

(٧) اللسان : ٣٢٥/١٠

(٨) المرجع السابق

منظور فيأني أشك فيه ، والروايات اللغوية
كثيراً ما حرفت وصحفت ، ومنها جاء
البلاء .

وهب أن رؤبة قالها بالياء فهل يكفي
شاهد واحد ... لنقض عدة شواهد متتالية
متواترة؟

٣- جاء عن ابن السكيت قوله : يقال
فلان ذو دغوات ودغيات ، ولم يسمع
دغيات إلا في بيت رؤبة فإنهم زعموا أنه
قال « نحن نقول : دغية وغيرنا يقول
دغوة. وأنشد : (ذا دغيات قلب الأخلاق^(١)) »
ورؤبة هذا من تميم ، وآثر الياء على الواو-
والجواب على هذا الإشكال : أن شاهد رؤبة
السابق روى في إبدال أبي الطيب^(٢) بالواو
وكذلك في اللسان^(٣) ، وبالرجوع إلى
ديوانه وجدتها بالواو أيضا « ديوان رؤبة »
١٨٠ فيكون هذا مما يؤيد رأينا ،
وثانيا : أن قول ابن السكيت السابق
حاكيا رواية الياء لرؤبة تجعلنا نقف
موقف الشك منها لقوله « فإنهم زعموا »
فكان الرواية لم تفارق منطقة الزعم إلى
حدود التأكيد والتأييد .

وبعد أن وضح ما أوردناه في منطق
الحجاز ، وتيم . أريد أن أعرض جوانب
أخرى في بقاع جغرافية لثرى اتجاهات
بقية اللهجات العربية في تلك الظاهرة :

١- حكى الفراء عن بعض بني كلب
« عنيان الكتاب » في « عنوانه وعوانه^(٤) »
٢- شد في تثنية الممدود خمسة أشياء
منها « حمرايان . وحكى بعضهم أنها لغة
فزازة^(٥) « وقياسها حمراوان^(٦) » .
وجاء في اللسان عن أبي زيد « سمعت
بعض فزازة يقول : هما كسايان ونجبايان
وفضايان ، فيحول الواو إلى ياء^(٧) ، وقد
حكم النحاة بشذوذ لهجة فزازة السابقة^(٨) ،
ولكن الكوفيين قاسوا عليها^(٩) ، ومنع
ذلك غيرهم .

(١) الزهر : ٢٥٤/١ والمعنى : ذو أخلاق رديئة متلونة .
(٢) إبدال أبي الطيب : ٥١٩/٢ .
(٣) اللسان ٢٨٨/١٨ .
(٤) الأشموني : ١١٤/٤ .
(٥) اللسان : ١٣/١ .
(٦) الجمع : ٤٤/١ .
(٧) التصريح : ٢٩٥/٢ ، والأشموني : ٢١٢/٤ .
(٨) الجمع : ٤٤/١ .

جديدا لقبائل أخرى لها وضع مميز في هذه الظاهرة وهي :

١- جاء في مجالس ثعلب :

تحن إلى الفردوس والشير دونها

وأبيات عن أوطانها حوث حلت

قال أبو العباس : هذه لغته وهو رجل من طيء .

٢- قال عياض بن أم درة^(٤) :

حمى لا يُحلّ الدهر إلا بإذن

ولا نسأل الأقسام عهد الموائق^(٥)

« ورواه ثعلب عقد الميائيق » .

٣- حكى ابن السكيت عن بعض

الطائيين أنهم يقولون « أونق » ثم قلبها

بعض العرب ياء تخفيفاً فصار « أينق »^(٦) ،

وكما حكاها عن طيء ابن السكيت فقد

حكاها عنهم يعقوب^(٧) .

٣- جاء في الغريب المصنف أن الكسائي سأل بنى سليم عن « نما ينمو » - فلم يعرفوه بالواو^(١) ، ومعنى هذا أنهم عرفوه بالياء ، ويلاحظ على هذه النصوص أنها - آثرت الياء كلهجة الحجاز ، فهل هناك علاقة بين هذه القبائل وبين الحجاز ؟ .

أما « كلب » فقد تأثرت بالحجاز ؛ لأنهم عاشوا على الطريق الذي كان يسلكه الحجازيون في تجارتهم إلى حدود الشام^(٢) ، وأما فزارة فكانت بطونها تسكن منطقة الحجاز ، وإن كانت قيسية ، وأما سليم - فقد كانت على صلة وثيقة بقريش^(٣) .

فعلاقة هذه القبائل كما نرى - وثيقة الصلة بالحجاز ، فإذا عرفت أن الحجاز يغلب عليها طابع الحضارة ، وقد شاركتها القبائل السابقة - أمكننا أن نرجح أن القبائل المتحضرة آثرت الياء .

وإذا كان هذا هو موقف القبائل - المتحضرة - فإنني أعرض الآن نموذجاً

(١) الغريب المصنف : ٥٠٢ مخطوط رقم ١٢١

(٢) في اللهجات العربية : ٥٨ دكتور أنيس .

(٣) تاريخ العرب : ١٧٦/٤ جواد على .

(٤) قال أبو سعيد : حفظني عياض بن درة : نوادر أبي زيد ٦٤ .

(٥) نوادر أبي زيد : ٦٥/٦٤ ، شرح الشافية : ٢١٠/١

(٦) شرح المفصل : ١٢٩/٨ ، إصلاح المنطق : ١٤٤

(٧) اللسان : ٢٤١/١٢

وبالنظر إلى هذه النصوص نرى أن طيئا، وقبائل أسد ونجد وعقيل آثرت الواو في تلك الروايات باستثناء الشاهد الثاني الذي ورد مرة بالياء وأخرى بالواو، ولكني أرجح رواية الواو لطيء، ومما يؤكد رواية الواو - قول ثعلب عنها « وهي أجود وأشهر »^(٧) ثم إن صاحب رواية الواو هو عياض بن درة - وهو من طييء . وإذا كانت هذه القبائل قد آثرت الواو كتميم فما العلاقة بينها وبين تميم ؟ لا علاقة بينها إلا أنها قبائل بدوية - فكان البدو قد مالوا إلى الواو في تلك الصيغ .

ولكن ألا ينقض هذا التقسيم - ما عثرنا عليه من روايات تسند الكلمة الواحدة وقد وردت بالياء والواو لقبيلة بعينها ؟ فقد ورد في المخصص عن أبي صخر الهذلي :

فإن يعذر القلب العشية في الصبا

فؤادك لا يعذرك فيه الأقام^(٨)

٤- وجاء في المخصص عن صاحب العين : وطيء تقول : محيته محياً ، ومحواً^(١) .

٥- جاء في إصلاح المنطق عن الفراء : ضاره يضيره قال : وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول : لا ينفعني ذلك ولا يضورني^(٢) .

٦- حكى ابن سيده عن العرب يقولون : ما أعيج من كلامه بشيء - أي : ما أعبأ به ، وبنو أسد يقولون : ما أعوج^(٣) ، كما روى ابن السكيت عنهم « عزيته إلى أبيه ، وبنو أسد يقولون : عزوته إلى أبيه »^(٤) .

٧- جاء عن أهل نجد قولهم : لهوت عنه ألهو - وغيرهم « لهيت »^(٥) .

٨- سمع أبو زيد الأنصاري رجلاً من بني عقيل يقول : هم اللذون قالوا ذاك^(٦) وفي الفصحى بالياء .

(١) المخصص : ٧/١٣

(٢) إصلاح المنطق : ١٣٦ ، المخصص : ٢١/١٤

(٣) المخصص : ٢١/١٤ ، إصلاح المنطق : ١٣٦ ، اللسان : ٨٦٢/٣

(٤) المخصص : ٢٣/١٤

(٥) نواد اللغة لأبي زيد : ٨٩

(٦) المصباح : ٨٦٢/٢

(٧) نواد اللغة لأبي زيد : ٦٤ - ٦٥

(٨) المخصص : ٢٢/١٤

في مخصصه^(٢) ، وأبو علي في أماليه^(٣) ،
ثم يعرض يونس بن حبيب نصا مخالفاً
يقول فيه « أجويت القدر » - وهذيل
تقول أجويتها^(٤) . فكأن هذيلاً نطقت
مرة بالواو ، ومرة بالياء ، وإذا
عزى الحميري - الكلوة - على أنها لغة
اليمن في الكلية^(٥) . فإننا لا نرى أن
اليمن كلها كانت تنطق بالواو في مثل
هذا - بل أرجح أن المجتمع البدوي منهم
كان ينطق ذلك بالواو فقط ، وخير من
يمثلهم قبائل : خثعم وزبيد^(٦) .

وهذه المعاقبة بين الواو والياء كما كانت
في العربية - حدثت في أخواتها ، فقد
حدث ذلك في الآرامية ، وفي العاميات^(٦) .

- ٣ -

وهناك صيغ يظنها الباحث من المعاقبة
وليست منها :

أولاً ١ - من ذلك قولهم : هو يأتيتك
في الغدايات والعشايا^(٧) فإن أفردوها

وقد روى « الأقيم » يريد القوم ،
وبما أن صخرًا هذا من هذيل ، وهذيل
تقع في منطقة الحجاز ، وكان المفروض
أن تقول (الأقيم) بالياء ، إلا أنها
وردت بالياء مرة والواو مرة أخرى ،
وأرجح أن هذيلًا وإن كانت تسكن مناطق
الحجاز إلا أن جزءًا منها كان بدويًا يعيش
على قنن الجبال ومسارب المياه ، وكان
عملهم إثارة الرعب ، ونهب القوافل ،
والصعلكة التي تتمثل في مجموعة من
شعراتها وعدائيتها - وهنا نرجح أن
الصيغة الواوية للبدو منهم ، واليائية
للحضر ، وعلى النظرة إلى المجتمع يمكن
أن نحل المشاكل التي تعترضنا ، فإذا ما عزا
صاحب الجمهرة صيغة : يأتو - بدل :

يأتى في قول خالد بن زهير :

ياقوم مالي وأبا ذؤيب

أنا كنت إذا أتوته من غيب^(١)

إلى هذيل ، وسار على هذا ابن سيده

(١) الجمهرة : ١٧٠/١ ، ديوان الهذليين : ١٦٥/١ ط دار الكتب .

(٢) ٢٨/١٤ (٣) أمالي القالي : ٢٠٩/٢ .

(٤) ما تفرد به بعض أئمة اللغة : القسم الثاني مما تفرد به يونس بن حبيب : خط دار الكتب رقم : ٤١٨

(٥) شمس العلوم للحميري : ٩٣

(٦) من ذلك ما ورد في تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواقي ص ٣٣ من قولهم : منيار - الذي يستصح^ق
به على أبواب الملوك ، والنصواب : منوار ؛ لأنه مأخوذ من : النور أو من : النار ، وكلاهما من : الواو .
ولوبئت مفعالا من : النور والقول لقات : منوار ومقوال بالواو ، ولم تقله بالياء . ويبدو : أن ما في طبعنا
المصرية . عاوز وعاز من هذه المعاقبة الحجازية . (٧) أنظر أمثلة في : درة الغواص ٧٩

قالوا: الغدوات . فليست : الغدايا . معاقبة ، لأن الذي أوجب تلك الصيغة الحفاظ على الموازنة في الألفاظ وتعادلها ، فهم قد غيروا الواو في (الغدوات) إلى الياء في (الغدايا) للازدواج وحده .

٢- ومن ذلك ما جاء في الحديث النبوي في عذاب القبر : « لا دريت ولا تليت ولا اهتديت » والأصل : تلوت - فأبدل واوها ياءً اتباعاً ليائى الفعلين قبله وبعده . ولو أفردها لقال : تلوت .

٣- ومن ذلك قولهم للشجاع الذي لا يزال مكانه (هو أهيس أليس) والأصل : (الأهوس) بالواو ؛ لاشتقاقه من (هاس يهوس) إذا دقّ ، فعدلوا به إلى الياء ليوافق لفظ (أليس) ، فهو ليس من المعاقبة في شيء ، وإنما جرى به للانسجام وتوافق النسق الصوتي بين أصوات اللين ، وهو نوع من (تقريب^(١)) الأصوات ، أو (مضارعتها^(٢)) أو (تماثلها) :

Assimilation ، وقد يسمى « المماثلة : بين أصوات اللين » ، أو Vowelharmony ٤- وأنشد أبو زيد :

(عيناء حوراء من العين الحير) .

وفي قوله تعالى «وزوجناهم بحور عين»^(٢) قال ابن خالويه : حكى الفراء^(٣) : بحير عين ، وقرأ بها النخعي^(٤) . وأرى أنها ليست من المعاقبة ؛ لأن قلب الواو ياء في (الحير) وأصلها : الحور جاء نتيجة كسر الحاء ، والمعاقبة تكون بغير علة ، أما هنا : فصيغة : الحير : للمعادلة والموازنة والمماثلة مع : العين . فالموازنة في هذه الأمثلة لسبب خارجي ، ومن ذلك ما كانت تقوله العرب للرجل إذا قدم من سفر : أوبةً وطوبةً^(٥) « أى : أبت إلى عيش طيب ومآب ، طيب ، والأصل : طيبة^(٦) ، فجاءوا بالواو لمساوطة الأسلوب ومحاذاته .

(١) سماه سيويه في : الكتاب ٢/٢٥٩ القريب ، كما سماه : المضارعة : الكتاب : ٢/٢٦٤

(٢) الطور ٢٠

(٣) مختصر شواذ القرآن ١٤٥ ، لابن خالويه ..

(٤) البحر المحيط ٢٠٦/٨

(٥) المرهر : ٣٤٠/١ للسيوطي .

٥- ومن ذلك : أن الصبيغة ربّما
تلكأت على سلم التطور فتوقعت في مرحلة
التهذيب كقول الشاعر :

عديني أن أزورك أمّ عمرو

(دياوين) تشقق بالمداد

وعند ما بلغ التطور مداه ونهايته في
الفصحى أصبحت (دواوين) جمع :
ديوان .

ثانياً : وليس من المعاقبة ماجاء من باب
توهم أصالة الحرف في مثل قول الشاعر :

١- ولقد رأيتك بالقوادم مرة

وعلى من سدف العشى رياح^(١)

فالقياس : رواح ؛ لأنه من راح يروح ،
لكنه لما كثر قلب هذه الواو في تصريف
هذه الكلمة - ياء ، نحو : ريح ورياح ،
ومريح ومستريح ، وكانت الياء أيضاً
عليهم أخفّ ، تدرجوا من ذلك إلى أن
قلبوها في (رِيّاح) مع زوال الكسرة
التي توجب القلب ، وكانهم توهموا
أن الياء - أصلاً في ذلك ، أي ظنوها

أصلية وليست مقلدة عن واو . وقد أنكر
أبو حاتم السجستاني على عمارة بن عقيل -
- وهو من شعراء البادية في القرن الثالث
الهجري - حين ذكر في شعره (الأرياح)
جمع : ريح فقال له أبو حاتم : هي ؛
الأرواح ، فقال عمارة معتذراً : جذبني
إليها طبعي . أي إلى (أرياح) أماتسحهم
يقولون : رياح

ومن ذلك قولهم : أعياد - في جمع عيد.
والقياس أن يقال : أعواد ؛ لأن أصل
عيد (عود) لكن العرب توهمت
أصالة الياء في : عيد ، فجمعوها
(أعياد) .

٢- ومن هذا قول الراجز :

هو الجوادُ بنُ الجوادُ بنُ سَبَلْ

إن دوّموا جادَ وإن جادوا وبَلْ^(٢)

فالواو في دوّموا - أصلية ، لأنها مشتقة
من الدوام ، لكن رواه ابن قتيبة في كتاب
(أدب الكاتب) بلفظ (ديّموا) بالياء ،
وهذا شاذ ؛ لأن : الدّيمة - أصل الياء فيها

(١) الخصاص ١/٣٥٠ لان جنى ، وأنظر : مجالس العلماء ١٩٣ للزجاجي .

(٢) التصريف الملوكي ٣٣ لان جنى ط الثانيه ١٩٧٠ دمشق ، والبيت لمدح رجل وتفضيله على غيره في الكرم .

قلت : يا أمير المؤمنين . قد يعثر الجوادُ
فقال : أما هذه فنعم^(٣) !

رابعاً :

١- ومن خلال الشواهد لمحننا في المعاقبة
(وَحْدَةٌ) المعنى بين الصيغتين الواوية
واليائية .، فلا معاقبة فيما جاء عن ابن
السكيت عن أبي عمرو الشيباني : الكور-
المبني من الطين ، والكير : الزق الذي
ينفخ فيه^(٤) .

٢- وقولهم : قلوب وقلبت : تقال
لقلبي البسر والبر ، وكل شيء يقلى بالواو
والياء ، ولا يكون في البغض إلا قليت .
وقولك : وجه صبوح ، وصبيح ،
لا يصلح للمعاقبة ؛ لأن الصبوح : ما حلب
من اللبن بالغداة ، أما الصبيح ، فهو
الوصف من الصباحة بمعنى الجمال والبهاء ،
فالكلمة بالياء لا غير .

وقولهم : ضاع يضيع . من الضياع^(٥) ،
فالألّف منقلبة عن ياء ، وضاع يضيع :

واو ، لأنها من الدوام ، لكن الواو -
لما سكنت وانكسر ما قبلها قلبت ياء ،
فكان ينبغى حين ذهبت الكسرة الموجبة
لانتقال الواو ، أن ترجع إلى أصلها -
فيقول (دوّما) ، ولكن هذا من البدل
الذي يلتزمونه مع ذهاب العلة الموجبة له .

ثالثاً :

- ولا معاقبة بين الواو والياء فيما جاء عن
السّهو والغلط ، وذلك كقراءة الحسن
البصرى « وما تنزلت به الشياطين »
قال ابن جنى في المحتسب^(١) :
والشياطين غلط « وقال غيره : لحن
فاحش . وكذلك قال الفراء . وقد
سمع مثل ذلك عن العرب ، ففي كتاب :
عبث الوليد ، لأبي العلاء المعري قول
أعرابي : هذه بساتون^(٢) بني فلان «
ومثل ذلك قراءة الكسائي وكان يصلي
بهارون الرشيد فقراً « لعلهم يرجعين »
في قوله تعالى « لعلهم يرجعون » فلما
سلمت قال يا كسائي : أى لغة هذه ؟

(١) ١٣٣/٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩ . القاهرة . وانظر تفسير القرطبي ١٤٠/١٣ ، ونهاية
الأرب ٣٩٢/٣ ط القاهرة ، ومختصر شواذ القرآن ١٠٨ لان خالويه .

(٢) عبث الوليد ٢٢٦ للمعري . دمشق ١٩٣٦

(٤) المزهري ٢٩٠/٢ ، ٢٩٨

(٣) إنباه الرواه : ٢٦٢/٢

(٥) الإبدال ٤٥٥/١ لأبي الطيب اللغوي .

الألف منقلبه عن الواو . والمعنى مختلف ،
إذ الأولى من : الضياع ، والثانية من :
ضاع ، إذا ظهر . فلا معاقبة بين الصيغتين .

ومن هذا : البين ، فأصله الظرف
المكاني بين - ثم انتقل إلى : الفراق
والبعد والوضوح ، وأصلها : الظرف
(بين) ثم قالوا : بان يبين - وفرقوا في
المصدر فقالوا للبعد : البين ، وللوضوح :
البيان ، ثم قالوا : بَوْنٌ للمسافة بين
الشيئين . فالعربية هنا قد اتخذت من
الياء والواو وسياً لصرف الألفاظ إلى معانٍ
مختلفة . كتولنا : الغيث : للمطر ،
والغوثُ بمعنى جديد وهو المساعدة والنجدة^(١)
وهذا التباين يمكن أن يسمى بالقيم -
الخلافية : differential Values

٣- ولا معاقبة في قراءة الجمهور
« كذبتُ ثمود بطغراها » مع أنها من
[الطغيان] لأنهم يفرقون بين الاسم
والصفة ، فتقلب في الاسم واوا ، كما

هنا . وتبني في الصفة كما قالوا : امرأة
صديا وخزيا (أنظر البحر ٨/٤٨١) . هذا .
وقد نقل بعضهم أن طغى - قد يستعمل
واوياً ويائياً مثل : طغيت طغياناً وطغوت
طغواناً ، وعلى هذا الأخير تكون معاقبة .

- ٤ -

ومن طريقتنا في الدرس اللغوي أن
نعرض مباحثنا فيه على القرآن الكريم
لنرى تصويره للظواهر اللغوية ، وفي جولة
أعرض من خلالها تصويره للمعاقبة من
خلال قراءاته المختلفة :

١- أن عمر بن الخطاب قرأ « الله لا إله
إلا هو الحي القيوم^(٢) » وأصله : القيوم ،
فلما التقت الواو والياء وسبقت الأولى
بالسكون ، قلبت الواو ياء ، وأدغمت
فيها الياء^(٣) ، وعمر قرأ على منطلق الحجاز
لأنه قرشي .

٢- وقوله سبحانه « لاتذر على الأرض
من الكافرين دياراً » وهو : دوار :

(١) النحو العربي ٢٠٧ د . إبراهيم السامرائي . ط بيروت .

(٢) البقرة ٢٥٥

(٣) تفسير الطبري ١٥٥/٦ ط دار المعارف ، والمختضب ١٧٥/١ مخطوط بالتيهورية - القاهرة ، مختصر شواذ
القرآن ١٩ لابن خالويه ، معاني القرآن ١٩٠/١ للفراء . ط دار الكتب المصرية ، ديوان الأدب ورثة ٣٣٠ مخطوط
بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٣ لغة تيجور

(٤) نوح ٢٦

فعال من دار يدور ، فالاية نزلت بلهجة الحجاز ، وأقرت كذلك في المصحف ، ورسم المصحف يعتبر مرشداً إلى حد كبير للاهجة الحجاز .

٣- وقوله جل شأنه : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً »^(١) والأصل . فواماً ، فحولت واوها ياء ، والدليل على هذا ما جاء من كلام العرب مفعولاً على أصله - من قول حميد الأرقط :

{ قِوَامٌ دُنْيَا وَقِوَامٌ دِينٌ }^(٢)

وبعض القراء قرءوا في الآية السابقة : « قواماً للناس » .

٤- وفي قوله تعالى : « وعلى الذين يُطَيِّقُونَهُ فِدْيَةٌ »^(٣) . قرأ ابن عباس وعائشة وعكرمة وأيوب السخيتاني وعطا

(يُطَوَّقُونَهُ) ، كما قرأ آخرون (يُطَيِّقُونَهُ)^(٤) .

٥- وفي قوله تعالى : « فادع لنا ربك »^(٥) وأصلها من : دعا يدعو ، إلا أن لغة بني عامر (فادع)^(٦) بكسر العين ، وهي عندهم من ذوات الياء (دعا يدعى) .

٦- وفي قوله عز اسمه : « أو جاء أحدٌ منكم من الغائط »^(٧) قرأ الزهري وابن مسعود : من عَيْط . « وأصله : غوط على فعل . قلبت الواو للتخفيف - ياء ، أو قلبت استحساناً مثل : العلياء ، وهي من^(٨) علوت ، والعِيصاء بمعنى العوصاء (هي الكلمة الغريبة ، ومن الدواهي : الداهية الشديدة) .

٧- وفي القرآن : « قنوان دانية »^(٩) وحكى الفراء لغة رابعة وهي (قُنْيَان) بالياء^(١٠) .

(١) المائة ٩٧

(٢) تفسير الطبري ٩١/١١ ط دار المعارف .

(٣) البقرة ١٨٤

(٤) مختصر شواذ القرآن ص ١١ : والبحر المحيط ٣٥/٢ والمختص ١٢٥/١ بخطوط بالتبجور .

(٥) البقرة ٦١ (٦) البحر ٢٣٢/١

(٧) النساء ٤٣

(٨) المختص ١٩٠/١ ط المجلس الأمل بالقاهرة .

(٩) الأنعام ٩٩

(١٠) مختصر شواذ القرآن ص ٣٩ لابن خالويه .

ربما كانت المعاقبة بين الواو والياء ؛
أكثر شيوعهما في النسيج العربي ، وقد
دلت التجارب العلمية على أن نسبة
ورود الكسرة التي هي بعض الياء
١٨٤ في الألف ، والضممة ١٤٦ في الألف^١
وقد قام أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس
بإحصائية في القرآن الكريم أقتطف منها
مايويد وجهة نظري في شيوع صوتي الواو
والياء :

نسبة شيوع الواو ٥٢ مرة في كل ألف ،
والياء ٤٥ مرة في كل ألف .

على حين وقعت القاف ٢٣ مرة ،
وكل من السين والداد ٢٠ مرة ، والجيم
١٦ مرة ، والخاء ١٠ مرات^(٢) . ولم
يتقدم على (الواو والياء) في نسبة
شيوعهما غير : اللام والنون والميم ؛
لأن هذه الثلاثة تعد من الناحية الصوتية :
أشباها لأصوات المد اللين ، ونظرية
الشيوع تقرر أو تنادي بأن الأصوات

وإذا وسعنا الدائرة قليلا ، وخرجنا
من حقل المعاقبة إلى حقل آخر ، وجدنا
مارأيناه آنفا قد التزم في عدة ملامح
من ظواهر العربية ، من ذلك أن الكسائي
وهشاما قرءا قوله سبحانه : « وقيل ،
وغيض ، وحيل ، وجيء ، وسيق -
بالواو بدل الياء (البحر ج ١ ص ٦١)
كما قرأ عيسى بن عمر وطلحة بن مصرف
في سورة هود . آية ٧٧ قوله تعالى : «
سوءهم » بالضم والواو (البحر ج ٧
ص ١٥١) وقد عزيت الصيغ اليائية
لعريش ومن جاورها من كنانة (البحر
ج ١ ص ٦١) كما عزيت الصيغ الواوية
إلى قبائل قيس وعقيل ومن جاورهم ،
وعامة أسد ، وإلى دبير وفقعس (شرح
ابن عقيل ١ / ٤٢٦) .

ويلاحظ أن الصيغ اليائية معزوة
لقبائل الحضرم كقريش وكنانة ، على
حين آثرت القبائل البدوية كأسد
وقيس وعقيل ، ودبير وفقعس (وهما
بطنان من أسد) الصيغ الواوية .

(١) الألسنية العربية (٢) ص ٢٩ . ريمون طحاك . دار الكتاب اللبناني - بيروت .

(٢) الأصوات الفوقية ١٧٣ د . إبراهيم أنيس ط الثانية . نفسه مع .

التي يشيع تداولها في الاستعمال ، تكون أكثر تعرضاً للتطور من غيرها ، وكان صاحب هذه النظرية Vilhelm Thomsen وتبعه كثير من علماء اللغة المحاشين . وإنما تحولت الواو إلى الياء ؛ لأن الياء أخف من الواو ، والضم وهو الواو الصغيرة كما يرى علماء العربية القدامى - يحتاج إلى جهد عضلي^(١) أكثر ، لأنه يتكون بتحرك أقصى اللسان ، على حين يتكون الكسر بتحرك أدنى اللسان ، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه . ولهذا تميل البيئات المتحضرة إلى الكسر ، فهو يشير إلى الرقة ، والكسرة رمز المونث ، والتصغير في العربية - بالياء ، والكسرة كما يقولون : هي الياء الصغيرة .

موسيقية المعاقبة :

على أن (المعاقبة) تمثل جانبا من المرونة اللغوية ، وبذلك : يتحقق لها نوع من الموسيقى الظاهرية ، فالصرفيون يرون أن الواو إذا وقعت

عينا لجميع على فعل - فالقياس هو الإجمال (صييم ونيم) ثم نسمعهم يقولون إن الأكثر هو التصحيح (صوم ونوم) ، كما يرون أن الفعل الثلاثي المنتوح العين الواوى اللام تصح لاهه في اسم المشعول مثل : معدو ومرجو ، ولكن وجدنا نغمة أخرى في التراث كقول عبدالغوث بن وقاص الحارثي :

وقد علمت عرسى مليكة أننى
أنا الليث معدياً عليه وعاديا

وهذه المرادة بين الواو والياء تحقق نسقاً صوتياً وظلالاً موسيقية ذات ألوان .

أحكام على المعاقبة :

١- يقول سيبويه في الكتاب ٢ - ٣٨٢ س ٦.٥ « وقالوا مرضى ، وإنما أصله الواو ، وقالوا مرضو ، فجاءوا به على الأصل والقياس »

٢- ويقول الفراء في كتاب المنقوص والممدود ص ٣١ : الرحي بالياء والألف ؛

(١) انظر : الإنصاف ١/١٤ ط السعادة الرابعة . حيث يرى أن الياء أخف من الواو ، وانظر : أسرار العربية ٣١٦ لابن الأنباري ط دمشق ، ويقول صاحب التصريح ١/٥٩ « أقوى الحركات الضم ولبه الكسر ثم الفتح » .

المعاينة والمجتمع :

وتطور الصيغة من صوت إلى آخر
يحقق مع الجانب الموسيقى كما رأيت -
جانبا آخر يتلخص في أن الصيغتين
الواوية واليائية يمكن أن تصور كل
منهما ما عليه المجتمع من مستوى متخلف
أو متقدم ، حضري أو بدوي ، إذ
اللغة نموذج لحياة الشعوب تقديما وتخلفا
خذ مثلا ماجاء في طبقات الزبيدي^(١) حين
عزا إلى قبيلة (بنى عامر) صيغة (ما
سيأتك العرب) وقياس هذا الفعل كما
تعلم من باب : فعل بفتح العين في
الماضي وضمها في المضارع (سوأتك) .
وأرجح أن (بنى عامر) كلها لم تنطق
هذا الفعل بالياء - بل الذين نطقوه منهم
كذلك هم الحضر ، ومما يرجح هذا
أن منازل (بنى عامر) بعضها كان
في نجد ، والآخر كان في الطائف ،
ولا شك أن القاطنين منهم في الطائف
كانوا حضرا ، وأن ساكني نجد كانوا
بدوا . كما أحب أن أشير إلى أمر هام ،
وهو أن المعاينة ليست لازمة في لهجات
الحجاز ، ومن سار سيرها ، وإلا

وقدم ذكر الياء ؛ لأنها أعلى . ففي
اللسان : تثنيها : رحوان ، والياء
أعلى .

٣- قال القزاز في الجامع ، وابن القطاع
في أفعاله : بروت العود والقلم بروا ،
وبريته برياً . قال القزاز : والياء أعلى .
القزاز القيرواني ص ٩١ . ط تونس .

٤- يقول ابن عصفور ؛ فأما فُعَال
نحو : صوام فلا تقلب الواو فيه ياء
لبعدها من الطرف ، وقد جاء حرف
واحد شاذ ، وهو قولهم : فلان في
صِيَابة قومه ، يريدون : صُوَابة . أي :
صميمهم ونخالصهم . « ابن عصفور
والتصريف ص ١٥٠ تأليف : قباوة » .

٥- وفي المخصص لابن سيده (١٤/
٢٥) : وجعلته على حنديرة عيني ،
وحنديرة عيني ، يقول أبو عبيد :
والحنديرة ؛ أجود . وأرى أن هذه
الأحكام تمثل وجهة النظر المعيارية من
جانب علماء العربية الأقدمين .

(١) طبقات النحويين واللغويين ٢٩٥ للزبيدي ط الخانجي . القاهرة .

لخلت من منطقتهم الواوات ، وهذا ما لم ألاحظه ، فالمعاقبة إذن ليست مطردة في كلامهم .

اقترح :

أرى أن توسع أبعاد المعاقبة اللغوية فلا تقتصر على تعاقب حرفي الواو والياء كما رأى علماءنا القدامى ، بل يمكن أن نبسط حدودها ، وننشر أبعادها فتشمل التعاقب بين حركتي الضمة والكسرة ، « وقد كان متقدمو النحاة يسمون الضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة^(١) » لأن الواو ليست في الحقيقة إلا امتدادا للضم مع فرق يسير في وضع اللسان ، وأن الياء امتداد للكسرة مع فرق يسير في وضع اللسان أيضاً ، ولقد جمعت قدراً صالحاً من التعاقب بين الكسرة والضمة ، فكانت نتيجة هذا العمل أن سار في خط واحد مع تعاقب الواو والياء حيث عزيت صيغ

الضم إلى القبائل البدوية ، والكسر إلى القبائل القارية ، تماماً كالواو والياء . وذلك يتفق وما أراه من توسيع أبعاد (المعاقبة) لتشمل الواو والياء ، والضمة والكسرة ، فمن ذلك :

(أ) أن تيمما تضم أوائل (عدوة ، وعشوة ، وأسوة ، وقدوة) والحجاز تكسر .

(ب) ضم الراء من (رضوان) لغة عيس وتميم^(٣) والكسر لغة أهل الحجاز^(٤) .

(ج) ضم الصاد من (صنوان) لغة تميم وقيس ، وبالكسر لغة أهل الحجاز^(٥) .

(د) ضم القاف من (قنوان) لغة قيس ، وبالكسر للحجاز^(٦) ، وفي اللسان أن الصيغة بالكسر معزوة إلى قبيلة كلب . وببيئة هذه القبيلة ليست إلا امتداداً للبيئة الحجازية المتحضرة كما سبق في هذا البحث

(١) سر صناعة الإعراب ١٩/١ لابن جني . ط أول

(٢) المزهري ٢/٢٧٧ ، إبراز المعاني ٣٤٤ وانظر إنجاء ، فصاحة البشر ٢٥٤

(٣) المصباح ١/٣٥٢

(٤) إبراز المعاني ٢٦٧

(٥) البحر المحيط ٥/٣٥٧

(٦) المصباح ٢/٧٩٨

يتعاقبان في كثير من الصيغ مع الكسرة
والياء في العبرية . وعلى سبيل المثال :

اسم	في العربية	في عبرية
	وَلَدٌ	וּלְדָן
أفعال	وَلَدَ	וּלְדָן
	وَرِثَ	וּרְשָׁה
	وَعَدَ	וּבְרַח
ضمائر منفصلة	أَنْتُمْ	אַתֶּם
	أَنْتِ	אַתְּ
	هُمْ	הֵם
	هِنَّ	הֵנָּה
ضمائر متصلة	... تُمْ	וְאַתֶּם
	... تِن	וְאַתְּ

(هـ) كسر الشين من (شواظ .) لغة الكلابيين ، وبعضهم حضر ، على حين ضم غيرهم من البدو ، كما وردت قراءة ابن كثير وابن محيصن بكسر الشين . وابن كثير مكى ، وابن محيصن قرشى ، فهما يمثلان لهجة الحجاز الحضرية التي تجنح إلى الكسر .

(و) (قبلاً) بالضم لتميم ، وبالكسر لكنانة^(١) وكنانة من الحضرم .

(ز) (Suhru) في الآشورية بالضم ومعناها : صغير ، وهي تقابل (sehru) في البابلية بالكسر بالمعنى السابق ، والعلاقة واضحة بين الآشورية وبين اللهجات الشرقية والتي تؤثر الضم ، كما أن العلاقة واضحة كذلك بين البابلية وبين اللهجات الغربية والتي تؤثر الكسر .

(ح) (أمو) في الآشورية ، بالضم ، ويقابلها في البابلية (إمو) بالكسر ، وفي العبرية ' יְמוּ ' .

فإذا نظرنا إلى المقارنات السامية وجدنا أن الضمة والواو في العربية

(٧) كتاب اللغات في القرآن ص ٢٦ .

وفي النهاية يُؤكد هذا العمل وحدة
نظامه ، وهذا يقودنا إلى وحدة الحكم
بينهما كما رأيت . ولكن لماذا آثرت
تقبائل البادية صوت الواو أو الضمة ،
ولحاضرة صوت الياء أو الكسرة ؟ ربما
من قبائل البادية إلى الضمة ، وهو
مقياس لين خلقي ؛ لأن الضم مظهر من
مظاهر الخشونة البدوية وطبع الجفاة من
عرب ، كما مالت القبائل القارية (المستقرة)
إلى الكسر ؛ لأن الكسر دليل التحضر والرفقة
في معظم البيئات اللغوية .

إنما وقع التعاقب بين صوتي الواو
والياء والضمة والكسرة ؛ لأنهما متشابهان
من الناحية الصوتية ؛ فكلاهما من
أصوات اثنين الضيقة .

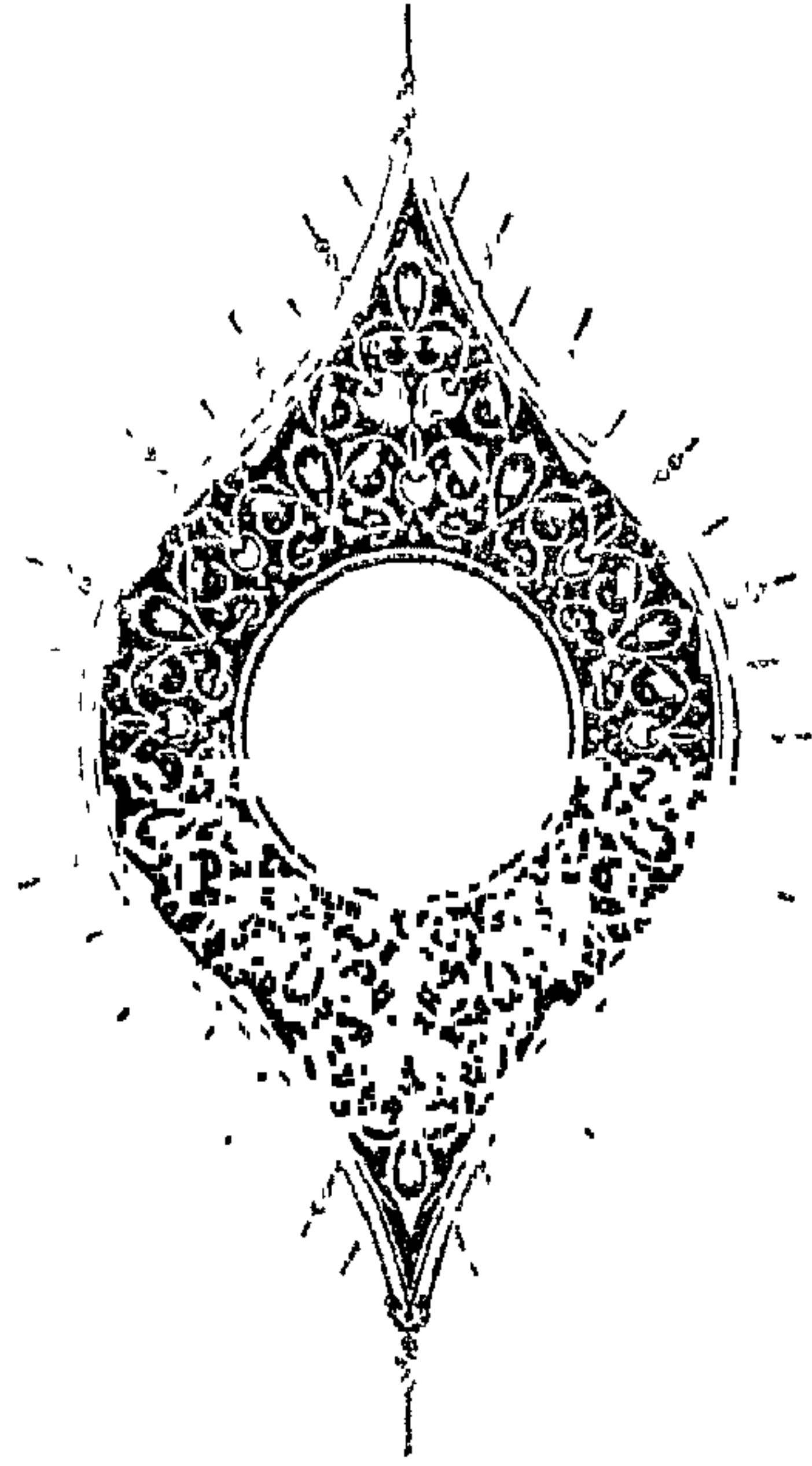
كما نراهما في العربية الشمالية والجنوبية
وسميات كعلامة إعراب . فالمثنى
يعرب بياء والنون في حالي النصب
ولحرفي اللغتين الأكديّة والبابليّة
تقدّمتين ، والجمع المرفوع في تلك
اللغات يالواو ، وهي علامة الجمع
المرفوع في كل اللغات السامية تقريبا ،
كما ينتهي بياء في حالي النصب والجر .

وعلى كل فالعربية الفصحى تميل إلى
لهجة الحجاز ، حيث أن الفصحى تميل
نحو الكسرة كلما كان لها أن تختار
بينها وبين الضمة ؛ مما يدل على أن
الواو أثقل من الياء ، كما أن الواو
خلفية في مستوى الحلق ، والاستدارة
في مستوى الشفتين ، الأمر الذي يجعل
نطقها أثقل من نطق الكسرة أيضاً ،
ويؤكد هذا ماورد في كتاب الإنصاف
لابن الأنباري ج ١ ص ١٤ ط
السعادة . قالوا : طويت طياً ، ولويت
لياً ، وشويت شيئاً . والأصل فيه :
طوياً ولوياً وشوياً ، إلا أنه لما اجتمعت
الواو والياء والسابق منهما ساكن قابوا
الواو ياء ، وجعلوهما ياء مشددة ، وإنما
وجب قلب الواو إلى الياء دون قلب
الياء إلى الواو ؛ لأن الياء أخف من الواو ،
فلماوجب قلب أحدهما إلى الآخر كان
قلب الأثقل إلى الأخف أولى من
قلب الأخف إلى الأثقل .

هذا . وما تجب الإشارة إليه أن ابن
مالك نظم الأفعال التي جاءت لاماتها بالواو

والياء ، كما عقد لها ابن
السكيت بابا في إصلاح المنطق^(١) ، وابن
قتيبة باباً في أدب الكاتب^(٢) .
وأول قصيدة ابن مالك .
قل إن نسبت عزوته وعزيتته
وكنوت أحمد كنية وكنبته

وطغوت في معنى طغيت ، ومن قني
شيئاً يقول : قنوته وقنيته
وبلغت القصيدة تسعة وأربعين بيتاً
كما في رواية السيوطي^(٣) ، وآخر أبياتها :
عيني همت تهمو وتهمي دمعها
وحموته المأكول مثل حميته
أحمد علم الدين الجندی



(١) ص ١٣٨
(٢) ص ٣٦٤ / ٤٥٩ .
(٣) المزهري ٢ / ٢٧٩

المستدرك معاني حرفي التنفيس

للكاتب الصحفي عبد المنعم سعيد

تقديم

عنى السابقون من النحاة بالإعراب وعوامله، والبناء وأحواله، وكادت هذه العناية تصرفهم عن استيفاء مدلول كثير من حروف المعاني، ولا سيما ما لا يعمل منها.

وحاول المتأخرون من النحويين استدراك ما فات أسلافهم فعنوا بهذه الحروف من خلال اشتغالهم بالقرآن الكريم تفسيراً لمعانيه، أو شرحاً لعلومه، ومنهم من خصها بالكتب أو الأبواب الطوال، يشرحون فيها معانيها المختلفة، ويصفون وظيفة كل حرف منها في الجملة؛ ولقد يسر الله لشيخ من شيوخ هذا العصر - رحمه الله - أن يبذل في جمع هذا التراث والتعليق عليه جهداً مشهوراً مشكوراً.

وإذا كان طلب العلم أمانة محمولة حتى يقبض الله الدنيا - فقد انكشف لي - وأنا أنظر في آيات القرآن الكريم، وأقوال الشعراء القدامى - معنى لحرفي التنفيس أراه قد فات النحاة قبلاً فلم يُبين لأحد منهم.

ولقد بذلت قصارى جهدي في بيان هذا المعنى، وعرض أدلته مستأنساً بما قال السابقون في شرح النصوص تارة، مجتهداً في استنباط ما يحتمله النص وأراه الوجه تارة أخرى.

وجزى الله خيراً من نظر في مقالى هذا فدلني على ثغرة فيه خفيت عليّ؛ أو رأى فيما قلت غير الذى رأيت، فأهداه إليّ.

السين

يقول سيبويه في معنى (السين) :

الحدث في المستقبل ، فإن (السين)
تدل على إيجابه في المستقبل .

« فإذا قال : ذهب ، فهو دليل على

أن الحدث فيما مضى من الزمان ، وإذا

قال : سيذهب ، فإنه دليل على أنه يكون

فيما يُستقبل من الزمان^(١) . . . »

ويقول ابن هشام :

« (السين) المفردة حرف يُختص

بالمضارع ، ويخلصه للاستقبال ، وينزل

منه منزلة الجزء . ولهذا لم يعمل فيه

مع اختصاصه به ، وليس مقتطعا من

(سوف) خلافا للكوفيين^(٢) . ولامدة

الاستقبال معه أضيق من (سوف)

خلافاً للبصريين^(٣) ، ومعنى قول المعريين

فيها : « حرف تنفيس » حرف توسيع ،

وذلك أنها نقلت المضارع من الزمن

الضيق . وهو الحال إلى الزمن الواسع .

وهو الاستقبال ؛ وأوضح من عبارتهم

قول الزمخشري وغيره : « حرف

ويقول في (باب عدّة ما يكون عليه

الكلام) :

« والسين التي في قولك : سيفعل ،

وزعم الخليل أنها جواب لن يفعل^(٤) . »

« فالسين » في رأى سيبويه حرف

يخلص المضارع للاستقبال ، وزعم الخليل

أن (سيفعل) جواب (لن يفعل) ،

ومعنى ذلك أن (السين) نقيض (لن)

في المعنى ، فإذا دلّت (لن) على نفي

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه ١٨٠ هـ ، الكتاب ، تحقيق هاون ، ج ١ ، القاهرة ،

ص ٣٥ — بولاق ج ١ ، ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق ، هارون ، ج ٤ ، القاهرة ، ص ٢١٧ — بولاق ج ٢ ، ص ٣٠٤

(٣) انظر تفصيل هذا الاختلاف عند كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ٥٧٧ هـ

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق محمد محيي الدين ، ج ٢ ، ط ٤ ، ١٣٨٠ هـ

١٩٦١ م ، المسألة ٩٢ ، ص ٦٤٦ وما بعدها ، وانظره أيضا عند يعيش بن علي بن يعيش ، ٥٦٤٣ شرح

المفصل ، ج ٨ ، القاهرة بدون ، ص ١٤٨ وما بعدها .

استقبال^(١) « ... وزعم الزمخشري أنها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة ، ولم أر من فهم وجه ذلك . ووجهه أنها تفييد الوعد بحصول الفعل ، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضى لتوكيده وتشبیت معناه ، وقد أوماً إلى ذلك في (سورة البقرة) . فقال في « فسيفكفهم الله^(٢) » : ومعنى (السين) أن ذلك كائن لا محالة . وإن تأخر

إلى حين^(٣) ؛ وصرح به في (سورة براءة) فقال في « أولئك سيرحهم الله^(٤) » (السين) مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت : سأنتقم منك^{(٥)(٦)}

ويقول بدر الدين الزركشي :

« وفرق ابن بابشاذ بينهما بأن (سوف) تستعمل كثيراً في الوعيد والتهديد ، وقد تستعمل في الوعد . . . ، والأكثر في (السين) الوعد ، وتأتي للوعيد^(٧) . »

- (١) انظر المرجع السابق حيث يقول الزمخشري : « ومن أصناف الحرف حروف الاستقبال ، وهي سوف السين . . . » . وانظر ذلك أيضا عند محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي ٧٥٤ هـ البحر المحیط ج ٥ ، ط ٢ ، ١٣٩٨-١٩٧٨ م ، ص ٧١ حيث يقول : « وليس مدلول السين توكيد ، ما دخلت عليه إنما تدل على تخليص المضارع للاستقبال فقط » .
- (٢) سورة ٢ (البقرة) : ١٣٧ .
- (٣) وانظر أيضا : جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٥٣٨ هـ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأتأويل في وجوه التأويل ج ١ ، بيروت ، منقولة عن طبعة تهران ، بدون ، ص ٣١٥ .
- (٤) سورة ٩ (التوبة) ٧١ .
- (٥) انظر أيضا : الكشاف عن حقائق التنزيل ، ج ٢ ص ٢٠٢ .
- (٦) جال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري ٧٦١ هـ ، معنى اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق محمد محيي الدين ، القاهرة ، بدون ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ وانظر أيضا أحمد بن عبد النور الملقب ٧٠٤ هـ رصف المبانى في شرح حروف المعاني ، تحقيق أحمد الخراط ، دمشق ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، ص ٣٩٦ - ٣٩٨ .
- (٧) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ج ٤ ط ١ ، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م ، القاهرة ، عيسى الحلبي ، ص ٢٨٢ .

أما جلال الدين السيوطي فقد روى ما قاله ابن بابشاذ في الفرق بين (السين) :

و (سوف) ، ولم يُعلق بشيء^(١) .

١ - « فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ

٢ - « مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ

سَيُبْطِلُهُ » ١٠ (يونس) : ٨١ .

٣ - « سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ

آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ » ٦ (الأنعام) : ١٥٧ .

٤ - « سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ »

٦ (الأنعام) : ١٣٨ .

٥ - « سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ » ٦ (الأنعام) : ١٣٩ ...^(٢) »

وقد عد الشيخ عضيمة في هذا القسم

خمسة وأربعين شاهداً قرآنيًا^(٤) جاءت

وأما الشيخ محمد عضيمة فقد حكى

أقول ابن بابشاذ ، وأضافه إلى البرهان

لإتقان ، ثم قال بعد ذلك :

« قد تبين لي بعد استقراء مواضع

(السين) في القرآن أن مواضع استعمالها

في الوعيد تزيد عن مواضع استعمالها

للوعيد^(٣) . »

ثم بين ذلك مفصلاً في مكان آخر

من كتابه دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،

فقال :

(١) الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١ هـ الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ،

القاهرة ١٩٧٤ م ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

(٢) محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ج ٢ ، جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية ، مطبعة السعادة ، بدون ، ص ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٨ - ١٨٠ .

- إفادة (السين) للوعيد في معظمها واضحة
جلية^(١)؛ ثم قال بعد ذلك :
- ٥ - « وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » ٣
(آل عمران) : ١٤٤ .
- « وجاءت (السين) للوعد في هذه
المواضع^(٢) :
- ٦ - « وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ » ٣
(آل عمران) : ١٤٥ .
- ٧ - « إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا »
١٩ (مريم) ٩٦ .
- ٨ - « سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا »
٦٥ (الطلاق) : ٧ .
- ٩ - « وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى » ٩٢ (الليل)
١٧ .
- ١٠ - « فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَآخِضُوا
بِهِ فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » ٤
(النساء) : ١٧٥ .
- ١ - « وَإِنِّي ءَأَنْسَتُ نَارًا سَخَاتِيكُمْ مِنْهَا
بِخَبْرٍ » ٢٧ (النمل) ٧^(٣) .
- ٢ - « وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ
فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » ٤٨ (الفتح) : ١٠ .
- ٣ - « سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ »
٩ (التوبة) : ٥٩^(٣) .
- ٤ - « وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا » ٤ (النساء)
١٦٢ .

(١) نقول في معظمها لأن بعض هذه الشواهد يحتمل أن تفيد فيه (السين) الوعد مثل الشاهد ذي الرقم ٤٠ ، ص ١٨٠ « سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب » سورة ٨ (الأنفال) : ١٢ ، فسياق هذا الشاهد قوله - تعالى : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » قال أبو حيان في البحر المحيط، ج ٤، ص ٢٧٠ « ويحتمل أن يكون « سألقى » إلى آخر الآية خبرا يخاطب به المؤمنون عما يفعله بالكفار بالمستقبل « أي أنه وعد من الله - تعالى - للمؤمنين بإلقاء الرعب في قلوب الكفار . ويقال مثل ذلك في الشاهد رقم ٤١ ، ص ١٨٠ : « سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب » سورة ٣ (آل عمران) : ١٥١ فأبو حيان يقول في تفسيره البحر المحيط، ج ٣، ص ٧٧ : « سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب أي هؤلاء الكفار وإن كانوا ظاهرين عليكم يوم أحد فإننا نخذلهم بإلقاء الرعب في قلوبهم ، وأتى بالسين القريبة الاستقبال وكذا وقع ، ألقى الله في قلوبهم الرعب يوم أحد . . . » ومعنى ذلك أنه وعد صادق من الله ، وقد وقع : إذن فمد هذين الشاهدين من شواهد إفادة (السين) للوعيد وهو .

(٢) سنثبت ما ذكره الشيخ عزيمة من شواهد ما أفادت فيه (السين) وعدا ، وما لم تفد فيه (السين) وعدا أو وعيدا لأن هذين المجموعتين من الشواهد هما اللذان اخترنا منهما شواهدنا التي جعلناها موضوع المناقشة والاستنباط .

(٣) ستكون هذه العبارة موضوع نقاشنا بهذا .

١٧- « وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ
خَطِيئَاتِكُمْ وَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ » ٢
(البقرة) : ٥٨

١٨- « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي
أَنْفُسِهِمْ » ٤١ (فصلت) : ٥٣ .

١٩- « وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ
خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ » ٧
(الأعراف) : ١٦١ .

٢٠- « قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ »
٢٨ (القصص) : ٣٥ .

٢١- « قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا الْأُولَى » ٢٠ (طه) : ٢١ .

٢٢- « قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ
رَبِّي » ١٩ (مريم) : ٤٧ .

١١- « أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ
اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ » ٩ (التوبة) : ٩٩ .

١٢- « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ »
٤ (النساء) : ٥٧ .

١٣- « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » ٤ (النساء) : ١٢٢ .

١٤- « سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ »
٢١ (الأنبياء) : ٣٧^(١) .

١٥- « أَوْلَيْتَكَ سَيَرَحَمَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ » ٩ (التوبة) : ٧١ .

١٦- « وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا » ٢٧ (النمل) : ٩٣^(٢) .

(١) وضع الشيخ عضية هذه العبارة ضمن شواهد إفادة (السين) الوعد ، ولعل هذا كان سهوا منه ، فأبو حيان يقول في البحر المحيط ، ج ٦ ، ص ٣١٢ عجز : « . . . » « سَأُرِيكُمْ آيَاتِي » أي آيات الوعيد فلا تستعجلون في رؤيتكم العذاب . . . » فحق العبارة أن تكون في شواهد إفادة (السين) الوعيد .

(٢) يقول أبو حيان في البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، صدر : « سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ » تهديد لأعدائه بما يريهم الله من آياته « فحق العبارة إذن أن تجعل في شواهد إفادة (السين) الوعيد .

(٣) يقول أبو حيان في البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٥٠٥ ، وسط : « ثم توعدهم بما هو كائن لا محالة ، فقال : «سنريهم آياتنا في الآفاق» ، قال أبو المنهال والسدي وجماعة : هو وعيد للكفار بما يفتح الله على رسوله من الأقطار . . . » فد (السين) في الآية تنفيذ الوعيد وفاقا لأبي حيان ومن نقل عنه .

٣٢ - « سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالِهِمْ » ٤٧

(محمد) : ٥

٣٣ - « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى *
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى »
٩٢ (الليل) ٥ - ٧ .

واستعملت السين في غير الوعد والوعيد
في هذه المواضع ^(٢) :

١ - « قَالَ سَأُوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي
وَالْمَاءِ » ١١ (هود) : ٤٣ .

٢ - « فَسَتَبْصُرُ وَيَبْصُرُونَ » ٦٨
(القلم) : ٥ .

٣ - « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ
قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا » ١٨
(الكهف) : ٨٣ .

٤ - « وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا
لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ » ٩ (التوبة) : ٤٢ .

٥ - « سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ
إِلَيْهِمْ لِيَتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ » ٩ (التوبة) : ٩٥ .

٢٣ - « وَيَقُولُونَ سَيُغْفِرُ لَنَا » ٧

(الأعراف) : ١٦٩ .

٢٤ - « سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنبَىٰ » ٨٧
(الأعلى) : ٦ .

٢٥ - « وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا »
١٨ (الكهف) : ٨٨ .

٢٦ - « فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ٧ (الأعراف) : ١٥٦ .

٢٧ - « فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ » ٢ (البقرة)
١٣٧ .

٢٨ - « قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
صَابِرًا » ١٨ (الكهف) : ٦٩ ^(١) .

٢٩ - « سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ » ٢٨ (القصص) : ٢٧ ^(١) .

٣٠ - « سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّابِرِينَ » ٣٧ (الصفات) : ١٠٢ ^(١) .

٣١ - « قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ »
٢٦ (الشعراء) : ٦٢ ^(١) .

(١) ستكون هذه العبارة موضوعا للنقاش بعدا .

(٢) اكتبني الشيخ عفيمة في الإشارة بذكر أرقام السور والآيات ، واكنا فضلنا أن تكون نصوص العبارات
بين يدي القارئ تيسيرا عليه ، وتمكيننا له من المشاركة في استنباط الحقائق .

- ٦ - « قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ »
 « قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَنَخَاعِلُونَ » ١٢ (يوسف) : ٦١^(٢) .
- ٧ - « عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ »
 « سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ » ٤٧ .
- ٨ - « سَيَذَكِّرُ مَنْ يَشَاءُ » ٨٧
 (البقرة) : ٢٣٥ .
- ٩ - « وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى » ٦٥ (الطلاق) : ٦^(١) .
 « وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ »
 (الرؤم) : ٣ .
- ١٠ - « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ »
 « وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ » ٣ (آل عمران) :
 ١٢^(٢) .

(١) ستكون هذه العبارة موفية عما للتقاش بهذا .

(٢) (السين) في هذه العبارة مفيدة للوعد ، قال أبو حيان في النهر الماد من البحر ، حاشية البحر المحيط ج ٥ ، ص ٣٢٠ عجز : « قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ » أي سنخادعه ، ونستميله في رفق إلى أن يتركه يأتي معنا إليك ، ثم أكدوا ذلك الوعد بأنهم فاعلو ذلك لا عمالة لا نفراط فيه ولا تتواني . إذن فوضع هذه العبارة فيما لا تنفيذ فيه (السين) وعدا أو وعيدا سهوا .

(٣) في النهر الماد من البحر ، حاشية البحر المحيط ، ج ٨ ص ٨١ عند تفسير قوله - تعالى : « ذلك بأنهم قالوا للذين كذبوا ما نزل الله سنعطيكم في بعض الأمر والله يعلم أسرارهم » - قال أبو حيان : « ذلك بأنهم قالوا » روى أن قوما من قريظة والنضير كانوا يعدون المنافقين في أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلاف عليه بنصرة ومؤازرة ، وذلك قولهم : « سنطيعكم في بعض الأمر » . ف (السين) في هذه العبارة إذن مفيدة للوعد وفاقا لأبي حيان ووضع هذه العبارة فيما لا تنفيذ فيه (السين) وعدا أو وعيدا سهوا .

(٤) في النهر الماد من البحر . حاشية البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ عند تفسير هذه الآية قال أبو حيان : « قل للذين كفروا » هم معاصروه عليه السلام ، وفي سبب نزولها اختلاف : قيل إن يهود قينقاع قالوا بعد وقعة بدر : إن قريشا كانوا أغمارا ، ولو حاربنا لرأيت رجالا ، وناسب ما سبق من الوعد الصادق في قوله فيما آل إليه الكفار السابق ذكرهم في أخذ الله إياهم ومآلهم إلى النار ذلك الوعد الصادق في قوله : « ستغلبون وتحشرون » الآية ا . هـ . فد (السين) في قوله : « ستغلبون » مفيدة للوعد وفاقا لأبي حيان حيث الوعد إلى رسول الله (ص) أو مفيدة للوعد الموجه إلى الذين كفروا . إذن فوضع هذه العبارة فيما لا تنفيذ فيه (السين) وعدا أو وعيدا سهوا .

هذا وقد أشير إلى آية هذه العبارة في كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول ، ج ٢ ص ١٨٢ بالرقم ١١٢ : ٣ ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، وهو ٣ : ١٢ لأنه لا يوجد مضارع مسبوق بـ (السين) في الآية ٣ : ١١٢ كما أن الترتيب المنجس للشرع لا يتمضي ما أثبتناه .

١٤ - « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَا الثَّقَلَانِ »
٥٥ (الرحمن) : ٣١^(١)

١٥ - « سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ
مَاوَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا »
٢ (البقرة) : ١٤٢ .

١٦ - « سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا » ٦ (الأنعام) : ١٤٨^(٢) .

١٧ - « سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ
الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا » ٤٨ (الفتح) :
١١ .

١٨ - « سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ
إِلَى مَغَانِمَ لِنَسْأَلُوهَا ذُرُونًا نَّتَبِعْكُمْ » ٤٨
(الفتح) : ١٥ .

١٩ - « قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن

٢٠ - « قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا *
أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ نَسِيَ الَّذِينَ
مَن يُعِيدُنَا » ١٧ (الإسراء) : ٥١ .

٢١ - « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ *
١٨ (الكهف) : ٢٢ .

٢٢ - « قُلْ لِّدُنِ الْأَرْضِ وَمَن فِيهَا إِن
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ اللَّهُ » ٢٣
(المؤمنون) : ٨٥ .

٢٣ - « قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ
وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ اللَّهُ » ٢٣
(المؤمنون) : ٨٧ .

٢٤ - « قُلْ لِّدُنِ الْأَرْضِ وَمَن فِيهَا إِن
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ اللَّهُ » ٢٣
(المؤمنون) : ٨٥ .

٢٥ - « قُلْ لِّدُنِ الْأَرْضِ وَمَن فِيهَا إِن
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ اللَّهُ » ٢٣
(المؤمنون) : ٨٥ .

٢٦ - « قُلْ لِّدُنِ الْأَرْضِ وَمَن فِيهَا إِن
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ اللَّهُ » ٢٣
(المؤمنون) : ٨٥ .

- ٢٤ - « قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ » ٢٣ (المؤمنون) : ٨٩ .
- ٣٠ - « قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْتِي وَبَيْتِكَ سَأُنْبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا » ١٨ (الكهف) : ٧٨ .
- ٣١ - « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ * وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ » ٦ : (الأنعام) : ٩٣ .
- ٣٢ - « إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِيبُكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ » ٢٧ : (النمل) : ٧ (٢٢) .
- ٣٣ - « .. فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ سَتَىٰ هُوَ » ١٧ (الإسراء) : ٥١ .
- ٣٤ - « ... فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً » ٨ (الأنفال) : ٣٦ .
- ٣٥ - « سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْتَمَّوْكُمْ وَيَتَأَمَّنُوا مِنْكُمْ » ٤ (النساء) : ٩١ .
- ٢٥ - « وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ نَذًا إِفْكٌ قَابِئٌ » ٤٦ (الأحقاف) : ١١ .
- ٢٦ - « قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا » ٤٨ (الفتح) : ١٥ .
- ٢٧ - « وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا » ١٨ (الكهف) : ٨٨ (٢١) .
- ٢٨ - « وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ » ١٩ (ريم) : ٨٢ .
- ٢٩ - « إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا » ٧٣ (المزمل) : ٥٠ .

(١) إفادة (السين) للوعد في هذه العبارة واضحة جلية ، وقد وضعها صاحب دراسات لأسلوب القرآن الكريم قبلا فيما تفيد فيه (السين) وعدا ، وأعلى لها الرقم ٢٥ إذن فوضعها هنا فيما لا تفيد فيه (السين) وعدا أو وعيدا سهو واضح .

(٢) جعل الشيخ عزيمة قبلا هذا النص أول شاهد فيما جاءت فيه (السين) للوعد ، والآن يذكره فيما استعملت فيه (السين) لذير الوعد والوعيد ، ولعل هذا الترجيح قرينة على صواب ما سنقوله بعدا من أن ل (السين) في هذا الشاهد ما دلولا لم يقع لنحوى من قبل .

- ٣٦ - سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ»
٥٤ (القمر) : ٤٥^(١) .
- هل تفييد (السين) معنى الاستمرار^(٥) ؟
- (السين) (وسوف) يخلصان
المضارع إلى معنى الاستقبال^(٦) .
- ٣٧ - « وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي
سَيُهْزَمُ بَيْنِي » ٣٧ (الصافات) : ٩٩^(٢) .
- (سوف) أشد تراخياً في الاستقبال
من (السين)^(٧) .
- ٣٨ - « إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي
فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ » ٤٣ (الزخرف) : ٢٧^(٣)
- ليس لحرفي التنفيس صدر الكلام^(٨) .
- ثم أتم الشيخ عزيمة كلامه عن
(السين) في مجموعة فقار جعل لها
العنوانات الآتية :
- هل تفييد (السين) و (سوف)
تحقق الوقوع^(٤) ؟
- الجملة المصدرية ب (السين) مقول
للمقول^(٩) .

(١) قال أبو حيان في البحر المحييط : ج ٨ ، ص ١٨٣ : « وفي قوله — تعالى — : « سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ » عدة من الله — تعالى — لرسوله — صلى الله عليه وسلم — بهزيمة جمع قريش » ، فد (السين) في هذا الشاهد مفيدة للوء وفاقاً لأبي حيان ، ووضعها فيما لا تفييد فيه (السين) وعدا أو وعيدا سهواً .

(٢) سيكون هذا الشاهد موضوع بحث بعدا .

(٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٨) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٩) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

وإذا كان صاحب دراسات لأسلوب القرآن الكريم نحويًا معاصرًا قد استعان في تصنيف كتابه بما انتهى إليه النحويون والمفسرون من قبله - كنا على يقين من أن النحويين جميعاً قدماء ومحدثين لم يجدوا (السين) الداخلة على المضارع في القرآن الكريم إلا ما ذكرناه قبلاً من أنواع الاستخدام غير التي أرى أن الإنعام في النظر إلى بعض أساليب القرآن الكريم يكشف عن معنى (الدين) أراه لم يقع لنحوي من قبل، وبيان ذلك فيما يأتي من القول :

قال تعالى - في سورة (طه) من لفظة موسى عليه السلام :

« إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِيهَا امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَصُوفٍ » (١)

وقال - عز وجل - في سورة (القصص) من القصة ذاتها :

« فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَصُوفٍ مِنَ النَّارِ » (٢)

ونلاحظ في هاتين الآيتين أن الجملة الفعلية « آتِيكُمْ » واقعة خبرًا لـ « لعل » ، ومعنى هذا الحرف عند سيبويه : « طمع وإشفاق » (٣) ، أو كما يقول المبرد : « الترجي » (٤) . أو « التوقع لمرجو أو مخوف » (٥) ، وهذا يفيد أن موسى - عليه السلام - كان يترجى أن يعود من عند أصحاب تلك النار بخبر أو بصفوة منها ؛ ومن المعلوم أن المترجى لا يأمن أن يقع ما ترجاه على النحو الذي أحب لأن أمر ذلك ليس بيده بل بيد غيره ؛ يقول المبرد :

(١) سورة ٢٠ (طه) ١٠ .

(٢) سورة ٢٨ (القصص) : ٢٩ .

(٣) الكتاب ، هارون ، ج ٤ ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٣٣ - بلاق ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

(٤) محمد بن يزيد المبرد ، المقتضب ، تحقيق عزيمة ، ج ٤ ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ ، ص ١٨٣ . هذا ،

ومن المعلوم أن للحرف (لعل) معاني أخرى ذكرها النحاة ، مثل التعليل ، والتشبيه ، والرجاء الخفض . انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ج ٢ ، ص ٥٩٦ ، وما بعدها .

(٥) المقتضب ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

« فَإِذَا قُلْتُمْ : لَعَلَّ زَيْدًا يَأْتِينَا ، وَلَعَلَّ
عَمْرًا يَزُورُنَا - فَإِنَّمَا مَجَازٌ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ
الْقَائِلِ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا كَذًّا » (١)

وكذلك كانت حال موسى - عليه
السلام - حين عَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ
نَارًا ، وَتَرَجَّى أَنْ يَأْتِيَ مِنْهَا بِخَبَرٍ عَنِ
الطَّرِيقِ أَوْ قَبَسٍ يَصْطَلِي بِهِ أَهْلَهُ ، فَهَرَّ
لَمْ يَكُنْ آمِنًا أَنْ يَعُودَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِ تِلْكَ
النَّارِ بِمَا كَانَ بِشَيْهِي .

وقال - عزَّ شَأْنُهُ - فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ مِنْ
مَهْرَةَ (النمل) .

« إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي عَانَسْتُ نَارًا
نَسَّاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ عَاتِيكُمْ بِشَيْهَابٍ
قَبَسٍ » .

رثلاً حظاً . أَنَّ مَضْمُونَ آيَةِ (النمل)
هُوَ مَضْمُونُ آيَتِي (طه) وَ (القصص)
وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَتِ الْعِبَارَةُ
الْمُرَآئِيَّةُ فِي آيَةِ (النمل) مُضْمِنَةً مَعْنَى
التَّوَجُّهِ الْمَذَاوِلِ عَلَيْهِ بِالْحَرَكَةِ (لَعَلَّ)
فِي آيَتِي (طه) وَ (القصص) ، وَيُؤَيِّدُ

هَذَا أَنَّ مَعْنَى (ح) الَّتِي أَخْبَرَتْ
عَنْهَا آيَةُ (النمل) هِيَ حَالُهُ الَّتِي أَخْبَرَتْ
عَنْهَا آيَتَا (طه) وَ (القصص) . فَهِيَ

لَمْ يَكُنْ آمِنًا أَنْ يَعُودَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِ
تِلْكَ النَّارِ الَّتِي آتَيْنَا بِخَبَرٍ عَنِ الطَّرِيقِ ،
أَوْ قَبَسٍ مِنَ النَّارِ يَصْطَلِي بِهِ أَهْلُهُ ، أَوْ
الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ (آتَى) الْمِثْلُ عَلَيْهِ
فِي آيَةِ (النمل) مَصْدَرٌ بِهِ (السين) :

« نَسَّاتِيكُمْ » بَدَلًا مِنْ (لَعَلَّ) فِي آيَتِي
(طه) وَ (القصص) : « لَعَلَّ عَاتِيكُمْ »
وَإِذَا عَاقَبْتَ (السين) (لعل) فِي تَرْكِيبِ

لِغَوِيٍّ وَاحِدٍ ، وَفِي قِصَّةِ وَاحِدَةٍ - دَلَّ ذَلِكَ
عَلَى أَنَّ (السين) فِي « نَسَّاتِيكُمْ » مَفِيدَةٌ
بِمَا أَفَادَتْهُ (لعل) مِنْ التَّوَجُّهِ فِي « لَعَلَّ
عَاتِيكُمْ » .

مَا قَالَ أَبُو حِيَانَ :

قال أبو حيان الأندلسي في تفسير آية
(النمل) : « إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي
عَانَسْتُ نَارًا نَسَّاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ عَاتِيكُمْ
بِشَيْهَابٍ قَبَسٍ » :

(١) المصدر السابق ، ج ٣ ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ، ص ٧٣ .

(٢) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

« سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ » أي من موقدها
 بِخَبَرٍ يدل على الطريق ، « أَوْعَاتِيكُمْ
 بِشِهَابٍ قَبَسٍ » أي إن لم يكن هناك من
 يخبر فإني قد أستصحب ماتدفتون
 به منها ، وهذا الترديد بـ (أَوْ) ظاهر ،
 لأنه كان مطلوبه أولاً أن يلقى على النار من
 يخبره بالطريق ، فإنه مسافر ليس بمقيم .
 فإن لم يكن أحد فهو مقيم ، فيحتاجون لدفع
 ضرر البرد ، وهو أن يأتيتهم بما يصطلون ،
 فليس محتاجاً للشيشين معاً ، بل لأحدهما :
 الخبر إن وجد من يخبره فيرحل ، أو
 الاصطلاء إن لم يجد وأقام ، فدمقصدوه
 إما هداية الطريق ، وإما اقتباس النار ،
 وهو معنى قوله : « لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا
 بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى » [٢٠ طه)
 : ١٠] ، وجاء هنا « سَأْتِيكُمْ مِنْهَا
 بِخَبَرٍ » وهو خبر ؛ وفي (طه) :
 « لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ » ، وفي
 (القصص) : « لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا
 بِخَبَرٍ » ، وهو ترج ، ومعنى الترجي
 مخالف لمعنى الخبر ، ولكن الرجاء إذا
 قوى جاز للراجي أن يُخبر بذلك ، وإن

كانت الخيبة يجوز أن تقع ، وأتى بـ
 (سين) الاستقبال إما لأن المسافة كانت
 بعيدة ، وإما لأنه قد يمكن أن يبطل لما قدر
 أنه قد يعرض له ما يبطله^(١) .

الرد على أبي حيان :

والناظر في قول أبي حيان الذي بناه
 على ما أخذه من صاحب الكشاف^(٢) يلاحظ
 أنه فسّر قول موسى (ع) : « سَأْتِيكُمْ
 مِنْهَا بِخَبَرٍ » في (سورة النمل) على
 أنه خبر ، وجعل (السين) فيه مفيدة
 للاستقبال ، ثم حاول أن يقرب الترجي
 المصرح به في « لَعَلِّي آتِيكُمْ » من سورتي
 (طه) و (القصص) من الخبر الذي
 فهمه من « سَأْتِيكُمْ » ، فقال : « ولكن
 الرجاء إذا قوى جاز للراجي أن يخبر
 بذلك . وإن كانت الخيبة يجوز أن
 تقع » ، لكننا على يقين أن موسى (ع)
 حين آنس من جانِب الطور ناراً ،
 ورغب أن يأتيتها لم يكن آمناً أن يعود
 من عند موقد تلك النار بما كان يشتهي ،
 فحال لم تكن حال المخبر الموقن بما يأتي

(١) البحر المحيط ، ح ٧ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٣٧ .

وما يدع بل حال من يترجى أمراً ليس على يقين من شأنه ، فحرف الترجي (لَعَلَّ) هو أوفى بديل يمكن أن يستخدمه مفسر في شرح قوله : « سَأْتِيكُمْ » من هذه الآية ، وإذا عاقبت (السين) (لَعَلَّ) في هذا المقام كانت (السين) مفيدة ما تفيد (لعل) من الترجي أو الطمع والإشفاق .

كذلك يلاحظ من يتأمل الآيات التي ضمنت قصة النار التي آنسها موسى (ع) أنها ثلاث آيات ، صُرح في اثنتين منها بالحرف (لعل) المفيد للترجي ، وعاقبت (السين) (لعل) في آية واحدة ، وهذا يقتضى حمل معنى « سَأْتِيكُمْ » في آية (النمل) على معنى « لَعَلَّ سَأْتِيكُمْ » في آيتي (طه) و(القصص) إجراءً للكلام في الآيات الثلاث على سنن واحد ، وتجاوياً عن أن نجعل موسى (ع) موقناً مترجياً في مقام واحد .

شواهد قرآنية أخرى :

وليست إفادة «السين» للترجي

مقصورة على قوله تعالى : « سَأْتِيكُمْ » في (سورة النمل) بل إنها ملحوظة في آيات أخرى من كتاب الله ، ومن تلك الآيات ما يأتي :

قال - تعالى - على لسان موسى (ع) مخاطباً الخضر (ع) :

« قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ^(١) »

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية : « رجا موسى - عليه السلام - لحرصه على العلم وازدياده أنه يستطيع معه صبراً بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر . فوعده بالصبر معلماً بحشيئة الله علماً منه بشدة الأمر وصعوبته . وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق . . . » ^(٢)

وقال أبو حيان في تفسير الآية ذاتها :

« وعده بوجوده صابراً ، وقرن ذلك بحشيئة الله علماً منه بشدة الأمر وصعوبته

(١) سورة ١٨ (الكهف) : ٩٦ .

(٢) الكشاف ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ .

إذ لا يصبر إلا على ما ينافي ما هو عليه
يُذَارَادُ . . . (١) .

فوعده إسماعيل (ع) في هذه الآية هو
وعده المترجى الشفق، لا وعده المخبر الموقن.

وقال - تعالى - في قصة إبراهيم
وإسماعيل (ع) :

وقال - تعالى - في قصة شعيب وموسى
عليهما الصلاة والسلام - :

« فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي
أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا
تَرَى قَالَ يَا بَنِيَّ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (٢) »

« قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَذْبَحَكَ إِحْدَى
ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَبِجَ
فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا
أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مِنَ الصَّالِحِينَ (٤) »

وقال أبو حيان في تفسير هذه الآية :
« وَأَيُّ حَلْمٍ أَعْظَمَ مِنْ قَوْلِهِ - وَقَدْ عَرَضَ
عَلَيْهِ أَبُوهُ الذَّبْحَ - : « سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ
اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (٢) »

وقال أبو حيان في تفسير هذه الآية :
« . . . سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّالِحِينَ » وعده صادق مقرون بالمشيئة (٥)

ويمكن أن نضيف إلى تفسير أبي حيان
قولنا : إن استعظام إسماعيل (ع) لأمر
الذبح الذي غرضه عليه أبوه جعله يقترن
وعده الصبر عليه بمشيئة الله لأن الصبر
على الذبح شيء يعجز عنه البشر عادة ،

ومن اليسير أن نلاحظ معنى الترجي
في قوله « سَتَجِدُنِي » في هذه الآيات
الثلاث حيث رجاء الوجدان صابراً
أو صالحاً مقرون بمشيئة الله - سبحانه - ،
والمترجى في الآيات الثلاث لا يأمن أن

(١) البحر المحيط ، ج ٦ ، ص ١٤٨ .

(٢) سورة ٣٧ (الصافات) : ١٠٢ .

(٣) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ ، وسط .

(٤) سورة ٢٨ (القصص) : ٢٧ .

(٥) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ١١٦ عجز .

يقع ما ترجاه على النحو الذي آ. ب ، بل هو طامع فيه مشفق من العجز عنه ، ونستدل على صحة ملاحظتنا بما صرح به به الزمخشري في تفسير الآية الأولى حيث قَالَ : ﴿

« رجا موسى - عليه السلام - أن يَسْتَطِيعَ مَعَهُ صَبْرًا فَوَعَدَهُ بِالصَّبْرِ مُعَلَّقًا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عِلْمًا مِنْهُ بِشِدَّةِ الْأَمْرِ وَصَعُوبَتِهِ (١) .

وإذا كان الوعد في الآيات الثلاث مُعَلَّقًا على مشيئة الله كان وعد المترجى لا الموقن ، فالكلمة التي يمكن أن تُفسَّر بها (السين) في الآيات الثلاث هي (لعل) ، وإذا حلت (السين) محلها في « سَتَجِدُنِي » كانت مفيدة ما تفيد (لعل) من الطمع والإشفاق ، مثلها في

ذَلِكَ مَثَلُ (سِين) « سَنَائِكُمْ » من قوله - تعالى - : « إِنِّي عَانَسْتُ نَارًا سَنَائِكُمْ مِنْهَا بَخْبِرٌ » (٢) حيث عاقبت (السين) (لعل) وأفادت معنى الترجي (٣)

ومن الشواهد القرآنية التي تفيد فيها (السين) الداخلة على المضارع ما تفيد (لعل) من الترجي قوله - تعالى - في شأن المطلقات :

« أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُدُّوهُنَّ أَرْضَهُنَّ وَأَتَعَبُوا بِبَيْنِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَامَسْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى » (٤)

يقول أبو حيان جامعاً ملخصاً ما قاله

(١) انظر ما أشارت إليه التعليقة رقم ٥١ .

(٢) سورة ٢٧ (النمل) : ٨ .

(٣) انظر قبلا حيث ذكر هذا الاستنباط أول مرة .

(٤) سورة ٦٥ (انطلاق) : ٦ .

الطبرى^(١) ، والزمخشري^(٢) في تفسير هذه الآية :

« وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ » أى تضايقتم ، وتشاكنتم فلم ترض [الأم المرضع] إلا بما ترضى به الأجنبية ، وأبى الزوج الزيادة ؛ أو إن أبى الزوج إلا الإرضاع مجاناً وأبت هى إلا بعوض « فسترضع له أخرى » أى يستأجر غيرها وقيل : « فسترضع » خبر فى معنى الأمر ، أى فلترضع له أخرى . وفى قوله : « فسترضع له أخرى » يسير معاتبه للأم إذا تعاسرت كما تقول لمن تستقضييه حاجة فيتوانى : سيقضيها غيرك ، تريد : لن تبقى غير مقضية وأنت مأوم^(٣)

فأصحاب التفسير إذن مترددون فى معنى قوله - تعالى - « فسترضع له أخرى » فمنهم من يعدها جملة خبرية حملاً على الظاهر ، ومنهم من يجعلها خبراً فى معنى الأمر ؛ لكن حملاً على الخبر يضعفه أن وقوع الإرضاع فى المستقبل من امرأة أخرى غير متيقن الحدوث ؛ كذلك جعلها خبراً فى معنى الأمر يضعفه أن توجيه الأمر بالإرضاع إلى الأجنبية إلزام بلا مقتضى ، وإذا صرف الأمر إلى الأب ليسترضع أخرى كانت الاستجابة لهذا الاسترضاع غير متيقنة كذلك ، وحاجة الوليد إلى الإرضاع ضرورة عاجلة ؛ أما إذا حملنا الجملة على الترجى ، وجعلنا معناها - والله أعلم - :

(١) يقول أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى جامع البيان عن تأويل القرآن ، القاهرة ، ط ١٩٥٤ ، ج ٢٨ ، ص ١٤٨ : « وقوله : « وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى » يقول : وإن تعاسرت الرجل والمرأة فى رضاع ولدها منه فامتنع من رضاعة فلا سبيل له عليها وليس له إكراهها على إرضاعه ، ولمكنه يستأجر للصبي مرضعة غير أمه البائنة منه . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل : ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد قال : ثنا أحمد ، قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله : « وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى » ؛ قال : إن أبت الأم أن ترضع ولدها إذا طلقها أبوه التمس له مرضعة أخرى ، الأم أحق إذا رضيت من أجرة الرضاع بما يرضى به غيرها ، فلا ينبغي له أن يفتزع منها .

حدثنا ابن حميد ، قال ، ثنا مهران عن سفيان قال : إن هى أبت أن ترضعه ، ولم تواتك فيما بينها وبينك وعاسرتك فى الأجر فاسترضع له أخرى .

(٢) قال الزمخشري فى الكشاف ، ج ٤ ، ص ١٢٢ : « « وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى » فستوجد ولا تموز مرضعة غير الأم ترضعه ، وفيه طرف من معاتبه الأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضييه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك ، تريد : لن تبقى غير مقضية وأنت مأوم . وقوله : « له » أى الأب ، أى سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه .

(٣) البحر المحيط ، ج ٨ ، ص ٢٨٥ ، عجز .

فلعل أخرى ترضع له - كان في ذلك
تصوير يستشير الرحمة لحال وليد تعاسر
أبواه فيما يحفظ عليه حياته مع أنهما سبب
وجوده ، كما أن في الترجي - وهو طمع
وإشفاق - شيئاً غير يسير من المعاتبة
للأم لتركها وليدها في حال لا يؤمن معها
الإبقاء على حياته على النحو الذي تحبه
وترضاه له .

من أجل ذلك نرى أن حمل معنى جملة
« فَسْتَرْضِعُ لَهُ أُخْرَى » على الترجي وجعل
(السين) فيها مفيضة ما تفيد (لعل)
من الطمع والإشفاق - أكثر مطابقة
لمقتضى الحال ، وأصدق تصويراً له من
حمل معناها على كل من الخبر أو الأمر .

ولا يصح لنا عن حمل معنى هذه الجملة
على الترجي قول قائل : إن الترجي في
هذه الحال يكون مُسْنَدًا إِلَى اللَّهِ - سبحانه -
ولا يقال ذلك على الله ؛ لأننا نقول ردًا على
ذلك : إن الكلام هنا جرى على طريقة كلام
العباد ، واستعمل فيه ما يستعمله العباد
من الألفاظ والمعاني في مثل هذا المقام ؛

ومن قبل أجاب القدماء من النحاة على
مثل هذا الاعتراض بهذا الجواب ، يقول
محمد بن يزيد المبرد في (باب التعجب) :

« ومن هذا الباب قول الله - عز وجل -
« أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ »^(١) ، ولا يقال
لله - عز وجل - تَعَجَّبَ ، ولكنه خرج على
كلام العباد ، أي هؤلاء ممن يجب أن

يقال لهم : ما أسمعهم وأبصرهم في ذلك
الوقت ؛ ومثل هذا قوله : « فَقُولَا لَهُ
قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى »^(٢)
و (لعل) إنما هي للترجي ، ولا يقال ذلك
لله ؛ ولكن المعنى - والله أعلم - اذهبا أنما
على رجائكما ، وقولا القول الذي ترجوان
به ويرجو به المخالوقون تذكّر من
طالبوه »^(٣) .

وبناء على ما تقدم نستطيع أن نقول ردًا على
من يرى في حمل جملة « فَسْتَرْضِعُ لَهُ أُخْرَى »
على الترجي إسناد الترجي إلى الله - سبحانه - :
إن المعنى - والله أعلم - : وإن تعاسر الأب
والأم في إرضاع وليدهما فإن حالهما تكون

(١) سورة ١٩ (مريم) : ٣٨ .

(٢) سورة ٢٠ (طه) : ٤٤ .

(٣) المقتضب ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

مما ينبج أن يقال معها : لعل أخرى :
 ترضع لهذا الأب وليده .
 إلى الله لا إلى غيره . وجواب (أ) لو .
 محذوف ، تقديره : لكان خيراً لهم
 في دينهم ودنياهم » (٢٢) .

ومن يتأمل قول أبي حيان يجده قد
 فسر جملة « سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » على
 أنها - لو قيلت - قول الآمين في عطاء
 الله إياهم ، والآمل في عطاء الله مترج
 مشفق ، فهو ليس على يقين من أن يقع
 ما أمله على النحو الذي أحبه ، ومن
 اليسير على من يفسر هذه الآية أن يجعل
 (لعل) في محل (السين) من قوله
 « سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » ، وإذا كان
 ذلك كذلك كانت (السين) في هذه
 الآية مفيدة ما تفيدته (لعل) من
 الترجي أو الطمع والإشفاق .

ومن الشواهد القرآنية التي نرى أن
 (السين) الداخلة على المضارع فيها مفيدة
 معنى الترجي هذه المجموعة من الآيات :

ومن الشواهد التي عاقبت فيها (السين)
 (لعل) ، وأفادت ما تفيدته من (الترجي)
 قوله - تعالى - في شأن من سخط القسمة
 في الصدقات :

« وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ
 فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا
 إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا
 مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ
 سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ
 رَاغِبُونَ » (١١) .

ويقول أبو حيان في تفسير الآية
 الثانية :

« هذا وصف لحال المستقيميين في
 دينهم أي رضوا قسمة الله ورسوله
 وقالوا كفانا فضل الله ، وعلقوا آمالهم
 بما سيؤتيه الله إياهم . وكانت رغبتهم

(١١) سورة ٩ (التوبة) : ٥٨ : ٥٩ .

(٢) البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٥٦ ، وانظر أيضاً : أبو السعود محمد بن محمد العمادى ٩٥١ هـ إرشاد
 العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود ، ج ٣ ، بيروت ، بانون ، ص ٧٦ حيث يقول :
 « سيؤتيها الله من فضله ورسوله » بعد هذا حسبها نرجو ونؤمل .

مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٢٣)

وقال أبو حيان في تفسير هذه الآية :

... « إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ » عن قريب إلى طريق النجاة ويعرفني به (٢٤)

وقال - تعالى - في قصة إبراهيم (ع) :

« فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ »
وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٥)

وقال أبو حيان في تفسير هذه الآية :

« ... » « سَيَهْدِينِ » يوفقني إلى ما فيه صلاحي ... (٦)

وقال - تعالى - في قصة موسى (ع) :

أيضا :

قال - تعالى - في شأن بعض أهل الكتاب :

« فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ... » (١)

وقال أبو حيان في تفسير هذه الآية :

« ... وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا » قطع على الله بغفران معاصيهم ، أي لا يؤاخذنا الله بذلك ، والمناسب إذ ورثوا الكتاب أن يعملوا بما فيه ، وأنه إن قضى عليهم بالمعصية أن لا يجزوا بالغفرة وهم مصرون على ارتكابها ... (٢)

وقال - تعالى - في قصة موسى (ع) :

« فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْجَمْعَ قَالَ أَصْحَابُ

(١) سورة ٧ (الأعراف) : ١٦٩ .

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٤١٦ .

(٣) سورة ٢٦ (الشعراء) : ٦١ ، ٦٢ .

(٤) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٢٠ .

(٥) سورة ٣٧ (الصافات) : ٩٨ ، ٩٩ .

(٦) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلَّا الْآبَاءَ الَّذِينَ فطرنى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ »^(١)

وقال أبو حيان فى تفسير ذلك :

(.. « فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ » أى يديم هدايتى)^(٢)

ومن يتأمل تفسير أبى حيان للآيات السابقة يجد أنه لم يجر على نسق واحد فى تفسير المضارع المبدوء بـ (سين) التثنية ، فبينما هو يفسر قول بعض أهل الكتاب : « سَيَخْفَرُنَا »^(٣) بأنه « قطع على الله بغفران معاصيهم »^(٤) نجد أنه يذهب فى تفسير قول موسى (ع) : « إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ »^(٥) إلى ما صرح به فى تفسير

آية أخرى من أن (السين) « تدل على تقارب الزمن المستقبل لا تراخيه »^(٦) ، فيقول : « .. « إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ » عن قريب إلى طريق النجاة ويعرفنيه »^(٧)

ويذهب فى تفسير قول إبراهيم (ع) « إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فطرنى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ »^(٨) إلى أن (السين)

فى « سَيَهْدِينِ » تفيد استمرار الفعل فى الحال والاستقبال ، فيقول : « ... « فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ » أى يديم هدايتى »^(٩) ، أما فى

تفسيره لقوله - تعالى - حكاية عن إبراهيم - عليه السلام - : « وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ »^(١٠) فإنه يسكت عن

الإشارة إلى ما تفيد (السين) فى هذه الآية حيث يقول : « سَيَهْدِينِ » يوفقنى

إلى ما فيه صلاحى »^(١١)

(١) سورة ٤٣ (الزخرف) : ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) البحر المحيط ، ج ٨ ، ص ٩ .

(٣) انظر ما أشارت إليه التعليقة رقم ١ ، ص ١٩٠ .

(٤) انظر ما أشارت إليه التعليقة رقم ٢ ، ص ١٩٠ .

(٥) انظر ما أشارت إليه التعليقة رقم ٣ ، ص ١٩٠ .

(٦) انظر البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ عند تفسير قوله - تعالى - : « علم الله أنكم ستذكرونهن » من

سورة البقرة ، الآية ٢٣٥ حيث قال أبو حيان : « وجاء الفعل بالسين التى تدل على تقارب الزمان المستقبل لا تراخيه

وانظر أيضاً : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .

(٧) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٢٠ .

(٨) سورة ٤٣ (الزخرف) : ٢٧ .

(٩) البحر المحيط ، ج ٨ ، ص ٩ .

(١٠) سورة ٣٧ (الصافات) : ٩٩ .

(١١) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

والحق أن تفسير أبي حيان لقول بعض أهل الكتاب : « سَيُغْفَرُ لَنَا » بأنه « قَطَعَ عَلَى اللَّهِ بِغُفْرَانِ مَعْصِيهِمْ »^(١) فيه نظر ، فمن اليقين أن الراغب في غفران ذنبه يدين بالخضوع لمن يملك هذا الغفران ، وما كان للإنسان مهما تكن عقيدته أن يقطع على ربه بغفران معصية ؛ لكن الزمخشري يقول في تفسير عبارة « وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرْضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ »^(٢) : « أى يرجون المغفرة وهم مُصْرُونَ »^(٣) ؛ ومن قبل الزمخشري قال الطبري : « وَيَقُولُونَ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ سَيُغْفِرُ لَنَا تَمَنِّيًّا عَلَى اللَّهِ الْبَاطِلِ »^(٤) .

من أجل ذلك ينبغي لنا أن نفهم قول القائلين : « سَيُغْفَرُ لَنَا » على أنه قول المشفق الطامع في أن يغفر الله ذنبه ،

وهو لا يأمن أن يكون هذا الغفران على النحو الذى أحب ، أى أن معنى قول بعض أهل الكتاب : « سَيُغْفَرُ لَنَا » هو - والله أعلم - : لعل الله يغفر لنا ، أى أن (السين) في هذه الآية قد عاقبت (لعل) فأفادت معناها من الطمع والإشفاق كما أفادت (السين) ذلك المعنى عندما عاقبت (لعل) في قوله تعالى - « إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا خَبِيرٌ »^(٥)

وكذلك ينبغي لنا أن نفهم ماجاء على لسان إبراهيم وموسى (ع) من قول الله - تعالى - : « سَيَهْدِينِ »^(٦) لأنه إذا كنا نستبشع أن يقطع بعض أهل الكتاب على ربهم بغفران معاصيهم فإننا ننزه رسل الله (ع) عن أن يبدوا وكأنهم آمنوا مكر الله فيُخبروا عن الله - عز وجل -

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٤١٦ .

(٢) سورة ٧ (الأعراف) : ١٦٩ .

(٣) الكشاف ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق محمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ج ٢ ، ١٩٥٨ م ، ص ٢١١ وانظر أيضاً أبو على الفضل بن الحسن الطبرسي مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م ، ص ٥٧ حيث يقول : « . . . وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا » وهذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب ، إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً ويتمنون على الله المغفرة » (٥) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٦) انظر سورة ٢٦ (الشعراء) : ٦٢ ، وسورة ٣٧ (الصافات) : ٩٩ ، وسورة ٤٣ (الزخرف) : ٢٧ .

الداخلة على المضارع تفيد في حال معينة ما تفيد (لعل) من الطمع والإشفاق ، وقد عولنا في اختيارنا هذه الشواهد على أن تكون دلالتها على ما ندعيه دلالة صريحة واضحة ؛ والآن ينبغي لنا أن نعرض ما وقع لنا من شواهد الشعر مما يظهر الشواهد القرآنية في إثبات هذه الدعوى :

يقول امرؤ القيس^(٦) :

إني لعمري ما انتميت ، فلم
أعدل إلى بدل ، ولا مثل

لأخ رضيت به ، وشارك في ال
أنساب والأصهار والفضل

ولمثل أسباب علقتم بها
يمنعن من قلق ومن أزل

ونأت ورث معاقد الحبل

بأنه سيهديهم عن قريب إلى طريق النجاة ويعرفهم إياه^(١) ، أو أنه سيديم هدايتهم كما قال أبو حيان^(٢) والزمخشري من قبله^(٣) ، ولو أننا فسرنا ذلك القول على أن (سين) « سيهدين » في الآيات الثلاث^(٤) مفيدة ما تفيد (لعل) من الطمع والإشفاق ، مثلها في ذلك مثل (السين) في « إني أنست نارا سأتيتكم منها بخبر »^(٥) - لكان ذلك - والله أعلم - أقرب إلى الصواب ، وأصدق تصويراً لما يعمر قلوب رسل الله (ع) من خشية لله - تعالى - ورهبة .

شواهد الشعر :

عرضنا فيما سبق من القول شواهد من القرآن الكريم تؤيد دعوانا أن (السين)

(١) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٩ .

(٣) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٤٨٤ .

(٤) انظر ما أشارت إليه التعليقة رقم ٦ ، ص ١٩٢ .

(٥) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٦) من قصيدة له مطلعها :

تنكرت ليلى عن الوصل

انظر التعليقة رقم ٢ ، ص ١٩٤ .

وآية ذلك أن أمراً القيس قد ردّف
قوله هذا بما يُنبئ عن إشفاقه ، فقال :
« فذا ظني به » ، فكلامه إذن محمول على
الظن والتوقع لا على اليقين ، وأنّى للشاعر
أن يكون على يقين من شأن أصحابه في
مستقبل أيامه ؟

وبمثل ذلك نقول في عبارة « سينال
أو يُبلى ؛ » فهي تفسير لما سبقها من
القول المفيد للترجي ؛ ولو أن أمراً القيس
جعل في هاتين العبارتين ، (لعل) مكان
(السين) لحسن ذلك حسنه في قوله
- تعالى - « لَعَلِّيْ آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجْدِ عَلَى النَّارِ هُدًى » (٤) .

من أجل ذلك نقول : إن (السين)
في قول امرئ القيس : « همُّ سيبُلغُه

لما سما من بين أقرن فأر
أجبال قلتُ : فداؤه أهلى
همُّ سيبُلغُه التّمَامُ ، (١)
ظننى به ، سينال أو يُبلى (٢)
ويقول الأعلام الشنتمرى في شرح البيت
الأخير :

« همُّ » يعنى همّة . و « التّمَامُ » :
العلاء ، والمرتبة التي يريدّها ؛ يقول :
سينال ذلك ، أو يُبلى عذرا إن قصر
دونه (٣) .

ومن يتأمل قول امرئ القيس : « همُّ
سيبُلغُه التّمَامُ » يجده يعبر عن ترجّيه
أن تكون همّة صاحبه سبباً يبلّغه التّمَامُ ،
وهو في هذا الترجي طامع مشفق لا يأمّن
أن يقع ما ترجّاه على النحو الذي أحب ،

(١) ضبطت كلمة « التّمَامُ » بضم الميم الآخرة ، وكذلك عند حسن السندوي ، شرح ديوان امرئ القيس ومعه
أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية ، والإسلام ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٥٩ م ، ص ١٧١ ، ولعل هذا تحريف
في المطبوعين والصواب فتح الميم الآخرة حتى يتفق البيت وشرح الأعلام المشار إلى موضعه في التعليقة الآتية .

(٢) ديوان امرئ القيس بشرح الأعلام الشنتمرى ، (القسم الثانی) ، رواية المفضل من نسخة الطوسي مما لم
يروه الأصمعي ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) سورة ٢٠ (طه) : ١٠ .

التَّمام « ، وقوله : « سينال أو يُبلى »
مفيدة ماتفيده (لعل) من الطمع
والإشفاق ، مثلها في ذلك مثل (سين)
« سَسَاتِيكُمْ » من قوله - تعالى - « إِنِّي
عَانَسْتُ نَارًا سَسَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبِيرٍ أَوْ جَذْوَةٍ
مِّنَ النَّارِ » (١) التي عاقبت (لعل)
المصرح بها في قوله - تعالى - : « إِنِّي
عَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى » (٢) ، وقوله
- تعالى - : « إِنِّي عَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي
آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبِيرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ » (٣) .

سيأتيك بالأخبار من لم تبع له
بتاتاً ، ولم تضرب له وقت موعد^(٤)

ومن الواضح أَنَّ طَرْفَةَ يترجى في قوله
« ستبدي لك الأيام ... » ، وقوله :
« سيأتيك بالأخبار . . . » فهو لا يأمن
أَن يقع ماعبر عنه في البيتين على النحو
الذي يحب ، لأنه لا يملك أمره ، فهو
لا يملك أَن تُظهرَ الأيام لمخاطبه ما لم يكن
يعلمه ، أو أَن يحصل لذلك المخاطب
العلم بما يشاء من الأخبار من غير أَن
يبذل المال والجهد لمعرفة .

ويقول طرفة بن العبد :

من أجل ذلك نستطيع أن نقول : إن

(السين) في كل من العبارتين :

« ستبدي . . . » و « سيأتيك . . . »

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٢) سورة ٢٠ (طه) : ١٠ .

(٣) سورة ٢٨ (القصص) : ٢٩ .

(٤) من قصيدة له مطلعها :

نخولة أطلال ببرة همد ظلت بها أبكى وأبكى إلى الغد

انظر محمد بن القاسم الأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ،
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ص ١٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ . ورواية البيت الثاني هنا : « سيأتيك بالأخبار . . . » ،
وقد فضلناها لسبق ابن الأنباري ، أما رواية الخطيب التبريزي فبالواو : « ويأتيك بالأنباء . . . » ، وكذلك رواية
الديوان : « ويأتيك بالأخبار . . . » . انظر : أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، شرح القصائد السبع مع
المصنف إليها المشهور بشرح القصائد العشر ، تحقيق فخر الدين قبايرة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ١٥٨ . وديوان
طرفة بن العبد ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ، بدون ، ص ٤١ .

مفيدة ما تفيدته (لعل) من الطمع والإشفاق
ولو أننا جعنا (لعل) مكان (السين)
في كل من العبارتين لحصل المعنى الذي
فهمناه من قول طرفة بلا زيادة أو نقصان؛
وإذن ، ف (السين) في قول طرفة :
« سُبَيْدِي . . . » و « سَيِّئَاتِيكَ . . . »
قد عاقبت (لعل) مثل (السين) في قوله
- تعالى - : « إِنَّيْ ءَأَنَسْتُ نَارًا سَبَّاتِيكُمْ
مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ » (١)

ومن الشواهد التي كثر ذكرها في
مصادر اللغويين قول الشاعر :

سَيِّغْنِيَنِ الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّيْ

فلا فقرٌ يدومُ ، ولا غِنَاءُ (٢)

ومن يتأمل كلام الشاعر في الشطر
الأول يجده يعبر عن طمعه في أن يُغنيه
الله ، ولكنه طامع مشفق غير آمن أن
يقع له الغنى على نحو ما أحب ، فحاله
حال المترجي لا الموقن (٣) ، وما كان
لبشر أن يقطع على ربه بأن يُغنيه ،
ولو أننا فسرنا قول الشاعر : « سيغنييني
الذي أغناك عني » بقولنا : لعل الذي
أغناك عني يغنييني لكننا معبرين عن مضمون
قول الشاعر أصدق تعبير ؛ وإذن
ف (السين) في قول الشاعر : « سيغنييني
الذي أغناك عني » قد عاقبت (لعل)
وأفادت ما تفيدته من الطمع والإشفاق
: شأنها في ذلك شأن (سين) « سَسَاتِيكُمْ »

(١) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٢) أنشده ثعلب في شرح بيت زهير :

يجرون البرود وقد تمشت حيا الكأس فيهم والغناء

حيث قال : « . . . والغناء مدود من الصوت ، والغنى من المال مقصود ، وقد مده الشاعر فقال : سيغنييني . . . » .
انظر أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ،
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ، مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م ، ص ٧٣ . عجز . وهذا البيت ذكره
ابن هشام ٧٦١ هـ في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين ، بيروت ، بدون ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ ،
وهو الشاهد رقم ٥٣٧ . والبيت بشطريه ذكره أبو الحسن علي نور الدين بن محمد بن عيسى الأشموني ٥٩٢٩ في شرحه على
ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، عيسى الحلبي ، القاهرة ، بدون ، ج ٤ ، ص ١١٠ ، والمطبوعة
بعنوان حاشية الصبيان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ومعه شرح الشواهد للعيني . هذا ، وقد قال بدر الدين
محمود بن أحمد العيني ٨٥٥ هـ في مختصر شرح شواهد الألفية ويعرف : بالشواهد الصغرى المطبوع بحاشية المرجع السابق
نفسه : « . . . السين هنا وإن كان للاستقبال ولكنه يفيد معنى التأكيد » .

(٣) انظر مقاله بدر الدين العيني وأثرنا إليه آنفا .

في قوله - تعالى - : « إِنِّي عَانَسْتُ نَارًا
سَمَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ »^(١)

ويقول عبدُ الله بنِ عَنَمَةَ الضُّبِّيُّ^(٢) :

أَشْتُ بَلِيلِي هَجْرُهَا وَبِعَادِهَا

بِمَا قَدْ تَوَاتَيْنَا وَيَنْفَعُ زَادُهَا

سَنَلَهُو بَلِيلِي وَالنَّوَى غَيْرُ غَرْبِيَّةِ

تَضَمَّنَهَا مِنْ رَامَتَيْنِ جِمَادُهَا

لِيَالِي لَيْلِي إِذْ هِيَ الْهَمُّ وَالْهَوَى

يُرِيدُ الْفَوَادُ هَجْرَهَا فَيَصَادُهَا

فَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّارَ قَفْرًا سَأَلْتُهَا

فَعَيَّ عَلَيْنَا نُؤْيِيهَا وَرَمَادُهَا

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا دِمْنَةٌ وَمَنَازِلُ

كَمَا رُدُّ فِي خَطِّ الدَّوَاةِ مِدَادُهَا

إذا الحارثُ الحَرَّابُ عادى قبيلةً

نكأها ، ولم تبعدُ عليه بلادُها^(٣)

ويقول محققا متن المفضليات الشيخ

أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون -

في وصف جو هذه القصيدة : « هاجه

بُعد ليلي وهجرها ، وتوقع أن تتبدل

الحال فيلتئم الشمل مرة أخرى ، ثم

يصف أطلال دارها ، ووقوفه عندها

يسألها ، ثم يصير إلى الغرض الأول

من كلمته وهو مدح الحوقزان . . . »^(٤)

وإذا فتشنا في الأبيات عن العبارة

التي أوحى إلى هذين العالمين المحققين

بأن يقولوا دون تكأف : « وتوقع أن

تتبدل الحال فيلتئم الشمل مرة أخرى »^(٥)

(١) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٢) هو شاعر إسلامي مخضرم . انظر ترجمته في حاشية كتاب المفضل بن محمد بن يعلى الضبي : المفضليات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٧٩ م ، ص ٣٧٩ من المفضلية رقم

١١٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧٩ . والأبيات المذكورة أيضا في كتاب الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب ، الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٢٦ ، الأصمعية ٨٥ .

(٤) المرجع السابق ، حاشية ص ٣٧٩ .

(٥) المرجع السابق .

بها في قوله - تعالى - : « لَعَلِّي آتِيكُمْ
مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى »^(٤)

وقوله - تعالى - : « إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي
آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ »^(٥)

أما بعد ، فإنه يصح لنا أن نقول
مطمئنين :

إن (سين) التنفيس تفيده ما تفيده
(لعل) من الطمع والإشفاق في كل
موضع يحسن أن تحل فيه (لعل)
محلها .

فإننا لانجد غير قول الشاعر : « سنلهو
بليلى والنوى غيرُ غربةٍ »^(١) ؛ ويقول
صاحب اللسان في معنى التوقع : « وتوقع
الشيء واستوقعه : تنظره وتخوفه »^(٢)
وإذن ف (السين) في « سنلهو » هي التي
أفادت هذا التنظر والتخوف ، أو الطمع
والإشفاق ، أي أن (السين) في بيت
ابن عنمة « سنلهو بليلى . . . » قد عاقبت
(لعل) وأفادت ما تفيده من الطمع
والإشفاق ، مثلها في ذلك مثل (سين)
« سَأَتِيكُمْ » من قوله - تعالى - :
« إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ »^(٣)
حيث عاقبت (السين) (لعل) المصريح

(١) انظر الأبيات قبلا .

(٢) محمد بن مكرم بن علي جبال الدين ابن منظور ٧١١ هـ ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٩٨١ م ، مادة (وقع) .

(٣) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٤) سورة ٢٠ (طه) : ١٠ .

(٥) سورة ٢٨ (القصص) : ٢٩ .

سوف

- ويقول سيبويه في معنى (سوف) :
 « وأما (سوف) فتتفيس فيما لم يكن بعد ، ألا تراه يقول ؛ سوفته ^(١) يعني إذا قال له مرة بعد مرة : سوف أفعل ^(٢) .
- ويقول في (باب الحروف التي لا يليها بعدها إلاّ الفعل) :
 « ومن تلك الحروف أيضاً سوف يفعل ، لأنها بمنزلة (السين) التي في قولك : سيفعل وإنما هي إثبات لقوله : لن يفعل ، فأشبهتها في أن لا يفصل بينها وبين الفعل ^(٣) .
- ويقول ابن هشام :
 « (سوف) مرادفة لـ (السين) ، أو أوسع منها على الخلاف ^(٤) ، وكان القائل بذلك نظر إلى أن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى ، وليس بمطرّد ؛ ويقال فيها : « سف » ، و « سو » بحذف الأخير ^(٥) ، و « سى » بحذفه وقاب الوسط ياءً مبالغة في التخفيف ، حكاه صاحب المحكم . وتنفرد عن (السين) بدخول اللام عليها نه و : « وكسوف يعطيك ربك فترضى ^(٦) » ، وبأنها قد تُفصل بالفعل المُلغى ، كقوله :

- (١) سيبويه الكتاب ، هارون ج ٤ ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٢٣٣ - بولاق ، ج ٢ ص ٣١١ .
- (٢) انظر هذا الشرح عند الجوهري لإسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، مادة (سوف) بتصرف حيث جعلنا « قال » مكان « قلت » .
- (٣) الكتاب ، هارون ، ج ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ص ١١٥ - بولاق ، ج ١ ، ص ٤٥٩ .
- (٤) يعلق الشيخ محمد محيي الدين على ذلك بقوله : « يريد خلاف البصريين الذين يقولون : إن المدة مع (سوف) أوسع منها مع (السين) ، والكوفيون الذين يقولون : إنهما مترادفان ، وليست المدة مع (سوف) أوسع بل هما مستويان » انظر حاشية الصفحة المشار إليها في التمايقة الآتية ؛ كذلك انظر ما نقلناه قبلاً عن ابن هشام عند الكلام على « السين » ، ص ١٧١ .
- (٥) انظر مراجع ذلك الخلاف المشار إليها في التعليقة رقم ٣ ، ص ١٧١ .
- (٦) سورة ٩٣ (الضحى) : ٥ .

وما أدرى وسوف إخال أدرى

أقومُ أَلُ حِصْنِ أُمِ نَسَاءٍ»^(١)

وقد نقل بدر الدين الزركشى ،

وجلال الدين السيوطى عن ابن بابشاذ

أن (سَوَفَ) تُستعمل كثيراً فى الوعيد

والتهديد ، وقد تستعمل فى الوعد^(٢) .

وقد عد الشيخ محمد عزيمة ثمانياً

وعشرين آية قرآنية جاءت فيها (سَوَفَ)

للوعيد ؛^(٣) وعشر آيات جاءت

فيها (سَوَفَ) للوعد^(٤) ، ثم أتبع

ذلك بمجموعة من الفقار عالج فيها أحكاماً

تشترك فيها (سَوَفَ) مع (السين)

من إفادة (السين) و (سَوَفَ) تحقق

الوقوع ؛ والاستمرار ؛ وأنهما يخلصان

المضارع إلى معنى الاستقبال : وأنَّ

(سَوَفَ) أشد تراخياً فى الاستقبال من

(السين) ؛ وأنه ليس لحرفى التنفيس

صدر الكلام ؛ وأنَّ الجملة المصدرية بعلامة

الاستقبال من (السين) و (سَوَفَ)

وقعت فى بعض آيات القرآن الكريم

خبراً للمبتدأ^(٥) .

وإذا كان الشيخ عزيمة نحويًا معاصرًا

قد لخص فيما كتبه عن (سَوَفَ) جميع

ما قاله النحويون من قبله كنا على يقين

من أنَّ النحويين جميعاً قدماءً ومُحدثين

لم يجدوا لحرف التنفيس (سوف)

إلا ما نقلناه قبلاً من أنواع الاستخدام ؛

لكنَّ الإنعام فى النظر إلى بعض أبيات

الشعر يكشف عن معنى آخر لـ (سوف)

أراه لم يقع لنحوى من قبل ، وبيان ذلك

فيما يأتى من القول :

(١) انظر ما أشير إليه فى التعليقة رقم ٦ ، ص ١٧٢ ، والبيت ازهير بن أبى سلمى ، وسناقشه بعدا .

(٢) انظر ما نقلناه قبلاً عن الزركشى والسيوطى عند الكلام على (السين) ، وعلقنا عليه فى الصفحتين ١٧٢ و ١٧٣ .

(٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٧٥ - ١٧٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ . ولم نعن هنا بنقل شيء من الشواهد القرآنية على إفادة (سوف)

الوعيد أو الوعد كما فعلنا عند معالجة (السين) ، لأننا لم نختَر شيئاً من هذه الشواهد ليكون دليلاً لنا على ما نقوله .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٨٣ - ١٩٣ ، وانظر المرجع مفصلاً فى حاشية ص ١٨٠ .

ويبسُّطها ، وليس بيده هو ، وما كان لذي الإصبع
 أن يقطع على الله بأن يُغنيه عن ابن عمه
 كما أغنى ابن عمه عنه ، فكلامه إذن
 هو كلام المترجي لا المخبر الموقن ،
 و (سوف) في قوله : « سوف يُغنيني »
 قد عاقبت (لعل) كما عاقبت (السين)
 (لعل) في قوله - تعالى - : « إني
 ءانستُ ناراً سآتِيكمُ مِنْهَا بِخَبْرٍ »^(٢٣) ؛
 ولو أن شارحا فسر قول الشاعر « سَوْفَ
 يُغنيني » بقوله : لعله يُغنيني ماجاوز
 الصواب ، وإذا حسن أن تحل (لعل)
 المفيدة للمترجي محل (سَوْفَ) في قول
 ذي الإصبع : « سَوْفَ يُغنيني » كانت
 (سوف) في ذلك القول مفيدة ماتفيده
 (لعل) من الترجي ، أو الطمع والإشفاق .

يقول ذو الإصبع العدواني^(١) :
 ولي ابن عم على ما كان من خُلُقٍ
 مختلفان ، فأقلية ، ويقليني
 أزرى بنا أننا شالت نعماتنا
 فخالني دونه ، بل خلته دوني
 لاهِ ابنُ عمك لا أفضلت في حسبِ
 عني ، ولا أنت ديانِي فتخزوني

 إن الذي يقبض الدنيا ويبسُّطها
 إن كان أغناك عنى سوف يغنيني^(٢)
 ومن يتأمل قول ذي الإصبع في البيت
 الأخير يجد أنه محمول على معنى غير
 معنى الخبر واليقين ، فأمر استغناؤه عن
 ابن عمه بيد الله الذي يقبض الدنيا ،

(١) اسمه حرثان بن الحرث بن محرث ، شاعر فارس قديم جاهلي . انظر ترجمته في حاشية المفضليات ، تحقيق
 أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٧٩ م ، ص ١٥٣ . وانظر أيضا
 أبو الفرج الأصبهاني على بن الحسين ٣٥٦ هـ الأغاني ، ج ٣ ، بولاق ، بدون ، ص ٢ وما بعدها .

(٢) أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، شرح ديوان المفضليات ، تحقيق كارلوس لايل ، بيروت ،
 ١٩٢٠ م ، ص ٣٢٥ . كذلك انظر أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ٣٥٦ هـ ، كتاب الأمل ، بيروت ،
 بدون ، مصورة عن طبعة دار الكتب ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ . وكذلك انظر الأغاني ، ج ٣ ، بولاق ، بدون ،
 ص ٩ .

(٣) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

لا يمكن الآن معرفتهم ، ويمكن أن أعرفهم
في المستقبل بمزاولة فكر « (٤) » .

ونقول بناء على ما تقدم : إنه إذا
آلى زهير في روعنا مبالغاً أنه تعذر عليه
معرفة حقيقة آل حصن إخال قوله هذا
الكلام فإن معرفة هذه الحقيقة فيما يستقبل
من الزمان بمزاولة الفكر - إذا قدرنا هذه
المبالغة - لا يدخل في باب اليقين ،
بل هو شيء مراد محبوب للمتكلم به
لكنه لا يأمن أن يقع في المستقبل ،
على نحو ما أحب ، ويؤيد ما نقول جعل
زهير جملة « إخال » معترضة بين
« سوف » ، و « أدرى » تأكيداً لمبالغته ،

ويقول زهير بن أبي سلمى (١) :

وما أدرى ، وسوف إخال أدرى

أقوم آل حصن أم نساء

فإن تكن النساء مخدرات

فحق لكل محصنة هداً (٢)

قال أبو العباس ثعلب في شرح هذين

البيتين :

« يقول : ما أدرى أرجال هم أم

نساء . . . فإن قالوا : هن النساء اللاتي

يختبئن في الخدور فينبغي أن يزوجن

إذا » (٣) .

وقال عبد القادر البغدادي :

« وفي قوله : « وسوف أدرى »

مبالغة ، يقول : لشدة شبههم بالنساء

(١) من قصيدة له يهجو فيها أهل بيت من كلب من بني غليم بن جناب ، مطالعها :

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن ، فالقوادم ، فالخسام

انظر شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٥٥ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) عبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٩٣ هـ ، شرح أبيات معنى اللبيب ، تحقيق عبد العزيز إرياح أبو أحمد

دقاق ، ج ١ ، دمشق ، ١٩٧٣ م ، ص ١٩٦ .

و « إخال » بمعنى أظن ؛ ويؤيد ما نقول أيضاً ما أثاره زهير من التشكيك بقوله :

فإن تكن النساء مُخَدَّرَاتٍ
فَحَقُّ لِكُلِّ مُحَضَّنَةٍ هِدَاءٌ

وإذن فقول زهير : « وسوف إخال أدري » يصدق عليه ما قاله المبرد في تفسير جملة (لعل) المفيدة للترجي :

« فإذا قلت : لعل زيدا يأتينا ، ولعل عمراً يزورنا - فإنما مجاز هذا الكلام من القائل أنه لا يأمّن أن يكون هذا كذا»^(١)

ولو أن شارحاً جرد قول زهير : « وسوف إخال أدري » من جملة إخال المعترضة ، وجعل (لعل) مكان « سوف » لحسن ذلك منه ، أي أنّ « سوف » في قوله : « وسوف إخال أدري » مفيدة ماتفيده (لعل) من الترجي أو الطمع

والإشفاق كما أفادت (السين) في « سَأْتِيكُمْ » من قوله - تعالى - : « إِنِّي ءَأَنْسَتُ نَارًا سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ »^(٢) - الترجي حيث عاقبت (لعل) المصريح بها في قوله - تعالى - : « إِنِّي ءَأَنْسَتُ نَارًا لَعَلِّي ءَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ »^(٣) ، وقوله - تعالى - : « إِنِّي ءَأَنْسَتُ نَارًا لَعَلِّي ءَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ »^(٤) .

من أجل ذلك يصح لنا أن نجعل (سوف) شريكة (السين) في المعنى الذي قلنا إن (السين) تفيده ، فنقول :

إن كلا من حرفي التنفيس يفيده ما تفيده (لعل) من الطمع والإشفاق في كل موضع يحسن أن تحل فيه (لعل) محلّه .

هذا ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

(١) انظر ماتشير إليه التعليقة رقم ١ ، ص ١٨٢ .

(٢) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٣) سورة ٢٠ (طه) : ١٠ .

(٤) سورة ٢٨ (القصص) : ٢٩ .

المراجع

- ١- الإتقان في علوم القرآن ، الحافظ جلال الدين السيوطي ٥٩١١ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- ٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسيرا أبي السعود ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ٩٥١ هـ ، بيروت ، بدون .
- ٣- الأصمعيات ، الأصمعي سعيد بن عبد الملك بن قريب ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- ٤- الأغاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني ٣٥٦ هـ ، بولاق ، بدون .
- ٥- الأمالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ٣٥٦ هـ ، بيروت ، بدون ، مصورة عن طبعة دار الكتب .
- ٦- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ٥٧٧ هـ ، تحقيق محمد محيي الدين ط ٤ ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- ٧- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن هشام الأنصاري المصري ٧٦١ هـ ، تحقيق محمد محيي الدين ، بيروت ، بدون .
- ٨- البحر المحيط ، محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلس ٧٥٤ هـ ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، مصورة عن طبعة ١٣٢٨ هـ .
- ٩- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، القاهرة ، عيسى الحلبي ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .

١٠- تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ٣٩٣هـ ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١١- جامع البيان عن تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ١٣١٠هـ ، القاهرة ، ط ٢ ، مصطفى الحلبي ، ١٩٥٤ م . وطبعة أخرى بتحقيق محمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

١٢- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، محمد عبد الخالق عضيمة ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، مطبعة السعادة ، بدون .

١٣- ديوان امرئ القيس ، بشرح الأعلام الشنتمرى أبي الحجاج يوسف بن سليمان النحوى [٤٧٦ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٩ م .

١٤- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق أكرم البستاني ، بيروت ، بدون .

١٥- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور الماقي ٧٠٤ هـ ، تحقيق أحمد الخراط دمشق ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

١٦- شرح أبيات مغني اللبيب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٩٣ هـ ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد دقاق ، ج ١ ، دمشق ، ١٩٧٣ م .

١٧- شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية والإسلام ، حسن السندوني ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٥٩ م .

١٨- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ٢٩١ هـ ، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ، مصورة عن طبعة دار الكتب ، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م .

- ١٩- شرح ديوان المفضليات ، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشاره الأنباري ٣٠٤ هـ ،
تحقيق كارلوس لايل ، بيروت ، ١٩٢٠ م .
- ٢٠- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، محمد بن القاسم الأنباري ٣٢٨ هـ ،
تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- ٢١- شرح القصائد العشر ، أو شرح القصائد السبع مع المضاف إليها ، يحيى بن علي
الخطيب التبريزي ٥٠٢ هـ ، تحقيق أنور الدين قباوة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- ٢٢- شرح المفصل ، يعيش بن علي بن يعيش ٦٤٣ هـ ، القاهرة ، بدون .
- ٢٣- الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه ١٨٠ هـ ، تحقيق
عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .
- ٢٤- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود
ابن عمر الزمخشري الخوارزمي ٥٣٨ هـ ، تحقيق قمحاوي ، مطبعة الحلبي ،
القاهرة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٢٥- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور ٧١١ هـ دار المعارف ،
القاهرة ، ١٩٨١ م .
- ٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ٥٤٨ هـ ،
بيروت ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- ٢٧- مختصر شرح شواهد الألفية ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني ٨٥٥ هـ ،
والمختصر مطبوع مع حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك ، القاهرة
عيسى الحلبي ، بدون .
- ٢٨- مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري
المصري ٧٦١ هـ ، تحقيق محمد محيي الدين ، القاهرة ، بدون .

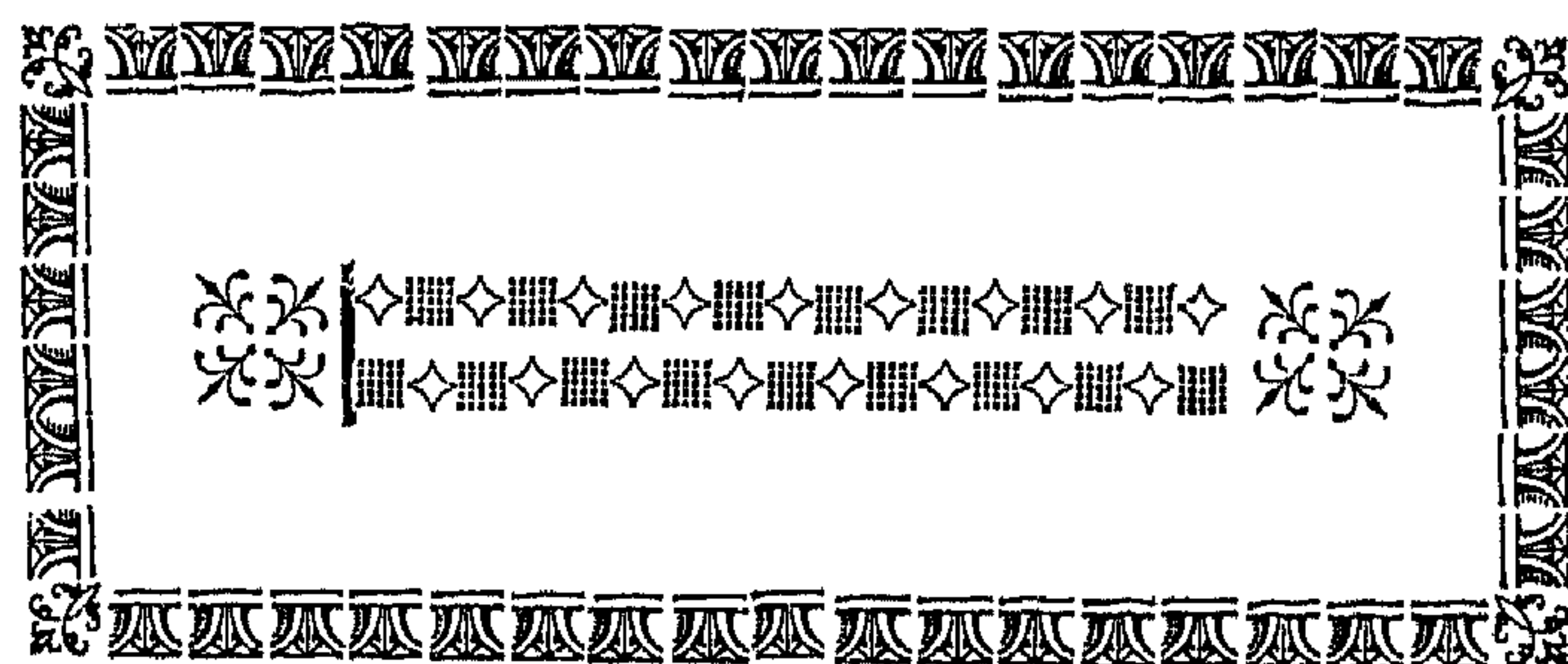
٢٩- المفضليات ، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ١٧٨ هـ ، تحقيق أحمد شاكر
وعبد السلام هارون ، ط. ٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

٣٠- المقتضب ، محمد بن يزيد المبرد ٢٨٥ هـ ، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ،
القاهرة ، ١٣٨٥ هـ .

٣١- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك المعروف بشرح الأشموني ، أبو الحسن علي
نور الدين ابن محمد بن عيسى الأشموني ٩٢٩ هـ ، وهو مطبوع مع حاشية الصبان
ومختصر شرح الشواهد للعينى بعنوان حاشية الصبان على شرح الأشموني على
ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعينى ، عيسى الحلبي ، القاهرة ، بدون

٣٢- النهر الماد من البحر ، محمد بن يوسف المشهور ببأبي حيان الأندلسي ٧٥٤ هـ ،
والكتاب مطبوع بحاشية البحر المحيط للمؤلف نفسه ، ط. ٢ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
مصورة عن طبعة ١٣٢٨ هـ .

صبحى عبد المنعم سعيد



الجملة الاسمية بين الإطلاق والتقييد

رأى وتصنيف

للأستاذ الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف

مدخل:

من قبل عن طريق عنصر لغوى جديد على العنصرين المكونين (المسند إليه - المسند) وتتمثل هذه المعانى المقيدة فى معانى المقاربة، والرجاء، والشروع والتوكيد، والتمنى، والاستدراك، والتشبيه والنفى. هذا المعنى الجديد الذى يضيفه الناسخ على الجملة الاسمية يستتبعه تأثيرا عرابى يغير الحالة التى كانت عليها الجملة الاسمية قبل دخوله . فالجملة الاسمية المطلقة - إذن- هى الجملة الاسمية التى لم يَنْصَبْ على طرفيها معا ناسخ من النواسخ أى أطلقت من قيد الناسخ بما يقيدها به من معنى .

فجملة مثل «الله غفور رحيم» جملة مطلقة ، وإذا قلنا «كان الله غفورا رحيمًا» أو «إن الله غفور رحيم» فإنها تصبح جملة اسمية مقيدة ؛ لأن كلا من الناسخين المقيدين «كان» و«إن» قد انصب على المبتدأ والخبر معا ، أما إذا كان فى الخبر وحده نوع من التقييد - بهذا المعنى- كما

يمكن القول بأن هناك نوعين من الجملة الاسمية ، النوع الأول الجملة الاسمية المطلقة والنوع الثانى هو الجملة الاسمية المقيدة .

والذى أعنيه بالجملة الاسمية المطلقة هو الجملة الاسمية التى لا تقييد فيها من أى نوع . والمقيد فى هذه الحالة هو « الناسخ » بأنواعه المختلفة . وقد اخترت هذه التسمية: «المطلقة» لتكون فى مقابل «المقيدة»؛ فقد قال النحاة من لدن سيبويه عن كان وأخواتها إنها لمجرد إفادة الزمن فى الجملة الاسمية ، فهى قيد يضاف إلى الجملة لم يكن موجودا من قبل ، ومثل كان وأخواتها أفعال المقاربة فهى جميعا «روابط وقيدو للمسند وهو الخبر»^(١) وقالوا أيضا إن «المسند فى باب كان هو الخبر و« كان » قيد له»^(٢) فكل جملة اسمية دخل عليها ناسخ من النواسخ «جملة مقيدة» سواء أكان هذا التقييد بإضافة الزمن إلى الجملة الاسمية أم بإضافة معنى آخر إليها لم يكن موجودا

(١) انظر حاشية الخضرى على ابن عقيل ١ / ١٥٦

(٢) حاشية الصبان على الأشمونى ٢ / ٢٣٥

إذا قلنا مثلاً : «محمد كان صادقاً أميناً» فإن هذه الجملة ليست جملة اسمية مقيدة بل مطلقة ؛ لأن انصباب «كان» هنا ليس على المبتدأ بل على ضميره ، والجملة على هذا النحو مكونة من (مبتدأ وجملة اسمية مقيدة هي الخبر) ، والإسناد فى «كان صادقاً أميناً» ليس إسناداً أصلياً ولكنه إسناد فرعى ، ومعنى هذا أن الجملة الاسمية لا تعد جملة اسمية مقيدة إلا إذا كان الناسخ منصباً بتأثيره الإعرابى على كل من المبتدأ (لاعلى ضميره) والخبر معاً ، أو بعبارة أخرى على طرفى الإسناد الأسمى فى الجملة الاسمية .

وتتمثل دراسة الجملة الاسمية المطلقة فى بيان أنواعها ، ومعرفة مكونات كل نوع أو أجزائه ، والتعريف بكل مكون أو جزء وخصائصه ، والربط بين هذه الأجزاء ومعرفة وسائل هذا الربط ، والتطابق بين هذه الأجزاء ، والترتيب بينها ، ومدى حرية هذا الترتيب أو التزامه ، ويمكن تصنيف الجملة الاسمية المطلقة فى ثلاثة أنواع :

- الأول - الجملة الاسمية التامة .
 الثانى - الجملة الاسمية المجزوءة .
 الثالث - جملة الوصف مع مرفوعه .
- ١ - الجملة الاسمية التامة :
- هناك فكرة أساسية فى نظرية النحاة العرب إلى الجملة وهى أنه لا بد من وجود «الإسناد» بطرفيه . وطرفاه فى الجملة الاسمية هما (المبتدأ والخبر) . ولا بد أن يراعى هذان الطرفان فى اعتبار الجملة مراعاة كبيرة ، فإذا كانا مذكورين فإن الجملة حيثئذ قد اكتمل لها عنصرها ، وإذا ذكر أحدهما دون الآخر فإن العنصر الثانى لا بد أن يكون فى الحسبان ، ولا يمكن اعتبار أحدهما فحسب جملة مستقلة ، مع إفادته معنى يحسن السكوت عليه ، فى نظر كثير من النحاة ، وذلك لأن الإسناد فى تعريفهم «رابطة» بين شيئين ، أو «حكم» بأحد الطرفين على الآخر^(١) ، أو «تعليق خبر بمخبر عنه»^(٢) فى الجملة الاسمية .
- والذى أعنيه بالجملة الاسمية التامة هو الجملة التى اكتمل لها عنصرها ، وتحقق فيها الإسناد بطرفيه (المبتدأ والخبر) ،

(١) انظر : الرضى ٨/١ (٢) السيوطى : همع الهوامع ٥/١ (٣) الفتح ، الآية ٢٩ (٤) الفتح : الآية ٩٠

(٥) آل عمران ، الآية : ١٣٩ (٦) يوسف ، الآية ٩٠ (٧) لقمان ، الآية ١١ (٨) الجاثية ، الآية : ٢٩

(٩) الفاتحة ، الآية ٢ (١٠) الفرقان ، الآية ٢٤ (١١) البقرة ، الآية ٢٢٦ (١٢) لقمان ، الآية : ١٢ .

وكان المبتدأ فيها من أسماء الأعلام مثل «محمدٌ رسولُ الله»^(١) أو الأسماء الموصولة مثل «والذين معه أشداء على الكفارٍ رُحَماءٌ بينهم»^(٢) أو الضمائر المنفصلة للرفع مثل «وأنتم الأعْلُونَ»^(٣) و «أنا يوسف»^(٤) أو أسماء الإشارة مثل «هذا خلق الله»^(٥) و«هذا كتابنا»^(٦) أو المعرف بالإنشاء مثل «الحمدُ لله»^(٧) أو بالإضافة مثل «أصحابُ الجنة يومئذ خيرٌ مستقراً»^(٨) أو من النكرات المخصصة مثل «ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشرك ولو أعجبكم»^(٩) أو العامة مثل «ومن يشكُرْ فإنما يشكُرُ لنفسه. ومن كفر فإن الله غنيٌ حميدٌ»^(١٠) ويمكن تحديد الجملة الاسمية التامة بعبارة أكثر اختصاراً فيقال : «هى ما لم يكن المبتدأ فيها وصفاً رافعاً لما يكتفى به ، ولم يجب حذف أحد طرفيها ، وتطابق فيها الجزآن . فقد اشترط في هذا التحديد ثلاثة شروط : الأول :

ألا يكون المبتدأ وصفاً رافعاً لما يكتفى به فإذا كان كذلك فهذا ما سوف يُتناول تحت عنوان جملة الوصف مع مرفوعه .

الثانى : ألا يكون أحد جزأيه واجب الحذف ، فإذا كان كذلك فهذا ما سوف يتناول تحت عنوان الجملة الاسمية المجزوءة . أما إذا كان أحد الجزأين محذوفاً لدواعٍ اقتضاها الموقف اللغوى فى التعبير - وهو ما يسمى بالحذف الجائز - فهذا داخل فى النوع الذى نتناوله هنا . وهو الجملة الاسمية التامة ، فالحذف الجائز لأحد عنصري الجملة الاسمية لا يغير نوعها فهى ماتزال تامة لأن العنصر الآخر مفهوم من السياق وذلك كما فى قوله تعالى : «قال فرعون : وما ربُّ العالمين. قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما»^(١١) فالإجابة تضمنت الخبر فقط «ربُّ السموات» ، وحذف المبتدأ لأنه مفهوم من سياق الكلام وتقديره «هو» يعود على «رب العالمين» ، وهذا الحذف ليس لازماً ، لأنه قد يذكر هذا المحذوف فى مواقف مماثلة كما فى قوله تعالى : «وما تلك بيمينك يا موسى. قال : هى عصاى»^(١٢) .

وفى قوله تعالى : «قال : فمن ربكما يا موسى. قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى»^(١٣) .

(١) الفتح ، الآية ٢٩ (٢) الفتح : الآية ٢٩

(٣) آل عمران ، الآية : ١٣٩ (٤) يوسف ، الآية : ٩٠ (٥) لقمان ، الآية ١١ (٦) الجاثية ، الآية : ٢٩

(٧) الفاتحة ، الآية ٢ (٨) الفرقان ، الآية ٢٤ (٩) البقرة ، الآية ٢٢٦ (١٠) لقمان ، الآية : ١٢ .

(١١) الشعراء : الآية ٢٣ ، ٢٤ (١٢) طه ، الآية ١٧ ، ١٨ (١٣) طه ، الآية ٤٩ ، ٥٠

والإجابة هنا تضمنت المبتدأ والخبر معا، ولم يشأ أن يحذف أحد العنصرين وهو هنا «المبتدأ» لأن الموقف هنا يقتضى ذكر الطرفين معا استلذاذا للحديث مع الذات العلية فى الآية الأولى «هى عصاى» ومحاولة للإطالة فى الكلام ، وكان من الممكن فى الإجابة أن يقول «عصاى أتوكأ عليها» وأما الجملة الثانية «رينا الذى أعطى كل شى خلقه ثم هدى» فإن الموقف هنا اقتضى ذكر المبتدأ (رينا) ، وكان من الممكن حذفه اعتماداً على السياق ، لكن موسى - حسب التعبير القرآنى - أراد أن يؤكد هذا المعنى عن طريق حصر إعطاء كل شى خلقه وهده فى (رينا) لبيطل دعوى فرعون المزعومة بربوبيته هو دون سواه ، وقد أراد أيضا أن يكشف لفرعون عن اعتزازه الشديد بإضافة (رب) إليه هو وأخيه وقد التقط هذا من قول فرعون المنكر المستهزئ «فمن ربكما» حيث يبين أنه يؤمن بما ينكره ويوقن بذلك يقينا لا ينارعه فيه شى من الشك . هذه الجملة التى يذكر أحد طرفيها المبتدأ أو الخبر ، ويكون

الطرف الآخر مفهوما من السياق ، ويكون المتكلم مختاراً بين ذكره أو حذفه حسبما يحدده الموقف وتعليه ملابساته - هذه الجملة تعد من الجمل الاسمية التامة .

الثالث :

أن يتطابق الجزآن فى العدد (الأفراد والتثنية والجمع) والنوع (التذكير والتأنيث) فإذا قلت مثلاً :

«محمدٌ ناجحٌ» فهذه جملة اسمية تامة سواء تقدم «محمد» أم تأخر . فإذا قلت «ناجحٌ محمدٌ» فكلمة «محمدٌ» مبتدأ مؤخر، وكلمة «ناجح» خبر مقدم سواء سبقت بنفى أو استفهام أم لم تسبق بواحد منهما ، وهذا هو تحليل الكوفيين والزمخشري وابن الحاجب لمثل هذا التركيب الذى يكون فيه كل من المبتدأ والوصف (الاسم المشتق) مفرداً وتقدم فيه الوصف ؛ ولهذا أوجبوا فى قوله تعالى «أراغبٌ أنت عن آلهتى يا إبراهيم» (١) أن يكون محمولاً على التقديم والتأخير . (٢)

(١) مريم ، الآية ٤٦ .

(٢) انظر : شرح شلور الذهب لابن هشام ١٨٢ . وقد أعرب هذه الآية على أنها مبتدأ وفاعل سد مسد الخبر كل من ابن الأثير (البيان فى غريب إعراب القرآن ١٢٧/٢) والمكبرى (إملاء ما من به الرحمن ١١٤/٢ ، ١١٥) ومكى بن أبى طالب القيسى (مشكل إعراب القرآن ٤٥٦) . وهو اتجاه البصريين الذين يجيزون هذا الوجه (مبتدأ + فاعل سد مسد الخبر) والوجه الآخر (مبتدأ مؤخر وخبر مقدم) فى حالة أفراد كل منهما واعتماده على نفى أو استفهام .

ويقول الزمخشري عن هذه الآية «وقدم الخبر على المبتدأ في قوله (أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم) ؛ لأنه كان أهم عنده، وهو عنده أعنى ، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لـ رغبتة عن آلهته ، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه»(١).

ولكن أبا حيان يبين أن المختار في إعراب «أراغب أنت» أن يكون «راغب» مبتدأ ، لأنه قد اعتمد على أداة الاستفهام و«أنت» فاعل سد مسد الخبر ، ويقول في ترجيح هذا الإعراب : «ويترجح هذا الإعراب على ما أعربته الزمخشري من كون «أراغب» خبراً و«أنت» مبتدأ بوجهين :

أحدهما : أنه لا يكون فيه تقديم ولاتأخير، إذ رتبة الخبر أن يتأخر عن المبتدأ.

والثاني : أن لا يكون فصل بين العامل الذى هو «راغب» وبين معموله الذى هو «عن آلهتى» بما ليس بمعمول للعامل ، لأن

الخبر ليس هو عاملاً في المبتدأ بخلاف كون «أنت» فاعلاً فإنه معمول (أراغب) فلم يفسصل بين (أراغب) وبين «عن آلهتى» بأجنبي ، إنما فصل بمعمول له»(٢).

إذن أمامنا اتجاهان في إعراب مثل هذا التركيب ، ومن الواضح أن اتجاه الزمخشري - ومعه الكوفيون وابن الحاجب - قائم على فهم النص في سياقه وملابساته ويرتب عليه معنى لطيفا يدرك من خلال تركيبه ، ولذلك أميل إلى هذا الاتجاه وأدعو إلى تعميمه في كل نظائره فكل وصف مفرد بعده اسم مفرد يكون الوصف فيه خبراً مقدماً والاسم التالى له مبتدأ مؤخرًا .

وأما الترجيح الذى قدمه أبو حيان لإعراب هذه الآية على النحو الذى أعربها به ، فإنه ترجيح قائم على أساس قواعد وضعها النحاة أنفسهم ، وهى غير مسلمة عند الجميع ، وأبو حيان لا يراعى فى ترجيحه إلا هذه القواعد فحسب دون النظر إلى النكتة اللطيفة التى يتضمنها

(١) الزمخشري ، الكشاف ٤١٣/٣

(٢) أبو حيان ، البحر المحيط ١٩٥/٦ وانظر له أيضا : النهر الماد بهامش البحر المحيط ١٩٢/٦ وانظر أيضا بهامشه بدر اللقيط لتاج الدين الحنفى ١٩٤/٦ .

توجيه الزمخشري الذي نظر للآية نظرة بلاغية يقتضيها سياق الآية وملازمات الموقف .

وما أسمىه هنا بالجملة الاسمية التامة يسميه النحاة بالمبتدأ الذي له خبر. والجملة الاسمية التامة تفترق عن غيرها في أمور : أولها- أن المبتدأ فيها - وهو المسند إليه-

يكون اسما صريحا نحو «الله ربنا» و«محمد نبينا» ومؤولا بالاسم الصريح نحو «وأن تصوموا خيرا لكم»^(١) أى «وصيامكم خيرا لكم» ف (أن تصوموا) مؤول ب«صيامكم».

ثانيها- أن المبتدأ فى الجملة الاسمية التامة لا يحتاج إلى شئ يعتمد عليه ، وأما الوصف مع مرفوعه فلا بد أن يعتمد على نفي أو استفهام.^(٢) فى رأى كثرة النحاة .

ثالثها - أن الجملة الاسمية التامة يجوز أن تدخل عليها

النواسخ المختلفة ، على خلاف جملة الوصف مع مرفوعه التى لا تقبل من النواسخ إلا ما يفيد النفى^(٣) فحسب بخلاف الجملة الاسمية المجزوءة التى لا تقبل النواسخ مطلقا^(٤) .

رابعها- أن الجملة الاسمية التامة يجوز فيها أن يتقدم الخبر على المبتدأ إلا إذا طرأ على التركيب ما يمنع ذلك ، على خلاف جملة الوصف مع مرفوعه .

وتتألف الجملة الاسمية التامة من المبتدأ والخبر . والمبتدأ لابد أن يكون اسما صريحا أو مؤولا بالاسم . وأما الخبر فلا بد أن يكون واحدا مما يأتى :

١ - الوصف : والمقصود به اسم الفاعل أو اسم المفعول أو الصفة المشبهة أو صيغة المبالغة أو اسم التفضيل ، وبعبارة أكثر اختصارا يقال إن الوصف هو ما أخذ من الفعل للدلالة على حدث وصاحبه . فكلمة (كاتب) مثلا تدل على أمرين : الكتابة ، والذات التى اتصفت بها ،

(١) البقرة ، الآية ١٨٤ (٢) انظر شرح شذور الذهب لابن هشام ١٨٠ (٣) انظر شرح الكافية للرضي ٢٩٧/٢

(٤) انظر شرح الكافية ٨٧/١ والأخفش والفراء يجيزان : إن قائما الزيدان . والكوفيون يجيزون هذه ويجيزون أيضا : ظننت قائما الزيدان . وكلاهما بعيد عن القياس على حد تعبير الرضى .

وكلمة (مضروب) - وهي اسم مفعول -
تدل أيضا على شيئين : الضرب - وهو
الحدث - والشخص أو الذات التي اتصفت
بوقوع الضرب عليها ، وهكذا كل مشتق
من الفعل على هذ النحو . والإخبار
بالوصف هو الأكثر .

٢ - الاسم الذى فى قوة
الوصف - على حد تعبير
النحاة - وهو الاسم الذى يؤدى
ما يؤديه الوصف ، أى ينقل إلى
الوصفية ، وذلك كقولك : « محمدٌ أسدٌ »
ف (أسد) اسم جامد ولكن معناه هنا
« شجاع » ، وإذا قلت « هذا زيدٌ » ف« زيدٌ »
هنا اسم جامد ، ولكن معناه « صاحب
هذا الاسم » وإذا قلت « محمد ذو خلقٍ »
ف (ذو) اسم جامد ولكن معناه « صاحب
خلقٍ » وهكذا .

٣ - الجملة ، سواء أكانت جملة اسمية
أم فعلية .

٤ - شبه الجملة (الظرف والجار
والمجرور) .

والمبتدأ - إذا كان معربا - لابد أن يكون
مرفوعا بعلامة الرفع المعروفة له (الضمة)

(١) الفجر ، الآية ١٥ (٢) البقرة ، الآية ١٨٤ .

إذا لم يكن مما يرفع غيرها ، أو (الواو)
أو (الألف) ، وتقدر عليه الضمة فى
المواضع الآتية :

١ - إذا كان المبتدأ مفردا مضافا إلى ياء
المتكلم مثل « ربى أكرمٍ »^(١) .

٢ - إذا كان المبتدأ اسما مقصوراً مثل :
« الهدى هدى الله » .

٣ - إذا كان المبتدأ اسما منقوصا مثل :
« القاضى عادلٌ » .

٤ - إذا كان مصدرا مؤولا مثل « وأن
تصوموا خيرا لكم »^(٢) .

٥ - إذا كان اسما منقولا عن جملة مثل :
« تابط شرا شاعر قديم » .

٦ - إذا كان المبتدأ مجرورا بحرف الجر
الزائد مثل قولهم « بحسبك درهمٌ » .

ولست أرى رأى من يقول - كابن
خالويه - إن المضاف إلى ياء المتكلم
لا علامة فيه لأن الياء تذهب بالعلامة ،
ولا رأى من يقول إن الاسم المنقوص
والمقصور لا علامة فيه ، ولا رأى من يقول
إن المضاف إلى ياء المتكلم مبنى^(٣) ؛ لأن كل
وظيفة نحوية لابد لها من علامة إعرابية
تخصها وتعرف بها ، ولأن كل اسم من

(٣) أنظر إعراب ثلاثين سره لابن خالويه : ٧٩ ، وشرح الرضى للكافية ١/٣٥ . ولست أميل مع الرضى إلى أن المضاف

إلى ياء المتكلم مبنى لأن مسلك العربية مع المبنيات أنها لاتضاف ، ولكن هذا مضاف إلى ياء المتكلم يمكن وصفه .

هذه إذا أتبع باسم آخر تظهر عليه العلامة الإعرابية كان مرفوعا ، فليست العلامة في الحقيقة للاسم من حيث هو اسم ولكنها للموقع الذي يكون فيه ، ولهذا السبب نفسه يكون المبتدأ ، إذا كان اسما مبنيا ، في محل رفع . وبذلك يكون المصطلح «مبتدأ» ملخصا لأمورة كثيرة منها الرفع ، والرتبة لأن المبتدأ لا يكون إلا مرفوعا مقدما إلا إذا طرأ على التركيب ما يستدعى تأخيرها ، ومنها الصيغة لأن المبتدأ لا يكون إلا اسما أو مافى تأويله ، ومنها التعيين (التعريف والتنكير) لأن المبتدأ لا يكون إلا معرفة أو مافى حكمها وهو النكرة المخصصة .

وما ينطبق على المبتدأ من حيث العلامة الإعرابية ينطبق أيضا على الخبر غير أن الخبر يفترق عن المبتدأ في أنه من الممكن أن يكون جملة فتكون في محل رفع ، أو شبه جملة فتكون بحسب متعلقها على التفصيل الذي توردته كتب النحو .

٢ - الجملة الاسمية الجزوءة :

لم يتناول النحاة هذا النوع من الجمل

على الوجه الذي أحب أن أتناولها به ، ولكنهم - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - لا يقرون بوجود الجملة إلا إذا كان هناك إسناد بطرفيه (المبتدأ والخبر) ، وهناك بعض التراكييب لم يكتمل لها هذان الطرفان ، بل وجد طرف واحد فقط ولم يمكن في التعبير المستعمل أن يظهر الطرف الآخر مطلقا ، ومع ذلك نجد كثيرا من النحاة لا يعترف بهذا ، ويصر على اعتبار طرف آخر ، ويرى أنه محذوف «وجوبا» ومعنى الحذف الواجب أنه لا يمكن أن يظهر على الإطلاق بل إن ظهوره في بعض هذه التراكييب قد يخل بالمعنى المقصود ويذهب به .

ونحن لا نعيب على نحائنا هذا المسلك ، فهم قد أرادوا الأطراد لنظامهم الذي وضعوه لتحليل اللغة وفهم تراكييبها ، وقد يكونون في كثير مما ذهبوا إليه على حق ، ولكننا نسمح لأنفسنا أيضا أن نعيد النظر فيما قدموا إلينا ، وبطبيعة الحال لن نغير اللغة نفسها ، فليس هذا في وسع أحد ، ولكن الذي نود تغييره بعض هذه النظرات الخاصة بتحليل بعض التراكييب ،

وليست مخالفتهم في ذلك خروجاً
 أو مروفاً على إجماعهم يوجب العذل
 واللوم ، وإجماعهم لا يلزم أحدًا باتباعهم
 فإن «إجماع النحويين ليس بحجة على من
 خالفهم»^(١) كما يقول ابن مضاء ، وقد قال
 أبو الفتح ابن جنى من قبله « اعلم أن
 إجماع أهل البلدين (يعنى أهل البصرة
 وأهل الكوفة) إنما يكون حجة إذا أعطاك
 خصمك يده إلا يخالف المنصوص
 والمقيس على المنصوص ، فأما إن لم يعط
 يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه ،
 وذلك أنه لم يرد ممن يُطاع أمره في قرآن
 ولا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ ،
 كما جاء النص عن رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - من قوله : « أمتي لا تجتمع
 على ضلالة » وإنما هو علم متزع من
 استقرار هذه اللغة ، فكل من فُرِقَ له عن
 علةٍ صحيحة وطريقٍ نهجَةٍ كان خليل نفسه
 وأبا عمرو فكره»^(٢) .

إننا نرى أن المعول كله على إفادة
 المعنى ، فإذا كان التركيب مفيداً لمعنى يحسن
 السكوت عليه ، فلا داعى لتكلف البحث
 عن طرفى الإسناد ، ومعنى هذا أننا ننظر

إلى هذه التراكيب على أنها جمل مفيدة ، وإن
 لم يتحقق لها اكتمال طرفى الإسناد . إذن
 مانعنا بالجمال الاسمية المجزوءة هو الجمل
 التى أفادت معنى يحسن السكوت عليه من
 غير أن يكون موجوداً فى التركيب إلا اسم
 واحد مرفوع ، وقد تناولها النحاة من قبل
 على أن بعضها قد حذف منه الخبر ،
 وبعضها الآخر قد حذف منه المبتدأ ، وسوف
 عرضها أولاً كما عرضها النحاة ثم أعقب
 عليها بما أرتثيه فيها من رأى :

يقول النحاة : يجب حذف الخبر
 وجوباً فى أربعة مواضع هى على النحو
 الآتى :

١- إذا وقع المبتدأ بعد «لولا» الامتناعية
 وكان الخبر كونا عاماً مثل «لولا أنتم لكنا
 مؤمنين»^(٢) .

٢- إذا كان المبتدأ نصاً فى اليمين مثل
 « لعمر ك إنهم لفى سكرتهم يعمهون»^(٣) .

٣- إذا وقع بعد المبتدأ واو هى نصٌ
 فى العطف والمعية مثل «كلُّ رجلٍ
 وضيعته» .

٤- إذا كان المبتدأ مصدراً أو اسم
 تفضيل مضافاً إلى مصدر بعده حال تسد

(١) الرد على النحاة لابن مضاء : ٧٤ (ط دار الاعتصام) .
 (٢) الخصائص لابن جنى ١/ ١٨٩ ، ١٩٠ (ط دار الكتب) .
 (٣) سورة سبأ ، الآية ٣١ . (٤) سورة الحجر ، الآية ٧٢ .

مسد الخبر ولا تصلح أن تكون هي الخبر
مثل «ضربى العبد مسيتاً»، و«أكثر ضربي
العبد مسيتاً»

كما يجب حذف المبتدأ في مواضع
هي:

١ - إذا كان الخبر نعتاً مقطوعاً للرفع
مثل «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»
يرفع الرجيم .

٢ - إذا كان الخبر مخصوصاً بالمدح
أو بالذم مثل «نعم الرجل أبو بكر».

٣ - إذا كان الخبر صريحاً في القسم
مثل «في ذمتي لأحجن إلى بيت الله» .

٤ - إذا كان الخبر مصدراً نائباً مناب
فعله مثل «فصبرٌ جميلٌ» (١) .

بعد عرض هذه المواضع على الوجه
الذي قرره النحاة - أود أن أعرض ما أراه
في علاج هذه التراكيب المختلفة ، ولن
أبعد - في الوقت نفسه - عما يراه بعض
النحاة ، وسيرى أنني أهدى ببعض هذه
الآراء ، وأول ما أراه في ذلك أن ما يسمى
بالنعت المقطوع للرفع ينبغي أن نخرجه من
إطار الجملة المجزوءة ، لأن هذا لا يعدو

(١) سورة يوسف ، الآية ١٨

أن يكون مخالفة في الإعراب أو ترخصاً
فيه من أجل إثارة الانتباه ولفت النظر
للسامع بوسيلة صوتية لعلها تصدم أذنه
ومألوفه اللغوي فيلفت إلى ما يقال بهدف
تأكيد هذه الصفة ، وذلك أن قطع النعت
مخالفته للمنعوت بالرفع إن كان المنعوت
منصوباً أو مجروراً ، وبالنصب إن كان
المنعوت مجروراً أو مرفوعاً ، ولا يخرج
في الوقت نفسه عن كونه «نعتاً» فإذا قلنا :
«رأيت محمداً العاقل» ونطقنا كلمة
«العاقل» مرفوعة فإن النحاة - كما سبق -
لا يرضيهم أن تكون هذه الكلمة مرفوعة
دون أن تكون في وظيفة نحوية تستحق
الرفع ولذلك قالوا إنها خبر لمبتدأ محذوف
تقديره «هو» وهذه لا يمكن أن تظهر على
الإطلاق ، وما قالوه هنا يتفق في غايته مع
ما نراه من إرادة توكيد صفة العقل في
الجملة السالفة ولكن عن طريق افتراض
جملة تؤكد هذه الصفة . وأرى أنه يكفي
في إعراب هذه الكلمة «العاقل» بالرفع هي
وأمثالها أن نقول إنها نعت مقطوع للرفع
فحسب دون أن نتكلف القول بأن هناك
مبتدأ محذوف وجوباً ، ففي هذا تعويض .

للمسائل، وهنا يجب أن نقول في تحليل النعت إنه يتبع منعوته ، وقد يرفع وقد ينصب لإرادة تأكيد الصفة المذكورة فهناك نعت مقطوع للرفع ، ونعت مقطوع للنصب .

ويجب أن نُخرج من إطار الجملة المجزوءة كذلك ما أورده النحاة في حذف الخبر وجوبا في أسلوب القسم مثل «لعمرك لأفعلن» وما أورده في حذف المبتدأ وجوبا كذلك مثل «في ذمتي لأفعلن» لأنني أرى أن أسلوب القسم يجب أن يعالج منفصلا تحت نوع خاص من الجمل يسمى بالأساليب الخاصة ، وكذلك أسلوب المدح والذم لأن هذه تراكيب خاصة تلزم طريقا واحدا في التعبير .

وفي تحليل أسلوب «لعمرك» يكفى أن نقول إن اللام للقسم وعمرك مقسم به مرفوع والكاف في محل جر ، وبعد ذلك تعرب جملة جواب القسم ، ولاداعي لأن نتكلف خبرا محذوفا وجوبا ، لأن الذي دفع نحاتنا القدماء إلى تكلف هذا أنهم لم يعترفوا بوجود ما يسمى بالجملة المجزوءة .

وأما أسلوب «في ذمتي لأجتهدن» مثلا فلا أرى بأسا على الإطلاق - برغم أن

النحاة يمنعون هذا - من أن يكون الجار والمجرور «في ذمتي» بغير متعلق ، لإفادة القسم ، ثم هي بعد ذلك عبارات محدودة جدا .

وأما أسلوب المدح والذم فإن النحاة لا يدخلونه في الجملة الاسمية المحذوف أحد طرفيها وجوبا - وهو المبتدأ- إلا إذا كان المخصوص بالمدح أو بالذم مؤخرا مثل «نعم الخلق الصدق» و«بئس الخلق الكذب» وكذلك «نعم خلقا الصدق» و«بئس خلقا الكذب» فإن كلاً من «الصدق» و«الكذب» تعربان إما مبتدأ والجملة قبله في محل رفع خبر مقدم ، وعلى هذا الوجه لا حذف في التركيب ، والتركيب بهذا الاعتبار جملة اسمية تامة ، وإما أن يعربا خبرا لمبتدأ محذوف تقديره «هو» وهو محذوف وجوبا في رأيهم .

وقبل تحليل هذا الأسلوب على الوجه الذي نرتضيه أشير إلى أنه كثيرا ما تكتفى أداة المدح (نعم) أو الذم (بئس) أو (ساء) بالاسم المرفوع بعدها أو بالتمييز وهذا هو الاستعمال القرآني فقد وردت هاتان الجملتان في القرآن الكريم إحدى وثمانين مرة^(١) موزعة على «نعم» و«بئس»

(١) يمكن مراجعة هذه الآيات في سورها مستعينا بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم في مواد نعم وبئس وساء ص

و«ساء» ولم يرد من جميع هذه الجمل إلا أربع جمل فقط بها ما يسمى بالمخصوص بالذم ، وهذه الجمل هي «بئس الوردُ المورودُ»^(١) و«بئس الرقدُ المرفودُ»^(٢) و«بئس الاسمُ الفسوقُ بعدَ الإيمانِ»^(٣) و«ساء مثلاً القومُ الذين كذبوا بآياتنا»^(٤).

وأود أن أشير أيضا إلى أنه عندما يكون المخصوص بالمدح أو بالذم مقدما ويعرب مبتدأ لا تكون جملة الخبر محتاجة إلى رابط يربطها بالمبتدأ من تلك الروابط اللفظية لوجود العموم فيه الذي يندرج تحته المبتدأ ، فكأن المبتدأ قد تكرر بنفسه ، يقول سيبويه «وأعلم أنه محال أن تقول : عبد الله نعم الرجل ، والرجل غير عبد الله ، كما أنه محال أن تقول : عبد الله هو فيها ، وهو غيره»^(٥) فتطابق المخصوص بالمدح أو بالذم مع الاسم المرفوع بعد أداة المدح أو الذم كتطابق الاسم مع ضميره عند سيبويه ، وعند المبرد أيضا^(٦).

وعندما يكون المخصوص بالمدح أو بالذم مقديما لا يختلف النحاة في إعرابه مبتدأ خبره الجملة بعده ، ولكنهم يختلفون عندما يؤخر ،

فمنهم من يعربه مبتدأ ، ومنهم من يعربه خبرا لمبتدأ محذوف وجوبا ، ومنهم من يعربه بدلا من فاعل نعم أو بئس ، ومنهم من يعربه مبتدأ خبره محذوف وجوبا^(٧). وهذا الاختلاف بطبيعة الحال يشير إلى الاضطراب في تفسير هذا التركيب وتحليله .

والذي نخلص إليه من كل هذا أننا لا نرى فعلية كل من نعم وبئس وما يؤدي معنى المدح أو الذم مثلهما ، بل هي أدوات لإفادة المدح أو الذم ، وكل أداة من هذه الأدوات تضام اسما مرفوعا ولا يليها إلا إذا كان معرفا بال أو مضافا إلى ما هو معرف بأداة التعريف (ال) مثل : «نعم الخلقُ الصدقُ» أو «نعم خلقُ المؤمنِ الصدقُ» ويكون تحليل هذه الجملة على

الوجه الآتي :

نعم : أداة مدح .

الخلق : ضميمة أداة المدح ، مرفوع .

الصدق : بدل من (الخلق) .

وقد رأى هذا الرأي من قبل ابن كيسان إذ ذهب إلى أن المخصوص بالمدح في حالة تأخيره يعرب بدلا من المرفوع قبله ، وكذلك أبو علي الفارسي وابن السراج

(١) سورة هود آية ٩٨ (٢) سورة هود آية ٩٩ (٣) سورة الحجرات آية ١١ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٧٧ (٥) كتاب سيبويه ١٧٧/٢ (٦) انظر المقتضب ١٤٩/٢ .

(٧) انظر هذا الخلاف في الأشموني ٣٧/٣ وانظر خلافاً أخرى في صفحة ٣٣ من الجزء نفسه وانظر الهمع ٨٧/٢ .

وأشار الأشموني إلى أن ابن مالك يجيز هذا في شرح التسهيل .

وقد أخذ على هذا الرأي امران :

أولهما : أن هذا المخصوص لازم وليس البديل بلازم بل قد يؤتى به أو لا يؤتى به .

ثانيهما : أن هذا المخصوص لا يصلح لمباشرة أداة المدح في كثير من أمثله فإذا قلت : نعم الرجل محمد فلا يمكنك أن تقول : « نعم محمد » .

ونقل السيوطي الرد على الاعتراض الثاني وهو أنه يجوز أن يقع بدلا ما لايجوز أن يلي العامل بدليل «إنك أنت»^(١) حيث تعرب «أنت» بدلا من الكاف ولا يصح أن يقال «إن أنت» .

وقد نقل الصبان ردا على الاعتراض الأول فقال : قد يقال لا مانع من كونه لازما لكونه مقصورا ، وكونه تابعا لايقدم في اللزوم كتاب مجرور(رب)^(٢) .

وقد تُسبق ضميمة أداة المدح أو الذم باسم نكرة يعرب تمييزا مثل : « نعم رجلاً محمد » ويكون تحليل هذه الجملة على الوجه الآتي :

نعم : أداة مدح .

رجلا : تمييز منصوب .

محمد : ضميمة أداة المدح ، مرفوع .
ويؤيد إعراب (محمد) ضميمة لأداة المدح (نعم) أن الكسائي والفراء يذهبان إلى أن (محمد) في مثل هذا التركيب تعرب فاعلا لـ (نعم) ، ولكننا لا نرى فعلية نعم ويثس ولذلك فليس لها فاعل ، ولكنها أداة تحتاج إلى ضميمة معينة ، وقد تحذف الضميمة المرفوعة ويكتفى بذكر التمييز المنصوب في التركيب الأخير .

بعد هذا يبقى من المواضع الثمانية التي عولجت في النحو القديم على أنها جمل اسمية تامة حذف أحد جزأها أربعة مواضع فحسب هي التي نعدها من الجمل الاسمية المجزوءة وهي كل تركيب أفاد معنى يحسن السكوت عليه من غير أن يتحقق فيه ركنا الإسناد .

إن الإيمان بالشكل اللغوي سوف يغنينا عن كثير من الخلافات والتعسف وتكلف التأويل ، فعندما نعتد بالجملة المجزوءة قسما من أقسام الجملة نجد أنفسنا في غير حاجة إلى كثير من التأويلات البعيدة التي يرفضها الواقع اللغوي ، وبذلك نطبق ما نراه من أن الجملة الاسمية المطلقة خالية من نظرية العامل .

(٢) حاشية الصبان ٣٧/٣

(١) انظر الهمع ٨٧/٢

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن بعض النحاة القدماء يعترفون بالمبتدأ الذي لا خبر له ، وفي الوقت نفسه لا يجيزون حذف الخبر وجوبا إلا إذا كان هناك في التركيب ما يسد مسده ، ففي حالة الاسم المرفوع المعطوف عليه اسم آخر بواو تفيد معنى (مع) ذهب الأخفش والكوفيون وابن خروف وابن عصفور إلى أنه كلام تام لا يحتاج إلى تقدير مثل «كلُّ رجلٍ وَضِيعَتُهُ» وفي مثل «حَسْبُكَ يَنْمُ النَّاسُ» قيل عن حسبك: هو مبتدأ لا خبر له لأنه بمعنى «اكفف» واختاره ابن طاهر^(١) وقد ذهب الفراء إلى أن الاسم الواقع بعد «لولا» ليس مبتدأ بل مرفوع بها لاستغناؤه بها كما يرتفع الفاعل بالفعل^(٢).

فهذه إشارات نجد فيها سندا لدعوى وجود ما يسمى بالجملة الجزوءة ويقول المرحوم إبراهيم مصطفى «والذي عَوَّصَ الأمر على النحاة ما قرروه من أن كل جملة يجب أن تشمل مبتدأ وخبرا أو فعلا وفاعلا ولم يعرفوا الجملة الناقصة»^(٣).

وينبغي أن نعيد النظر في تحليل ما

نسميه الجملة الجزوءة ، ولا بأس أن نضع مصطلحات خاصة تعين على تخلص هذه الجمل الجزوءة مما ألصقت به وحسبت عليه من قبل ، ولن نطلق على الاسم المرفوع في هذه الجملة الجزوءة «مبتدأ» لأنهم قالوا في تعريف المبتدأ إنه اسم مخبر عنه ، وهذه النماذج لا خبر فيها مطلقا .

أولا : الاسم المصاحب وهو الاسم المرفوع المعطوف عليه اسم آخر بواو هي نص في المعية مثل : كلُّ رجلٍ وَضِيعَتُهُ .

ومن المعروف أن النحاة يقدرّون خبراً محذوفا وجوبا تقديره «مقترنان» ولا نرى هذا التقدير ، لأن الجملة مفيدة من غير هذا التقدير ، ويكفى في إعرابها أن نقول :

كل : اسم مرفوع مصاحب (بفتح الحاء أو بكسرها) .

رجل : مضاف إليه .

الواو : عاطفة بمعنى مع .

ضيعة : معطوف على «كل» والهاء في محل جر مضاف إليه .

ومن الواضح أن الضمير هنا يربط بين الاسمين مع العطف .

(١) انظر الهمع ١/١٠٥ (٢) السابق نفسه (٥) إحياء النحو: ١٤٢

وقد ذهب الكوفيون والأخفش إلى أن « نحو: كلُّ رجلٍ وضيعته ، مستَغْنٍ عن تقدير خبر لأن معناه : مع ضيعته ، فكما أنك لو جئت بمع موضع الواو لم تحتج إلى مزيد عليها ، وعلى ما يليها في حصول الفائدة ، كذلك لا تحتاج إليه مع الواو ومصحوبها،^(١) وقد اختار هذا المذهب ابن عصفور ورأى أن هذا كلام تام لا يحتاج إلى خبر^(٢) وعبارة السيوطي نقلا عن الكوفيين أن الخبر لم يحذف وإنما أغنت عنه الواو^(٣)، وأشار أيضا إلى أن ابن خروف اختار هذا المذهب .

ونحن نرى أنه لا يصح أن يوجد مبتدأ بدون خبر ، فإذا كان هذا التركيب في غير حاجة إلى الخبر فلا داعى للقول بأن الاسم الموجود مبتدأ لأن هذا يدفع إلى تقدير خبر واعتقاد أنه محذوف ، ويكفى أن نقول في إعرابه: « اسم مرفوع مصاحب » ومصاحب بصيغة اسم الفاعل أى بكسر الحاء أو بصيغة اسم المفعول أى بفتح الحاء

أيهما شئت لأنه من المفاعلة وما صاحب فقد صوحب .

ثانيا : المصدر المضاف الواقع بعده حال لا تصلح أن تكون خبرا ، وكذلك « أفعل » إذا أضيف إليه هذا المصدر ، وقد مثل له النحاة بقولهم : « ضَرَبْتَنِي رِيْدًا قَائِمًا » و« أتمُّ تبييني الحقَّ منوطًا بالحكم » ومثل له الأشموني بقوله صلى الله عليه وسلم: « أقرب ما يكون العبيد من ربه وهو ساجد »^(٤) ومن ذلك في الشعر قول رؤبة بن العجاج^(٥) :

وَرَأَى عَيْنِي الْفَتَى أَبَاكَ

يُعْطِي الْجَزِيلَ فَعَلَيْكَ ذَاكَ

وقول الأعمش^(٦) :

عَهْدِي بِهَا فِي الْحَى قَدْ سُرِبَلَتْ

بِيضَاءَ مِثْلِ الْمَهْرَةِ الضَّامِرِ

وقول الآخر^(٧) :

خَيْرُ اقْتِرَابِي مِنَ الْمَوْلَى حَلِيفَ رَضًا

وَشَرُّ بَعْدِي عَنْهُ وَهُوَ غَضْبَانٌ

(١) الأشموني ٢١٧/١

(٣) الهمع ١٠٥/١

(٥) الدرر اللوامع للشنقيطي ٧٧/١ .

(٧) السابق

(٢) إنظر شرح ابن عقيل ١٠٧/١

(٤) الأشموني ٢١٩ / ١

(٦) الدرر اللوامع للشنقيطي ٧٧/١

وقد اختلف النحاة فى تحليل هذا التركيب اختلافا غير يسير ، ولذلك يقول السيوطى «وهذه المسألة طويلة الذبول كثيرة الخلاف ، وقد أفردتها قديما بتأليف مستقل^(١)» وحتى لانقع فى مثل هذا الخلاف أرى أن نكتفى فى تحليل هذا التركيب (ضربى زيدا قائما) بما يأتى :
ضربى : مصدر فعلى^(٢) مضاف والياء فى محل جر مضاف إليه .

زيدا : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

قائما : حال منصوب .

وهناك كثير من النحاة قالوا عن هذا المصدر إنه «لاخير له»^(٣) .

فإذا كان لاخير له فليس مبتدا ، لأن المبتدا هو ما له خبر فى رأينا .

ثالثا : المصدر الذى يؤتى به بدلا من اللفظ بفعله سواء أكان يقصد به الخير أم الإنشاء ، وسواء أكان مرفوعا أم منصوبا مثل :

«سمع وطاعة» و «صبر جميل» والمصادر التى يدعى بها وذلك قولك : تُربّا وجندلا وما أشبه هذا^(٤) ، ومن ذلك قولهم

«مرحبا وأهلا وإن تأتني فأهلّ الليل والنهار» ، وزعم الخليل رحمه الله - حين مثله أنه بمنزلة رجل رأته قد سدد سهمه فقلت : «القرطاس» أى أنت عندي ممن سيصيه وإنما رأيت رجلا قاصدا إلى مكان أو طالبا أمرا فقلت : مرحبا وأهلا ، أى أدركت ذلك وأصبت فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه فكأنه صار بدلا من «رحبت بلادك وأهلّت»^(٥) ويقصد سيويه وأستاذه الخليل بهذا أن دلالة الحال المشاهدة وملابسات الموقف اللغوى أغنت عن ذكر الفعل ، فصار حذفه من الكلام ضروريا ، لأن ذكره يعد فضولا من القول ولغوا ، ونحن نوافقهما على هذا ، ونزيد عليه أن هذا المحذوف المرفوض لا اعتداد به ، إذ إن دلالة الكلام المذكور كافية فى إفادة المعنى ومغنية عما سواه .

ويكفى فى تحليل هذا النوع من الجمل المجزوءة أن نقول فى مثل : «صبر جميل» مصدر مرفوع إذا كان مرفوعا أو مصدر منصوب إذا كان منصوبا ، وقد ذكر سيويه أن هذه المصادر قد ترفع يقول : «ومنهم من يرفع» ويقول «وقد رفعه بعض

(١) الهمع ١٠٥/١ (٢) المقصود بكلمة «فعلى» أن المصدر يعمل عمل فعله فى هذا التركيب

(٣) انظر الهمع ١٠٥ / ١ (٤) انظر سيوية ٣١٤ / ١ (بولاق) (٥) سيوية ٢٩٥ / ١ (بولاق)

العرب» وقد أفاض سيبويه في ذكر نماذج كثيرة لهذه المصادر ونقل الرفع فيها والنصب كذلك ما عدا المصادر المضافة مثل : سبحان الله ومعاذ الله وحنانك وليك وسعديك فليس فيها إلا النصب ، وقد نص على أن معنى الرفع من هذا هو معنى المنصوب «وفيه المعنى الذى يكون فى المنصوب»^(١) ولذلك قال المبرد عن هذه المصادر «كل هذا معناه فى النصب ومعناه فى الرفع واحد»^(٢) ويقول ابن يعيش «ألا ترى أنك إذا قلت : سلام عليك وويل له بالرفع كان معناه كمعناه منصوبا»^(٣).

رابعاً : الاسم المرفوع الواقع بعد لولا الامتناعية على شريطة أن تفيد مع هذا الاسم معنى مستقلاً مثل قوله تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته»^(٤) ويعرب على أنه اسم مرفوع بعد لولا وكفى ، وهذا هو مذهب الفراء^(٥) والكوفيين الذين يرون أن (لولا) ترفع الاسم بعدها وقد ناصرهم فى هذا رأى

وظاهرهم عليه ابن الأنبارى وتصدى لتفنيده آراء البصريين^(٦).

وأما لولا الامتناعية التى لا تستقل مع الاسم المرفوع بعدها بمعنى مستقل فليست من الجمل المجزوءة ، بل هى من الجمل الاسمية التامة ولكن ليس خبر المبتدأ بعدها محذوفاً وجوباً كما يرى كثير من النحاة بل إن خبرها مذكور وهو ما يسمى جواب «لولا» وبهذا تتجاوز كثيراً من الخلافات ، وما ذهبنا إليه هو رأى ابن الطراوة الذى يرى أن جواب لولا أبداً هو خبر المبتدأ ولم يرض رأيه هذا ابن هشام فصدره بقوله : وزعم ابن الطراوة ، ولكن السيوطى يعطى له ما يستحق فيقول : «وذهب قوم إلى أن الخبر بعد لولا غير مقدر وأنه الجواب ، وإن كان البصريون يرون أنه لا يصح أن يكون الخبر لخلوه غالباً من العائد ، مع هذا يرون أنه سد مسد الخبر . (٧) ولا بأس فى هذا لاختلاف لولا عن جميع أدوات الشرط فى أنها لا يليها فعل .

(١) سيبويه ٣١٤/١ (٢) المقتضب للمبرد ٢١٧ /٣ (٣) شرح المفصل لابن يعيش ٩٣/١
(٤) سورة النور فى الآيتين ٢٠٠، ١٠ (٥) انظر شرح الرضى على الكافية ١٠٤/١ .
(٦) انظر المسألة رقم ١٠ من الإنصاف ٧٠/١ (تحقيق محمد محبى الدين عبدالحميد) .
(٧) انظر : سيبويه ١٩٢ /٢ والمقتضب ٧٦ /٣ والإنصاف : ٥٢ والمغنى ٢١٥/١ والهمع ١٠٥ /١
(٨) انظر شرح الرضى على الكافية ١٠٤ /١ والهمع ١٠٥ /١ .

٣ - جملة الوصف مع مرفوعه :

يُدرج النحاة مثل هذا التركيب : «أقائم بالمحمدان» تحت الجملة الاسمية التامة، وعند تحليله يقولون إن الهمزة للاستفهام و«قائم» مبتدأ مرفوع و«المحمدان» فاعل سد مسد الخبر ، ويقولون مثل هذا في نحو «أحى والداك»^(١) وكذلك في مثل «أمحمود أخواك؟» غير أنهم يعربون كلمة «أخواك» نائب فاعل في المثال الأخير ، ويرون أن الاسم المشتق في هذا التركيب يؤدي ما يؤديه الفعل يقول ابن يعيش «واعلم أن قولهم «أقائم الزيدان ؟» إنما أفاد نظراً إلى المعنى إذ المعنى «أيقوم الزيدان؟» فتم الكلام لأنه فعل وفاعل ، وقائم هنا اسم من جهة اللفظ وفعل من جهة المعنى ، فلما كان الكلام تاماً من جهة المعنى أرادوا إصلاح اللفظ فقالوا أقائم مبتدأ والزيدان مرتفع به وقد سد مسد الخبر من حيث إن الكلام تم به ولم يكن ثم خبرٌ محذوف على الحقيقة»^(٢).

ومعنى هذا أن هذه الجملة تتألف إما من (مبتدأ وفاعل) أو من (مبتدأ ونائب

فاعل) وهم يقولون إن الإسناد بطرفيه هو الذي تنعقد به الجملة ، وطرفا الإسناد إما أن يكونا المبتدأ والخبر في الجمل الاسمية التامة أو أن يكونا الفعل والفاعل في الجمل الفعلية التامة أو الفعل ونائب الفاعل . وكل من المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل يعد مسنداً إليه في جملة .

إذن جملة «أقائم المحمدان ؟» تتألف من «مسند إليه + مسند إليه» وأحدهما من الجملة الاسمية والآخر من الجملة الفعلية ، أي أخذت المسند إليه من الجملتين . وهذا وضع غريب في تركيب هذه الجملة ، وهذا ما دعانا إلى إفرادها بمعالجة خاصة .

وينبغي أن يسمى هذا التركيب «الجملة الوصفية» جرياً على عادة النحاة في نسبة الجمل إلى صدرها ، وصدر هذه الجملة هو الوصف ، والمقصود بالوصف : اسم الفاعل مثل قائم وناجح ومكرم (بكسر الراء) ومستخرج (بكسر الراء) ، واسم المفعول مثل مضروب ومحمود ومنصور ومكرم (بفتح الراء) ومستخرج

(١) صحيح البخارى ٧١/٤ (ط الشعب) .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٩٦/١ .

(بفتح الراء) والصفة المشبهة مثل كريم وحليم وقوى وشهم وشجاع ، غير أن هذه التسمية قد تلتبس بالجملة الواقعة نعتا ، ولذلك آثرنا الإبقاء على تسمية النحاة لها «الوصف مع مرفوعه» مع ملاحظة أنها يجب أن تكون مستقلة عن الجملة الاسمية التامة والمجزوءة .

والذى جعل النحاة يعدون هذا التركيب من الجملة الاسمية التامة أنهم يجعلون مصطلح «الاسم» فى العربية شاملا لأنواع مختلفة منه مع أن بعض هذه الأنواع يمكن أن يستقل بصفات خاصة ومن هذه الأنواع التى يمكن أن تستقل بصفات خاصة تفردا عن الاسم «الوصف»^(١) ولما رأى النحاة أنه يختلف عن الاسم قالوا إن له مرفوعا أغنى عن الخبر ، وراعوا ذلك فى تعريفهم للمبتدأ حيث عطفوا بـ (أو) عليه «الوصف الرفع لما يكتفى به» وقالوا إن «أو» فى التعريف للتنويع لا للتخيير .

وهناك بعض النصوص للنحاة توحى بإدراكهم لهذه الفروق بين الوصف وغيره سأكتفى منها بنصين فقط أولهما للرضي

الذى يقول فى التعقيب على تعريف ابن الحاجب للمبتدأ الذى ذكر فى حده «أو» الصفة الواقعة بعد حرف النفى وألف الاستفهام رافعة لظاهرا ومثل لذلك بقوله : «ما قائم الزيدان وأقائم الزيدان» . يقول الرضى «هذا هو حد المبتدأ الثانى ، والنحاة تكلفوا إدخال هذا أيضا فى حد المبتدأ الأول فقالوا إن خبره محذوف لسد فاعله مسد الخبر ، وليس بشيء ، بل لم يكن لهذا المبتدأ أصلا من خبر حتى يحذف ويسد غيره مسده ، ولو تكلفت له تقدير خبر لم يتأت إذ هو فى المعنى كالفعل والفاعل لا خبر له فمن ثم تم بفاعله كلاما من بين جميع اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة ولهذا أيضا لا يصغر ولا يوصف ولا يعرف ولا يشنى ولا يجمع (٢)» والنص الثانى من كلام ابن هشام الذى يعقد مقارنة بين هذين النوعين من المبتدأ فيقول ضمن هذه المقارنة « ولا يكون المبتدأ المستغنى عن الخبر فى تأويل الاسم البتة ، بل ولا كل اسم بل يكون اسما هو صفة نحو «أقائم الزيدان» و «ما مضروب

(١) يفرده الدكتور تمام حسان «الصفة» بقسم مستقل ، وقد قسم الكلمة إلى سبعة أقسام بدلا من ثلاثة أقسام وهى الاسم والصفة والفعل والضمير والخوالب والظرف والأداة (انظر اللغة العربية معناها ومبناها من صفحة ٩٠ إلى ١٣٢) وانظر أيضا كتابي «العلامة الإعرابية فى الجملة» من صفحة ٦٤ إلى ٨٧ حيث ناقشت هذا التقسيم وتقسيمات أخرى (مطبوعات

جامعة الكويت ١٩٨٤) . ودار الفكر العربى ١٩٨٨

(٢) شرح الكافية للرضي ٨٦/١ .

العمران» والمبتدأ المستغنى عن الخبر لا بد أن يعتمد على نفي أو استفهام^(١) :
ومن خلال هذين النصين نستطيع أن نتبين خصائص جملة الوصف مع مرفوعه ، غير أننا تلافياً للخلط بين هذا النوع وسابقه - نود ألا نقول عن الوصف هنا في تحليله إنه مبتدأ ، ويكفى في إعرابه أن نقول إذا كان اسم فاعل أو صفة مشبهة «وصف فاعل مرفوع وما بعده فاعل» وإذا كان اسم مفعول نقول «وصف مفعول وما بعده نائب فاعل» .
ومن خصائص هذه الجملة الوصفية أنه لا يتطابق فيها الوصف مع المرفوع بعده ، فيلزم الوصف الأفراد فلا يثنى ولا يجمع ، ويلزم التنكير فلا يعرف ولا يوصف أيضاً ولا يصغر ، ولا يشترط مثل هذا في «المبتدأ» . ومن أمثلة ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم «أحسّ والسادك ؟»^(٢) وقولنا : أناجح المحمدان؟ ، أناجح المحمدون ، وإذا أعربنا الجملة الأخيرة مثلاً قلنا :
الهمزة : للاستفهام .

ناجح : وصف فاعل مرفوع .
المحمدون : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم .
فإذا ثنى الوصف أو جمع بحيث نقول أناجحان المحمدان؟ ، أو أناجحون المحمدون؟ فإن هذه تتحول إلى جملة اسمية تامة تقدم فيها الخبر وتأخر المبتدأ جوازاً .
فجملة الوصف مع مرفوعه لا تطابق بين جزأيهما ، ولذلك سبق أن اخترنا أن مثل «أراغب أنت ؟ » جملة اسمية فقط وهو ما ذهب إليه كثير من النحاة وليس الوصف فيها إلا خبراً مقدماً .
وجملة الوصف مع مرفوعه لا يدخل عليها من النواسخ إلا ما يفيد النفي وهى بذلك تختلف عن الجملة الاسمية ، ولا بد أن تسبق بنفى أو استفهام . ولا يشترط هذا في الجملة الاسمية .
الجملة الاسمية المقيدة .
وأما الجملة الاسمية المقيدة فالمراد بها كل جملة اسمية تامة قيدت بأحد المقيدات التى تسمى «النواسخ» ، وهذه النواسخ

(١) شرح شذور الذهب لابن هشام : ٢٣٠ .
(٢) صحيح البخارى ٤ / ٧١ (ط الشعب)

مقيّدات للجملة الاسمية لأنها تضيف إليها معانى لم تكن موجودة من قبل من جانب وتؤثر فى أجزائها إعرابيا من جانب آخر ، وقد تقيد الجملة بمقيّدات غير مؤثرة إعرابيا أيضا ، ولكننا لانعد المقيّدات هنا إلا ما كان له تأثير إعرابى ، والمقيّدات المؤثرة متعددة وهى على النحو الآتى :

(٢) - مقيّدات الزمن ، وهذه هى كان وأخواتها ما عدا «ليس» والمقيّدات الدالة على المقاربة تُضم هنا إلى كان وأخواتها لأنها تدل على قرب وقوع الخبر ، والقرب هنا زمنى ، وكذلك المقيّدات الدالة على الرجاء والشروع لأنها من حيث أدرتها وجدتها دالة على الزمن المرجو وقوع الخبر فيه أو الذى شرع فى حدوث خبرها فيه .

وقد نجد بين أخوات كان ما قد يكون ظاهر أمره ليس دالا على الزمن وهو «صار» وهو يفيد التحويل كما يقول نحائنا، ولكن مدلول التحويل نفسه لا يكون إلا بالانتقال من حالة إلى حالة ، وكل حالة ما دامت مختلفة عن الأخرى لا بد أن

تكون فى زمن معين ، لأن الشيء لا يكون على حالين فى زمن واحد، ومثل «صار» ما يلحق بها سماعا لا قياسا مثل آل ورجع وحال وارتد^(١).

(ب) مقيّدات النفى : وهى «ليس» والمشبهات بها «ما - لا - لات- إن» وهذه ترفع الاسم وتنصب الخبر ، و«لا» النافية للجنس ، وهذه تنصب الاسم إذا كان مضافا أو شبيها بالمضاف لأنها لا تتركب مع اسمها إذا كان غير مفرد ، أما إذا كان اسمها مفردا فإنها تتركب معه . ولذلك يبنى على ما ينصب به ، وأما خبرها فإنه يكون مرفوعا .

(ج) مقيّدات التأكيد : وهى إن وأن ، وهى تضيف معنى التأكيد إلى الجملة الاسمية التامة ، وإن كانت أن المفتوحة الهمزة - كما يرى بعض المحدثين^(٢) - ليست إلا واسطة لنقل التأثير إلى الجملة ، ولذلك فهى حرف مصدرى ، والحروف المصدرية وسائط لنقل التأثير إلى الجملة الفعلية والاسمية ، و«أن» هى المختصة بالجملة الاسمية فأنّ وما دخلت عليه تعد

(١) انظر شرح الكافية للرضى ٢/ ٢٩١

(٢) مثل برجستراشر فى كتابه « التطور النحوى » .

اسما أو مصدرًا مؤولا على حد تعبير النحاة ، وقد عبر عن ذلك سيويه بقوله : «أما أن فهي اسم ، وما عملت فيه صلة لها ، كما أن الفعل صلة لأن الخفيفة ، وتكون أن اسما . ألا ترى أنك تقول : قد عرفت أنك منطلق ، فأنت في موضع اسم منصوب كأنك قلت : قد عرفت ذاك وتقول بلغني أنك منطلق فأنت في موضع اسم مرفوع كأنك قلت بلغني ذاك : «فإن الأسماء التي تعمل فيها صلة لها ، كما أن أن الأفعال التي تعمل فيها صلة لها(١) وإذا أخذنا بهذا الرأي تكون إن المكسورة الهمزة هي مقيدة التأكيد أما (أن) المفتوحة الهمزة فتكون مقيدة الإيصال أي جعل الجملة معمولا لعامل قبلها لا يمكن أن يصل إليها إلا عن طريق (أن) .

والتأكيد - بلا شك - إضافة جديدة لمعنى لم يكن موجودا من قبل في الجملة ، ولذلك قد لا أوافق ابن الأنباري رحمه الله إذ جعل دخول إن على الجملة مما لا يغير المعنى ، وأقول إن المعنى لم يتغير ، بل زاد تأكيده وزيادة شيء عليه لم يكن

موجودا من قبل تقييد له يقول ابن الأنباري في « أسرار العربية »(٢) « وأما ما يعبر اللفظ دون المعنى فهو إن تقول : إن زيدا قائم فد (إن) قد غيرت اللفظ ولم تغير المعنى ، لأن معناها التأكيد والتحقيق ، وتأكيد الشيء لا يغير معناه .

(د) مقيد التمني : وهو «ليت» يقول ابن الأنباري في كتابه المشار إليه أنفا «فأما ما يغير اللفظ والمعنى فنحو «ليت» فتقول : ليت زيدا منطلق «فليت» قد غيرت اللفظ وغيرت المعنى ، أما تغيير اللفظ فلأنها نصبت الاسم ورفعت الخبر ، وأما تغيير المعنى فلأنها أدخلت في الكلام معنى التمني»(٣).

(هـ) مقيد الرجاء : وهو «لعل» وهي حرف يفيد معاني مختلفة هي التوقع والتعليل والاستفهام - كما حكى الكوفيون- ، ولكن أشهر هذه المعاني هو ترجى المحبوب والإشفاق من المكروه «وتختص بالممكن ، وقول فرعون «لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات» إنما قاله جهلا أو مخرقة وإفكا» على جد تعبير ابن هشام(٤).

(١) سيويه ١١٩/٣ ، ١٢٠ (دار القلم)

(٢) تحقيق محمد بهجت البيطار (دمشق - ١٩٥٧ م) ، صفحة ١٣٠

(٣) السابق نفسه

(٤) معنى اللبيب لابن هشام ١ / ٢٢٣ .

ولم أذكر هنا ما يفيد الرجاء من أخوات كاد ، وذكرتها في مقيدات الزمن لأن أخبارها هناك لا بد أن تكون فعلا مضارعا وإفادة أخوات كاد الرجاء مقرون برجاء حدوث الفعل، فهي بالزمن أشبه ، وأما لعل فهي ليست مختصة بالفعل بل قد يخبر عنها بالفعل أو بغيره، وإفادتها الرجاء من أصل وضعها .

(و) مقيد الاستدراك : وهو «لكن» وقد فسّر إفادتها الاستدراك بأن تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها ، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها نحو : ما هذا ساكنا لكنه متحرك ، أو ضد له ، نحو ما هذا أبيض لكنه أسود، قيل أو خلاف ذلك نحو : ما زيد قائما لكنه شارب ، وقيل لا يجوز ذلك^(١) وقد تفيد معاني أخر مع الاستدراك ، لكن معناها الغالب عليها هو الاستدراك .

(ر) مقيد التشبيه : وهو «كأن» وقد تكون (كأن) لإفادة الشك والظن أو التحقيق أو التقريب ، ولكن هذه المعاني كلها قائمة على المعنى الأصلي وهو

التشبيه الذي يخرج عن مدلوله الأصلي إلى هذه المعاني الفرعية ، ولذلك يبقى هذا الحرف مقيدا للتشبيه في جميع أحواله .

والجملة مع بعض مقيدات النفي (كلها ماعدا ليس) وكل مقيدات التأكيد والتعني والرجاء والاستدراك والتشبيه لاتخرج عن اسميتها فهي جملة اسمية في نظر النحاة قديما وحديثا ، وذلك لأن النحاة اعتبروا هذه المقيدات حروفا أو أدوات وقد درسها المتأخرون تحت عنوان «إن وأخواتها» وقد اهتموا بالتأثير الإعرابي فحسب في التصنيف ، وكذلك «المشبهات بليس» لاتغير تصنيف الجملة الاسمية وتبقى لها اسميتها .

أما مقيدات الزمن وهي ما درست تحت عنوان «كان وأخواتها» و«كاد وأخواتها» فقد تردد النحاة القدماء في نسبتها إلى الفعلية أو الحرفية ، فقد ذهب بعض النحويين إلى أنها حروف وليست أفعالا ، لأنها لاتدل على المصدر ، ولو كانت أفعالا لكان ينبغي أن تدل على المصدر ، ولما كانت لاتدل على المصدر دل على أنها حروف^(٢) ولعل الذي أوقع النحاة في هذا التردد عدة أمور :

(١) السابق ٢٢٤/١ ، ٢٢٥ .

(٢) أسرار العربية لابن الأثير ١٣٢

١ - أنها تتصرف تصرف الأفعال فيصاغ من بعضها المضارع والأمر .

٢ - أنها تلحقها تاء التأنيث الساكنة ، وهم يعدون هذه التاء من علامة الفعل وتختص به .

٣ - أنها تلحقها تاء الفاعل. وألف الاثنين وواو الجماعة فتقول كنت وكانا وكانوا ، كما تقول : قمت وقاما وقاموا وما أشبه ذلك .

ومهما يكن من أمر فقد اتفق النحاة على أن هذه الأفعال أفعال غير حقيقية ولهذا تسمى «أفعال العبارة» كما يقول ابن الأثير .

ولو أن النحاة اعترفوا بما يسمى «الأدوات المتصرفة» لما حدث مثل هذا الاضطراب والخلاف ، والذي أراه أن جملة «كان زيد قائما» أي المبتدأ والخبر الذي تدخل عليه «كان أو إحدى أخواتها» ينبغي أن تعد من الجمل الاسمية لعدة أسباب :

أولا : أن الجملة الاسمية مبهمة الزمان فإذا قلت «محمد كريم» فأنت تثبت الكرم لمحمد مطلقا دون تحديد زمن معين ، فإذا

أدخلت «كان» أو إحدى أخواتها فأنت تحدد زمن هذا الإثبات أو تنفيه عنه إذا أدخلت «ليس» ولذلك قال بعض النحاة عن هذه الأدوات «بأنها بمجرد الزمن ولا دلالة لها على الحدث»^(١) ويقول سيبويه: تقول: «كان عبد الله أخاك» وإنما أردت أن تخبر عن الأخوة ، وأدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى^(٢) ويقول المبرد عنها: إنها «في وزن الفعل وتصرفه وليست فعلا على الحقيقة»^(٣) لأنها خالية من الحدث ، وأنها دخلت على المبتدأ والخبر «لتخبر أن ذلك وقع فيما مضى ، وليست بفعل وصل منك إلى غيرك»^(٤).

ثانيا : الفعل في الجملة الفعلية يعد «مسندا» وهذه لاتعد مسندا في جملتها ، وإنما المسند في جملتها هو «الخبر» والمسند إليه هو اسمها ، فالإسناد -إذن- بين اسمها وخبرها ، وأما «كان» فهي أداة لإفادة الزمن فحسب كما سبقت الإشارة إلى ذلك

(١) السيوطي : الهمع ٢ / ١٦٥ (٢) سيويه ١ / ٢١ .

(٣) المقتضب ٣ / ٣٣ (٤) انظر السابق ٢ / ٩٧ ، ٤ / ٨٦ .

ثالثا : إذا حذف الفعل من الجملة الفعلية لم يستقل ما بعده فمثلا إذا قلت «شرب الطفل اللبن» وحذفت «شرب» لا يصير الباقي جملة مفيدة فلا يقال «الطفل اللبن» ولكن إذا قلت «كان محمد حاضرا» وحذفت «كان» صار الباقي جملة مفيدة. فتقول «محمد حاضر».

رابعا : يرى ابن جنى أنه لا يلزم تأنيث كان لاسمها إذا كان مؤنثا لزوم تأنيث الفعل لفاعله إذا كان مؤنثا^(١) للسبب السابق وهو أن ما بعدها لا يحتاج إليها احتياج الفاعل إلى فعله .

خامسا : لم يتفق النحاة على فعليتها مع أخواتها ، إذ يرى ابن السراج وثعلب حرفية (عسى) ويتفق ابن السراج والفارسي وابن شقير على حرفية (ليس) استنادا إلى عدم تصرفها فلا يأتي منها مضارع ولا أمر ولا مصدر ولا غير ذلك ، وذهب الزجاجي إلى أن كان وأخواتها حروف.^(٢)

سادسا : لم يسخرج النحاة جملة الابتداء والخبر المنسوخة بـ (إن) أو إحدى أخواتها عن الاسمية ، ولذلك ينبغي ألا تخرج جملة الابتداء والخبر المنسوخة بـ (كان) أو إحدى أخواتها عن الاسمية كذلك .

سابعا : تستطيع أن تقول «أكل طفل تفاحة» فتأتي بالفاعل نكرة «طفل» ولكنك لا تستطيع أن تقول : «كان رجل حاضرا فتأتي باسم كان نكرة لأنه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا في حالات معينة ليست هذه منها .

ثامنا : مما يدل على كون «كان وأخواتها» أدوات أنها تدخل على الأفعال كما تدخل الأدوات مع أنه «لا يلي فعل فعلا» كما يقول المبرد^(٣) .

ولذلك عدّها بعض الباحثين المحدثين أدوات منقولة من الفعل للدلالة على الزمن في الجملة الاسمية التي تخلو من الدلالة عليه^(٤) .

(١) انظر : الهمع / ١ / ١٠ (٢) المقتضب : ٤ / ١١٠ (٣) انظر : د. تمام حسان «اللغة العربية معناها ومبناها» ١٣١ ود عبدالرحمن أيوب «العربية ولهجاتها» ص ٧٩ - ٨٢ .

لهذه الأسباب مجتمعة يسوغ لنا أن نعد الجملة المنسوخة بـ «كان» أو إحدى - أخواتها - مثلها تماما «كان» وأخواتها - من الجملة الاسمية ، كما تعد الجملة المنسوخة بـ «إن» أو إحدى أخواتها جملة اسمية كذلك .

وأما مثال جملة «ظننت عمرا أباك» فإننا نجد كثيرا من الباحثين يعالجونه تحت الجملة الاسمية أيضا من قبيل أن الجملة في أساسها هي «عمرو أبوك» وهي جملة اسمية ولكن المتكلم يشك في نسبة الخبر إلى المبتدأ أو الأبوة إلى عمرو في هذا المثال ، ولذلك يصدر هذه الجملة بما يفيد الرجحان وهو «ظننت» أو «حسبت» ، وقد يكون متيقنا من هذه النسبة ويريد الإخبار عن ذلك فيقول «علمت عمرا أباك» أو «رأيت عمرا أباك» فيصدر الجملة بما يدل على تيقنه أي يأتي قبل الجملة الاسمية بـ (علمت) أو (رأيت) أو غيرهما من أفعال اليقين ، ولذلك نجد إمام النحاة سيبويه يقول عنها «هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين ، وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين

دون الآخر وذلك ، قولك : «حسب عبد الله زيدا بكرا ، وظن عمرو خالدا أباك ، وخال عبد الله زيدا أخاك ومثل ذلك : رأى عبد الله زيدا صاحبنا ، ووجد عبد الله زيدا ذا الحفاظ .

وإنما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين هنا أنك إنما أردت أن تبين ما استقر عندك من حال المفعول الأول يقينا كان أو شكاً^(١) . فدخول «ظن» أو إحدى أخواتها - وهي أفعال الرجحان واليقين - على الجملة الاسمية لإفادة الشك في نسبة المفعول الثاني - وهو الخبر في الأصل - إلى المفعول الأول - وهو المبتدأ في الأصل - وذلك إذا قلت مثلاً : ظننت محمداً حاضراً أو لإفادة التيقن من ثبوت المفعول الثاني - وهو الخبر في الأصل - للمفعول الأول - وهو المبتدأ في الأصل - وذلك إذا قلت : علمت العلم نافعاً ، فجملة «محمد حاضراً» و«العلم نافع» جملة اسمية ، ولكن المتكلم أوقع على الجملة الأولى حالته الخاصة وهي الظن أو الرجحان وأوقع على الجملة الثانية حالته الخاصة من إفادة التيقن الحادث له وهو العلم بذلك ، ولهذا يسوغ

(١) سيبويه ص ٨٨/١ .

الجمل وصفاً دقيقاً ، ولما كان الإسناد الأول فعلياً عدت الجملة فعلية وأغفل الإسناد الثاني^(١) . في هذا الذي قدمته شيء من إعادة النظر في الوصف والتصنيف ، وهو في كثير منه يعتمد على آراء لبعض النحاة السابقين ، ولا أريد أن أعيد هنا ما قاله ابن جنى عن النحو من أنه ليس ديناً ولا عملاً مسنوناً فليس التفتيش والنظر فيه محرماً أو مجزئاً ، وتكفى عبارته التي تعد مبدأً مهماً وفي الوقت نفسه دعوة متجددة لإعمال الفكر وإزالة الخاطر وهي «فكل من فُرق له عن علة صحيحة ، وطريق نهج كان خليل نفسه وأبا عمرو فكره» وعلى الله سبحانه قصد السبيل .

محمد حماسة عبد اللطيف

الخبير بالمجمع

لنا أيضاً أن نعالجها تحت الجملة الاسمية ، بسبب أن جزأى الجملة الاسمية يعرض لهما تغيير يلائم الحالة الجديدة التي طرأت فيصيران مفعولين .

ولكنه مما لا يحتمل الجدل أن الجملة مع ظن وأخواتها جملة فعلية لأن للفعل فاعلاً ، وبينه وبين الفعل إسناد أصلي ، وقد نحقت الإسناد بين المبتدأ والخبر اللذين تحولوا إلى مفعولين ، وعلى أية حال يمكن أن يكون ذلك من التقييد بالمفعولية ، وقد ينحل الإشكال إذا أطلقنا على مثل هذا النوع «جملة فعلية اسمية» والإسناد فيها إسناد مركب لأن بين الفعل وفاعله إسناداً ، وبين «المفعول الأول» و«المفعول الثاني» إسناداً كذلك وباعتبار الإسناد الأول تعد جملة فعلية ، وباعتبار الإسناد الثاني تعد جملة اسمية . مصطلح « الجملة الفعلية الاسمية » مصطلح يصف هذا النوع من

(١) انظر الفصل الثاني من كتابي « بناء الجملة العربية » دار الشروق .

الجملة فى كتاب سيبويه * للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

إن كتاب سيبويه هو ، كما هو معروف ، أقدم كتاب فى النحو وصل إلينا ، من حسن الحظ . والغريب أو ما يبدو أنه غريب أن هذا الكتاب على الرغم من قدمه فإنه يحتوى على جميع ما عرف بعد سيبويه من أبواب النحو والصرف وجميع ما اشتهر بعده من مسائله فهو عمل ناضج تمام النضج وبما أنه لم يسبقه - على أصح الأقوال - أى كتاب يماثله فى غزارة المادة والدقة العلمية المتناهية فكأنه خرج من العدم فى ظاهر أمره وليس الأمر كذلك^(١) . إلا أن هذا لا يعنى أن النظرية العلمية للغة التى يعتمد عليها هى التى نعرفها اليوم من خلال ما قاله المتأخرون من النحاة مثل ابن مالك فى

ألفيته وكتابه التسهيل وشرح هذين العاملين أو مثل أبى البركات بن الأنبارى قبله أو ابن هشام صاحب أوضح المسالك وغيرهم . فقد مضت أكثر من ٤٠ سنة على جهود بذلناها لمعرفة هذه النظرية القديمة فاتضح لنا الفرق الكبير الذى يميز المنظور العلمى الدقيق لسيبويه وشيوخه وتلاميذه للغة وكيفية تحليلهم لها بناء على هذا المنظور من النزعة التعليمية للنحو التى استولت على كل الممارسين للنحو بعد القرنين الخامس والسادس ، ولهذا السبب فإننا سنحاول أن نشرح للقارئ الكريم جانباً واحداً من هذه النظرية العلمية الدقيقة مقتصرين فى ذلك على مفهوم الجملة وما

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة للمؤتمر المنعقدة يوم السبت ٢١ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ .

(١) فقد ذكر سيبويه نفسه أقوال وأفكار عدد كبير ممن سبقه من النحاة وخاصة الخليل بن أحمد (ذكره أكثر من ٦٠٠ مرة) . وقد أدى هذا النضج الغريب إلى افتراض من لاينوى الخير للثقافة العربية من المستشرقين اقتباس النحاة العرب الأولين لأهم مفاهيمهم من المنطق اليونانى وقد رددنا على ذلك فى ١٩٦٤ بمقالة عنوانها : النحو العربى ومنطق أرسطو (انظر المراجع) .

يقتضيه التصور العربي الأصيل للجملة من المفاهيم العلمية الأساسية من حيث منهج التحليل اللغوي ونظرية المعرفة العلمية عامة .

١ - عدم وجود مصطلح جملة في الكتاب:

فهذا أمر غريب آخر ألا يوجد أى أثر لكلمة " جملة " في كتاب سيبويه وكذلك العبارة : " جملة مفيدة " لا أثر لها في هذا الكتاب .

ولا نعثر على كلمة " جملة " بعد سيبويه إلا في كتاب المقتضب للمبرد^(١) ونرجح أن شيخه المازني استعملها هو أيضا وقد يكون الأخفش

(سعيد بن مسعدة) تلميذ سيبويه وأستاذ المازني هو الذي وضع المصطلح فإنه هو أول نحوي يستعمل كلمة " فائدة " بمعنى العلم

المستفاد من الكلام وهذا المفهوم يعبر عنه سيبويه بكلمة " علم " فقط وما يشتق منها^(٢) . إلا أن هذا لا يعنى طبعا أن مفهوم الجملة لا

يوجد عند سيبويه فهو يسميها عادة " كلاما " وإذا دقق قال : " الكلام المستغنى "^(٣) وهو

يحدد هذا الكلام المستغنى هكذا " ما يستغنى عنه السكوت " يقول : " ما يستغنى عنه السكوت وما لا يستغنى ألا ترى أن " كان "

تعمل عمل " ضرب " ولو قلت " كان عبد الله " لم يكن كلاما ولو قلت : " ضرب عبد الله "

كان كلاما (٢٦٢/١) . ويقول في موضع آخر: ألا ترى أنه لم تنفذ الفعل في "كنت "

إلى المفعول الذي به يستغنى الكلام ... فإنما هذا في موضع إخبار وبها يستغنى الكلام (٧٤/١) . ويقول : يقبح أن تقول " أشك منطلق بلغنى أو عرفت " لأن الكلام بعد أن

وإن غير مستغن كما أن المبتدأ غير مستغن (٤٦٣/١) . ويقول أيضا : " ألا ترى لو قلت : " فيها عبد الله " حسن السكوت وكان كلاما

مستقيما كما حسن واستغنى في قولك : " هذا عبد الله " (٢٦١/١) . يريد سيبويه من " الكلام المستغنى " الذي يحسن أن يسكت

(١) المقتضب ، ٨٩/٣

(٢) انظر كتاب القوافي (ص ٦٦) للأخفش والكتاب ٢٢/١ و ٢٦ - ٢٧

(٣) الكتاب ، ١ / ٤٦٣ ، أنظر أيضا فيما يلي .

المتكلم عند انتهائه لأنه قد استقلّ لفظاً ومعنى
وبذلك يشكل وحدة تبليغية تتم بها الفائدة
للمخاطب أى يستفيد بها علماً معيناً .

والسكوت هنا أو حسنه هو المقياس الذى تعرف
به الجملة المفيدة . هذا وقد لاحظنا أن لفظة
" الكلام " كافية للدلالة على مفهوم الجملة
المفيدة عند سيبويه وستبقى هذه اللفظة دالة
على هذا المعنى حتى عند بعض المتأخرين .

وذلك مثل ما ابتداءً به ابن أجيروم مقدمته :
" الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع " .

وقال ابن جنى قبله بقرون « الكلام » كل
لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه : نحو زيد
أخوك وقام محمد ... وصّة وممّة ... وأفٍ " .
(الخصائص ١٧/١) (١)

ونلاحظ أيضاً أن وظيفة الوحدة هى إعلام
المخاطب بشئ يكون - بحسب ظن المتكلم -
قد جهله . وسيبويه يلح على ذلك خلافاً لكل
من جاء بعده حيث خلطوا بين هذه الوظيفة

الإعلامية وبين الدلالة على معنى وهو شئ آخر
غير الإفادة (وابن جنى نفسه يقول : " مفيد
لمعناه " على ما اشتهر فى زمانه) .

وعلى هذا الأساس فأقل ما ينحل إليه
الخطاب من الوحدات ذوات معنى وفائدة معا
هى هذا الكلام المستغنى وعلامته صحة
أو حسن الوقف عليه من قبل المتكلم
وهذا ما لاسبيل إلى تحقيقه فى الوحدات التى
هى دون الجملة مثل " كان عبد الله " وسنرى
أن هذا يقال فقط بالنسبة إلى الكلام التام غير
المحذوف منه .

٢ - التمييز الحاسم بين النظرة إلى الكلام كخطاب والنظرة إليه كبنية :

إن سيبويه والخليل بن أحمد قد انفردا مع
أكثر النحويين الأقدمين بنظرية اندثرت بعدهم
وصارت بعد غزو المنطق اليونانى خاصة ،
لايتفطن إليها إلا الأفاذاذ من النحاة مثل
السهيلى والرضى الاسترابادى . ومن أهم

(١) لاشك أن الذين وضعوا المصطلح " جملة مفيدة " أرادوا أن يخصصوا هذا المفهوم بلفظ لا يدل على شئ آخر
غيره إذ لفظة " كلام " قد تدل على استعمال الأفراد للغة معينة ويقابله بالفرنسية Parole و Langage

المبادئ التي بنيت عليها هذه النظرية نذكر تمييزهم الصارم في تحليلهم للغة بين الجانب الوظيفي من جهة وهو الإعلام والمخاطبة أي تبليغ الأغراض المتبادل بين ناطق وسماع وبين الجانب اللفظي الصوري أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته بقطع النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة اللفظية من جهة أخرى (إذ هناك دلالة اللفظ ودلالة المعنى . (أنظر في ذلك الخصائص ودلائل الإعجاز) وقلّ من انتبه بعد ابن جنى إلى الضرر العظيم الذي يسببه التخليط بين هذين الجانبين من التحليل . فكل جانب منهما يمتاز عن الآخر بمنهجية خاصة به ومبادئ وقوانين لا تمت بسبب إلى الجانب الآخر .

فأكبر دليل على سلامة هذا التصور وفساد التخليط بين الجانبين هو عجز النحويين المتفلسفين عن تحديد مفهوم الاسم في مقابل الفعل والحرف . فهناك أكثر من ١٠ تحديدات للاسم قال عنها ابن فارس : هذه مقالات القوم في حدّ الاسم يعارضها ما قد ذكرته وما أعلم شيئاً مما ذكرته سلم من معارضة (الصاحبى ،

٥١) . والسبب في ذلك هو هذا الخلط الذي ذكرناه . فالاسم - وكذلك الفعل - يمكن أن يسلم تحديده من المعارضة إذا عيّن المحدد الجانب الذي يتم فيه تحديده ثم عيّن بعد ذلك النوع من الأسماء : فالاسم من حيث معناه أي من حيث دلالاته على معنى هو لفظ يدل على شيء لا يكون حدثاً مع زمان في مقابل الفعل الذي يدل عليه ثم هناك الاسم المطلق والاسم المضارع للحرف والفعل ، فالاسم المطلق يدل على ذات أي على كل شيء يصحّ الإخبار عنه . أما الاسم الشبيه بالحرف أو الفعل فهو يدل على معنى من معانى النحو كالظرفية وذلك مثل " إذا " و " حيث " أو الاستفهام مثل : " مَنْ " و " أي " أو كلاهما مثل " أين " و " متى " إلخ فهذه أسماء لأنها لا تدل على حدث إلا أنها بمنزلة حروف المعانى من حيث الوظيفة الدلالية والإفادية . أما من الجانب اللفظي الصوري فالاسم كلمة (أي عنصر) يصلح أن تدخل عليها حروف الجرّ والتنوين والإعراب ويمكن أن تضاف وأن توصف وفي ذلك درجات يعتمد فيها على تمكّن الاسم وعدم تمكنه (من احتمال

يميناً وشمالاً ، لهذه الزوائد) . هذا فى مستوى الأفراد أما فى مستوى التركيب فالاسم هو ما يعمل فيه العوامل ويكون مبتدأ ومبنيًا عليه أو فاعلاً أى يكون فى موضع لا يدخله الفعل ولا الحرف . ومن هذا الاعتبار يختلف الاسم الشبيه بالحرف عن الحرف لأنه لا يأتى أبداً فى موضعه فمن حيث اللفظ وصورته " إذا " و " من " و " أى " ليست حروفاً أبداً وإن كانت فى الجانب الوظيفى الدلالى أشباه الحروف (وسنرى فيما يلى ما يترتب من ضرر على هذا التخليط فى مستوى التراكيب) .

٣ - الكلام كخطاب أى كحدث إعلامى (يحصل فى وقت معين ومكان معين) :

إن الكلام المستغنى أو الجملة المفيدة هو أقل ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف . ويمكن أن يحل كما فعله سيبويه إلى مكونات قريبة على حدّ تعبير علماء اللسانيات تكون خطابية لا لفظية صورية أى

عناصر لكل واحد منها وظيفة دلالية وإفادية . وهذه العناصر هى فى الحقيقة عنصران : المسند والمسند إليه : "قال سيبويه : هما من لا يستغنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا" (٦/١) . ويقول السيرافى فى شرحه : " فيه أربعة أوجه أجودها وأرضاها أن يكون المسند معناه : الحديث والخبر والمسند إليه : المحدث عنه وذلك على وجهين : فعل وفاعل كقولك : قام زيد وينطلق عمرو واسم وخبر كقولك : زيد قائم وإن عمرا منطلق فالفعل حديث عن الفاعل والخبر حديث عن الاسم والمسند هو الفعل وخبر الاسم والمسند إليه هو الفاعل والاسم المخبر عنه (شرح الكتاب ٧٤/١ ظهر)^(١) .

وعلى هذا الأساس فإن المسند إليه (المسند عند سيبويه) بما أنه المحدث عنه لا يكون إلا اسماً من الناحية الخطابية أو ما فى حكمه (مثل " أن تصوموا " = صيامكم) . ويمكن أن يكون المسند (المسند إليه عند سيبويه) اسماً أو

(١) هذا صحيح على استعمال النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه ولكن سيبويه يستعمل لفظة المسند بمعنى المسند إليه والعكس .

فعلاً أو ما فى حكمهما (الظروف والجار والمجرور وغير ذلك) وليس فى دنيا كلام فى أى لغة إلا وفيه محدث عنه ومحدث به فى أى شكل كان .

وهذا كله يخص الجانب الخطابى أى التبليغى الدلالى وهذا لا يمنع من أن يكون التحليل قابلاً للصياغة فإن الصياغة شئ والفرق بين اللفظ والمعنى شئ آخر إذ كلاهما قابلان للصياغة ومثال ذلك صياغة الجملة المفيدة كخطاب إلى مكونات قريبة هى المسند والمسند إليه .

إن سبويه لا يكتفى بتعريف هذه الأشياء إذ سيعتمد عليها لتفسير الكثير من الظواهر اللغوية وخاصة الظواهر المتعلقة بالتبليغ فإن لها قوانين خاصة يعتمد فى تفسيرها على هذا التحليل للخطاب كخطاب .

يقول سبويه : إذا قلت : " كان زيد " فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنما ينتظر الخبر فإذا قلت : " حلما " فقد أعلمته مثل ما علمت فإذا قلت : " كان حلما " فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة .. وإذا قلت : " كان حلما " أو رجل فقد بدأت بنكرة ولا

(١) مثل الرماني فى شرحه الكتاب .

يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور " (٢٢/١٠) ويقول : " وذلك قولك : ما كان أحد مثلك .. وإنما حسن الإخبار ههنا عن النكرة حيث أردت ان تنفى أن يكون فى مثل حاله شئ أو فوقه ، لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا . وإذا قلت : " كان رجل ذاهبا " فليس فى هذا شئ تعلمه كان جهله ولو قلت : " كان رجل من آل فلان فارسا " حسن لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذاك فى آل فلان وقد يجهله ولو قلت : " كان رجل فى قوم عاقلا " لم يحسن لأنه لا يستنكر أن يكون فى الدنيا عاقل وأن يكون من قوم .. " (٢٦/١ - ٢٧) .

فمثل هذه الملاحظات كثيرة جدا فى الكتاب وهى تخص أحوال الخطاب مقترنا بأحوال المخاطب : علم المخاطب وجهله واستحالة الإخبار عن منكور اللهم إلا إذا احتاج المخاطب إلى تحديد هذا المنكور بأن يعين حلية خاصة به تميزه عن غيره . ويمكن بالدراسة المتعمقة لهذه الملاحظات أن تستخرج قوانين التخاطب الحقيقية وهذا قد فعله العلماء الأولون^(١) هذا

ولا بد أن ننبه القارئ الكريم أن مثل هذا الكلام عن " علم المخاطب " وسائر أحواله لا يمكن أن نعثر عليه في كتب المتأخرين . فالقواعد الجامدة - الخاطئة أحيانا - قد حلت محل الملاحظات العلمية (تكلموا مثلا عن شروط الابتداء بالنكرة فقط وبدون أن يفسروا ظواهر الخطاب بالكيفية العلمية الوصفية والتعليلية معا) .

٤ - الكلام كلفظ دال له بنية (اللفظ الدال في حد ذاته) :

إن الكلام المستغنى له عند سيبويه والنحاة الأولين صيغة لفظية خاصة وليست هي الصيغة الخطابية المتكونة من مسند ومسند إليه وإلا فلم احتاج أولئك العلماء إلى تسمية أخرى مثل المبتدأ والمبنى عليه ولماذا احتاجوا إلى تصور عنصر لفظي هام هو العامل وما يتعلق به من معمول ؟ نعم قد قال سيبويه : " المبتدأ مسند والمبنى عليه مسند إليه " (٢٥٦ / ١) كأن المبتدأ والمبنى عليه متطابقان وكأن التسميتين مرادفتان للمسند والمسند إليه . وليس الأمر كذلك لأنه لافائدة على هذا كما

قلنا في تسميتهما بالمبتدأ والمبنى عليه . فإن مقصود سيبويه هو أن يبين أن المبتدأ مهما كان محتواه الدلالي الخطابى فإنه لا يستغنى من هذا الجانب الخطابى عن المبنى عليه وهما من حيث الخطاب بمنزلة الفعل والفاعل . يقول " فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن الاسم الأول بد من الآخر في الابتداء " (٦ / ١) وأيضا : " فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليسبى عليه كلام " (٢٧٨ / ١) . فهناك تطابق فى مستوى الخطاب ولهذا قسم النحاة فيما بعد الجملة إلى اسمية وفعلية وقال المبرد بهذا الصدد : " إنما كان الفاعل رفعا لأنه هو الفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب .

فالفاعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت : قام زيد فهو بمنزلة قولك : القائم زيد " (المقتضب ، ٨ / ١) . هذا من حيث الإفادة لا من حيث البناء لأن صيغة اللفظ الذى يحمل المعنى والفائدة لاتطابق بالضرورة صيغة الخطاب من مسند ومسند إليه كما سنراه . ويبين ذلك النحاة العرب باللجوء إلى منهج علمى هو ما يسمونه بحمل الشئ على الشئ أو إجرائه عليه

بغية اكتشاف الجامع الذى يجمعهما وهو ههنا
البنية التى تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل .
وينطلقون فى ذلك من أبسطها وهى التى
تتكون من عنصرين : زيد منطلق فيحملون
عليها جملا أخرى تكون فيها زيادة بالنسبة
إلى الجملة البسيطة بحيث تظهر بذلك كيفية
تحول هذه النواة بالزوائد وهى فى الحقيقة
مقارنة بنوية أساسها ما يسمى فى الرياضيات
الحديثة^(١) بالتطبيق وهو هنا تطبيق مجموعة
على مجموعات أخرى طردا وعكسا ويمكن أن
تمثل ذلك هكذا :

١	Ø	زيد	منطلق
٢	إن	زيدا	منطلق
٣	كان	زيد	منطلقا

فالمكان الذى تظهر فيه الزوائد يقابله فى
الجملة البسيطة مكان فارغ فهذا الفراغ يسمونه
بالابتداء ويحددونه بأنه التجرد من العوامل

اللفظية وهذه العوامل هى ههنا " إن " و " كان "
ويعنون بالعمل اللفظ الذى يؤثر فى غيره لفظا
ومعنى ويتحكم بالتالى فيه^(٢) يقول سيبويه :
"ضربت زيدا هو الحد لأنك تريد أن تعمله (أى
الفعل) وتحمل عليه الاسم كما كان الحد :
ضرب زيد عمرا حيث كان " زيد " أول ما
تشغل به الفعل وإن قدمت الاسم (أى المفعول)
فهو عربى وذلك قولك : زيدا ضربت" (٤١/١) .
" أول ما تشغل به الفعل " : إن هذه
الملاحظة خطيرة جدا لأننا نعرف بذلك وبما يقوله
فى أماكن أخرى من كتابه أن عنصرين اثنين
لا تكاد تخلو منهما أبدا البنية اللفظية للجملة
وهما العامل والمعمول الأول الذى أشار إليه
سيبويه بأنه أول ما شغل به الفعل ثم يقول
سيبويه : "عبد الله (فى : كم عبد الله ماكث)
يرتفع بالابتداء كما ارتفع بالفعل حين قلت :
كم رجل ضرب عبد الله" (٢٩٢/١) ويقول

(١) لانسى أن الخليل بن أحمد كان رياضيا ممتازا .

(٢) وقد ترجم الأوربيون فى القرن الثالث عشر الميلادى مصطلح عمل العربى إلى اللاتينية regere بمعنى عمل
فى اللفظ الإعراب . ومنها جاءت كلمة rection فى النحو الأروبي ، ثم قل اهتمام اللسانيات بهذا المفهوم حتى أحياء

من جديد تشومسكى باسم government .

المبتدأ أى الخبر فالتوازي (القياس) أو
التناظر هو خاص ببنية اللفظ وليس له أى
علاقة بصيغة الخطاب . وعلى هذا الأساس
نستطيع أن نوسع الجدول الحملى السابق هكذا:

أيضا : "أما ضربت وقتلت فإن الأسماء بعدها
بمنزلة المبنى على المبتدأ" (١ / ٣٩٣)
فاتضح بهذا الكلام أن الفعل كعامل يقع موقع
الابتداء وأن المفعول به يقع موقع المبنى على

المعمول ٢	المعمول ١	العامل	
منطلق	زيد	∅	الابتداء (الخلو من العوامل اللفظية)
منطلق	زيدا	إن	عوامل لفظية
منطلقا	زيد	كان	
منطلقا	زيدا	حسبت	
منطلقا •	زيدا	أعلمت عمرا	
-	زيد	قام	
عمرا	زيد	ضرب	
عمرا	ت	ضرب	

من الجمل وهذا هو الذى يسميه النحاة (فى
مستوى الجملة ههنا) (١) قياسا ومثالا وحدا
وأصلا تبني عليه أى تتفرع عليه الفروع فهو
بالنسبة للجمل كالبناء والوزن (والمثال)
بالنسبة للكلمة .

٢ - تحديد المواضع فى داخل الحد
ومحتواها . وبهذا المثال يتحدد الموضع الخاص

ويمكن أن نستنتج من هذا ما يلى :

١ - مفهوم المثال والحد : حملنا كل هذه
الجمل بعضها على بعض كما فعل سيبويه
وبذلك تظهر موازات تامة بين العناصر لأن
إجراء الشئ على ما هو بمنزلة حتى ولو كان
مختلفا عنه تماما يكشف لنا البنية اللفظية
الجامعة أى التى تشترك فيها العدد اللانهائى

بكل عنصر فموضع العامل مثلاً ليس هو مكاناً معيناً في مدرج الكلام بل هو موضع في داخل الحد والمثال ثم إن العامل أو المعمول ١ شيء ومحتواه شيء آخر مثل فاء الكلمة أو عينها أو لامها شيء ومحتواها شيء آخر . فقد يكون في موضع العامل فعل تام أو فعل ناسخ أو إن وأخواتها أو تركيب مثل حسبت (وهي جملة) بل حتى عامل ومعمول ١ ومعمول ٢ مثل " أعلمت عمراً " فكل ذلك عامل .

ويفضل هذه المواضع مع عملية حمل عنصر على عنصر الجامع بينها يتضح شيء مهم جداً وهو أن الابتداء هو بمنزلة الفعل وكلاهما بمنزلة الأفعال الناسخة وإن وأخواتها وحسبت وأعلمت وأخواتها وأن الفاعل والمبتدأ واسم كان بمنزلة واحدة (المعمول ١) وأن خبر المبتدأ بمنزلة المفعول به .

٣ - إثبات قانون مهم وهو امتناع تقديم المعمول ١ على عامله :

إن عبارة سيبويه : أول ما تشغل به الفعل " تستلزم شيئاً آخر وهو استحالة تقدم المعمول ١ على عامله مهما كان فإذا قدم محتواه تغيرت

بنية الجملة (دون معناها الوضعي) : ف"قام عبد الله" غير "عبد الله قام" . وقد برع المبرد في البرهنة على هذه الحقيقة . يقول : " فإن زعم زاعم أنه إنما يرفع عبد الله بفعله { في "عبد الله قام" } فقد أحال من جهات : منها أن قام فعل ولا يرفع الفعل فاعلين إلا على جهة الإشراك (العطف) .. فكيف يرفع عبد الله وضميره ؟ وأنت إذا أظهرت هذا الضمير بأن تجعل في موضعه غيره بان لك وذلك قولك : " عبد الله قام أخوه " فإنما ضميره في موضع " أخيه " . ومن فساد قولهم أنك تقول : " رأيت عبد الله قام " فيدخل على الابتداء ما يزيله ويبقى الضمير على حاله ... (المقتضب ، ١٢٨/٤) ويظهر كل هذا بوضوح إذا قمنا بنفس العمليات الحملية :

قام	عبد الله	-	-
	عبد الله	قام	-
	عبد الله	قام	أخوه
رأيت	عبد الله	قام	

٤ - ومن ثم جواز التقديم والتأخير ما عدا المعمول الأول بالنسبة إلى عامله وفي حدود معينة : فهذا خاص بمستوى التراكيب المفيدة أي

الجمل ولا يحصل هذا إطلاقاً في المستويات التي هي تحتها (كاللفظة والكلمة)^(١) . ويمكن أن تعرف العناصر الثلاثة بفضل الاستقرار الخاص بالمعمول الأول وبعلامات الإعراب التي هي نتيجة لتأثير العامل^(٢) .

٥ - تكون هذه العناصر التركيبية النواة

الثابتة :

وهي بدورها وبهذه الصفة يمكن أن تدخل عليها عناصر أخرى زائدة قابلة للتقديم والتأخير وهي عناصر التخصيص لفظاً ومعنى مثل الزوائد في داخل النواة (إنَّ وكان وغيرهما) .

وهذه المخصصات هي جميع المنصوبات

التي تأتي زائدة . وجزء منها باعتبار الخطاب والإفادة يسمى فضلة لأنها تأتي بعد المسند والمسند إليه . فالمفعول به من حيث البنية اللفظية يأتي في موضع المعمول الثاني فهو غير زائد بل جزء من النواة اللفظية وهو فضلة في الإفادة . وهذه الزوائد على النواة اللفظية هي الحال والتمييز كمعمول زائد للفعل لا الاسم مثل "طاب زيد نفساً ولي عشرون درهماً" والظرف والمستثنى المنصوب فقط والمفعول معه والمفعول لأجله والمفعول المطلق .

ونشير هنا أن الجمل ذات التركيب المزدوج

مثل الشرط وجوابه وما بمنزلتها (لما ، إذا

الخ) والاستفهامية وغيرها هي أيضاً تمثل

(١) مفهوم اللفظة لاسبيل إلى العثور عليه إلا في كتاب سيبويه بعض النحاة الذين فهموا جيداً الكتاب . ولا يسميها سيبويه هكذا بل يقول : الكلمة المفردة وما بمنزلتها . وأهمية هذا المفهوم على قدر أهمية الجملة (الرضى هو الذى سماها لفظة) . وتطرقنا لهذا الموضوع فى الكثير من مقالاتنا مثل : النظرية الخليلية وعلاج اللغات على الحاسوب (المؤتمر الثانى فى اللغويات الحاسوبية . الكويت ١٩٨٨) .

(٢) أما ما أتى به ابن مضاء الأندلسى من نقد لمفهوم العامل فلا يعتد به لأنه هو النحوى الوحيد من بين أكثر من ألفى نحوى ذكرهم السيوطى فى كتابه البغية وقف هذا الموقف السلبي إزاء النحو العلمى وخاصة القياس وقد أراد بذلك أن يطبق على النحو العربى ظاهرية أبى داود وابن حزم وقد تحمس بعض المحدثين لهذا الرأى فلم يوفقوا لأن علوم اللسان لاكتفى بالوصف الساذج للغة بل تتجاوزة إلى التفسير العلمى . واتفق أن ظهر هذا التحمس مع ظهور اللسانيات الوصفية فى الغرب واهتم بعضهم بها وهو رد فعل ضد النحو التقليدى الغربى الذى أصبح لا يميز بين النحو التعليمى والنحو العلمى وابتعد كل البعد عن التصور الأول الأصل .

بصيغة أوسع تندرج تحتها هذه الصيغة الأولية ونأسف لضيق المكان لعدم إمكان عرضها على القراء الكرام^(١) .

فهذه الصياغة تخص كما قلنا لفظ الجملة لا الجملة كخطاب وكلا النظريتين ضرورية ثم إن التخليط بينهما أو بالأصح تفسير بنية اللفظ باللجوء إلى اعتبارات تخص الإفادة غلط فادح وكذلك الإفادة وظواهر التبليغ ينبغي أن تفسر باللجوء إلى اللفظ لأن اللفظ يدل على معناه الموضوع له وعلى أكثر من معنى فرعى وهذا المعنى نفسه قد يدل أو يلزمه كما يقول عبد القاهر الجرجاني معنى آخر فهذه الظواهر لا يرجع السبب فيها إلى اللفظ في ذاته . وهذا قد تنبه إليه جيدا علماؤنا القدامى .

قال بهذا الصدد صاحب بدائع الفوائد : إذا قلت : " على زيد دين " فإنك تجد هذا الكلام في قوة قولك : " زيد مديان " أو مدين " فمحط الفائدة هو الدين وهو المستفاد من

الإخبار فلا تنحبس في الأوضاع وتقول : " على زيد " جار ومجرور فكيف يكون مبتدأ فأنت تراه هو المخبر عنه في الحقيقة^(٢) فليس المقصود الإخبار عن الدين بل عن زيد .. فهذا القدر هو الذي حسن الإخبار عن الفكرة وهنا فإنها ليست خبرا في الحقيقة وإنما هي في الحقيقة خبر عن المعرفة المتقدمة . فهذا حقيقة الكلام وأما تقديره الإعرابي النحوي فهو أن المجرور خبر مقدم والنكرة مرفوعة بالابتداء (بدائع الفوائد ١١/١٤٨ - ١٤٩ وهو مأخوذ من كتاب نتائج الفكر للسهيلى) .

فحقيقة الكلام يعنى بها الكلام في ذاته أى كخطاب لا من حيث بنية لفظه وأما هذه البنية اللفظية فيعبر عنها مرة بترتيب اللفظ ومرة أخرى بالتغيير الإعرابي النحوي ويمكن أن نعبر بالفرنسية عن الأول بـ (communicationnel) réalité و du discours والثانى بـ Sémiologique

(١) وقد أطلنا الكلام في ذلك وفي جوانب أخرى هامة في النظرية الخليلية في كتابنا : علم اللسان العربى وعلم اللسان العام .

(٢) وعلى هذا فالمبتدأ ليس دائما هو المخبر عنه أى المسند إليه .

grammatical وقد يعبر سيبويه عن الأول باللفظ اختصاراً في مقابل المعنى ولا يريد ههنا بالمعنى مدلول اللفظ الأصلي أى الموضوع له فهذا يدخل فى ميدان اللفظ (sémio- gique) بل يريد بذلك دلالة الحال أو الدلالة العقلية أو أى دلالة غير اللفظية ويسميه العلماء العرب " لازم المعنى " فهذا يخص ال sémantique أى المعنى فى ذاته لا كمدلول اللفظ وبالنسبة إلى اللفظ الدال عليه . والفرق بينهما كالفرق بين النحو والبلاغة^(١) .

١ - اللفظ الدال والمعنى المدلول عليه باللفظ فى الوضع والاستعمال :

إن هناك ميزة أخرى لسيبويه لا تقل أهمية عما ذكرناه وهو شئ تجاهله ولم يهتم به المتأخرون من العلماء وكذلك المحدثون : ألا وهو اهتمامه الكبير هو والنحاة الأولون بالاستعمال الحقيقى للغة والرصد المتواصل

لتصرفات الناطقين فى التخاطب العفوى ومن ثم لأوضاع اللغة وذلك إلى حد بعيد جداً : بالتقديم والتأخير والقلب والحذف الكثيرة والاختزال والاختلاس وإضمار المبتدأ أو الخبر وغير ذلك مما كثر مجيئه فى الكتاب .

وستعرض هنا فقط للجملة المفيدة وما يطرأ عليها من تغيير فى واقع الاستعمال إذ هناك تغييرات عديدة تصيب اللفظة والكلمة وأصوات اللغة .

يتكلم سيبويه عن مستوى من التعبير المستخف يسميه : سعة الكلام والاختصار ويكثر من ذكر هذا المستوى وخاصة فى أبواب المنصوبات ويمثل له بأمثلة كثيرة جداً بما سمعه هو بذاته من أفواه العرب أو مما رواه شيوخه الثقات . وهذا النوع من التعبير غير موجود غالباً^(٢) (إلا بعض الاقتباسات والروايات) فى الشواهد التى يذكرها المتأخرون من النحاة

(١) إن هذا التمييز العلمى الموضوعى لانجده إطلاقاً فى اللسانيات الغربية اللهم إلا فى نظرية جانيويان الفرنسى وقد اكتشف ذلك برصده لمدة عشرين سنة لأمراض الكلام فبين أن من تلك الآفات ما يصيب القدرة على التركيب ومنها ما يصيب القدرة على استبدال مفردة بأخرى ومعرفة معانيها .

(٢) تلك هى ميزة هامة للمتقدمين من العلماء أما المتأخرون فيكتفون من الشواهد بما حفظ عن ظهر القلب مثل الشعر والقراءات القرآنية وبعض العبارات التى تجرى مجرى الأمثال . أما هذه العبارات العفوية التى تكتب ولا تحفظ غالباً فلا سبيل إلى وجودها إلا فى زمان الفصاحة العفوية . وقد ذكر بعضها ابن مالك وابن هشام فى بعض الأبواب مثل بابى التنازع والاشتغال .

لسبب واضح وهو عدم وجود من يؤخذ منه اللغة بعد القرن الرابع الهجرى لذهاب السليقة .

- الإجراء على الموضع :

يقول سيبويه : باب ما يجرى على الموضع لا على الاسم الذى قبله : وذلك قولك : " ليس زيد بجبان ولا بخيلا " و " ما زيد بأخيك ولا صاحبك " . والوجه فيه الجرّ " (٣٣ / ١) .

أى الأصل والقياس النحوى يوجب الجرّ ولكن الاستعمال الحقيقى (السماع) جاء منه ما يخالف ذلك وإذا كثر صار أصلا آخر يقول ابن جنى إن " السماع يبطل القياس " إذا لم يرد فى الاستعمال ما يؤيد القياس . ويقول أيضا : وقد حملهم قرب الجوار على أن جرّوا : " هذا جحر ضبّ خرب " (هذا يذكره بعض المتأخرين لشهرته) فكيف ما يصح معناه " (٣٤ / ١) ، وقد يتفق أن يمتنع هذا الإجراء أولا لعدم وجوده فى الاستعمال ثم لأنه يخلّ باللغة وذلك مثل قوله : " ولو قلت : ما زيد على قومنا ولا عندنا كان النصب ليس غير ولا يجوز حملة على " على " لأن " عندنا " لا تستعمل إلا ظرفا " (٣٤) .

- انشغال الفعل بضمير إجراء والظروف
هكذا :

وسمع سيبويه العرب تقول : زيدا ضربت وزيدا ضة ربتد (وعلى مثاله) ويوم الجمعة ألقاك فيه ويوم الجمعة آتاك برفع يوم ونصبه . فالأول هو الحد أما النصب وقد جاء فى الاستعمال بالنصب مع وجود الضمير .

- إعمال الأفعال الناسخة والغاؤها :

وتقول : زيد أظنه ذاهبا ومن قال : عبد الله ضربته نصب فقال : عبد الله أظنه ذاهبا .. فإن ألغيت قلت : عبد الله أظن ذاهب . وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى وكل عربى جيد (٦١) . ويريد سيبويه أن كلا المشالين مستعمل عند العرب ولا يريد من كلمة " جيد " إلا هذا (خلافا لما قد يعتقد بعضهم من تدخل سيبويه فى الحكم على كلام العرب بالحسن والقبح تعسفا) .

- الحذف والإضمار للاختصار أو لعلم
المخاطب رؤية الحال :

قال : " كما يقول إذا ذكر إنسان شيئا قال

زيد وقال الناس أنت (٧١/١) قال تعالى جده :
 "طاعة وقول معروف (١) " فهو مثله فيما أن يكون
 أضمر الاسم (المبتدأ) وجعل هذا خبره كأنه قال : أمرى
 طاعة وقول معروف أو يكون أضمر الخبر فقال : طاعة
 وقول معروف أمثل (٧١) ويقول : وذلك قولك : متى
 سير عليه ؟ فيقول : مقدم الحج وخفوق النجم ... فإنما
 هو زمن مقدم الحج وحين خفوقه ولكنه على سعة
 الكلام والاختصار ... وإن رفعت أجمع كان عربيا
 كثيرا " (١١٤) ويقول : وحذفوا كما قالوا : " حينئذ
 الآن " وإنما يريد : حينئذ واسمع الآن ... وإنما أضمرنا
 ما كان يقع مظهراً استخفافاً ولأن المخاطب يعلم ما
 يعنى فجرى بمنزلة المثل كما نقول : لا عليك (١١٤)
 يقول : سير عليه ذا صباح أخبرنا بذلك يونس عن
 العرب إلا أنه جاء فى لغة لخشع مفارقاً لذات مرة
 وذات ليلة (١١٥) يقول : أقائما وقد قعد الناس
 وأقاعدا وقد سار الركب .. وذلك أنه رأى رجلاً فى حال
 قيام أو فى حال قعود فأراد أن ينتبه فكأنه لفظ بقوله :
 أتقوم قائما وأتقعد قاعدا ولكنه حذف استغناء بما يرى
 من الحال وصار الاسم بدلا من اللفظ بالفعل " (١٧١)
 ويواصل : "وحدثنا بعض العرب أن رجلا من بنى أسد

قال يوم جيلة واستقبله بغير أعور فتطير منه فقال :
 يا بنى أسد أعور وذا ناب (١٧٢). يقول : وسمعنا
 بعض العرب الموثوق به يقال له : كيف أصبحت ؟
 فيقول : حمد لله ... كأنه يحمله على مضمير فى بنيته
 هو المظهر (١٦١) ومثله قول العرب : من أنت زيد ؟
 أى ومن أنت كلامك زيد ؟ فتركوا إظهار الرفع كترك
 إظهار الناصب" (١٦٢).

وهكذا لا يزال سيبويه يبهرنا بكثرة ما يرويه من
 كلام العرب محاولا دائما أن يفسره بالنسبة للحد
 والأصل وبذلك يظهر الفرق الشاسع بين هذا العمل
 الوصفى التفسيري فى نفس الوقت وسيختفى نهائيا
 من النحو وبين هذا الذى سيصير سرد قواعد جامدة
 مع الاكتفاء بشاهد قرآنى أو شعري واحد فى الغالب .
 ويمكن أن نلخص ما ذكرناه فى هذه المقالة الوجيزة :
 إن تحت كلام سيبويه هذا نظرية لسانية عميقة جدا
 يدين بها خاصة للخليل بن أحمد وشيوخه الآخرين
 وفيها الكثير مما زاده هو فيها وأبدع إبداعا . فمن أهم
 المبادئ التى تركز عليها ذكر التمييز الصارم
 (الذى لا يقبل أى تساهل) فى التحليل والتفسير
 بين ميلانين اثنين من اللغة ليس بينهما أى تناظر

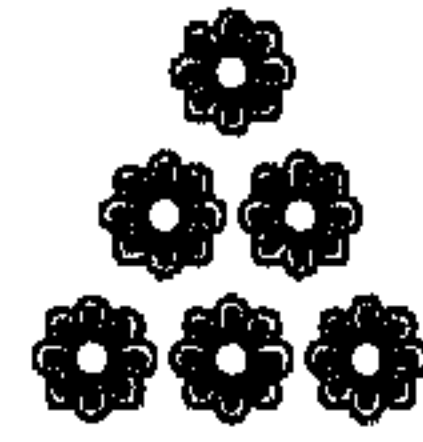
وهو ميدان اللفظ الدال ومدلولاته الوضعية من جهة
وبين الخطاب الذى هو كيفية استعمال هذا اللفظ
ومدلولاته فى عملية الإفادة . ولاتكمن الميزة فى هذا
فقط بل فى امتناع اللجوء إلى أحدهما لتفسير ظواهر
الأخر وهذا الخلط هو أعظم خطأ يرتكبه النحو
العربى التقليدى (نحو ابن مالك) وكذلك المدرسة
البنوية فى اللسانيات الغربية الحديثة (وإلى حد ما
نظرية تشومسكى فى أول أمرها) . وقد رأينا كيف
ينطبق ذلك على الجملة المفيدة ثم إن هناك تصورا آخر
للنحاة العرب الأولين لم نجده عند المحدثين إلا القليل
وهو أن اللغة لا تتألف فقط من قطع كلامية بل هناك
وحدات مجردة تدل على معنى مثل المادة الأصلية
للكلمة ومثالها ووزنها فهذه وحدات ليس لها شكل

القطعة من الكلام وهذا النوع من الوحدات موجود فى
مستوى التراكيب فصيغة الجملة العربية اللفظية هى
سياق من العامل والمعمول الأول يكونان زوجا مرتبا
يبنى عليه المعمول الثانى وتدخل على هذه النواة زوائد
مثل الزوائد التى تدخل فى بنية الكلمة . وينبغى
أن لا نخلط بين هذه الصيغة الخاصة باللفظ وصيغة
الخطاب التى تتكون من المسند والمسند إليه حتى
ولو أمكن تأويل أحدهما بالمبتدأ وليس ذلك مطردا
وهذا التصور لنوعية الوحدات هو تصور عربى محض
لا يوجد مثله فى اللسانيات الغربية .

والله ولى التوفيق

عبد الرحمن الحاج صالح

عضو المجمع المراسل من الجزائر



بين الحركات والحروف في الإعراب دراسة تاريخية مقارنة للكنوز أحمد علم الدين الجندى

لمحة تاريخية :

من بسيطة ومزدوجة Diphthong ومطولة ومخطوفة أو مختلصة ، على أن الحركات ، وهو الأهم في موضوعنا ، يمكن أن ترتبط بنظرية نحوي العربية الذين يرون أن الحركات الأساسية هي التي بواسطتها تحرك نهاية الكلمة في حالات الإعراب ، غير أنه يوجد إلى جانب هذه الحركات حركات أخرى نشأت بتأثير الحرف الصامت سابقاً أو لاحقاً ، مع بعض العوامل الأخرى على أن هذه الحركات والسكنات عندما تتقاضف على الصيغة تؤلف نمطا منسجما يتواكب مع المعاني الوظيفية ، وفيضا غامرا من اختلاف الأوجه وديناميكية الانتقال من صيغة إلى أخرى فما يعد نمطا فريدا لسياسة الحركات الذي يتوج القمدن اللغوى الحضارى للأمة العربية (٢٢) .

توهم القدماء من علمائنا ضآلة قيمة الحركات ، وأنها أمر ثانوى بالقياس على الحروف ، وفي هذا القول بعض المغالاة ، فللحركات خطورتها في تنويع أصل كل معنى ، وعن طريقها يتحقق تغاير المعنى الصرئ ، كما أنها تمثل عنصرا هاما في كل من : النبر في الجانب الصرئ ، والتنغيم في الجانب النحوى . زد على ذلك أنها تكون قمم مقاطع في العربية ، ومكانتها أخيرا في العروض العربى لا تنكر حيث حلت مكانا مرموقاً في موازيق الشعر (١) .

وتاريخ الحركات جزء هام من تاريخ الكتابة العربية في عصورها الإسلامية غايتها تصوير كل صوت برمز كتابى يدل عليه ، وفي العربية نجد أنماطا من الحركات المختلفة

(*) أفضت في الحديث عن الحركات الإعرابية في بحث نشرته في : مجلة معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . العدد الثانى ١٤٠٤ - ١٩٨٤ بعنوان « علامات الإعراب بين النظر والتطبيق » من ص ٢٧٥ - ٣٢٣ .
(١) انظر كتابنا : « نحو القلوب الصغير » ص : ١٩٠ ط الدار العربية للكتاب بتونس ، وفي هذا الكتاب أثبت أن الحركات قيمة هامة أخرى في الجانب الصوفى وخلعت عليها تسمية مبتكرة باسم (صوفية الحركات) ، أو (أخلاقية الحركات) .

(٢) انظر مقالنا في مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢٩ .

والفارسي على رأس الذين يرون أن الحركة تحدث مع الحرف^(٢) على أن ابن جنى يستنكر أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف^(٣) .

ونحن اتنا في هذا الخضم العريض تتناحر آراؤهم وتتشاجر فعندما يقررون أن الحركات أضعف من الحروف نرى أن الصواب قد جانبهم في ذلك ، إذ الدراسات الحديثة قد أثبتت أن جميع الحركات القصيرة والطويلة مجهزة ، وأنها أقوى في الوضوح السمعي من الأصوات الساكنة^(٤) .

٢ - ثم نراهم ينقذون مبدأهم فيقررون أن الحركة أصل للإعراب وأن حرف المدفوع عنها وذلك في قول ابن جنى . « فالألف والياء والواو في جميع هذه الأسماء الستة دواخل على الفتح والكسر والضم ، ألا تراها تفيد من الإعراب ما تفيد الحركات : الضمة والفتحة والكسرة . وإنما الموضع في الإعراب للحركات فأما الحروف فدواخل عليها^(٥) .

وإذا كان نحاتنا يرون أن الحركات أضعف من الحروف لأن الحركة في حقيقتها ناقصة

على أننا لا ننكر صعوبة تأريخ الحركات في سائر اللغات العربية الجاهلية لأن أبجديتنا أبجدية حروف صامتة تهمل الحركات وأمثالها من ضغط ونبر وتنغيم . كما أن مخالفة الكتابة للنطق كثيرا ما يكون مصدرها تطور الصوت في الكلمة ، ونشاهد ذلك في رسم الأصحف الشريف والساميات أخوات العربية حيث نشاهد في العبرية (صان) ونطقها (صون) وكذلك (راش) بمعنى رأس ، ونطقها (روش) .

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نرى أن بعض قدماء النحاة لم يوفقوا حين ظنوا أن الحركات ليس لها من الأهمية ما للحروف فقد زعموا أن حركات العلة أعراض ، والحروف الساكنة جواهر وأصول ، ثم دخلوا في متاهات ومشكلات منها :

١ - محل الحركة من الحرف . أما سيبويه فيذهب إلى أن الحركة تحدث بعد الحرف ، وقال غيره : معه ، وذهب غيره إلى أنها تحدث قبله ويذكر ابن جنى ابتداء تلك القضية فيقول : واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله ، أو معه أو بعده^(١) .

(١) سر الصناعة : ٣٢ .

(٢) السابق : ٣٧ .

(٣) انظر أدلته في سر الصناعة ص : ٣٢ .

(٤) نحو القلوب الصغير : ١٨٤ .

(٥) الخصائص : ٣ / ١٣٥ تحقيق الأستاذ محمد النجار . دار الكتب المصرية .

لأنها لا تقوم بنفسها وهي محتاجة لكي توجد إلى حامل هو الحرف . ثم إن الحركات جزء من شيء آخر سابق عليها وهو الحرف التام الكامل ، وابن جنى يقرر ذلك حين يقول : اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والواو والياء ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث : الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة : الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة» (١) .

فنص ابن جنى يؤكد أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وإذا كان كذلك فكيف تنقلب الفكرة عندهم رأساً على عقب حين يقررون أن أصل الإعراب أن يكون بالحركات ، كما قالوا أيضاً بأن الحروف أقوى من الحركات وأصل لها ، وفي الإعراب نقضوا عهدهم أيضاً حين قالوا بأن حروف المد فرع أو دواخل على الحركات وهي الضم والفتح والكسر . على أنه لا فرق بين الحركات وحروف المد إلا في الكمية من وجهة نظر الدرس اللغوي الحديث . وعلماء العربية الأقدمون

يذهبون إلى مثل ذلك أيضاً ، حيث يقرر ابن جنى ذلك فيقول : ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه» (٢) فكأن الحركات حين تشبع تنشأ الحروف ، وكان على النحاة من خلال هذا الفهم أن يعتصموا بأن الإعراب لا يكون إلا بالحركات وحدها لا غير حتى لا يشيروا بلبلة واضطراباً وتناقضاً في مسائل النحو كما سنرى ، لأنه ليس بين الإعراب بالحركات والحروف من فرق إلا في الكم أما في الكيف فهي هي : الحركات أصوات مد قصيرة ، والأحرف أصوات مد طويلة ، والواو التي زعموا أنها علامة رفع فرعية ليست إلا ضمة مشبعة ، والياء ليست إلا كسرة مشبعة ، والألف لذلك ليست إلا فتحة مشبعة ، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو ولكن النحاة شقوا على أنفسهم وعلى غيرهم حين ذكروا علامات أخرى للإعراب سموها العلامات الفرعية ، وجعلوها نائبة عن العلامات الأصلية ، وسيقابلك حشد من آرائهم المتصارعة في الإعراب بالعلامات الفرعية . وعلى سبيل المثال فالأسماء الستة تراهم يختلفون في إعرابها إلى مذاهب قدا : .

(١) سر الصناعة : ١٩ ، وانظر : الأشباه والنظائر ١ / ١٧٢ للسيوطي . القاهرة

(٢) سر الصناعة : ٢٠ .

١ - أن الواو والألف والياء فيها حروف إعراب والإعراب مقدر فيها كما يقدر في الأسماء المقصورة . وهذا قول سيديويه .

٢ - أنها معربة من مكانين بالحروف والحركات التي قبلها . وهو رأي الكوفيين .
٣ - أن هذه الحروف حروف الإعراب وعلامته فالواو بمنزلة الدال والضممة في نحو : قاتل الحند ، والياء بمنزلة الدال والكسرة في نحو أتيت على الحند . والذي جعلهم يقولون بذلك : أن حروف العاة لو سقطت اختلفت معاني هذه الأسماء فهي كحروف الإعراب توجد بوجوده . وتزول بزواله فهي كعلامته .

٤ - وذهب بعض النحويين إلى أن هذه الأسماء إذا كانت في موضع رفع كان فيها نقل بلا قلب ، وإذا كانت في موضع نصب كان فيها قلب بلا نقل ، وإذا كانت في موضع جر كان نقل وقلب (١) .
٥ - وذهب بعضهم إلى أن الياء والواو والألف نشأت عن إشباع الحركات (٢) وهذا الرأي قريب من رأي المحققين اللغويين حيث يرون أن اختلاف وقوع النبر هو السبب في مطلق هذه الحركات أو تقصيرها

فلو قلت ؛ (أخوك) كان النبر على المقطع الثاني (خو) أما (أحك) بدون مطلق فالنبر على المقطع الأولي (أ) .

ومثل هذا الخلاف يطالعا في باب التثنية والجمع كذلك بين البصريين والكوفيين وبين أفراد كل فريق منهم ، فيذهب سيديويه إلى أن الألف والواو والياء هي حروف الإعراب . وذهب أبو الحسن الأنخفش ، وأبو العباس المبرد ومن تابعهما إلى أنها تدل على الإعراب وليست بإعراب ولا حروف إعراب ، وذهب أبو عمرو الجرمي إلى أن انقلابها هو الإعراب وذهب قطرب والفراء والزبدي إلى أنها هي الإعراب (٣) وحكى عن الزجاج أن التثنية والجمع مبيذان .

والذي ورط النحاة في قولهم : الإعراب بالحروف فرع عن الإعراب بالحركات ، التي هي أصول - ما يذهبون إليه دائماً من القول بالأصل والفرع في كل مشكلة تقابلهم ، ولهذا يعج النحو العربي ، وتضالعك نظرية الأصول والفروع - التي ترتبط بمنهج أصول الفقه في كل باب من أبوابه ومن ذلك :

(١) الإنصاف ١ / ٢٢ .

(٢) أسرار العربية لابن الأنباري ١ / ٤٤ ، فما بعدها ط دمشق ، واللمع لابن جني : ١٠١ فما بعدها وانظر التحقيق للدكتور حسين شرف ط ١٩٧٨ والرضي على الكافية ١ / ٢٧ ، وشرح المقدمة النحوية لابن باب شاذ ٥٨ فما بعدها .

(٣) سيديويه ١ / ٤ ط بولاق ، وأسرار العربية : ٥١ ، واللمع لابن جني : ١٠٣ وانظر المحقق ، وشرح المقدمة النحوية لابن باب شاذ : ٦٤ تحقيق د . أبو الفتوح شريف ط ١٩٧٨ . والإنصاف ١ / ٣٣ .

- ١ - باب من غلبة الفروع الأصول (١) .
- ٢ - حمل الأصول على الفروع .
- ٣ - باب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول (٢) .
- ٤ - مراجعة أصل واستثناف فرع .
- ٥ - نقض الأصول وإنشاء أصول غيرها منها (٣) .
- ٦ - مراجعة الأصل الأقرب دون الأبعد .
- ٧ - مراعاة الأصول تارة وإهمالها إياها أخرى . وقد تكثر الفروع وتطرد حتى حتى تصير كالأصول فتشبه الأصول بها .
- ٨ - حط الفروع عن الأصول .
- ٩ - هجر الأصل حتى يعبد النطق شذوذا
- ١٠ - قد يكون للشيء أصلا (٤) والأصول لا تحتاج إلى علامات ، وإنما تحتاجها الفروع ، كما نرى هذه الأصول في جزئيات الفصول والأبواب النحوية مثل قولهم :
- ١ - لماذا كان (٥) الأصل في الخبر الإفراد؟ ومتى يأتي الخبر على خلاف الأصل؟

(١) الخصائص ١ / ٣٠٠ .

(٢) الخصائص ٣ / ٣٢٨ .

(٣) الخصائص : ٣ / ٢٢٧ .

(٤) الأشمون : ٤ / ٢١٢ .

(٥) ألاحظ اهتمام النحو التقليدي بالعملة : لماذا كان ؟ فلم يكن يلاحظ ويستقرى ويفسر تفسيراً يقوم على الحقائق اللغوية ، بل كان نحواً معيارياً سوريا لا يركز على الاستعمال اللغوي كما هو .

والثاني : أن الحركة أخف من الحرف وأقل منه ، وهي كافية في الدلالة على الإعراب ، وإذا حصل الغرض بالأخف الأقل ، فلا يتكلف غيره ، ولذلك كثرت الحركات في بابها ، وقل غيرها مما أعرب به ، وقدر غيرها بها ، ولم تقدر هي به (١) .

والثالث : أن الحرف من جملة الصيغة الدالة على معنى الكلمة اللازم لها ، فلو جعل الحرف دليلا على الإعراب ، لأدى الأمر إلى أن يدل الشيء الواحد على معنيين وفي ذلك اشتراك ، والأصل أن يخص كل معنى بدليل . وإنما أعرب المشي وجمع المذكر والأسماء الستة بالحروف لأمر اقتضاه ، فأعربوا المشي وجمع المذكر بالحروف للفرق بينهما وبين المفرد ، ولم يعكس الأمر ليكون الأصل للأصل والفرع للفرع ، فإن الحركات أصل للحروف ، والمفرد أصل للمثنى والجمع (٢) وثانيتها : قولهم : هل حركات الإعراب أصل لحركات البناء ، أو حركات البناء أصل لحركات الإعراب ، وقد اختلف النحاة في ذلك :

فذهب بعضهم إلى أن حركات الإعراب هي الأصل ، وأن حركات البناء ، فرع لأن الأصل في حركات الإعراب أن تكون للأسماء وهي الأصل ، فكانت أصلا ، والأصل في حركات البناء أن تكون للأفعال والحروف ، وهي الفرع ، فكانت فرعا .

وذهب آخرون إلى أن حركات البناء هي الأصل ، وحركات الإعراب فرع ، لأن حركات البناء لا تزول ولا تتغير ، وحركات الإعراب تزول وتتغير وما لا يتغير أولى أن يكون أصلا مما يتغير (٣) .

ولا تعجب بعد ذلك أن تجد خلطا بين كثير من النحويين في علامات كل من حركات الإعراب والبناء حيث أطلق بعضهم ألقاب الإعراب على ألقاب البناء والعكس (٤) .

والأعجب مما سبق أن البصريين والكوفيين عندما وضعوا أصولهم وفروعهم في النحو لم يلتزموا تلك الأصول والفروع عند التطبيق فقد ناقض كل فريق (أصله) (٥) وكان ذلك سببا من أسباب التضارب والتناقض والتخالف والتشابك في مسائل العربية .

(١) انظر شرح المفصل ١ / ٥١ .

(٢) انظر حواشي النحو المطولة ، والأشباه والنظائر ٢ / ٢٢ للسيوطي . ط القاهرة . القواعد الكلية د .

فريب نافع ، نشر : مكتبة الأزهر سنة ١٩٧٥ .

(٣) أسرار العربية لابن الأنباري : ٢٠ ط دمشق ، وانظر الأشباه والنظائر ١ / ١٥٩ القاهرة .

(٤) معاني الفراء ٢ / ٣٥ ، ٤٠ ، والمقتضب ٤ / ٤ ، ٨٣ .

(٥) الإنصاف مسألة : ٥ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٥ .

ونظرية الأصل والفرع وافدة على النحاة من أصول الفقهاء ، فقد تحدث الأحناف والشافعية عن الأصول والفروع ، واهتم بها أبو حنيفة ومدرسته ، ومعلوم أن تأثير الفقه وأصوله في النحو كان قويا منذ العصور الأولى فقد كان النحاة ينظرون إلى الفقه وأصوله على أنه علم نابع من الفقه الإسلامي الخالص ، ولهذا رأينا كثيرا من النحاة يتأثرون بالفقهاء ويشاركونهم من أمثال : أبو عمر الجرمي ، والفراء ، والسيрани ، حتى إن الجرمي والسيрани كانا يقدمان للفتيا ، والخليل ابن أحمد النحوي يصرح في أمكنة كثيرة باقتباسه نصوصا فقهية لأبي حنيفة يؤكد بها مسائل في النحو والعربية^(١) ومحمد بن الحسن ألف كتابا في الإيمان ضمنه مسائل فقهية مبنية على أصول النحو والعربية ، وابن جنى في الخصائص يتأثر في مسأله النحوية بالفقهاء وعلماء الأصول^(٢) وكذلك كتب ابن الأنباري كالإنصاف ولمع الأدلة ، وتآليف السيوطي كالمجمع والاقتراح والأشباه والنظائر ، فهي مبنية على أشباهها من كتب

الفقهاء ونرى أن يكون منهج النحو نابعاً من اللغة ويعود على اللغة ، دون السماح لأي فكر آخر غير لغوي أن يتدخل .

والدراسات النحوية الحديثة لم تعترف بفكرة الأصل والفرع كما فسرها النحاة إذ إنها ترى أن فهم اللغة يخضع للشكل والوظيفة ففي العربية كثير من الوظائف كوظيفة الفاعل والمفعول والمبتدأ وكل وظيفة تتخذ لها طريقة شكلية تعبر عنها ، فشكل الفعل مع الفاعل يختلف شكله مع نائب الفاعل ، وهذا الشكل لا يقتصر على الحركات الإعرابية ، بل يتسع ليشمل الترتيب بين الكلمات مثل : التقديم والتأخير ، وغيره من القرائن التي تظهر من سياق الكلمات السابقة واللاحقة .

وفكرة الاعتماد على القرائن في فهم التعليق النحوي ينفي عن النحو : كل تفسير ظني أو منطقي ، كما ينفي أصالة بعض الكلمات في العمل وفرعية الأخرى^(٣) كما أن مسائل

(١) كتاب العين : ٢٨٥ تحقيق الدكتور عبد الله درويش .

(٢) الخصائص : ١ - ١٦٣ فما بعدها ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ص ٢٣٣ .

الأصل والفرع بالصورة التي تخللت جزئيات
ومسائل النحو العربي مرفوضة لأن اللغة لها
خصائصها وسماتها التي تختلف عن خصائص
وسمات القياس المنطقي الجدل الذي تأثر به
النحاة ، وقضية (الأصالة والفرعية)
لا ترتبط بمقاييس ثابتة عند علماء النحو العربي
ومن هنا اضطربت الآراء والمشارب ؛ فما
يعتبره نفر منهم أصلا يعتبره الآخرون فرعاً
لهذا الأصل . ونظرية الأصل والفرع ترتبط
أولاً وأخيراً بالقياس الذي فرض ساطانه على
النحو وترجح أن تعتمد القضايا النحوية على
الاستقراء . ولهذا أرى إلغاء فكرة نيابة
الحروف عن الحركات لبنائها على الأصالة
والفرعية ، ويكون إعراب الأسماء الستة
بالحركات الثلاثة مع مدها ، أما جمع المذكر
فالضممة فيه علم الرفع وعلم الإسناد والواو
إشباع ، والكسرة علم الجر ، والإضافة والياء

إشباع وأغفل الفتح لأنه ليس بإعراب ، فلم
يقصد إلى أن يجعل له علامة خاصة ، لأنه
إذا أريد إلى أن يجعل نصباً وأتى له بالفتحة
اشتبه بالمشي ، ولهذا أغفل الفتح فيه ، وجعلت
الصيغة المستعملة في الإضافة هي صيغة
المنصوب (١) أما المشي فالألف فيه ليست
علامة للرفع ؛ لأن الضمة وحدها هي
علم الرفع ، أما الألف فهي للتثنية لا غير
وإذا أريد رفعه بالضممة فيجب أن تزول
الألف ، وبزوالها يزول المعنى فتركت الكلمة
وهي مسند إليها ، بلا علامة تدل على الإسناد
فإذا أريد أن يكون مضافاً إليه استعين بالياء
وهي جزء من الكسرة ، ومطولة لها وأبقيت
الفتحة الدالة على ألف الاثنين قبلها ، وتحقق
في الصيغة إذن : دلالتها على التثنية ، ودالتها
على الإضافة .

(١) إحياء النحو : ١١١ ط ١٩٥١ .

(٢) انظر : في النحو العربي ٩٠ د . مهدي الخزومي . ط . أولى . بيروت .

تذييل وتكميل ومقارنات

في الأسماء الستة :

ثم سلبوا الحرف الذي قبل الواو بحركته
فسكن ثم ضموا إتباعا لحركة الواو ، ثم
حذفوا حركة الإعراب ، وهي الضمة
استثقالا لها على الواو ، فصار اللفظ
(أبوك) (*) .

مما سبب الخلط والتعارض في أقوال
علماء العربية ، إعراب الأسماء الستة ،
وظهور مذاهب كثيرة كذهب الكوفيين^(١)
وجمهور البصريين ، وعلى بن عيسى
الربيعي^(٢) ، والممازني ، والأخفش ومعه
المبرد^(٣) ، والجرمي^(٤) ، والرضي^(٥) ،
وأبي علي الفارسي^(٦) وغيرهم ، وأكثر
هؤلاء يرى تثليث تلك الأسماء ، ويكون
الحرف الثالث منها هو حرف الإعراب
كالدال من زيد ، وبناء على هذا يقدر
ويتأولون ، فالأصل في (جاء أبوك)
جاء أبوك . فالضمة على الواو علامة الرفع ،

غير أن القول (بثنائية) هذه الأسماء -
بدليل أنها عندما تضاف إلى ضمير المتكلم
تحتفظ بثنائيتها (أبي - أخي - حمي) -
يخلصنا من هذه الفروض والأوهام ، وهو
ما يذهب إليه كثير من الباحثين في الشرق
والغرب على السواء^(٧) .

- (١) الإنصاف ١ - ١٧ (٢) السابق (٣) المقتضب ٢ - ١٥٢
(٤) شرح الكافية ١ - ٢٧ فا بعدها . بيروت . (٥) السابق . (٦) السابق ١ - ٢٨
(٧) من أمثال : الأب مرمجي اللومني في كتابه : المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية .
ط القدس ١٩٣٧ م . ومعجمات عربية سامية ٧٩ فا بعدها ط لبنان ١٩٥٠ .
وجرجي زيدان في كتابه : الفلسفة اللغوية ٣٨ فا بعدها . القاهرة ١٨٨١ .
وعبد الله العلايلي في كتابه : مقدمة لدرس لغة العرب ١٣٣ ط المصرية بمصر .
وأحمد فارس الشدياق في كتابه : سر الليال في القلب والإبدال .
والأب ماري أنستاس الكرملي في كتابه : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها . ط ١٩٣٨ .
وانظر مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ع ٤ لسنة ١٣٩٢ د ترى فيها أسماء كثير من المستشرقين الذين آمنوا
بالثنائية ، واستشهدوا لها بالساميات أخوات العربية . ونذكر منهم : فورست وجزينس ورينان .
وانظر : ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية . د - أمين فاخر .
وأصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية ٧٤ - ٨٩ د - توفيق شاهين . مكتبة وهبة . القاهرة .
(*) الإعراب بالحروف ١٦ د . عبد الكريم الزبيدي . دار البياني العربي . جدة .

هذا ؛ وقد أشار أسلافنا القدماء إلى
الثنائية وإن لم ينصوا عليها صراحة ، حيث
بدءوا بها في معجماتهم عند ترتيبها كالحليل
في كتابه (العين) وابن دريد في (الجمهرة)
والأزهري في (التهذيب) والقالي في
(البارع) وابن سيده في (المحكم) .

وعلى مذهب (ثنائية) الأسماء الستة .
فلا مشكلة في إعرابها ، ويكون الإعراب
على الحرف الثاني ، وليست حروف العلة
فيها سوى آثار لإشباع حركات الإعراب ،
فقولك : جاء أبوك - فاعل مرفوع بالضممة
الظاهرة على الباء والواو إشباع ، وقس
على ذلك حالة النصب والجر فيها ، وهذا
مذهب المازني بناه على (ثنائية) هذه
الأسماء^(١) ، وهذا يذكرنا بما ورد في
النقوش النبطية من إشباع حركات الإعراب
وذلك مثل : إضافة الياء إلى المضاف إليه
في الأسماء المركبة تركيب إضافة مثل
(عبد الله) . وهذا يشبه ما جاء عن أزد
السراة من قولهم : جاء زيدو ، ورأيت
زيدا ، ومررت بزیدی ، فالواو
والياء يمكن أن تكون دليل الإعراب في

تلك اللغة ، وفعلوا ذلك لحرصهم على بيان
الإعراب ولا سيما عند الوقف^(٢) .

* * *

فإذا انتقلنا إلى التراث العربي وجدنا
أنماطا كثيرة لتلك الأسماء الستة ومن ذلك :

١ - بأبه اقتدى عدى في الكرم

ومن يشابه أبه فما ظلم

سوى أبك الأعلى وأن محمدا

علا كل عال يابن عم محمد

٢ - وحكى عن بعض العرب : هذا

أباك ، ورأيت أباك ، ومررت بأباك .

ومن ذلك :

إن أباه وأبا أباه

قد بلغا في المحد غايتها^(٣)

وما روى عن أبي حنيفة : لا ، ولورماه

بأباقيس ويراها الأشموني لغة صحيحة^(٤) .

«مكره أخاك لا بطل» وبعضهم رواه «أخوك» .

وكما حكى في الأب من وجوه حكى

كذلك في الأخ^(٥) .

٣ - وحكى بعضهم التشديد : هذا أبك^(٦)

وهذه الصورة أقدم الصور ، ثم تحول

صوت التضعيف فيما بعد إلى حرف مد :

(١) انظر الإنصاف ١ - ١٧ ، ٢٣

(٢) اللهجات العربية في التراث : المستوى النحوي . د . أحمد علم الدين الحلندي .

(٤) ١ - ٧١

(٣) انظر أوضح المسالك لابن هشام رقم ٩ .

(٥) الأشموني ١ - ٧١ والجمع ١ - ٥٩

(٦) الجمع ١ - ٣٩

ألفا أو واوا أو ياء وهذا التحول في اتجاه الثلاثي لتصبح الكلمة مماثلة لأكثر الكلمات العربية الثلاثية .

ويرى بعض علماء العربية أن تشديد :
أب وأخ - عوض من لا ميهما ، فإن أصلهما : أبو وأخو . جاء في الحمهرة : أن بعض العرب يقولون : أخ وأخته ، وقال ابن مالك في التسهيل : إن تشديد خاء (أخ) وباء (أب) لغة (١) .

٤ - لزومها الواو وذلك في قراءة من قرأ : « تبت يدا أبو لهب وتب (٢) » وحكاها أبو معاذ (٣) .

وفي الرسالة للإمام المطلبي (٤) : أخبرنا سفيان عن سالم أبو النضر . . . أن رسول الله (ﷺ) قال : لا ألفين أحدكم . . . (الحديث) .

وفي أسفل الوثيقة التي أرسلها رسول الله (ﷺ) إلى بني جنبنة وإلى أهل مقنا « وكتب علي بن أبو طالب بخطه ورسول الله يملئ عليه حرفا حرفا » (٥) .

ولذا رجحت أن صيغة الواو لهجة قرشية (٦) .

* * *

فإذا انتقلنا إلى الساميات والنقوش في تلك الأسماء وجدنا ما يلي :

١ - ورد في اللهجة الصفوية « بابه . أي : بأبيه . وباخه . أي : بأخيه (٧) . وورد في اللهجة الصفوية كذلك « ابه . يعني : أبوه ، وذلك في النص : ورمي له ابه . أي : ورمي له أبوه (٨) » وهذه تشبه حالة النقص في العربية .

وفي نقش صفوى آخر عبارة « وندم على أخه وأخته » أي : وندم على أخيه وأخته . وفي نقش صفوى أيضا عبارة « بلحلم ابن أب أنس ورمي (٩) » فالأب والأخ وردا في النقشين على حرفين مع كونهما مضافين . وهذا يؤكد مذهب الثنائية فيهما ، وهي تشبه حالة النقص في العربية كذلك .

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ١ - ١١٩ تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد .

(٢) انظر الكشاف .

(٣) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ١٨٢ . (٤) ص ٨٩

(٥) مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي : المقدمة (كد) ط الثانية . د . محمد حميد الله الحيدر آبادي . لجنة التأليف والترجمة . القاهرة .

(٦) انظر : كتابنا : اللهجات العربية في التراث . النظام النحوي

(٧) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ - ٢٣٤ . د . جواد علي . ط المجمع العراقي ١٣٧٦ - ١٩٥٧

(٨) المرجع السابق ٧ - ٢٤٣

وفي تونس والحزائر يقولون: بومدين ،
بوتفليقة كما تنتشر في الجزيرة العربية أسماء:
بافضل ، باكلا ، حسن باجوده^(٣) ، وهذه
الظاهرة ، امتداد للهجات قديمة ، حتى
ظنها بعض علمائنا القدامى من اللحن^(٤) .

في المثني :

يقال : ثني الشيء . أى : رد بعضه على
بعض فتثنى وانثنى ويكون المعنى عبارة عن
جزأين ، أعيد أو رد كل جزء إلى آخر ، ومن
ذلك أيضا جاء (الثنيان) بضم الثاء للرجل
الذى يلي السيد . والثنية أو المثني ظاهرة
لغوية وجدت في اللغات السامية وغيرها .

كما نجد التردد في الأساليب العربية في
المثني حتى زمن القرآن الكريم ، فلم تكن
تراعى العربية المثني من حيث نظام الجمل ،
وربما يرجع عدم المراعاة من أن المثني كان
داخلا في حيز الجمع أيضا ، ولهذا لم يكن
ثابت القاعدة . انظر مثلا قوله تعالى :

١ - « ورفع أبويه على العرش وخروا
له سجدا^(٥) » حيث قال : خروا . ولم يقل :
خرا على الثنية .

٢ - وفي الفقرة ١٩٥ من قانون حمورابي
(١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م) المدون باللغة
البابلية القديمة يوجد فيه الإعراب كما هو
في اللغة العربية الفصحى وفيه imtahas Šummā
matu abāšu بمعنى : إذا ضرب ابن
أباه « نجد كلمة abāšu بمعنى : أباه -
وهي في حالة المفعولية منصوبة بالألف
لأنها من الأسماء الخمسة كما في العربية^(٢)
وإن كنت أرجح أنها منصوبة بفتحة طويلة .

٣ - أما العبرية فاستقر أمرها على :

אָבִיךָ (أبيك)

وعلى : אָבִיךָ (أبيك)

٤ - واستقرت السريانية على : أبوك
وأخوك .

وكذلك الآرامية سلكت مسلك السريانية
في هاتين الكلمتين .

٥ - أما في لهجاتنا الحديثة فلا نكاد نرى
بها إلا صورة واحدة هي : أبوك وأخوك .
كما تسقط الهمزة من (أبو) حيث يقال في
كنية القرد : بوزنه ، والأصل : أبوزنة ،

(١) اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ١٢٨ . أحمد حسين شرف الدين .
(٢) فصول في فقه العربية ٣٨٣ د . رمضان عبد التواب ط الثانية . الخانجي .
(٣) ويشغل الآن رئيس قسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .
(٤) انظر بحوث ومقالات في اللغة ٢٧٤ د . رمضان عبد التواب ، الناشر : الخانجي والرفاعي .
(٥) يوسف ١٠٠

٢ - « هذان خصمان اختصموا في
ربهم^(١) »

٣ - « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فأصلحوا بينهما^(٢) » .

٤ - « فقال لها وللأرض ائتيا طوعا
أو كرها قالتا أتينا طائعين^(٣) » .

كما شاع في العربية الخطاب للمفرد
بصيغة المثنى كما في الشعر مثل قولهم (خليلي)
و (قفا) و (افعل ذلك) ومن ذلك قوله
تعالى : « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد^(٤) »
وهو خطاب للملك خازن^(٥) النار .

* * *

فإذا رجعنا إلى النحو العربي وجدنا المثنى
فيه يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء ،
وبعضهم يرى أن الألف والياء دليل الإعراب
وليست بإعراب ولا حروف إعراب^(٦) .
وعن ثعلب أن الألف في المثنى بدل من
ضميتين^(٧) ، ويطول الخلاف بين علماء
العربية في هذا^(٨) ، ثم ينشط تعليل النحاة

وقياسهم فيعللون لرفع المثنى بالألف دون
غيرها ، وهل كان الإعراب متأخرا في
نشأته عن علامة التثنية أم كان مصاحبا لها ؟
ويرى صاحب شرح الكافية أن الإعراب في
التثنية والجمع لم يكن مصاحبا لأصل التثنية
والجمع ، بل دخل عليهما بعد ذلك « وعندما
أدخلوا الإعراب على التثنية لما دعت الحاجة
إليه أقروا الألف في الرفع ؛ لأنها عماد
التثنية وعلامتها الأصلية ، والرفع علامة
العمد التي لا تستغنى الحمل عنها فناسب
لذلك أن تكون الألف التي هي علامة
التثنية في الأصل علامة الرفع أيضا . وبقى
الجر والنصب ، وعلامة الجر الأصلية الياء
التي تكون الكسرة بعضها فأعطى الجر علامته
الأصلية وهي الياء ، واستغنوا عن الألف
التي هي علامة التثنية بالفتحة التي هي
بعضها ، فصارت الفتحة على ما قبل الياء
علامة للتثنية . فالياء علامة الجر فهي
إعراب ، أما علامة التثنية فهي الفتحة
المختصرة من الألف . وبقى من الإعراب
النصب وعلامته الأصلية الألف التي تكون
الفتحة بعضها ، ولكنهم عندما أقروا الألف

(٢) الحجرات ٩

(١) الحج ١٩

(٣) فصلت ١١ وانظر : فقه اللغة المقارن د . إبراهيم السامرائي ٨٢ ط بيروت .

(٤) سورة ق ٢٤ (٥) فقه اللغة وسر العربية ٣٢٩ للثعالبي . مط : الحلبي ط ١٣٩٢ - ١٩٧٢

(٦) الإيضاح للزجاجي ١٣٠ ط ٣ تحقيق مازن المبارك ١٩٧٩ بيروت .

(٧) المرجع السابق ١٤١

(٨) انظر الإنصاف ١ - ٣٣ فا بعدها ، والكتاب ١٧ فا بعدها و ٣ - ٣٨٥

وقول أبي النجم العجلى :
قد بلغنا في الحمد غايتها (٦)

ومن النثر :

حمل بعيرك وخذ دينارك .

جلست بين يديه .

لا وتران في ليلة (٧) .

وفي القرآن :

قرأ ابن مسعود : « فكان عاقبتهمما أنهما في
النار خالدان فيها (٨) » سورة الحشر ١٧ :
« فلما ترى الجمعان (٩) . . . » وقراءة العامة :
« فلما تراعى الجمعان قال أصحاب موسى : . . . »

: « وأما الغلام فكان أبواه مؤمنان (١٠) . »

: « إن هذان لساحران (١١) . »

وأصحاب هذه اللغة : كنانة وبنو الحارث
ابن كعب ، وبنو العنبر (١٢) وبنو الهُجيم ،
وبطون من ربيعة وبكرين وائل وزبيد وخنعم
وهمدان وفزارة وعذرة (١٣) .

في الرفع ، لم تبق للنصب علامة ، فالحق
بالمجرور ، وأعطوه علامته وهي الياء ،
وبقيت الفتحة قبل الياء دليلاً على التثنية .

والخلاصة : أن الألف في المثنى علامة
للتثنية وعلامة إعراب أيضاً ، والياء في
النصب والجر إعراب والفتحة قبلها علامة
للتثنية (١) «

* * *

فإذا انتقلنا إلى التراث العربي وجدنا فيه
أنماطاً مختلفة للمثنى ، ومن ذلك (٢) :

شواهد لزوم الألف :

تزود منا بين أذناه طعنة

دعته إلى هابي التراب عقيم

طاروا علاهن فطر علاها

واشدد بمثنى حقب حقه - واه (٣)

اعرف منها الأنسف والعينانا

ومنخرين أشبهنا ظيبيانا (٤)

فأطرق إطراق الشجاع ولو ترى

مساغاً لناباه الشجاع لصمها (٥)

(١) الإعراب بالحروف ٣٥ فما بعدها . د . عبد الكريم الزبيدي ، دار البيان العربي . جدة .

(٢) انظر : اللهجات العربية في التراث : في النظام النحوي . د . أحمد علم الدين الخندي .

(٣) خزانة البغدادي ٣ - ١٩٩ (٤) التصريح ١ - ٧٨

(٥) مقدمتان في علوم القرآن ٢٢٧ (٦) الهمع ١ - ١٣٤ تحقيق سالم .

(٧) الهمع ١ - ٤٠ ط أولى . وانظر : اللهجات العربية في التراث : في النظام النحوي .

(٨) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ١٥٤ وانظر الكشاف للزمخشري .

(٩) الشعراء ٦١ وعزاها عيسى بالرفع على تلك القراءة لتيم وانظر ابن خالويه ١٠٧

(١٠) البحر ٦ - ١٥٥ (١١) طه ٦٣ وانظر البحر المحيط ٦ - ٢٥٥

(١٢) وهما من تميم ، ولاحظ قراءة الرفع في « فلما ترى الجمعان » وعزاها عيسى إلى : تميم .

(١٣) الهمع ١/١٣٣ تحقيق سالم وانظر : الإكليل ٨ - ١١٢ والبحر ٦ - ٢٥٥ :

وفي الطبعة الأولى للهمع توجد : مزاده . بدل : فزارة . ولا توجد قبيلة عربية مسماة بهذا الاسم .

ومن العرب من يلزم المثنى الألف كما سبق
ولكنهم يخالفونهم في حركات النون ، حيث
إن هؤلاء العرب يعربون المثنى بالحركات
على النون ، من ذلك :

يا أبتـا أرقـني القـيدانُ
فالذنوم لا تعرفه العـينـانُ

وقال الشيباني :

ضم نون التثنية لغة . قال أبو حيان : يعنى
مع الألف لا مع الياء ، لأنها شبهت بألف
غضبان وثمان ، وقد حكى الشيباني : هذان
خليلان (١) :

والعرب استعملت الألف للدلالة في
جميع كلامها فقالوا : قاما وذهبا ، وأنما
وهما ، ولذلك كانت الألف أنسب من غيرها
إلى أن تكون علامة لتثنية التي هي أول الجمع
وأخف منه وأكثر استعمالا من الجمع السالم .

وأرجح أن لغة إلزام المثنى الألف
في الأحوال الثلاثة القادمة هي اللغة
القديمة - وكانت قبل دخول الإعراب
عليه ، كما أن لزوم الياء والنون لغة أيضا ،
يؤيد هذا وجودها في لغات سامية سنشير
إليها ، كما أن هذه الياء والنون لغة كثير من
العرب المعاصرين ، وربما كانت الياء في
المثنى لها صلة بإمالة الألف ، يقوى ذلك

وقف حمزة والكسائي وخلف علي : « كلتا
الختين آتت أكلها : الكهف ٣٣ » بإمالة
الألف (٢) .

وفي الإتحاف (٣) : أمال الألف العراقيون
قاطبة .

* * *

النون في المثنى :

أما النون في المثنى فألحقوها للدلالة على
تمام اللفظ ؛ لأنها كالتنوين الذي يتم به
الواحد وهي عوض من الحركة والتنوين
اللذين يستحقهما الاسم في الأصل ، ثم صارتا
بعد من خصائص التثنية ، وقد اختلف
العلماء في هذه النون على مذاهب :

١ - لرفع توهم الإضافة ، وهو رأى ابن
مالك .

٢ - عوض من حركة المفرد . وهو رأى
الزجاج ، وردّه ابن مالك بأن الحروف نائية
عنها فلا حاجة إلى التعويض بالنون .

٣ - عوض من تنوين المفرد ، وعليه
ابن كيسان .

٤ - عوض من الحركة والتنوين معا ،
وعليه ابن ولاد :

(١) الجمع ١ - ١٦٠ سالم .

(٢) إرشاد المبتدى وتذكرة المفتى في القراءات العشر ١٦ ؛ لأبي العز الواسطي .

تحقيق : عمر الكبيسي . الفيصلية بمكة المكرمة (٣) ص ٣٩٠

٥ - عوض من الحركة والتنوين فيما وجدنا في مفردة . ومن الحركة فقط فيما لا تنوين في مفردة كمشي ما لا ينصرف . ومن التنوين فقط فيما لا حركة في مفردة ، كعصا .

٦ - فارقة بين رفع المثنى ونصب المفرد ، لأنك إذا قلت : زيادا ، يلتبس بالمفرد المنصوب حال الوقف ، ثم حمل سائر التثنية والجمع على ذلك . وعليه الفراء .

٧ - أنها التنوين نفسه (١) .

ويلاحظ أن النون في المثنى لم تحل محل المعوض عنه ، وهو التنوين ، إذ محل التنوين في المفردات يعتقب حرف الإعراب وهو الميم من (مسلم) وأما النون في المثنى فلم تكن بعدها ، بل بعد علامة الإعراب ، وهي الألف والياء في المثنى ، وعليه فلم تقع النون موقع التنوين لوقوعها بعد علامة الإعراب فيه (٢) .

أما حركة النون في المثنى فالشائع فيها الكسر ، وإنما حركت لالتقاء الساكنين ، وفتحها لغة أسد ، وقيل ذلك خاص بحالة الياء بخلاف حالة الرفع ومن أمثلة ذلك :

على أحوذين استقلت عشية

فما هي إلا لحظة وتغيب

ويرى برجشتراس أن النون في المثنى : يدان أو يدين مكسورة ، وربما كان أصلها yadāma فأبدلت الفتحة بالكسرة للمخالفة الصوتية (٣) .

وقال الشيباني ضم النون لغة . قال أبو حيان يعني مع الألف لا مع الياء (٤) .

وتحذف هذه النون للإضافة ، وجوز الكسائي حذفها في غير ذلك كقوله :

أقول لصاحبي لما بدالى
معالم منهما ، وهما نجيا

أى : نحيان وعليه يجوز : قام الزبدا -
بغير نون . قال أبو حيان : ويشهد له ما سمع
بيضك ثنتا ، وبيضى مائتا (٥) . *

* * *

فإذا انتقلنا إلى الدراسات السامية المقارنة في المثنى وجدنا :

١ - إن علامة التثنية في العربية (٦) كما

سبق (- ان) في الرفع و (ين) في النصب
والجر :

- (١) انظر الهمع ١ - ١٦٣ فا بعدها . سالم . (٢) التمويض وأثره في الدراسات النحوية واللغوية ١١٣ د . عبد الرحمن إسماعيل ط أولى (٣) التطور النحوى ١١١ نشره وعلاق عليه د . رمضان عبد التواب . (٤) الهمع ١ - ١٦٦ سالم وانظر شرح الكافية الشافية ١ - ١٩٩ تحقيق د . هريدى . دار المأمون . (٥) الهمع ١ - ١٦٩ سالم . (٦) تنتمى إلى المجموعة الجنوبية

٢- وعلامتها في الأوكريتية^(١) مثل العربية Amai للمذكر في الرفع و Emai في حالي النصب والجر(*) وتلازم هذه العلامة الكسرة في نهايتها كنون التثنية التي تلازم الكسر في العربية.

أما الحركة الإعرابية فتسبق العلامة وهي A في الرفع و E في النصب والجر ، وهنا أيضا تطابق العربية من حيث الإعراب.

أما علامة التثنية للمؤنث فهي Tamai في الرفع و Temai في النصب والجر.

ويلاحظ أن علامة التثنية في الأوكريتية تشبه علامة التثنية في العربية تماماً من جهة ، وأن Amai تقابل (ان) في الرفع ، و Emai تقابل (ين) في النصب والجر مع استبدال النون العربية بالميم في الأوكريتية.

٣- وعلامتها في العبرية^(٢) - ايم في جميع

الأحوال (אֵי) رَحِيمِ

بالياء المكسرة (= ا) (أ)

٤- وفي الآرامية^(٣) - EN

٥- وفي الأكديّة^(٤) - AN في الرفع و IN أو EN في النصب والجر وبذلك جرت مجرى العربية في إظهار الإعراب قبل النون مع إسكان ما بعدها .

وفي الفترات المتأخرة سقط حرف النون منهما كما ضج التمييز بين حالات الإعراب في المثنى الأكدي تدريجياً ؛ حتى طغت : ين على : ان .

٦- أما علامته في المعينية^(٥) فهي (ني) مثل : معيني ، وتعني : عاليان .

٧- وعلامته في السبئية^(٦) (ن) (آن) مثل : ثن عمرن وتعني : اثنان نمران^(٧) .

وكان إعراب المثنى بالألف في اللهجات العربية القديمة له جذور في السبئية حيث يكون المثنى بإضافة (ان) للاسم وهي مرحلة متأخرة^(٨) .

٨- وعلامته في اللغة الثمودية (ني)^(٩)

(١) تنتمي إلى المجموعة الشمالية الغربية (٢) تنتمي إلى المجموعة الشمالية الغربية (٣) من المجموعة الشمالية الغربية العربية . د . باكيظة رفيق حلمي .

(*) Moscati and Others, P. q3.

(٥) لغة جنوبية عربية قديمة (٦) جنوبية عربية قديمة

(٧) تاريخ العرب قبل الإسلام : ١٠٨ / ٧

(٨) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ١٣ غويدي .

(٩) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢١٢ / ٧

البابلية التي خلفها حمورابي تشبه اللغة العربية
الفصيحة^(٢٣) .

١١ - وفي عربية النقوش أو العربية البائدة
نجد في نقش النمارة الذي عثر عليه بالشام ،
وكتب شاهداً على قبر امرئ القيس بن عمرو
وأرخ بشهر كسلول (تشرين الثاني - كانون
الأول) من سنة ٢٢٣ من تاريخ بصرى
أى سنة ٣٢٨ للميلاد وفي السطر الثاني نجد
(الأسدين) وهي مثناة مفعول به منصوب
بالياء . والأسد (الأزد) قسمان : أزد
شنوعة وأزد السراة في الغرب ، وأزد عمان
في الشرق^(٢٤) .

٩ - وفي اللحيانية^(١) ai (اى) في حالة
الجر والإضافة ، و (اين) و (و) في حالة
الرفع ، وتلحق هذه العلامات آخر
الاسم . ومن أمثلة المثني : قهرى : ومعناها :
القاهرين .

١٠ - وفي اللهجات العربية المعاصرة يلزم
المعنى الياء في أية حالة إعرابية ، وشأنه ، في
ذلك شأن العبرية ، كما تظهر^(٢) : الواو
والنون ملحقة بالثني في البابلية الحديثة مما يدل
على وجود خلط بين جمع المذكر والمثني ،
على حين وجدت لاحقة المثني في اللغة

جمع المذكر السالم

ونرى أن إعراب الجمع هذا مر بأدوار
تطورية ، وكل مرحلة لها ظروفها وصيغها
التي تتلاءم معها ، ونلمس هذا التطور من
خلال خلافات النحاة حول إعرابه . أيعرب
بالحروف كما رآه قطرب والزجاج وغيرهما
أم يعرب بحركات مقدره على ما قبل هذه
الحروف كما رآه الأنخفش أم يعرب بحركات
مقدرة على الحروف نفسها^(٦) ، وإذا كان

قال الزجاجي « ومن الجموع ما جاء على
حد التثنية وهو أن تضم أسماء ببعضها إلى
بعض ، متفقة الألفاظ ، فيزاد في آخر واحد
منها علامة الجمع فيعلم أن الجماعة
كقولنا : الزيدون والعمرون . . . وجعل هذا
اللفظ لما بعد الاثنين فاشترك فيه القليل
والكثير ، وربما اقتصروا به على ما دون
العشرة وربما جاوز ذلك »^(٥) .

(١) هي لغة شمالية عربية وانظر المرجع السابق ٧ / ١٦٣ . وانظر بحثاً عنوانه « اللغة العربية » د . فؤاد
حسنيين - نشر بمجلة معهد البحوث والدراسات العربية عدد ٤
(٢) Grundriss der Akkadischen Grammatik, Wolfram. Von Soden, Rome, 1957
(٣) من مقال للأستاذ إدوار دروم في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٢ / ١٨٩ . بعنوان « اللغة العربية
الفصحى ولغة حمورابي » .

(٤) الكتابة العربية والسامية ١٣١ د . رمزي بمليكي .

(٥) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ١٢٨ تحقيق د . مازن المبارك . ط ٣ بيروت .

(٦) المجمع ١٦١ فما بعدها تحقيق د . عبد العال سالم .

النحاة يشترطون فيه أن يكون لعاقل (١) ، فإن شيوعه في أصول غير عاقلة يشير إلى بدء مرحلة استعمال هذا الجمع ، فقد جمعت ألفاظ العقود من العدد على هذا الجمع ، وهناك ألفاظ ألحقها النحويون به وهي : أرضون ، وابلون ، أهلون عالمون ، وجاء منه كلمات ذات أصول ثنائية مثل : بنون ، قلون ، سنون . عضون (٢) .

وما ألحق بجمع المذكر السالم يعرب بالواو رفعا وبالياء جر أو نصبا على لغة الحجازيين وعليها قيس ، والتميميون يجعلون الإعراب السابق بالحركات على النون الأخيرة ، كما يلتزمون الياء في جميع الأحوال رفعا ونصبا (٣) وجرا ، فان نونت النون كانت لغة بني عامر ، وإذا تنون فهي لغة عتيم (٤) .

وفي الجمع لغات أخرى غير ما تقدم :

(أ) أن يجعل كغسلين في التزام الياء وجعل الإعراب في النون مصروفا .

(ب) أن يجعل كهرون في التزام الواو وجعل الإعراب على النون غير مصروف للعلمية وشبه العجمة : ﴿

(ج) التزام الواو وفتح النون مطلقا (٥) وقد ساق علماء العربية شواهد من التراث نظما ونثرا شمل تلك الحالات كما نجد شواهد كثيرة من القرآن : «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى» فقد عزي الجمع بالواو على كل حال كما هنا وهي لغة بلحارث بن كعب (٥) . غير أن النحاة يتأولون ذلك ويقولون : حقه أن ينصب (٦) .

أما حركة النون في الجمع وما ألحق به :

فهى مفتوحة في الفصحى ، وأحيانا مكسورة ، فقليل لغة وقيل ضرورة وقيل ذلك خاص بحالة الياء بخلاف حالة الرفع ، وقد ورد في التراث شواهد (٧) لذلك .

وتحذف النون للإضافة ، وقد تحذف في غير ذلك ، وخرج عليها في القرآن :

« والمقيمى الصلاة » بالنصب (الحج ٣٥) « غير معجزى الله » بالنصب التوبة ٣ « وقراءة الأعمش » وما هم بضارى به « البقرة ١٠٢) أى : بضارين . « لذائقوا العذاب » بالنصب (انصافات ٣٨) .

(١) شرح الكافية الشافية ١ / ١٩١

(٢) الهمع ١ / ١٥٥ فما بعدها . تحقيق د . عبد العال سالم .

(٣) التصريح ١ / ٧٦ فما بعدها ، وأنظر كتابنا : اللهجات العربية في التراث المستوى النحوى .

(٤) شرح الكافية الشافية ١ - ١٩٤ فما بعدها (٥) التبيان في إعراب القرآن للمكبري ٥٢ تحقيق البجاوى .

(٦) مجاز القرآن ١ / ١٧٢ لأبي عبيدة (٧) المرجع السابق ١ / ٢٠٠ ، وشرح التسهيل لابن عقيل ١ / ٤٥

* ولعل لذلك صلة بهميلهم نحو الإمالة ، ولطجتنا في مصر تلتزم الياء في جمع المذكر وما ألحق به فهى تشبه في

هذا لهجة تميم . ﴿

كما حذفت لغير إضافة في الشعر مثل :

ولسنا إذا تأبون سلماً بمدغنى ،
لكم غير أنا إن نسالم نسالم
أى بمدغنين (١) .
وقول الآخر :

لو كنتم منجدى حين استعنتكم
لم يقدموا ساعداً منى ولا عضداً (٢)

* * *

فإذا انتقلنا إلى علم المقارنات السامية في
جمع المذكر وجدنا :

١ - في العربية ون : في الرفع ون-ين في

النصب والجر .

٢ - في الأوكريتية (٣) : وهي أقرب
اللغات السامية إلى العربية ، إذ إن علامة جمع
المذكر السالم فيها wma أو -وم في الرفع و-
Ima أو -يم في النصب والجر مع استبدال
النون العربية بالميم .

ووجه الشبه بين اللغتين :

(أ) علامة الإعراب في العربية تسبق
علامة الجمع وهي : الواو في الرفع والياء في
النصب والجر .

(ب) نهاية علامة الجمع تلازم الفتح في
العربية كما تلازمها في الأوكريتية .

(ج) علامة الجمع تكون على صورتين
إحداهما بالواو للرفع والأخرى بالياء للنصب
والجر .

(د) تشير علامة الجمع (م) في
الأوكريتية إلى شبيبتها في العبرية التي تكون
(يم) في جميع الأحوال .

٣ - أما الأكديّة (٤) والآشورية فعلامة
جمع المذكر على صورتين :

(أ) Anw للرفع وتقابل -ون العربية ،
إلا أن الأكديّة تظهر حركات الإعراب على
آخر النون وتلازم ما قبلها الفتح ، أما العربية
فبالعكس .

(ب) Ani للنصب والجر ، وتقابل -ين
العربية مع إظهار الحركة على آخر النون
ولزوم ما قبلها الفتح بعكس العربية ، وأحياناً
نجد الواو علامة الحالات الثلاث في
الأكديّة القديمة والوسطى .

(ج) وفي البابلية : الواو والنون رفعا والياء
نصباً وجرّاً (٥) ومعنى ذلك أن اللغتين البابلية
والعربية تشتركان في أدق وأقدم الظواهر
السامية مثل التثنية والجمع .





٤ - أما في الآرامية والسريانية ففي جمع
المذكر تكون in أى بالياء قبلها وتشبه في ذلك

(١) شرح التسهيل لابن عقيل ٤٦ / ١ (٢) الجمع ١ / ١٦٩ تحقيق عبد المال سالم .
(٣) انظر صيغ الجموع في اللغة العربية مع بعض المقارنات السامية . د . باكية رفيق حلمي . ط الأديب
البيداديّة ١٩٧٢

(٤) في قواعد الأكادية انظر : فون سون : روما ١٩٥٢ م .
Grundriss der akkadischen Grammatik. W. Von Soden.

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية ١٢ / ١٨٩ - ١٩٠

العبرية مع استبدال الميم العبرية بالنون وسكون الآخر؛ شأن بعض اللغات السامية وبعض اللهجات العربية المعاصرة، حيث لا تستخدم حالة الرفع، وربما يرجع ذلك إلى سهولة صوت الكسرة عن الضمة، وتحذف النون في حالة التركيب، ولدينا آثار من الجمع بالياء والنون في أسماء الأماكن الآرامية.

٥- أما في الحبشية فعلامة الجمع AN وهي تلازم حالة واحدة وربما كانت هذه الألف أقرب إلى الواو أو ه في مرحلة ما ثم تطورت إلى الألف وهي تقابل IN في الآرامية و  في العبرية و  و  و  ين في العربية.

٦- وفي العبرية يضاف (يم) إلى نهاية المفرد المذكر. ولدينا جموع عبرية بالياء والنون وردت في أسفار العهد القديم المتأخرة وفي نصوص شعرية (١).

٧- وفي السبئية (٢) يلحق آخر الاسم (ن) ويرجح غويدي أن تكون حركاته موافقة لحركات نون الجمع العربي أي (ون) في الرفع و(ين) في النصب والجر.

٨- وفي الاحيائية والثمودية والصفوية (٣) نجد علامة جمع المذكر فيها INum وهي في ذلك كالعربية تماما. وأحيانا نرى العلامة Ay كنهاية للجمع. ونون الجمع تسقط فيها للإضافة ويقول بعض الباحثين (٤): إننا لانستطيع تعيين حركة النون لعدم وجود الشكل والعلامات التي تعين الحركة داخل الكلمة فلاندرى أكانوا ينطقون بها: ون un أو ين in أم كانوا ينطقون به بصورة واحدة؟

ومثاله: أصدقن - وتعنى: أصدقون أو أصدقين - جمع أصدق.

٩- كما يختم المذكر السالم بالميم عند العرب الجنوبيين مثل (حميرم) يعنى: الحميريون و (أزدم) يعنى: الأزديون (٥).

١٠- وفي نقش جاهلي قديم وهو (النارة) (٦) يوجد في السطر الثالث (ونزل بنيه) وهو ملحق بجمع المذكر السالم، منقول به منصوب بالياء، كما يلاحظ حذف النون من المضاف والأصل: بنينه، فلما حذفت النون صارت (بنيه) وتلك قاعدة هامة في العربية الفصحى أيضا.

- (١) فقه اللغة المقارن ١٤٤ د. إبراهيم السامرائي بيروت ط ٢- ١٩٧٨
- (٢) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ١٣. أغناطيوس غويدي. القاهرة ١٩٣٠ م
- (٣) وهي لغات عربية شمالية بائدة.
- (٤) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ / ١٦٤ جواد علي.
- (٥) لهجات اليمن قديما وحديثا: ص ١٧ لأحمد حسين شرف الدين ١٩٧٠ / ط الجبلأوى
- (٦) انظر: تاريخ اللغات السامية ١٩٣ ولقنن، وتاريخ الأدب ٥٩- ٦٠ حفنى ناصف، القاهرة والتاريخ العربي القديم، طومل وآخريين، ترجمه د. فؤاد حسنين. القاهرة ١٩٥٨. والكتابة العربية والسبئية ١٣٨ د. رمزي بهلبيكي وستري في هذا الكتاب الأخير قراءات أخرى لهذا النص.

الأفعال الخمسة

وحرف الإعراب لا يلزم الحركة ، فلم يبق إلا أن تكون معربة ، ولا حرف إعراب فيها (١) .

ويرى بعض الباحثين أن النون في (يفعلان) وما على مثلها ، للحفاظ على علم التثنية والجمع والتأنيث ، فلو حذفت النون لتعرض ذلك كله للحذف أو التغيير ، فتضيع الدلالة عليه ، فالنون إذن في هذه الأفعال الخمسة إنما هي لوقاية الألف والواو والياء من الحذف أو التقصير لا للدلالة على أنها معربة مرفوعة ، والعربية حريصة على إظهار النوع والعدد ، ولهذا جاءت بالنون لإشباع الألف والواو والياء ، ففي إعراب هذه الأفعال يكتبني بالإشارة إلى ما لفاعله من صفة العدد أو النوع . أما الزمان فيشار إليه (بلم وأن) (*) .

النون في الأفعال الخمسة :

ورد حذف النون حالة الرفع في النثر والنظم :

١ - قرىء : « قالوا ساحران يظنّاهرا »
القصص ٤٨ (٢) .

٢ - قال « أتتجاجوني في الله » الأنعام ٨٠ ،
وذهب سيبويه أن المحذوف نون الرفع (٣) .

في العربية ترفع بالنون ، وتنصب وتجزم بحذفها ، وحمل النصب على الجزم ، كما حمل على الجر في المثني والجمع ، هذا مذهب الجمهور .

وقيل : إن الإعراب بالألف والواو والياء كما أنها في المثني والجمع السالم كذلك .

ورده صاحب البسيط بأنه لو كان كذلك لثبتت النون في الأحوال الثلاثة .

وقيل : الإعراب بحركات مقدرة قبل الثلاثة والنون دليل عليها ، وعليه الأخصم والسهيلي .

ورده ابن مالك بعدم الحاجة إلى ذلك مع صلاحية النون له .

وقيل : إنها معربة ، ولا حرف إعراب فيها ، وعليه الفارسي قال : لأنه لا جائز أن يكون حرف الإعراب النون ، لسقوطها للعامل ، وهي حرف صحيح ، ولا الضمير لأنه الفاعل ، ولأنه ليس في آخر الكلمة ولا ما قبله من اللامات للملازماتها لحركة ما بعدها من الضمائر من ضم وفتح وكسر ،

(١) الهمع ١ / ١٧٦ تحقيق د . سالم وانظر : الإنصاف ١ / ٣٩

(٢) وانظر حاشية الصبان ١ / ٩٧

(٣) الكتاب ٣ / ٩٩ والكافية الشافية ١ / ٢٠٨

(*) في النحو العربي ١٣٧ د . مهدي الخزومي . بيروت ١٩٦٤ .

الحنابة؟ قال : لا ، إنما يكفنيك أن تحثين
على رأسك ثلاث حثيات من ماء ثم تغيضين
على سائر جسدك .

فالمضارع مرفوع بعد أن المصدرية في
مكانين من هذا الحديث .

٢ - أن تقرأ على أسماء ويحكمها
منى السلام وأن لا تشعرأ أحدا

٣ - إني زعيم يانويقة إن نجوت من الرزاح
أن تهبطين بلاد قوم يرتعون من الطلاح

٤ - إذا كان أمر الناس عند عجزهم
فلا بد أن يلقون كل يباب

٥ - ولي كبد مقروحة من يديعى
بها كبدا ليست بذات قروح

أبي الناس ويح الناس أن يشترونها
ومن يشترى ذاعلة بصحيح (٤)

ويذهب الزمخشري إلى أن الرفع بعد
(أن) المصدرية لغة (٥) .

وقد عزيت هذه اللهجة إلى قبيلة غطفان (١) .

٣ - وفي الصحيح : لا تدخلوا الجنة حتى
تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا (٢) .

والأصل : لا تدخلون ولا تؤمنون ، لأن
لا : نافية .

٤ - أبيت أسرى وتبتي تدلكي
وجهلك بالعنبر والمسك الذكي (٣)
والأصل : تبيتين وتدلكين - فحذف
النون دون ناصب أو جازم .

٥ - فإن يك قوم سرهم ما صنعتم
سيحتلـبـوها لا قحاً غير باهل
فحذف النون

وعندى أن حذف النون في الأصل يدل
على أن الفعل لم يتم أو لم ينفذ ، بعكس بقاء
النون فيه والذي يدل على تنفيذه الفعل وتماهه .

كما ورد إثبات النون في حالة النصب
في النثر والنظم :

١ - في الحديث : « قلت يا رسول الله -
إني امرأة أشد ضغفر رأسي ، أفأنتفضه لغسل

(١) البحر ٤ / ١٦٩ . وانظر كتب القراءات في « فم تبشرون » الحجر آية ٥٤ وفي « تأمروني » سورة
الزمر ٦٤ وانظر المنصف ٢ / ٣٣٨ حيث يرى أن المخدوف هي نون الرفع . وانظر ابن يعيس ٣ / ٩١ وشواهد
التوضيح والتصحيح لابن مالك في حذف نون الرفع مجرد التخفيف ١٧٠ ومعنى اللبيب ٢ / ٣٤٤ لابن هشام . تحقيق
الشيخ محي الدين

(٢) أخرجه مسلم في باب الإيمان ٩٤ وانظر أحاديث أخرى في شواهد التوضيح ١٧١

(٣) الهمع ١ / ١٧٦ والكافية الشافية ١ / ٢١٠

(٤) انظر كتابنا : اللهجات العربية في التراث : القسم الثالث (في النظام النحوي) .

(٥) خزائن الأدب ٣ / ٥٦٠ للبغدادي ط بولاق .

حركة النون :

الأصل في هذه النون السكون . وإنما حركت لالتقاء الساكنين . فكسرت بعد الألف على أصله وفتحت بعده الواو والياء طلبا للخفة ، لاستثقال الكسر بعدها ، وقيل تشبيها للأول بالثاني والثاني بالجمع .

وقد تفتح بعد الألف أيضا، قرئ: «أعدتني أن أخرج»^(١) بفتح النون، وقرأ بها عبد الوارث عن أبي عمرو^(٢) ، وقال العكبري هي لغة شاذة ، وحسنت هنا لكثرة الكسرات^(٣) وفي إعراب النحاس^(٤) : وفتح هذه النون لحن .

وقد تضم وقرئ : «طعام ترزقانه» بضم النون^(٥) .

* * *

فإذا انتقلنا إلى المقارنات السامية :

١ - في السريانية قد استقرت على صيغة واحدة ، حيث تنتهي بالنون : تفتاون ، وتقتلين .

٢ - كما استقر الأمر في العبرية على صيغة أخرى ، حيث كانت بغير النون^(٦) :

أَبْرَجَ بِمِجْمِ (تَفْتَلُوا) ،
أَبْرَجَ بِمِجْمِ (تَقْتَلِي)

وفي القبطانية نجد الفعل المضارع المسند إلى جماعة الذكور الغائبين نجده : يفتاو (يقتلوا) ويضاف إلى آخره النون فيكون : يفتان . يفتلون (يفتلون)^(٧) .

وقد اشتملت بعض نصوص التوراة على عدة أمثلة وردت فيها النون ، واعتبرت من بقايا مراحل قديمة ، فإذا نظرنا إلى كتابنا الكريم وجدنا الآيات الآتية :

(١) «ولاتبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق»^(٨)
قرأ ابن مسعود : « وتكتمون »^(٩) .
(ب) « فإذا ن لا يؤتون الناس نقيرا »^(١٠) قرأ ابن مسعود وابن عباس وأبي : لا يؤتوا »^(١١) .

(١) الأحقاف ١٧

(٢) مختصر شواذ القراءات ١٣٩ لابن خالويه .

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٣٤ للعكبري .

(٤) ١٥٢ / ٣

(٥) الهمع ١ / ١٧٧ تحقيق د . سالم .

(٦) من أسرار اللغة ٢٧٣ د . إبراهيم أمين ط السادسة .

(٧) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ / ٩٧ د . جواد علي .

(٨) البقرة ٤٢

(٩) البحر ١ / ١٨٠

(١٠) النساء ٥٣

(١١) مختصر شواذ القرآن ٢٧ لابن خالويه ، والبحر ٣ / ٢٧٣ ومعانف القراءات ٢٧٣ / ٢٧٣ وتفسير الرازي ٣١ / ٢٥٣

(ج) : « وإذن لا يابسون خلافتك إلا قليلاً »^(١) « لا تسفكون » مثل « لا تعبدون » في وفي قراءة ابن مسعود وأبي « لا يلبثوا »^(٢) . في الآية السابقة .

وبعد هذه المقارنات بين العربية وأخواتها الساميات في لاحقة المثني والجمع يظهر :

١ - أن نهايات المثني في الساميات كانت مكونة من حركة طويلة أو مركبة + يم في العربية . أو نون في سائر اللغات السامية الأخرى وتسقط الميم أو النون في الإضافة ، وتكون ساكنة في اللغات السامية باستثناء العربية الشمالية حيث تكون مكسورة أو مفتوحة أو مضمومة نادراً .

وقد تكون الحركة السابقة للميم أو النون مركبة كما في العربية

... لا تسفكون ...

والعربية ين (لنصب والجر) وقد تكون طويلة كما في العربية الشمالية تان (لرفع) والأكدية ān للرفع . ولا يعرب المثني إلا في العربية الشمالية والأكدية حيث تستعمل نهايتان إحداهما للرفع والأخرى للنصب والجر .

(د) : « وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون^(٣) إلا الله » وفي قراءة أبي وابن مسعود « لا تعبدوا »^(٤) على النهي . قال الفراء وجماعة : المعنى - أخذنا ميثاقهم بألا يعبدوا إلا الله وبأن يحسنوا للوالدين ، وبألا يسفكوا الدماء . ثم حذف : أن والباء فارتفع الفعل لزوالهما .

قال المررد : هذا خطأ ، لأن كل ما أضمر في العربية فهو يعمل عمله مظهراً .

وقال القرطبي : ليس هذا بخطأ ، بل هما وجهان صحيحان وعليهما أنشد سيبويه :

ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغي

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى بالنصب والرفع فالنصب على إضمار (أن) والرفع على حذفها^(٥) .

(هـ) : « وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم »^(٦)

(١) الإسراء ٧٦

(٢) البحر ٦ / ٦٦ ومختصر شواذ القرآن ٢٧ لابن خالويه ، والكشاف ٢ / ٤٦٢ ، وتفسير الرازي ٢١ / ٢٤ وانظر : شرح الكافية ٢ / ٢٣٨ وشرح التصريح ٢ / ٢٣٥

(٣) البقرة ٨٣

(٤) مختصر شواذ القرآن ٧ والبحر ١ / ٢٨٢ والكشاف ١ / ٧٩ ومعاني الفراء ١ / ٤٩ وتفسير الرازي ١ - ٤٠٥

(٥) تفسير القرطبي (سورة البقرة) . (٦) البقرة : ٨٤

العربية الشمالية والأكدية ، ونهاية الجمع المذكور السالم في الحبشية كما ذهب بعضهم أنها كانت في الأصل نهاية عامة للجمع ، غير مرتبطة بالجنس (١) .

كما ذهب بعض الباحثين « أن أصل هذه اللاحق كانت كلمات قائمة بنفسها ثم تحولت إلى آلات نحوية بتحويل الكلمات المليئة إلى كلمات فارغة ، فالأدوات النحوية التي تستعملها اللغات ليست إلا بقايا من كلمات مستقلة قديمة ، أفرغت من معناها الحقيقي ، واستعملت مجرد موضحات ، أى مجرد رموز (٢) » والحقيقة أن هذه اللاحق ماهي إلا رموز للتثنية أو الجمع وليست فارغة من الدلالة كما يتصور ، بل استعملت كدلالات صوتية نستدل من خلالها على فهم الباب النحوي وتحديدته .

ويرى نفر من العلماء أن هذه الزيادات واللاحق - إنما هي اعتبارية وغير منضبطة . والحقيقة أنها لم تكن اعتبارية ولا عشوائية ، وإنما بدأت غير مستقرة وقلقة ثم سارت رويدا رويدا نحو الاستقرار ، وأصبح لها مقاصد وأهداف .

ويرى بروكلمان أن نهايات المثني والجمع السالم متطورة عن نهايات أسماء المعنى مثل

٢ - كما تختلف نهايات الجمع السالم في الساميات ، وهي مكونة من حركة طويلة + ميم في العبرية ونون في سائر الساميات الأخرى . وفي الأكدية تستعمل الحركة الطويلة نهاية للجمع (tā للرفع و ā للنصب والجر) ويعرب هذا الجمع في العربية الشمالية والأكدية حيث تستعمل نهاية للرفع وأخرى للنصب والجر .

٣ - كما وضحنا فيما سبق آراء علماء العربية في علامة المثني والجمع ، وإعرابهما ، وفي النون اللاحقة بكل منهما . وكما اختلف علماء العربية فيما سبق ، اختلف المستشرقون كذلك حيث ذهب بعضهم أن عنصر الجمع السالم هو مد حركة إعراب المفرد ، وبذلك نشأت في اللغات السامية النهايات ūn و in و ān التي استعملت كنهايات للمثني وجمع المذكور السالم دون مراعاة للحالة الإعرابية التي تدل عليها حركة المفرد . وذهب نفر منهم إلى أن النهايات الأصلية للمثني والجمع السالم كانت ē للمثني المرفوع و tā للجمع المرفوع و i للجمع المنصوب أو المجرور و ai للمثني المنصوب والمجرور . كما حاول بعضهم تفسير اختلاف دلالات النهاية ām في الساميات ، فهي تكون نهاية للمثني في

(١) اقتبست هذا من : التثنية والجمع في اللغة العربية : فاروق جودي . رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة ١٩٦٥ كلية الآداب . جامعة القاهرة .

(٢) التطور اللغوي ٩٧ د . رمضان عبد التواب . ط الخانجي والرفاعي .

جموع التكسير ومما هو جدير بالذكر أن علامات جمع التصحيح جرت مجرى نهايات الضمائر وأسماء العدد ، فالعربية تجمع الضمائر بالنون تارة والميم أخرى مثل : نحن ، أنتن ، هن ، وهي تدل على الجمع وتختلف عن المفرد بزيادة النون ، أما ضمائر الغائبين والمخاطبين فهي : هم ، وأنتم ، وهما بالميم بدل النون ، كما أن ضمائر التثنية : هما . وأنما بالميم ، ومعنى ذلك أن العربية تجمع بين العلامتين : النون والميم في استعمالها للدلالة على التثنية والجمع .

هي الأقدم ، كما يرى فريق آخر أنهما نشأتا معاً في اللغات السامية ، دون أن تتطور إحداهما عن الأخرى ، والعلاقة الصوتية قوية بين الميم والنون كما أن الميم تؤدي وظيفة النون في اللهجات الجنوبية ، كما نجد الميم في نهايات الجموع المذكورة والمثنى في الأوكريتيّة .

وقد بقيت في العربية بقايا من التميم عوملت الميم فيها معاملة الحرف الأصيل بعد أن بعد العهد باستعمالها القديم مثل : شدقم . شهرم . ابنم . شجعم . حلقوم . زنيم . زرقم . خضرم . بلعوم . ومعروف كذلك قلب الميم نونا في العربية مثل : دخشم ودخشن ، بنان وبنام^(٢) ، وفي اللهجة اللبنانية الحديثة يقولون : كتابكن كتابكم ، فهم الجمع أصبحت نونا .

* * *

وفي النهاية :

ففي ما سبق من المقارنات بين العربية والساميات ما يؤكد أن هذه اللغات مرت بأدوار تطورية ، وكل دور منها يختلف عما قبله ، وظهر هذا في لواحق المثنى والجمع والأسماء الستة والأفعال الخمسة ،

أما العربية فيغلب فيها استعمال الميم للدلالة على التثنية والجمع ، بعكس الآرامية التي يغلب فيها النون . فاللغات التي تستعمل الميم في الضمائر للدلالة على الجمع تستعملها في جمع الأسماء أيضاً كما أن اللغات التي تستعمل النون للدلالة على الجمع في الضمائر نستعملها أيضاً في جمع الأسماء . وقس على ذلك صيغ العقود وألفاظ العدد^(١) .

أما الميم والنون في نهايات المثنى والجمع السالم ، فهي نون (التنوين) وميم (التميم) ولكن أيهما أقدم ؟ فبعضهم يرى أن الميم هي الأصل وأن النون متطورة عنها ، وآخرون من المستشرقين يرون أن النون

(١) الجموع في اللغة العربية ٢٣٩ ، ٢٥٤ د . باكيزة حلمي

(٢) زيادة الميم في بعض كلمات اللغة . الشيخ عبد القادر المغربي (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ٣ ج ٣

سنة ١٩٢٣) .

وبعض الأدوار فيها أسرع وبتضمها الآخر
تلكاً أو جمده لظروف اجتماعية أو غيرها ،
كما أن الإعراب بالحروف لم يوجد دفعة
واحدة ، بل تطور في أدوار ، فوجد الألف
أو الواو أو الياء ، ثم بعد فترة وجدت
النون ، ودليل ذلك :

١- هما خطنا اما إيسار وممة

وإما دم والقتل بالحر أجدر

٢- خليلي ما إن أنما الصادقا هوى

إذا خفتا فيه عدولا وواشيا

فقد أجهاد النحاة أنفسهم في التخريج
والتأويل ، وأن النون حذفت للإضافة
المقدرة في الشاهد الأول ، كما حذفت
النون في الشاهد الثاني للاقتصار ، والحقيقة
أن هذه الحالة كانت طريقة الأداء الأولى
في التعبير بالمشي ، وبعض النحاة لمس هذه
الحقيقة عندما رأى أن حذف النون جاء
على لغة بعض القبائل لغير ما يستدعي
حذفها ؛ كالإضافة لعدم وجود النون كان
مرحلة من المراحل في المشي لم يتنبه له
بعض النحاة .

كما لا شك فيه أن الإعراب بالحركات

كان أولاً ثم تطور إلى الإعراب بالحروف ،
ثم مر دور اجتماع فيه الإعراب بالحركات
مع الإعراب بالحروف ، ومن ذلك ما روى
عن السيدة فاطمة رضي الله عنها : يا حسنانُ
ويا حسينانُ ، وهي ولاشك لغة بعض
القبائل .

ومن التطور في ملحق الجمع السالم
تستطيع أن تأخذ شاهداً واحداً من التراث
لتجد فيه خلافاً للقبائل العربية^(١) وموقف
النحاة منها ورصد مظاهر هذا التطور ،
وتحديد موقعه الزمني أمر نافع في إعادة
بناء النحو وتخليصه من ذيول الخلاف
وتعدد الوجوه ، ويمكن أن تدرس هذه
الشواهد على هدى من طقولة اللغة ونضوجها .
على أن الساميات ومنها العربية لم تلتزم
بنظام علامات الإعراب من حركات
وحروف إلا في مرحلة نضجها أما في
مراحلها الأولى فكانت غير منضبطة^(٢)
تماماً ، يؤكد ذلك ما يفترضه Wright
من أن التثنية كانت تقسم بإلحاق واو ونون
في حالة الرفع وألف ونون في حالة النصب
وياو ونون في حالة الجر ، وأن هذه العلامات
تقلصت إلى الاثنتين المعروفتين^(٣) .

(١) انظر : شواهد : سنين - وما ورد فيها من الإعراب في : معاني الفراء ٢ / ٩٢ و البحر ٥ / ٥٦ ؛
والجمع ١ / ١٥٩ تحقيق سالم . وشرح التصريح ١ / ٧٦

(٢) اللغة والنحو ٥٧ د . حسن عون . ط أولى

(٣) Lecture on the Comparative Grammar of the Semitic Languages P. H 9.

ويمكن أن نفترض إلزام المشي الألف في الحالات كلها على لغة بالحارث بن كعب تقلصا آخر^(*).

ومن هذا ما تجده في الأعداد من (٢٠ - ٩٠) فالأصل في لفظ عشرين وهو ملحق بالجمع السالم - أن يكون مشي ، وذلك لأن العشرين ضعف العشرة ، لكن صيغة المشي هذه لم تثبت أمام صيغة الجمع التي نجدها في ثلاثين وما بعدها حتى تسعين وثلاثت صيغة المشي وحلت محلها صيغة الجمع ، وشأن العربية في هذه الظاهرة شأن العربية والآرامية مثل (لبليبا) (١٠)

(عسبريم) وفي الآرامية : عشرين اكننا نجد العكس في كل من الحبشية والأكادية إذ نجد صيغة المشي هي التي سادت وعممت في أسماء الأعداد حتى التسعين مثل : بم ستم (عشرا) (١١) ،

ومما هو جدير بالذكر هنا أن بعض القبائل العربية اتخذت (آن) لاحقة للجمع أيضا يؤكد هذا ماجاء عنهم « مرت بنا غيمان سودان وسود » معاني الفراء ٣ - ١١٢

ومن ذلك أننا نرى ألفاظا بصيغة الجمع وهي للمشي كتقولهم : فلان عظيم المناكب ، ورجل غليظ الخواجب . وليس للإنسان إلا منكبان وحاجبان ، ومن ذلك قوله تعالى : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما » بلفظ الجمع ، ولها قايان :

كما يمكن تسجيل درجات التطور في صيغة طحجية لقبيلة عربية وهم (بنو الحرماز) من تميم فقد كانوا يلزمون صيغة ممتوتين^(٢) الياء والنون مع المفرد مذكرا كان أو مؤنثا ومع المشي والجمع بنوعيهما فجعلوا حركات الإعراب تتعاقب على النون فقالوا : هانراجل ممتوتين وامرأة ممتوتين ورجلان ممتوتين وامرأتان ممتوتين ورجال ممتوتين ونساء ممتوتين .

أما عامة العرب باستثناء (بنو الحرماز) فقالوا في المفرد هذا رجل ممتوتى ورجلان ممتوتيان وفي الجمع ممتوتون بالرفع ، وممتوتين بالنصب والجر .

(*) ومن تقلص الحركات الإعرابية أن الحركة الواحدة تقوم بوظيفتين ، كما في الممنوع من الصرف (الفتحة) وجمع المؤنث السالم (الكسرة) .

(١) العدد في اللغة العربية . د . فؤاد حسنين . مجلة كلية الآداب ج ١٢ ديسمبر ١٩٥٠ وانظر : Uman, Ethiopic Grammar. Translated by. James A. Grichton. P 290, 291. London, 1907.

(٢) معناها : الخدام . وفي الصحاح ٦ / ٢٤٥٩ « وهم الذي يعملون للناس بطعام بطونهم »

(فالحرمازيون) خالفوا العرب عامة في كون النون معتقب الإعراب كما حذفوا ياء النسب في مقتوى. ويقول سيبويه في ذلك: «وليس كل العرب تعرف هذه» (١) الكلمة «أما شاهد لغة عامة العرب تقول شمر: «المقتوون: الخدم. واحدهم مقتوى» وأنشد:

أرى عمرو بن ضمرة مقتوياً

له في كل عام بكرتان

ولقد علل الرضى مخالفة (بنى الحرماز) لبقية العرب في هذه الصيغة، ولعل تعليقه هذا يبرر موقف بنى الحرماز من استعمال تلك الصيغة الشاذة (٢) على أن كثرة الشذوذ التي كثرت في هذا الباب مردها إلى تدرج اللغة وتطورها.

كما يمكن لمخ درجات التطور في لواحق الجمع وما أشبهه في شرط النحاة لجمع المذكر «أن يكون عاقلاً» (٣) وبالنظر لآيات القرآن المعجز نراها قد تضمنت أبنية لجمع المذكر السالم لغير العقلاء من ذلك:

١ - «والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين»

٢ - «قالنا آتينا طائعين» ٣ - «لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين» .

كما نجد ألفاظاً كثيرة تفتقر إلى العقل الذي يشترط لجمع المذكر السالم - نجدها جمعت بالواو والنون والياء والنون، كإعراب الجمع السالم (٤)، ومن ذلك ألفاظ العقود (٥)، كما أن جمع المذكر السالم في كل من الحبشية والأكادية والعبرية والسريانية وغيرها لا يصاغ للعقلاء وحدهم، بل يشمل لغير العقلاء:

(١) في לְיָמֵי (Lizy) فروف

على עַל־יָמֵי (Lim) فراق

كما تجمع בְּיָמֵי

(Kebes) كيش على בְּיָמֵי

(Kvashim) كياشي

(ب) وفي الحبشية تجد hadas حديث أو جديد وجمعها hadasan

(١) الكتاب ٢ - ١٠٣

(٢) انظر النحو والصرف بين التميميين والحجازيين د. الشريف عبد الله الحسني: رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة بجامعة أم القرى. وانظر صيغة أخرى لأعرابي من قبيلة (غني). وآخر لأعرابي (قيس) في بحثنا بمجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي بمكة المكرمة عدد ٦ وعنوانه «دراسة حول ثلاثة مصطلحات في دراسة اللهجات» ص ٨٣ هامش.

(٤) الجمع ١ / ١٥٥ فما بعدها. تحقيق د. سالم.

(٣) انظر كتب النحو العربي

(٥) المرجع السابق ١ / ١٥٦

(ج) وفي الأكدية تجمع alu «مدينة»
alamu مُدُن .

فهذا وغيره يؤكد عدم وضع جمع
المذكر السالم للعقلاء أصلاً^(١) كما يرى ذلك
علماء النحو العربي - أما الواو والنون أو
الياء والنون فهي تدل على جمع العقلاء وغيرهم
كما سبق ذلك في العربية والساميات ، ثم
تطور هذا الجمع في العربية أخيراً وتخصص
للعقلاء .

وهناك تعليقات كثيرة في كتب النحو لما
حذفت لامه وكان مؤنثاً وكان لام الفعل
حرف عله ، وجمع بالواو والنون أو
الياء والنون مثل : ثبة وظبة ومثة ورثة
وسنة وعضة وعظة وعزة ، فقد قالوا « فإذا
أدخل في جمع - الواو والنون - شيء ما
ليس مذكراً عاقلاً ، مثلاً ذكرت لك
فإن ذلك كما يقول ابن جني حظ نالته
تلك الألفاظ ، وفضيلة خصت بها ، فلهذا
صار جمع ثبة ومثة وسنة ونحو ذلك
بالواو والنون تعويضاً لها من الجهد والحذف
اللاحق بها » .^(٢)

والنون فقييل : أرضون عوضاً عن حذف تاء
التأنيث ، لأن الأصل أن تقول في أرض :
أرضة فلما حذفت التاء جمعت بالواو والنون
عوض عنها كما يرى ابن جني أنهم جمعوا
هذه الألفاظ جمع مذكر سالماً ، وإن كانت
الواو للمذكر العاقل ، وهذه مؤنثة غير
ذات عقل ، ولكنهم فعلوا ما فعلوا توسعاً ،
وعلى ضرب من التأويل ، فإن جاء له نظير
فقد عرفت طريقة ، وإن لم تسمع له
نظير لم تقس عليه غيره ، لأنه لم ينفذ في
بابه^(٣) .

والمعروف في جمع هذه الصيغ أن
تكون بالألف والتاء؛ قالوا في سنة (سنوات)
وفي ثبه (ثبات) وقلات ومئات هذا هو
الوجه في جميعها؛ لأنها أسماء مؤنثة بالتاء .
ومال بعض العلماء في علة جمع أرض على
(أرضون) أن ذلك على سبيل الاستعظام
كقول الشاعر :

لقد ضجت الأرضون إذ قام من بني
سدوس خطيب فوق أعواد منبر

وبعضهم يعلل هذه المؤنثات السابقة بالواو
والنون فقال : إنما جمعت أرض بالواو

(١) مشكلات لغوية ٧٨ د . شوقي النجار . ط أولى . تهاة .

(٢) مشكلات لغوية ٨٨ نقل عن سر صناعة الإعراب ٢ / ٥٦ ؛ مخطوطة برقم ١٩٧ لغة تيمور وانظر :

Palmer E.H., A. Grammar of Arabic Language P. 107. London, 1984 .

ولم الأداة في أصول النحو ١٣٤ للأنباري . تحقيق سعيد الأفغاني - ط الجامعة السورية

(٣) مشكلات لغوية ٩٢ نقل عن : سر صناعة الإعراب ٢ / ٤٦٨ .

كما علل ابن جنى (١) جمع تلك الملاحظات المؤنثات بالواو والنون لغرض قصدوه قصداً ، وهو إعلام السامع أن هذه الكلمات ليست كغيرها مما لم يجمع بالواو والنون من المؤنث ، وإن ذلك عادة عندهم متى أرادوا أن يعلموا اهتمامهم بأمر وعنايتهم به أخرجه عن بابه ، وأزالوه عما عليه نفاثره .

وخلاصة ما سبق أن اللغات العربية والساميات أخواتها ، مرت بمراحل كانت الواو والنون فيها لاحقة تدخل على المؤنث والمذكر على السواء ، وما كانت هذه اللاحقة تعنى جنساً ، وإنما كانت تعنى الجمع أو الكثرة (٢) ، ثم بعد ذلك بفترات تاريخية طويلة تحددت هذه الواو لإفادة معنى الجمع والكثرة في المذكور

وحدهم ، وبعد فترة زمنية خصصت العربية هذه اللاحقة بالعقلاء المذكورين دون غيرهم ، ومعنى هذا أن اللغة العربية ترقى ترقياً كبيراً ، واكتمل فيها ما لم يكتمل في أخواتها الساميات ، وحفظت لنا صوراً أكثر من أخواتها وأنضح ، لتغطية الأحداث والمتطلبات فينمى بها العربي حين تضطره الحاجة إلى ذلك لتحمل معانى حضارية تدل على الاستقرار واتساع الحياة . والحقيقية أن العربية حين تبنت هذه الواو ، قد استعانت بها لإتمام ثروتها اللغوية بحيث تؤدي كل لاحقة المعنى المراد ، وكانت بمثابة المفاتيح التي لا تقل عن المفاتيح الموسيقية ، وذلك حين عبرت كل لاحقة منها عن أداء مميز ومعنى ثابت وقيمة تعبيرية .

(١) مشكلات لغوية ٩٤

(٢) في العربية والعبرية والسريانية كثير من المؤنثات جمعت جمعاً مذكراً في العربية

נָמְלָה

n'malim

n'mālā نَمَلَةٌ . وجمعها

נָמְלָה

נָמְלָה

وفي السريانية تجمع كلمة melta على melle . كما رأينا في الساميات كلمات جمعت مرة جمعاً مؤنثاً وأخرى جمعاً مذكراً ، فقد جمعت العبرية

nāhār

נָהָר

n'hārott وفي السريانية Roha

וְנָהָרִים

n'hārim

נָהָרִים

نهر على

روح وجمعها Rohata أو Rohe وفي العربية : أرض وجمعها : أرضات وأرضون . انظر : مشكلات لغوية ٩٤ فما بعدها .

التفرق أو الخلاف بين الساميات والآرية
في تلك الواحق إلا من نوع الفروق التي
يحدثها التطور اللغوي في بناء اللغة الواحدة ؛
إذ ليست اللغات السامية إلا فروعاً
للجذع العريق الذي هو العربية .

هذا وقد تنبه الخليل (ت ١٧٥ هـ) إلى مثل
هذا بقوله : « وكنعان بن سام بن نوح ،
ينسب إليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة
تضارع^(٢) العربية » كما أدرك ابن حزم ٤٥٦ هـ
وغيره علاقة القرى بين الساميات والآرية
أيضاً^(٣) .

أحمد علم الدين الجندى
الخبير بالمجمع



كما ظهر لنا مما تقدم من البحث وطرقه
ومقارناته أن العربية تجمعها بالساميات
جذور مشتركة وخصائص متقاربة^(١) ومعنى
ذلك أن الظواهر اللغوية في العربية لم تأت
من فراغ أو موضوعة بعد الإسلام ، ولكن
لها ماض يرجع إلى أكثر من ٢٥٠٠ ق . م

كما أن هذه الدراسة أكدت التشابه بين
اللغات السامية ، ومنها العربية ، كما وضحت
الصلات اللغوية بينها في لواحق المشي والجمع
والأسماء الستة والأفعال الخمسة ، وليس

(١) كما ثبت أن الأنظمة الاجتماعية والعقائد الدينية عند الساميين تكاد تكون واحدة . انظر : حضارة
مصر والشرق القديم ٣٧٧ د . إبراهيم زرقانة وآخرون .

(٢) كتاب العين ١ / ٢٣٢ للخليل بن أحمد . تحقيق د . عهد الله درويش

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ١ / ٣٠ فما بعدها وانظر البحر المحيط ٤ / ١٦٣ في توافق الحبشية والعربية
في القواعد وبعض التراكيب النحوية كحروف المضارعة وتاء التأنيث وهمزة التعدية . وانظر .

Moscatti and others, An introduction to the Comparative Grammar of the Smetic
Languages, P. 142 ; oP. cit. P. 85.

وانظر : البراهين الحسية على تقارص السريانية والعربية : أغناطيوس يعقوب الثالث

درها الصواب والخطأ في النحو والأسلوب للكنوز تمام صان

سلطة يشرع بها للغة ، ولا معياراً يحدده هذا النحوى ليلزم أصحاب اللغة ومستعملها مهما كان هذا المعيار منسجماً مع تقلب العلاقات السياقية . نذكر إذاً أن تكون القاعدة معياراً في يد النحوى ، وإن وجب لها أن تكون معياراً في يد معلم النحو ، معنى ذلك أنه يطلب إلى النحوى أن يقول : العرب تقول كذا ، وتقدم هذا على ذلك ، وترفع هذا وتنصب ذلك الخ ولا يقبل إلا من المعلم أن يقول : يجب كذا ويجوز كذا ويمتنع كذا فأولى للباحث (وقد كان النحاة باحثين في لغة العرب) أن ينظر إلى مشكلة الصواب والخطأ من زاوية اجتماعية ترى في الاستعمال سنة متبعة ، وأولى بالمعلم أن ينظر إلى المادة اللغوية من زاوية فرض القاعدة على الاستعمال فإن وافقها كان صواباً وإن خالفها كان خطأ ، فالباحث يستنبط القاعدة بالمنهج العلمى من مادة الاستعمال (المسموع) والمعلم يفرضها بالمنهج التعليمى على هذا الاستعمال نفسه .

للصواب والخطأ زاويتان نظر لإحدهما ترتبط بصناعة النحو ، والأخرى تتعلق بأسلوب الاستعمال اللغوى ، أى أن لإحدهما فنية والثانية اجتماعية فأما من وجهة النظر الأسلوبية الاجتماعية فالصواب ماوافق الشائع في الاستعمال والخطأ ما ند عنه . ولاشك لدى أصحاب هذه النظرة أن القاعدة ضابط مستنبط من كلام العرب ، وأن استعمالات العرب سنة متبعة تستند إلى سلطان العرف وأن بين الضابط الذى يصعبه النحاة وبين السنة المتبعة التى يفرضها العرف وفاقاً فى الأغلب الأعم من الحالات ، وخلافاً فى حالات أخرى هى الأقل بالنسبة إلى ما يقابلها فى كلام العرب .

والقاعدة تاخيص لتقلب العلاقات بين عناصر السياق وما يصاحبه هذا التقلب من تعبير فى مبانى اللغة ، ومن ثم تكون القاعدة وصفاً لهذا التقلب ، ولكنها ليست قانوناً يسنه النحوى بما أعطاه العلم من

(*) ألقى البحث فى الجلسة الرابعة ٢ / ٥ / ١٩٨٥ م .

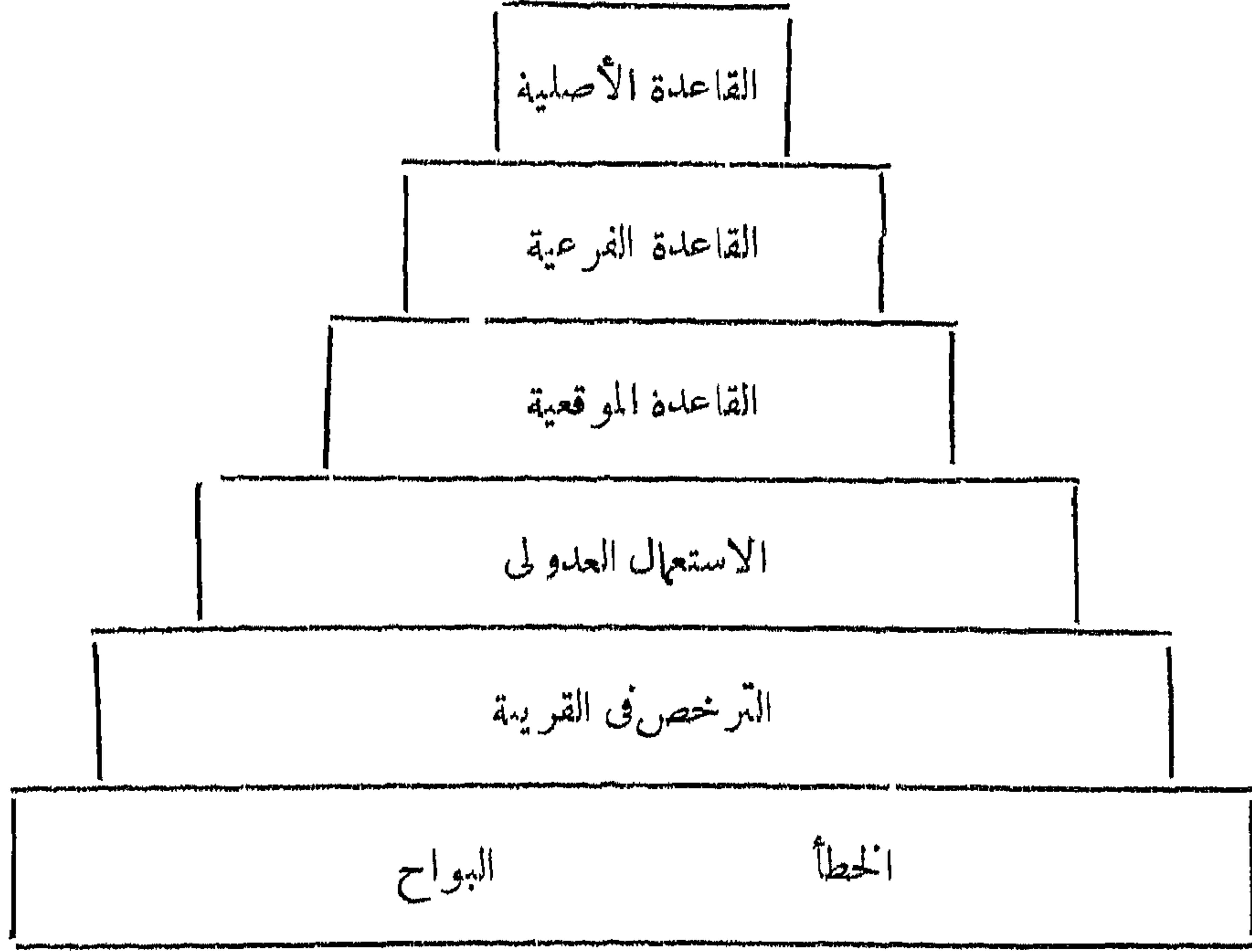
وصاحب السليقة كالباحث لا يهتم للقاعدة إذا عرفها أى قدر من الاهتمام ، مادام حدسه اللغوى (الذى نسميه السليقة) يرى الصواب فيما قيل وتلك هى القضية التى كانت مشار المشاركة بين الفصحاء والطاعين على العرب ، كالذى كان بين الفرزوق وابن أبى إسحق ، إذ قال الفرزوق له : « عاينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا » ويبدو أن النحاة وقدا كتتمل فى أيديهم وصف بنية اللغة ، فأوا صدف قواعدها ، أعجبوا منذ البداية أشد الإعجاب بما استخرجوا من قواعد النحو ، ومن ثم دافعوا دفاعا غيورا (كما فعل ابن أبى إسحق) عن هذه القواعد ، وعن إطلاقها فى اللغة وتطبيقها على صورة تنسم بالشمول ، كما لو كان كل الاستعمال مسرحا للاطراد أو يبعى أن يكون كذلك

ولكن معترك اللغة أوسع من أن يخص لصوابط النحو ، ويرجع هذا إلى أسباب متعددة ، ليس أهونها طموح الأدباء والشعراء إلى الترخص والابتداع ، ولا ما وقع فيه النحاة أنفسهم من التماس الاطراد فى لهجات العديد من القبائل وقد علموا أن كل لهجة قبيلىة من هذه القبائل تستقل بطرقها الخاصة ، فلا يمكن أن يستخرج نحو واحد من صور استعمالية متعددة ومع هذا ليس من طبيعه اللغة (أى لغة) أن تسلم نفسها إلى قواعد كبرى لاتقبل الاستثناء ، ومن ها كان من

صلب عمل النحاة أن يقيدوا كبريات القواعد باستثناء هنا ، واستندراك هناك وشرط فى موقع ثالث ، وأن يصوغوا قاعدة لكسر قاعدة أخرى ، أو يقعدوا لعدول عن الأصل ، يتقبلوا أسلوبا فصيحاً عدل به عن الأصل ثم يتأولوه بالتبرير والتأويل ثم كان عليهم أن يضعوا كل ذلك جنبا إلى جنب فى إطار نحو واحد ، وأن يفضوا الطرف عن التضارب بين قاعدة وقاعدة ، ويبرروا تجاوز القاعدتين المتصاريتين بأن إحداهما أصلية والثانية فرعية ، أو أن إحداهما مطلقة والأخرى قيد على هذا الإطلاق . وأخيرا كان عليهم أن يرتضوا بعض الخروج على هذه القواعد لأعراض أسلوبية ، وأن يرفضوا بعضا آخر لكونه شادا أو قليلا ، أو نادرا ولغة لحي بعيهم من أحياء العرب وأن يحكموا على ما خالف قواعدهم عدا كل ما سبق بأنه خطأ من الخطأ ، لاتقبل فيه شفاة التأويل ، ولا تبرره الشواهد القليلة

ذلك كان موقف النحاة من جانب ، والعرب الفصحاء من جاب آخر ، أما نحن فلما موقف نظرى آخر نشرح فيه تدرج الصواب والخطأ على مساحة تشمل الموقفين جميعا ، بدءا بالقاعدة المحكمة ، وانتهاء بالسنة المتبعة ، ولقد يمكن أن نقدم للكلام فى هذا الشرح برسم بيالى ممد به تمهيدا حسنا لما ننوى

أن نتقدم به من شرح ، وفيما يلي ذلك الرسم المذكور :



عبر ابن مالك عن ذلك بقوله « ولا يجوز الابتداء بالنكرة » ولكن هذه القاعدة تنفرح عنها قاعدة أخرى مستثناة منها ، وهي جواز الابتداء بالنكرة إذا أفادت ، وهذا ما عبر عنه هو أيضا بقوله « ما لم تفد » . ومعنى قوله « ما لم تفد » هو ما يفهم من عبارة أخرى نقول : « إلا إذا أمن اللبس » والسؤال الآن هو : كيف يتحقق أمن اللبس ؟ ويمكن الإجابة على هذا السؤال بواسطة النظر إلى ما قدمه ابن مالك نفسه من أمثلة ، ليرى الطرف المختلفة التي تحقق بها أمن اللبس على رغم الابتداء بالنكرة ، وفيما يلي نورد أمثلة ابن مالك والتعاقب على كل منها .

(١) « عند زيد عمرة » إذا تأملنا هذا

فالقواعد الأصلية هي القواعد الكبرى كقواعد الاختصاص ، والافتقار والرتب المحمودة وتعلق الحار والمحرور ، ومطابقة البعث الحقيقي ، وبناء الحملة من ركبن ، وعود الصمير ، وامتناع الخذف عند عدم الدليل ، واجتناب ما يؤدي إلى اللبس المح فذلك كله من القواعد الكبرى في النحو العربي ، ولكن من القواعد الأصلية ما تنفرح عنه قواعد فرعية منشؤها واحد من أمرين :

(١) الحرص على أمن اللبس .

(٢) المحاملة على أصل من أصول

الصناعة

والأمثلة على ذلك كثيرة في النحو العربي نورد منها الطائفة التالية .

١ - القاعدة العامة : « المتبدأ معرفة » وقد

المثال وجدنا الظرف مقدما على المكرة المرفوعة ومن المطلوب عند رؤية الظرف أو الجار والمجرور أو سماعهما أن نبحث لهما عن متعلق ولكن ليس في الجملة مع الظرف «عند» إلا المكرة «نمرة» وهذه المكرة جامدة لا تصلح لأن يتعلق بها ظرف أو محرور، ومن ثم يصرف الذهب إلى تقدير كلمه أخرى ليتعلق الظرف بها، فإذا قدرنا هذه الكلمة وحدناها واصفة للمكرة المتأخرة لفظا في الجملة ونحن نعلم أن الخبر وصف للمبتدأ في المعنى، وأن هذه الكلمة المقدرة لا تصلح نعتا بسبب تقدمها على المكرة ولا تصلح حالا لتقدمها وارتفاعها وتنكير المكرة فلم يبق إلا أن تكون هذه الكلمة خبرا مقدما والمكرة مبتدأ مؤحرا هكذا يتبادر المعنى إلى الذهن دون الدخول في مضايق تحليل نحوي شبيه بما قدمنا، وهكذا يؤمن اللبس، وتتحقق الإفادة التي قصدها ابن مالك.

(ب) «هل فتى فيكم» لا يحهل من يستعمل اللغة العربية أن «هل» أداة استفهام، وأن الاستفهام لا يصب على المفردات، وإنما يتجه إلى إساد الجملة فوجب عدلثذ

أن تكون «فتى فيكم» جملة بسبب دخول «هل» عليها وإذا كانت جملة هي ليست فعلية لعدم وجود فعل في تركيبها، وإذا تكون جملة اسمية من مبتدأ وخبر وإذا كانت عبارة «فيكم» لا تصلح مبتدأ فلا بد أن يكون المبتدأ عنصرا آخر من عناصر الجملة، وليس في الجملة عنصر آخر إلا كلمة «فتى» وهكذا أم اللبس فابتدى بالانكارة.

(ح) «ما حل لنا» في هذا التركيب حرف إنفي، والسي إنما يدخل على الحمل وما قيل في «فتى فيكم» يقال في «حل لنا» لتشابه التركيب فيهما.

(د) «رحل من الكرام عندنا» التخصيص مرحلة وسط بين التنكير والتعريف وإذا كانت المكرة تعرفها الأداة أو الإضافة المحضة، فإنها يخصصها الوصف في التخصيص، كما في التعريف تضيق لعموم الدلالة التي كانت للمكرة، وليس إلا اختلاف بين التخصيص والتعريف في مجال تضيق عموم الدلالة إلا اختلاف في الدرجة فقط. وإذا كانت الحمل بعد النكرات صفات فإن شبه الجملة يصدق عليه ما يصدق على

الحملة وهكذا تكون عبارة « من الكرام » قد وصفت « رجل » ومخرج بوصفه بها من ليس كريما من بين الرجال ، وأصبح مدلول « رجل » أضيق مما كان لأنه أفادنا بالوصف قدرا من التعيين جعله صالحاً لأن يخبر عنه بالظرف أى أنه حين أمن اللبس صح الابتداء بالانكارة .

(هـ) « رغبة في الخير خير » إنما يكون تعلق الطرف والمحذور بالمصادر والمشتقات من أفعال وصفات وواضح أن معنى تعلق الظرف والمحذور بأحدهما الأمور يجعلهما من تنمة معناه ، فلا يتم معناه إلا مع تصور ارتباطهما به دون غيره وإذا قلت « اشتريت ضيعة لأخي » فإن المعنى يختلف باختلاف تعليق الجار والمحذور وإذا علقنا المحذور بالفعل فالمعنى أن الشراء كان من أجل الأخ ، أما إذا علقناه بصفة محذوفة فإن الشراء يكون من الأخ بعد أن كانت الضيعة ملكه ويترتب على تعليق الجار والمحذور أيضا تصيبي دلالة ما تعلقا به ، ففي قولنا « جلس زيد » عموم في معنى الجلوس لا يعرف معه « أين » ولا (« متى » ولا « لماذا » ولا

« كيف » جلس ، ولكن هلنا العموم في المعنى يضيق بقولنا : « جلس زيد على الكرسي » وذلك بالإجابة عن « أين » على الأقل هكذا يكتسب الجلوس قدرا من التحديد ، يصبح الفعل معه أوضح مما كان ، وهذا ما يرد أيضا على المصدر « رغبة » فلسنا نجد كبير فائدة في عبارة « رغبة خير » برفعهما وتنوينهما ولكن تصييق معنى الرغبة بواسطة ذكر الجار والمحذور المتعلقين بها يعطى الكلمة من التحديد في المعنى ما يقربها إلى المعرفة وهنا يذهب اللبس ، ، يصبح الابتداء بالانكارة محققا للمائدة

(و) « عمل برزين » إذا أضيفت الفكر إضاهوه محضة إلى المعرفة اكتسبت التعريف ، وإذا أضيفت إلى النكرة اكتسبت التخصيص وقد عرفنا منذ قليل أن التخصيص مرحلة على طريق التعريف ، وأنه إن كان دون التعريف أثرا في المعنى فهو صنو للتعريف على أى حال وهكذا تكون النكرة المخصصة بالإضافة صالحه لأن يبتدأ بها ، لأن اللبس معها مأمون والمعنى واضح :

٢- القاعدة العامة . « لا يخبر بالزمان
عن الجثة » وقد عبر ابن مالك عن ذلك
بقوله .

ولا يكون اسم زمان خبرا

عن جثة . . .

والمعروف أن المقصود بالزمان ظرف
الزمان ، وأن المقصود بالجثة كل مسمى له
حرم مادي وربما كان السب في عدم صلاحية
الزمان لذلك أن الخبر إذا كان صفة للمبتدأ
في المعنى فهو من جهة أخرى عين المبتدأ
في المعنى ، لأن الصفة من مقومات الموصوف
وما كان من مقومات الشيء عد « عين الشيء »
وإذا قلت . «الرحل قائم» كان القائم هو الرحل
أما إذا قلت . « زيد عندك » فإن العمدية
ليست عين زيد ، ولا من مقوماته ، ولكنها
على الرغم من ذلك تتعلق بما هو من مقوماته
وهو «استقراره» فيكون التقدير : « زيد مستقر
عندك » أما إذا قلنا « زيد اليوم » فلا يمكن
أن يعد « اليوم » من مقومات زيد ، ولا يمكن
كذلك أن يتعلق اليوم بوصف يتبادر إلى
المهم كما تبادر الاستقرار إلى العمدية .

وإذا فلا وجه لتأويل ذلك ، ومن ثم يمتنع
التركيب من حيث يؤدي إلى اللبس .

ولكن هذه القاعدة العامة تتمتع عنها
قاعدة أخرى مستثناة منها ، ومشروطة بأمن

اللبس ويفهم هذا الشرط من قول
ابن مالك « وإن يعد فأخبارا » وهي
تتمتع ببيت الألفية الذي أشرنا إليه منذ قليل
ولنما تكون الإفادة وأمن اللبس إذا اصحح
المبتدأ لأن يكون مضافا إليه والمضاف
من أسماء المعاني (كالمصادر مثلا)
وعندئذ لا يكون الإخبار بالزمان إخبارا به
عن جثته وإنما يكون عن معنى فإذا قلت
« الهلال الليلة » والمعروف أن الهلال جرم
يصدق عليه أنه حثه ، صح التركيب ، لكن
على تأويل حذف مضاف إلى الهلال .
والتقدير « طلوع الهلال الليلة » أو ظهور
الهلال الليلة « ولا شك أن الطلوع والظهور
مصدران ، والمصادر معان لاحتث ، ومن
ها يكون الإخبار بالزمان في هذا التركيب
« عن معنى لاعت جثة وبهذا نصل إلى الإفادة
ونحقق أمن اللبس » .

٣ - القاعدة العامة : « أي الموصولة معربة »
وقد عبر ابن مالك عن ذلك بقوله : « أي
كذا وأعربت » ومقتضى هذه القاعدة أنها
معربة في التراكيب التالية .

(أ) رأيت أيا قادم .

(ب) رأيت أيا هو قادم .

(ح) رأيت أيهم هو قادم .

ولكن لهذه القاعدة العامة الأصلية قاعدة أخرى فرعية مستثناة منها ، هي بناء «أى» إذا أضيفت وحذف أول ركي جملة الصلة وهو ضمير وقد عبر ابن مالك عن ذلك أيضا بقوله :

... ما لم تضيف

وصدر وصلها ضميراً نحذف

وهكذا تصحح «أى» مبنية في أمثال

التركيب التالي :

(د) رأيت أيهم قادم .

وبناؤها هنا على الضم فلماذا بنيت في هذه الصورة التركيبية دون غيرها ؟ إنني أتصور الأمر هنا أيضا راجعا إلى أمن اللبس ، لأننا لو تصورنا لصلة «أى» أن يكون الخبر فيها من مادة اشتقاقية متعدية ، نحو «رأيت أيهم ضارب» لاحتملت «أى» (إذا كانت معربة مع حذف صدر الصلة) أن تكون مفعولا مقدا لاسم الفاعل «ضارب» ، واحتمل في الضمير المحذوف من صدر الصلة أن يكون «أنا» ، فيكون ما لنا إلى تقدير جملة ما يسه لا يدري معها ما إذا كانت «أى» مفعولا للفعل «رأيت» أو لاسم الفاعل «ضارب» وحكم السحو هنا كحكم المقه : «ما أسكر كثيره فقليله حرام» ، أى أنه إذا كان بعض صور التركيب ما يسه امتنع كله ، وببيت «أى» لأمن اللبس وليس هذا وارداً على المثال رقم (أ) السابق «رأيت أيا قادم» أو حتى «رأيت أيا ضارب» لأن ثمة من الأسباب ما يدعو إلى تقدير ضمير الغائب فقط في صدر الصلة ، وذلك بسبب قطع

أى عن الإضافة ، والتعويض عن الإضافة بالتنوين ، ثم ما في الاسم الظاهر «ضارب» من معنى الغيبة «لأنه في قوة ضمير الغائب وأخيراً لأن الفعل أقوى في طلب المفعول من اسم الفاعل . كل ذلك يرشح الموقع الذي بين «أى» و«ضارب» أن يحمله ضمير الغيبة ، لا التلكم ولا الخطاب . وبهذا يؤمن اللبس ولا تدعو الحاجة إلى البناء .

٤ - القاعدة العامة «رتبة الخبر التأخر

عن المتبداً» وقد عبر ابن مالك عن ذلك بقوله :

والأصل في الأخبار أن تؤخر . . .

ولكن هذه القاعدة العامة تخصصها قاعدة فرعية تقول بجواز التقديم إذا لم يترتب على ذلك لبس أو مخالفة لأصول الصناعة وقد عبر ابن مالك عن ذلك بقوله :

... وجوروا التقديم إذ لا ضرر

وهلوا الإمكان ذلك بنحو «قائم زيد» من حيث إن «زيد» معرفه و«قائم» نكرة والمعرفة أولى من النكرة أن تكون هي المتبدأ وهكذا يتقدم الخبر وهذا التأويل أولى من تأويل المثال بأن «زيد» فاعل قائم وقد أغنى عن خبره ، لأن هذا تأويل ضعيف عبر ابن مالك عن ضعفه بقوله :

... وقد

يجوز نحو فائز أولو الرشد

فقوله : «قد يجوز» دليل على ضعف التأويل وكذلك مثاوا له بنحو «قائم أبوه زيد» فلو جعلنا «قائم» مبتدأ للزم في «زيد» أن

يكون بدلا من الضمير ، ولو كان كذلك لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة ، أما لفظا فواضح ، وأما رتبة فلأن البدل متأخر عن المبدل منه في الرتبة لأنه تابع ولو أعدنا الضمير على متأخر لفظا ورتبه لنقضنا بذلك قاعدة أكبر خطرا لاتصالها بأمن اللبس من حيث ينبغي لمرجع الضمير أن يتقدم على الضمير ، ليجبر ما للضمير من عموم الدلالة على مطلق غائب أو حاضر وكذلك مثلوا بنحو « أبوه مطلق ريد » ، للسبب المتقدم نفسه ، ونحو « في الدار زيد » و « عندك زيد لأحقه ريد » بالابتداء في الحالتين : والضرر الذي يشير إليه ابن مالك بقوله « وجوزوا التقديم إذا لا ضررا » يوجب حمض رتبة الخبر من المبتدأ ولا يخلو هذا الضرر من أن يكون واقعا على أمن اللبس أو على أصل من أصول صناعه النحو ، فمن ذلك .

(أ) خوف تساوى احتمالات الإعراب بلا مرجح نحو : أحى صديقي .

(ب) خوف ضياع معنى زائد على الإسناد كالتأكيد أو إله الحصر نحو لزيد قائم وإنما ريد قائم

(ج) خوف تساوى احتمالي ممط الجملة (أهى اسمية أم فعلية) نحو ريد قام

(د) خوف إهدار قاعدة الصدارة نحو من أمت ؟

فيعرب الأول في كل ذلك مبتدأ والثاني خبراً لضمأن أمن اللبس في المثالين الأولين ، وللحفاظ على أصول الصناعة في المثالين الأخيرين ولو انعكس الوضع لوقع ما عده ابن مالك من قبيل « الضرر » ، وما عبر عنه الشراح بقولهم ولو اشتبه المعامل بالمعول لراد الخطر وعم الضرر ، وقد جاء ذلك تعليقا على قولهم « صرب موسى عيسى وهو شبيه باختلاط المبتدأ والخبر في المثال الأول من الأمثلة المتقدمة .

لعل فيما قدمناه عام لتوضيح المقصود بالقاعدة الأصلية والقاعدة الفرعية ، وعلاقة كل مههما بالأخرى .

* * *

يأنى بعد ذلك إيضاح المقصود بالقاعدة الموقعية ، ومعنى لفظ « الموقعية » أن هذه القاعدة ترتبط بـ « موقع » واحد لا تتعداه إلى غيره من المواقع ، وأن هذا الموقع قبل صدق القاعدة عليه ربما اتفق مع أصل عام من أصول الصناعة التي حردتها النحاة ، وربما خصص لقاعدة أخرى أصلية (أى عامه) أو فرعية فلو استصحب الأصل أو طبقت القاعدة لخرح الاستعمال عن السمة المتبعة ، ومن هنا تأتي القاعدة الموقعية (في هذا الموقع المذكور) لتعسر سبب العادول عن الأصل أو لتخرق القاعدة بقاعدة وإليك الأمثلة :

١ - الأصل في كلمة «ميران» هو «موران» على صيغته اسم الآلة . ولكن هذا الأصل

(أ) تنقل حركة المعتل إلى الساكن الصحيح قبله .

فإذا طبقنا هذه القاعدة وصلنا بتطبيقها إلى موقع تأباه أصول الصاعدة النحوية والصرهية ، وهو موقع التقاء الساكنين وهذان الساكنان أولهما الواو التي سلبت حركتها بواسطة النقل إلى ما قبلها ، فلما سلبت حركتها سكنت ، وثانيهما الألف التي بعد الواو في الأصل «لِقْوَام» هنا تأتي قاعدة موقعية أخرى تقول :

(ب) إذا التقى ساكنان حذف أولهما .
عندئذ تصبح الكلمة «لِقَام» كما في قوله تعالى : «وَلِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ»
تم لنا أن نبقى على هذه الكلمة على حالها كما استعملها القرآن ، أو أن نضيف إليها تاء أخيرة للتعويض عن الواو المحذوفة لالتقاء الساكنين .

هكذا يعدل عن الأصل بقواعد فرعية موقعية تلخص اتجاهها استعماليا ذوقيا يسعى دائما إلى طلب الخفة ولكن القواعد الموقعية لم تقصر همها على تفسير العدول عن الأصل فقط ، وإنما تحطت معارضة الأصول إلى معارضة القواعد إذا ترتب على تطبيق إحدى هذه القواعد مخالفة أصل من أصول الصناعة أو سنة من سنن الاستعمال وإليك الأمثلة :

١ - القاعدة الأصلية أن يكون لآخر الكلمة ما يستحقه من علامة إعراب

لا يمكن استصحابه لما فيه من ثقل مرجعه إلى أن الكسرة والواو ضدان لا يتجاوران ومن هنا جاءت القاعدة لتفسر العدول عن الأصل أو لتصبطه ، يُقال : إذا وقعت (لا حظ لفظ « وقعت » وعلاقته الاشتقاقية بلعظ « موقعية ») الواو ساكنة بعد كسرة قلبت الواو ياء .

٢ - أصل كلمة « كساء » هو « كساو » بدليل قولك « كسوت » ، و « كسوة » وأصل كلمة « بئاء » هو « بئى » بدليل قولك « بنيت » وكذلك « بنية » والعدول عن الأصل الذى هو « كساو » و « بئى » إلى الفرع المستعمل « كساء » و « بئاء » تحكمه قاعدة موقعية تقول . إذا وقعت (قارن لفظ « موقعية ») الواو أو الياء متطرفة إثر ألف زائدة قلبت همزة .

٣ - أصل الفعل « قال » هو « قول » ، وقد حدث العدول عن هذا الأصل بقاعدة تقول إذا تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها قلبت الهمزة .

٤ - أصل كلمة « ديا » هو « دوا » وأصل « عليا » هو « علوا » ، بدليل « دوت » و « علوت » وقد جاء العدول عن الأصل فيهما بقاعدة تقول . إذا وقعت (!) الواو لاما لصيغة « فعلى » وصما قلبت ياء .

٥ - أصل لفظ « إقامة » هو « إقوام » وقد حدث العدول عن هذا الأصل بحسب قاعدتين بيدهما رتبة محوطة ولا بد لأولاهما أن تطبق قبل تطبيق الثانية تقول القاعدة الأولى .

بحسب موقعه أو حركته بناء ، ولكن ولكن الكلمة إذا وقعت آخر الجملة المطوقة الموقوف عليها وردت عليها قاعدة موقعية (أى ترتبط بموقع الوقف) وهى التى تعرف بقاعدة الوقف فانفظ الرجل من قولنا « جاء الرجل » يستحق علامة الرفع بحسب القاعدة العامة للإعراب ، ولكنه عند الوقف عليه يستحق السكون بقاعدة تكسر تلك القاعدة وكذلك « أمس » من قولك « جاء الرجل أمس » مبنى على الكسر بأصل وضعه ولكن يسكن عند الوقف .

وتجعل آخر الأمر مكسوراً لالتقاء الساكنين (إن كان الأمر صحيح الآخر) فتقول مثلاً . « اقرأ الدرس » بكسر لام الفعل . أما إذا كان آخره معتلاً فإن القاعدة الأصلية تبيّنه على حذف حرف العلة وتزوم عين الفعل حركة مناسبة تدل على نوع حرف العلة المحذوف نحو ألقى العصا، وأرع الأخواه وأرج الله . ومعنى هذا أن حذف حرف العلة قاعدة أصابية وأن نوع الحركة على عين الفعل قاعدة موقعية .

٤ - القاعدة الأصلية أن يدل « فعل » وما كان من قبيله أى افتعل واستعمل إلخ) على الزمن الماضى ولكن هذا الفعل إذا وقع بعد الشرط وردت عليه قاعدة موقعية يدل بحسبها على الاستقبال . ويدل المضارع بحسب القاعدة الأصلية على الحال أو الاستقبال فإذا وقع بعد « لم » دل على نفى الوقوع فى الماضى ، وإذا وقع بعد « لن » دل على نفي الوقوع فى المستقبل ، وإذا وقع بعد « أن » لم يدل وقوع أو عدمه وإنما يتفرغ للدلالة على مطلق الحدث الذى هو معنى المصدر الصريح .

وليس يارم فى كل قاعدة موقعية أن تنسر عدولا عن أصل أو تخرق قاعدة أصلية أو فرعية فإتقد يحدث أحيانا أن يتنوع مطهر العصر اللعوى (أى المبني) بحسب موقعه دون أن يكون أحد أنواع

٢ - القاعدة الأصلية أن يبنى الماضى عند عدم اتصال الصماثر به على المتح فإذا وقع موقعا تتصل به فيه واو الجماعة طرأت قاعدة موقعية تبيّنه على الضم ، وهذه القاعدة ترد على المضارع والأمر كذلك ، إذ تخرجها عن مطابقتهم لقاعدة أصلية خاصة بكل منهما . وهكنا تقول ضربوا ، لم يضربوا اضربوا والأمر شبيه بذلك بالنسبة للياء فى تضربين ، واضربى وتعود القاعدة الموقعية فى مثل هذه الحالات إلى ظاهرة « المناسبة » أى جعل حركة لام الكلمة مناسبة للضمير المتصل .

٣ - القاعدة الأصلية أن يبنى الأمر فى أبسط صورته على السكون فإذا وقع بعده لفظ يبدأ بالساكن (ومن ثم يستحق همزة الوصل إذا بدئ به الكلام) وردت عليه قاعدة موقعية تخرق قاعدة البناء على السكون

السلوك أصلا ويكون غيره فرعا ، وإليك الأمثلة :

١- إذا وقع لفظ الجلالة بعد فتح أو ضم جاءت لامه مفخمة ، أما إذا وقع بعد كسرة أو بعد الياء فإن هذه اللام ترقق تقول وايم الله ، والله ، لكن بالله ، عبدي الله . وليس يدعى لأى من التفخيم والترقيق أنه أصل وأن الآخر فرع له .

٢- إذا وقع ضمير الغيبة المتصل بعد فتح أو ضم ضمت هاؤه ، وإذا وقع بعد الكسرة أو الياء كسرت هاؤه ، فتقول لهم كتابهم وله كتابه ، ولهما كتابهما ، ولكن أشار إليه في كتابه ، وإليهما في كتابهما ، وإليهم في كتابهم وليس يدعى لأى من حركتى الهاء أنها أصل وأن الثانية فرع لها

٣- إذا وقع ضمير المفرد العائث المتصل بين حركتين أشبعت حركته سواء أكان مضموما أم مكسورا أما إذا سبقه أو لحقه سكون فإن الإشباع يمتنع هذا في الكلام المرسل ، أما في الشعر فإن هذه الطاهرة تنصع للورن تقول في الكلام : ضربه بالعصا (بالإشباع) بعد أن ضاق به ذرعا (بالإشباع) ، ولكن لم يضر به (دون إشباع) وإن سخر به اليوم (دون إشباع أيضا) وليس أحد الأمرين أصلا ولا الآخر فرعا .

وهكذا نرى القاعدة الموقعية هنا بموقعها الذى أعدت له فهي ليست أصاوية لعدم عمومها ، وليست فرعية لعدم اتصافها بأمن اللبس ولا بمراعاة أصول الصناعة ، بل لأنها على العكس من ذلك : إما تفسير للعدول عن هذه الأصول وإما كسر القاعدة أصلية أو فرعية وإكثافها في كل الأحوال انتصار للدوق الاستعمالي على الاستصحاب والاطراد ، وما يصاحبهما من قيود على طلب الخفة .

* * *

عرضنا حتى الآن لثلاث درجات من القواعد هي . القاعدة الأصلية ، والقاعدة الفرعية ، والقاعدة الموقعية ، ووضح أن أعلاها درجه هي الأصاوية وأدناها الموقعية ويرتبط العاوى والتوسط والدنو هنا باقناع مجال تطبيق القاعدة وعدمه فتعريف المبتدأ مثلا هو أساس التركيب العربى للجماة الاسمية ، وأما تمكيره فاستثناء مشروط بفيد الإفادة ، وهو أمر يتحقق بأمن اللبس والحفاظه على أصول الصناعة فإذا تحقق شرط الإفادة أمكن الابتداء بالمكرة مهما كان الموقع وأما تفخيم لفظ الجلالة فقاعده ترتبط بموقع خاص تأتى فيه اللام بعد فتح أو ضم ، والقاعدة المذكورة لا تتعدى هذا الموقع أبدا ، وإذا كانت الإفادة هي المبرر للقاعدة الفرعية فإن مبرر القاعدة الموقعية في جملة الحالات هو طلب الخفة .

عند هذه النقطة نصل إلى درجة من الصواب تأبأها القاعدة وترتضيها السنة

(أ) القاعدة تطرد وهذا الاستعمال
اختيار أسلوبى لك أن تأخذه أو تدعه .

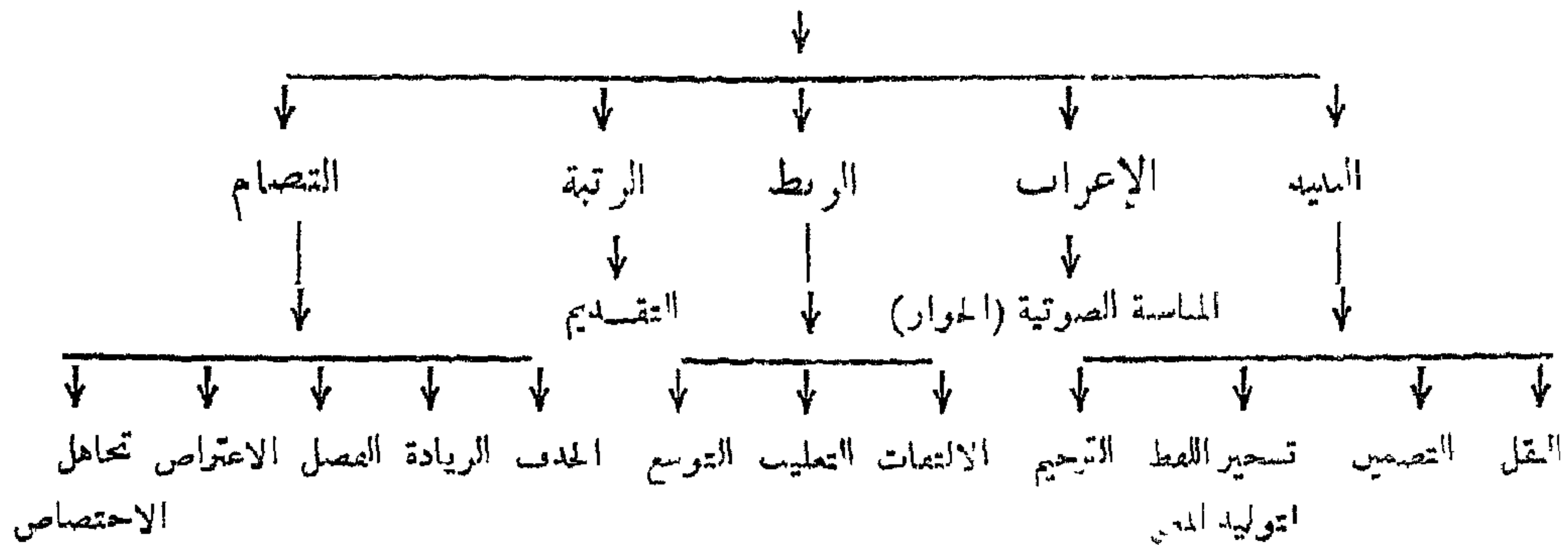
(ب) القاعدة مرهونة بموقع خاص
بخلاف الاستعمال العدولى .

ينحىل إلى أنى أطلت الكلام فى تنظير
الاستعمال العدولى قبل أن أقول ما هو ، فليس
يعنى عن ترحه والاستشهاد له أن بوضه
الفرق بيه وبين القاعدة الموقعية .^{٢٠}
ولهدا بحسن أن أبدأ فى سرد الطواهر
العدولية واحده بعد الأخرى قدر ما يسمح
الحية المخصص لما فى هذا السحت .

إن الدخول المناسب إلى مسرح الاستعمال
العدولى إنما هو من مدخل القرائن النحوية
اللفظية ويمكن باحتصار أن سوق بيانا
تخطيطيا لهذه القرائن وأنواع العدول
التي تعرض لكل منها على النحو التالى

المتبعة أى أن معيار الصواب هما ليس
نحويا وإنما هو عرفى وهذا الصواب العرفى
غير النحوى يمثل عدولا عن أصل الوضه
أو أصل القاعدة ، ومن هنا يحلولى أن أسميه
« الاستعمال العدولى » ومع أن الاستعمال
العدولى يسعى أن يعد خطأ بمعايير القواعد
النحويه . لم يجد أحداً من النحاة قدمائهم
ومحدثهم يصمه بوصمة الخطأ ، وربما
كان ذلك لتبوعه فى كلام أصحاب السابقة
بل لانتشاره فى أسلوب القرآن والحديث
وربما قال قائل . ما بالك تترد الاستعمال
العدولى بمعالج خاص مادام فى جوهره
عدولا عن الأصل (أصل الوضه أو أصل
القاعدة) . أليست القاعدة الموقعية عدولا
عن الأصل كذلك ؟ ولماذا أفردت كل
مهما بمعالج خاص ، الجواب أن الفرق
بينهما من وجهين

طرق العدول عن القرائن



وستتناول كلا من ذلك على حدة .

١ -- النية

لنية الكلمة أو عطف الجملة صور متعددة للحروج بها من أصل استعمالها وقد اعترف بهذه الصور وإن اختلفت وجهة نظرهم إليها وصياغة المصطلحات لها ولعل أولى هذه الصور بالذكر ما يلي

(١) النقل

اعترف العلماء بالنقل وسماه بهذا الاسم في باب العلم والتمييز ، فالعلم قد يكون مقولا عن الفعل كيزيد ، أو الوصفية كحالد ، أو المصاحفية كفضل . أو عن الدلالة على مسمى آخر كبدر ، أو عن تركيب لاسم كحاد الحق . والتمييز قد يكون مقولا عن المعامل نحو اشتعل الرأس شيبا وحسنت مستقرا ومقاما . وقد يكون مقولا عن المفعول نحو أخت شعوره حماسا وكذلك اعترف البلاغيون في تعريفهم للمحار أنه نقل الكلمة من معناها الأصلي إلى معنى آخر ينسب إليها بعلاقة وقريبة

ولكن طاهره النقل سميت بأسماء أخرى في أماكن أخرى غير باب العلم والتمييز والمخبار إذ إنها سميت « النية » في باب المفعول المطلق . وقد يموت عنه ما عاينه دل

كحد كل الجند وافر ح الخلد وسميت النية أيضا في باب النائب عن المعامل . وكذلك في القول بأن حروف الحر ينوب بعضها عن بعض . أي ينقل بعضها إلى استعمال بعض

أما نقل الأسماء إلى استعمال الضروف فقد أطلقوا عليه اسم « التصرف » فانظرف المتصرف « ما يرى ظرفا وعر طرف » أو بعبارة أخرى . ما ليس ظرفا بحسب الأصل وإنما نقل إلى الضرفيه واستعمل استعمال الضروف

ولقد سميت طاهرة النقل « إغناء » في مواضع أخرى . ولقد يقع الوصف مبتدأ ويعني فاعله عن الخبر نحو أقام زيد ، وقد يعي الحال عن الخبر في نحو أكثر ما يعجبني زيد حظيا . ومثل ذلك إغناء أن وما دخلت عليه عن مفعولي طن وسدادها مسددها . ومنه في باب النداء ما رآه الفراء من أن « يا » صميت معنى « أدعو » فعمات عملها وسدت مسددها أي أعت عنها وفي كل مسدده الحالات عدل بالكلمة عن أصلها ونقلت إلى استعمال آخر

وقد ينقل عطف الجملة الخبرية إلى الدعاء نحو « بارك الله فيك » ، أو إلى التنزيه نحو « تبارك الله » وقد ينقل النبي إلى الدعاء نحو « لا فصح فوك » ، وإلى الإنكار نحو « ما هدايا ! » . وإلى التقرير نحو « ألسب بربكم » . وفي كل هذه الحالات ومثاتها ينقل العطف التركيبي من معناه الأصلي (وهو الخبر في الحالة الأولى والنبي في الثانية) إلى معاني أخرى طاميه أو إدهساحيه لم تكن له بحسب الأصل .

(ب) التصمين

وإذا كان النقل عدولا عن أصل المعنى الوطني فإن التصمين عدول عن المعنى

معنى المصدرية واحتفظت بمعنى الظرفية
 تم صممت معنى « إذا » ، ويكون التقدير ؛
 « إلا إذا دمت قائماً عليه » على أن « قائماً »
 حال وأن « دمت » بمعنى « استمرت »
 وثبت . وانظر إلى قوله تعالى : « فتبسم
 صاحبك من قولها » (النمل ١٩) تجد أن
 صاحبك من كذا يفيد معنى السحرية (أى
 سحر من كذا) ، ولم يكن سليمان بصاحبك ساخرًا
 من النماة وإنما كان متعجبًا من قولها .
 وبهذا يكون « صاحبك » قد ضمن معنى
 « متعجبًا » .

ويحدث حينها أن يصمم تركيب كامل
 معنى تركيب كامل (ليس من وجهة النظر
 الوظيفية كما ذكرنا في الكلام عن الخبر
 والنفي وإنما من وجهة النظر الأسلوبية)
 من ذلك قوله تعالى : « يأبى الذين آمنوا
 اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم
 مسلمون » (آل عمران ١٠٢) . فلو أخذنا
 تركيب حمله النهي . « لا تموتن » على علاقته
 لكان المعنى نهياً عن الموت إلا على الإسلام
 ولكن الإنسان لا يهوى عن أمر لا حياة
 له فيه ، فالله الذى قضى الموت لم يجعل
 للإنسان فيه خياراً وإذا انتهت الحياة
 لم يعد للنهى معنى .

ألقاه في الميم مكتوفا وقال له
 إياك إياك أن تبطل بالماء

وإذاً لا بد أن يكون النهي ذا معنى آخر .
 والمعنى المطلوب : « لا تصرطوا في الإسلام »

الأسلوبى . فقد يجد المتكلم فائدة أسلوبية
 « ما » كالتأكيد أو الابتكار أو التلخيص
 والاختصار أو نحو ذلك في إحلال كلمة
 محل أخرى ، وإعطائها معناها ، بحيث
 تغنى عنها دون أن يشعر السامع بأن شيئاً
 غريباً قد حدث ، انظر إلى قوله تعالى :
 « فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على
 الهدى » (فصات ١٧) وسرى أن الفعل
 « استحبوا » لا يحمل في معناه المفرد معنى
 التفضيل ، ولكن وجود حرف الجر « على »
 نقله بالتصميم إلى هذا المعنى ، ففهم منه
 معنى « فضلوا » . ثم انظر إلى قوله تعالى .
 « وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا
 هذا القرآن مهجوراً » (المرقا ٣٠) ،
 والمعروف أن « اتخذ » إذ تنصب معواين
 يعبر الثانى منهما عن معنى الانتفاع ، إذ
 تقول . اتخذت فلانا صديقاً ، أى إنتفعت
 بصداقته ، واتخذت فلانا خادماً أى إنتفعت
 بخدمته ، ليس هذا المعنى مناسباً لكلمة
 « مهجوراً » ، مما يفهم منه أن « اتخذوا »
 قد ضمن معنى مطلق التحويل الذى يعبر
 عنه بالمعل « جعلوا » أو « صيروا » .
 وانظر إلى قوله : « ومنهم من إن تأمنه
 بديار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه
 قائماً » (آل عمران ٧٥) وستعلم أن الفعل
 « ما دام » من أخوات « كان » وأنه وهو
 ناقص لا يصاح للوقوع بعد أداة الاستثناء
 « إلا » وإذا لم يصاح ذلك فلا بد أن تكون
 « دام » غير ناقصة وأن تكون « ما » فقدت

حتى تموتوا » ، وهذا التضمين شبيه بما
يقول به تشومسكي من مفهوم « البنية
العميقة » DEEP STRUCTURE

(ج) تسخير اللفظ لتوليد المعنى :

وهذه أيضاً صورة من صور العدول
عن أصل استعمال بنية اللفظ إلى مسالك
أسلوبية تصبح البنية معها صالحة للإيجاء
بمعنى لم يكن لها من قبل . وهذه الحيلة
الأسلوبية كانت وما تزال مسرحاً من
مسارح تفوق البلاغ . ويأتي هذا التسخير
بواسطة أمور منها جرس اللفظ ، أو
علاقاته الذهبية أو العاطفية ، أو انعكاسات
استعماله عليه ، أو علاقاته الفنية الخ .
فأما الجرس فقد رصد البلاغيون مبدأ
حكايه الصوت للمعنى أخذنا عن المصطلح
اليوناني onomatopoea

كما قسم النقاد الكلمات إلى شعريه وغير
شعريه ، وتكلم فقهاء اللغة عن الكلمات
المصيحة والحوشية . ودعا الشعراء الرمزيون
المحدثون إلى الاعتماد على إيجاءات الجرس
على حساب المعاني المعجمية للكلمات .

وأما تسخير اللفظ في إثارة معان عقلية
فأشهر ما يدل اللفظ عليه من ذلك لآرم
المعنى كما يتضح في الكناية والتورية والمجاز
المرسل ففي الكناية والتورية معنى قريب
بحسب الأصل وآخر بعيد بحسب الآروم
العقلية أما في المجرى المرسل فالرم المعنى

قد يكون غاية (السبب والمسبب) أو كمية
(الكل والبعض) أو مكاناً (الحاليه والمحلية)
أو زماناً (ماكان وما يكون) . ومن المعاني
العقائدية المعنى التصمى ، وهى وإن دنا كثيراً
من فكرة الكمية لا يعد منها لأنه أوسع
تطبيقاً إذ يشمل أحياناً ما يسمى حلف
المضاد في نحو : « حرمت عايكم أمهاتكم »
أى قرب خاص منهن .

ويمكن أن نعد من تسخير اللفظ لنقل
شحنة انفعالية من المعنى لم تكن له بأصل
الوصف أن نورد اللفظ في المقام المناسب
وفي مجرى السياق الملائم . فكلمة الشرف
بحكم معناها الأصلي لا تثير انفعالا وإنما
تثير فكرة التضاد مع الضعفة . ولكن المتنبي
حين ساط الأذى على الشرف في قوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم

وجعل الدم عقاباً على السيل من الشرف
جعل البيت الشعري يحمل حملاً عاطفياً
عظيماً . وكأما « مثل » بمعنى « شبيه »
من الأسماء المهمة التي لا ينسب إليها
معنى معين إلا بعد الإضافة ، وما كان لها
أن تثير عاطفه أو تبعث انفعالا . ولكن
أبا فراس حين قال :

نعم أنا مشتاق وعندى لوعة

ولكن مثلى لا يذاع له سر

وضع الكلمة موضعاً جعلها تحمل من الاستعلاء ما لا قبل لها به في سياق عادي ذلك أنه جعل « مثل » في موقع ضمير المتكلم (أي والكني) ولولا ما ذكرناه من ضرورة إضافتها ما جاء معها ياء المتكلم ، تعبيراً عن فحش هذا محاكاة للعبارة القرآنية . « ليس كمثل شيء » تم انظر إلى ما نقلته كلمة الأم في الحديث الشريف بواسطة تكرارها ، إذ جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال أمك ؟ قال تم من ؟ قال أمك . أمك اقال تم من ؟ قال أمك اقال : تم من ؟ قال : أموك ومثاه التوكيد اللفظي في قول الشاعر

أحاك أحاك إن من لا أخاله

كساع إلى الهيجا بغير سلاح
أما انعكاس استعمال اللفظ عليه فيستطيع أن يصرف له مثلاً عبارته . « انا عربي » طلت هذه العبارة خلال التاريخ ، وستظل إن شاء الله تثير في نفس العربي الاعتزاز بها لما وراءها من تاريخ رائع وتراث عتيق . ولكن هذه الكلمة فيما بين سنتي ١٩٦٧ و١٩٧٣ فقدت الإحياء لهذا الاعتزاز وكان بعض العرب يهزولون منها إذا سئلوا عن هويتهم خارج بلادهم فلما وقعت

حرب العاشر من رمضان أصاب العرب ما أصاب نبي أنف الناقة الدين حجلوا من لقهم بين القمائل حتى قال فيهم الشاعر قوم هم الأنف والأذنان غيرهمو ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا وقد يعكس على اللفظ دناءة مدلوله أو محشه أو قذارته فيصبح مخطورا الذكر Taboo كالكلمات التي تدل على الخنثى أو قصاء الخاحيات الطبيعية ونحوها لاحظ قوله تعالى « فلما تعشاها » . « أولامستم النساء » . « فأتوا حرثكم أنى شئتم » « أو جاء أحد منكم من العائط » فهي كل ذلك أروار عن كلمات أخرى تدل مباشرة على هذه المعاني

وأما العلاقات الغيبة التي تعين على استعمال بنية اللفظ لتوليد المعنى الجديد فأشهرها علاقة المتشابهة التي نشأ عنها الحجر اللعوي بأنواعه ولا بد أن يشير إلى أن التعبير عن هذه العلاقة مرجعه إلى اختيار المتكلم لا إلى نظام اللغة لأن أوجه التشبه قد تعدد للشيء الواحد إزاء غيره من الأشياء التي تشبهه وكل متكلم يختار من هذه الأوجه ما يروق له ومن الأشياء المتشابهة لموضوعه ما يروق له أيضاً

و حسننا أن نضرب لذلك مثلا قوله تعالى :
« والصبح إذا تنمس » ، فهذه الآية
اختارت من كل خصائص وقت الصبح
نسيمه الرطب الذي يصادف راحه في النفس
تبعث فيها النشاط والحيه ولأن النشاط
والخفة حياة آثرت الآية أن تنسب الحياه
نسبة فنية إلى الصبح فجعلته يتنمس
وهكذا أصبح تسخير لفظ « التنمس »
لتوليد معنى جديد عايه هاهه وسيلتها
العلاقات السمية للكلمة

وهناك علاقات فنية أخرى غير المشابهه
نلاحظها في استعمال السمية اللعوية لتوليد
آثار دوقية معينه لدى السامع أو القارئ
بواسطة ما يفهم عند استعمال النيه من
تعميم ، أو إبهام ، أو تأكيد ، أو مفهوم
مخالفة بعينه . إلخ . وأشهر وسائل ذلك التجريد
من أداة التعريف ، أو إلحاقها بالاسم ،
وإلحاقها بالوصف ، أو استعمال الموصولات
الحرفية المختلفة ، أو الصمير ، أو الموصول
الاسمي وغير ذلك ، والمعروف أن للمتكلم
مدوحة عن استعمال أى صوره من صور
النية المذكورة ، واختيار واحدة منها
يقع في نطاق الأسلوب لا القاعدة .

فن الوسائل لتوليد المعنى الفنى من
اللفظ تجريد اللفظ من أداة التعريف ليؤول
إلى التذكير المؤدى إلى التعميم حيا وإلى

الإبهام حينا آخر . انظر مثلا إلى قوله تعالى :
« وجوه يومئذ مسفرة » (عبس ٣٨)
وفى هذا عدول عن عبارة « وجوه المتقين »
وقوله جل شأنه . « من قبل أن نطمس
وجوها فبردها على أدبارها » (النساء
٤٧) عدولا عن « وجوهكم » ، وقوله .
سبحانه . « علمت نفس ما أحضرت »
(الانفطار ٥) عدولا عن « كل نفس » ،
وقوله ، تبارك اسمه « ولا تتحنوا
أيمانكم دخلا بينكم فتنزل قدم بعد ثبوتها »
(السجدة ٩٤) عدولا عن « قدمكم » أو
أقدامكم » ، وأما قوله تعالى . « وتعيها
أذن واعية » (الخاقعة ١٢) فهى شبيهة
بقوله : « علمت نفس ما أحضرت »
التي سبى إيرادها لأن كليهما للتعميم
والمعنى المعدول عنه وتعيها كل أذن
واعية . وثى قوله تعالى . « أم على فلوب
أعمالها » (محمد ٢٤) المقصود المعدول عنه
« قلوبهم » وقد يعمل التذكير حينا على
إفصاح الخيال لخيال السامع أن يسبح في
عباب الوهم المعنى ، فيصيف إلى الصوره
السميه الأدبيه -هاويل من عنده . ربما لم
ترد على خاطر صاحب النص . نلمح
ذلك في قول الشاعر .

ضربنا كمو - ي تفرق جمعكم
وطارت ألف مسكوا وحاحم

وعادت على البيت الحرام عوابس
وأنت على خوف عليك التأمم

وإني لأغصى عن أمور كثيرة
سترقى بها يوماً إليك السلام

وقوله .

ويوم كيوم البعث ما فيه حاكم
وقوله ولا عاصم إلا قنا ودروع

وإني في الحرب العوان موكل
بإقدام نفس لا أريد بقاءها

وربما تحقق توليد معنى الشمول بواسطة
المقترن بأداة التعريف إذا أفادت الأداة
استغراق الجنس . عندئذ يصبح المقترن
بالأداة صالحاً لأن يضاف إليه لفظ « كل »
كقول الشاعر :

وكم من فارس لا تزدرية
إذا شخصت لموقفه العيون
أى « كل العيون » أو « العيون كلها » ،
وقوله :

أنا ابن التارك البكرى بشر
عليه الطير؛ ترقبه وقوعا

أى « كل الطير » أو « الطير كلها »
وقد يوصل بالتعريف إلى معنى يشبه القصر
البلاغي ، كما في قول الشاعر :

وحقك أنت المنى والطلب
وأنت المراد وأنت الأرب

أى الذى لمنى غيره ولا طاب سواه
ولا مراد من دونه ولا أرب إلا هو .

وقد يوصل بالموصول (اسمياً كان أم
حرفياً) إلى معنى الشرط . وآية ذلك
ما عرفه في المحو من باب الإخبار بالذى
والألّف واللام ، وما يتحتم في الخبر عندئذ
من الاقتراء بالفاء في المواضع ذاتها
التي يقترن حواب الشرط فيها بالفاء .

ومن ذلك قوله تعالى : « والذين كفروا
فتعسأهم » (محمد ٨) وقوله : « والرانية
والزاني فاجلدوا » (لنور ٢) وفي هذا
دليل على أن الجملة الاسمية هنا تشررت
معنى الشرط ، أى أن المعنى (من كفروا
فتعسأهم) ، وكذلك (من رنت ومن زنى فاحادوا)
وكذا يؤدي الموصول إلى التعميم أو التعظيم
أو التحقير . فمن قصد التعميم بالموصول :

تعر ولا شيء على الأرض باقيا
ولا ورر مما قضى الله واقيا

أى من أى قصاء فصاه الله ومن التعظيم
الضاربون الكباش يبرق بيصه
ضرباً يطيح له سان المفصل

من التحقير قوله تعالى : « والذي قال
لوالديه أف لكما » (الأحقاف ١٧) .

ومن استعمال النية استعمالاً عدولياً
« الترخيم » في باب النداء ، وهو في معناه
الأعم من قبيل الحذف سواء على لغة من
من ينتظر أم على لغة لا ينتظر . وقد عني
النحاة . شرح هذه الظاهرة بما يعرض
للمنى أكثر عن عنايتهم مما يعرض للمعنى .
والذى يبدو لى أن الغاية من الترخيم هي
التمايح أو التذليل فهو شبيه باختصارنا
نطق أسماء أبنائنا في الوقت الحاضر وهذا
هو المعنى المولد .

٢ - الإعراب :

يتمثل العدول الأساوي الفني عن
الإعراب في صورة مناسبة صوتية
بين الكلمتين المتجاورتين ، تستحق
كل منهما إعراباً يختلف عن إعراب الأخرى
ولكن صاحب النص يجعل حركة آخرهما
واحدة ، إذ يحتفل بالجرس أكثر من احتفاله
بالقاعده والنحاة يسمون ذلك « إعراب
الحوار » إلا إذا تمكنوا من تأويله إلى
قياس آخر متكافئ في أغاب الأحيان .
قالت العرب : « جحر صب خرب »
بحر « خرب » ونسب النحاة ذلك
إلى إعراب الحوار ، وقال ابن جنى
إن هذا من قبيل النعت السببي الذى حذف
ممه فاعل الصمه المشبهة « خرب » وقدره

« جحر صب خرب جحره » ، فأفرغ
الشاهد من مضمونه النحوى بل ربما أفرغه
أيضاً من مضمونه الدلالى أيضاً لكن
ماذا عسى أن تبلغ رغبته ابن جنى في
التأويل في قراءة « عاليهم ثياب سندس
خضر » (الدهر ٢١) بحر « خضر »
لحوارها للسندس . وكيف يوول قول
امرئ القيس :

كأن ثبيراً في عراني وبله
كبير أناس في يجاد مزمل

بحر « مزمل » بسبب مجاورة الجاد .
لكن هذه المناسبة لا تأتي مع البحر في
جميع الحالات بل قد تتعدى ذلك إلى النصب
أيضاً بدليل : « إن هذان لساحران »
(طه ٦٢) ، وقول الشاعر :

إن أباهما وأبا أباهما

قد بلغا في المحمد غايتها

ولعل تجاور القوافي هو الذى جعل المرزوق
يفضل جرس القافية على اطراد القاعده
في قوله .

وعض زمان يابن مروان لم يدع

من المال إلا - مسحتا أو مجلف

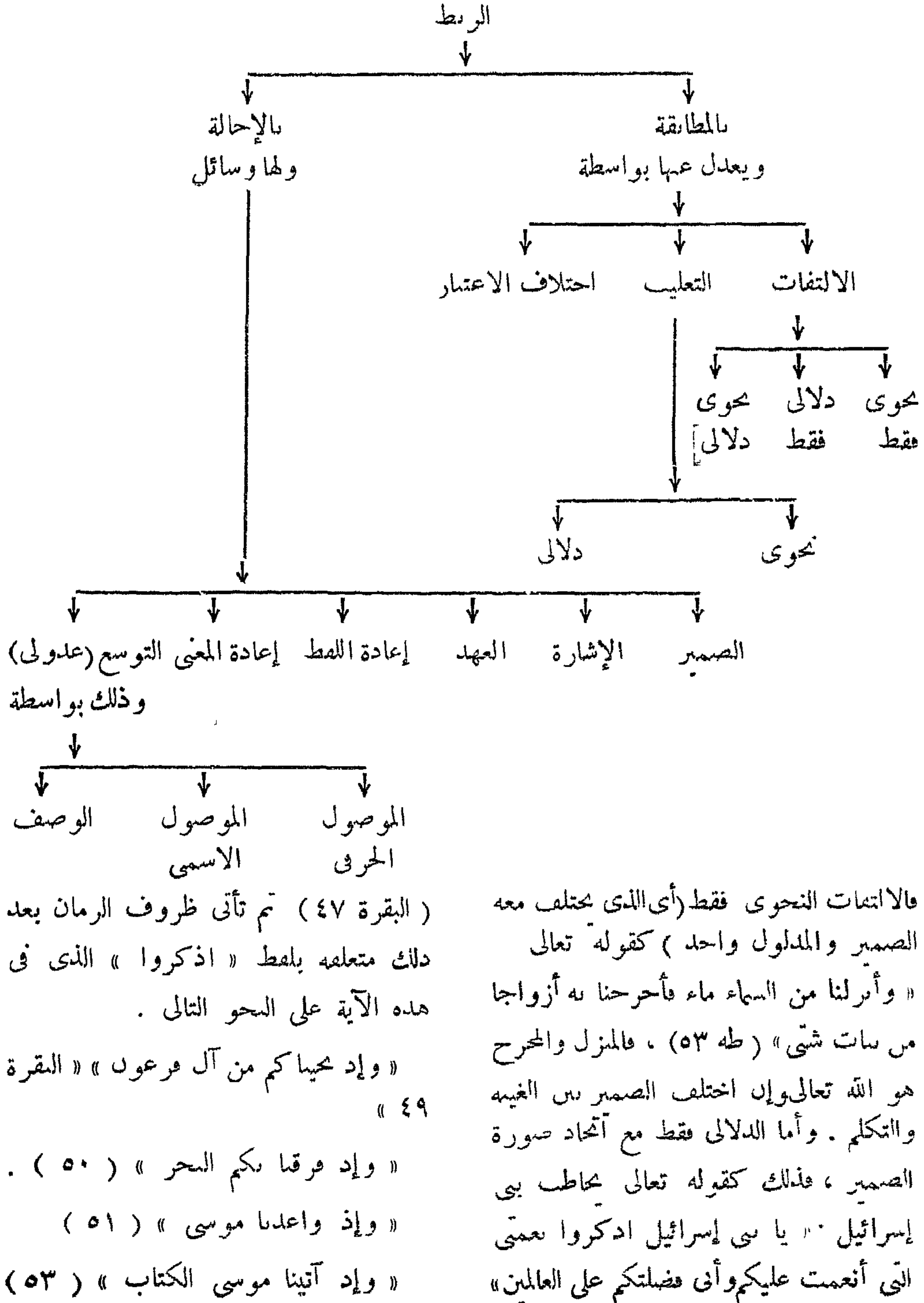
كل أولئك يعود إلى أصل واحد هو المناسبة
الصوتية التى تعد إجراء عدولياً فنيا عن
قرينة الإعراب .

* * *

الربط عن الأصل النحوي ويمكن إيضاح ذلك مما يلي

٣- الربط .

الربط نوعان . ربط بالمطابقة ، وربط بالإحالة ولكل من الموعين طرق للعدول



- « وإد قال موسى لقومه » (٥٤)
 « وإد فأم يا موسى » (٥٥)
 « وإد ولما ادخلوا » (٥٨)
 « وإد استسقى موسى » (٦٠)
 « وإد فأم يا موسى لن نصبر » (٦١)
 « وإد أحدا ميثاقكم » (٦٣)
 « وإد قال موسى لقومه » (٦٧)

تم يلتفت النص دلاليا لاحتويا (بسبب اتخاذ صورته الصمير) فيقول للنبي والمؤمنين « اهتطمعون أن يؤموا لكم » (القره ٧٥) وأما الالتفات الذي يتحقق له الخطابان المحوى والدلالي، وهو قوله تعالى « فإن لم تعملوا ولن تعملوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجاره أعدت للكافرين وسر الذين آمنوا » (القره ٢٤ - ٢٥) فالصمير في « تعملوا » الناس الذين ناداهم في الآية (٢١) ، والصمير في « بشر » للنبي صلى الله عليه وسلم ، فاختلف الصمير والمدلول معا

والتعاب أيضا قد يكون نحويا وقد يكون دلاليا وقد احتتمعا في قوله تعالى « وقضى رداك ألا تعدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تمهرهما » ، « الإسراء ٢٣ » فالتعلب دلالي في لفظ (الوالدين) لأن الأب لا يلد كما تلد الأم . وهو حوى في « أحدهما أو كلاهما » لأن

الذي يناسب الاثنتين هو إحداهما أو كلاهما . ولكن الآية علمت المدكر على المؤنث وقد علمت في أولها المؤنث على المدكر وأما اختلاف الاعتبار فيتضح في قول النحاة واللغويين « قالت العرب » ، أو « العرب تقول » ، ثم قولهم في مكان آخر « قال العرب » أو « العرب يقولون » . فاختلف اعتبار العرب بين الجماعة والجمع ذلك ما يعرض للمطابقه من عدول في أسلوبه عن الأصل . ويأتي بعد ذلك ما يعرض للربط بالإحالة . أي بالإشاره إلى مذكور حقه أن يسبق ما يحيل إليه

ولا شك أن الأصل في الإحالة أن تكون بتكرار ، اللفظ ، وكل ما عدا ذلك إما هو كناية عنه أو بديل منه وتكون الكناية صميرا أو إشاره أو أداء تعريف للعهد أو إعادة للمعنى بلطف آخر الح ومع أن هذه الكنايات قد أشار إليها النحاة بحسب أن تشير إلى كل منها إشارة محملة مع شاهد سوجه لها أو شاهدين ، لصل من بعد ذلك إلى موضوع كلامها وهو مظهر العدول عن الربط بالإحالة وهو الذي أطلقنا عليه « التوسع » بأقسامه المختلفة

قلنا إنه يستعنى بالصمير عن إعادة اللفظ ولكن الإصهار تحف به الشروط التي إذا لم تتحقق فلا بد من العودة إلى الإظهار الذي هو الأصل . إيهما سرطان أولهما مطابقة اللفظ . وتانيهما مطابقة المدلول .

وإذا تخلف أحدهما لم يصح الإضمار .
فقد يتحد اللفظ ويختلف المقصود ، نحو
قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء » (آل
عمران ٢٦) فالملك الأول ملكوت الله
والملك الثاني آتاه الله لمن شاء وأما الملك
الثالث فقد نزعه من شخص آخر غير
الذي رضى عنه فاتاه ملكا . وهذه الملاحظة
صادقة أيضاً على تكرار لفظ « من تشاء »
إذ المدلول مختلف في الحالة الأولى عنه
في الثانية . وهكذا لا يتأتى الإضمار
وقد يتحد القصد ويختلف اللفظ لغرض بياني ،
وإذا لا يمكن الإضمار . وهذه قضية ستجرى
مناقشتها بعد قليل عند الكلام عن التوسع .
أما إذا اختلف اللفظ والقصد كلاهما ، فواضح
أنه لا يدعو داع إلى الإضمار ويصبح الإضمار
أمراً ياباه المعنى .

وقد يستغنى بالإشارة عن إعادة اللفظ
كما في قوله : « ولباس التقوى ذلك خير
(الأعراف ٢٦) (واللباس هنا مصدر
لابس يلبس) ، وقد يستغنى عن إعادة
باستبدال (ال) بالإضافة نحو « وأما من
حاف مقام ربه وهى الشمس عن الهوى
فان الجنة هى المأوى » (المارعات ٤٠)
أى مأواه وأما الربط بإعادة المعنى دون
اللفظ ويشهد له قوله تعالى : « دعواهم
فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام
(يونس ١٠) .

يصل الآن إلى التوسع ، وهو شائع
في الأسلوب القرآني ، قليل في غيره .
من ذلك الربط بأل الموصولة (وهى غير
أل العهدية التى سبق ذكرها) ، وذلك
كما في قوله تعالى : « قد نعلم إنه ليحزنك
الذى يقولون ، فاهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بآيات الله يحجدون » (الأنعام
٣٣) أى ولكنهم ، وكذلك . « وقال
الذين كفروا لرسولهم لمخرجكم من أرضنا
أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم
لنهلكن الظالمين » (إبراهيم ١٣) ، ومثله
« يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ
للمجرمين » (المرقا ٢٢) وكذلك
« وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين »
(الشعراء ١٧٣) أى مطرهم .

ومن ذلك أيضا الربط بالوصول الاسمي
وهو من وما والذى الحج ، فمن ذلك قوله
« قال إن ههنا لوطا قالوا نحن أعلم
بمن فيها » (العنكبوت ٣٢) أى به ،
وكذلك « إن الدين آموا و عملوا الصالحات
إننا لا نصيب أحر من أحسن عملا » (الكهف
٣٠) أى أحرهم . ومثله . « ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى » (النساء
١١٥) أى نوله شقاقه وكذلك . « وضرب
الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها
ررقتها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله
فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما

كانوا يصنعون » (النحل ١١٢) أى بكفرهم وهذه الأخيرة تحتل المصدرية أيضاً .
ومن الربط بالموصول الاسمي « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبین » (الأنعام ٧) أى لقالوا ، وكذلك . « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الدين كذبوا بلىقاء الله وما كانوا مهتدين » (يونس ٤٥) أى قد خسروا وكذلك .
« ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون » (الأنعام ٢٢) أى ثم نقول لهم ومن الاستعمال العدولى فى الربط مما يقع فى نطاق التوسع فيه أن يتم الربط بالوصف كما فى قوله تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والدين كهروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » أى فقاتلوهم وكذلك . « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعموا فى دياركم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » (التوبة ١٢) أى فقاتلوهم ، وأيضاً : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم ويصركم عليهم ويشف صدور أقوم مؤمنين » (التوبة ١٤) أى ويشف قلوبكم .

* * *

٤ - الرتبة

فى النحو العربى نوعان من الرتبة ، أحدهما الرتبة المحفوظة وتأتيها الرتبة غير المحفوظة

وأما المحفوظة فلا يتناولها الاستعمال العدولى إذ لا سبيل إلى قبول تشويشها واحتسابه بين صور الاختيار الأسلوبى . فاذا ورد ما يظهر معه تشويش الرتبة المحفوظة فإن ذلك يعد من قبيل الترخيص (وسيأتى بيانه) وليس من قبيل الأسلوب العدولى . ولهذا النوع من تشويش الرتبة المحفوظة شواهد من القرآن الشعر ، كقوله تعالى « ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه » (هود ٣٨) أى سخروا منه وهو يصنع الفلك . وكذلك قوله تعالى « وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه » (هود ٤٢) أى ونادى نوح ابنه وهى تجرى بهم . ومنه قول الشاعر :

ألا يا نخلة فى ذات عرق

عليك ورحمة الله السلام

أى عليك السلام ورحمة الله . فكل ذلك من قبيل الترخيص عند أمن اللبس ، أى التصرف فى القاعدة عند التأكد من وضوح المعنى . وما دام تشويش الرتبة المحفوظة لا يعد أسلوباً واختياراً فلا دخل للدراسات البلاغية ولا الأسلوبية به ، لأنه ترخيص كما سبق والرخصة مرهونه بمحاطة لا تتعداه ولا يقاس عليها .

أما الرتبة غير المحفوظة فهى التى تسمح بالاختيار الأسلوبى تقدماً وتأخيراً ، وكل جهود البلاغيين فى هداً المجال محصورة فى نطاق الرتبة غير المحفوظة . وليس كون الرتبة غير محفوظة أنه لا رتبة ، كما أنه ليس معناه

عدم حفظها إذا طرأ عليها ما يدعو إلى حفظها
 فإقدا يجب تقديم المبتدأ أحياناً ، فتتحول
 رتبته غير المحفوظة إلى وجوب الحفظ وذلك
 أن يكون المبتدأ متلاماً له الصدارة ، أو أن
 يكون الخبر محصوراً بالح . وفي أحيان أخرى
 يعرض ما يوجب تقديم الخبر وحتى حين
 يجب تقديمه لاند من الضرر إليه مع حسانه
 مقدماً من تأخير « وأن أصابه أن يتأخر
 ومعنى ذلك أن القول بحرية الرتبة أمر نسي
 يصادق عند عدم العارض فإذا لم يعرض
 موجب لحفظها أو ما نع منه . دحلب في نطاق
 الاختيار الأسلوبي فيقدم المتكلم أى
 العنصرين أبلغ أثراً عند التقديم وأكماً في تسليع
 ظلال المعنى المطلوب تسليعه والتقديم
 والتأخير إما أن يكون مرتبطاً بعادة تركيبية
 خاصة تمكنت من المتكلم ، وإما أن يكون
 اختياراً متعمداً لإحدى طريقتين صحيحتين
 من حيث النحو ، متفاوتتين من حيث الإحصاء
 ممكنون المعنى وإذا كان التقديم عادة كان
 مجال دراسته كل ما أشأه الأديب . وإن كان
 اختياراً كان مجال دراسته الموضوع الذى وقع
 فيه الاختيار الأسلوبي المعين

٥ - التصام

الحماه العربيه نمط ترابط فيه الكلمات
 بعضها مع بعض نساب وأصول معينه منها
 (أ) الذكر فالأصل في كل كلمه في
 الجملة أن تكون مذكورة بحيث يعد استتارها
 أو حذفها على غير الأصل

(١) هذه عبارته وليست الآلة الكريمة التى نقول

* صحر عليهم السقف من فوههم *

(ب) الرصل . فالأصل في الكلمتين
 المترابطتين في داخل الجملة أن تتحاورا
 بلا فاصل ، والفصل بينهما على خلاف الأصل
 (ح) الوظيفه . والمقصود أن كل كلمه
 في الجملة يباط بها أداء وظيفه سياقيه خاصه
 فإذا وجد في الجملة ما لا تناط به وظيفه نحويه
 يعينها فذلك على خلاف الأصل أيضا

(د) الكمامه فالأصل في كل كلمه
 سيقت لبيان معنى ما أن تكبرن كافيه لأداء
 هذا المعنى

(هـ) الاختصاص وهو رابطة سياقيه
 تربط بين الكامة وما تدخل عليه سواء
 أكانت الكامة تركيبيه كالحروف والأدواب
 والنضائر الخ ، أو معجمية كالكلمات المفرده
 فهذه الكلمات المبردة تفتطمها حقول معجميه
 تجعل بعضها صالحاً للورود مع بعض الكلمات
 الأخرى دون بعض . انصر مثلاً عبارته (هجر
 عليهم السقف من تحتهم) (١) .

هذا هو الأصل ولو التزم الاستعمال به
 لصح أن نسميه « الاستعمال الأصولى » ولكن
 القرائن بأنواعها قد تعنى بين حين وآخر عن
 استصحات هذا الأصل ، فيجعل الحذف
 بديلاً للذكر ، ويجعل العصل أو الاعتراض
 بديلاً لوصول ، ويجعل الريادة بديلاً للوظيفية
 ويجعل تجاهل الاختصاص بديلاً من مراعاته
 وسبحاول وما يلى أن يعرض باختصار للحذف
 تم الريادة تم العصل ، تم الاعتراض تم تجاهل
 الاختصاص

(أ) الحذف :

الحذف عدول عن الذكر ، وتشرطه أن يقوم دليل على المحذوف ، أو بعبارة أخرى أن يتم الحذف مع وجود العريضة الدالة على المعنى وقد يقسمون الحذف إلى نحو تقصى بتقدير المحذوف فيه أصول الصناعات ، وبياني يستقيم بتقديره المعنى ويعهم بدون تقديره السياق . وكلا النوعين وارد عند التفكير في الأسلوب العدولي . ثم إن المحذوف قد يكون حرها ، أو كلمة ، أو شطر جملة ، أو جملة ، أو كلاما متصلا طويلا لا يستقيم المعنى إلا بتقديره وسأأتى لكل نوع من هذا بشاهد أو أكثر . مع المحافظة على عدم الإطالة

من حذف الحرف ما يجده في قوله تعالى « ولا على الدين إذا ما أتوك لتحماتهم فإنت لا أجد ما أحملكم عايه تولوا واعينهم تميص من الدمع حزبا ألا نحدوا ما ينمقون » (التوبة ٩٢) فهناك حرف عطف محذوف هو القاء ، إما إن يعطف « قلت » على « أتوك » ويكون الجواب « تولوا » . وإما إن يعطف « تولوا » على « قلت » فيكون الجواب « قلت » ولا مناص من تقدير القاء إذ تقصى به أصول الصناعات

ومن حذف الكلمة ما في قوله تعالى « وحملناه على ذات ألواح ودسر » (القمر ١٣) ، وسوغ الحذف أن انصفة خاصة بالمحذوف ، إذ لا يوصف بهذه الصفة إلا السمية ، أصف إلى ذلك دلاله « وحملناه »

« تجرى بأعيننا » ، وعود الضمير إلى نوح ،

وقصته مذكورة قبل هذا الشاهد

وأما حذف شطر الجملة منه ما في قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين » (يس ٤٥ - ٤٦) والمحذوف جواب « إذا » وتقديره « أعرضوا » ودليله قوله « إلا كانوا عنها معرضين » .

وأما حذف كلام طويل يقتضيه المقام فنحده في قوله تعالى : « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره لیسجن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب إلى مما يدعوني إليه » (يوسف ٣٢ - ٣٣) أي وظل على استعصامه ولم يفعل ما أمرته به فمهدوا أمرها فيه وأرسلوه إلى السجن فلم يرجعه ذلك عن الاستعصام ، قال رب السجن أحب إلح . وهذا النوع الأخير من الحذف يكثر في القصص القرآني فيقع من القصة موقع الحركة على المسرح من الحوار فتستعي القصة عن تمصياها كما يستغنى الحوار على المسرح عن تفاصيل حركات الممثلين ، وتقوم الفرائض في القصص القرآني مقام عين المشاهد في المسرح : هذه تعين على فهم معنى الحذف . ونلك تعين على مشاهدته الحركة المسرحية .

(ب) الزيادة

يسعى النحو إلى الكشف عن وطائف عناصر الجملة (المعردات) ، وتسعى

لكونه بعاهتين تم تفوق الثاني لخلوه منهما
ولوضعه في مقابل الأول دي العاهتين .

(ج) الفصل

الأصل في الكلام أن يكون متصلاً
والوصل هو الأسلوب الأصولي الملتزم
بالأطر النظرية العامة للغة . ويترتب على ذلك
أن المصطلح أسلوب عدولي . وهو على نوعين :
أحدهما نحوي والثاني بلاغي وأما النحوي
فيفهم في حدود الجملة الواحدة من حيث
حيلولته بين عنصرين متلازمين في الجملة
أن يتصل أحدهما بالآخر وقد يكون بأحبي
أو بغير أحبي والمصطلح بأحبي ممجوح مستثقل
وهو موضع سخط المحاة كقول الشاعر :

سراة بنى أبي بكر تسامى

على - كان - المسومة العراب

فصل بين الجار والمجرور بما ليس
من تنمة معناه أما الفصل بغير أحبي
فهو اختيار أسلوب يحد مسرحاً من مسرح
الإحسان والإجادة ومنه قوله تعالى

« يوم يأتي بعض آيات ربك لا يفتح نفساً
إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت
في إيمانها خيراً » (الأنعام ١٥٨)
إذ جاء الفصل بالفاعل بين المفعول وصفته
الجملة فلو قدم الفاعل لعاد الصمير على
متأخر لفظاً ورتبة ، ولو أخره عن الصفة
لطال الكلام بين الفعل وفاعله المفرد ، ومن ثم
يندر موضع الفاعل قلماً غير وثيق الصاه

البلاغة إلى إيضاح دلالات الحمل ، فضالة
النحو المعنى الوظيفي ، وضالة البلاغة المعنى
الاجتماعي أو المعنى العام . فاذا صادف النحو
في الجملة عنصراً ليس له وظيفة « نحوية »
عده زائداً في الجملة مادام لا يمكن أن ينسب
إلى إعراب معين ، فيقال مثلاً : هذا فاعل
أو هذا حال أو تمييز إلخ . وهذا الذي يعده
النحويون زائداً لا يراه البلاغيون كذلك ،
ولنما ينسبون إلى وجوده زيادة في المعنى ،
لأن « زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى »
كما يقولون . فالفرق بين « ما زيد قائم » ،
أو « ما زيد بقائم » أن الثانية تؤكد من الأولى
بسبب وجود الباء . وفيما يلي شاهدان على
زيادة الحرف لتأكيد المعنى مأخوذان من
القرآن الأول قوله تعالى : « وما يستوى
الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء
ولا الأموات » (فاطر ١٩ - ٢١) فقد زيد
« لا » مع النور والحرور والأموات ،
وذلك لتأكيد المعنى والثاني قوله تعالى .

« مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير
والسميع هل يستويان مثلاً » (هود ٢٤)
فالذي معنا في الآية هو شخصان
لا أربعة بدليل قوله : « هل يستويان »
ومعنى هذا أن الواو زيدت قبل الأصم
وقبل السميع ، وأن المعنى « مثل الفريقين
كالأعمى الأصم والبصير السميع » والواو
زائدتان للتأكيد وبيان قصور أول الرجلين

بالفعل . أما الحذف بمعناه البلاغى فيكون بين الجملتين اللتين بينهما تمام الانقطاع كما يقول البلاغيون ، كما يكون في مواطن انفعال المتكلم بالحواف أو العصب أو نحوهما فتمام الانقطاع كأن تقول . ما أحسن الدين والدينا إذا اجتماعا ، اللهم اجمعهما لنا فالأولى تعجب والثانية دعاء ولا يكون بينهما عطف . وأما المصلى في موافق الانفعال فالشواهد المرآيه عابه كثيره منها

« ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم ترعون ؟ قال الذين حتى عابهم المول ربما - هؤلاء الدين أعوينا - أعوييهاهم كما عوييا - تبرأنا إليك - ما كانوا إنانا يعبدون » (القصص ٦٣) « مساوا بين الجمل نحوف العقاب

« وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك - ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق - إن كنت فاتة فقد علمته - تعام ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - إناك أنت علام الغيوب » (المائدة ١١٦) « وصل لدفع التهمه » (فأما ألقوا قال موسى : ما حثم به السحر - إن الله سيملكه - إن الله لا يصاح عمل المسكين » (يونس ٨١) « وصل للدهشه وحرف المشغل .

« وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن ذنبه - قد شععها حبا -

بنا لثراها في ضلال مبين » (يوسف ٣٠) فصلا للانعزال بمتعة الغيبه .

« ويندر الذين قالوا : اتخذ الله ولداً . ما ليهم به من علم ولا آياتهم - - كبريت كلمه تخرج من أهواهم إن يقولون إلا كذبا » (الكهف ٤ ٥) فصل لإظهار العصب من إفكهم وهتاهم .
(د) الاعتراض :

الفرق بين الفصل بين المنلازم وبين الاعتراض . أن الفصل يكون بما دون الجملة ولا يكون الاعتراض إلا بالجملة والجملة المعتزلة غرده في العاده عن السماء الأدبى للكلام . حتى لها لغرض من أغراض المعنى . والاعتراض كالفصل من حيث يسمى كلاهما إلى الأسلوب العدولى . وفيما يلي طائفة من شواهد الاعتراض ، نسوقها طاماً لإدراك العايد التي برمى كتل اعتراض إليها . قال تعالى : « تأيها الذين آمنوا لا تدحاوا بسوب النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه (ولكن إذا دعتم فادحاوا فادا طعمتم فانتسروا) ولا مستأنسين لحديث » (الأحزاب ٥٣) « حرى المولى في الآبه » « غير ناظرين إياه ولا مستأنسين لحديث » ، ولأن الاعتراض جاء اخف وطأه النبي وبيان مداه .

وقال تعالى . « ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكتهم فيقاهوا خائبين (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » (آل عمران ١٢٧ - ١٢٨) ، فمجرى القول في الآية « ليقطع طرفا . . . أو يكتهم . . . أو يتوب عليهم » ، والاعتراض لبيان أن كل شيء يصيب الذين كفروا إنما هو بارادة الله فقط .

وقال تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد ساف إن الله عموماً رحيماً » (النساء ٣٣) فمجرى القول في الآية

« وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن . . . وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » ، وإنما جاء الاعتراض لعدم كفاية مفهوم المخالفة المستعماد من قوله « اللاتي دخلتم بهن » فأكد الاعتراض هذا المفهوم .

بإنا يتصح أن تحقيق معنى إصافي بواسطة الاعتراض مطاب في جعل الاعتراض أسلوباً عدولياً دا عايات أدبية .

(هـ) تجاهل الاختصاص :

سبقت الإشارة إلى دور الاختصاص في إطار قرينة التصام . كما سبق القول

(١) هذه عبارة وليست الآلة الكريمة

فخر عليهم السقف من فوقهم *

بأن للاختصاص حاسماً معجمياً أيضاً يتمثل في أن كلمات المعجم قائل يتألف مع بعض ويكرر بعضها آخراً فلا يتألف معه لما بين معنى هذا البعض وذاك من تعارض . وضرربنا لذلك مثلاً بعبارة « فخر عليهم السقف من تحتهم » (١) .

والمقصود بالاختصاص الحوى أن بعض الكلمات لا يرد إلا مع ما تتحقق فيه شروط خاصة من الكلمات الأخرى ، وتشيع ظاهرة الاختصاص بين الحروف والأدوات حتى إنها تتحول في بعض الحالات إلى افتقار متأصل (أى بحسب أصل الوضع) إلى عنصر لعوى دى شروط خاصة بعيها وحروف الحرتدخل على الأسماء دون الأفعال ، وحروف الحزم تدخل على الأفعال المصارعة دون بقية الأفعال ودون الأسماء ، وهام حراً وقد يدعو داع في أسلوبى إلى تجاهل

اختصاص الكلمة بأختها ، فتدخل على غير ماتخص به والمعروف أن هناك مطابقة بين الموصوف والصفة في التعريف والتنكير ولكن اختصاص السكر بالسكر فيجوهل في عدة مواضع من القرآن ، منها .

* « ألقيا في جهنم كل كمار عبيد مباح للغير معتد مريب الذى جعل مع الله إلهها آخر » (ق ٢٤ - ٢٦) .

* « هذا ما توعدون لكل أبواب حفيط من حشى الرحمن بالعيب وحاء بقاء ميب » (ق ٣٢ - ٣٣) ،

* « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون . . » (الحديد ٢٣-٢٤) ،

* « ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخذه » (الهمزة ١-٣) . فقد وصف الكفار في الآية الأولى « بالذي جعل » ، ووصف الأواب الثانية « بمن خشى » ، ووصف المختال في الثانية « بالدين » ، ووصف الهمزة في الرابعة « بالذي جمع » وقد سهل هذا أمران .

الأول . إضافة السكرة إلى لفظ « كل » في جميع الحالات

الثاني . وصف النكرة بالسكرة قبل صيغها بالمعرفة في جميع الحالات أيضا .

وكلا الأمرين يعيد السكرة تخصيصا وقد سبق أن قلنا إن التخصيص صو التعريف .

وأما تجاهل الاختصاص المعجمي فلا يتم إلا مع استبدال العلاقة العرفية بين اللفظ والمعنى بعلاقة أخرى فية كما سبقت الإشارة عند الكلام على مبدأ « النقل » ، فإذا تم التجاهل على هذه الصورة كانت النتيجة هي المحاز . وفي قوله تعالى « أولئك الذين اشتروا الصلابة بالهوى » تجاهل الاختصاص الشراء بالسلع وللتعارض بين الشراء والصلابة ، وقد يأتي المعنى هذا التجاهل

أحيانا كما في المثال الذي سبق في أول كلامنا عن هذه الظاهرة في عبارة « فخر عليهم السقف من تحتهم » ، وعندئذ يستعصى التركيب على الاستعمال .

* * *

نصل الآن إلى مبدأ الترحص في القرينة عند أمن اللبس . إن الإدراك الإنساني قد لا تنبهه القرينة الواحدة ، والطبيب لا يستطيع تحديد نوع المرض من ارتفاع الحرارة فقط ، لأن من طبيعة القرينة أن تدخل في تحالف مع عدد من القرائن الأخرى يختلف نوعه باختلاف المدلول . وهكذا إذا انصم إلى درجة الحرارة قرائن أخرى معينه دل مجموع القرائن على مرض ما وإذا انصمت إليها قرائن أخرى دلت القرائن في مجموعها على مرض آخر وكذلك لا تستقل العلامة الإعرابية ببيان الناب المحوى ولو سيقت وحدها لبيانها لاختلط التفاعل بمائده وبالمبتدأ وبالخبر . وهكذا كل ما استحق الرفع من أنواع المحو ، ولاحتياط المعمول به بكل ما استحق النصب ، واختلط المجرور بالحرف بكل ما استحق الحر . لا بد للمحو إذاً أن تتعدد قرائنه ليكون منها الإعراب والبنية والمطابقة والربط والرتبة والتصام والأداة ونغمة الكلام وسياق النص الح . ولا بد لكل باب نحوي أن يستدل عليه بائمين أو أكثر من هذه القرائن ، لأن القرينة الواحدة - كما سبق - لا يستحور على انتباه

السامع ولذا يتم تعزيزها بأختها « أن تفضل
إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ». ويحدث
في الكثير من الحالات أن يتصاغر عدد من
القرائن على بيان المعنى ، وبعض هذه القرائن
قد يكون زياده على الصرورى منها ،
حتى يمكن القول في هذا البعض : « إن
المعنى هو الذى يقتضيه ولا يقتضى هو
المعنى » . وهذا القول واضح في إعراب
« قام موسى » إذ أن المعنى هو الذى اقتضى
الرفع مقدر ب الصمه ، ولا وجود للصمه
حتى تقتضى هي الماعليد وهكذا أمن اللبس
حتى مع عدم الرفع وقد تكون القرينة موجوده
وأتلف في النص ولكن المعنى يقتضيه أيضاً
فتصبح رائده عن المطاوب كما في « فرأ
الساميد اندرس » إذ الماعل واضح والمعول
واضح بدون الصمه في الأول والتمتحة في
الثاني . هنا نقول إن المعنى اقتضى القرينة
وليس القرينة هي التي اقتضت المعنى
وأو نصبا الماعل ورفعه المعول لطل الماعل
فاعلا والمعول معولا على الرفع من ذلك
وقديماً رجعت العرب التوب ونصب المسار
في قولهم « حرق التوب المسار » دون أن
يحتوي اللبس في المعنى . هكذا ترخص العرب
في القرينة

وكل فرقة مما ذكرنا سابقاً حصعت
لترخيص على ألسنة المصحاء ذوي الحاجة

وأفصح الكلام كتاب الله تعالى ومن بعده
أحاديث أنبي عليهم السلام تم شعر الجاهليين ثم من
بعدهم . وقد وردت طاهره الترخص في
القرائن عند أمن اللبس في كل هذه الأنواع
من الكلام على نحو ما مرى في الشواهد
التالية

١ - الإعراب .

(أ) قال تعالى

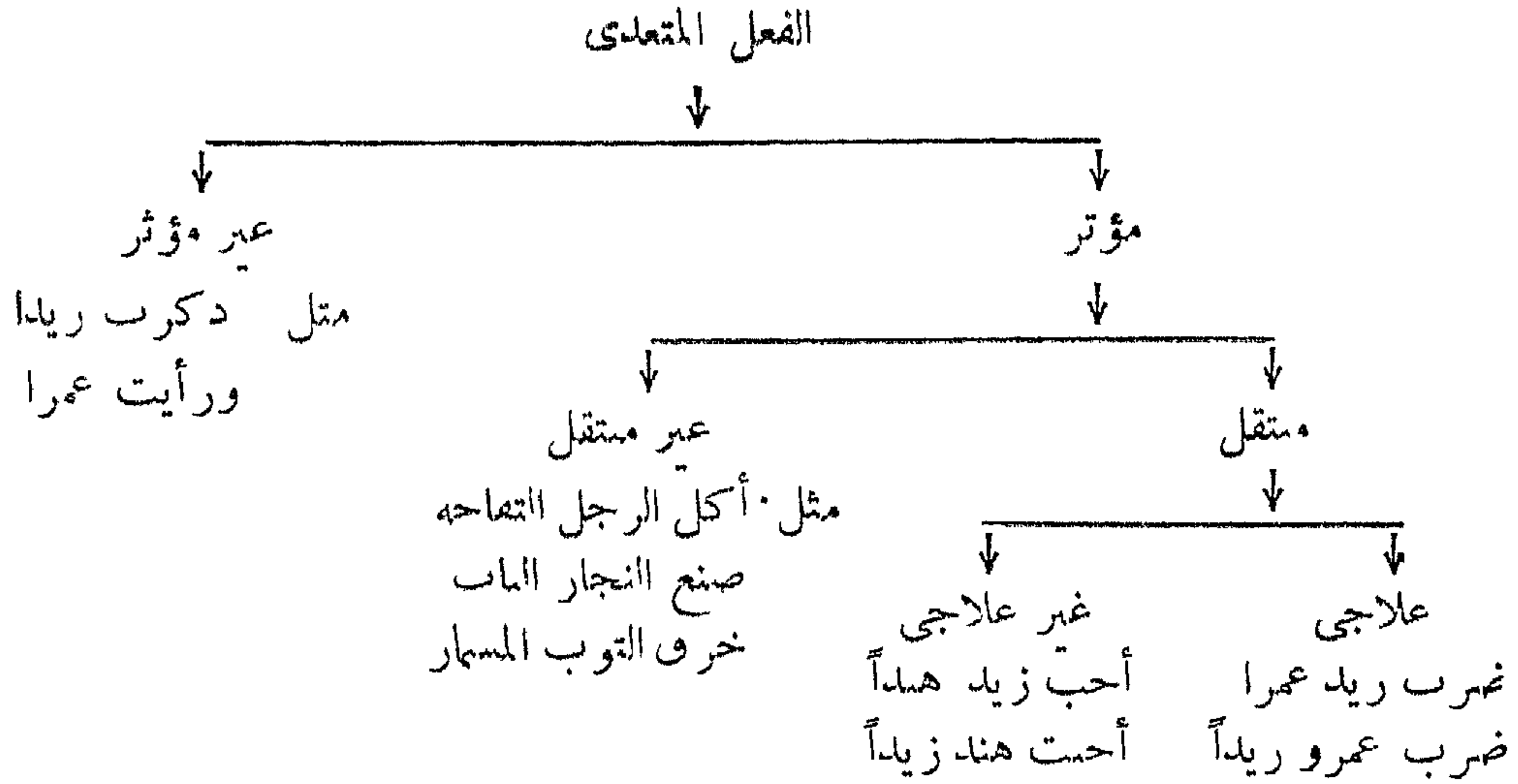
« لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما أرسل إليك وما أرسل من قبلك
والمفاهيم الصلاة والمؤتون الركاه والمؤمنون
بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً
عظيماً » (النساء - ١٦٢) وقعت كاسمة
المعنيين بين مؤمنين ومؤمنين والواو الدالة
على العطف . وكان العطف مستوفى الترخص
في الإعراب .

(ب) قال الشاعر

إذا اسود حشح الليل ولتأت ولتكن
نخطاك حفافا إن حراسا أسدا
لو كان لديا كمايتا « حراسا » و « أسد »
وأردنا بناء حبيد اسميه لكانت « حراسا »
مبتدأ لأنها معرّفة . ولكانت « أسد » حبرا
لما فيها من معنى الوصف ويؤيد ذلك أن
القاعدة تقتضى بأنه لا يفصل بين « إن »
واسمها إلا بحرفها الظرف أو الحار والمجرور
فعلم إداً أن « حراسا » في بيت الشعر المذكور
هي اسم « إن » فلم يبق لكامة « أسدا » إلا أن
تكون حبرا مع الترخص في الإعراب بسبب
أمن اللبس .

يتبادلا التأثير بإيقاع الحدث . وبيان ذلك
كما يلي .

(ج) قالت العرب : « خرق الثوب
المسار » . والمعل « خرق » فعل غير
منتقل أى لا يمكن لماعله ومفعوله أن



وهما يحدث الترخص في الإعراب بسبب
أمر الابس

٢ - البنية

ترخص القرآن في كلمة « سيناء »
وسماها « سيبس » وفي « إلياس » فقال .
« إلياسين » وجعل « ميكائيل » على صورة
« ميكال » و « مكة » صرهما « مكة » وترخص
في صيغ المبالغة فاستحدثت من الكبر
« كُبَاراً » ومن العجب « عجاب » وفي صيغة
المصدر فجعل « كيداً » مصدره للمعل
« كذب » وفي صيغة المصارع من الافتعال
فقال « يهدئي » و « يحصنمون » إلخ . وترخص
الراحر في « الأهل » فقال « الحمد لله العلي
الأجلل » ، وفي الحمام فقال : « أو العا مكة

وإذا كان الفعل غير منتقل اتضح الفاعل
من المفعول فأصبح لدينا فرينتان معويتان هما
الإسناد والتعدية وتعنى كلتاها عندئذ عن
الإعراب إذا حدث فيه ترخص ويصح
الإعراب قرينة رائدة عن المطلوب إذا بقي
دون ترخص .

(د) قالت العرب أيضا « ححر
ضرب خرب » بحر الصفة « خرب » على
الحوار هما يعود مرة أخرى إلى
الاختصاص المعجمي وقائل الكلمات وليس
بين الضرب والخرب مناسبة معجمية كالتى
بين الححر والخرب أى أن الححر يمكن
أن يوصف بالخرب ولا يوصف به الضرب
وهكذا تصح المناسبة المعجمية (أو
الاختصاص المعجمي إن شئت) قريته على
التبعية تجعل الإعراب أمراً غير دى بال .

من ورق الحمى » ، وترخص الشاعر في
« كيف » فقال :

كى تجنحون إلى سلم وما ثرت
قتلاكمو ولظى الهيجاء تستعر
وحسك من القلادة ما أحاط بالعق .

* * *

٣ - الربط :

وهاك أمثلة وشواهد على الترخص في
الربط :

(أ) قال تعالى : « وإن أطمعتموهم إليكم
لمشركون » (الأنعام ١٢١) ، حذف الفاء
الرابطية من جواب الشرط ، لوضوح المعنى
بدونها بقرينة إيمانهم وهو قرينة خارجية ،
من خارج النص

(ب) قالوا : « مررت بالبرق قفيز بدرهم »
أى منه ، فحذف الرابط ترخصاً لاختصاص
البرق القفيز أحدهما بالآخر . ولذلك
لا يجوز « مررت بالعدو اصبح على الزناد »
إذ لا يمكن الجزم بصاحب الاصبح : أهو
المر أم العدو؟ .

(ج) قال تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزى
نفس عن نفس شيئاً » (البقره ٤٨) أى فيه
حذف الرابط لوضوح المعنى بقرينة الجراء
وعدم التناصير وهما من خصائص يوم
القيامة .

٤ - المطابقة .

وهذه شواهد قرآنية على الترخص في
المطابقة .

(أ) قال تعالى . « هذان خصمان
اختصموا » (الحج ١٩)

(ب) قال تعالى . « وظلت أعناقهم لها
خاضعين » (الشعراء ٤)

(ح) قال تعالى . « وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا » (الحجرات ٩)

(د) قال تعالى . « وهل أتاك نبأ الخصم
إذ تسورا المحراب » (ص ٢١)

(هـ) قال تعالى : « فأتيا مرعون وقولا
إنا رسول رب العالمين » (الشعراء ١٦)

(و) قال تعالى . « قالتا أتينا طائعين »
(فصلت ١١)

(ز) قال تعالى . « السماء منهطر به ، كان
وعده مفعولا » (المرمل ١٨)

* * *

٥ - الرتبة .

سبق أن ذكرنا أن تشويش الرتبة
المحفوظة لا يمكن احتسابه أسلوباً عدولياً ،
ولما يعتبر ترخصاً في قرينة الرتبة ، بخلاف
تشويش الرتبة غير المحفوظة ، إذ يعد اختياراً
أسلوبياً فيما تنو ادعه طلال المعاني ومن
شواهد الترخص في الرتبة المحفوظة ، ما سبق

ذلك أن « من » في قوله « مما » تفيد البعضية وهي لا يعبر عنها بالأفعال (مثل يقتل) بل بالأسماء والضمائر (مثل « ما » المقدره) .

(ج) قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أى « لا أبرح » ويقال فيه ما قيل في
« تفتأ » في رقم أ .

(د) قال الشاعر :

ما أنت بالحكم الترضى حكومتته

.. .. .

أى « الذى ترضى » لأن « ال » الموصولة لا تضام الأفعال وإنما تكون صلها صفه صريحة على حد قول ابن مالك . فعلم برغم ما قيل أن المقصود « الذى ترضى » .

(هـ) قال الشاعر :

ألا أيهذا الزاحرى أحضر الوعى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

اعتمد الترخص على قرينتين : الأولى أنه لا يقال : زجره يفعل ، وإنما يقال زجره أن يفعل ، والثانية وجود أن مع الفعل المعطوف وهو « أن أشهد » مما يدل على وجوب تقديرها مع الأول .

من قوله تعالى : « ويصنع الفلك وكأما مر عليه ملاً من قومه سخروا منه » (هود ٣٨) وذلك لأن جملة الحال رتبها التأخير في كل الحالات وتقدير الكلام . وكأما مر عليه ملاً من قومه وهو يصنع الفلك سخروا منه . ومثله قوله تعالى . « وهى تجرى بهم فى موج كالحبال ونادى بوح ابنه » (هود ٤٢) أى ونادى بوح ابنه وهى تجرى بهم فى موج كالحبال . ومن ذلك قول الشاعر :

لعن الإله وزوجها معها

هدم الهنود طويلاً البظر

وقوله :

ألا يا نخلة فى دات عرق

عليك ورحمة الله السلام

* * *

٦ - التضام :

وهيما يلي شواهد على الترخص فى قرينه التضام عند أمن اللبس .

(أ) « قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف » (يوسف ٨٥) أى لا تفتأ ، وحذفت الأداة من فعل لا يستعمل إلا مقترنا بها ، ولذلك احتفظ بمعناه عند حذفها لأن الفعل اقتضى الأداة

(ب) قال صلى الله عليه وسلم « إن مما يبست الربيع يقتل أو يلم » ، أى إن مما يبست الربيع ما يقتل أو يلم بالقتل ، أى يكاد يقتل

(و) قال الشاعر :

نحن الأولى فاجمع جموع
علك ثم وجههم إلينا

أى نحن الأولى نتحدثك ، بقريته « اجمع
جموعك ثم وجههم إلينا »

* * *

هذه المشواهد المتقدمة تدل على ترخص
المصححاء في فرائض الكلام على أمن اللبس
طالباً للختمه أو سعياً وراء الابتكار والإعراب
أو خصوصاً للضرورة غير أن الترخص
أدى درجات الصواب لأنه يخالف القاعدة
والسهو المتعمد كاتيهما ، ولا يستعمل إلا أن
اللبس معه مأهول .

ماذا يبقى بعد كل أولئك ؟

لا يبقى إلا الخطأ المباح الذى لا سداد له
من قاعدة أو أساليب أو أمن لبس وقد
يجوز بعض المتقدمين الخطأ على المصححاء ،
وهو أمر عريب حقاً لسببين

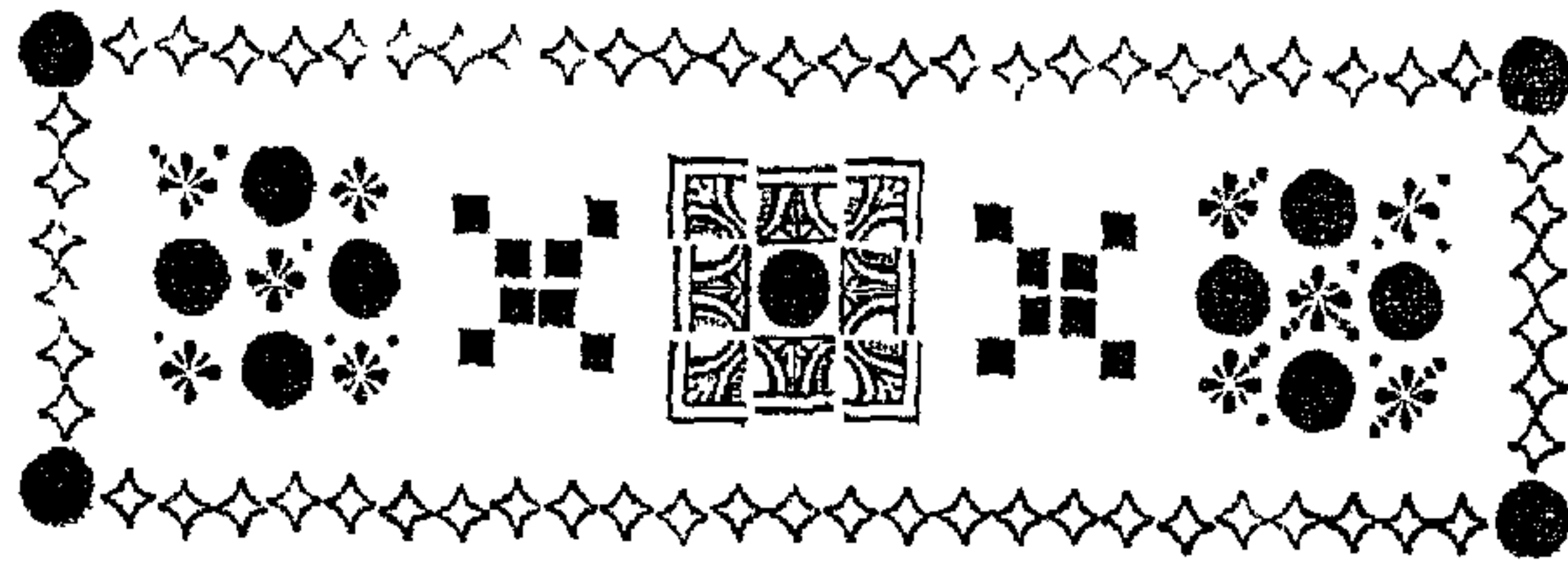
١ - أن المصحيح إذا ترخص كان على
ثقه من أمن اللبس ، وإذا كان الكلام غير

ملبس فهو صواب وثمن صح أن تحتسب
الرخصة من قبيل الشاذ أو القليل أو النادر أو
المسموع الذى يحفظ ولا يقاس عليه ،
لقد كان احتسابها كذلك أكرم للمصححاء ،
وأولى بما حثنا به من شواهد من النصوص
القرآنية

٢ - أن هذا النوع من ترخص المصححاء
هو مع ما يطاق عالياً في عالم اللبس « الابتداء
في اللغة » أو « الابتكار اللغوي » . وهو
في بعض صورته يستهوي المجتمع ، فيصح
سهو في الكلام ، ويكون سبباً في تطور
اللغة من عصر إلى عصر وربما كانت
الدورق التي لاحظتها اليوم بين لغة القرون
الأولى واللغة العربية النصحية المعاصرة
ناشئة عن تأثير هذا النوع من الترخص ،
بل ربما جاءت عن ترسخ أخطاء دوى
الحاه ، وهي أحوج إلى التبرير من ترخص
المصححاء

والله ولي الموفق ؛

تمام حسان
عصر المجمع



٢- والعزل مصطلح ورد في كلام الرضى في الكافية على « إن » العازلة « ما » عن العمل . وقد حاول البحث أن يجمع إليها بعض الحروف الأخرى التي تقوم بوظيفة العزل ، مثل :

عزل « ما » « إن » وأخواتها عن العمل ، وهى المسماة بالكافة أو المهيئة .
عزل « ما » بعض الظروف عن الإضافة ، وتخليصها للشرط . وهى المسماة بالمسلطة .
عزل « ما » بعض أنواع الكلم عن وظائفه ، ونقله إلى معان أخرى ، وتسمى بالمغيرة .
ويُظهر البحث أهمية العزل من خلال التطبيق ، والتطور الوظيفي لبعض الأدوات ، مثل : « مهما » و « طالما » و « بينما » و « بينما » و « فيما » .. وأثر ذلك فى اللغة المعاصرة .

٣- أما التعويض فهو من المصطلحات كثيرة الدوران ، ويقصد به : التعويض من إحدى نونى « أن » فى حالة تخفيفها ، وذلك بوضع فاصل بينها وبين خبرها ، يدل عليها . وقد تناول البحث بالتفصيل آراء القدماء فى هذه المسألة ، وناقش كثيراً من النصوص عندما تحدث عن « أن » فى القواعد المقررة ؛ مصدرية كانت أو تفسيرية أو مخففة من الثقيلة . ثم حاول البحث أن يقدم تفسيراً لسبب الاختلاف بين « أن » المخففة و « أن » المصدرية ، مبيناً أن ذلك مرجعه إلى البنية الدلالية لجملته كل منهما ، وأنه ممكن التجاوز عن شرط الفصل بين « أن » المخففة والمضارع بعدها ، إذا سبقت بفعل التحقيق الصّرف . واستند البحث فى هذا كله إلى نصوص من القديم والحديث ، رابطاً بين التراث والمعرفة الجديدة .

٤- وأما القطع ، فيقصد به : قطع الجمل عمّا قبلها بوساطة حرف من أحرف القطع السبعة . وهذا المعنى قريب من المعنى الذى قصده أبو جعفر النحاس من كتابه : « القطع والائتناف » . وقد تتبّع البحث بعض مواضع القطع فى القرآن الكريم ، وفى النصوص القديمة والحديثة ، ثم تعرّض لقطع النعت بالواو ، وفرّق بين القطع النحوى والقطع البيانى . وناقش بعض الاستعمالات الحديثة .

٥- والمقصود بكسر الإعراب : دخول بعض حروف الجر التي سماها النحويون - بالزائدة على المرفوع أو المنصوب من الأسماء، لتحقيق أغراض فنية ؛ كالاستغراق . والشمول ، وتقوية العامل . وقد عرض البحث أمثلة لذلك .

٦- كما عرض لمعنى الامتداد في الزمن ؛ من خلال « أن » و « كان » الزائدتين . وبين أن هذا المعنى يصاحب الواو الواقعة بعد « لَمَّا » و « حتى إذا » .

٧- وأخيراً تناول البحث بعض المصاحبات في القديم والحديث : فقد لوحظ كثرة مصاحبة الواو لبعض الأدوات في اللغة المعاصرة : كوقوعها بين « ما » وصلاتها ، ومجيئها مصاحبة لـ « بل » و « لا بد » و « حتى » و « ألا » و « إلا » و « أن » و « أن » و « لا » الدعائية . وحاول البحث أن يقدم تفسيراً لهذه الواو . من خلال عرض نماذج من النصوص القديمة ، ومن خلال تتبع أقوال النحاة والمفسرين . ثم الربط بين هبته الاستعمالات في اللغة المعاصرة وماورد من نصوص لغوية في كتب التراث ، يفهم منها : أن هذه الواو إنما تأتي في هذه المواضع ؛ إما لتقرير معنى الكلام السابق ، أو للدلالة على الشمول والاستقصاء في جميع الأحوال .

* * *

تعرضنا في بحث سابق^(١) للضمير
الفصل ، وتأثيره لفظاً ومعنى في الجملة
العربية ، وأنه يأتي مصاحباً لبعض
التركييب في الجملة الاسمية ، وأن
استخدامه يحتاج إلى معرفة عميقة بمواضع
الكلم في الجملة ؛ لما له من تأثير في
لفظ العبارة ومعناها .

ونحاول في هذا البحث أن نجعل بعض
الحروف التي تصاحب أنماطاً معينة من
التركييب ، في التقديم والحديث ،
ونضعها في تصنيفات موضوعية ؛ لنرى
مدى أهميتها في الإفهام النحوي ،
وقيمتها في التركيب اللغوي ، وذلك من
خلال المعاني الآتية :

* الربط .

* العزل .

* التعويض .

* القطع .

* كسر الإعراب .

* الامتداد في الزمن .

* تقرير الكلام السابق .

أولاً : الربط :

ويقصد به الدلالة على الشرط والجزاء
أو ما يشبهيهما بالفاء أو ما يقوم مقامها ،
وذلك في المواقع الآتية :

* بين الشرط والجزاء .

* بين المبتدأ والخبر المشبهين للشرط .

أولاً والجزاء .

* بعد « أمّا » .

* بعد شرط مقدر .

وسنتناول كل مسألة من هذه المسائل

على حدة . .

١ - الربط بالفاء بين الشرط والجزاء :

إذا كان السبكت أو جزم الفعل يقوم

بوظيفة الربط بين الشرط والجزاء ،

فإن الفاء تقوم بمقام هذا العنصر الصوتي

في حالة عدم الجزم ، وينوب عنها في

(١) ينظر : « ضمير الفصل ؛ فيه الموقعية وآثاره التركيبية في الجملة الاسمية الأصلية والمنسوخة » المجلة
العربية للعلوم الإنسانية ، تصدر عن جامعة الكويت ، العدد الثماني عشر ، المجلد الثالث - خريف ١٩٨٣ ، ص ٣٧ -

أداء هذه المهمة أحيانا الهزمة أو إذاً ،
كما سيأتى .

يقول سيبويه (١ : ٤٣٥) « . . لا يكون
جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء » ويقول
الجرجاني (ص ١٠٤٤) : « . . الجواب
إذا وجد معزوما علم أنه تابع للشرط .
غير منقطع عنه . فلم يفتقر إلى الفاء
» وينص أبو حيان على معنى الربط
صراحة بالجزم أو بالفاء ، فيقول :
(ص ٨١٠) : « ولرقيق : ربط الجملة
الشرطية بالمضارع له طريقان : أحدهما :
بعزومه ، والأخرى : بالفاء ورفعها لكان
قولا » .

وقد اختلفت التسميات التي تُطلق على
هذه الفاء ، فسميويه (١ : ٤٣٥) يكتفي
بألا يميز استخدام « الواو » أو « ثم »
بدلا منها ، وكأنه يعزدها في هذه الحالة
من معنى العطف . والأخفش يسميها
« فاء الابتداء » حيث يقول (ص ٤٦) :
« والفاء إذا كانت جواب المجازاة كان
مابعدا أبدا مبتدأ ، وتلك فاء الابتداء
لإفاء العطف ، ألا ترى أنك تقول : إن
تأتني فإفرك عندي على ماتحب ، فلو
كانت هذه فاء العطف لم يعجز السكوت

حتى تجيء لما بعد « إن » بجواب .
ويطلق عليها ابن السراج (٢ : ١٩١)
وابن جنى (٣ - ١ : ٢٥٤) والجرجاني
(ص ١٠٤٠) وابن يعيش (٨ : ٩٥) :
« فاء الإتياع » وبعضهم يطلق عليها :
« فاء الجزاء » و « فاء الجواب »
و « علامة الجزاء » و « فاء السببية »
و « التعقيب » (الرضى ٢ : ٢٦٢ ، ٢٦٣) .
ولعل تسميتها « فاء الربط » جامع
لكل هذه التسميات ؛ لأن الإتياع
والسببية والتعقيب وغير ذلك من
التسميات فيه معنى الربط ، واتصال
مابعد الفاء بما قبلها ؛ ولذا يقول ابن
السراج (١ : ٦٧) : « لأنها إنما
تدخل في الكلام لتتبع شيئا بشيء .
وتعلق ما دخلت عليه من الكلام بما قبله »
ويقول الرضى (٢ : ٢٦٢) : « لأن
معناها التعقيب بلا فصل ، والجزاء
متعقب للشرط ، كذلك » ويقول المرادى
(ص ٦٦) : « وأما الفاء الجوابية
فمعناها الربط ، وتلازمها السببية ،
قال بعضهم : والترتيب أيضا » .

ويوضح ابن جني معنى الربط بالفاء في جواب الشرط بقوله (٢ - ١ : ٢٥٤) : «إنما دخلت الفاء في جواب الشرط. توصلاً إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر ، أو الكلام الذي يعجز أن يبتدأ به ، فالجملة في نحو قولك : إن تحسن إليّ فالله يكافئك ، لولا الفاء لم يرتبط أول الكلام بآخره» ثم بضرب أمثلة للجمل التي يعجز الابتداء بها ، فيقول (٢ - ١ : ٢٥٥) : «ومن ذلك قولك : إن يقيم فاضربه ، فالجملة التي هي اضربه ، جملة أمرية ، وكذلك : إن يقعد فلا تضربه ، فقولك : لا تضربه ، جملة نهية ، وكل واحدة منهما يعجز أن يبتدأ بها ، فتقول : اضرب زيدا ، ولا تضرب عمرا» .

والجمل التي يعجز الابتداء بها ، ويعجب أن تدخلها الفاء إذا وقعت جزاءً هي :

الجملة الطلبية .

كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والعرض والتحضيض والدعاء والنداء .

الجملة الإنشائية .

كنعم وبئس وكل ما تضمن معنى

إنشاء المدح والذم ، وكذا عسى وفعل التعجب والقسم .

الجملة الاسمية :

سواء تصدّرت بالحرف « لا » أو « إن » ، نحو قوله تعالى :

«من يضل الله فلا هادي له» .

(سورة الأعراف : ١٨٦)

« إن تعذبهم فإنهم عبادك » .

(سورة المائدة : ١١٨)

أو لم تتصدر نحو : إن جئتني فأنت مكرم . وأما قوله تعالى : « وإن أظعنموهم إنكم لمشركون » .

(سورة الأنعام : ١٢١)

فلتقدير القسم ، كما يقول الرضي

(٢ : ٢٦٢ ، ٢٦٣) أي إن الجواب

المذكور للقسم المقدر ، ولذا لم يقترن

بالفاء ، كما لم يقترن بالفاء في قوله

تعالى : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات

« ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآياتنا »

(سورة الجاثية : ٢٥)

وإنما وجب اقتران الجزاء بالفاء في هذه المواضع لأن هذه الأشياء لا تقع شرطا . فلا تقع أيضا جزاء : إلا مع علامة الجزاء ، وهي الفاء .

«بقي الماضي غير المصدر بحرف ، والمضارع غير المصدر أو المصدر بـ « لا » أو لم ، أما الماضي غير المصدر والمضارع المصدر بلم فلا يدخلهما الفاء أصلا ، نحو : إن ضربتني ضربتك أو لم أضربك ؛ لأن إيهما مع مناسبتيهما لفظا للشرط . . . تعلقا بكلمة الشرط معنويا ، وذلك بانقلابهما إلى المستقبل بكلمة الشرط ، فلم يحتاجا إذن إلى العلامة . » (الرضي ٢ : ٢٦٣) .

وأما المضارع المثبت والمصدر بـ « لا » فيجوز فيهما الفاء وتركه . « أما الفاء فلأنهما كانا قبل الشرط صالحين للاستقبال فلا تؤثر الأداة فيهما تأثيرا ظاهرا ، كما

ويجوز أن يكون (إذا) لمجرد الوقت من دون ملاحظة الشرط . ، كما لم يلاحظ في قوله تعالى : « وإذا ما غضبوا هم يغفرون » . (سورة الشورى : ٣٧)

وقوله : « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » .

(سورة الشورى : ٣٩)

الجملة الفعلية المصدرية « بحرف سوى

(لا) و (لم) في المضارع ، سواء كان

الفعل المصدر بها ماضيا أو مضارعا ، فيجب في الماضي مصدرا بقصد ظاهرة أو مقدره ، نحو قوله تعالى : « إن كنت قلته فقد علمته » .

(سورة المائدة : ١١٦)

« إن كان قميصه قد من قبيل فصدقت » .

(سورة يوسف : ٢٦)

أو مصدرا بما أو « لا » ، نحو إن زرتني فما أهنتك ، وإن زرتني فلا ضربتك ولا شتمتك^(١) . وفي المضارع مصدرا بلن وسوف والسين وما . (الرضي ٢ : ٢٦٣) .

(١) يلاحظ في هذا المثال أنه كرر الحرف (لا) وذلك للدلالة على النفي ؛ لأن الأصل في (لا) الداخلة على الماضي أن تدل على الدعاء ، نحو : لا نامت أعين الجبناء ، لا أراك الله مكروها . . . إلخ ، إلا لما تكررت ، ففي هذه الحالة تدل على النفي ، نحو : « فلا صدق ولا صلي » (سورة القيامة : ٣١) أو عظفت على ما يشبهها نحو : « ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء » (سورة الأنعام : ١٤٨) فلو كانت الدعاء لوجببت الفاء علامة على الجزاء ؛ لأن الجملة طلبية حيثلته .

أثرت في فعلت ولم أفعل ، وأما تركه (أى الفاء) فلتقدير تأثيرها فيهما ؛ لأنهما كانا صالحين للحال والاستقبال ، على ما تقدم في المضارع أن (لا) صالحة لهما على الصحيح ، فالأداة خلصتهما للاستقبال ، وهو نوع تأثير « (الرضى ٢ : ٢٦٣) . قال الله تعالى : « إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم » . (سورة فاطر : ١٤) وقال : « فمن يؤمن بربّه فلا يخاف بخصا ولا رهقا » . (سورة الجن : ١٣) وقال الله تعالى في المضارع المثبت : « وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » . (سورة الأنفال : ٦٦) وقال : « ومن عاد فينتقم الله منه » . (سورة المائدة : ٩٥) ومنه سيبويه تقدير المبتدأ في الآية الأخيرة ؛ ليكون الجواب جملة اسمية في التقدير ، أى : ومن عاد فهو ينتقم الله منه ، « إذ المضارع المثبت صالح للجزاء بنفسه ، فلولا أنه خبر مبتدأ لم يدخل عليه الفاء » . (الرضى ٢ : ٢٦٣) . تقوم الهمزة - ويقصد بها همزة

الاستفهام - مقام الفاء في الربط بين الشرط والجزاء ، نحو قوله تعالى : « أرأيت إن كذّب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى » .

(سورة العنق : ١٣ ، ١٤)

وقوله سبحانه : « قال يا قوم ، أرأيتم إن كنتم على بينة من ربى ، وآتانى رحمة من عنده ، فعميت عليكم ، أنزل كمموها وأنتم لها كارهون » .

(سورة هود : ٢٨)

ومن كلام على - رضى الله عنه - في نهج البلاغة : « وإن فعل الله ذلك لكم ، أتؤمنون ؟ » . ونحو قولنا : إن أكرمك أتكرمني ؟ .

« ويجوز حمل هل وغيرها من أدوات الاستفهام على الهمزة ؛ لأنها أصلها » (الرضى ٢ : ٢٦٤) قال الله تعالى : « قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة ، هل يهلك إلا القوم الظالمون » (سورة الأنعام : ٤٧)

وقال تعالى : « قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم ، من إله غير الله يأتيكم به » . (سورة الأنعام : ٤٦)

وفي الجمع بين « الفاء » و « إذا » خلاف ؛
 فالخليل يرى أنه « لو كان إدخال الفاء على
 إذا حسنا لكان الكلام بغير الفاء قبيحا . فإذا
 قد استغنى عن الفاء ، كما استغنت الفاء عن
 غيرها . فصارت « إذا » ههنا جوابا . كما
 صارت الفاء جوابا » (سيبويه ١ : ٤٣٥) .
 وتابعه أكثر النحاة . ومن خالفه الزيادة .
 فهو يرى أنه يجمع بين الفاء وإذا .
 وقد رد ذلك ابن جنى (٢ - ١ : ٢٦٤)
 : بأنه يستغنى بما في « إذا » من معنى الإتيان
 ؛ عن الفاء ، واستدل بالآية (إذا هم
 يقنطون) . وعند الجرجاني (ص ١٠٤٤)
 لو جمع بينهما لكان كالجمع بين فاء وفاء ،
 وهذا لا يجوز .
 ويقول أبو حيان (ص ٨٠٧) : إنه لا يجوز
 الجمع بين الفاء وإذا في الشرط . وإن
 كان ذلك جائزا في غيره . ويعمل السيوطي
 (٤ : ٣٢٩) لعدم جواز اجتماعهما بأنه
 لا يجتمع المعوض مع العوض ، « فإذا » عنده
 عوض من الفاء . وللعلماء فيها خلاف ،
 أهى حرف أم ظرف ^(١) ، والصحيح أنها

وقد تدخل الفاء على (من) لعدم
 عراقتها في الاستفهام ، كما في قوله
 تعالى : « قال يا قوم أرأيتم إن كنت
 على بينة من ربي ، وآتاني منه رحمة ،
 فمن ينصرنى من الله إن عصيته . . . »
 (سورة هود : ٦٣)
 كما يجوز أن « تقول : إن أكرمك
 فهل تكرمنى ؟ » .

(الرضى ٢ : ٢٦٤)

أما (إذا) فتستعمل رابطة قبل الجملة
 الاسمية . نحو قوله تعالى : « وإن تصبهم
 سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون »
 (سورة الروم : ٣٦)

وهى « أقل من الفاء ؛ لثقل لفظها ، وكون
 معناها من الجزاء أبعد من معنى الفاء ،
 وذلك لتأويله بأن وجود الشرط مفاجئ
 لوجود الجزاء ومتهجم عليه » .

(الرضى ٢ : ٢٦٢)

ومن أجل هذا أغفل كثير من النحويين
 ذكرها في جواب الشرط .

(١) تظهر ثمرة هذا الخلاف في غير الشرط نحو : خرجت فإذا الأسد ؛ لمن قال : إنها ظرف جعلها خبرا
 مقدما ، والاسم المرفوع بعدها مبتدأ مؤخرا ، وكان القائل قد قال : خرجت ففى وقت خروجى أو فى مكان
 خروجى : الأسد ؛ على تقدير الزمان أو المكان . ومن قال : إنها حرف جعل الاسم المرفوع بعدها مبتدأ حذفت خبره ،
 والتقدير : خرجت فإذا الأسد موجود أو حاضر أو نحو ذلك .

حرف يرد للمفاجأة :

(الرضي ٢ : ١١٤)

وقد اشترط النحاة لوقوعها رابطة أن يكون الجواب جملة اسمية غير طلبية ولا منفية ، وأن تكون أداة الشرط « إن » ؛ لأن السماع إنما ورد في « إن » (السيوطي ٤ : ٣٢٨) والمتبع لاستعمالات « إذا » الفجائية في القرآن الكريم يلحظ أنها قد جاءت رابطة في جواب « إن » و « إذا » الشرطيتين ، و « لما » الحينية ، نحوه قوله تعالى . . .

« وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون » (سورة الروم : ٣٦) وقوله : « ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون » (سورة الروم : ٢٥) وقوله سبحانه : « فلما أنجاهم إلى البر إذا هم يشركون » . . .

(سورة العنكبوت : ٦٥)

كذلك فيما يشبه الجواب ، ل « بينا » أو « بينما » نحو قول الحكم بن عبدل :

بيننا هم بالظهر قد جلسوا
يوما ، بحيث يُنزع الدُّبُحُ

فإذا ابن بشر في مواكبه

تهوي به خطارة سرح

(الخرزانه ٣ : (١٧٨))

٢ - الربط بالفاء بين المبتدأ والخبر :

وتقع الفاء رابطة بين المبتدأ والخبر إذا كان المبتدأ باقيا على الأبتداء ، أو دخل عليه ناسخ ، هو « إن » أو « أن » أو « لكن » ، وكان واحدا ما يلي . . .

(أ) الاسم الموصول الذي صلته جملة فعلية أو شبه جملة ، مثل قوله تعالى : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم . . . » (سورة البقرة : ٢٧٤)

« إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (سورة الأحقاف : ١٣)

أ ونحو قولهم : الذي يأتيني فله درهم ، الذي عندك أو في الدار فله درهم . . .

(ب) الاسم النكرة المنعوت بالجملة الفعلية أو شبه الجملة ، نحو : رجل

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »
(سورة المائدة : ٣٨)

« الزانية والزاني فاجلداهما كل واحد
مئتي جلدة »

(سورة النور : ٢)

فكّل من « السارق » « والزانية »
مبتدأ ، خبره دخلت عليه الفاء ؛
وسيبويه يرى أن الخبر في هاتين الآيتين
محذوف ، والفاء داخل على جملة مستأنفة ؛
كأنه لما قال جل ثناؤه : « سورة أنزلناها
وفرضناها . . . » في الفرائض الزانية
والزاني ، أو الزانية والزاني في الفرائض ؛
ثم قال : فاجلدوا ، فجاء بالفعل بعد
أن مضى فيهما الرفع . . . وكذلك
والسارق والسارقة ، كأنه قال : وفما
مرض الله عليكم السارق والسارقة ،
أو السارق والسارقة فيما فرض عليكم . . . »

(سيبويه ١ : ٧١ ، ٧٢)

وقد شبه النحاة المبتدأ في هذا
التراكيب بأدوات الشرط من وجهين :
إفادة العموم ، واستقبال صلته . ولذلك

ياتيني هله درهم ، رجل في المسجد فله
درهم

(ج) كلمة « كلّ » المضافة إلى ما سبق
نحو :

كل الذي تفعل فلك أو عليك ،
كل رجل يتقى الله فسمعيه وأجاز الرضى
في شرح الكافية (١ : ١٠٢) أن تكهّن
مضافة لغير المنعوت السابق ، نحو
« كل رجل فله درهم » اضارعته لكلمات
الشرط في الإبهام

وفي اللغة العامية تحل الواو محل الفاء
في مثل هذا التركيب ، فنحن نقول في
الأمثال الشعبية : كلّ فولة ولها كيال ؛
كلّ واحد وله يوم ، كلّ وقت وله
أذان ، كلّ عقدة ولها حلال .

(د) الاسم الموصوف بالموصول السابق ،
بشرط قصد العموم واستقبال معنى الصلة .
نحو قوله تعالى :

« قل إن الموت الذي تفرون منه
فإنه ملائكم . . . » (سورة الجمعة : ٨)

(هـ) الوصف المعرف بئال ، نحو
قوله تعالى :

عندما دخلت الفاء على ماصلته ماضياً ،

مثل قوله تعالى : ﴿

﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان

فبإذن الله﴾

(سورة آل عمران : ١٦٦)

أولوه على معنى : وما يتبين إصابته

إياكم . وقد فصل الرضى في الكافية

(١ : ١٠١ ، ١٠٢) هذه المسألة ، وقارن

بين أسلوب الشرط وهذه التراكيب .

ويمكن تشبيه هذه المقارنة بالشكل الآتى :

الاسم الموصول (مبتدأ)	أداة الشرط	صلة الموصول	فعل الشرط	خبر المبتدأ	فعل الجواب
	من		يقرأ		يستفيد
الذى	.	يقرأ		يستفيد	

ولهذه المشابهة بين هذا النوع من المبتدأ وأسماء الشرط لم يجيزوا دخول النواسخ عليه مع وجود الفاء ، « وذلك لأنه إنما دخله الفاء لمشابهة المبتدأ لكلمة الشرط ، ويلزمها التصدر ، ولا يدخلها نواسخ الابتداء ؛ لأن تلك النواسخ تؤثر معنى فى الجملة ، وما يؤثر فى الجملة لا يدخل على جملة مصدرية بلازم التصدر ، إلا أن هذا المبتدأ لكونه غير راسخ العرق فى الشرطية جاز أن يدخله ما لا يؤثر فى الجملة المتأخرة معنى ظاهراً .. » (الرضى ١ : ١٠٢) وهو : « إنَّ وأنَّ

ولكن . « نص على ذلك فى « إنَّ وأنَّ » سيبويه ، وهو الصحيح الذى ورد نص القرآن المجيد به » (الأشمونى ١ : ٢٢٥)

كقوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً » (سورة آل عمران : ٩١)

وقوله تعالى : « إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم .

(سورة آل عمران : ٢١)

وقوله تعالى . «واعلموا أنما شئتم من شيء فآن الله خمسه .»

(سورة الأنفال : ٤١)

أما « لكن » فقد جاء في الشجر

فوالله ما فارقتمكم فاليا لكم

ولكن ما يقضى فسوف يكون

(الأشموني ١ : ٢٢٥)

٢ - الربط بالفاء بعد « أما » :

يتدخل الفاء بعد «أما» نحو : أما زيد فكريم . وشواهدها كثيرة ، قال تعالى : «فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» (سورة الرعد : ١٧) وقال سبحانه : «كذبت ثمود وعاد بالقارعة ؛ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا سريح صرصر عاتية» .

(سورة الحاقة : ٤ - ٦)

وقال تعالى :

« . . فأما الذين آمنوا فاعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا . . » (سورة البقرة : ٢٦)

وقال عز وجل .

«أما السفينة فكانت لمساكين يعملون

في البحر . . .»

(سورة الكهف : ٧٩)

«وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين...»

(سورة الكهف : ٨٠)

«وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين

في المدينة...» (سورة الكهف : ٨٢)

ومن كلام الحارث بن مسهر :

أَلْوَمًا كَلَمًا أَهْلَكْتُ شَيْئًا

وَأَمَّا الدَّهْرُ ، هِنْدُ ، فَلَإِيْلَامٌ

وقد شاع استخدام «أما» في اللغة

المعاصرة ، كإلزامه من لوازم العرض في

المؤلفات والرسائل العلمية والأدبية ،

ويستعملها الرافعي كثيرا ، مثل قوله في

«وحي القلم» :

«أما هذا ، فنعم» (١ : ١٠٩)

«أما كيف كان حسنا أوردينا ..

فذلك ما لا سبيل إليه . . .» (٣ : ٢٨٥)

«أما هو فرآني...وأما أنا فما رأيته...»

(١ : ١٠٩)

«أما أنا فقد سمعت . . . وأما أنت

فقد رأيت . . .» (١ : ١١٤)

يكن من أمره فمنطلق ، ألا ترى أن الفاء
لازمة لها أبداً . . .

وقد تبع سيبويه في هذا القول كثير
من النحاة ، أمثال المبرد في المقتضب
(٣ : ٢٧) ، وابن جنى في الخصائص
(١ : ٣١٢) والنحاس في إعراب

القرآن (١٢٣٦) وابن يعيش في
شرح المفصل (٩ : ١١) والرضي
في شرح الكافية (٢ : ٣٩٧) وابن
هشام في المغنى (١ : ٥٩) والسيوطي

في الهمع (٤ : ٣٥٥) ، وغيرهم .

ففي الجملة «أما زيد فمنطلق» يرون
أن معناها : «أما زيد فمنطلق» يرون
أن منطلقاً . وقد نابت «أما» عن أداة
الشرط وفعل الشرط (مهما يكن) ،
وزحلت الفاء الرابطة للجزاء بالشرط ،
وقدم عليها بعض الجواب ، حتى لاتقع
بعد الأداة مباشرة .

ويستعملها الدكتور طه حسين كثيراً
جداً ، وأحياناً يستخدمها مصاحبة للآن ،
نحو : «أما الآن . . . ف . . .»

(حسين : ١ - ١٢٨)

وإذا وقعت بعدها «إن» تفتح همزتها^(١)
نحو :

«أما أنك خير من هذا الشيخ في
نفسك وفي نفسي فهذا شيء ليس فيه
شك ، وأما أنك خير منه عند الله ، فأنه
وحده يعلم هذا . . .»

(حسين : ١ - ١٠١)

ولوجود هذه الفاء بعدها قال النحاة :
«إن» فيها معنى الجزاء ؛ لأن قولنا : «أما
عبد الله فمنطلق» ، محوالة عن جملة :
عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق .
كما ما يفهم من قول سيبويه (٢ :
٣١٢) : «وأما (أما) ففيها معنى
الجزاء ؛ كأنه يقول : عبد الله مهما

(١) هذا أحد الفروق بينها وبين «أما» الخفيفة ، حيث تكسر «إن» بعدها ، مثلها في ذلك مثل «ألا»
الاستفتاحية في نحو قوله تعالى : «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم» (سورة يونس : ٦٢) ومن كلام الرافعي
(١ : ١٩٨) : «أما إن غلطة الرجل في المرأة لا تكون إلا من غلطة المرأة في نفسها» .

فإذا كانت «أما» بمعنى «حقاً» فتحت بعدها «أن» نحو : «أما أنك ذاهب» (السيوطي : ٤ : ٣٦٨) .

فمنطلق ، كما تأتي عاطفة بين الاسمين
 في نحو : قام زيد فعمر . . . »
 وما ذكره ابن جنى في باب « إصلاح
 اللفظ » خاصاً بـ « أمّا » يعد من قبيل
 التناسق في السياق ، إن صح هذا التعبير
 بقصد ترتيب الكلمات في الجملة أو العبارة
 على وفق القواعد المقررة ، وهو ما يطلق
 عليه علماء اللغة (Word order) . والذي
 دعا النحاة إلى تضمين « أمّا » معنى
 الشرط تفسير سيبويه لها بـ (مهما يكن
 من شيء) فمن هنا زعموا أنها نابت مناب
 (مهما يكن ..) « ولم يعلموا أن سيبويه
 وأمثاله من المتقدمين .. كان قولهم فيها
 تفسير معنى للتقريب ، لاتقدير إعراب ،
 وأنه ليس من الضروري مطابقة الإعراب
 للمعنى دائماً ، إذ لا يمكنه أن يتابعه في
 كل حال ، وقد يخالفه لأسباب صناعية .
 (قباوة : ٥١)
 وقد صرح بعض النحاة بأن أمّا
 « لو كانت شرطاً لتوقف جوابها على
 شرطها ، مع أنك تقول : أمّا علماً فزيد
 عالم ؛ فهو عالم ، إن ذكرت العلم أو لم

ويوضح ابن جنى هذه المسألة أيّما
 إيضاح ، فيقول في الخصائص (١) :
 ٣١٢ ، ٣١٣) : « . . . ألا ترى أن
 تحرير هذا القول إذا صرحت بلفظ
 الشرط فيه صرت إلى أنك كأنك
 قلت : مهما يكن من شيء فزيد منطلق ،
 فنجد الفاء في جواب الشرط في صدر
 الجزأين مقدمة عليهما ، وأنت في
 قولك : « أمّا زيد فمنطلق » إنما تجد
 الفاء واسطة بين الجزأين ، ولاتقول :
 أمّا فزيد منطلق ، كما تقول فيما هو
 في معناه : مهما يكن من شيء فزيد
 منطلق ، وإنما فعل ذلك لإصلاح اللفظ .
 ووجه إصلاحه أن هذه الفاء ، وإن كانت
 جواباً ولم تكن عاطفة ، فإنها على مذهب
 لفظ العاطفة وبصورتها ، فلو قالوا :
 أمّا فزيد منطلق ، كما يقولون : مهما
 يكن من شيء فزيد منطلق ، لوقعت الفاء
 التجارية مجرى فاء العطف بعدها اسم
 وليس قبلها اسم ، إنما قبلها في اللفظ .
 حرف ، وهو « أمّا » فتتكبوا ذلك لما
 ذكرنا ، ووسطوها بين الحرفين ؛ ليكون
 قبلها اسم وبعدها آخر ، فتأتى على
 صورة العاطفة ، فقالوا : أمّا زيد

وتوكيد الكلام . « تقول : زيد ذاهب
فإذا قدمت توكيد ذلك ، وأنه لا محالة
ذاهب ، وأنه به مدد الذهاب ، وأنه منه
زينة قلت : أمّا زيد فذاهب » (الزمخشري
١ - ١ : ٢٢٦) ومعنى التفصيل فيها
المحذوف ؛ سواء كررت كما تقدم ،
أو لم تتكرر ، نحو قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ
رَبِّكُمْ ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ؛
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ، وَاعْتَصَمُوا بِهِ ،
فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ، وَيَهْدِيهِمْ
إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا » (سورة النساء
الآية ١٧٤ ، ١٧٥) ؛ لأن المقصود :
وأما الذين كفروا بالله فلهم كذا وكذا ..
ولم تذكر السورة ذلك ، وإنما هو مفهوم
من السياق

والفاء بعدها لازمة لأنها أصبحت جزءاً
من التركيب ، بمقتضى ما تقدم من معنى
التفصيل والتوكيد ، كما لزم الباء
« أفعل به » في التعجب . وقد نقل
السيوطي في الهمع (٤ : ٣٥٥ ، ٣٥٦)
عن أبي حيان قوله : « هذه الفاء جاءت
من اللفظ خارجة عن قياسها ؛ لأنها
لم تعبى رابطة جملتين ، ولا عاطفة مردها

تذكره . بخلاف : إن قام زيد قام عمرو ؛
فقيام عمرو متوقف على قيام زيد » .
(الصبان ٤ : ٤٤)

« ولو كانت الفاء بعدها رابطة للجواب
لالتزم فيها قياس الفاء الرابطة ، فكانت
غير لازمة في مثل قول كثير عزة :
وما أنصفت ؛ أمّا النساء فيغضب

إلينا ، وأمّا بالنوال فضنت
وقول عمر بن أبي ربيعة :

أَتُ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
فَيَضْحَى ، وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْضَرُ
لأن الجواب دهننا جملة فعلية ، ولا يلائم
في مثله انفاء بعد أدوات الشرط «
(قباوة : ٥٥) ، إذ الفعل غير المصدر
لاتدخله الفاء في الجزاء .

والتحقيق أن « أمّا » تصرف الكلام
إلى الابتداء ، كما قال سيبويه (١ : ٤٩)
وهي موضوعة لمعنيين .

هـ لتفصيل مجمل ، نحو قولك : هو
فضلاء ؛ أمّا زيد ففقيه ، وأمّا عمرو
فمكلم ، وأمّا بشر فكلنا . إلى آخر
ما تقصد ... » (الرضي ٢ : ٣٩٥)

على مثله . والتعليل يكون (أمّا) في معنى الشرط . ليس بجيد ، لأن جواب (مهما يكن من شيء) لا تازم فيه الفاء ، إذا كان صالحاً لأداة الشرط ، والفاء لازمة بعد (أمّا) سواء كان ما دخلت عليه صالحاً لها أو لم يكن ، ألا ترى أنه يقال : مهما يكن من شيء لم أبال به . ويمتنع ذلك في (أمّا) ويجب ذكر الفاء . فدل على أن لزوم الفاء ليس لأجل ذلك .

ولذا لا تحذف إلا إذا دخلت على قول قد حذف استغناء عنه بالمقول أو في ضرورة أو في ندور .

مثال الأول : قوله تعالى : « ... فأمّا الذين أسودّت وجوههم ، أكفرتهم بعد إيمانكم ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » (سورة آل عمران : ١٠٦) أى : فيقال لهم : أكفرتهم . فحذف القول استغناء عنه بالمقول ، فتبعته الفاء في الحذف . « وزعم بعض المتأخرين أن الفاء لا تحذف في غير الضرورة أصلاً ، وأن الجواب في الآية : « فذوقوا العذاب » . والأصل : فيقال لهم : ذوقوا العذاب ، فحذف

القول ، وانتقلت الفاء للحقول ، وأن ما بينهما - أى : أمّا والفاء - اعتراض . (الصبان ٤ : ٤٥)

ومثال الثاني : قول الشاعر :

فأمّا القتال ، لا قتال لديكم

ولكن سيرا في عراض المواكب

(الأشموني ٤ : ٤٥)

وكان القياس أن يقال : فلا قتال .

فحذفت الفاء للضرورة .

ومثال الثالث : ماخرج البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم : « أمّا بعد ، ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ... »

وقول عائشة - رضی الله عنها - : « أمّا الذين جمعوا بين الحج والعمرة طافوا طوافاً واحداً ... » فحذفت الفاء في الحديث وقول عائشة نادر .

إعراب ما بعد أمّا :

تبين مما سبق أن « أمّا » حرف تفصيل وتوكيد وليست أداة شرط ولا نائبة عنه . ولا بد من الفاء في التوكيد المصاحب لها .

فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث «
(سورة الضحى : ٩ ، ١٠ ، ١١)

والخامس : اسم منصوب بمحذوف
يفسره ما بعد الفاء ، نحو : أما زيداً
فاضربه .

والسادس : ظرف ، نحو : أما اليوم
فاضرب زيدا .

(خالد الأزهرى ٢ : ٢٦٢)

هذا ، وقد يقع بعد «أما» ما يتكرر
ذكره بعد فائها ، وذلك :

• إما مصدر مكرر ضمناً ؛ بأن يذكر
بعد الفاء ما اشتق من ذلك المصدر نحو :
أما علماً فعالم .

• وإما صفة مكرر لفظها بعد الفاء ،
نحو : أما صديقاً مصافياً فليس بصديق
مصافح .

• وإما غير ذلك ، نحو : أما أبوك
فلا أبأ لك ، وأما العبيد فذو عبيد ،
وأما زيد فقد قام زيد .

« فالمنكر من المصدر والوصف يجب
عند الحجازيين نصبهما ، ويختار ذلك
بنو تميم .. والمعرف من المصدر يجب

ويمكن تسمية هذه الفاء باللازمة ،
أو الرابطة ، تشبيهاً لها بالفاء في قولهم :
الذى يأتيني فله درهم ، إذ هي تصل
ما بعدها بما قبلها . وليس المقصود ربط
الجزاء بالشرط .

ويعرب ما بعد «أما» بحسب موقعه
من الكلام قبل دخول «أما» يتول
المبرد (٣ : ٢٧) : « وجملة هذا الباب :
أن الكلام بعد (أما) على حالته قبل أن
تدخل ، إلا أنه لا بد من الفاء ... » .

• ويلى «أما» واحد من ستة :

أحدها : المبتدأ ، نحو : أما عبد الله
فمنطلق .

والثاني : الخبر ، نحو أما في الدار
فزيد .

والثالث : جملة الشرط دون جوابه ،
نحو : « فأما إن كان من المتحريين ،
ففرّج وريحان وجنة نعيم » .

(سورة الواقعة الآية ٨٨ ، ٨٩)

والرابع : اسم منصوب لفظاً أو محلاً ،
نحو : فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل

أُرفعه عند بنى تميم والمعرف من الوصف مرفوع عند الجميع بلا خلاف .
وأما غير المصدر والوصف فمرفوع عند الجميع معرّفاً كان أو منكراً .

(الرضي ٢ : ٣٩٧)

فالرفوع في كلّ ما ذكر على أنه مبتدأ ، بعد الفاء خبره ، والمنصوب في الصفة على أنه حال مما بعد الفاء ، وفي المصدر المنكر على أنه حال مؤكدة أو مفعول مطلق لما بعد الفاء .

وأجاز الحجازيون في المصدر المعرف : الرفع والنصب ، الرفع على الابتداء ، والنصب على أنه مفعول مطلق ، وقيل على أنه مفعول له ، وأنكره ابن الحاجب قائلاً : « وأقول : كون المصدر [المعرف] المنصوب مفعولاً له عند الحجازيين لا دليل عليه ، ولو كان كذلك لجاز : أمّا للعلم فعالم . والأولى أن يقال : المنصوب عند بنى تميم والحجازيين في الصفة على أنه حال مما بعد الفاء ، وفي المصدر المعرف على أنه مفعول مطلق لما بعد الفاء ، وفي المصدر المنكر على أنه

حال أو مفعول مطلق لما بعد الفاء . » .

(الرضي ٢ : ٣٩٨)

ولا يستنكر هنا عمل ما بعد الفاء فيما قبلها ، « وإن كان ذلك ممتنعاً في غير هذا الموضع »

(الرضي ٢ : ٣٩٦)

أمّا الموقع الإعرابي للمشتق المرفوع بعد الفاء في حالة نصب المصدر ، نحو : أمّا علماً فعالم ، وأمّا العلم فعالم ، فعلى أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي : فهو عالم .

ويبدو من كل ما تقدم أن الأصل في « أمّا » أنها تفيّد نوعاً من القصر البلاغي ، فتدخل على المبتدأ والخبر ، نحو : زيد عالم ، فتكون : أمّا زيد فعالم ، وتدخل على المصدر وما يؤكده ، نحو : هو عالم علماً ، فتكون : أمّا علماً فعالم ... إلخ .

تبقى مسألة لها علاقة « بأمّا » وهي قولنا : (وبعد ، فأقول) بإدخال الفاء ؛ فقد ذكر العربون أن الأصل في هذه العبارة هو : (مهما يكن من شيء بعد هذا فأقول) ثم حذف (مهما

يكن من شيء) وأقيمت (أمّا) مقامه ،
ثم حذفت (أمّا) وعوضت منها الواو ،
فالواو نائبة عن (أمّا) . وهذا التقدير
مبنى على أن (أمّا) حرف شرط جازم ،
وعلى أن أساس هذه العبارة : أمّا بعد ،
فأقول . « والصواب في مثل هذه العبارة
أن تكون الواو استثنائية . والفاء
زائدة ، والظرف (بعد) متعلقاً
بـ (أقول) » .

(قباوة : ٥٩)

وشبيه بهذا ما زعموا في إعراب قوله
تعالى : « بل الله فاعبد » .

(سورة الزمر : ٦٦)

فقد قيل : إن الأصل : مهما يكن
من شيء فاعبد الله . فالفاء واقعة في جواب
(أمّا) مقدّمة .

(ابن هشام : ١٨٠)

والمختار في هذا الباب - كما تقدم -
أن تكون الفاء زائدة لتزيين اللفظ ،
ولا حاجة إلى التقدير .

٤ - الربط بالفاء بعد شرط مقدر :

هذه هي المسألة الأخيرة في مواضع
الربط بالفاء . فقد يعطف بالفاء على

مقتّر محذوف ، هو جملة فعلية ، أو
شرط وفعله ، يكون سبباً للمذكور ،
نحو قوله تعالى :

« وإذا استسقى موسى لقومه ، فقلنا
اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه
اثنتا عشرة عينا .. » .

(سورة البقرة : ٦٠)

إذ التقدير : فضربه بها فانفجرت ،
أو : فإن ضربت بها فقد انفجرت ..
وتسمى هذه الفاء « الفاء الفصيحة »
لإفصاحها عن مقتّر . وقيل : إن كان
المقتّر الذي أفصحت عنه الفاء شرطاً
سميت « فصيحة » ، كما مرّ في الآية
على التقدير الثاني : (فإن ضربت بها
فقد انفجرت) . أما تسميتها فصيحة
على التقدير الأول : (فضربه بها
فانفجرت) فمن باب المجاز العقلي
(خالد الأزهرى ٢ : ١٥٣ ، ١٥٤)

ويبدو أن تسميتها بالفصيحة جاءت
متأخرة ، أو من اختصاص علماء البيان ،
فقد ذكر الرضى (٢ : ٣٦٦) هذه
الفاء ، وسمّاها « السببية » وعرفها :
بأن يصلح تقدير إذا الشرطية قبلها ،

من نار ، وخلقته من طين ، قال فاخرج منها .

(سورة ص : ٧٦ ، ٧٧)

أى : إذا كان عندك هذا الكبير فاخرج .

وقوله : « رب ، فأنظرنى »

(سورة ص : ٧٩)

أى : إذا كنت لعنتنى فأنظرنى .

وقوله : « فإنك من المنظرين »

(سورة ص : ٨٠)

أى : إذا اخترت الدنيا على الآخرة فإنك من المنظرين .

وقوله : فبعزتك لأغوينهم أجمعين «

(سورة ص : ٨٢)

أى : إذا أعطيتنى هذا المراد فبعزتك...

وقوله سبحانه :

« يا عبادى الذين آمنوا ، إن أَرْضِي

واسعة فإيأى فاعبدون » .

ومثل لها بنحو : زيد فاضل فأكرمه .
أى : إذا كان كذا فأكرمه .

وقد قال الزمخشري فى الكشاف

(١ : ٧١) فى تفسير الآية السابقة :

« وإذا استسقى موسى لقومه ... » :

« فانفجرت : الفاء متعلقة بمحذوف ،

أى : فضرب فانفجرت ، أو : فإن

ضربت فقد انفجرت . وهى على هذا

فاء فصيحة ، لا تقع إلا فى كلام

بليغ » .

ويفهم من كلام « يس » فى

حاشيته على التصريح (٢ : ١٥٣)

نقلا عن السعد فى التلخيص أن الفاء

الفصيحة هى الواقعة بعد شرط مقدر .

وقد حمل النحاة على هذه الفاء كثيرا

من النصوص القرآنية^(١) ، نحو قوله

تعالى : « أم لهم ملك السموات والأرض

وما بينهما . فليرتقوا فى الأسباب »

(سورة ص : ١٠)

أى : إذا كان لهم ذلك فليرتقوا ..

وقوله : « قال أنا خير منه ؛ خلقتنى

(١) ينظر : ابن جنى فى المنصف ٢ : ٢٦٦ ، والرضى فى شرح الكافية ٢ : ٣٦٦ ، وابن هشام فى المغنى

(سورة العنكبوت : ٥٦) أى : إذا
لم يأت إخلاص العبادة لى فى هذه البلدة
فإياى فاعبدونى فى غيرها .

وقوله عز وجل :

« أم اتخذوا من دونه أولياء ، فالله
هو الولى » (سورة الشورى : ٩) أى : إن
أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى .

وقوله : « أيعبأ أحدكم أن يأكل
لحم أخيه ميتاً . فكرهتموه . » (سورة
الحجرات : ١٢) أى : إن صح هذا
فقد كرهتموه .

ومواء أكانت الفاء عاطفة أم فصيغة
فهى فى كلتا الحالتين رابطة ؛ بمعنى أنها
تدخل فى الكلام لتتبع شيئاً بشئ ،
وتعلق ما دخلت عليه من الكلام بما قبله ،
ولذا يقول الرضى (٢ : ٣٦٦) :
« اعلم أنه لاتنافية بين السببية والعاطفة ؛
فقد تكون سببية وهى مع ذلك عاطفة
جملة على جملة ، كما فى الآية الكريمة
السابقة : « وإذ استسقى موسى لقومه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت »
أى : فضرب فانفجرت .

وقد تكون استثنائية ، كما فى الآيات
المتقدمة التى حسلتها النحاة على الفصيحة ،
إذا لم نقدر محذوفاً .

وقد تكون زائدة ، وذلك إذا وقعت فى
أول الكلام ، نحو قوله تعالى :

« قال إبراهيم : فإن الله يأتى بالشمس
من المشرق ، فأنت بها من المغرب ، فبهت
الذى كفر » . (سورة البقرة : ٢٥٨)

وفائدة زيادتها ، كما يقول الرضى
(٢ : ٣٦٧) : « التنبيه على لزوم ما
بعدها لما قبلها لزوم الجزاء للشرط » .

ويلاحظ تكرار الفاء فى هذه الآية
وتنوعها ؛ فهى زائدة فى « فإن » واستثنائية
فى : « فأنت » و « فبهت » .

وعلى هذا ، لاجابة إلى الحذف والتقدير
ونكتنى بإعراب ظاهر هذه الآيات ،
مادام ذلك ممكناً ، دون خلل بالمعنى .

ثانياً : العزل :

نخص الرضى (١ : ٢٦٧) هذه التسمية
بـ « إن » العازلة « ما » عن العمل .
ويُقصد به هنا أحد أمور أربعة :
* عزل « إن » « ما » النافية عن العمل .

* عزل « ما » « إنَّ وأخواتها » عن العمل .
* عزل « ما » بعض الظروف عن الإضافة ، وتخليصها للشرط .

* عزل « ما » بعض أنواع الكلم عن وظائفه ، ونقله إلى معان أخرى .

١ - عزل « إنَّ » « ما » النافية :

الأصل في « ما » النافية ألا تعمل ، كما في لغة بني تميم ، إذ قياس العوامل أن تختص بالقبيل الذي تعمل فيه ؛ من الاسم أو الفعل ، لتكون متمكنة بثبوتها في مركزها ، و « ما » مشتركة بين الاسم والفعل .

والحجازيون يجيزون عملها ، لكن بشروط ، منها : ألا يليها « إنَّ » وألاً ينتقض النفي بإلاً . وعلى لغتهم ورد في التنزيل :

« ما هذا بشراً » (سورة يوسف : ٣١)

« ما هنَّ أمهاتهم » (سورة المجادلة : ٢)

وإنما عملت مع عدم الاختصاص ، لقوة مشابهتها لـ « ليس » ، لأن معنهما سواء في الحقيقة ، فمعنى « ليس » في الأصل : ما كان ، ثم تجردت عن الدلالة

على الزمان ، فبقيت مفيدة نفي الكون . ومعنى « ما » مجرد النفي ، ومعلوم أن نفي الشيء بمعنى نفي كونه : سواء من حيث الحقيقة .

ولما كان قياس أعمالها ضعيفاً انعزلت لأدنى عارض . فمن ذلك : مجيء « إنَّ » بعدها ، نحو قول فروة بن مسيك :

وما إنَّ طبنا جبن ولكن

منايانا ودولة آخرينا

(ابن يعيش ٥ : ١٢٠)

فالمعنى : ما طبنا جبن .

وإنما عزلتها ، لأنها وإن كانت زائدة ، لكنها تشابه « إنَّ » النافية لفظاً ، فكأن « ما » النافية دخلت على نفي ، والنفي إذا دخل على النفي أفاد الإيجاب ، فصارت « إنَّ » كإلا الناقضة لنفي « ما » في نحو : ما زيد إلا منطلق . أو يقال : إنما انعزلت للفصل بينها وبين معمولها بغير الظرف .

وقد جاءت « إنَّ » بعد « ما » غير عازلة في قول الشاعر :

بني غدانة ما إنَّ أنتم ذهباً

ولا صريفاً ، ولكن أنتم الخزف

(ابن هشام ١ : ٢٢)

على نصب الخبر بعد « ما إن » . وقد
خرَّجَه الكوفيون على أن « إن » نافية
مؤكدة! « ما » . وردَّ عليهم بأنه لا يجوز
الجمع بين حرفين متفقى المعنى إلا مفصّولا
بينهما . كما في « إنَّ زيدا لتائم » فقد
فصل بين « إنَّ واللام » وكلاهما يفيد
التوكيد . بالاسم . والعرب قد استعملت
« إنَّ » الزائدة بعد « ما » الموصولة ،
الاسمية والحرفية ؛ لشبهها في اللفظ
بـ « ما » النافية قال تعالى : « ولقد مكناهم
فيما إن مكناكم فيه » . (سورة الأحقاف :
٢٦) « فلو لم تكن « إنَّ » المقترنة بـ « ما »
النافية زائدة ، لم يكن لزيادتها بعد
الموصولتين مسوّغ » (خالد الأزهرى
١ : ١٩٧) .

وإذا كانت « إنَّ » زائدة أو نافية
مؤكدة ، فهل هناك من فرق بينهما ،
مع أن الزائدة مؤكدة أيضاً ؟ قيل :
إن الزائد في الكلام هو المسوق لمحض
التأكيد دون النافي المؤكد ، وهو يعدّ
أجنبيّاً من « ما » بخلاف النافي المؤكد
فليس بأجنبي . (يس ١ : ١٩٧)
(وبالأولى تأكيد « ما » النافية بـ « ما »

نافية أخرى ؛ فلا يبطل عملها «
(الصبان ١ : ٢٤٧) .

ويرى الدكتور أنيس (ص ١٩٥)
أن الأداة « ما إنَّ » قد تطوّرت في الصورة
الحديثة إلى الأداة (مِنْ) التي قال عنها
النحاة : إنها تفيد التنصيص على العموم ،
في مثل قوله تعالى : « وما يخفى على الله
من شيء في الأرض ولا في السماء » (سورة
إبراهيم : ٣٨) فهي تدلّ على تأكيد نفي
الخفاء على الله ، أيّا كان قدر هذا الخفاء .

أمّا كيف تطوّرت « ما إنَّ » إلى « مِنْ »
فالمرجح - كما يقول الدكتور أنيس -
أن الهمزة قد سهلت ، أو سقطت من
الكلام ، ثم اتكملت الأداة لكثرة
استعمالها ، وكان حقها أن تصبح (مَنْ)
بفتح الميم ، ولكن التباس « مَنْ » الاسمية
بالحرفية جعل القياس يلعب دوره عند
النحاة وهكذا قيست هذه الأداة بـ « مِنْ »
الجارّة التي تشاركها الحرفيّة . ونطق
بها « مِنْ » بالكسر . هذا رأى الدكتور
أنيس .

ولكن ، ألا يجوز أن تكون الأداة
(ما إنَّ) قد تطوّرت إلى (ما .. مِنْ)

ووقع الفصل بينهما . حتى لا يجمع بين حرفين متفقى المعنى ؟

وبذلك لانحتاج إلى التفسير السابق . وبخاصة أن القرآن الكريم يكثُر فيه هذا التركيب . نحو : « فما منكم من أحد عنه حاجزين » (سورة العنقا : ٤٧) « ما جاءنا من بشير ولا نذير » (سورة المائدة : ١٩) والمعنى النحوى فى التركيبين (ما إن ...) و (ما .. من ..) واحد . غير أن كلا منهما يمثل مرحلة من الاستعمال اللغوى .

والذى يبدو لى أن (إن) هذه قد مرّت بمراحل تطوّرية على الوجه الآتى :

* استعملت فى أول الأمر أداة للنفي ، مثل : لا .

* ثم استعملت « ما » فى مرحلة لغوية لاحقة .

* وفى فترة متأخرة استعملت « ما » مع « إن » أداة نفي مركبة . وكثُر ذلك فى الشعر القديم ، كما تدلّ عليه كثرة النصوص اللغوية .

* ثم كثر استعمال « ما » فى النفي ، وقلّ استعمال « إن » ..

وفى اللغة المعاصرة تستخدم « ما إن » بمعنى مختلف . وبخاصة فى الإذاعة وفى النشرات الإخبارية والصحافة ، وذلك نحو :

« فما إن هبط الرئيس على سلّم الطائرة ، حتى أخذت المدفعية تطلق إحدى وعشرين طلقة » . ويلاحظ انتقال معناها الوظيفى إلى معنى « المفاجأة » وفيها عنصر الزمن ، ووقوع الماضى بعدها . وأحياناً تفتح همزة « إن » فيقال : « فما أن هبط الرئيس .. » والفرق بينهما أن « أن » فى الحالة الثانية تكون مصدرية ، و « ما » ظرفية ، والمعنى : « لحظة هبوط الرئيس » وفيها عنصر المفاجأة أيضاً . أمّا فى الحالة الأولى (ما إن) بكسر الهمزة ، فتكون « إن » لتأكيد معنى الظرفية المستفاد من « ما » كما تقدم .

٢ - عزل « ما » « إن وأخواتها » عن العمل :

وتلحق « ما » « إن وأخواتها » فتزيل اختصاصها بالأسماء (ما عدا لبيت) ، وتهيئها للدخول على الأفعال نحو :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » (سورة فاطر : ٢٨) .

أى « ما يوحى إلى إلا قصر الإله
على الوحدة ، فالحصر الأول من قصر
الصفة على الموصوف قصر قلب ، نُزِّل
المخاطبون المشركون منزلة من اعتقد
إيحاء الإِشْرَاق إلى نبيِّنا صلى الله عليه وسلم
حيث أَصْرُوا عليه . والثانى من قصر
الموصوف على الصفة قصر قلب أيضاً ،
والإتيان به مبالغة في الرد ، وإلا فمجرد
ثبوت الوحدة ناف للتعُدُّد » (الصبان ١ :
(٢٨٣)

وجاء الحصر فى « إنما » و « أنما »
من اجتماع « إنَّ » وهى للإثبات ، و « ما »
وهى للنفى ، فصرف الإثبات للمذكور
والنفي لغيره . وقيل لاجتماع مؤكدين :
« إنَّ » و « ما » الزائدة . واعترض على
هذا بأن اجتماع مؤكدين لا يستلزم الحصر ،
وإلا لوجد فى « إن زيدا لقائم » ، لاجتماع
« إنَّ » و « اللام » وكلاهما للتوكيد .
وأجيب « بأن اجتماع مؤكدين على وجه
تركبهما أقوى لشدة التلاصق فيه ، ...
وبأن « ما » هذه نافية أصالة ، لكن
انسلخ عنها النفي بعد التركيب فصارت
زائدة ، بدليل عدم ذكر منفيها »
(الصبان ١ : ٢٨٣) .

« واعلموا أنما غنحتم من شئ فأن لله
خُسُه » (سورة الأنفال : ٤١) .

« كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون »
(سورة الأنفال : ٦) .

ونحو قول امرئ القيس :

ولكنما أسعى لمجد مؤثل

وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

وقول آخر :

أعد نظراً يا عبد قيس لعلمنا

أضاءت لك النار الحمار المقيدا

(الأشمونى ١ : ٢٨٤)

و « ما » هذه زائدة ، فخرجت « ما »
الموصولة والموصوفة والمصدرية ، نحو :
إنَّ ما عندك حسن . وإنَّ ما فعلت حسن .
وتكتب الأخيرة مفصولة من « إنَّ »
فرقاً بينها وبين الزائدة .

ودخول « ما » فى « إنَّ » و « أنَّ »
يتميد - علاوة على العزل - معنى الحصر ،
وقد اجتمعا فى قوله تعالى :

« قل إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى
أنما إلهكم إله واحد » (سورة الكهف : ١١٠)

وإهمال « إن » وأخواتها إذا اتصلت
بها « ما » مذهب سيبويه والجمهور .
وذهب بعض النحويين إلى بقاء العمل
في « ليت » ، لأنه مسموع كقول النابغة
الذبياني :

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا

إلى حمامتنا أو نصفه فقد
(الأشموني ١ : ٢٨٤) فقد روى
بنصب الحمام على الأعمال ورفعته على
الإهمال ، وذلك لبقاء « ليتما » على
اختصاصها بالأسماء ، حتى ذهب بعضهم
إلى وجوب إعمالها . أما البواقي فذهب
الزجاج وابن السراج إلى جواز إعمالها ،
ووافقهم ابن مالك (الأشموني ١ : ٢٨٤)
ولذا أطلق في قوله :

ووصل « ما » بذى الحروف مبطل

إعمالها ، وقد يَبْقَى العمل
ويطلق النحويون على « ما » هذه
تسميات كثيرة ، منها : الكافة ،
والزائدة والمهيئة . (ابن هشام ١ : ٣٤٠)

وذهب ابن درستويه وبعض الكوفيين
إلى أن « ما » مع « إن » وأخواتها « اسم
مبهم بمنزلة ضمير الشأن في التفخيم
والإبهام . وأن الجملة بعده مفسرة له ،
ومخبر بها عنه . (السيوطي ٢ : ١٩١) .

بل لقد ذهب جماعة من الأصوليين
والبيانين إلى أنها نافية : بدليل أنها
أفادت مع « إن » معنى الحصر ، كما
أفادة النفي والإثبات بالألف . (ابن هشام
١ : ٣٤١ ، والسيوطي ٢ : ١٩١)
٣- عزل « ما » بعض الظروف عن الإضافة
وتخليصها للشرط :

١- يقول سيبويه (١ : ٤٣٢) :
« ولا يكون الجزاء في « حيث » ولا في
« إذ » حتى يضم إلى كل واحد منهما
« ما » فتصير « إن » مع « ما » بمنزلة
« إنما » و « كأنما » . وليست « ما »
فيهما بلغو ، ولكن كل واحد منهما مع
« ما » بمنزلة حرف واحد ، نحو حيثما
تكن أكن ، إذ ما تخرج أخرج .
وقد تابع كثير من النحويين^(١) سيبويه

(١) أمثال المبرد في المنتضب (٢ : ٤٨ ، ٥٤) وابن السراج في الأصول (٢ : ١٦٦) والنحاس في إعراب
القرآن (ص ١٣٦) والفارسي في الإيضاح (ص ٣٢١) وابن بابشاذ في شرح المقدمة المحسبة (١ : ٢٤٧) .
والبحراني في المقتصد (١٠٥٦ - ١٠٥٧) والزنجشري في المفصل (١٧٠ - ١٧١) وابن الشجري في الأمالي
(٢ : ٢٤٥) وابن يعين في شرح المفصل (٤ : ٩٢ ، ٧ : ٤٦) والرضي في شرح الكافية (٢ : ٢٥٤)
وابن هشام في المغني (١ : ٩٢ ، ١٤١) والسيوطي في المسع (٤ : ٣٢١) .

في أن « ما » تكسب « حيث » و « إذ »
 معنى الشرط . واختلفوا في حقيقتها :
 أمى اسم أم حرف ؛ وقد نقل السيوطى
 فى الهمع (٤ : ٣٢١) هذا الخلاف ،
 فقال : « وفى « إذما » خلف ، فذهب
 سيبويه إلى أنها حرف « كيان » ، وذهب
 المبرد وابن السراج والقارسي إلى أنها اسم
 ظرف زمان ، وأصلها : « إذ » التى هى
 ظرف لما مضى ، فزيد عليها « ما » وجوباً
 فى الشرط ، فجزم بها ، واستدل سيبويه
 بأنها لما ركبت مع « ما » صارت معها
 كالثبى الواحد ، فبطل دلالتها على معناها
 الأول بالتركيب ، وصارت حرفاً .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يلحظه
 أن « إذ » قد جاءت للشرط بدون « ما »
 قال تعالى فى سورة الأحقاف (الآية : ١١)
 « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إلفك
 قديم » فهل نعد « إذ » هنا من بقايا
 استعمال الماضى ، التى تطورت إلى
 « إذ ما » فيما بعد ؟

أما غير « حيث » و « إذ » فيرى
 المبرد (٢ : ٥٤) : أنك « فى زيادة ما »
 وتركها مخير ، تقول : إن تأتني
 آتك ، وإما تأتني^(١) آتك ، وأين تكن

(١) إما : أ- تكون شرطية ، وحينئذ يكثر اتصال الفعل بعدها بنون التوكيد ولا تتكرر ، وتقع الفاء
 فى جوابها ، نحو : « فيما ترين من البشر أحدا فقولى . . » (سورة مريم : ٢٦) ، ونحو : « وإما
 تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » (سورة الأنفال : ٥٨) .
 يقول الفراء (١ : ٤١٤) : « ٠٠ ولا تكاد العرب تدخل النون الشديدة ولا الخفيفة فى الجزاء
 حتى يصلوها بما ، فإذا أوصلوها آثروا التنوين ؛ وذلك أنهم وجدوا لـ « إما » وهى جزء شبيهها « بإما »
 من التخيير ، فأحدثوا النون ، ليعلم بها تفرقة بينهما ، ثم جعلوا أكثر جوابها بالفاء ، وكذلك جاء
 التنزيل . . » .

فجميع ما فى القرآن من الشرط بعد « إما » مؤكدة بالنون ؛ لمشابهة فعل الشرط بدخول « ما » للتأكيـد
 لفعل القسم ؛ من جهة أن « ما » كاللام فى القسم ؛ لما فيها من التأكيـد (ينظر : الإتقان للسيوطى
 ١ : ١٧٦ - ١٧٧ ، والبرهان للزركشى ٢ : ٤١٥ - ٤١٦) .

واستعمال « إما » فى الشرط نادر فى عربية اليوم ، ولعل ذلك راجع إلى حاجة « إما » إلى نون التوكيد
 فى الفعل بعدها ، واللغة المعاصرة تحاول التخفيف من نون التوكيد .

ب- وتكون عاطفة ، وحينئذ يجب تكرارها ، وهذا المعنى هو الغالب فى اللغة المعاصرة ، نحو :

« وخيل إلى أن النواميس الطبيعية قد اختلت فى جسمي ؛ إما بزيادة وإما بنقص » (الرافعى ١ : ١٠١) .

« النساء اثنتان ؛ فإما جميلة تنفر من قبضى ، وإما دميمة أنفر من قبضها » (الرافعى ٣ : ٢٨٨) .

قال تعالى : « وآخرون مرجون لأمر الله ؛ إما يعذبهم وإما يتوب عليهم » . (سورة التوبة : ١٠٦)

أَكُنْ ، وَأَيُّمَا تَكُنْ أَكُنْ . وَأَيُّمَا تَكْرُم
يَكْرُمُكَ ، وَ « أَيُّمَا » مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحَسَنَى « (سورة الإسراء : ١١٠) .

وذكر الفراء أن ظروف الاستفهام إذا
وصلت بـ « ما » كانت جزاء وجُزم بها ،
يقول الفراء (١ : ٨٥) : « إِذَا رَأَيْتَ
حُرُوفَ الاسْتِفْهَامِ قَدْ وَصَلَتْ « بِمَا » .
مِثْلَ قَوْلِهِ : أَيُّمَا ، وَمَتَى مَا ، وَأَيُّ مَا ،
وَحَيْثُ مَا وَكَيْفَ مَا وَ « أَيُّمَا تَدْعُوا »
كَانَتْ جَزَاءً ، وَلَمْ تَكُنْ اسْتِفْهَامًا ، فَإِذَا
لَمْ تُوَصَّلْ بِ « مَا » كَانَ الْأَغْلَبُ عَلَيْهَا
الاسْتِفْهَامُ ، وَجَازَ فِيهَا الْجَزَاءُ » .

تبقى من الأدوات : ما ومن وأنى ومهما
ولم يرد ذكر لها موصولة بـ « ما » عند

أحد من النحاة الذين ورد ذكرهم .
غير أن الخليل قال عن مهما : « هي « ما »
أدخلت معها « ما » لغوا ، بمنزلتها مع
« متى » إذا قلت : متى ما تأتني آتتك
وبمنزلتها مع « إن » إذا قلت : إنا تأتني
آتتك ، وبمنزلتها مع « أين » كما قال
سبحانه وتعالى : « أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ
المَوْتُ » [سورة النساء : ٧٨] وبمنزلتها
مع « أي » إذا قلت : أيما ما تدعوا فله
الأسماء الحسنى ، ولكنهم استقبحوا أن
يكرروا لفظاً واحداً ، فيقولوا : « ماما »
فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى .
وقد يجوز أن يكون « مة » « كإذ » ضم
إليها « ما » « (سيبويه ١ : ٤٣٣) .

« . . . إما أن تلقى وإما أن تكون أول من ألقى » . (سورة طه : ٦٥)

ولا تستعمل « إما » هذه بعد نهي « لا تقول : لا تضرب إماماً زيدا وإماماً عمراً ؛ لأنها للتخيير ، فكيف تخيره
وأنت قد نهيتته عن الفعل . . . » (ابن الشجري : ٢ : ٣٤٥) .
ولا تدخل « أو » على « إما » ولا « إما » على « أو » وربما فعلت العرب ذلك ؛ لتأخييهما في المعنى على التوهم
فيقولون : عبد الله إما جالس أو ناهض . . . وفي قراءة أبي : « وإنا وإياكم لإما على هدى أو في ضلال مبين » ،
فوضع « أو » في موضع « إما » (الفراء ١ : ٣٨٩ - ٣٩٠) والآية المذكورة من سورة سبأ : ٢٤ .
والفريق بين « أو » « وإما » من ناحيتين :

الأولى ؛ « أنك إذا قلت ، جاءني زيد أو عمرو - وقع الخبر في « زيد » يقينا حتى إذا ذكرت « أو » فصار فيه
وفي عمرو شك ، « وإما » تبتدىء بها شاكاً ، وذلك قولك : جاءني إما زيد وإما عمرو . . . « المبرد ١ : ١١ » .
الثانية أن « إما » ليست من حروف العطف على الصحيح . لأن الواو معها وهي الأصل في العطف . أما « أو »
فمن حروف العطف .

ورقوع « إما » في أسلوب العطف يفيد التفصيل مع الشك أو مع الإبهام أو مع التخيير أو الإباحة . و « إما » الأولى
حرف تفصيل فقط . ومن هنا نعرف السبب في وجوب تكرارها ولزوم الواو معها « المبرد ٣ : ٢٨ » .

وقد ذهب الكوفيون إلى أنها مركبة من « مة » اسم فعل « بمعنى اكفف ، زيدت عليها « ما » فحدث بالتركيب معنى لم يكن » (الأشعموني ٤ : ١٢).

وقد يقال فيها « مَهْمَنٌ » باستخدام التنوين ، كما استُخدم في « ما » فصارت « مَنٌ » ، قال الشاعر :

أماوى مهمن يستمع في صديقه

أقاويل هذا الناس ماوى يندم

(الرضى ٢ : ٣٣٥) .

ويكثر استخدام « مهما » في اللغة المعاصرة - بعكس اللغة المتوارثة - وذلك يدل على تطوّر كبير في استعمال هذه الأداة . ومن أمثلتها :

« مهما أفعل لأنظر إلى أمام فأنا مكره على أن انظر إلى وراء » (حسين ١-١٢١)

« لقد أخذت على نفسي عهداً ألا أبرح (باريس) مهما تكن الظروف ، وستعلم أنني سأفى بهذا العهد مهما يكلفنى ذلك » (حسين ١ - ١٥٥) .

« ومهما يكن من شيء ، فقد كانت صحبتى له هذا المساءً لذيذة حقاً ، متعبة حقاً ... » (حسين ١ - ٧١) .

« وليس شيء أصدق تصويراً لشخصية الرجل ، من ثباته للمحن مهما تعظم ، ونفوذته من مشكلاتها مهما تتعقّد ، وظهوره على هولها مهما يكن شديداً ... » (حسين ٢ - ١٤) .

« ومهما يكن من شيء ، فقد ثبت أبو بكر ، وثبت معه المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان ... » (حسين ٢ - ٦٢) .

« فلم يكن أبغض إليه من أن يخالف عن أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - مهما تكن الظروف ، ومهما تكن العواقب » (حسين ٢ - ٥٣) .

ويلاحظ أن جواب « مهما » يكون مذكوراً ، وقد يحذف إذا كان في السياق ما يدل عليه ، كما يلاحظ دخولها على المضارع فيما تقدّم من أمثلة .

ويجوز على السنة بعض الكتّاب : قولهم : مهما تحدثت فأنت هجيد ، ومهما فعلت فأنت موفق ، بدخول « مهما » على فعل شرط ماض .

ويتخرج بعض نقاد اللغة من ذلك لشهرة دخول مهما على الفعل المضارع ،

وظنا منهم أنها لا تدخل على الماضي . ولكن
مجمع اللغة العربية بالقاهرة أقرّ دخولها
على الماضي في دورته التاسعة والأربعين
(١٩٨٣) لورود نصوص فصيححة متعددة
تشهد بجواز هذا الاستعمال ، مثل قول
الأسود بن يعقوب ، وهو من شواهد سيبويه
(١ : ٤٣٧) :

ألا هل لهذا الدهر من متعل

عن الناس ، مهما شاء بالناس يفعل

ومثلها في ذلك مثل أخواتها من أدوات
الشر .

ولعل من المفيد أن نشير إلى أن هذه
الأداة تمثل عنصراً مميزاً في كتابات
الدكتور طه حسين .

(ب) ومن هذا القبيل كلمة (بَيْنَ)
فإنها إذا اتصلت بها « ما » غيرتها عن
حالتها ، وأضفت عليها معنى الشرط ،
فيقال : بينما أنا جالس إذ جاء عمرو ؛
بوقوع « إذ » الفجائية في جوابها ،
وسنتناول هذه المسألة فيما بعد .

وأصل (بَيْنَ) « أن يكون مصدراً ،
بمعنى الفراق ، ويستعمل في الزمان والمكان

« فتقدير : جلست بينكما ، أي : مكان
فراقكما ، وتقدير : فعلت بين خروجك
ودخولك ؛ أي : زمان فراق خروجك
ودخولك ، فحذف المضاف ، وأقيم
المضاف إليه مقامه » (الرضى ٢ : ١١٣)
وذلك لأنه « إن أضيف إلى الأمكنة
أو جثث غيرها فهو للمكان ، نحو :
بين الدار ، وبين زيد وعمرو . وإن
أضيف إلى الأزمنة فهو للزمان ، نحو :
بين يوم الجمعة والأحد ، وكذا إن
أضيف إلى الأحداث ، نحو : بين قيام
زيد وعوده ، إلا أن يراد به مجاز المكان ،
نحو قولك : زيد بين الخوف والرجاء ،
استعيرت لما بين الحدثين مكاناً ؛
فلهذا وقع « بَيْنَ » خبراً عن الجثة «
(الرضى ٢ : ١١٣) ، وذلك لأن ظرف
الزمان لا يقع خبراً عن الذوات ، لكن
لما وقعت « بين » في قولنا : زيد بين
الخوف والرجاء مكاناً على سبيل الاستعارة
صح أن تكون خبراً عن الجثة .

وحينما تلحق بها « الألف » لتكون
« بيناً » أو « ما » لتصير « بيناً »
لا تكون إلا للزمان ، كما يقول الرضى

(٢ : ١١٣) وحينئذ تقع بعدها « الجمل »
لأنه لا يضاف من ظروف المكان إلى الجمل
إلا حيث .

بيننا تعنقه الكمأة وروغته
يوماً أتبيح له جرىء سلفع^(١)
(السيوطي ٢ : ٢٠٣)

ويفرق اللغويون بين « بينا » و « بينا »
في الامتعمال : جاء في اللسان (مادة :
بين) : « إذا كان الاسم الذي يجيء
بعد « بينا » اسماً حقيقياً رفعته بالابتداء
وإن كان مصدراً خفضته ، ويكون « بينا »
في هذا الحال بمعنى : بين وأما
« بينا » فالاسم الذي بعده مرفوع ،
وكذلك المصدر » .

ولا تضاف « بينا » إلى مفرد غير
مصدر ، وذلك لأنها « تستدعى جواباً ،
فلم يقع بعدها إلا ما يعطى معنى الفعل ...
(السيوطي ٣ : ٢٠٤) .

وذكر أبو محمد بن قتيبة قال :
سألت الرياشي عن هذه المسألة ، فقال :
إذا ولي لفظ « بينا » الاسم العلم رفعت ،
فقلت : بينا زيد قام جاء عمرو ، وإن
وليها المصدر فالأجود الجر « (الحريري :
٦٣) .

والسر في هذا التفريق أن الألف في
« بينا » للإشباع ؛ أي إشباع الفتحة
في « بينن » ، وليست بكافة مثل « ما »
لأنه لم يثبت كون الألف كافة . من
هنا جاز إضافتها إلى مفرد مصدر ، نحو
قول أبي ذؤيب الهذلي :

وذهب قوم إلى أن « ما » والألف
كأفتان ، والجملة بعدهما لاموضع لها
من الإعراب وهذا البيت (أي بيت أبي ذؤيب
السابق) ينشد بجر « تعنقه » ورفعه ؛

(١) معنى تعنقه : اتخذ بالعنق ، والاعتناق : آخر مراتب الحرب ، لأن أول الحرب : الترامي بالسهم ، ثم
المطاعنة بالرمح ، ثم المجالدة بالسيوف ، ثم الاعتناق ، وهو أن يتخاطف الفارسان فيتساقطا إلى الأرض معا . والكمأة : جمع
كمي ، وهو الشجاع ، وروغته : حيدته عن الأقران يمينا وشمالا . والسلفع : كجعفر : الجريء الواسع الصدر ، ويقال
للسراة إذا كانت جريئة : سلفع . بغير هاء .

ومعنى البيت : أن هذا المستشعر الدرع حزما وقت معانقته للأبطال ومرأوغته للمشجعان قدر له رجل هكذا ، وقبض
له فارس شجاع مثله فاقتتلا ، حتى قتل كل واحد منهما صاحبه ، ومراده : أن الشجاع لا تمصمه جراته من الهلاك ،
(الخزانة ٣ : ١٨٤ ، ١٨٥) .

فمن جرّ جعل الألف في « بينا » لإشباع الفتحة ، ومن رفع رفعه على الابتداء ، وجعل « الألف » كافة مثل « ما » في « بينا » فلا يقع بعدها إلا الجملة .

والشائع عند النحويين أن يأتي جواب « بينا » أو « بينا » مصدرًا ب « إذ » الفجائية ، ولكن المسموع غير ذلك . يقول الحريري (ص ٦٣) : « ويقولون بينا زيد قام إذ جاء عمرو ، فَيَتَلَقَّوْنَ « بينا » ب « إذ » والمسموع عن العرب : بينا زيد قام جاء عمرو ، بلا « إذ » ، لأن المعنى فيه : بين أثناء الزمان جاء عمرو » .

« وحكى أبو القاسم الأمدى في أماليه عن أبي عثمان المازني ، قال : حضرت أنا ويعقوب ابن السكيت مجلس محمد بن عبد الملك الزيات ، فأفضنا في شجون الحديث إلى أن قلت : كان الأصمعي يقول : بينا أنا جالس إذ جاء عمرو ، فقال ابن السكيت : هذا كلام الناس ، قال : فأخذت في مناظرته وإيضاح المعنى له ، فقال لي محمد بن عبد الملك : دعني حتى أبين له ما اشتبه عليه . ثم التفت إليه ، وقال له : ما معنى « بينا » ؟ قال :

حين ، قال : أفيجوز أن يقال : حين جلس زيد إذ جاء عمرو ؟ فسكت . فهذا حكم بيننا . » (الحريري : ٦٤) .

وقد جاءت « بينا » في الكلام متلقة « ب إذ » و « بإذا » اللذين للمفاجأة ، نحو قول الشاعر :

استقدر الله خيرًا وارضين به

فبينما العسر إذ دارت مياسير

(السيوطي ٣ : ٢٠٢)

وقوله في التخصيص نفسها :

وبينما المرء في الأحياء مغتبط

إذا هو الرمس تعفوه الأعاصير

« فتلقى هذا الشاعر « بينا » في البيت

الأول ب « إذ » ، وفي الثاني ب « إذا » .

وليس بدع أن يتغير حكم « بين » بضم

« ما » إليه ؛ لأن التركيب يزيل الأشياء

عن أصولها ، ويحيلها عن أوضاعها

ورسومها ؛ ألا ترى أن « رب » لا يليها

إلا الاسم ؛ فإذا اتصلت بها « ما » غيرت

حكمها وأولتها الفعل ... وهكذا « قل »

و « طال » لايجوز أن يليهما الفعل ،

فإذا وصلت ب « ما » وليهما الفعل ،

كقولك : طالما زرتك ، وقلما هجرتك «
(الحريري : ٦٥) .

وليس هذا الأسلوب خاصا بالشعر ؛
فقد وردت في البخاري ومسلم أحاديث
كثيرة تبدأ بمثل :

« بينا نحن عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ جاءه رجل ... »

« بينا نحن جالوس إذ طلع علينا ... » الخ
غير أن وجود « إذ » أو « إذا » بعد
« بينا » أو « بينما » ليس باللازم ، فقد
وردت أساليب أخرى مجردة من « إذ »
كما رأينا في بيت أبي ذؤيب ، وحكاية أبي
القاسم الأمدى التي رواها الحريري ، وما ذكره
أبو محمد بن قتيبة .

ومن الأخطاء الشائعة في اللغة المعاصرة ،
وبخاصة لغة الصحافة ، مجيء « بينا »
أو « بينما » في وسط الكلام ، نحو :

« العرب مختلفون بينا الأعداء متفقون »
« العرب صامتون بينا العالم من حولهم
يتحرك » .

والتواعد العربية لاتجيز مثل هذه
التراكيب ، لأن « بينا » و « بينما »

تقعان في أول الجملة ، حيث يبتدأ بهما ،
ولاتقعان في وسط الكلام . والصواب أن
يقال :

العرب مختلفون على حين الأعداء
متفقون . (أو : في حين) .

العرب صامتون على حين العالم من
حولهم يتحرك . (أو : في حين) .

ومن المصطلحات التي أطلقها النحويون
على « ما » الموصولة بأدوات الشرط :
مصطلح « المسلطة » وقد أطلقه الرماني
(ص ١٥٦) على « ما » في « حيث »
و « إذ » ، وكذلك ابن الشجري -
(٢ : ٢٤٥) . وأطلقه الهروي في الأزهية
(ص ٩٧) على « ما » في : حيثما ، وإذما
وكيفما . وقال عنها : « وهي التي تدخل
على ما لا يعمل فتوجب له العمل » فهي
إذن مسلطة للعامل على الجزاء ، وهي ضد
الكافة التي تدخل على العامل ، فتبطل عمله .

٤ - عزل « ما » بعض أنواع الكلام عن
وظائفه ونقله إلى معانٍ أخرى :

تتصل « ما » ببعض الحروف أو الأفعال
فتصرفها عن معانيها الوظيفية إلى معانٍ

أخرى ، يقتضيها التضام بين الكلم .
وسنضرب أمثلة لذلك من خلال النماذج
التالية :

* رَبِّ + ما

* قَلِّ و طال + ما

* في + ما

* الكاف + ما

* كلِّ + ما

* او + ما

(١) رَبِّ : ربّ مختصة بالنكرة ،
فإذا اتصلت بها « ما » هيئتها للدخول على
الفعل ، وعلى المعرفة . تقول : « ربما قام
زيد ، ربما يقوم ، ربما زيد قائم » .
(الهروي : ٨٩)

وقد ذهب بعض النحاة إلى أن « ربما »
أكثر ما تدخل على الماضي ، « لأن التكثير
والتقليل إنما يكونان فيما عرف حده ،
والمستقبل مجهول » (ابن هشام ١ : ٣٤٣)
ولكن واقع الاستعمال اللغوي يؤكد -
دخولها على المضارع أيضا ، قال تعالى :
« رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... » .

(سورة الحجر : ٢)

وقال الشاعر :

ربّما تكره النفوس من الأم

مر له فرجة كحل العقال

(البغدادي ٢ : ١٥٤)

وقد شاع في العربية تعبير (قد لا يجوز)
مكان (ربما لا يجوز) وهما طريقتان
للتعبير عن معنى واحد ، هو التقايل ؛
فالطريقة الأولى استخدمت فيها (قد مع لا)
والثانية استخدمت (ربما مع لا) والطريقة
الأولى مستحدثة ، وقد وردت في قول
ابن مالك :

ولا اضطرار أو تناسب صرف

ذو المنع . والمصروف قد لا ينصرف

وفي قول بعضهم :

« وقد لا تعدّم الحسناء ذاما » .

(ب) وينسب الأنباري في « البيان »
(٢ : ٦٣) « ما » في « ربما » بـ « ما »
في « طالما » و « قلّما » لِمَا بينهما من
اتصال دلالي في إفادة التقايل أو التكثير
واتصال وظيفي في أن « رَبِّ » مع « ما »
خرجت عن مذهب الحرف ، فلم تلزم
الأسماء ، كما أن « قَلِّ » و « طال »

المعاصرة بالحفظ. أنها قد تحولت إلى أداة
تشبه الشرط . مثل :

طالما رغبت في السفر فماذا يمنعك ؟
طالما جئنا إلى هذا المكان فدعنا نجلس .
ويتضح هذا أكثر لو قارنا بين الاستخدام
الأصلي . والاستخدام الحديث ، على
الوجه الآتي :

طالما رغبت في السفر (بمعنى كثيراً) .
طالما رغبت في السفر فماذا يمنعك ؟
(بمعنى الشرط) .

طالما جئنا إلى هذا المكان (بمعنى كثيراً)
وقد وردت بمعنى الشرط في قول بعض
الباحثين^(١) :

« أرجو أن يتسع صدر الأستاذ ...
لما كتبت ، وما أظنه إلا فاعلاً طالما أن
الهدف هو خدمة العلم والحقيقة » .

ومن أقوال الصحف :

« طالما أن بيروت مقسمة وتخضع
للهيمنة عن طريق القوة .. فكل لبنان

مع « ما » يخرجوا عن مذهب الفعل . فاج
يفتقروا إلى فاعل .

ولذا يقول سيبويه (١ : ٤٥٩) :
« ومن تلك الحروف « ربما » و « قلماً »
وأشباههما : جعلوا « ربّ » مع « ما »
بمنزلة كلمة واحدة . وهيئوها ليذكر
بعدها الفعل ؛ لأنه لم يكن لهم سبيل إلى
« ربّ يقول » ولا إلى « قلّ يقول » ،
فألحقوهما « ما » . وأخلصوهما للفعل » .

وذهب بعضهم إلى أن « ما » مع قلّ
وأخواتها مصدرية . نحو :

قلّما يبرح اللبيب إلى ما

يورث المجد داعياً أو مجيباً

(ابن هشام ١ : ٣٣٩)

ويرى العالم الألماني براجشتراسر -
(ص ١٢٦) : أن « ما » مع هذه الأفعال
من البقايا التي احتفظت بها اللغة العربية
وأن الجملة المصدرية هي الفاعل في كل
ذلك .

ومن يتتبع استخدام « طالما » في اللغة

(١) حاتم غنيم . ذبول وملاحظات (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني) العدد المزدوج ١٩ - ٢٠ (ربيع الأول -
رمضان ١٤٠٣ هـ . كانون الثاني - حزيران ١٩٨٣) ص ٢١٠ .

« فيما يتأثر الجيش الأمريكي بأزمة الطاقة إجراءات أمريكية عاجلة لتوفير ٢٥٪ من الاستهلاك النفطى » .

(صحيفة القبس : ١٦/١١/١٩٧٣)

ويلاحظ على مثل هذه النصوص : أن « فيما » قد تأتي في أول الكلام أو في وسطه ، لمقارنة الأحداث التي تقع في وقت ما ، وربطها .

وتعدّ الأساليب التي تقدمت فيها . « فيما » من باب : تقديم الظرف أو الجار والمجرور على غير ما هو مألوف في العربية . و « ما » في هذه التراكيب بمعنى : وقت أو حين

وقد تحل « بينما » محل « فيما » ، نحو :

« إسرائيل تعرب عن قلقها بخصوص شحنات الأسلحة للخاييج ، بينما قضايا لـ السلاح المهرب والعلني تهدد بتفجير الوضع في دول عربية أخرى .. » .

(صحيفة السياسة : ٣٠/٥/١٩٧٣)

سبقت على هذه الحال » .

(صحيفة السياسة : ٢٤/١١/١٩٨٥)

« الكل نحاسر .. طالما لم تتحسن الظروف » (صحيفة القبس : ٩/١٢/١٩٨٥)^(*)

(ج) في + ما : يكثر في لغة الصحافة العربية - غير المصرية - سبك « ما » مع « في » فتصبح « فيما » ، وذلك لتعميق معنى الظرفية من جهة ، والدلالة على الوقت من جهة أخرى . ومن أمثلتها :

« بدأ الإسرائيليون يسلمون مواقعهم إلى قوات الطوارئ الدولية فيما عمليات تبادل الأسرى مستمرة » .

(صحيفة السياسة : ١٦/١١/١٩٧٣)

« استمرار العدوان الإسرائيلي على لبنان فيما أعلنت صحف العدو الانسحاب من بعض الأراضي التي احتلتها .. » .

(صحيفة السياسة : ١١/٥/١٩٧٣)

« تفاؤل حذر يلف بيروت فيما تواصل الطائرات عمليات القصف » .

(صحيفة السياسة : ١٢/٥/١٩٧٣)

(*) استعمال « طالما » بمعنى الشرط مردود لأن « ما » إذا دخلت على أحد أفعال ثلاثة كفته عن العمل ، وهي قل ، كثر ، طال ، وهذا الأسلوب ترجمة مخطئة للتعبير الإنجليزي « so Long as » وقد ناقش الجميع هذا الأسلوب ورفضه وسيرفضه كاتب هذا البحث في الصفحة التالية م . ع .

« وعرضتُ لي كما يعرض المصارع
للمصارع » .

(الرافعي ١ : ١٦٦)

« وقد حفظتُ الرجل في نفسي كما
أحفظ الكلام » .

(الرافعي ١ : ١٠٧)

* وجاءت التعليل في قوله تعالى :
« واذكروه كما هداكم » .

(سورة البقرة : ١٩٨)

أى : لأجل هدايته إياكم .

* وبمعنى على ، في نحو : كن كما

أنت ، أى : كن على ما أنت عليه .

و « ما » : تحتل أن تكون موصولة ،

و « أنت » : مبتدأ ، خبره محذوف ،

أو خبر لمبتدأ محذوف . أو تكون « ما » :

زائدة ، والكاف حرف جر ، بمعنى :

على ، وعزلتها « ما » عن ضمير الرفع

المنفصل ، أى : هيئاتها للدخول عليه ؛

لأنه لا يصح أن نقول : كن كأنت ،

أو كن كك .

غير أن . بينما . لها العبادرة في الكلام :
ووقوعها في الوسط مخالف للقواعد
المعروفة . كما تقدم (*) .

(د) كاف التشبيه + ما : إذا اتصلت

« ما » بكاف التشبيه عزلتها عن وظيفتها

وأفادت معنى جديداً لم يكن لها من قبل :

مثل : « المبادرة . في قولهم : سلم كما

تدخل . صل كما يدخل الوقت . ذكره

ابن الخباز وأبو سعيد السيرافي وغيرهما ،

وقال عنه ابن هشام في المغني (١ : ١٩٥)

« وهو غريب جداً » .

هذا يشبه التعبير الإنجليزي :

(As Soon As) ويلاحظ أن « المبادرة ،

معنى « الكاف » ، و « ما » مصدرية .

والمعنى : سلم فور دخولك ، أو بمجرد -

دخولك . فالكاف : ظرفية . و « ما »

المصدرية تضافرت مع الكاف على معنى

« المبادرة » . ويكثر استخدام « كما »

في التشبيه المصدرى - إن صح هذا

التعبير - نحو :

(*) انظر التعليق السابق .

* وقد تستعمل « كما » للعطف ،
مثل « كذلك » . ويكثر هنا في أسلوب
العرض في المؤلفات والأبحاث والرسائل
العلمية ، فيقال : « وأوضحت التجربة
أن ... كما أن ... » ، « ويتحدث
الباحث عن ... كما يتحدث ... » .
وأشاد الباحث بـ ... كما أشاد بـ .
وأحياناً تقترن بالواو ، فيقال :
« ... كما وأن ... » ومن أقوال بعض
الصحف : « عاد القتال من جديد إلى
شوارع بيروت كما وعاد ... » .
وهذه الواو ليس لها من تفسير سوى
أنها زائدة مؤكدة ؛ لأن حرف العطف
لا يدخل على مثله ؛ إذ لا يجوز الجمع
بين حرفي عطف ، أو بين حرفين
متفقين المعنى .

(هـ) وقد لا تقتصر وظيفة « ما »
على إضفاء معنى جديد على الصيغة
التضامية ، بل قد تتعدى ذلك إلى
إضفاء معنى جديد على السلوك التركيبي
كله للعبارة .

* من ذلك - مثلاً - كلمة « كل »
إذا اتصلت بها « ما » تصبح « كلما »
وتكون حينئذ ظرفاً توقيئياً ، فيه

معنى الشرط ، وتحتاج إلى جملتين ؛
إحداهما مرتبة على الأخرى (ابن هشام :
١ : ٢٠٢) نحو : « يكاد البرق
يخطف أبصارهم ، كلما أضاء لهم
مشوا فيه » .

(سورة البقرة : ٢٠)

« كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها .. » .

(سورة النساء : ٥٦)

« ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملاً
من قومه سخروا منه » .

(سورة هود : ٣٨)

ويميل الاستعمال المعاصر - وبخاصة
في لغة الصحافة - إلى تكرار « كلما »
مع الجواب ، نحو :

كلما اجتهدت كلما حصلت على مال
أكثر . وهذه العبارة مصنوعة على نمط
التركيب الأجنبي :

(The more you work the more money
you get.)

(بشر : ١٤٤)

وقد جاء في صحيفة الأهرام
(١٦ / ١ / ١٩٧٦ ص ١٠) :

« وكَلِّمًا طالت تلك الغيبة كَلِّمًا
اتسع الطريق ، وتضاعف رواده
ومريادوه .. » .

وفي صحيفة السياسة (١٩٧٦/٣/٣)
ص ٧ ، ١٩٧٦/٣/٢٠ ص ١٦) :

« وكَلِّمًا كبر حجم السيارة كَلِّمًا
كان ذلك أفضل » .

« كَلِّمًا زاد سنه كَلِّمًا زاد نفعه » .

« كَلِّمًا مرَّ عليها الزمان كَلِّمًا كانت
أثمن » .

« كَلِّمًا صارت قديمة كَلِّمًا صارت
تُوكَل » .

ولا تعجيز القواعد التقليدية مثل
هذا الأسلوب ، وتوجب حذف « كَلِّمًا »
الثانية من العبارة .

* وإذا لحقت « ما » الشرط
الامتناعي « لو » غيرته عن حاله ؛
وحولته إلى معنى « هَلَّا » ، قال تعالى :
« لوما تَأْتِينَا بِالْمَلَأْئِكَةِ ... » .

(سورة الحجر : ٤)

فمعناه : هَلَّا .

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى
أن « لوما » قد هجرت في العربية
المعاصرة ، ولم يبق من آثارها إلا تلك
الآية الكريمة .

ويسمى بعض النحويين « ما »
هذه « بالمغيّرة » ؛ لأنها غيرت معنى
الأداة التي لحقتها إلى معنى جديد .
والسبب : أن الحروف إذا ركبت
حدث فيها بعد التركيب معنى لم يكن
قبل التركيب ، كالأدوات المركبة
من عقاقير مختلفة ، فإنه يحدث لها
بالتركيب ما لم يكن لكل واحد منها
قبل التركيب ، في حالة الانفراد .
وهنا تعليل يصدق على كل أداة
مركبة (١) .

ثالثاً : التعويض :

ونعني به التعويض من إحدى نوني
« أن » في حالة تخفيفها ، وذلك
بوضع فاصل بينها وبين خبرها ،
يدلّ عليها . هذا الفاصل هو

(١) ينظر ؛ معاني القرآن للفراء ج ٢ ص ٣٧٦ — ٣٧٧ ، والأزهية في علم الحروف للهروي ص ٩٨ — ٩٩ ،
والإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ج ١ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ج ٢ ص ٦٥ .

السين أو سوف أو قد أو حرف نفي
(لم ، لن ، ما ، لا) « ويسمى النحاذ
هذه الحروف التي بعد « أن » المخففة
« حروف التعويض » .

(الرضى : ٢ : ٢٣٣)

والسر في هذا الفصل : أنها بعد
التخفيف شابهت « أن » المصدرية
بسطاً ومعنى ؛ أما لفظاً فظاهر ، وأما
معنى فلكونهما حرفي المصدر (أن +
الفاعل ، أن + الاسم ..) فأريد الفرق
بينهما بوضع هذا الفاصل ، ليكون
كالعوض من إحدى نوني « أن » .

« أن » في القواعد المقررة :

لما كانت « أن » فائدتها التحقيق ،
كان من المناسب لها - في حالة تخفيفها -
أن يسبقها ما يفيد التحقيق ، وهو العلم
أو ما يؤدي مؤداه وما يجرى مجراه من
الظنّ الغالب ؛ ليكون مؤذناً في أول الأمر
أنها مخففة ، ولهذا لم تجيء « أن »
المصدرية بعد فعل التحقيق الصّرف ،
وأما بعد فعل الظن وما يؤدي معنى العلم
فتجيء المصدرية والمشددة والمخففة .
ومن هنا كان لا بد من قيام ضوابط تميز

« أن » المخففة من « أن » المصدرية
في المواقع التركيبية المختلفة . ويمكن
إجمال هذه الضوابط فيما يلي :

١- تختص « أن » المخففة بوقوعها
قبل الجملة الاسمية ، والجملة الفعلية
الشرطية . مثال الشرطية قوله تعالى :

« وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا
سمعت آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ،
فلا تقعدوا معهم ، حتى يخوضوا في
حديث غيره » . (سورة النساء : ١٤٠)
وقوله :

« قل أوحى إليّ ... » إلى قوله « وأن
لو استقاموا على الطريقة ، لأسقيناهم
ماءً غدقاً » . (سورة الجن : ١ ، ١٦)
وقوله :

« أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء
الله لهدى الناس جميعاً » .
(سورة الرعد : ٣١)

وقوله : أ
« أو لم يهد للذين يرثون الأرض من
بعد أهلها ، أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم... »
(سورة الأعراف : ١٠٠)

ومثال الاسمىة قول الشاعر :

فى فتىة كسىوف الهند قد علموا
﴿أَنْ هالك كل من يَحْفَى وينتعل
(الصبان ١ : ٢٩٠)

وقد تكون منفية ، نحو قوله تعالى :
« .. فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ، وأن
لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون » .
(سورة هود : ١٤)

أمّا المصدرية فلا تقع قبل الجملة الاسمىة
أو الفعلية الشرطية ؛ لأنها « تلزم الجملة
الفعلية المؤولة بالمصدر ، فلا ياحتمل أن
تدخل على الاسمىة ولا الشرطية »
(الرضى ٢ : ٢٣٣) ، ولذا لم ياحتاجوا
إلى فرق آخر فى هذا الموضع : اكتفاءً
بفعل التحقيق الذى سبق ذكره .

٢- كما تختص « أَنْ » المخففة
بوقوعها قبل الأفعال غير المتصرفة ،
وذلك نحو قوله تعالى :

« أم لم يُنبأ بما فى صحف موسى ،
وإبراهيم الذى وفى ، ألا تزرُ وازرةٌ وزرُ
أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » .
(سورة النجم : ٣٦ - ٣٩)

وقوله :

« أولم ينظروا فى ملكوت السموات
والأرض ، وما خلق الله من شىء ، وأن
عسى أن يكون قد اقترب أجلهم .. »
(سورة الأعراف : ١٨٥)

ومنه قول زهير يمدح هرم بن سنان :
أَنْ نِعْمَ معترك الجياع إذا
خبَّ السفير وسابىء الخمر
(السيوطى ٢ : ١٨٦)

أما المصدرية فلا تقع قبل الأفعال
الجامدة ، « لأنها تكون مع الفعل بعدها
بتأويل المصدر ، ولا مصدر لغير المتصرف »
(الرضى ٢ : ٢٣٣) ، ولذا لم ياحتاجوا
إلى فرق آخر هنا أيضاً .

٣- ومثل الأفعال الجامدة : الأفعال
الدالة على الدعاء ، لاحتجاج « أَنْ » معها
إلى فاصل . وقد قرىء قوله تعالى :

« والخامسة أَنْ غَضِبَ اللهُ عليها »
(سورة النور : ٩)

« والخامسة أَنْ غَضِبَ اللهُ عليها »
بالتخفيف ، ووقوع الفعل الدال على الدعاء
بعدها من غير فاصل ، إذ الدعاء يشبه
الجامد فى عدم التصرف ، سواء كان

الدعاء بشرّ ، كما ذكر ، أو بخير ،
نحو قوله سبحانه : « نُودِيَ أَنْ بُورِكَ
مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا » .

(سورة النمل : ٨)

ومن أمثلة سيبويه في الدعاء (١ : ٤٨٢)
« أَمَا أَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ » « أَمَا أَنْ جَزَاكَ
لِلَّهِ خَيْرًا » و « قد كثر في كلامهم حتى ..
سمعناهم يقولون : أَمَا إِنْ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا .
شبهوه بأنّه « أَى شَبَّهُوا » « إِنْ » بالكسر
بأن المفتوحة ، وخففوها ، وذلك خاصر
بالدعاء .

٤ - فإذا وقعت « أَنْ » قبل فعل
متصرف (غير دعاء) ، وجب أن يفصل
بين « أَنْ » المخففة والفعل بعدها بفواصل ؛
فرقاً بينها وبين المصدرية ، علاوة على
الفرق الأساسى الذى تقدم ذكره ، وهو
سبق فعل التحقيق « أَنْ » المخففة .

والفواصل إما « السين » ، نحو قوله
تعالى :

« عِلْمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى »

(سورة المزمل : ٢٠)

أو « سوف » ، نحو قول الشاعر :

واعلم فعلم المرء ينفعه

أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلَّ مَا قَدَرَا

(الصبان ١ : ٢٩٢)

أو « قد » ، نحو قوله تعالى :

« لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ » .

(سورة الجن : ٢٨)

« وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا »

(سورة المائدة : ١١٣)

أو بحرف نفي ، نحو قوله تعالى :

« أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا » .

(سورة طه : ٨٩)

« أَيْحَسِبَ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ » .

(سورة البلد : ٥)

« أَيْحَسِبَ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ » .

(سورة البلد : ٧)

وذلك لأن « أَنْ » المصدرية لا يفصل

بينها وبين الفعل بشيء من الحروف

المذكورة ، لكونها مع الفعل بتأويل

المصدر معنى ، فلا يفصل بينها وبين

أى يؤثر فيها لضعفها .

٥ - بقی موضع تلتبس فيه المصدرية بالمخففة ، وهو إذا اتفق وقوع « لا » بعد « أن » ؛ فإن كانت بعد فعل العلم لم تلتبس بالمصدرية ، لأن المصدرية لاتقع بعد فعل العلم ، كما تقدم . وإن كانت بعد فعل الظن جاز أن تكون مخففة ، وأن تكون مصدرية ، كما في قوله تعالى : « وحسبوا أن لا تكون فتنة » .

(سورة المائدة : ٧١)

فقد قرىء بالرفع والنصب ؛ الرفع على أن الحسبان ظن غالب ، والنصب على مجرد الظن . « فلا التباس بينهما على هذا إلا في مثل هذا الموضع » (الرضى ٢ : ٢٣٣) وهو أن تقع « أن » بعد فعل الظن ، وبعدها (لا) .

فإن لم تقع « أن » بعد علم ، ولا ما يؤدى معناه ، ولا بعد ظنّ ولم يلبها فعل جامد أو دعاء أو جملة اسمية أو فعلية شرطية - فهي مصدرية .

وإن وليها فعل متصرف من غير حرف عوض احتملت أن تكون مصدرية وأن تكون مفسرة ، ولا تحتل المخففة . لعدم العوض .

وقد جاء بغير عوض قول الشاعر :

علموا أن يؤملون فجادوا

قبل أن يسألوا بأعظم سؤال

(الأشمونى ١ : ٢٩٢) .

وقول آخر :

إني زعم يا نويـ

سقة إن أمنت من الرزاح

ونجوت من عرص المنو

ن من العشى إلى الصباح

أن تهبطين بـإلاد قو

م يرتعون من الطـإلاح

(الأشمونى ١ : ٢٩٢) .

ويظهر أن ترك الفصل هنا لوجود فارق

آخر ، هو رفع المضارع بعد « أن » وإن

كان خلاف الأولى ، كما يفهم من قول

ابن مالك :

وإن يكن فعلاً ، ولم يكن دعا

ولم يكن تصريفه ممتنعاً

فالأحسن الفصل بقدر أو نفي أو

تنفيس أو لو وقليل ذكر لو

وقيل إن « أن » في هذه الأبيات هي الناصبة للمضارع ، وإنما أهملت حملا على أختها « ما » المصدرية .

(الصبان ١ : ٢٩٢ والعيني ١ : ٢٩٣)

أمّا « أن » في قوله تعالى :

« ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ، أن اعبدوا الله ربي وربكم » .

(سورة المائدة : ١١٧)

ف « أن » يجوز أن تكون مصدرية ، فتكون بدلا من « ما » أو من « الهاء » في « به » ، أو خبر مبتدأ محذوف ؛ أي : هو أن اعبدوا الله . وأن تكون مفسرة . (الرضى ٢ : ٢٣٤)

ومعلوم أن المفسرة هي المسبوقة بما فيه معنى القول دون حروفه وتقوم مقام علامة الترقيم (:) ، مثل :

أمرته أن قم . ناديته أن يازيد قم .

قال تعالى : « فأوحينا إليه أن اصنع الفلك » . (سورة « المؤمنون » : ٢٧)

« وعن الكوفيين إنكار » « أن » التفسيرية ألبتة ؛ لأنه إذا قيل : كتبت

إليه أن قم ، لم يكن « قم » نفس « كتبت » ، كما كان الذهب نفس العسجد في قولك : هذا عسجد أي ذهب ؛ ولهذا لو جئت بـ « أي » مكان « أن » في المثال لم تجده مقبولا في الطبع « (ابن هشام ١ : ٢٩)

والحق ليس في الأمر التباس إذا ما وقع بعد « أن » فعل ماض أو فعل أمر ؛ فيجوز أن تكون مفسرة ، وأن تكون مصدرية . لكن الالتباس يقع في حالتين :

(أ) إذا ما ولّيت « أن » ما فيه معنى القول ، ووليها فعل مضارع مصدر بـ « لا » فأجاز بعضهم أن تكون « أن » في هذه الحالة مخففة ومفسرة ومصدرية ، نحو : أوحى إليك أن لا تفعل ، « فإن كانت مخففة فـ « لا » للنفي ، ولا يجوز أن تكون للنهي ، لأن المخففة كالمثقلة لا تدخل على طلبية^(١) ، فيرتفع الفعل . وإن كانت مفسرة جاز كون « لا » للنفي أو للنهي ، فيرتفع الفعل أو ينجزم . وإن كانت مصدرية انتصب الفعل « (الرضى ٢ : ٢٣٤) بمعنى :

(١) ويستثنى من ذلك الجملة الدعائية ، كما في القراءة التي أشرنا إليها : « والخامسة أن غضب الله عليها » فهي مبنية على جواز تفسير ضمير الشأن بالجملة الإنشائية (ينظر : خاله الأزهرى ١ : ٢٣٢ ، ٢٣٣) .

أوحى إليك بأن لاتفعلَ : أى : بعدم الفعل .

(ب) إذا ماوليت « أن » ما فيه معنى القول . ووليها فعل مضارع أيضاً ، لكنه مصدرٌ بغير « لا » من حروف العوض ، نحو : أوحى إليك أن ستفعل ؛ ميل : ففى هذه الحالة تكون « أن » مخففة أو مفسرة .

ويمكننا إجمال المواقع التى تتعين فيها

« أن » المخففة فيما يلى :

* إذا وقعت « أن » قبل جملة اسمية وسبقها فعل علم أو مايجرى مجراه .

* إذا وقعت « أن » قبل جملة شرطية ، وسبقها فعل علم أو ما يجرى مجراه .

* إذا وقعت « أن » قبل فعل جامد ، وسبقها فعل علم أو ما يجرى مجراه .

* إذا وقعت « أن » قبل فعل دعاء ، وسبقها فعل علم أو ما يجرى مجراه .

* إذا وقعت « أن » قبل فعل متصرف وسبقها فعل علم أو ما يجرى مجراه .

وفصل بينها وبين الفعل بعدها بأحد حروف العوض .

* إذا وقعت « أن » قبل فعل متصرف ، وسبقها فعل ظنّ ، وفصل بينها وبين الفعل بعدها بأحد حروف العوض سوى « لا » .

وفى عدا ذلك ، بأن وقعت قبل فعل متصرف ، وسبقها فعل فيه معنى القول ، وفصل بينها وبين الفعل بعدها ب « لا » أو بأى حرف آخر من حروف العوض تحتمل أكثر من معنى ، على التفصيل الذى بيناه .

« أن » فى ميزان النقد :

المتبّع للأمثلة المختلفة التى أوردها سيبويه فى الكتاب (١ : ٤٨١) للتفريق بين أنواع « أن » الداخلة على المضارع ، يلحظ النماذج الآتية :

كتبت إليه أن لاتقلّ ذلك .

كتبت إليه أن لايقولَ ذلك .

كتبت إليه أن لاتقولُ ذلك .

« فأما الجزم فعلى الأمر ، وأما النصب فعلى قولك : لئلا يقولَ ذلك ، وأما الرفع فعلى قولك : لأنك لاتقولُ ذلك أو بأنك

لا تقولُ ذلك ، تخبره بأنّ ذا قد وقع
من أمره « (سيبويه ١ : ٤٨١) .

وتفسير هذا الكلام يكون على النحو
الآتي :

كتبت إليه :

- لا تقل ذلك .

- أنه لا ينبغي أن يقول ذلك .

- أنك لا تقول ذلك .

١ - « فَأَنْ » في المثال الأول مفسّرة ،
بمنزلة « أَيْ » فهي تقوم مقام علامة الترقيم
(:) . ولا يجوز أن تكون مخفّفة ؛
لأنّ المخفّفة كالمثقلّة لا تدخل على نهي
كما تقدم .

٢ - و « أَنْ » في المثال الثاني مصدرية
ناصبية ؛ لأنّها تصدّرت جملة تعبر عن حدث
يؤمل تحقّقه « كفولك : أرجو وأطمع
وعسى » (سيبويه ١ : ٤٨٢) ، أي إن
الفاعل بعدها يعبر عن غرض مستقبل
لفاعل الجملة الأساسية ، « فأنت لا توجب
إذا ذكرت شيئاً من هذه الحروف (أي
الأفعال) ولذلك ضعف : أرجو أنك
تفعل ، وأطمع أنك فاعل » (سيبويه ١
٤٨٢) . وقد ذكر المبرد (٢ : ٣٠)

أن « أَنْ » الناصبة للمضارع « لا تقع مع
الفعل حالا ؛ لأنّها لا لا تقع في الحال .
ولكن لما يستقبل » . ونص ابن السراج
(١ : ٤١) على أن المضارع « إذا دلّ
على الحال غلبت الضمة في تحريك آخره ،
وإذا فتح كان للمستقبل » .

ويرى العالم الألماني « ركندورف »
(Reckendorf) أن نصب المضارع
بعد « أَنْ » المصدرية ليس مرجعه إليها ؛
فهي إشاريّة خالصة تدل على الاستقبال ،
ولكن إلى أن الفعل بعدها يدلّ على غرض .
أي : إنه يعبر عن غرض لفاعل الجملة
الأساسية ، ولما كان يدلّ على غرض فهو
يشير إلى الاستقبال . (بكر : ٥٧) .

٣ - وأمّا « أَنْ » في المثال الثالث
فمخفّفة من الثقيّة ؛ لأنّها تصدّرت جملة
تعبر عن حقيقة ثابتة ، مثلاً في ذلك
مثل أختها « إِنَّ » من حيث الوظيفة
التوكيدية ، وتتميز عنها بتصدّر
الجمل الفرعية ، لا الجمل الأساسية
بمعنى أن « أَنْ » لا بد أن يسبقها كلام ؛
لأنّها تؤول مع ما بعدها بمصدر ، أمّا « إِنَّ »
فتبدأ بها الجملة من غير حاجة إلى كلام

« فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها » .
(سورة النمل : ٨)
والغالب هنا معنى المصدرية ، إلا إذا قصد الدعاء فتكون مخففة من الثقيلة على ما تقدم .

وفي اللغة المعاصرة لم يعد يأتي هذا التركيب إلا في قوالب تعبيرية ثابتة بعد بعض الأدوات . نحو :
« بعد أن فعل كذا .. » ، « ومنذ أن فعل كذا ... » .

وبعض التراكيب الأخرى ، نحو :
« سبق له أن فعل كذا ... » ،
« ولم يلبث أن فعل كذا ... » .
وكلها استعمالات مقيدة ، و « أن » فيها مصدرية ، كما هو ظاهر . أما الاستعمال غير المقيد فقد اختفى في العربية المعاصرة .

والخلاصة أن الاختلاف بين « أن » المصدرية ، و « أن » المخففة مرجعه إلى البنية الدلالية لجملة كل منهما ؛ فإذا أُريد معنى الغائية وما يؤمل تحققه في المستقبل فـ « أن » ناصبة للمضارع ،

سابق ، يقول الزمخشري (ص ٢٩٣) :
« إنَّ » و « أنَّ » : هما تؤكّدان مضمون الجملة وتحققاته ، إلا أن المكسورة : الجملة معها على استقلالها بفائدتها .
والفتوحة : تقلبها إلى حكم المفرد .

ويلاحظ أن ضبط الفعل في الجمل السابقة غير متوقف على « أنَّ » « فأنَّ » لا تؤثر في الفعل الذي يليها ، بل إن تفسير « أنَّ » منوط بالحالة التي عليها الفعل ، وقد رأينا المضارع بعد « أنَّ » في الأمثلة المتقدمة يأتي مرفوعاً ومنصوباً ومجزوماً .

أما « أنَّ » الداخلة على الأمر ؛ فالغالب عليها معنى المفسرة ، كما في قوله تعالى :
« فأوحينا إليه أن اصنع الفلك » .
(سورة « المؤمنون » : ٢٧)
« فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر » .

(سورة الشعراء : ٦٣)

وأما التعبير بالفعل الماضي بعد « أنَّ » فقد ورد في قوله تعالى :

وإذا أُريد معنى التحقيق والثبوت فأنَّ «
مخففة من الثقيلة ، وعلى ذلك يمكن
توجيه قول الشاعر :

علموا أن يؤملون فجادوا

قبل أن يسألوا بأعظم سؤال

لأن المقام مقام التحقيق والثبوت .
فلم يحتاج إلى فاصل بين « أن » والمضارع
بعدها ، اكتفاءً بدلالة المقام . يقول
المبرد (٢ : ٣٠) : « ولو قلت : أعلم
أن تقوم يا فتى ، لم يجز ؛ لأن هذا
شيء ثابت في علمك ، فهذا من مواضع
أن الثقيلة » .

ويقول الزجاجي (ص ٢٠٦) : « فإن

وقعت قبلها [أى قبل أن] الأفعال التي
تدل على إثبات الحال والتحقيق ارتفع
الفعل ههنا ، وكانت مخففة من الثقيلة ،
كقولك : علمت أن تقوم » .

غير أن سيبويه يرى (١ : ٤٨٢) :

« أنه ضعيف في الكلام أن تقول :
قد علمت أن تفعل ذلك ، وقد علمت أن
فعل ذلك ، حتى تقول : سيفعل أو قد
فعل أو تننى فتدخل « لا » وذلك لأنهم

جعلوا ذلك عوضاً مما حذفوا من « أنه » ،
فكرهوا أن يدعوا السين أو قد ، إذ قدروا
على أن تكون عوضاً » ثم يقول بعد
ذلك : « و « لا » تنقض ما يريدون لو لم
يدخلوا قد ولا السين » .

وهذا يعني أنه لا يمكن التجاوز عن شرط
الفصل بين « أن » المخففة والمضارع بعدها
إذا سبقت بفعل التحقيق الصرف ، وهو
« علم » .

رابعاً : القطع :

ويقصد به : « قطع الجمل عما قبلها
بوساطة حرف من الأحرف الآتية :

الواو - الفاء - ثم - حتى - أم المنقطعة
بل - لكن .

ويمكن تسميتها أحرف القطع ؛ لأنها
تقطع الجملة عما قبلها . بمعنى أنه يستأنف
بها كلام جديد .

وهذا المعنى قريب من المعنى الذي قصده
أبو جعفر النحاس من كتابه : « القطع
والائتناف » ، فهو يقصد بالقطع : الوقف
وبالائتناف : الابتداء . وذلك لأن حروف
القطع تقطع الكلام عما قبله صناعياً

(نحوياً) : فهي تقوم مقام السكت في
الوقف الاختياري : الذي سماه أبو جعفر :
القطع . فالواو - مثلاً - في حالة الكتابة
تقوم مقام السكت في حالة النطق .

ر أ) مثال القطع بالواو : قوله تعالى :
« قالت رب إني وضعتها أنثى ، والله أعلم
بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى .
وإني سميتها مريم » .

(سورة آل عمران : ٣٦)

(ب) ومثال القطع بالفاء : قوله
سبحانه :

فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
فما آتاهما . فتعالى الله عما يشركون .
(سورة الأعراف : ١٩٠)

وقد اجتمعت الواو والفاء في قول امرئ
القيس :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تملك أسى وتجمّل
وإن شفائى عبرة مهراقة

فهل عند رسم دارس من معول
ففي البيت الثاني جملتان مقطوعتان ؛
الأولى : بعد الواو ، والثانية : بعد الفاء .

(ج) ومثال القطع بـ « ثم » :
قوله تعالى :

« قل سيروا في الأرض فانظروا كيف
بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ النشأة الآخرة »
(سورة العنكبوت : ٢٠)

فالجمله بعد « ثم » مقطوعة عما قبلها
لأن النشأة الآخرة لما تقع ، فيؤمروا
بالاعتبار بها . ومنه ما ذكره ابن هشام
(١ : ١٢٦) : « أعجبنى ما صنعت
اليوم ، ثم ما صنعت أمس أعجب »

« وذلك لأن ما صنعه أمس لا يمكن أن
يكون في الترتيب بعد ما صنعه اليوم » .
(قباوة : ٣٥)

(د) ومثال القطع بـ « أم » و « بل »
قوله تعالى :

« هل يستوى الأعمى والبصير ، أم
هل تستوى الظلمات والنور » .
(سورة الرعد : ١٦)

« قل أفأفصح من تزكى ، وذكر اسم ربه
فصلّى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا » .
(سورة الأعلى : ١٤ - ١٦)

(هـ) ومثال القطع بـ « حتى » : قول
الفرزدق :

فواعجبا ، حتى كُليب تسبني
كأن أباه نهل أو مجاشع
ويشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم
حتى أنت يا صديقي ، حتى أنت «يا بروتس»
ويؤخذ على هذا التعبير أن « حتى » لم يرد
قبلها كلام .

وقد قدر ابن هشام البيت السابق
بقوله (١ : ١٣٧) :

« فواعجبا يسبني الناس حتى كليب
تسبني » .

ويمكن حمل مثل « حتى أنت يا صديقي »
على هذا التقدير .

؛ (و) ومثال القطع بـ « لكن »

قول زهير :

إن ابن ورقاء لاتخشى غوائله

لكن وقائعه في الحرب تنتظر

وقول طرفة :

ولست بهلال التلاع مخافة

ولكن متى يسترفد القوم أرفد

وتجدر الإشارة إلى أن القطع أمر
دقيق ؛ لا ينبغي الاعتماد فيه على ظاهر
العبرة . وما فيها من روابط لغوية .
بل لابد من الاحتكام إلى المعنى الذي
تتضمنه العبرة . لأن القطع في معناه
العام : عدم تعلق الجملة نحويًا بما قبلها
تعلق إتباع أو إخبار أو وصف أو حال
أو صلة . ويمننا هنا : قطع الإتيان في العطف
بمعنى : ألا تكون أداة القطع عاطفة ما بعدها
على ما قبلها . إذ الكلام على الأدوات التي
تستخدم في القطع .

ومن الجدير بالذكر أيضاً : أن نفرق
بين نوعين من القطع . القطع البياني ،
والقطع النحوي . فالأول يكون جواباً
لسؤال مقدر ، نحو قوله تعالى .

« فتالوا سلاماً . قال : إنا منكم وجلون »

(سورة الحجر : ٥٢)

فجملة « قال ... » : جواب لسؤال

مقدر ، هو : فماذا قال لهم ؟

والثاني يكون جواباً . ويكون بأداة ،
كما سبق . ويكون بدون أداة ، نحو
قوله تعالى :

« ولا يحزنك قولهم . إن العزة لله جميعاً » .

(سورة يونس : ٦٥)

فجملته « إن العزة .. » : مقطوعة عما قبلها ، وليست محكمة بالقول ؛ لأنها ليست من كلام الكافرين ، ولا يعقل أن تصدر منهم ، وإنما هي من كلام الله تعالى ، يثبت بها قلب النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد اجتمع النوعان في قول الشاعر :

زعم العواذل أنني في غمرة

صدقوا ، ولكن غمرني لاتنجلي

فجملته « صدقوا » : قطع بياني ؛

لأنها جواب لسؤال مقدر : أصدقوا أم

كذبوا ؟ ف قيل : صدقوا . (ابن هشام

٢ : ٤٢٨) وجملته « غمرني لاتنجلي »

قطع نحوي بـ « ولكن » .

وقد قالوا : إن كل قطع بياني هو نحوي ،

وليس العكس .

والحديث عن القطع بمعناه الذي تقدم

يجرنا إلى الحديث عن القطع في النعت

فقد أجاز بعض النحويين قطع النعت

بالواو ، واستدل بقول الشاعر :

ويأوى إلى نسوة عطّل لهنّ

وشعثا مراضيع مثل السعالى

حيث أتبع النعت الأول ، وهو « عطّل »

وقطع الثاني وهو « شعثاً » فنصبه بفعل

محذوف ، تقديره : أخص أو أذم .

« والأعراف مجيء نعت النكرة المقطوع

بالواو الدالة على القطع والفصل ؛ إذ

ظاهر النكرة محتاج إلى الوصف ، فأكد

القطع بحرف هو نص في القطع ، أعني

الواو .. » (الرضى ١ : ٣١٦) ويجوز

في المعرفة أيضاً القطع مع الواو ، كقول

الخرزني (١) :

لا يبعذن قومي الذين هم

سمّ العداة وآفة الجزر

(١) خرثق بكسر الخاء والنون : أخت طرفة بن العبد لأمه ، وهي هنا تثنى زوجها بشر بن عمرو بن مرثد ومن قتل معه من بنيه وقومه . ومعنى لا يبعذن ، بفتح الياء والعين : دعاء يخرج مخرج النهي : أي لا يهلكن ، جريا على عادة العرب في استعمال هذا اللفظ في الدعاء ، قال تعالى : « ألا بعدا لعاد قوم هود (سورة هود : ٦٠) وقال سبحانه : « ألا بعد المدين كما بعدت ثمود » (سورة هود : ٩٥) . فإن قيل كيف دعت لقومها بالأيهاكون وهم قد هلكوا ؟ أجيب بأن العرب لم في ذلك غرضان : أحدهما : أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجال . . . ، والثاني أنهم يريدون الدعاء لهم بأن يبقى ذكركم ولا يذهب : لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته .

العداة : جمع عاد ، وهو العدو بعينه ، ولا يجوز أن يكون جمع عدو ، لأن فعولا لا يجمع على فعلة . . . (خالد الأزهرى ٢ : ١١٦) .

النازليين بكل معترك

والطيبون معاقد الأزر

بنصب الأول : (النازلين) بإضمار

« أمدح أو أذكر » ورفع الثاني :

(والطيبون) بإضمار « هم » على القطع

فيهما . ويجوز العكس بإتباع الأول

لقوى ، وقطع الثاني بإضمار أمدح أو أذكر ،

كما يجوز رفعهما معا : ونصبهما معا ..

(خالد الأزهرى ٢ : ١١٦)

خامسا : كسر الاعراب :

ونعني به دخول بعض حروف الجر

التي يسميها النحاة بالزائدة - على

المرفوع أو المنصوب من الأسماء ،

لتحقيق أغراض فنية ، منها :

(أ) الاستغراق والشمول ، وذلك

بعد النفي أو شبهه ، كما في قوله عز

وجل :

« هل من خالق غير الله ؟ »

(سورة فاطر : ٣)

« وما ربك بظلام للعبيد » .

(سورة صلت : ٤٦)

« ما جاءنا من شير ولا نذير » .

(سورة المائدة : ١٩)

فالزائد في الآية الأولى دخل على

المبتدأ ، وفي الآية الثانية دخل على

الخبر ، وفي الثالثة دخل على الفاعل .

وفي جميع هذه الآيات حدث كسر

للإعراب تحقيقا لمعنى الاستغراق والشمول ،

المستفاد من اجتماع النفي أو شبهه مع

حرف الجر (الباء أو من) ثم النكرة بعد

ذلك .

(ب) تقوية العامل إذا كان اسم فعل

أو اسم فاعل وما يشبهه ، والزائد هنا :

« اللام » كما في قوله سبحانه :

« هيهات هيهات لما توعدون » .

(سورة المؤمنون : ٣٦)

« فاعل لما يريد » .

(سورة البروج : ١٦)

« وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم » .

(سورة البقرة : ٤١)

فالأصل في العمل - كما يقولون -

للأفعال ، واسم الفعل أو اسم الفاعل

أو صيغة المبالغة فرع في العمل على

الفعل ؛ لأنها أضعف منه ، فجاء باللام

لتقوية الفرع .

وقد دخلت اللام في الآية الأولى على
الفاعل ، وفي الآية الثانية والثالثة على
المفعول . وحدث كسر للإعراب تحقيقاً
لمعنى التقوية المتقدم .

سادسا : الامتداد في الزمن :

(أ) وذلك بعد (أَنْ) و (كان) في
مثل :

قوله تعالى : « فلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ
أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا » .
(سورة يوسف : ٩٦)

وقول الشاعر :

ولَمَّا أَنْ تَحْمَلُ آلَ لَيْلَى

سَمِعْتَ بَيْنَهُمْ نَعْبَ الْغُرَابِ

(الأنباري ١ : ٨٦)

وقولهم : ما كان أطيب أمسنا .

يقول النحاة : إِنَّ « أَنْ » الواقعة بعد
« لَمَّا » و « كان » الواقعة بين « ما »
وفعل التعجب - من الزوائد ؛ لوقوع
كل منهما بين متلازمين . ونقول : إن
وجود « أَنْ » و « كان » في مثل هذه
المواضع ضروري ؛ لأنَّ وجودهما يمنح
امتدادا في الزمان والمكان ، ونلاحظ ذلك

من قيام البشير بتسميئهم يوسف ومجيشه
إلى أبيه ، ومن تصوّر نوع القلق الذي
كان يعيشه هذا الأب قبل أن يرتدَّ
إليه بصره .

وفي الآيتين الكريمتين من سورة
العنكبوت :

« ولَمَّا جَاءَتْ رِسَالَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى ،
قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا
كَانُوا ظَالِمِينَ » (الآية : ٣١)

« ولَمَّا أَنْ جَاءَتْ رِسَالَنَا لُوطًا بِسَيِّئِ
وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا ، وَقَالُوا لَاتَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ،
إِنَّا مُنَجِّوْكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ
الْغَابِرِينَ » (الآية : ٣٣) .

- نلاحظ كيف جاءت الآية الأولى
من غير فاصل بعد « لَمَّا » في حين جاءت
الآية الثانية وفيها فاصل هو « أَنْ »
لأن الموقف يتطلب الامتداد في الزمن
في الآية الثانية ، بعكس الآية الأولى
التي فيها البشري .

(ب) ومن هذا القبيل ما يسمّى بالحروف
المقحمة . كالواو في مثل قول تعالى :
« فلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي
غِيَابَتِ الْعِجْبِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ » .
(سورة يوسف : ١٥)

« فلما أسلما وتلَّهُ للجبين وناديناه أن
يا إبراهيم »

(سورة الصافات : ١٠٣ - ١٠٤)

« حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها »

(سورة الزمر : ٧٣)

فالواو في : « وأوحينا » ، « وناديناه » .
« وفتحت » مقحمة زائدة ؛ لأن هذه
الأفعال وقعت جوابا لأداة الشرط . « لما »
و « حتى إذا » .

جاء في معاني القرآن للفراء (٢ :

٣٩٠) تعليقا على الآية الكريمة : فلما

أسلما وتلَّهُ للجبين . . . » : « وجوابها

(أي لما) في قوله : وناديناه) والعرب

تدخل الواو في جواب (فلما)

و (حتى إذا) وتلقيها ؛ فمن ذلك قول

الله : (حتى إذا جاءوها فتحت) وفي

موضع آخر : (وفتحت) وكل صواب .

وعنى هذا مذهب الكوفيين ؛ تزداد

عندهم الواو بعد (لما) و (حتى إذا) .

(أبو حيان ٥ : ٢٨٧) .

يقول براجشتراسر (ص ١٨٠) :

« كثيرا ماتدخل الواو على الجواب ...

... بغير قواعد ثابتة واضحة . وأكثر

ذلك في العبرية نحو إن كان

أذى وأعطيت نفسا بدل نفس » أي :

إن كان أذى من ضرب الرجل صاحبه

أعطيت نفسا بدل نفس . وهذا شبيهه

بالفاء في نحو : فلما أتانا فأصبح

مسرورا . بدل : أصبح مسرورا » لأن

الفاء قد تدخل على مالا محل لها فيه

في الأصل وكثير مثل ذلك في

الزمان المتأخر » .

وقد تحدث النحاة والمفسرون^(١) عن

الواو الزائدة والمقحمة والواو الاعتراضية

كما تحدثوا عن مصاحبة الواو لجواب

(حتى إذا) . وجاءت الواو مع (لما)

كثيرا ، حتى أطلق عليها (واو لما) .

وملاحظ الامتداد الزمني في كل من

هاتين الأدوات . وهذا يعنى أن وجود

الواو في مثل هذه التراكيب يعدّ جزءا

من البناء اللغوي بمفهومه النحوي والدلالي .

وفي العربية المعاصرة أساليب احتوت على

(١) ينظر : الأشباه والنظائر للسيوطي ح ٤ ص ١٣ ، والمقتضب ج ٢ ص ٨٥ ومعاني القرآن للفراء ج ١ ص

٢٣٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان ج ٥ ص ٢٨٧ .

« . . . ويصبحون وكأنتهم أدوات للعمل والإنتاج » (حسين ١ - ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٤) وتكثر هذه المصاحبات الآن في لغة الصحافة ، ومنها :

« إذا كان ولا بد أن نختلف . . . »
(صحيفة الأهرام / عدد الجمعة :
١٨ / ٧ / ١٩٧٥ ، ص ١١) .

« . . . وحتى بدون المحاضرات سيكون المهرجان . . . كسبا كبيرا . . . »
(صحيفة الأهرام / عدد الجمعة :
١٨ / ٧ / ١٩٧٥ ، ص ١١) .

فالواو في جميع هذه التراكيب أفادت معنى نحويا ، هو تقرير الكلام السابق ، ولولا هذه الواو لما فهمنا هذا المعنى .

جاء في شرح الكافية : « وكذا إذا وليت (أن) الواو بعد قولك : هذا أو ذلك ، تقريراً للكلام السابق ، قال تعالى : « ذلكم ، وأن الله موهن كيد الكافرين » (سورة الأنفال : ١٨) .
(الرضي ٢ : ٣٢٥)

مصاحبات زمنية لاتقبلها القواعد التراثية ؛ من ذلك مثلا قول بعض المثقفين : (سوف لا أحضر) بدلا من (لن أحضر) ، فهذا المثال لاتقره القواعد التقليدية ؛ لأن أساليب نبي المستقبل هي : لا أحضر ولن أحضر . . . يقابلها في الإثبات : (سأحضر ، سوف أحضر . . .) فكيف يجمع بين النفي والإثبات في موقف لغوي واحد ؟

سابعا : تقرير الكلام السابق (أو الدلالة على الشمول والاستقصاء) :

وأكثر ما يكون ذلك مع الواو ، كقولهم : « زيد كاتب كما وأنه شاعر » فيزيدون واوا بين « ما » وصلتها .
(اليازجي : ٤٩)

وقد شاع استخدام هذه الواو مصاحبة لبعض الأدوات في اللغة المعاصرة ، وذلك مثل :

« أنا لا أوافق على هذا ، بل ولا أحب أن أناقشه »

« ألا وإنه مامن شيء جميل أو عظيم إلا وفيه معنى السخرية به » .

(الرافعي ١ : ٢٥٨ ، ٢ : ١٧٧)

ويكثر هذا الأسلوب في القرآن الكريم ،
الأنحو :

« ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكرون ،
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا » .

(سورة الأنعام : ١٥٢ ، ١٥٣)

« ذلك بما تقدمت أيديكم ، وَأَنَّ اللَّهَ
ليس بظلام للعبيد »

(سورة آل عمران : ١٨٢)

« هذا ، وَإِنَّ لِلطَّاغِيينَ لَشَرَّ مَا ب .

(سورة ص : ٥٥)

ومو أقوالهم : « قضية ولا أبا حسن
لها » .

« ماء ولا كصدااء . »

« مرعى ولا كالسعدان . »

« فتي ولا كمالك . »

وقد لاحظت من تتبعي لأقوال النحاة
والمفسرين أن أبا حيان يكثر من مصاحبة
الواو لا (بل) في « البحر » . وذلك مثل
قوله :

« . . . وهذا لا ينبغي أن يكون في
كلام الله تعالى ، بل ولا في كلام
فصيح . . . »

(أبو حيان ٨ : ٤٥٨ - ٤٥٩)

كما صرح في موضع آخر بأن الواو
قد تجب مع (لو) للتنبية على أن
ماقبلها جاء على سبيل الاستقصاء ؛
أي الشمول والتأكيد ، وهو المعنى الذي
حاولنا إثباته هنا . يقول أبو حيان :
(. . . فإذا قال : اضرب زيدا ولو أحسن
إليك ، المعنى : وإن أحسن إليك .
أعطوا السائل ولو جاء على فرس : ردوا
السائل ولو بشق تمره - المعنى فيهما : وإن .
وتجىء (لو) هنا تنبيها على أن ما بعدها
لم يكن يناسب ما قبلها ، لكنها جاءت
لاستقصاء الأحوال التي يقع فيها الفعل ،
ولتدل على أن المراد بذلك وجود الفعل
في كل حال ، حتى في هذه الحال التي
لا تناسب الفعل ؛ ولذلك لا يجوز :
اضرب زيدا ولو أساء ، ولا : أعطوا
السائل ولو كان محتاجا ، ولا : ردوا
السائل ولو بمائة دينار ،

(أبو حيان ١ : ٤٨٠ - ٤٨١)

ومن هنا يرى أبو حيان أنه « لا يجوز
حذف هذه الواو الداخلة على (لو) إذا
كانت تنبيها على أن ما بعدها لم يكن
يناسب ما قبلها ، وإن كانت الجملة
الواقعة حالا فيها ضمير يعود على ذي .

الحال ؛ لأن مجيئها عارية من الواو يؤذن بتقييد الجملة السابقة بهذه الحال . فهو ينفى استغراق الأحوال حتى في هذه الحال . فهما معنيان مختلفان . والفرق ظاهر بين :

أكرم زيدا لو جفناك ، أى : إن جفناك ،
وبين : أكرم زيدا ولو جفناك «
(أبو حيان ١ : ٤٨٠ - ٤٨١)

وقال ابن جنى فى الخصائص (٢ :
٤٦٢) بزيادة الواو فى خبر كان .
مثل قول العرب : كان ولا مال له .
أى كان لا مال له . وعلل ابن جنى هذا
بشبه خبر كان بالحال . فجرى مجرى
قولهم : جاءنى ولا ثوب عليه .

ويمكن فى ضوء هذا تفسير ظاهرة
اقتران الواو بخبر . « كان » فى قول
المحدثين « كان ولا بد . . . »
و « إذا كان ولا بد . . » على أن كثيرا

من اللغويين والنحاة والمفسرين أجازوا
زيادة الواو بعد « إذا »^(١) .

ونخلص من هذا كله إلى أن مصاحبة
الواو لبعض الأدوات فى اللغة المتوارثة كان
يتمسك به تأكيد المعنى السابق : سواء
أتبع هذا التوكيد شمول واستقصاء أم لا .

ومن هنا نعرف السبب فى كثرة
مصاحبة هذه الواو لأدوات النفي فى
اللغة المعاصرة ، بل اللغة المتوارثة .

ويتصل بالواو بوصفها مصاحبا نحويا
للدلالة على الشمول والاستقصاء أو
لتقرير الكلام السابق - ماورد فى
الدعاء من نحو قوله تعالى :

« رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا
رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
على الذين من قبلنا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا
طاقة لنا به . . . »

(سورة البقرة : ٢٨٦)

(١) ينظر : الخصائص لابن جنى ج ٢ ص ٤٦٢ ، وإعراب القرآن للزجاج ج ٣ ص ٨٨٩ ومعنى اللبيب لابن هشام ج ١ ص ٤٠٠ .

فهذه الواو ليس لها من تفسير سوى

أنها لتقرير الكلام السابق . وللدلالة على
الشمول والاستقصاء في جميع الأحوال.

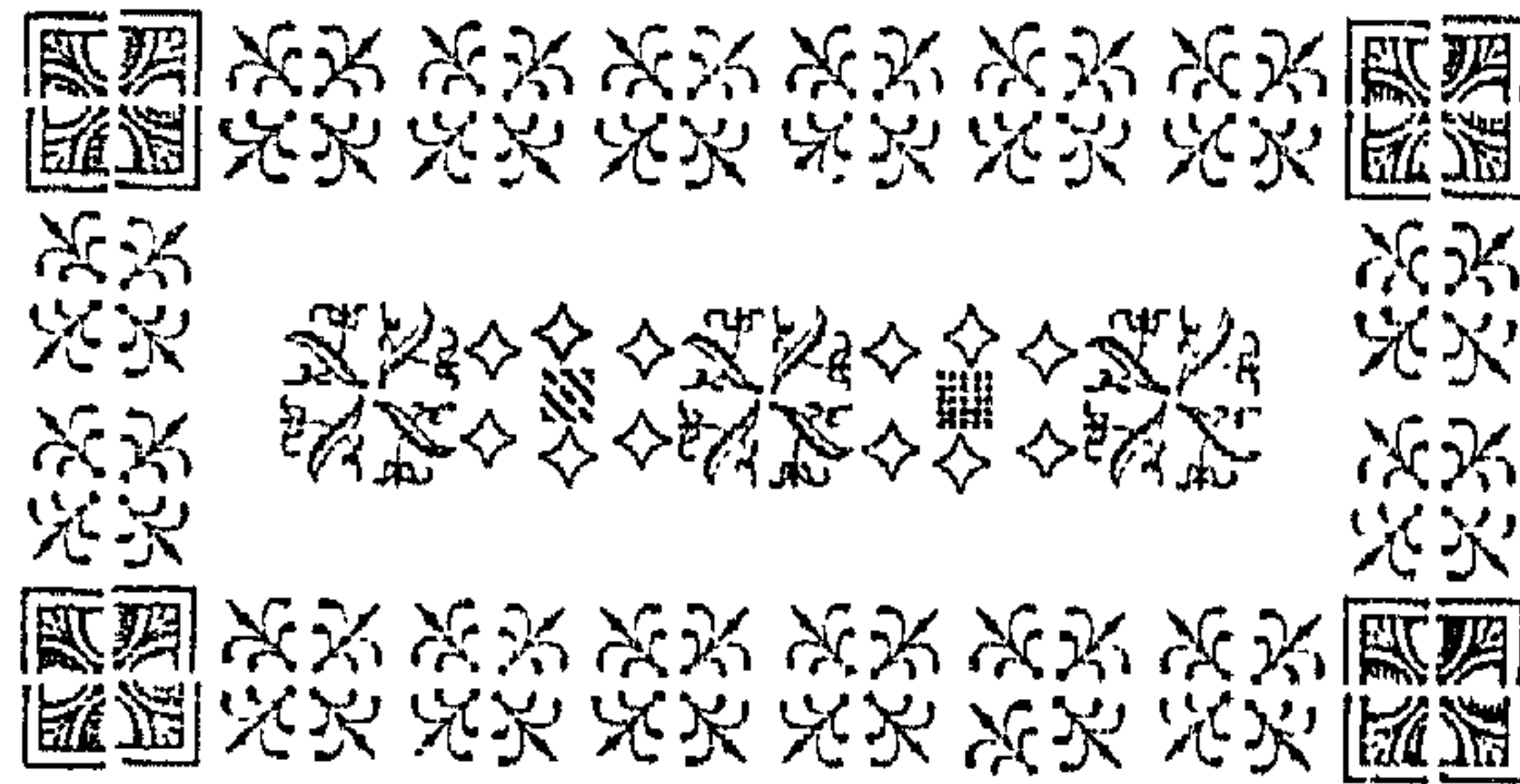
مصطفى النحاس
الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة الكويت

ومن نحو قولنا :

اللهمّ اهدنا صراطك المستقيم . وفرّج
كروب المكروبين . اللهم وارحم والدينا .

ومنه : سمع الله لمن حمده . ربنا ولك

الحمد .



المركب والاسم

للأستاذ الدكتور محمد عبد السلام ترفالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مبشوثا ، وهدفى من الكتابة فى هذا الموضوع
بهذه الطريقة :

١ - الانعتاق من ربة التبويب النحوى
الذى لحا إليه النحاة التعليميون .

٢ - تقديم نحو العربية من وجهة نظر
تركيبية ترى للغة وحدات تركيبية يوظف
بعضها داخل بعض ، فالمفرد عنصر فى المركب ،
والمركب يوظف داخل الجملة الصغرى وهكذا .

٣ - تجميع أقوال النحويين القدماء ،
لأنهم تنبهوا إلى هذا التلاحم السابق وإن
اتخذ تبويبهم لمسائل النحو شكلا آخر .

هذا ، وهناك بعض المراجع التى أفدت
منها أيا إفادة فى النظرة العامة إلى هذا الموضوع
بل إن بعضها هو ما دفعنى إلى أفراد هذا
الموضوع بحديث خاص أذكر منها :

- الكتاب لسيبويه .

- شرح المفصل لابن يعيش .

- شرح الكافية للرضى أكتوبر ١٩٧٩

(وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد
النبي الأمين .

وبعد :

فهذا بحث جديد وليس بجديد . أما
الأخيرة فإن المعلومات النحوية التى تحويها
هذه الأوراق قد قالها النحويون القدماء -
جازاهم الله خير الجزاء .

وأما الأولى فإن هذه المحاولة من أولى
المحاولات التى تجمع أطراف هذا الموضوع
فى معالجة خاصة ، فالمعلومات التى فى ثنايا
هذا البحث متفرقة فى المراجع النحوية .

كما أن هذا البحث يصدر عن رؤية
معينة تذهب إلى أن من الممكن تقديم نحو
اللغة العربية من خلال تبويب جديد يأخذ
فى اعتباره طبيعة اللغة فى التركيب .

لهذا كانت هذه الأوراق عما أسماه القدماء
بالمركب ، وعنوا به ما ليس بمفرد ولا جملة ،
فهو بين بين ، ولكن حديثهم عنه جاء متفرقا

مداخل

معنى النحو :

النحو هو العلم الذي بأصوله وقواعده نعرف أحوال الكلمات حال تركيبها ، أو هو البحث عن علاقة الكلمة بما قبلها وما بعدها وما يستتبعه هذا من الوقوف على أحكام إعرابها وبنائها .

قال تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » (١)

هذا الجزء من الآية الكريمة عبارة عن تركيب تجاررت كادائه وتداخلت ورتبت على نسق معين ، فلكل كلمة فيه علاقة بما قبلها وما بعدها . واعراب الجملة السابقة يثبت المتمولة السابقة بوضوح ، فكلمة «خير» مثلا - خير كان قبلها ، ومضاف إلى «أمة» بعدها ، و أمة مضاف إليه بالنسبة إلى خير قبلها ، وموصوف بالنسبة إلى ما بعدها .

حضر رجل العلم :

تعتبر كلمة رجل ، في المثال السابق فاعلا من حيث علاقتها بالفعل حضر قبلها ، ومضافا من حيث علاقتها « بالعلم » بعدها ولا تعارض بين الاعتبارين السابقين ، لأن الاعتبار الأول ينظر فيه إلى وظيفة الكلمة في الجملة ، والاعتبار الثاني ينظر

فيه إلى أنها عنصر في مجموعة كلامية وهي مركب (المضاف والمضاف إليه) (٢) .

مصطلحات النحو وشجرة التحليل :

النحو أصل من أصول العلوم العربية ومن أسبقها إلى الوجود ومنه استمدت علوم عربية بعض أصولها ، وقد حظى النحو العربي بمصطلحات وفيرة اتفق عليها المشتغلون بصناعة النحو والقائمون على امر سلامة اللغة العربية ، فهناك مصطلحات الإعراب والبناء والعدد ، والنوع ، والتعريف والتنكير ، كما ان هناك مصطلحات خاصة بالمواقع النحوية للكلمات .

وقد اعتاد اجدادنا النحويون أن يقدموا وصفا دقيقا لما عليه الكلمات في التراكيب وهم يعربون . ففي قوله تعالى - مثلا :

«يحق الله الربا ويربى الصدقات» (٣) .

نراهم يعربون كلمتي «الربا» و«الصدقات» مثلا على النحو التالي :

«الربا» مفعول به ، منصوب بفتحة مقدره على آخره ، منع من ظهورها التعذر .
«الصدقات» مفعول به ، منصوب بالكسرة ، لأنه جمع مؤنث سالم .

(١) آل عمران - ١١٠ (٢) يمكننا مقارنة جملنا بـ «دrama» صغيرة تلعب فيها الكلمات والعناصر اللغوية الأخرى دور الممثلين ، فربما يلعب الممثل الواحد أكثر من دور في الجملة الواحدة .

Alexander, Hulert G; meaning in languag; pp. 70,71.u.s.a. 1969.

(٣) البقرة - ٢٧٦ .

وهذا الإعراب الذي قد يرميه بعض قاصري النظر من أعداء الفكر الإسلامي عامة والفكر النحوي خاصة بالإطالة أو باللغو . أقول هذا الإعراب يكشف عن منهج فكري منظم يهدف إلى تبين ما يلي :

أولاً : موقع الكلمة أو وظيفتها في التركيب ،
يُرى هذا كشف علاقتها بما يجاورها .

ثانياً : الحالة الإعرابية التي تلبس بها الكلمة وهي تؤدي هذه الوظيفة .

ثالثاً : علامة الإعراب أي شكل آخر الكلمة ، فالحالة الإعرابية قد يكون لها أكثر من علامة .

رابعاً : سبب تقدير الحركة ، إذا كانت غير ظاهرة ، وسبب الإعراب الفرعي إن يوجد وسوف أقدم إعرابي للأمثلة على شكل ما يسمى بشجرة التحليل Tree Diagram التي يظهر عليها المثال المحلل متدرجاً تدرجاً تنازلياً حتى تنتهي الشجرة بأفرع للعناصر المفردة إذا ما اتجهنا منها إلى أعلى نتدرج تدرجاً تصاعدياً ، وهدفنا وراء اللجوء إلى هذه الطريقة تعليمي بحت ، وسوف أراعي في رسم شجرة التحليل ما يلي :

أولاً : تفريع الشجرة إلى فرعين : فرع للمسند ، إليه ، وآخر للمسند - كما يردان في المثال وفرع ثالث للمكمل ، وهو ماسوي المسند والمسند إليه فستوى التحليل في هذه المرحلة يرتكن إلى المعنى ومفهوم المثال .

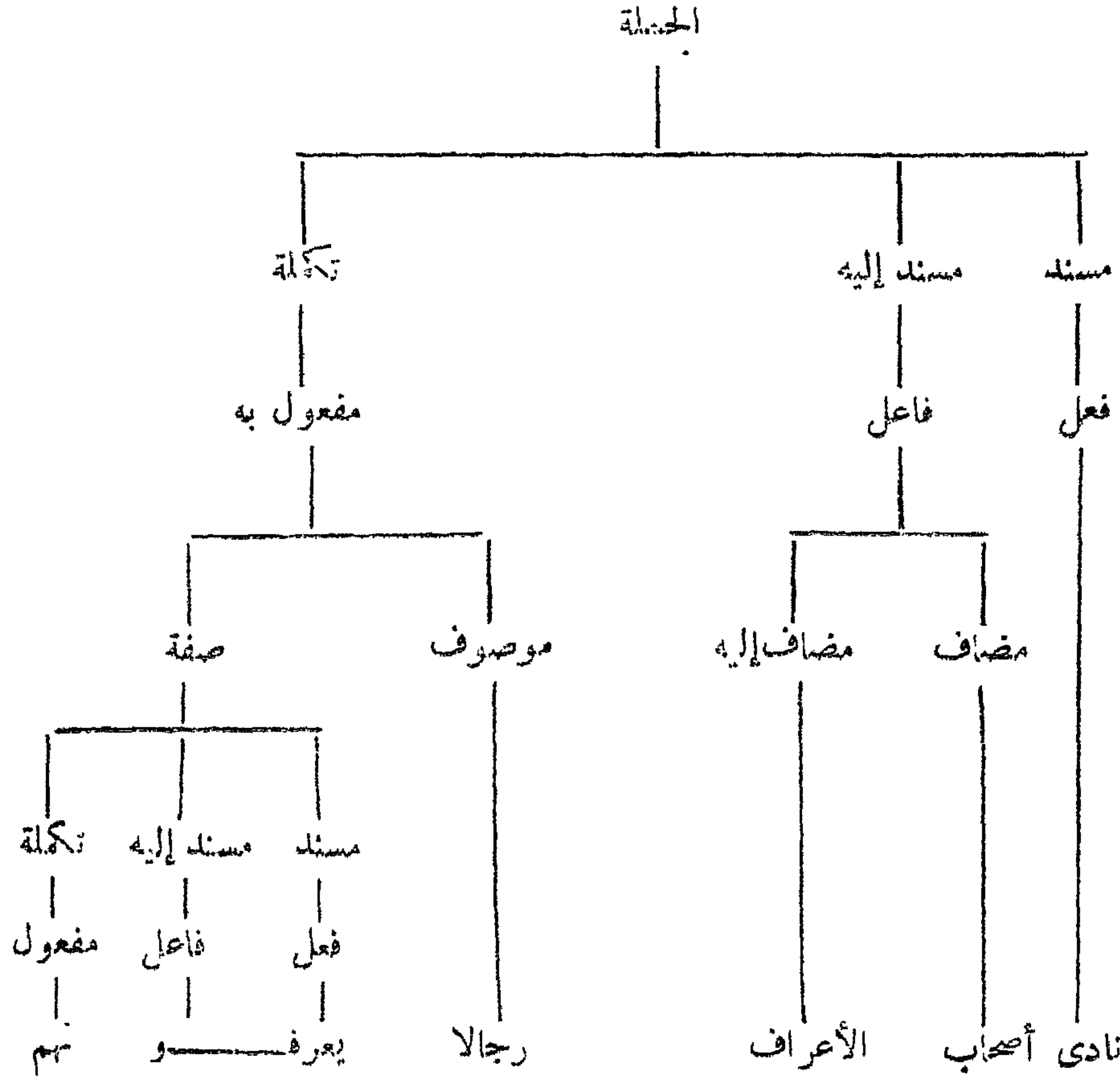
ثانياً : مد الأفرع السابقة لتصبح أفرعا للوظائف النحوية التي تقوم بها الكلمات فستوى التحليل في هذه المرحلة يستند إلى الوظيفة .

ثالثاً : قد يتوقف تفريع الشجرة عند المستوى السابق ، إذا كانت العناصر التي شغلت المواقع النحوية مفردة أو مركبة تركيبياً مزجياً ، لكننا سنستمر في تفريع الشجرة إذا كان في المثال عنصر غير ماسبق أي غير المفرد والمركب المزجي ، ومستوى التحليل في هذه المرحلة عماده التركيب أي تركيب العنصر من أكثر من كلمة .

رابعاً : رسم خطوط مستقيمة تبدأ من نهاية كل فرع في الشجرة وتنتهي جميعاً على خط مستقيم ، ونكتب تحت كل خط مستقيم العنصر أو الكلمة التي تمثله .

وهالك تحايلا لبعض الأمثلة :

قال تعالى : ونادى أصحاب الأعراف رجلا يعرفونهم .



تعليقات على الشجرة :

هذه الطريقة تعليمية ، وينصح بتقديمها إلى المتخصصين الذين تمكنهم معلوماتهم في النحو العربي من إكمال أوجه النقص التي تفتق بها هذه الطريقة ومن هذه الأوجه (١) :

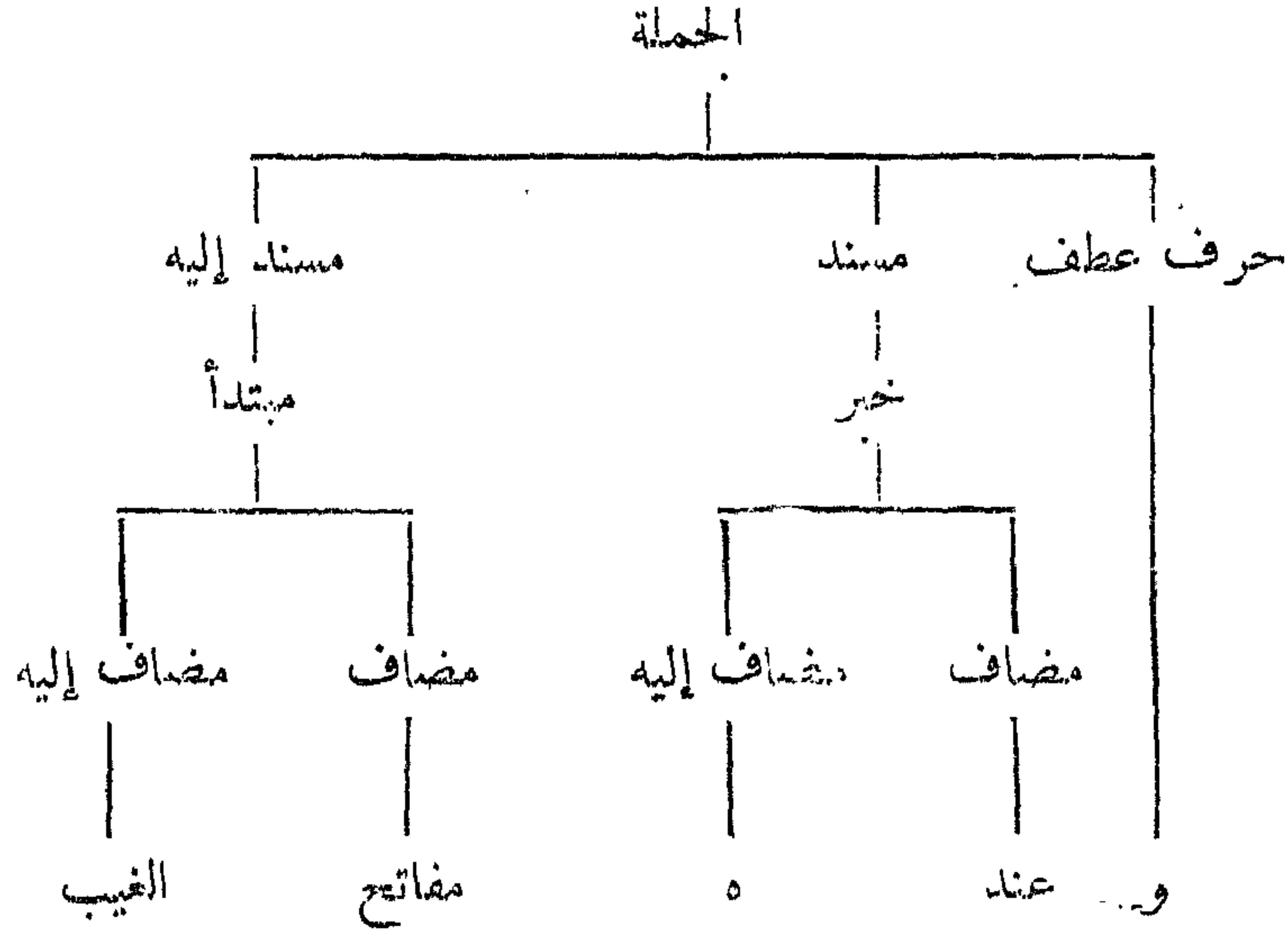
(أ) الإغفال عن ذكر الحالة الإعرابية

(ب) الإغفال عن ذكر العلامة الإعرابية : ظاهرة أو مقدرة ، بله سبب التقدير .

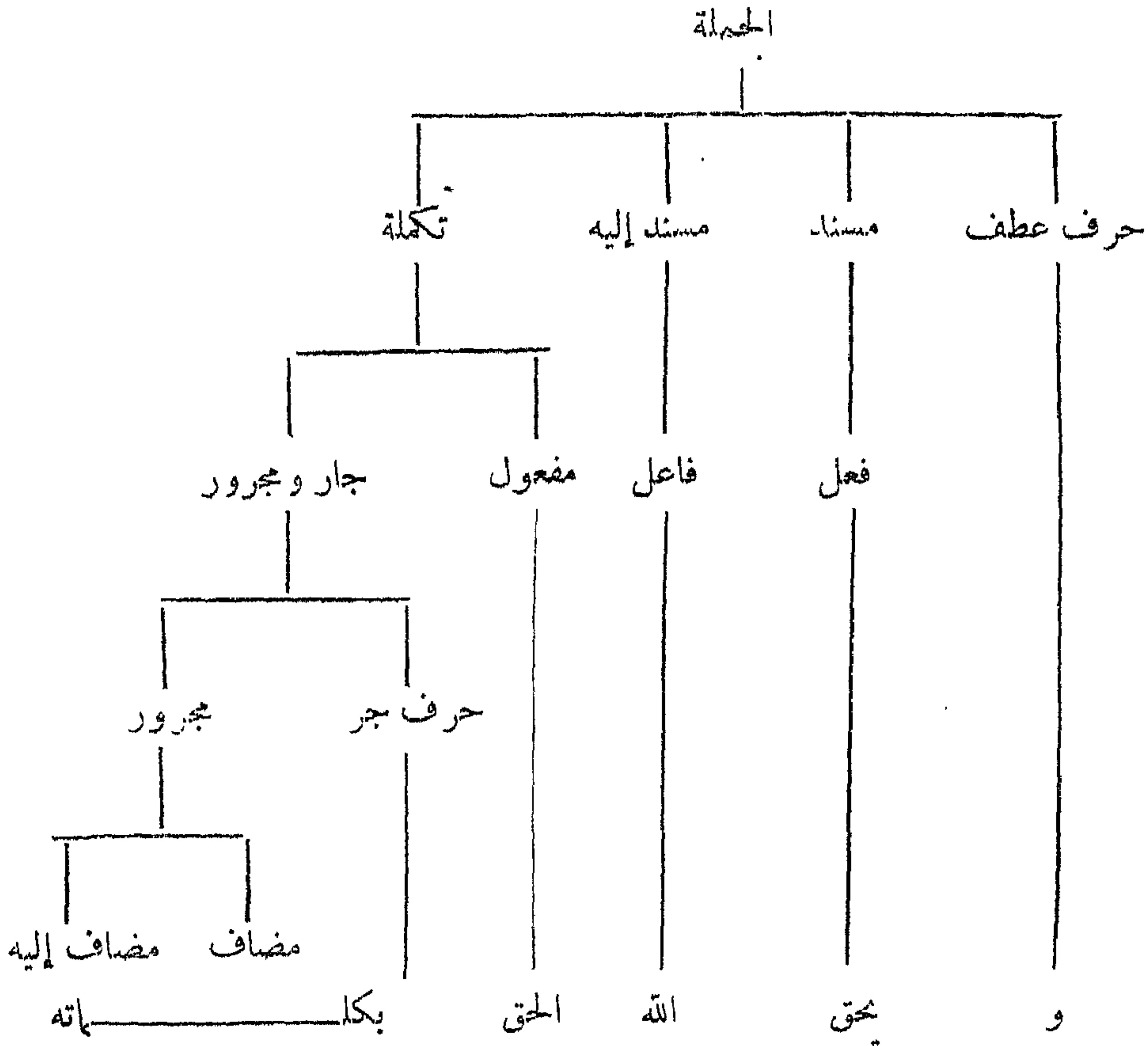
(ج) الإغفال عن تحديد الحمل التي لها محل من الإعراب . والتي ليس لها محل من الإعراب . فلم يظهر على الشجرة السابقة - مثلا - أن جملة « يعرفونهم » في محل نصب

(١) انظر نقدا تفصيليا لتحليل الحمل بطريق شجرة التحليل في « كم الجملة العربية » للمؤلف ، سلسة البحث اللغوي ، كلية دارالعلوم ، مارس ١٩٧٧ .

قال تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب » (١) :



قال تعالى : « ويحق الله الحق بكلماته » (٢) :



(٢) يونس : ٨٢ .

(١) الأنعام : ٥٩ .

الكم والكيف :

والمراد بـ«كيف» الجملة الطريفة التي توصف بها هذه العناصر . فهذا اعتبار يشار به إلى ترتيب الكلمات في الجملة : كما يقصده الكيفيات المختلفة التي تطرأ على التركيب من حيث كونه مثبتاً أو منفيّاً : تقريرياً أو مؤكداً دالاً على زمن ما من الأزمنة وقد يقصد بالكيف أيضاً ما قد يتحقق في التراكيب من مطابقة بين العناصر المفردة وكذا الحركة الإعرابية التي يستحقها العنصر الاسمي في الموقع النحوي المعين .

المقصود « بالكم » عدد العناصر التي يتكون منها التركيب . وهذا إطلاق قد يرادف « حجم » التركيب ، والعناصر التي تكون الجملة قد تكون ضرورية لتكوين ما أسميه التركيب الأساسي ، ثم قد تزداد هذه العناصر عناصر أخرى . أو تنقص بعض العناصر فتنتج الزيادة ما أسميه بالتركيب الممتد ، وينتج النقص ما أسميه التركيب المختزلاً .

وهاك جدولاً لبعض الحمل

رقم	الجملة	الكم	الكيف	عناصر الكيفية
١	حضر رجل	بسيطة تركيبها أساسي	فعلية مثبتة فاعلها مرفوع	ما
٢	ما حضر رجل	» » »	» منفية »	ما
٣	ما حضر من رجل	» » »	» مؤكدة فاعلها مجرور	ما من النكرة

أو العلامة الصفرية Zero - market فالإثبات في (١) دلالة عدم وجود علامة له . وأخيراً يلاحظ أن عناصر الكيفيات لا تسبب تضخماً في المواقع النحوية أو تغييراً في كمها . وقد يستثنى من ذلك الكلمات الدالة على الشرط ، فالكلام ينعدم معها ويصبح أكبر مما كان قبل دخولها (١) . وأحياناً يحدث تلازم بين «كم» الجملة ، وكيفية معينة ، ويتحقق هذا مثلاً في الحال والمفعول المطلق

يلاحظ في الجدول السابق أن هناك عناصر كلامية إيجابية عبرت عن السكيفية التي أريد للجملة أن تكون عليها : و «ما» في (٢) وظفت للنفي ، و «ما» و «من» وتنكير الأسم في (٣) وظفت في النفي والتأكيد والجر .

كما قد يدل على الكيفية المعينة عدم وجود عنصر كلامي أو ما يسمى بالعنصر الصفرى ،

(١) السيوطي ، جلال الدين ، الأشباه والنظائر ج ٢ - ٤٤ ، الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٧٥ .

المؤكدتين لعمامتهما في نحو قوله تعالى :
« فتبسم ضاحكاً » (١)
« وكلم الله موسى تكليماً » (٢)
وكم التركيب يزداد بوسيلة من الوسائل
التالية :

- ١- اندراج الكلمة عنصراً في مجموعة
كلامية متلازمة متشابكة تصير وزنها
بدلاً ، أو نعتاً مثلاً .
- ٢- كون الكلمة من الكلمات المهمة التي
تحتاج إلى كلام بعدها لتوضيح المراد منها .
- ٣- تعدد في المواقع النحوية للجملته ،
وغالباً ما يكون الفعل مركز الدائرة لهذه
المواقع .

فكم الجملة يزيد إما عن طريق تضخم
الموقع (٢٠١) أو عن طريق كثرة المواقع
(٢) والحديث عن « المركب الاسمي » هو حديث
عن زيادة كم التركيب عن طريق تضخم
الموقع أو الزيادة في عدد العناصر المفردة .

الوحدات النحوية :

أجمع النحويون العرب على أن أجزاء
الكلام هي : الاسم والفعل والحرف .
وهذا في الواقع تقسيم للكلام حسب
أنواعه . وقد فرق النحويون بين هذه
الأنواع الثلاثة تفريقاً بني على المعنى
حيناً ، واستند إلى « الشكل » حيناً آخر ،
ثم إلى « الوظيفة » في بعض الأحيان :

نوع الكلمة	الشكل	المعنى	الوظيفة
اسم فعل	من علاماته : الجرو والتثوين وأل من علاماته : تافعات ، يا افعل نون التوكيد .	له معنى في نفسه وليس الزمن جزء منه له معنى في نفسه والزمن جزء منه	يتبع مسنداً إليه ومسنداً يقع مسنداً فقط
حرف	لا علامة له	ليس له معنى في نفسه وله معنى في غيره	لا يقع مسنداً إليه ولا مسنداً .

هناك فرقاً بين المفرد والمركب (٣) فالمفرد
ما لا يدل جزؤه على جزء معناه ، والمركب
ما يدل جزؤه على جزء معناه (٤)

ومع هذا التقسيم نجد النحويين
يقسمون وحدات الكلام تقسيماً يأخذ في
اعتباره حجم العنصر وكميته وإمكانية
تقسيمه إلى عناصر أبسط ، فقد ذهبوا إلى أن

(٢) النساء - ١٦٤ .

(١) النمل - ١٩

(٣) محمد بن حسن الرضى ، شرح الكافية « ٢ حيدر اباد »

(٤) أمين السيد . في علم النحو - ١ - ٧ دار المعارف ، القاهرة ط ١ ، ١٩٧٢ ، أنظر أيضاً ، السيوطي ،

مع الهوامع ج ١ - ٣ ، مصر ١٣٢٧ هـ .

الإسمية فيعامل معاملة المفرد ، ويعرب على
الحكاية وذلك مثل :

جاد المولى

برق نجره

تأبط شرا

ولهذا معالجة خاصة .

وقد قسم اللغويون المحدثون وحدات الكلام
تقسيمًا يقرب من تقسيم النحويين القدماء
إياها إلى مفرد ومركب . فقالوا إن
الوحدات التي تدخل في نسيج الجملة هي :

١- الوحدة الصرفية :

وهي الوحدة التي لا يمكن أن تقسم
إلى وحدات أصغر منها كتاء الفاعل في نحو :
نجهت .

٢- الكلمة :

وهي أصغر صيغة حرة مثل :

كتاب .

٣- التعبير :

وهو ما يتألف من عدد من الكلمات
بينها ترابط سياقي يجعل منها وحدة متماسكة

يمكن أن تستبدل بها كلمة واحدة مثل :

كتاب الصديق .

ثم قسم النحويون المركب إلى :

١- المركب الإضافي مثل :

كتاب محمد

شجرة الورد

٢- المركب المزجي : وهو كل كلمتين
جعلتا كلمة واحدة ، ونزلت الكلمة الثانية
من الأولى منزلة تاء التانيث في ظهور
الإعراب عليها مثل :

بعلمك ، حضرموت ، سيبويه أحد
عشر ، بين بين .

٣- المركب الاسنادي : وهو كل كلمة
أو ما يجري مجراها ضمت إلى كلمة أخرى
أو لمسا يجري مجراها ، بحيث يفيد
يفيد التركيب أن مفهوم إحداهما ثابت
لمدلول الأخرى مثل :

قال تعالى : والآخرة خير وأبقى « (١)
قال تعالى « وحال بينهما الموج » (٢)
قال تعالى « وأن يستعففن خير لهن » (٣)
قال تعالى « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع
قلوبهم » (٤) ، أن وما بعدها في الآيتين
الأخيرتين تجرى مجرى الكلمة الواحدة ،
لأنها وما بعدها في تأويل مصدر « مبتدأ » ،
« فاعل » .

ومن المركب الإسنادي ما هو جملة
في أصل الاستعمال ، لكنه ينقل إلى

(٢) هود-٤٣

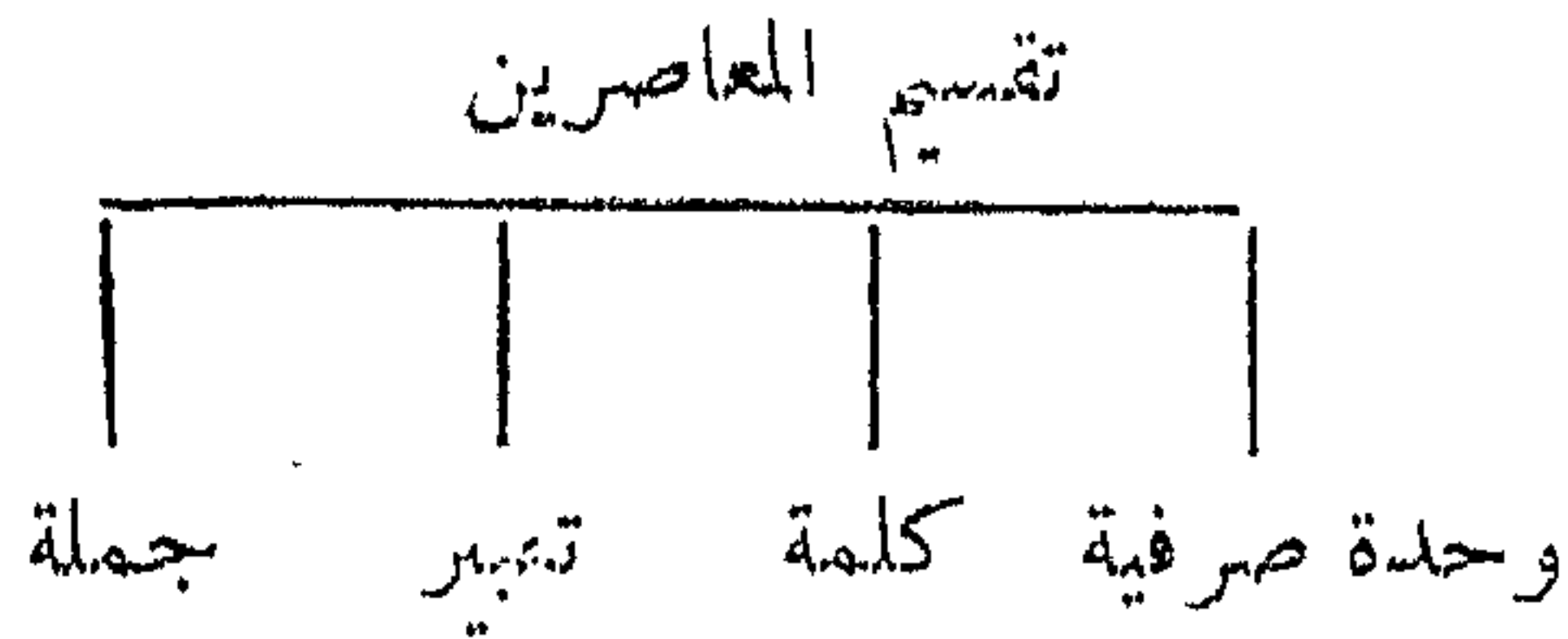
(٤) الحديد-١٦

(١) الأعل-١٧

(٣) النور-٦٠

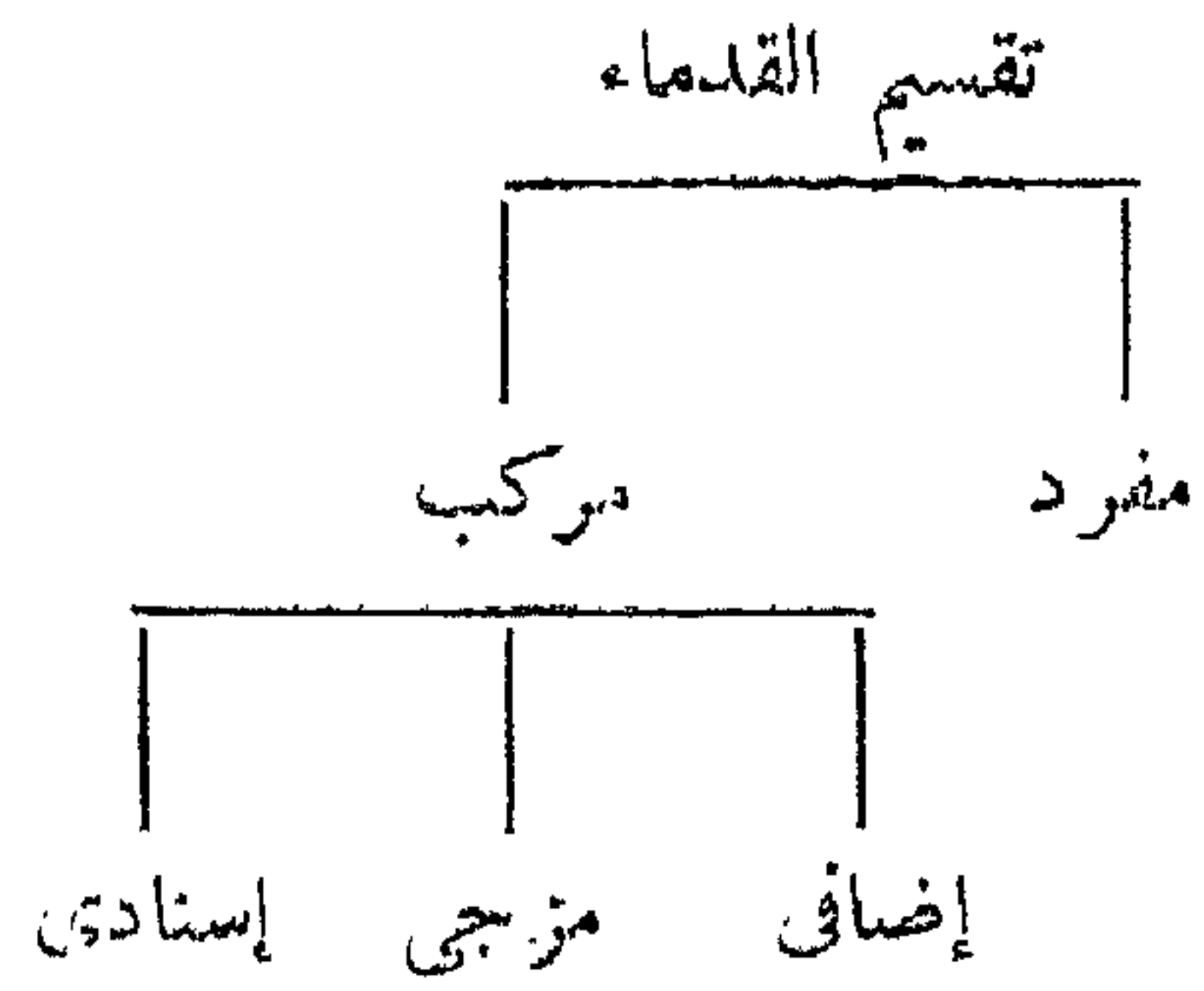
والوحدة الثالثة (التعبير) تقابل المركب الإضافي والمركب المزجي والمركب الإسنادي (المحكي) في التقسيم القديم ، أما الوحدة الرابعة (الجملة الصغرى) فهي ما أسماه الأقدمون بالمركب الإسنادي .

وهاك تخطيطا للتقسيمين :

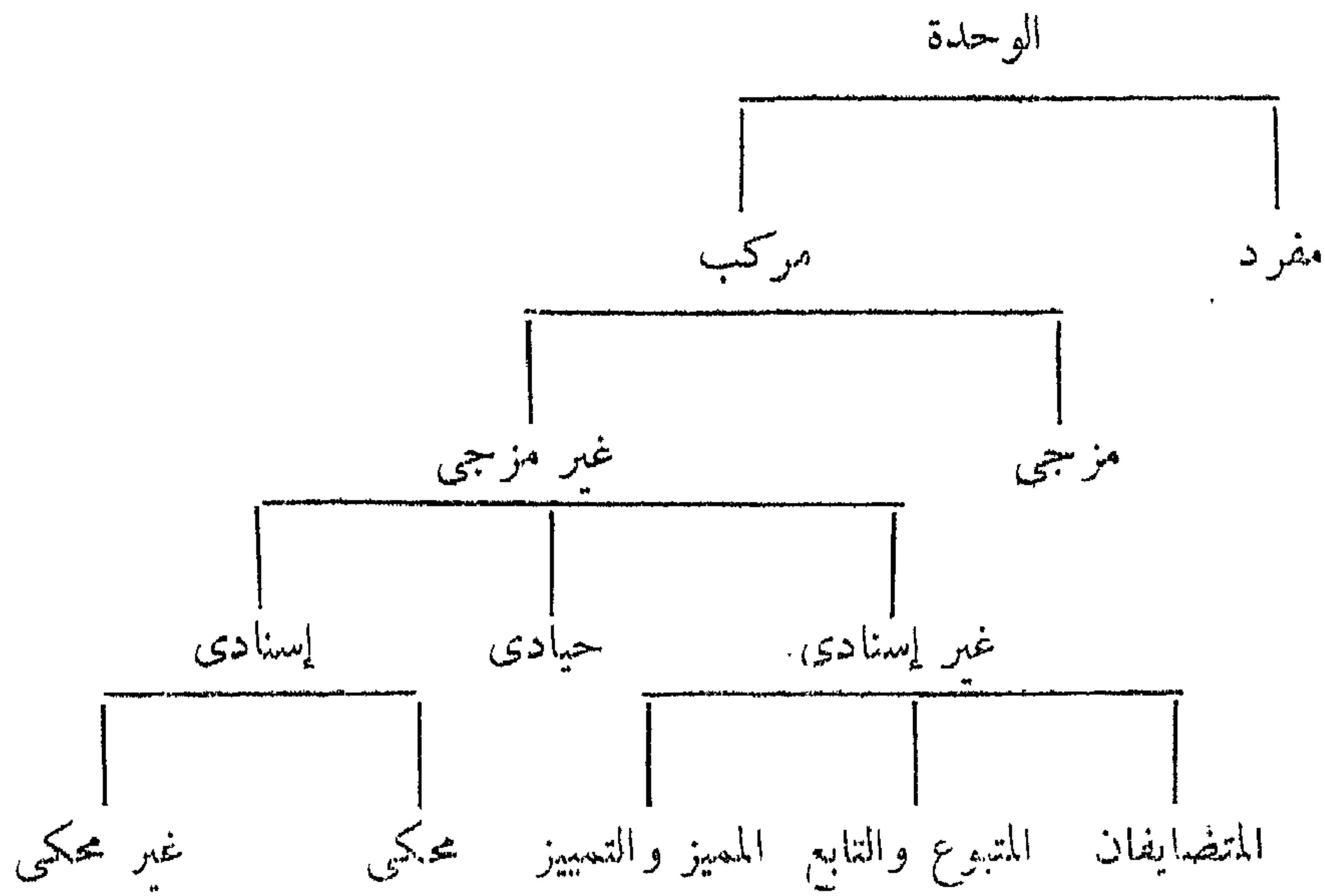


٤ - الجملة الصغرى :
وهي مجموعة من الكلمات تشكل في صورة مسند ومسند إليه أثناء جملة كبرى مثل :
محمد كتابه جديد .

ويمكن أن يعتبر (٢٠١) في تقسيم المعاصرين مقابلا لما أسماه القدماء بالمفرد



وأقدم الآن تقسما آخر للوحدات النحوية :



لتركيبه من أكثر من كلمة ، لكن عنصريه ازداد تداخلهما فاعتبرا معا كلمة واحدة ، ففارق بهذا المركب غير المزجي ، ومثله في هذا المركب الإسنادي المحكي .

فلسفة هذا التقسيم

يقوم هذا التقسيم على الاعتبارات التالية :
١ - المركب المزجي وسط بين المفرد والمركب غير المزجي ، وليس بمفرد

إسنادية ينعقد بها الكلام ، أى يفيد فائدة
يخصن السكوت عاينها .

العلاقة بين هذه الوحدات تركيباً ووظيفة :

معنى تركيب الجملة من الوحدات السابقة
أن اللمعة عبارة عن مركب تشكل الوحدات
الأكبر حجماً فيه من وحدات أبسط منها
أو أصغر . فالكلمة مكونة من أصوات
ووحدات صرفية والمركب مكون من كلمات ،
والجملة الصغرى من مركبات ، ففي الحديث
عن تركيب الوحدة نتدرج من الأعلى
إلى ما هو أسفل منه . لكننا لكي نتعرف
على وظيفة الوحدة النحوية نقوم بحركة
صاعدة ، إذ الوحدات توظف فيما هو
أعلى منها ، فالوحدة الصرفية توظف في الكلمة .
والكلمة في المركب ، والمركب في الجملة
الصغرى ، وهذه في الجملة الكبرى (١) .

الوظيفة	الوحدات	التركيب
↑	الجملة	↓
↑	المركب	↓
↑	الكلمة	↓
↑	الوحدة الصرفية	↓

٢- توسع في المركب غير المزجى غير
الإسنادى ليشمل أى مركب من اسمين
بينهما نسبة معينة بالإضافة . التبعية ،
التمييز .

٣- المراد بالمركب غير المزجى الحيادى
ذلك المكون من اسم من الأسماء التى
تعمل عمل الفعل ومعمول ذلك الاسم
فظاهر هذا المركب بالإضافة ، وحقيقته
وعمقه الإسناد . فهو - إذن - وسط بين
المركب غير الإسنادى والمركب الإسنادى
وأياً كان التقسيم المقدم للوحدات النحوية
فهى جميعاً تتفق على ما يلى :

أولاً : أبسط عناصر التركيب هو
المفرد سواء كان حراً مستقلاً . (كلمة)
أو غير مستقل كالوحدة الصرفية التفسيرية
والمركب المزجى والإسنادى المحكى .
يعاملان معاملة المفرد .

ثانياً : يلى ما سبق المركب غير المزجى
غير الإسنادى ، فهو وإن كان أكبر من
المفرد لا ينعقد به كلام تام .

ثالثاً : يأتى فى قمة الوحدات المركب
الإسنادى أو الجملة التى بين طرفيها علاقة

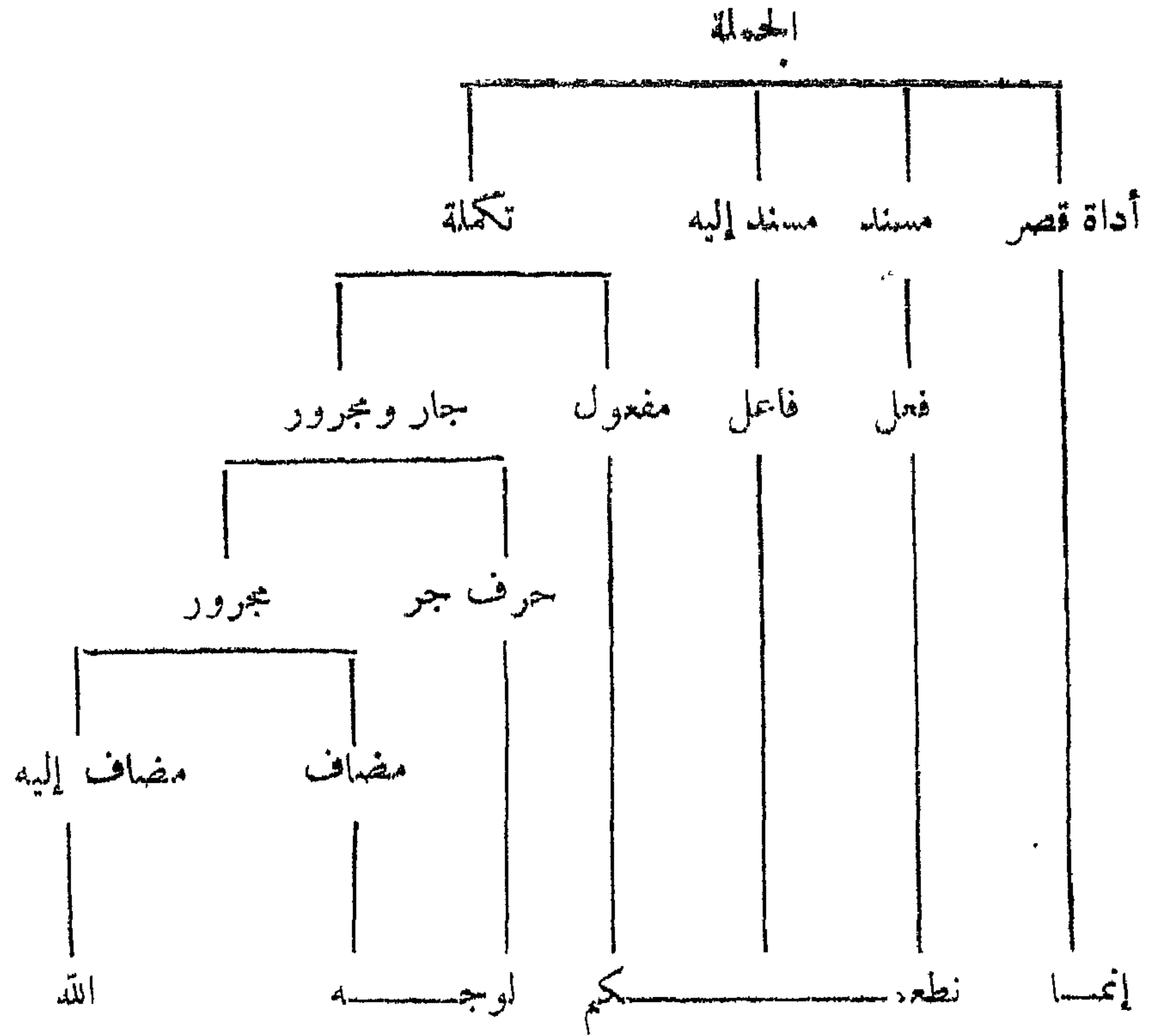
(١) وهذه الصفحات عن « المركب الاسمى » أى تلك الوحدة التى بين الكلمة والجملة .

مكانة المركب وأين يوظف :

قال تعالى : « فانطلقا حتى إذا أتيا أهل

قرية استطعما أهلها » (٢٢) .
 الجملة الأولى بسيطة أى ذات إسناد
 واحد ، والمركب الاسمى الموظف فيها
 هو المضاف والمضاف إليه « وجه الله »
 وهالك تحليلا لها :

يتضح من التقسيم السابق أن المركب
 يقع بين الكلمة والجملة الصغرى ، وهو
 يؤدي وظيفته إما داخل الجملة الصغرى
 في حال وجود الإسناد المركب - أو داخل
 الجملة قال تعالى : « إنما نطعمكم لوجه الله » (١) .



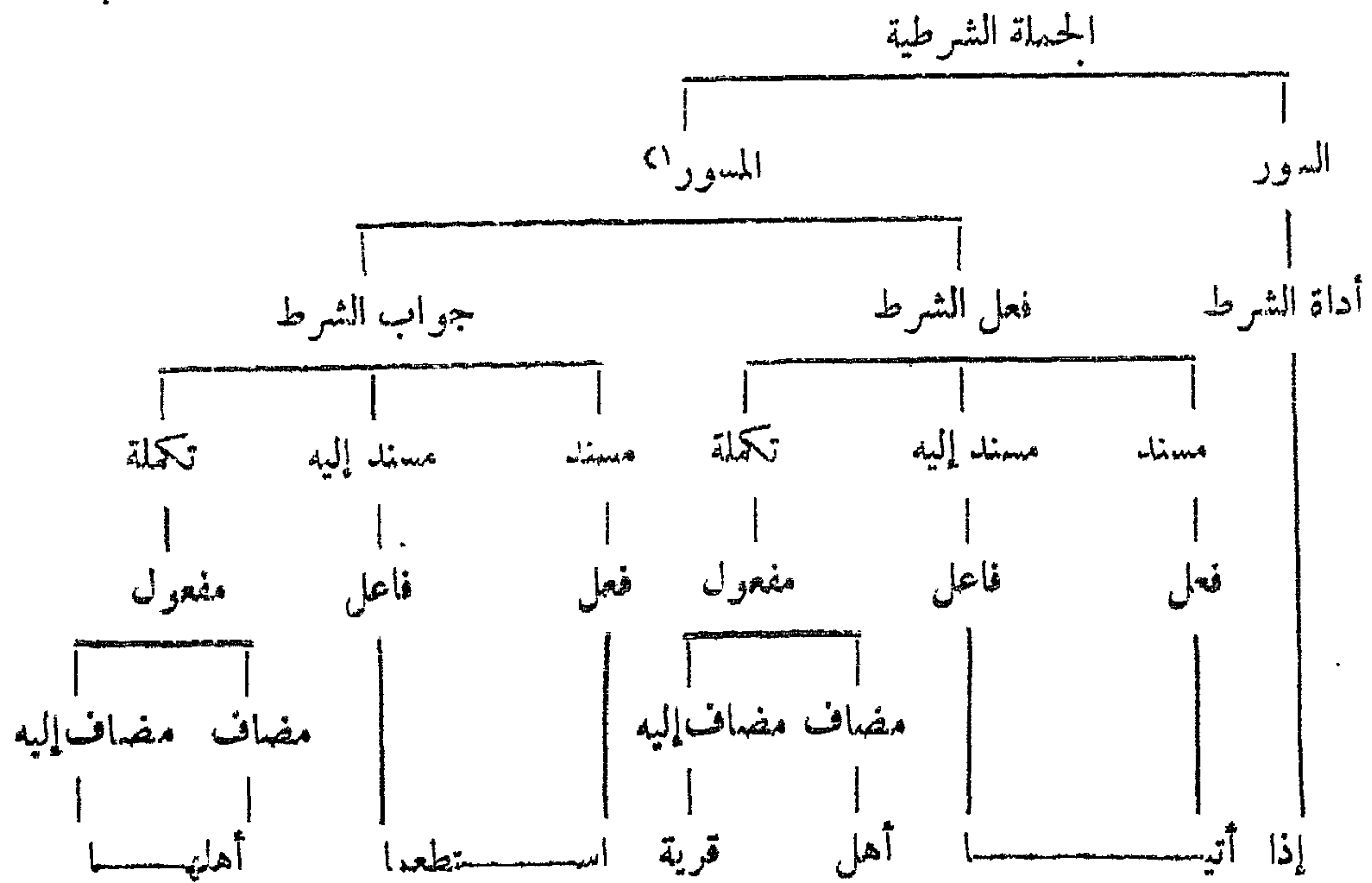
في إسناد آخر ، فهي جملة شرطية لها شرط
 وجواب ، والمركب الاسمى الموظف في

وجملة (إذا أتيا أهل . . .) في
 الآية الثانية مركبة ، إذ فيها إسناد مندمج

(٢) الكهف : ٧٧ .

(١) الإنسان : ٩

كلتا الجمالتين هو المضاف والمضاف إليه «أهل قرية» «وأهلها» وهالك تحليلا لهذا الجزء :



قال تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة

إلى ميسرة » (٢٢) .

وهالك تحليلا للجزء الأول من الجملة

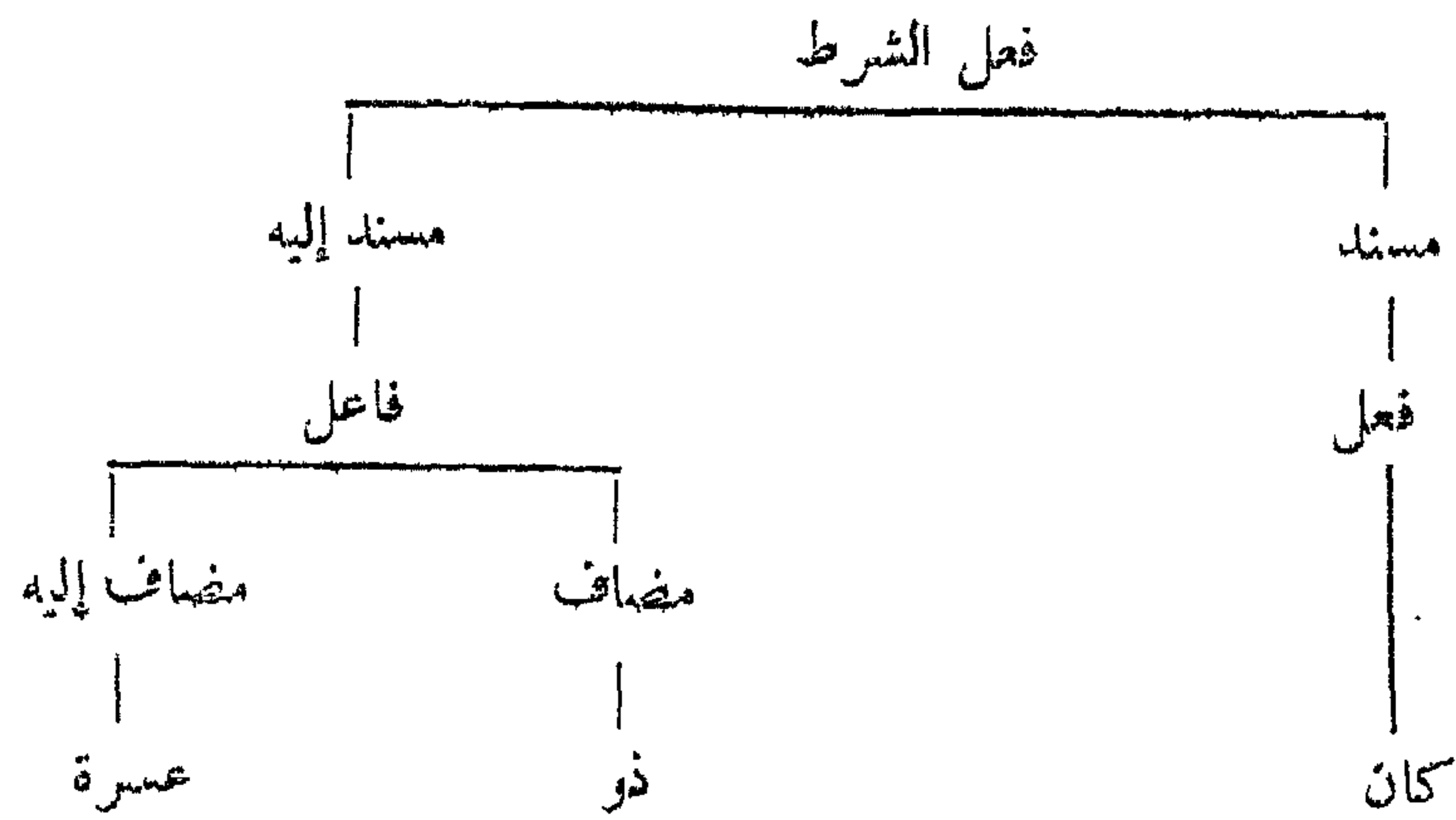
المركبة :

والمركب الإسمي في الآيتين السابقتين

وقع مجرورا بحرف الجر « لوجه الله » كما وقع مفعولا « أهل قرية » ، « أهلها » .

وهالك آية وقع فيها المركب الاسمي

فاعلا في جملة صغرى .



الوظيفة النحوية التي يؤديها من كونه ذاعلا، مفعولا به، مجرورا بالحرف أو بالإضافة مثلا .

فالمركب الإسمي - إذن - هو الوحدة النحوية التي ترد في مركز المفرد الاسم فيؤدي

(١) أداة الشرط من أدوات الصدارة لايتقدم ما بعدها عليها ولايعمل ما بعدها فيما قبلها فهي - إذن - بمثابة السور

(٢) البقرة : ٢٨٠ ، وكان في الآية الكريمة تامة بمعنى وجد .

وما بعدها « مسور » .

مركبات في قوة المفرد

نجيب محمد

والمفرد قد يكون عاريا عن أية إصاغات نحو : رجل ، بنت ، كما يكون متصلا بعلامات التعريف ، والعدد ، والنوع والحالة الإعرابية . وهذه العلامات غالبا ماتكون ملاصقة بأصل الاسم (١) . فهذه أربعة مناح تؤخذ في الحساب حين الحديث عن الاسم وهي على التتبع عشرة ، للتعريف اثنتان ، وللعدد ثلاثة ، وللنوع ثلاثة ، وللحالة الإعرابية ثلاثة .

وهناك توزيعا للعناصر التي تتألف منها كلمة « المؤمنتان » مثلا :

١ - المفرد

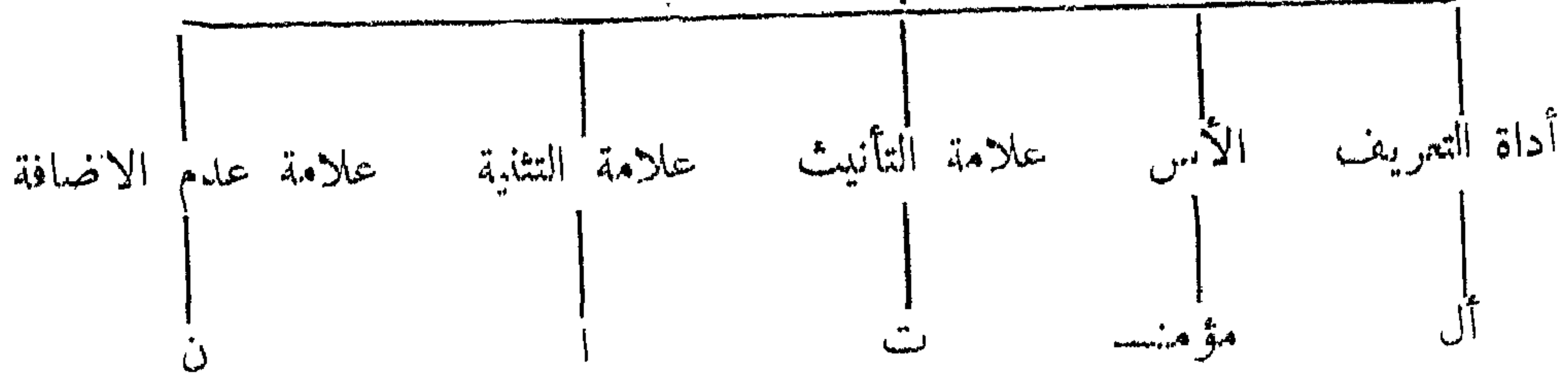
٢ - المركب المزجي

٣ - المركب الاسنادي

المفرد :

إذا كان حرا مستقلا فهو الكلمة نحو : رجل وكتاب ، وهذا ونحوه ما قال عنه النحويون إن جزءه لا يدرك على جزء معناه وإن لم يكن حرا مستقلا فهو الوحدة الصرفية الضميرية في نحو : نجحت . زرتم فالواحق الضميرية تعد أيضا مفردات على الرغم من أنها لا تكتب منفصلة ، إذ من الممكن إحلال كلمة حرة مستقلة محلها كأن يقال :

المؤمنتان



وَألف التثنية هي علامة للعدد أي لكون الاسم مثنى ، وعلامة للرفع ، ولذا نراها تصبح ياء مفتوح ما قبلها مكسور ما بعدها في حالتى النصب والجر ، ومثلها في ذلك

(١) يستثنى من هذا المعارف بذاتها ، والأسماء المؤنثة بذاتها .

(٢) في اللغة مفردات تكون للمذكر والتثنية ، والواحد والجمع تقول : هذا بشر هذه بشر ، هذان بشر ، هؤلاء بشر ، ومثله « الظاغوت » . أنظر الزبيدي . أبو بكر محمد بن الحسن الواضح في علم العربية ، ٢٤٦ القاهرة

الواو في جمع المذكر السالم في نحو « المؤمنون » ما بعدها في حالتى النصب والجر .
فهذه تصبح ياء مكسورة ما قبلها مفتوح

وكلمة : مؤمن عبارة عن :

التنوين + الأسم

أما : المؤمن فعبارة عن :

+ أداة التعريف الأسم - التنوين

وبعض المفردات تتغير صيغتها بتغير النوع والعدد كأسماء الإشارة والضمائر وأسماء الموصول المختص .
والإعراب والبناء قاسم مشترك بين المفردات والمبنى مالا يتغير آخره بتغير موقعه في الجملة ، والأسماء المبنية هي :
الضمائر بأنواعها ، أسماء الشرط ، أسماء الاستفهام ، اسماء الإشارة ما عدا المشى ، أسماء الموصول العام والمختص ما عدا المشى ، إذ ، وإذا وحيث من الظروف . وما سوى هذا من المفردات فعرب .

١ - المركب الزججى :

كلمتان تداخلنا أى تجاورتا تجاء رأى تديدا
واعترتا معا كلمة واحدة ، بحيث أننا
نصورها على شجرة التحليل بنوع واحد

وقد ارتأيت أن أثبت « التنوين » على الشجرة السابقة مسبقا بهذه العلامة (-) لأن زيادة أداة التعريف (+) فى بداية الاسم يصحبه الاستغناء عن التنوين من آخره .

وبعض الزيادات تنقل المفرد من الاسمية إلى الوصفية . ومن هنا ياء النسب التى تتحقق بآخر الأسماء كما فى نحو : مصر - مصرى التى معنى : المنسوب إلى مصر . والزيادات التى فى أسماء الإشارة من نحو ذلك ، ذلك - مثلا - فائدتها تحديد درجة المشار إليه .

وبعض المفردات جامدة تقال لكل فرد مفردا أو غيره ، مذكرا أو غيره . ومن هنا أسماء الموصول المشترك نحو :

من ، ما ، أى ، أل

وأسماء الاستفهام .

لا يتفرع . وينقسم المركب المزجي إلى قسمين :

١ - ألقاظ كان أصلها أن تستعمل مفردة معطوفا بعضها على بعض بخلاف العطف ثم استغنى العرب عن حرف العطف والتنوين وركبوا الأسمين معا وبنوهما على الفتح ومن هذا :

(أ) مركب من الأعداد وهو الأحد عشر والإحدى عشرة إلى التسعة عشر والتسع عشرة ، باستثناء اثني عشر واثني عشرة ، فان الجزء الأول منهما يعرب إعراب المثني : بالألف رفعا وبالياء جرا ونصبها (١) .

يقول « الزبيدي » : « إذا تجاوزت العشرة جمعت العديدين وحذفت راو العطف التي كانت بينهما وجعلتهما بمنزلة

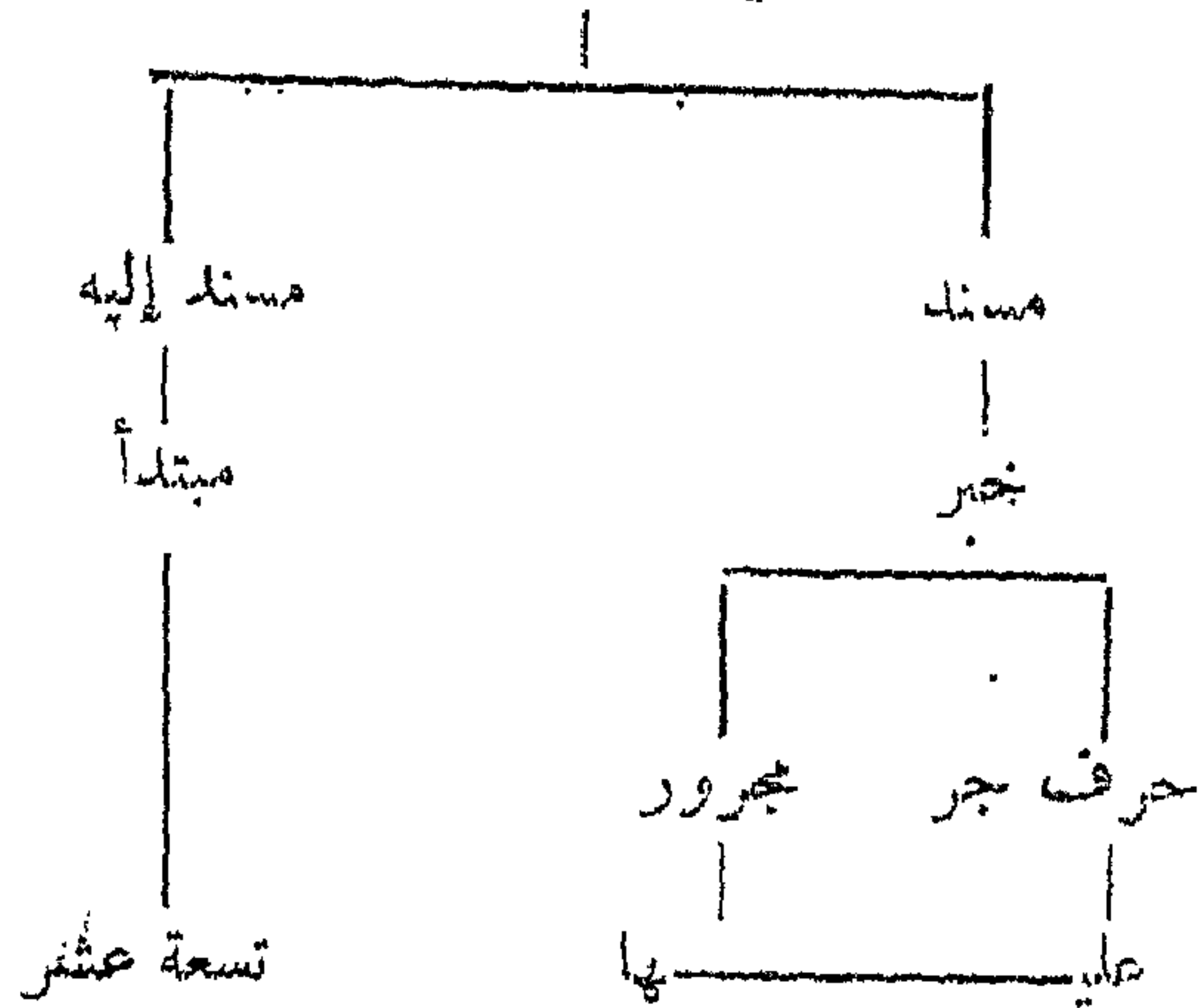
اسم واحد وبنيتهما على الفتح ، وما اثناعشر فان الرفع فيها بالألف التي هي ألف التشية والنصب والخفض بالياء ، وتبقى « عشر » مفتوحة (٢)

والتركيب هنا لفظي فقط لأن كلا عنصري المركب لا يزال ذا معنى يقول ابن يعيش : « والأول من الأسمين نزل من الثاني منزلة مصادر الكلمة من مجزها وكل واحد من الأسمين منفرد بشيء من المعنى ، وهما كالأسم الواحد الذي على مسدى واحد ليجرى مجرى الأعداد المفردة (٣) » .

وهالك تحليلا لبعض الأمثلة :

قال تعالى : « إني رأيت أحد عشر كوكبا » (٤) « عليها تسعة عشر » (٥)

عليها تسعة عشر



(١) الكتاب ج ٣ - ٣٠٧ ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٤ - ١١٢

(٢) الواضح في علم العربية ٨٨ ، ٨٩

(٣) شرح المفصل ج ٣ - ١١٢ انظر أيضا شرح شذور الذهب - ٧٢ ، قطر الندى وبل الصدى - ١٩ ، شرح

الكافية ج ٢ - ٨٤ - ٨٧ ، سيويه ، الكتاب ج ٣ - ٥٥٧ ، ٢٩٧ .

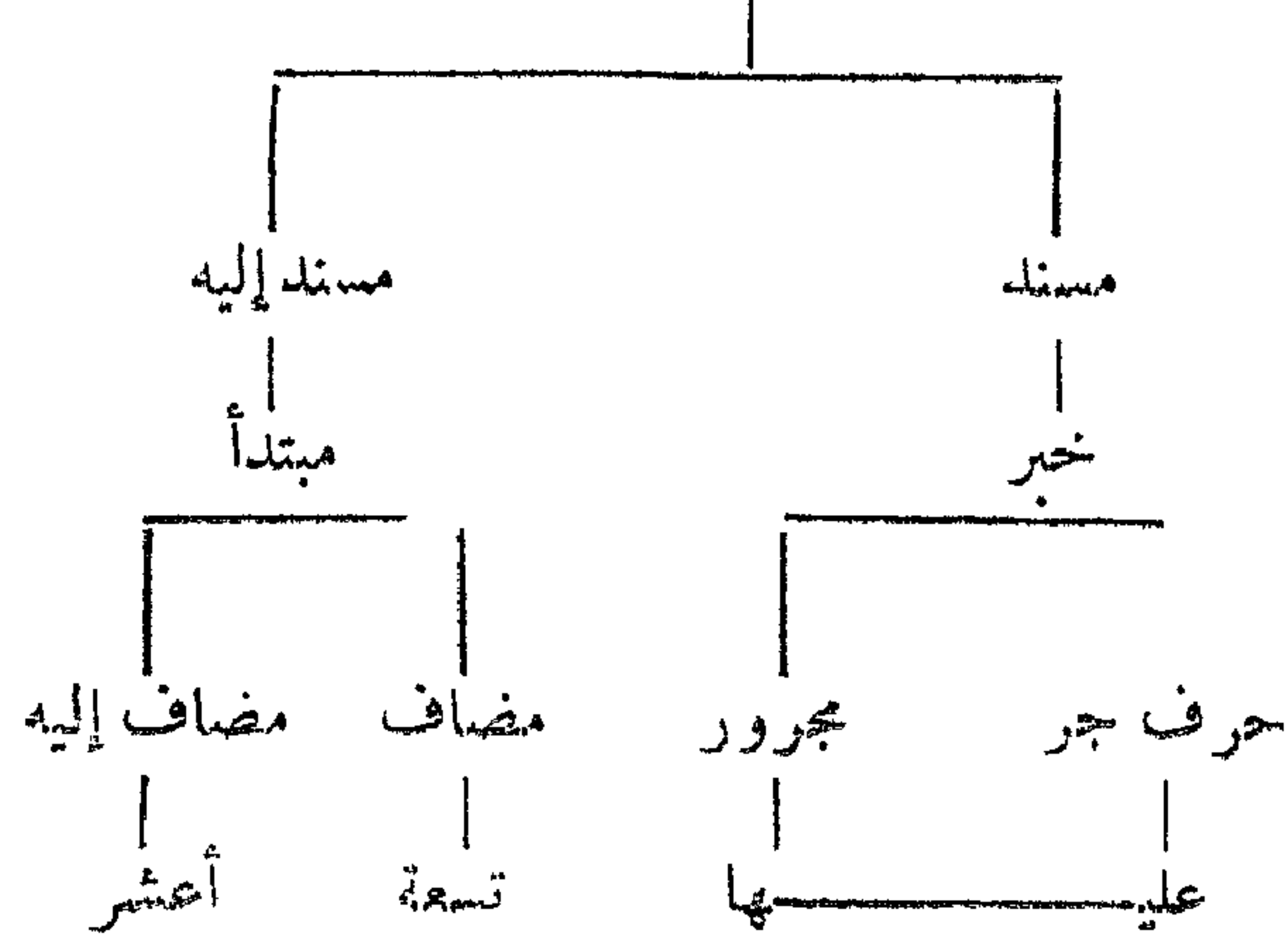
(٤) يوسف : ٤ (٥) المدثر : ٣٠

والمركب غير المزجي الذي سأحدث عنه
فيما بعد سأرسم شجرة لهذه الآية الكريمة
بناء على قراءة :

وواضح من الشجرة السابقة أننا لم نفرع
فرع المبتدأ إلى أفرع أخرى ، وما ذلك
إلا لأن الكلمتين «تسعة عشر» كلمة واحدة.

وكى أوضح الفرق بين المركب المزجي

« عليها تسعة عشر » (١)



(ب) مركب من الظروف زمانية كانت
أو مكانية ، وكانت هذه الظروف تستعمل
بطريقة أخرى قبل أن تركيب .

ففردا المركب المزجي لا يتصور انقسامهما
ما مفردا المركب غير المزجي فتتقسم
ولكل مفرد تسمية خاصة ، وهذه المسألة
سوف نتضح فيما بعد (٢).

استعمالها قبل التركيب والبناء	استعمالها مركبة مبنية على فتح الجزأين
محمد يأتينا صباحا ومساء (٣)	١ - محمد يأتينا صباح مساء
الصادق يأتينا يوما فيوما	٢ - الصادق يأتينا يوم يوم
اجلس بين هؤلاء وبين هؤلاء	٣ - اجلس بين بين

والمضاف إليه المكررين بطريق العطف (٤)
يقول ابن هشام : « أزيلت
الإضافة : واستغنى عن الواو . وركب

فهذه الظروف المركبة تركيبا مزجيا .
تستعمل أيضا في صورة المركب غير المزجي
(المعطوف عليه والمعطوف (٢، ١) والمضاف

(١) عشر جمع عشير ، كأيمن جمع يمين ، شرح شذور الذهب - ٨٧
(٢) يدل على قوة التركيب في خمسة عشر قول الرضى : « وإنما تركوا الجر في العدد المركب نحو إحدى عشر ؛ لأن
المضاف إليه مع المضاف كاسم واحد لفظا ، فلو أضيف العدد المركب إلى مميزه ، والمميز من حيث المعنى هو المجهم المحتاج إلى
التمييز لكان جعلاً لثلاثة أسماء كاسم واحد لفظا ومعنى » شرح الكافية ج ١ - ٢١٧ ، ٢١٨ .
(٣) شرح شذور الذهب - ٧٤ ، ٧٥

رمن لا يصرف الواثنين عنه
صباح مساء يبنسوه نجبالا
آت الرزق يوم يوم فأجمل
طلبا . وابغ للقيامة زادا
نحى حقيقتنا وبعض القوم
يقسط بينا بينا (٢)

الاسمان تركيب خمسة عشر، وهذان الظرفان
اللذان صارا ظرفا واحدا في موضع
نصب على الحال إذ المراد : وسطا (١) .
ومن شراهد هذه الظروف التي ركبت
تركيبا مزجيا فصارت كلمة واحدة، بعد أن
كانت مركبة تركيبا غير مزجى لكل
من مفرديه مكان في التركيب :

(ج) ماركب تركيب خمسة عشر من الأحوال ومن أمثلة هذا :

المثال	المعنى المراد
محمد جارى بيت بيت	محمد جارى ملاصقا
تساقط الأعداء أنحول أنحول	تساقط الأعداء متفرقين
لقيت محمدا كفة كفة	لقيت محمدا متكافين
لقيت عليا صحرة بحرة	لقيت عليا بارزا

الإضافة وتركته على بنائه ؛ لأن الألف
واللام والإضافة لا تخرجانه عن لفظه
وتركيبه ، فكان باقيا على بنائه :

حضر الخمسة عشر رجلا
خسة عشر

انصرف القوم شذر مندر - شجر بخر،
خذع مدع ، أيدي سبا . . . متفرقين
افعل هذا بادى بدا (٣) .

نصرف المركب تركيب خمسة عشر :
١ - إذا أردت تعريف المركب المزجى
العددى أدخلت عليه الألف واللام أو

(١) شرح شذور الذهب - ٧٥

(٢) شرح المفصل ج ٤ - ١٢٢ .

(٣) الكتاب ج ١ - ٢٢٧

ويرى الأخفش أنه يعرب إذا عرف
بالإضافة فتقول :

هذه الدراهم خمسة عشر (١)

٢ - المركب المزجي غير العددي (الظروف
والأحوال) يستعمل على النحو التالي :

١ - البناء على فتح الجزأين ، إذا كانت
ملازمة للظرفية أو الحالية .

٢ - يجوز إضافة الأول إلى الثاني .

٣ - وجوب إضافة الأول إلى الثاني

إن دخل عليه حرف جر . لأن حرف الجر
يخرج هذه الأسماء عن الظرفية وتجعلها
متماكنة في الاسمية (٢) .

المثال مع وجوب الإضافة	المثال مع جواز الإضافة	المثال بعد التركيب المزجي	المثال قبل التركيب المزجي
جاءوا في كل صباح مساء	جاءوا صباح مساء	جاءوا صباح مساء	جاءوا صباحا ومساء
هو جارى في كل بيت	هو جارى بيت بيت	هو جارى بيت بيت	هو جارى بيتا لبيت
يزورنا الصديق في كل يوم	يزورنا الصديق يوم يوم	يزورنا الصديق يوم يوم	يزورنا الصديق يوما فيوما

فالأصل في هذا والقياس الإضافة
وتقول أنت تأتينا في كل صباح مساء ليس
إلا (٣) .

٣ - تحدث تغييرات في الاسمين المركبين
تركيبا مزجيا بسبب شدة التداخل بينهما
من ذلك مثلا :

(أ) يقول العرب :

وقع القسوم في حيمص بيص

فعنصر المركب في المثال السابق مصدران ،
وعجز المركب من باص يـبـوص أى

جاء في الكتاب : وأما يوم يوم ،
وصباح مساء ، وبيت بيت ، وبين بين فإن
العرب تختلف في ذلك : يجعله بعضهم
بمنزلة اسم واحد ، وبعضهم يضيف الأول
إلى الآخر ولا يجعله اسما واحدا ، ولا
يجعلون شيئا من هذه الأسماء بمنزلة اسم
واحد إلا في حال الظرف أو الحال ،
كما لم يجعلوا يا ابن عم ، ويا ابن أم بمنزلة
شيء واحد إلا في النداء ... وقال الفرزدق .

ولولا يوم يوم ما أردنا ...

جزاءك والقروض لها جزاء

(١) شرح المفصل ج ٤ - ٤ - ١١٤ ، أنظر أيضا الكتاب ج ٣ - ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) شرح المفصل ج ٤ - ١١٨ .

(٣) الكتاب ج ٣ - ٣٠٣

لا + نكرة غير متونة = تركيب مزجي :

يقول « سيويه » عن لا :

ترك التنوين لما تعمل فيه لازم لا ،
لأنها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد (٤)
فسيويه يوازن - اذن - بين :

خسة عشر

و

لارجل

« فجعلت وما بعدها كخسة عشر في
اللفظ وهي عاملة فيما بعدها كما قالوا :
يا ابن أم

فهي مثلها في اللفظ وفي أن الأول عامل
في الآخر (٥)

ولأن لا جعلت وما عملت فيه بمنزلة
اسم واحد، فهما معا في موضع ابتداء (٦)
ثم إنك لا تفصل بين لا وبين المنى ...
لأنهم جعلوا لا وما بعدها بمنزلة خسة عشر
فقبیح أن يفصلوا بينهما عندهم كما لا يجوز
أن يفصلوا بين خسة وعشر بشيء من
الكلام ، لأنها مشبهة بها « (٧)

وهذا هو السبب في أن المعطوف على
اسم « لا » ينون . تقول : لا طالب ودرسا
في المدرسة .

تقدم وسبق ومصدره : بوص ، لكن
العرب قلبت الواو ياء لتتفق الكلمة مع
ماقبلها فيحدث بذلك المزج أو كما قال
ابن يعيش : ليزدوجا ولا يختلفا (١) .

(ب) التركيب يكسب الكلمة خاصية
لا تتحقق بدونها تقول العرب :

انصرف القوم أيادي سبا

فسبا علم وقد وقعت حالا ، والسبب
أنه زال بالتركيب معنى العلية وصارا
اسما واحدا (٢)

(ج) لا يتصور التركيب المزجي بين
ثلاث كلمات ، تقول العرب :

لقيته صحرة بحرة بمعنى لقيته بارزا

فالتراكيب المزجي هنا مقصور ومستعمل ،
أما قول العرب :

لقيته صحرة بحرة بحرة بمعنى لقيته بارزا
أول النهار

فلا يتصور فيها تركيب مزجي ؛ لأن
المزج لا يتم بين ثلاث كلمات ، ولذا تنطبق
هذه الأسماء الثلاثة بالنصب والتنوين (٣)

(١) شرح المفصل ج ٤ - ١١٤ ، ١١٥

(٢) شرح المفصل ج ٤ - ١٢٣

(٣) شرح المفصل ج ٤ - ١١٧

(٤) الكتاب ج ٢ - ٢٧٤

(٥) السابق - ٢٧٥ ، انظر أيضا الواضح - ٨٠ - ٨١ . (٦) الكتاب ج ٢ - ٢٧٥ ، ٢٧٦

(٧) السابق - ٢٧٦

لأن « لا » إنما تجعل وما تعمل فيه
اسما واحدا إذا كانت إلى جنب الاسم
فكما لا يجوز أن تفصل خمسة من عشر،
كذلك لم يستقم هذا لأنه مشبه به فإذا
فارقه جرى على الأصل (١)

على أنك إذا كررت « لا » لاتنون تقول
لا طالب ولا مدرس في الفصل :

« فتكون حال الآخر في تثنيها كحال
الأولى » (٢) .

ألخص حتى الآن المسلمات النحوية التي
أرساها سيبويه ووافقها عليها من بعده من
النحويين :

١ - لا + اسم معادلة لخمسة عشر :

٢ - لا يبنى اسم « لا » على الفتح إذا
فصل عنها « لافيها غول » (٣) .

٣ - المعطوف بدون « لا » على اسم
لا ينون ، لأنه بعد عن لا .

ومن المسائل التي يعالجها النحويون عند
حديثهم عن « لا » النافية للجنس في ضوء
المركب المزجي :

وصف اسم « لا » :

١ - لا طالب كسولا هنا

٢ - لا طالب كسول هنا

٣ - لا طالب كسولا مهملا هنا

- ٤ - لا طالب كسول مهملا هنا
- ٥ - لا طالب طالبا كسول هنا
- ٦ - لا طالب طالب كسولا هنا
- ٧ - لا طالب هنا كسولا
- ٨ - لا طالب علم كسولا هنا

إذا وصفت اسم لا ، فإن شئت نونت
صفة المنفى وهو أكثر في الكلام (٤) ، وإن
شئت لم تنون ، فأما الذين نونوا فإنهم جعلوا
(الاسم ولا) بمنزلة إسم واحد ، وجعلوا
صفة المنصوب في هذا الموضوع بمنزلة
في غير النفي ، وأما الذين لم ينونوا فإنهم
جعلوا المرصوف والوصف بمنزلة اسم
واحد .

يمكن إذن تصور كلام سيبويه السابق على
النحو التالي :

١ - لا طالب كسولا هنا = (لا طالب)
كسولا هنا

٢ - لا طالب كسول هنا = لا (طالب
كسول) هنا

وفي المثالين (٣ ، ٤) أنت في الوصف
الأول بالخيار ، ولا يكون الثاني إلا منونا ،
من قبل أنه لا تكون ثلاثة أشياء منفصلة
بمنزلة اسم واحد .

(٢) السابق - ٢٨٦

(١) السابق - ٢٨٤ - ٢٨٥

(٣) الصافات - ٤٧

(٤) الكتاب ج ٢ - ٢٩٠

ويقال في (٦،٥) ما قيل في (٤،٣) .

والوصف في (٧) يجب تنوينه من قبل أنه لا يجوز لك أن تجعل الاسم والصفة بمنزلة اسم واحد وقد فصلت بينهما، كما أنه لا يجوز لك أن تفصل بين عشر وخمسة في خمسة عشر (١)

أما (٨) فلا يكون الوصف فيه إلا منونا، مع غيره بمنزلة خمسة عشر، وإنما يذهب لأن اسم لا (الموصوف) المضاف لا يجعل التنوين منه كما يذهب منه في غير هذا الموضع فن ثم صار وصفه بمنزلته (٢) :

انتهى هنا الحديث عن النوع الأول من المركب المزجي : العددي ، والظروف والأحوال وما استتبعه من حديث عن لا النافية للجنس .

٢- النوع الثاني من المركب المزجي هو الأعلام المركبة ، وقد عنون له سيبويه بقوله « هذا باب الشئين اللذين إذا ضم أحدهما إلى الآخر جعلاً بمنزلة اسم واحد كعريضون وعنتريس » (٣)

ومن هذا : معد يكرب ، قالي قلا ، وبلال باد ، ورامهرمز ، وحضرموت وبعلبك ، وسبيويه ، وخارويه ، ونفطويه ، وعمرونيه (٤)

يقول «ابن يعيش» عن سر التركيب في هذه الأعلام :

«فهذا أصله الواو أيضا حذفت من اللفظ ولم ترد من جهة المعنى ، بل مزج الاسمان وصارا اسما واحدا بإزاء حقيقة، ولم ينفرد الاسم الثاني بشيء من معناه فكان كالمفرد غير المركب» (٥)

ثم يقول مفرقا بين النوعين السابقين للمركب المزجي : تركيب خمسة عشر وملحقاته .

والأعلام المركبة :

التركيب ههنا (٥) ليس كالتركيب في خمسة عشر، وذلك أن معد يكرب وحضرموت وشبهها من المركبات مشبهة بما فيه هاء التانيث من نحو طلحة وحمزة ، فأعرب كإعرابه لأن اتصال الاسم الثاني بالاسم الأول كاتصال هاء التانيث من جهة أنه زيادة فيه بها تمامه من غير أن يكون له معنى ينفرد به ، ولو كان للثاني معنى ينفرد به لكان خمسة عشر في البناء ألا ترى أن العشرة عدة معلومة ، كما أن الخمسة كذلك ، فلما اجتمعتا انتهى إلى مقدار آخر من العدد ليس لكل واحد منهما ، كما لو جمعتهما بحرف العطف فمعنى العطف

(١) الكتاب ج ٢ - ٢٩٠

(٢) الكتاب ج ٣ - ٢٩٦

(٣) الكتاب ج ٣ - ٢٩٦ ، شرح المفصل ج ٤ - ١١٢ .

(٤) شرح المفصل ج ٤ - ١٢٢

(٥) شرح (٢) أي في الأعلام المركبة

بعد التركيب مراد، والتركيب إنما كان من جهة اللفظ لا غير ، وليس كذلك معديكرب، لأن «كرب» لا ينفرد بمعنى من الحداة فصار كثناء طلحة وحمزة وهما من الأسماء المفردة مما في آخره تاء التأنيث (١) .

اعراب الاعلام المركبة :

١ - إن كان العلم مختوماً بـ « بويه » يبنى على الكسر دائماً بلا تنوين إن كان معرفة ، ويتنوين ان أريد تنكيره (٢)

هنا سيديويه وسيديويه آخر
عرفت سيديويه وسيديويه آخر
قرأت عن سيديويه وسيديويه آخر

٢ - أما الاعلام الأخرى غير المختومة بـ «بويه» ففيها ثلاث طرق :

(أ) لزوم الصدر للفتح وإعراب العجز حسب العوامل مع منعه من الصرف

هذه حضرموت
زرت حضرموت
سافرت إلى حضرموت

يقول « ابن يعيش » : «ركب الاسمان وجعلها اسماً واحداً ، وأعرّب الثاني ، إلا أنه منع من الصرف لاجتماع التعريف والتركيب

وهما علتان من موانع الصرف وبني ، الأول لأنه منزل منزلة الجزء من الكلمة فهو كصدر الكلمة من عجزها (٣) .

(ب) إعراب الصادر حسب العوامل وإضافته إلى العجز وفتحها دائماً على المنع من الصرف :

هذه حضرموت

زرت حضرموت

سافرت إلى حضرموت

٣ - كالإعراب الثاني مع الصرف العجز :

هذه حضرموت

زرت حضرموت

سافرت إلى حضرموت

يجمع « سيديويه » الطرق الثلاث باختصار فيقول :

١ وأما معد يكرب ففيه لغات : منهم من يقول معد يكرب فيضيف ومنهم من يقول معد يكرب فيضيف ولا يصرف ، يجعل كرب اسماً مؤنثاً ومنهم من يقول : معد يكرب فيجعله اسماً واحداً (٤)

متفرقات في المركب المزجي :

ثلاثة وثلاثين :

هذا المركب مكون من عنصرين : المعطوف عليه والمعطوف ، والتداخل

(١) التنوين عند إرادة التنكير وعنده عند إرادة التعريف يحدث أيضاً مع أسماء الفعل انظر الكتاب ج ٣ - ٣٠١ - ٣٠٢

(٢) شرح المفصل ج ٤ - ١٢٤ .

(٣) شرح المفصل ج ٤ - ١٢٤ .

(٤) الكتاب ج ٣ - ٢٩٦ - ٢٩٧

بين العنصرين قوى : وقد تحدث سيوييه عن هذا المركب في «باب يكون الاسمان فيه بمنزلة اسم واحد ممطول ، وآخر الاسمين مضدوم إلى الأول بالواو» وقد لفظ سيوييه أن هذا المركب يشبه من الناحية اللفظية قولك : يا زيد وعمرو ، لكن العلاقة بين العنصرين في كلا المركبين مختلفة ، ولذا فإن ثلاثة وثلاثين تشبه في الحقيقة ثلاثة عشر ، وأن ثلاثين تكلمة لثلاثة ، كما أن «رجلا» مكلمة لضاربا في قولك : يا ضاربا رجلا .

يقول : « ليس هذا بمنزلة قولك : يا زيد وعمرو ، لأنك حين قلت يا زيد وعمرو جمعت بين اسمين كل واحد منهما مفرد يتوهم على حياله ، وإذا قلت يا ثلاثة وثلاثين فلم تفرد الثلاثة من الثلاثين لتوهم على حيالها ، ولا الثلاثين من الثلاثة ، ألا ترى إنك تقول : يا زيد ويا عمرو ، ولا تقول يا ثلاثة ويا ثلاثون ، لأنك لم ترد أن تجعل كل واحد منهما على حياله ، فصار بمنزلة قولك ثلاثة عشر ؛ لأنك لم ترد أن تفصل ثلاثة من العشرة ليتوهموها على حيالها ، ولزمها النصب كما لزم يا ضاربا رجلا حين طال الكلام (١) .

وهالك الجدول التالي للدوازنة بين التراكيب الثلاثة التي قدمها سيوييه .

توجيه الأمثلة	مركب مزجي عددي	مركب عطفي مفرداه غير مستقلين	مركب عطفي مفرداه مستقلان
الأمثلة كلها صحيحة (١) صحيح ، أما (٢، ٣) فخطأ	يا ثلاثة عشر يا ثلاثة ويا عشر	يا ثلاثة وثلاثين يا ثلاثة ويا ثلاثون	يا زيد وعمرو يا زيد ويا عمرو
(١) صحيح أما (٢، ٣) فخطأ النقصان في الجملة	حضر ثلاثة عشر	حضر ثلاثة وثلاثون	حضر زيد وعمرو
(٢، ٣) صحيحان لكامل الجملة بالتمييز	حضر ثلاثة عشر طالبا	حضر ثلاثة وثلاثون طالبا	

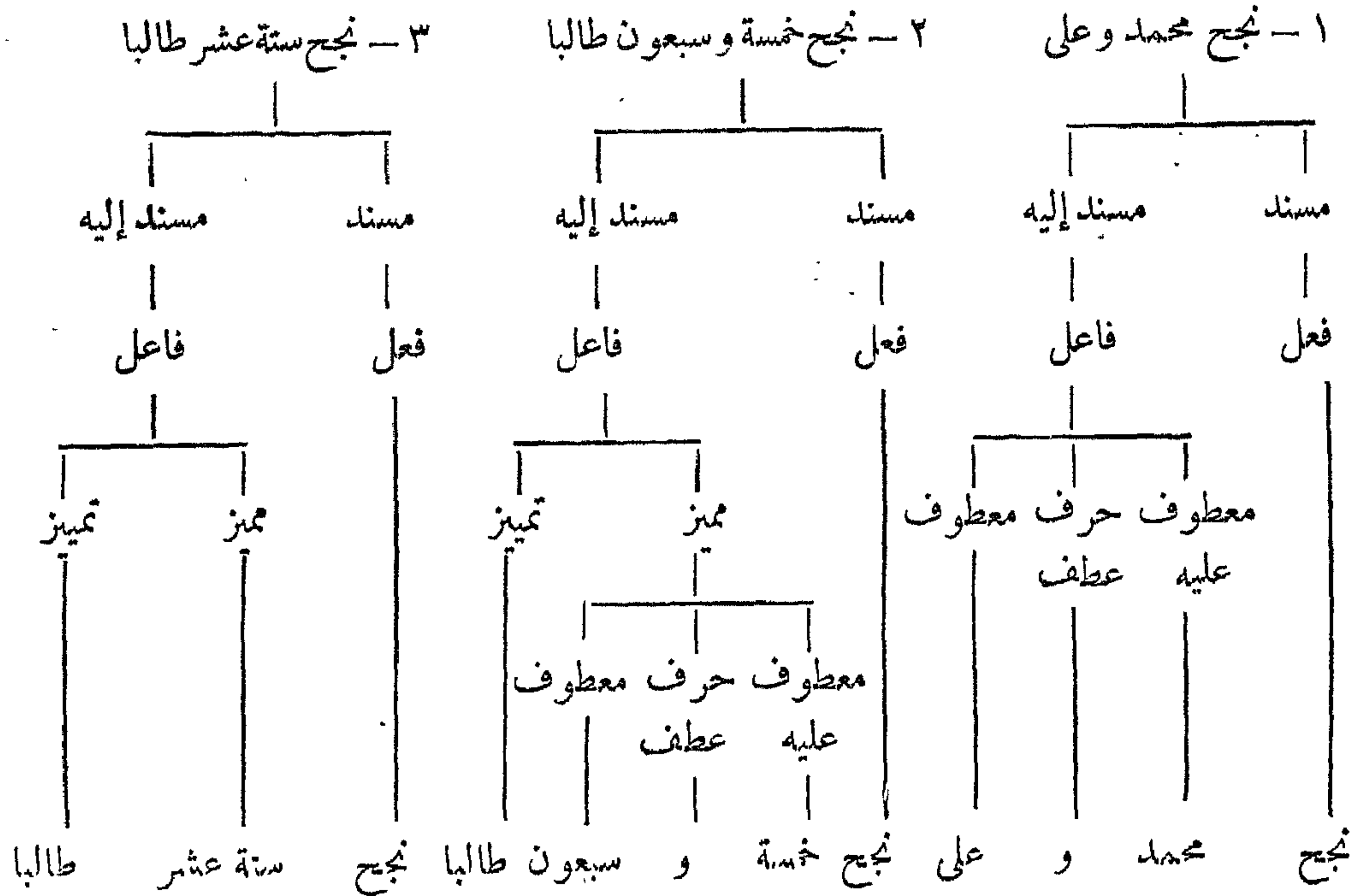
ما يجوز في أحدهما يجوز في الآخر والعكس صحيح ، كما أن كليهما مميزا باسم مفرد منصوب :

من الواضح - إذن - أن المركب العددي العطفي أقرب إلى المركب المزجي منه إلى المركب العطفي رغم مشابهته للأخير في الوصف . و دليل قرابة (٢) من (٣) أن

هذا يخالف المركب العطفى العددي قرينه المزجى الذى لا يفرع على شجرة التحليل كما سبق أن أشرت .

وهناك تحليلا لثلاثة أمثلة من الأنواع الثلاثة السابقة للمركب :

بقى أنه عند تحليل مثال للمركب العطفى العددي سوف يفرع المركب إلى ثلاثة أفرع : فرع للمعطوف عليه ، وفرع للمعطوف ، وبينهما فرع ثالث لحرف العطف . وفى



اعراب « حيندا » :

يبدو أن «سيبويه» كان يذهب موافقا فى هذا رأى التحليل إلى أن « حيندا » بعد التركيب حرف ، فهو يقول : «ولكن ذا وحب بمنزلة كلمة واحدة نحو لولا وهو اسم مرفوع ألا ترى أنك تقول للدؤنث حيندا ، ولا تقول حينده ، لأنه كالمثل»^(٤)

حيندا :

هذه الكلمة مركبة من :

(أ) «حب» بالضم أى صار حبيبا ، ثم أدغم فصار حب^(١) .

(ب) ذا : اسم المشار إليه^(٢)

يقول «سيبويه» ولكن ذا وحب بمنزلة كلمة واحدة ويقول «الزبيدي» ؛ ثم كثر استعمالها حتى صار حب وذا كلمة واحدة^(٣)

(٢) الكتاب ج ٢ - ١٨٠

(٤) الكتاب ج ٢ - ١٨٠

(١) السيوطى ، همع الطوامع ج ٢ - ٨٨

(٣) الواضح فى علم العربية - ٨٦ .

أما «الزبيدي» فيذهب إلى أن «حبذا» فعل ، إذ يقول ، صارت «ذا» كالباء من «ضرب» فارتفع ما بعدها من الأسماء بها تقول : حبذا عبد الله . فعبد الله رفع بحبذا وكذلك : حبذا الرجلان ، وحبذا المرأة (١) .

ويقول «السيوطي» : «الأصح أن ذا فاعله ، فلا تتبع وتلزم الافراد والتذكير وإن كان المخصوص بخلاف ذلك كقوله :

ياحبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبذا نفحات من بمانية
تأتيك من قبل الريان أحيانا

وقوله :

حبذا أنما خليلي إن لم
تعذلاني في دمعي المهراق (٢)
يستمر «السيوطي» في سرد الآراء فيقول
«وقال دريود «ذا» زائدة ، وليست اسما

مشارا به بدليل حذفها . . . ، وقيل الكل اسم واحد مركب مبتدأ وخبره المخصوص بعده عند المبرد ، وذهب الفارسي إلى أن «حبذا» خبر مقدم ، والمخصوص بعده مبتدأ مؤخر (٣) وعلى أن «ذا» فاعل يعرب المخصوص بعده مبتدأ ، والجملة قبله خبر مقدم ، أو مبتدأ خبره محذوف أو خبر مبتدؤه محذوف ، أو بدل أو عطف بيان (٤) .

هذه هي الإعرابات التي قدمها النحويون وصاستبعد إعراب سيديويه لعدم وضوح المراد منه ، فهل هو يساوي بين «حبذا» و«لولا» في الحرفية ، وفي رفع الاسم بعدهما ؟ نعم المراد واضح . لكننا تعلم أن المرفوع بعد لولا مبتدأ فهل هو كذلك بعد حبذا؟ كما نعلم أن خبر المبتدأ بعد لولا يحذف وجوبا - كما قال النحويون - فهل كذلك خبر المبتدأ بعد حبذا ؟

(١) الواضح - ٨٦

(٢) مع الهوامع ج ٢ - ٨٨

(٣) السابق ، نفس الصفحة

(٤) السابق ، نفس الصفحة .

وهاك جدولاً للاعرابات السابقة مع توجيهها:

المتال	رقم الاعراب	الاعراب	توجيه الاعراب
جنداً محمد	١	فعل + فاعل	جنداً كلها فعل مركب والجملة - إذن - فعلية بسيطة
	٢	فعل + فاعل + بدل	جنداً كلمة واحدة لفظاً لكنها منقسمة تقديراً والجملة فعلية بسيطة التركيب
	٣	فعل + حرف زائد + فعل	جنداً فعل بسيط والجملة فعلية بسيطة والفاعل مركب
	٤ - أ	مبتدأ + خبر	جنداً اسم مركب ، والجملة اسمية بسيطة ، وهذا الإعراب عكس الإعراب رقم (١)
	ب	خبر + مبتدأ	
	٥	فعل + فاعل + مبتدأ	يشبه (٢) فحنداً يبدو عليها للتركيب لكنها منقسمة والجملة اسمية خبرها جملة فعلية
٦ - أ	فعل + فاعل + مبتدأ +	جنداً ليست كلمة مركبة بل هي جملة والمثال عبارة عن جملتين ثانيتهما اسمية مكتفية بأحدها	
ب	فعل + فاعل + خبر + ..		

تعليق عام :

لا تعتبر « جنداً » مركبة إلا على (١) و (٤) فهي في (١) فعل مركب ، وفي (٤) اسم مركب وتعتبر فعلاً بسيطاً (٣) ، وتعتبر جملة في (٢، ٥، ٦) .

والزبيدي يفضل الرأي القائل بتركيب (جنداً) وتغليب الفعلية عليها إعراب (١) أما المبرد فيرى أنها مركبة ويغلب جانب الاسمية فهو يقول في المقتضب : « جنداً . الأصل حب وذا ثم جعلت اسماً واحداً مبتدأ (١) ...

حيهل :

جاء في الكتاب : « وأما حيهل التي للأمر فمن شيشين ، يدل ذلك على ذلك : حتى على الصلاة

وزعم أبو الخطاب : أنه سمع من يقول حتى هل الصلاة ، والدليل على أنهما جعلاً اسماً واحداً قول الشاعر :

وهيج الحى من دار فظل لهم يوم كثير تناديه وحيهله

والقوافي مرفوعة ، وأنشدناه هكذا أعرابي من أفصح الناس (٢) .

وسيبويه يعتبرها مركبة تركيب حضر موت ويثبت أن من العرب من يقول : حيهلا ومنهم من يقول : حيهل إذا وقف أثبت الألف . ومنهم من لا يثبت الألف في

(١) المقتضب ج ٢ - ١٤٥

(٢) الكتاب ج ٣ - ٣٠٠

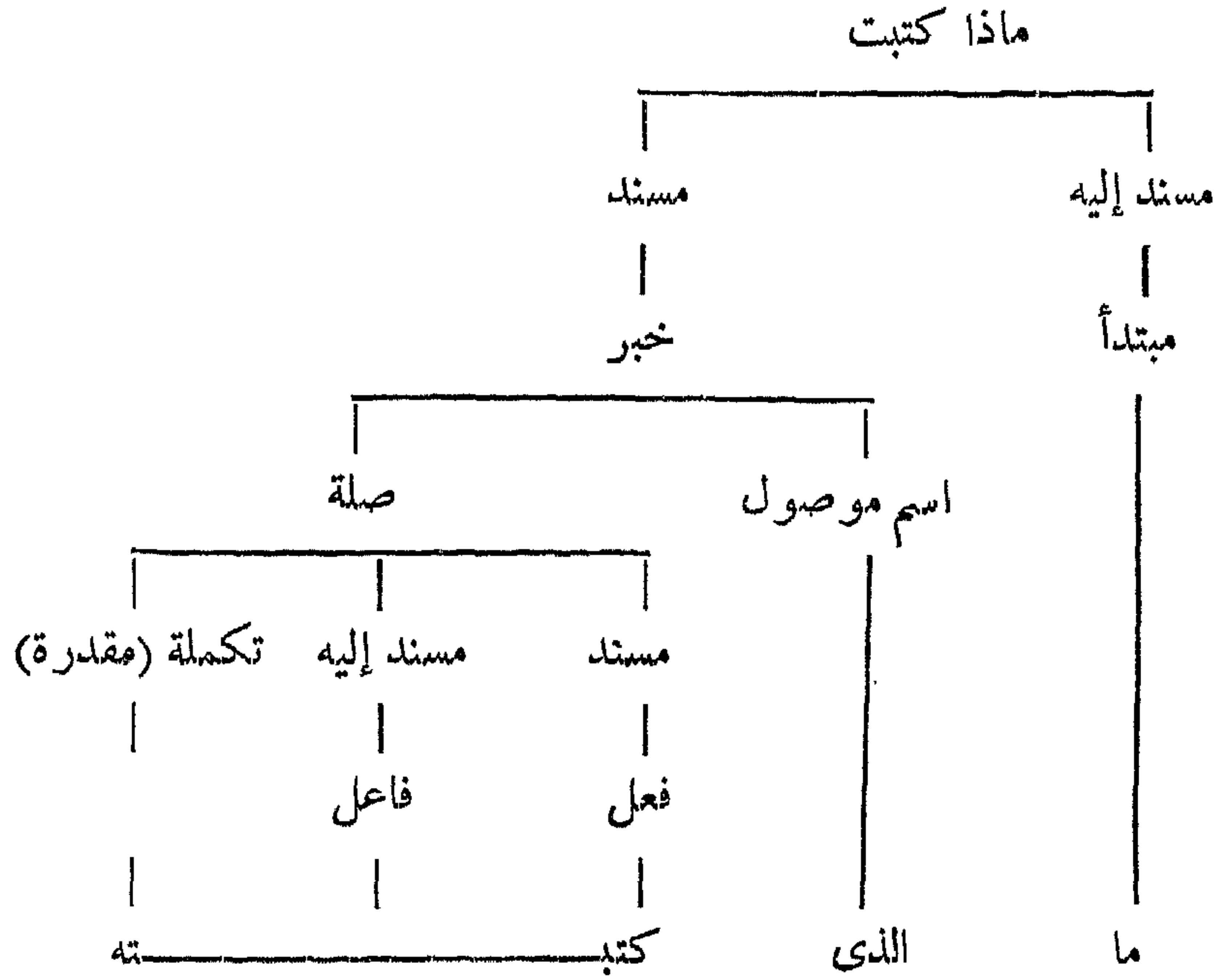
الوقف والوصل^(١) وفيها لغة أخرى هي « حيل » خفيفة^(٢) .

بجهد يزجون كل مطية
أمام المطايا سيرها المتقاذف^(٣)

ماذا : ذا بعدما قد تعتبر :

(أ) اسم موصول بمعنى الذي ، فتكون مساوية (مالذي .. ؟) فإذا إذن عبارة عن عنصرين : ما الاستفهامية الواقعة مبتدأ وذا الموصولة الواقعة خبراً ، وعلى هذا فاعراب مثل : ماذا كتبت هو على النحو التالي :

وحيل بمعنى أقبل أو إيت ، فهي مركبة تركيب حضرموت ، فهي اسم فعل مركب باجماع النحويين . وقد يدخل عليه حرف جر فيترك على لفظه محكياً . من شواهد الكتاب :



بمنزلة الذي فهو قولك : ماذا رأيت ؟
فيقول : « متاع محسن » .

ولما كان السؤال عن مرفوع فاجابته بالرفع ، لأن الجواب بدل من السؤال^(٤)
(٥) جاء في الكتاب « أما إجراؤهم ذا

(٢) الواضح - ١١٣

(٤) شرح المفصل ج ٣ - ١٤٩ .

(١) السابق - ٣٠١

(٣) الكتاب ج ٣ - ٣٠١

وقال الشاعر ، لبيد بن ربيعة :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول
أنحب فيقضى أم ضلال وباطل (١)
فكلمة « نحب » مرفوعة رد على « ما »
التي هي في موضع رفع بالابتداء .

(ب) مركبة مع ما ، فتكون « ماذا »
كلها كلمة واحدة مركبة من كلمتين يقول
السيوطي : أما إذا ركبت مامع ذا يصارا
اسما واحدا فله معنيان : أحدهما وهو
الأشهر أن يكون المجموع اسم استفهام
كقوله :

ياخرز تغلب ماذا بال نسوتكم
لايستفغن إلى الديرين تخنانا
فهذا لا يصح فيه الموصولية . . .
والثاني أن يكون المجموع اسما واحدا موصولا
كقوله وهو من شواهد الكتاب :

دعى ماذا علمت سأثقيه
ولكن بالمغيب نبئني
أى دعى الذى علمت ، قال أبو حيان
واستعمالها على هذا الوجه قليل ، وقيل خاص

بالشعر (٢) وماذا المركبة الدالة على الاستفهام
تكون إيجابتها بالنص ، فالجواب بالرفع عن
« ماذا » « دليل » كون ذا موصولة ، وماذا
ليست مركبة ، والجواب بالنصب دليل
كون « ماذا » مركبة :

قال تعالى : « ويسألونك ماذا ينفقون
قل العفو » (٣) قرىء برفع « العفو » ونصبه
قال تعالى : « ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا » (٤)
خيرا بالنصب ، وقرأ « زيد بن على
« خير » بالرفع :

قال تعالى : « ماذا أنزل ربكم قالوا
أساطير الأولين » (٥) قرأ الجدهور برفع
« أساطير » وقرىء شاذ « أساطير بالنصب » (٦) .

وهاك تحليلا لقوله تعالى : « ماذا ينفقون »
على الاعتبارين السابقين : اعتبار بساطة
« ماذا » وكونها عبارة عن عنصرين
مفردين ، واعتبار تركيب ماذا وكونها
كلمة واحدة مركبة :

(١) الكتاب ج ٢ ، ٤١٧

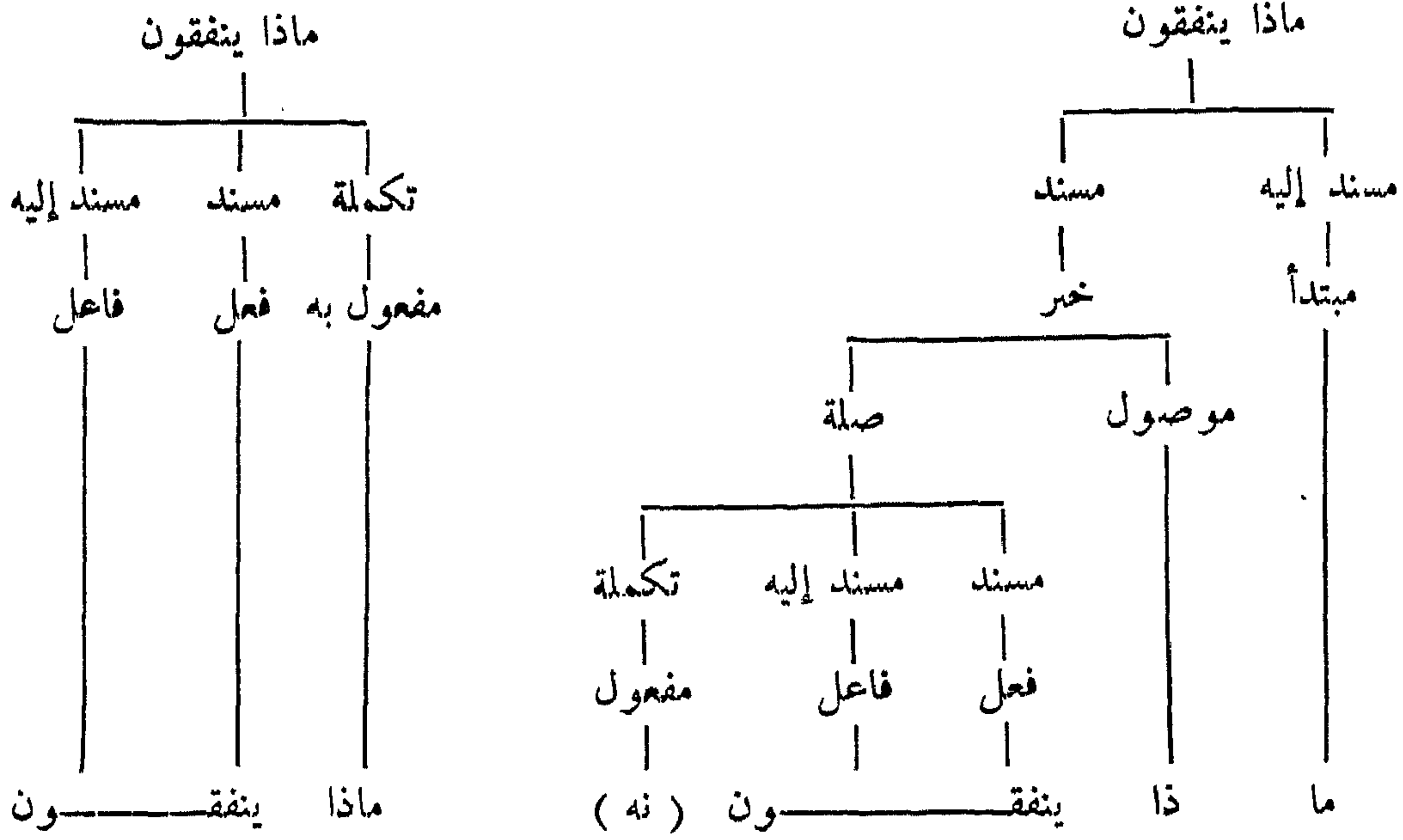
(٢) هم الهوامع ج ١ - ٨٤ ، انظر ايضا الكتاب ج ٢ - ٤١٨

(٣) البقرة - ٢١٩

(٤) النمل - ٣٠

(٥) النمل - ٢٤

(٦) الكتاب ج ٢ - ٤١٨ ، شرح المفصل ج ٣ - ١٤٩ ، ١٥٠ .



٢ - انوه من واقع الشواهد بمنطقية اللغة ،
فنحن مع ماذا أمام :

(أ) الاحتفاظ بكيان كل عنصر من
العنصرين ، فنعتبر ما استفهامية ، وذا موصولة .

(ب) تغليب جانب ما فتصبح «ماذا»
كلها استفهامية :

(ج) تغليب جانب ذا فتصبح «ماذا»
كلها موصولة :

٣ - عقد «ابن هشام» فصلا لماذا ، فصل
القول فيها تفصيلا مبينا زاد عما ذكرته
حديثا عن اعتبار «ذا» زائدة ، اكتفى هنا
بالاحالة عليها (١) .

محمد عبد السلام شرف الدين

تنبيهات :

١ - ترتب على القول بتركيب «ماذا»
اختصار في التحليل ، فالجملة على هذا
الاعتبار فعلية بسيطة تقدم مفعولها على
الفعل والفاعل ، أما على القول بعدم
التركيب ، فقد تفرع التحليل كما يتضح
من الشجرة الأولى - ، والجملة على هذا
الاعتبار اسمية خبرها اسم موصول استدعى
جملة الصلة ، فهل يمكن الذهاب إلى أن
اعتبار بعض الكلمات مركبا يتولد عنه
بساطة في التحليل ، واعتبارها بسيطة
يتولد عنه تضخما في التحليل . ؟ .

(١) معنى اللبيب ج ٢ - ٤ ، ٥ .

المستدرَك من معانى فاء العطف للدكتور صبحى عبد المنعم سعيد

تقديم :
بدرس النحو العربى - بحثا آخر فى حروف
المعانى ، كانت غايتى عند بدئه أن أنتصر به
لمذهب أبى الحسن الأخفش فى معنى الفاء
العاطفة فى مثل قول امرىء القيس : « بين
الدخول فحومل » ؛ لكن وقع لى - وأنا
معنى بتحقيق هذا الغرض - معنى لفاء
العطف ، أراءُ فات النحاة قبلا ، فلم يبين لأحد
منهم .

وجزى الله خيرا من نظر فى مقالى هذا ،
فسدّ خطوة ، أو أقال عشرة ، أو دلّ على نهج
خفيت على مداخله ،

شَاء الله - عزّ شأنه - أن أعنى بالنظر
فى حروف المعانى محاولا استيفاء مدلول
بعضها ؛ وقد وفقنى - سبحانه - قبلاً إلى
الكشف عن معنى لحرفى التنفيس لم يسبق له
ذكر فى مصادر النحو ؛ وكنت قد وقفت على
هذا الكشف مقالا جعلت عنوانه « المستدرَك
من معانى حرفى التنفيس » تفضل مجمع
اللغة العربية فى القاهرة - بنشره فى الجزء
السابع والخمسين من مجلته .
وهأنذا أقدم مرةً أخرى إلى المشتغلين

معنى فاء العطف بعد (بين)

الفاء في مذهب سيبويه :

يقول سيبويه في (باب عدة ما يكون عليه الكلم) : « أما ما يكون قبل الحرف الذي يجاء به له فالواو التي في قولك : مررت بعمر و زيد . وإنما جئت بالواو ؛ لتضم الآخر إلى الأول ، وتجمعهما ؛ وليس فيه دليل على أن أحدهما قبل الآخر . والفاء ؛ وهي تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في إثر بعض ؛ وذلك قولك : مررت بعمر و زيد فخالد ، وسقط المطر بمكان كذا وكذا ، فمكان كذا وكذا . وإنما يقرأ أحدهما بعد الآخر » (١) .

ويقول في (باب ما أشرك بين الاسمين في الحرف الجار فجريا عليه) : « ومن ذلك قولك : مررت بزيد فعمر و ، ومررت برجل فامرأة . فالفاء أشركت بينهما في المرور ؛ وجعلت الأول مبدوءا به » (٢) .

ويميز سيبويه بين الواو والفاء ، فيقول في (باب الواو) : « وما يدل ذلك أيضا على أن الفاء ليست كالواو قولك : مررت بزيد وعمر و ، ومررت بزيد فعمر و ؛ تريد أن تعلم بالفاء أن الآخر مرٌ به بعد الأول » (٣) .

ويقول أيضا في (باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك) : « ومنه مررت برجل راكب و ذاهب ؛ استحقتهما لا لأن الركوب قبل الذهاب ؛ ومنه مررت برجل راكب فذاهب ؛ استحقتهما إلا أنه بين أن الذهاب بعد الركوب ، وأنه لا مهلة بينهما ، وجعله متصلا به » (٤) .

ويتضح من مجموع هذه الأقوال أن سيبويه يرى أن الفاء العاطفة للأسماء تضم الشيء إلى الشيء كما تفعل الواو غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في إثر بعض ؛ فيكون الأول في الذكر مبدوءا به في ملايسة الحدث له ، والمعطوف بعد المعطوف عليه في هذه الملايسة ، وأنه لا مهلة بينهما في ذلك ؛ أي أن الفاء العاطفة للأسماء في مذهب سيبويه - تفيد التشريك ، والترتيب ، والتعقيب .

ونلاحظ أيضا في هذه الأقوال أن سيبويه عنى بذكر إفادة الفاء العاطفة للأسماء - معنى الترتيب أربع مرات ، وقد حرص على توضيح هذا المعنى بالتمثيل له في كل مرة . كذلك نلاحظ أنه في إحدى هذه المرات مثل بقول القائل : « سقط المطر بمكان كذا وكذا

فمكان كذا وكذا « ثم شرح معنى الترتيب في هذا المثال بقوله : « وإنما يقرؤ أحدهما بعد الآخر ^(٥) » .

المذهب المنسوب للجرمي :

والحق أن من يعمنُ النظر إلى مثال سيبويه : « سقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا » - يجدُ أن الفاء فيه أقربُ إلى إفادة معنى مطلق الجمع منها إلى إفادة الترتيب ؛ إذ لا يصحُّ الادعاء بأن من كان يقول : « سقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا ^(٥) » - قد لاحظ ترتيب سقوط المطر في هذه الأماكن ؛ لأنَّ هذه الملاحظة تحتاج إلى وسائل علم لم تكن متاحة لمثل هذا القائل في قرْنِ سيبويه وما قبله ؛ وإنما الأقرب أن يكون قد علم أن المطر عمَّ مكانين أو أمكنة فأخبرنا بما علم دون أن يُعنى بترتيب الأمكنة تبعاً لسقوط المطر فيها ؛ ولا يُغَيِّرُ من ذلك شيئاً قولُ سيبويه في شرح مثاله : « وإنما يقرؤ أحدهما بعد الآخر ^(٥) » ؛ لأنَّ مناط الترتيب في المثال هو سقوط المطر لا تتبُّع الخبر أمكنة سقوطه ^(٦) .

ونسارع فنقول : إنَّ شرح مثال سيبويه على هذا النحو إنما هو مستفاد من قول منسوب إلى أبي عمر الجرمي ٢٢٥ هـ ^(٧) ، وحكاه ابن

عصفور ٦٦٩ هـ حيث قال - وهو يشرح الفاء العاطفة للأسماء : « وذهب الجرمي إلى أنها للترتيب إلا في الأماكن والمطر ؛ فإنه زعم أنك تقول : عفا موضع كذا فموضع كذا فكذا وإن كانت هذه الأماكن إنما عفت في وقت واحد . ونزل المطر مكان كذا فمكان كذا وإن كان المطر إنما نزل هذه الأماكن في وقت واحد ^(٨) »

ونلاحظ في هذا القول أن أبا عمر الجرمي قد اختار مثالا يقارب مثال سيبويه ليوضح به رأيا يخالف رأيه ؛ فبينما يشرح سيبويه مثاله بقوله : « وإنما يقرؤ أحدهما بعد الآخر » - يشرح الجرمي مثاله بقوله : « وإن كان المطر إنما نزل هذه الأماكن في وقت واحد » ؛ ثم يسوق ابن عصفور دليل الجرمي على أن الفاء إذا عطفت المكان على المكان أفادت مطلق الجمع دون ترتيب أو تعقيب ، فيقول :

« واستدل الجرمي على أنها (لا) ^(٩) ترتب في الأماكن بقول النابغة

عفا ذو حُسى من فرتنى ، فالفوادع

فجنبنا أريك ، فالتلاع الدوافع

ومعلوم أن هذه الأماكن لم تعف على ترتيب ؛ إذ الوقوف على مثل هذا صعب متعذر ، أعنى أن يكون الثاني من الأماكن قد عفا بعد الأول

من غير مهلة بينهما ... (١٠) .

ولا شك أن هذا المذهب المنسوب للجرمي هو الأقرب للصواب ، والأكثر وفاقا لحال من كان يخبر عن عفو الأمكنة أو سقوط المطر في ذلك الزمن المتقدم ؛ وإذا كان ذلك كذلك كانت الفاء في مثل ذلك القول لا تفيد ترتيبا خلافا لمذهب سيبويه ؛ وإنما تضم الآخر إلى الأول ، وتجمعهما ، وليس في الكلام دليل على أن أحدهما قبل الآخر ؛ أي أن الفاء في الأماكن والمطر هي والواو سواء .

مذهب الأخفش ٢١٥ هـ :

لقد حرصنا على وصف المذهب السابق بأنه مذهب منسوب إلى الجرمي ، ولم نضف إليه على وجه اليقين ؛ ذلك أن الهروي قال في كتابه الأذهبة : « وقال الأخفش : الفاء في قوله : (بين الدخول فحومل (١١)) بمعنى الواو ، ويريد : وحومل . (١٢) » ؛ ومعنى ذلك أن الفاء في الأماكن لمطلق الجمع ، أي أنها لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا ؛ وإذا كان ذلك كذلك كان القول بأن الفاء لا ترتب في الأماكن هو قول الأخفش شيخ الجرمي (١٣) لا الجرمي نفسه ؛ ولعل التلميذ كان أكثر جهرا بالخلاف عن رأي سيبويه ؛ إذ علق على مثال مقارب لمثال الكتاب بما يخالف رأي صاحبه ؛ فاشتهر

القول بأنه للجرمي مع أنه قول شيخه أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ، صاحب سيبويه ، ومذيع كتابه في الناس (١٤) .
تفسير قول امرئ القيس على مذهب الأخفش :

يقول امرؤ القيس :

« قفانك من ذكرى حبيب ومنتزل

بسطط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح ، فالمقراة ، لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمال (١٥) »

وإذا أردنا أن نفسر هذين البيتين في ضوء

مذهب الأخفش الذي يرى أن الفاء في عطف

الأماكن بمعنى الواو ؛ أي أنها تضم الآخر إلى

الأول ، وتجمعهما جمعا مطلقا من غير ترتيب

ولا تعقيب - قلنا : إن امرأ القيس قد

استوقف صاحبه ، أو صاحبه (١٦) للبكاء من

ذكرى امرأة حبيب هاجت ذكراها رؤية دارها

قد استقرت بسقط اللوى ، وبقي رسمها لم

يعف ، إذ هي محصورة بين أربعة معالم

مشهورات : « بين الدخول فحومل فتوضح

فالمقراة » .

ومن البين أن حمل قول امرئ القيس على

هذا المعنى أشبه بالصواب ، فالنص يحتمله ،

وهو سائغ في التحو ؛ إذ الظرف (بين)

وقع على شيئين فصاعداً^(١٧) ، والفاء في البيتين جمعت بين الدخول وما عطف عليه جمعا مطلقا دون ترتيب ولا تعقيب ، لأن هذه الأماكن قد اشتركت في أنها حدثت منزل المرأة الحبيب دون أن يسبق أحدها في ذلك .

تفسير القول نفسه على مذهب سيبويه :

يقول أبو جعفر النحاس ٣٣٨ هـ : « وفيه من النحو قوله : بين الدخول فحومل ؛ لأنه لا يجوز أن تقول : زيد بين عمرو فخالداً ؛ لأن (بين) إنما تقع معها الواو ؛ لأنك إذا قلت :

المال بين زيد وعمرو فقد احتويا عليه ، فهذا موضع الواو ؛ لأنها للاجتماع ؛ فإن جئت بالفاء وقع التفرق فلم يجز ؛ وعلى هذا كان الأصمعي يرويه : « بين الدخول وحومل » .

وأما الاحتجاج لمن رواه بالفاء فلأن هذا ليس بمنزلة قولك : المال بين زيد وعمرو ؛ لأن الدخول موضع يشتمل على مواضع؛ فلو قلت : عبد الله بين الدخول - لتم الكلام ، كما تقول : درينا مصر ، تريد : بين أهل مصر ، فعلى هذا قوله : « بين الدخول » ، ثم عطف بالفاء ، وأراد : بين مواضع الدخول وبين مواضع حومل ، ولم يرد موضعا بين الدخول فحومل^(١٨) .

ومن يتأمل هذا القول يجد أن أبا جعفر النحاس يفسر الفاء في قول امرئ القيس :

« بين الدخول فحومل » على مذهب سيبويه الذي يرى أن « الفاء تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك متسقا ، بعضه في إثر بعض^(١٩) ، وهذا الترتيب بين معطوفي الفاء يقتضى التفریق بينهما ، لكن الظرف (بين) من حقه أن يضاف إلى ما يدل على شيئين فصاعداً ، وأن يقع على ما يضاف إليه وقوعا واحدا لا تفریق فيه ؛ ومن أجل ذلك صرح أبو جعفر بأن « بين إنما تقع معها الواو ؛ لأنها للاجتماع ، فإن جئت بالفاء وقع التفرق ، فلم يجز » ؛ ومن أجل ذلك كان الأصمعي يرويه : « بين الدخول وحومل » ؛ ثم عاد فاحتج لرواية الفاء ، فقدّر احتمال " الدخول " على مواضع ، فصحّ بذلك إضافة (بين) إليه ، كذلك صحّ العطف عليه بالفاء .

ومثل هذا التفسير فسّر أبو بكر بن القاسم الأتباري ٣٢٨ هـ - قول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » حيث قال : « والدخول وحومل وتوضع والمقراة مواضع ما بين إمرة إلى أسود العين ... ورواه الأصمعي : « بين الدخول وحومل » ، وقال : لا يقال : رأيتك بين زيد وعمرو . وقال الفراء : « بين الدخول فحومل » معناه : بين أهل الدخول فحومل ، معناه : فأهل حومل ، فلذلك جاز

أن يكون المنسوق بالفاء « (٢٠) (٢١)

ونلاحظ أن ابن الأثير زاد على أبي جعفر النحاس بأن روى عن الأصمعي أنه قال : « لا يقال رأيتك بين زيد وعمرو » : لأن الظرف (بين) لا يضاف من الأسماء إلا لما يدل على أكثر من الواحد ، أو ما عطف على غيره بالواو (٢٢) ، ولأن الواو للاجتماع ؛ فإن جئت بالفاء وقع التفرقة ، فلم يجوز . كذلك نسب ابن الأثير إلى الفراء تفسيراً لقول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » يتفق وما ذهب إليه سيبويه في معنى الفاء من أنها « تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك متستقماً ، بعضه في إثر بعض (٢٣) » حيث قال : « وقال الفراء ... معناه : بين أهل الدخول فحومل ، معناه : فأهل حومل ، فلذلك جاز المنسوق بالفاء (٢٤) » ومن يمعن النظر في هذا التفسير النحوي الذي قدمه الأثير والنحاس مستعينين بتراث البصرة والكوفة - يجد أنه تفسير لا يوافق ألفاظ النص ، ولا المعتاد من المعاني ، فامرؤ القيس أمر صاحبيه بالوقوف للبكاء - على منزل واحد لحبيبه مستقر بسقط اللوى ، فقال :
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ولم يقل : تنقلاً بين منازل الدخول فمنازل حومل
كما يفسر الأثير والنحاس .

كذلك وصف الشاعر منزل حبيبه بأنه « يسقط اللوى بين الدخول فحومل » وإذا كان « بسقط اللوى » معلماً طبيعياً من معالم تلك البقعة فإن ترتيب استقراره بين الدخول وما عطف عليه بالفاء أمراً لا نظنُّ امرأ القيس يُعنى بشرحه ؛ إذ هو لا يستطيع سبيلاً إليه ؛ زيادةً على خلوه هذا الشرح من فائدة ظاهرة . . . وربما أراد الشاعر أن منزل حبيبه مستقر بين الدخول وما عطف عليه بالفاء ؛ وإذا كان كذلك فمن اليقين أن ملابسة هذه الأماكن لاستقرار المنزل بينها لم تقع على ترتيب وتفريق ؛ لأن هذه المواضع سابقة النشأة على منزل الحبيب ؛ بل الأقرب أن الشاعر جمع بينها في ذلك جمعاً مطلقاً .

قول امرئ القيس عند جمهرة النحاة :

وإذا كنا لاحظنا اتفاق ابن الأثير والنحاس على شرح قول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » شرحاً لم يوافق فيه لفظ النص ، ولا المعتاد من المعاني فإننا لنعجب من النحاة الذين قبلوا هذا الشرح ، واستمروا يتناقلونه خلفاً عن سلف حتى يوم الناس هذا من غير تأمل ولا تمحيص :

فرضي الدين الاسترأبادي ٦٨٦ هـ يقول :
« اعلم أن الفاء تفيد الترتيب سواء كانت
حرف عطف أو لا ، فإن عطفت مفردا على
مفرد ففائدتها أن ملابسة المعطوف لمعنى
الفعل المنسوب إليه وإلى المعطوف عليه - بعد
ملابسة المعطوف عليه بلا مهلة ، ... ، وقد
تجىء الفاء العاطفة للمفرد بمعنى إلى : حكى
الزجاجي : تقول العرب : مطرنا ما بين زبالة
فالشعلبية بمعنى ما بين زبالة إلى الشعلبية ؛
وبعضهم يقول : مطرنا ما زبالة فالشعلبية
بحذف (بين) مع كونه مرادا ، ... ، ولا
يجوز حذف (ما) لكونه موصولا ؛ فلا تقول :
مطرنا زبالة فالشعلبية ، وهي أحسن الناس
قرنا فقدا ؛ وحكى إجازته عن هشام . ومثل
قوله : « قفانك من ذكرى حبيب ومنزل ... »
البيتان - الفاء فيه بمعنى إلى ، أي منزل بين
الدخول إلى حومل إلى توضح إلى المقرأة (٢٥) ؛
ويجوز أن يكون المعنى : قفانك بين منازل
الدخول فمنازل حومل فمنازل توضح فمنازل
المقرأة (٢٦) » والناظر في قول الاسترأبادي
هذا يجده يفسر الفاء في « بين الدخول
فحومل » بمعنى إلى ؛ وهو تفسير ضعيف لخلو
العبارة من (ما) وقد قال هو نفسه : « ولا
يجوز حذف (ما) لكونه موصولا ، أما

تفسيره الأخير فهو لا يخرج عن قول الأنباري
والنحاس الذي نقدناه آنفا .

ويقول ابن هشام ٧٦١ هـ - في أوضح
المسالك :

« وتتفرد الواو بأنها تعطف اسما على اسم
لا يكتفى الكلام به كاختصم زيد وعمرو ...
وجلست بين زيد وعمرو ؛ إذ الاختصاص ...
والبينية من المعاني النسبية التي لا تقوم إلا
بائنين فصاعدا ؛ ومن هنا قال الأصمعي :
الصواب أن يقال : « بين الدخول وحومل »
بالواو ؛ وحجة الجماعة (يعنى أصحاب رواية
" بين الدخول فحومل ") أن التقدير بين
أماكن الدخول فأماكن حومل ؛ فهو بمنزلة
اختصم الزيدون فالعمرون (٢٧) »
ويقول أيضاً في مغنى اللبيب :

« الفاء المفردة ... وترد على ثلاثة أوجه :
أحدها أن تكون عاطفة ، وتفيد ثلاثة أمور ،
أحدها الترتيب ... وقال الجرمي : لا تفيد
الفاء الترتيب في البقاع ولا في الأمطار
بدليل قوله : (بين الدخول فحومل) ،
وقولهم : (مطرنا مكان كذا فمكان كذا) وإن
كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد . وقيل :
تقع الفاء تارة بمعنى ثم ... وتارة بمعنى الواو
كقوله : « بين الدخول فحومل » ؛ وزعم

الأصمعيّ أنّ الصواب روايته بالواو ؛ لأنه لا يجوز جلست بين زيد فعمره ؛ وأجيب بأنّ التقدير بين مواضع الدخول ، فمواضع حومل كما يجوز جلست بين العلماء فالزهاد (٢٨) »

فابن هشام من خلال هذين القولين - يحتج لقول امرئ القيس « بين الدخول فحومل » بحجة لا تخرج عما حكاه الأنباري والنحاس على رغم حكايته قول الجرمي : « لا تفيد الفاء الترتيب في البقاع ولا في الأمطار » ؛ وكأنّ ابن هشام لم يجد فيما نسبه إلى الجرمي مقنعا يدعوه للانتصار لرواية الفاء خصوصا وقد علم أنّ الأصمعيّ يروي قول امرئ القيس بالواو ، وأنه يرى ذلك هو الصواب .

ويقول أبو الحسن الأشموني ٩٤٩ هـ

« وأما قوله : « بين الدخول فحومل » فالتقدير : بين أماكن الدخول فأماكن حومل ؛ فهو بمثابة اختصم الزيدون فالعمرون (٢٩) »

ونلاحظ أنّ الأشموني لم يزد على أن لخص ما قاله ابن هشام في أوضح المسالك ؛ فاكتفى بتقدير جمع مضاف إلى كلمتي " الدخول " و " حومل " ؛ لتصح إضافة بين إلى الدخول وما عطف عليه بالفاء ، ويسلم للفاء معنيا الترتيب والتعقيب .

أما الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد- وقد كان - رحمه الله - من أعيان

المشتغلين بالنحو في عصرنا هذا الحاضر - فيقول في حاشيته التي علّقها على كتاب أوضح المسالك لابن هشام : الشاهد فيه قوله : « بين الدخول فحومل » ؛ ووجه الاستشهاد بهذه العبارة يستدعي أن نقرر لك قاعدتين : أما القاعدة الأولى فهي أنّ (بين) كلمة واجبة الإضافة ، وأنها لا تضاف إلا إلى متعدّد ، سواء أكان تعدّده بسبب التثنية أو الجمع أم كان تعدّد بسبب العطف ... وأما القاعدة الثانية فهي أنّ أصل وضع الفاء العاطفة على أن تدلّ على الترتيب بغير مهلة ؛ ومعنى ذلك أن العامل في المعطوف عليه قد وقع معناه عليه أولا ، ووقع على المعطوف بعد وقوعه على المعطوف عليه ، ولكن من غير تراخ في الزمن ؛ وأنّ الأصل في وضع الواو العاطفة أن تتبادر منها الدلالة على أنّ العامل قد وقع أثره على المعطوف والمعطوف عليه دفعة واحدة ؛ فإذا قلت : جلست بين زيد فعمره فمعناه أنّ جلوسك قد تمّ أولا بين زيد ثم وقع مرة أخرى بين عمرو ؛ وهذا كلام لا يتحقق فيه ما تقتضيه (بين) من الإضافة إلى متعدّد ؛ وأما إذا قلت : جلست بين زيد وعمرو فمعناه أنّ الجلوس قد تمّ بين الاثنين دفعة واحدة ؛ وهذا معنى يليق

بما تقتضيه (بين) مما ذكرنا ؛ ولهذا كان الأصمعيّ يقول : أخطأ امرؤ القيس ، وكان من حق العربية عليه أن يقول : « بين الدخول وحومل » . وقد عنى العلماء بتصحيح عبارة امرئ القيس ، فذكروا أن كلمة " الدخول " لا يراد بها في هذا الموضع جزئي مُشخّص ؛ وإنما يراد بها أجزاء ذلك المكان ... ؛ ومع تصحيح هذا التخريج لعبارة امرئ القيس فإننا نراه تخريجا لا ينبغي أن نأخذ به ، وقد وقع في شعر امرئ القيس أيضا مثل ذلك ، وذلك في قوله :

ما هاج هذا الشوق غير منازلٍ

دوارسَ بين يَدْبِلِ فذقانٍ (٣٠)

وقد وقع مثل ذلك في قول كثير عزة :

ورسوم الديار تعرف منها

بالملا بين تغلمينَ فريم (٣١)

فالشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد لا يتوقف أن يُصرح بتخطئة امرئ القيس مُستندا ذلك إلى الأصمعي صاحب رواية « بين الدخول وحومل » ؛ ثم إنه يحكى دون إسناد تصحيح الأثباري والنحاس لرواية الفاء ؛ لكنه ينصح تلميذه بالآخذ بهذا التصحيح ؛ لأن العطف على ما يضاف إليه الطرف (بين) إنما يكون بالواو لا بالفاء ؛ ثم ينبه تلميذه إلى أن امرأ

القيس وقع في شعره هذا الخطأ مرة أخرى حيث قال : « ... بين يَدْبِلِ فذقان » وأن هذا الخطأ وقع أيضا في شعر كثير عزة حيث قال :

« ... بين تغلمينَ فريم » !!

ومن يرجع البصر إلى أقوال هؤلاء الأنبياء من النحاة يجد أنهم قد وافقوا ما ذهب إليه سيبويه والفراء من أن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب إذا عطفت الاسم على الاسم مطلقا سواء أكان المتعاطفان شخصين أم مكانين (٣٢) ؛ وأنهم ذهبوا في تفسير قول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » إلى ما حكاه أبو بكر الأثباري وأبو جعفر النحاس في شرحيهما من تقدير جمع مضاف قبل كل مكان مذكور في البيتين (٣٣) على رغم أن هذا التفسير يخالف في رأينا قول امرئ القيس : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل (٣٤) » . وقد زعم هؤلاء النحاة أن الأصمعيّ كان يروي قول امرئ القيس بالواو، فيقول : « بين الدخول وحومل » ، ومن ثم خطأ بعضهم رواية الفاء (٣٥) ، بل خطأ بعضهم امرأ القيس وغيره (٣٦) .

قول الحسن بن قاسم المرادي ٧٤٩ هـ :

قبل أن نأخذ في الردّ على ما تقدم من الأقوال يحسن بنا أن نحكى ما قاله أحد مشهورى نحاة القرن الثامن وهو الحسن بن

قاسم المرادى ؛ لأننا لمحنا فى قوله ما يميزه عن غيره سلفا وخلفا ؛ بقول المرادى :

« وذهب بعضهم إلى أن الفاء قد تأتي لمطلق الجمع كالواو . وقال به الجرمى فى الأماكن والمطر خاصة ... قال امرؤ القيس : بسقط اللوى بين الدخول فحومل » ، وقال النابغة :

عفاذو حُسى من قرنتى الفوارج

فجنبنا إريك فالتلاعُ الدوافعُ

... ؛ وقال بعضهم : الترتيب بالفاء على ضربين : ترتيب فى المعنى ، وترتيب فى الذكر ... وأما الترتيب فى الذكر فنوعان : أحدهما عطفُ مفصلٍ على مجمل ... والثانى عطف لمجرد المشاركة فى الحكم بحيث يحسن الواو كقول امرئ القيس : « بسقط اللوى بين الدخول فحومل » ... وأجاز بعضهم فى قوله : « بين الدخول فحومل » أن تكون الفاء بمعنى إلى . وهذا ضعيف . (٣٧) .

ومن يتأمل قول المرادى - وهو من قرن ابن هشام - يجده قد حكى قول الجرمى ، واستدل على صحته بقول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » وقول النابغة : « عفا ذو حُسى من قرنتى فالفوارج ... » ثم ذكر أن الفاء قد تفيد « مجرد المشاركة فى الحكم بحيث يحسن

الواو » واستدل على ذلك أيضا بقول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » وحده . ونلاحظ أن قول المرادى قد خلا من رواية الأصمعى : « بين الدخول وحومل » ودعوى أنها الصواب ؛ كذلك خلا من الحجة التى ذكرها الأتبارى والنحاس لتصحيح معنى الترتيب فى « بين الدخول فحومل » .

ردّ رواية « بين الدخول وحومل » :

ذكرنا من قبل قول أبى بكر الأتبارى :

« والدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع بين إمرة إلى أسود العين ... ورواه الأصمعى : « بين الدخول وحومل » ، وقال : لا يقال : رأيتك بين زيد وعمرو (٣٨) . » . كذلك ذكرنا قول أبى جعفر النحاس : « وفيه من النحو « بين الدخول فحومل » لأنه لا يجوز أن تقول : زيد بين عمرو فخالد ؛ لأنّ (بين) إنما تقع معها (الواو) ؛ لأنك إذا قلت : المال بين زيد وعمرو فقد احتويا عليه ، فهذا موضوع (الواو) ؛ لأنها للاجتماع ؛ فإن جئت بالفاء وقع التفرق فلم يجرز ؛ وعلى هذا كان الأصمعى يرويه : « بين الدخول وحومل (٣٩) » ونزيد هنا قول أبى العباس المبرد : « ... فأما اللوى من الرمل فمقصود ، قال امرؤ القيس : « بسقط اللوى بين الدخول وحومل » كذا

يرويه الأصمعي ، وهذه أصح الروايات (٤٠)؛
ومن المعلوم أن المبرد تلمذ لأبي حاتم (٤١)،
وأبا حاتم تلمذ للأصمعي (٤٢).

كذلك جاء في صدر ديوان امرئ القيس
المنسوبة روايته إلى الأصمعي قول امرئ القيس :
« بسقط اللوى بين الدخول وحومل (٤٣) » ؛
أعنى عطف "حومل" على "الدخول" بالواو .
فالمشيخة من علماء البصرة والكوفة قد
أجمعت على أن الأصمعي كان يروي قول امرئ
القيس السابق بالواو ، وشعر امرئ القيس
الذي نسبت روايته إلى الأصمعي جاء فيه
« بين الدخول وحومل (٤٤) » بالواو ؛ لكننا
نلاحظ أن العطف بالواو على ما أضيف إليه
الظرف (بين) في معلقة امرئ القيس - قد
قصر على « الدخول وحومل » في البيت الأول
وحده ؛ أما البيت الذي يليه بعده فقد أجمع
الأصمعي ورواة المعلقة كافة على روايته
باللفظ الآتي :

« فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمال (٤٥)»
أى أن « توضح » عطف على « حومل »
بالفاء ، كذلك عطف « المقراة » على
« توضح » بالفاء ؛ وإذا نظرنا في مقتضب
المبرد أقدم من زكي رواية « بين الدخول

وحومل » فيما نعرف - وجدناه يقول في
(الواو) : « معناها إشراك الثاني فيما دخل
فيه الأول ، وليس فيها دليل على أيهما كان
أولا (٤٦) » ؛ أى أن واو العطف عند المبرد
كما هي عند سيبويه والجماعة - تجمع بين
معطوفيها جمعا مطلقا من غير ترتيب ولا
تفريق . كذلك يذهب المبرد مذهب سيبويه
والجماعة في تحقيق معنى فاء العطف فيقول :
« هي توجب أن الثانى بعد الأول ، وأن الأمر
بينهما قريب نحو قولك : رأيت زيدا فعمرا ،
ودخلت مكة فالمدينة (٤٧) » ؛ أى أن الفاء
ترتب معطوفيها وتفرق بينهما بلا مهلة ، سواء
أكان شخصين أم مكانين .

وإذا كان ذلك كذلك جاز لنا أن نسائل النحاة
الذين يزكون رواية « بين الدخول وحومل » ،
ويذهبون مذهب سيبويه في معنى فاء العطف
قائلين : كيف يصح في مذهبكم أن يُجمع بين
" الدخول " و " حومل " جمعا مطلقا من غير
ترتيب ولا تفريق على حين يُرتب ويفرق بين
« حومل » و « توضح » ، وبين « توضح »
و " المقراة " - في قول واحد أضيف فيه
الظرف (بين) إلى هذه الأماكن جميعا ؛ أعنى
قول امرئ القيس - في رواية الأصمعي : « .. بين
الدخول وحومل فتوضح فالمقراة .. » ؟

أليس في هذا تناقض بين بعض القول الواحد وبعض ؟

وإذا كان ذلك كذلك فأى الأمرين خير لهؤلاء النحاة ؛ ألاستمسك برواية ينسبونها إلى الأصمعي ، فيقع التناقض بين معطوفات أضيفت جميعا إلى الظرف (بين) في قول واحد ؛ أم قبول ما رواه مُعلقة امرئ القيس ؛ أعنى « بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة^(٤٨) » فيتحد حرف العطف في تلك المعطوفات جميعا ، ويستقيم معنى البيتين على سنن واحد ؟

ثم إن عطف العرب مكانا بالفاء على مكان أضيف إليه الظرف (بين) ليس مقصورا على هذا القول لامرئ القيس ، بل قد روي عنه أيضا قوله :

« ما هاج هذا الشوق غير مناذل

دوارس بين يلبل فذقان^(٤٩) »
وإذا احتج نحوي فقال : إن البيت لم يروه الأصمعي في شعر امرئ القيس - (٥٠) قلنا : إن الأصمعي نفسه روى لشاعر جاهلي قديم هو سلامة بن جندل السعدي^(٥١) - قوله :
لمن طلل مثل الكتاب المنمق

خلا عهده بين الصليب فمطرق
أكب عليه كاتب بدواته

وحادثه في العين جد مهرق

لأسماء إذ تهوى وصالك ؛ إنها

كذى جدّة من وحش صاحبة مرشق^(٥٢)
ونسبة رواية هذه الأبيات إلى الأصمعي نسبة صريحة ، فقد ذكرها الأصمعي نفسه في اختياره المسمى الأصمعيات^(٥٣) ؛ وقد قال فيها سلامة بن جندل : « بين الصليب فمطرق » فأضاف (بين) إلى « الصليب ، وعطف عليه بالفاء ؛ ولم يأت في تخريج هذه الأبيات أن أحدا رواها بالواو ، فقال : « بين الصليب ومطرق »^(٥٤) .

بل نزيد على ذلك فنقول : إن الأصمعي روى قصيدة أخرى فيها مثل هذا القول ، وشارك هو نفسه في شرح أبياتها ؛ فقد روى أبو سعيد السكري عن أبي الفضل الرياشي عن الأصمعي قول أبي ذؤيب الهذلي :

١ - عرفت الديار لأم الرهين

بين الطباء فوادي عثر

قالوا : « الطباء » واد أو موضع .

و « الطباء » منعرج الوادي ، والواحدة « طبة » .

ويروى : « الرهين » ، وروى أبو عبيدة وأبو عمرو :

« الطباء » ، وقالوا : واحدها « طبية »

وهي منعرج الوادي .

٢ - أقامت به فابتنت خيمة

على قصب وقرات النهر

قال الأصمعيّ : « قصب البطحاء » : مياه
تجري إلى عيون الركايا ... (٥٥) »

فأبو ذؤيب الهذلي يقول : « بين الطباء
فوادى عُشْر » فيعطف بالفاء مكاناً على
مكان أضيف إليه الظرف (بين) ، ويشترك
في رواية قوله أبو عبيدة وأبو عمرو
والأصمعيّ ؛ ثم يروي السكري شرحاً لكلمة
في البيت الثاني عن الأصمعيّ .

وإذا كان ذلك كذلك أصبحنا على يقين من
أن الأصمعيّ روى أكثر من مرة شعراً تضمن
عطفاً بالفاء لمكان على مكان أضيف إليه
الظرف (بين) - على رغم ثقتنا في أبي
العباس المبرد الذي تُسبب إليه أنه قال : « فأما
اللوى من الرمل فمقصور ؛ قال امرؤ القيس :
« يسقط اللوى بين الدخول وحومل » كذا
يرويه الأصمعيّ ؛ وهذه أصحّ
الروايات (٥٦) .

تكرار الشاعر قوله : بين كذا فكذا من
الأمكنة :

والحق أن عطف الشعراء مكاناً بالفاء على
مكان أضيف إليه الظرف (بين) شائع مكرّر
في أقوالهم بحيث لا يلابسه شك ، ولا
يتسامى إليه إنكار : فالشاعر الجاهليّ سلامة

ابن جندل يقول أيضاً فيما يرويه المفضل عنه :
« كُنّا إذا ما أتانا صارحُ فزِعُ »

كان الصراخ له قرع الظنابيبِ

* * *

حتى تركنا وما تثنى طعائنا

بأخذن بين سوادِ الخطِّ فاللُوبِ (٥٧) »

والحارث بن حلزة يقول في معلقته :

وبعينيكَ أوقدتَ هنداُ النّاءِ

رَ أخيراً تُلوى بها العلياءُ

أوقدتها بين العقيقِ فَشَخَصِيَّ

من يعودُ كما يلوحُ الضياءُ (٥٨)

ويقول الحارث أيضاً في المعلقة نفسها :

إن نَبَثُ ما بين ملحّةٍ فالصّاءِ

قَبِ فيه الأمواتُ والأحياءُ (٥٩)

فها نحن أولاء نرى شاعرين جاهليين قد كرّر

كل منهما عطفه بالفاء مكاناً على

مكان أضيف إليه الظرف (بين) ،

وبعض هذا الشعر رواه الأصمعيّ نفسه

(٦٠)

أما حسّان بن ثابت فقد عطف بالفاء

مكاناً على مكان أضيف إليه الظرف (بين)

خمس مراتٍ في خمس قصائدٍ معظمها

مشهور معلوم ؛ إذ يقول في العصابة

التي نادى فيها في الزمان الأول :

أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ
بَيْنَ الجَوَابِي ، فَالْبُضِيْعِ ، فَحَوْمَلِ
فَالْمَرْجِ مَرْجِ الصَّفْرِ بَيْنِ ، فَجَاسِمِ
فَدِيَارِ تُبْنَى دُرَّسًا لَمْ تُحَلَّلِ
أَقْرَى وَعُطِّلَ مِنْهُمُ ، فَكَأَنَّهُ

بَعْدَ البَلِي آيُ الكِتَابِ المُجْمَلِ (٦١)
فَحَسَّانُ يَقُولُ : « بَيْنَ الجَوَابِي فَالْبُضِيْعِ » ،
فِيَعْطِفُ بِالفَاءِ مَكَانًا عَلَى مَكَانٍ أُضِيفَ إِلَيْهِ
الظَّرْفُ (بَيْنَ) ؛ وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ رَاوِيَا رَوَى
ذَلِكَ القَوْلَ بِالْوَاوِ .

وَيَقُولُ فِي " شَعَثَاءَ " الَّتِي لَمْ يَحِبُّ أَحَدًا
حُبَّهُ إِيَّاهَا :

انظُرْ خَلِيلِي بِبَابِ جَلَّتْ هَلْ
تُوْنِسُ دُونَ البَلْقَاءِ مِنْ أَحَدِ
أَجْمَالِ شَعَثَاءَ قَدْ هَبَطْنَ مِنْ الِ
مَحْبَسِ بَيْنَ الكُثْبَانِ فَالسُّنْدِ
يَحْمِلْنَ حُورًا حُورَ المَدَامِعِ فِي الرِّبِّ
طِ وَبِيضَ الوَجْهِ كَالْبَرْدِ (٦٢) «
فَحَسَّانُ يَقُولُ :

« بَيْنَ الكُثْبَانِ فَالسُّنْدِ » ؛ فَيَعْطِفُ بِالفَاءِ
مَكَانًا عَلَى مَكَانٍ أُضِيفَ إِلَيْهِ الظَّرْفُ (بَيْنَ) ؛
وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ رَاوِيَا رَوَى ذَلِكَ القَوْلَ بِالْوَاوِ .

وَيَقُولُ فِي مَطْلَعِ قَصِيْدَةِ يَرْتِي بِهَا حَمْزَةً
- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا
بَعْدَكَ صَوْبُ المُسْبِلِ الهَاطِلِ
بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأَدْمَانَةِ
فَمَدْفَعِ الرُّوحَاءِ فِي حَائِلِ
سَأَلْتَهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ .

لَمْ تَدْرُ مَا مَرْجوعَةُ السَّائِلِ
دَعَّ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمَهَا

وَابِكِ عَلَى حَمْزَةٍ ذِي النَّائِلِ (٦٣)
فَحَسَّانُ يَقُولُ : « بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأَدْمَانَةِ » ؛
فَيَعْطِفُ بِالفَاءِ مَكَانًا عَلَى مَكَانٍ أُضِيفَ إِلَيْهِ
الظَّرْفُ (بَيْنَ) ؛ وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ رَاوِيَا رَوَى
ذَلِكَ القَوْلَ بِالْوَاوِ .

وَيَقُولُ فِي إِحْدَى قِصَائِدِهِ الَّتِي يُرْجَعُ أَنَّهَا
مِنْ جَاهِلِيَّاتِهِ :

لَمِنَ الدَّارِ وَالرَّسُومِ العَوَاقِي
بَيْنَ سَلْعِ فَأَبْرِقِ العَرَافِ
دَارُ خَوْدِ تَشْفِي الضَّجِيعَ بِعَذْبِ الطِّ

حَمُّ مَزُ وَبَارِدِ كَالسَّلَافِ (٦٤)
فَحَسَّانُ يَقُولُ : « بَيْنَ سَلْعِ فَأَبْرِقِ العَرَافِ » ؛
فَيَعْطِفُ بِالفَاءِ مَكَانًا عَلَى مَكَانٍ أُضِيفَ إِلَيْهِ
الظَّرْفُ (بَيْنَ) ؛ وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ رَاوِيَا رَوَى
ذَلِكَ القَوْلَ بِالْوَاوِ .

وَيَقُولُ فِي مَطْلَعِ قَصِيْدَةِ يَمْدَحُ بِهَا جِبْلَةَ بَنِ
الْأَيْهَمِ :

لمن الدار أوحشتُ بمعانٍ

بين شاطي اليرموكِ فالصَّمانِ

فالتقرياتِ من بلاسٍ ، فدارياً

فسكّاءً ، فالتصويرِ الدوانى

فقفا جاسمٍ ، فأردية الصَّفءِ

سِ مَعْنَى قَنَابِلٍ وَهَجَانِ

تلك دارُ الأُنيسِ بعدَ عزيزٍ

وَحُلُولِ عَظِيمَةِ الأَرْكَانِ (٦٥)

فحسان يقول : « بين شاطي اليرموك

فالصَّمانِ » ؛ فيعطف بالفاء مكانا على

مكان أضيف إليه الظرف (بين) ؛ ولم نسمع

أن راويا روى ذلك القول بالواو .

وإذا كان الفحول من شعراء العربية قد أكثروا

في أشعارهم من عطفهم بالفاء مكانا على

مكان أضيف إليه الظرف (بين) - أصبحنا

موقنين بصواب رواية « بين الدخول فحومل » .

كذلك أصبحنا ملزمين بتفسير (الفاء) في

هذا القول تفسيراً يتفق ومعنى الظرف (بين)

الذي يقضى بأن يضاف إلى ما يدل على شيئين

فصاعداً ، وأن يقع على ما يضاف إليه وقوعاً

واحداً لا ترتيب فيه ولا تفریق (٦٦) ؛ ولا يفى

بذلك كلمة إلا قول أبي الحسن الأخفش :

« الفاء في قوله : " بين الدخول فحومل "

بمعنى الواو (٦٧) . »

الفساد تقدير « بين أهل الدخول » :

يروى ابن الأثير في شرح المعلقات عن

الفراء قوله : « (بين الدخول فحومل) معناه :

بين أهل الدخول فحومل ، معناه : فأهل حومل ؛

فلذلك جاز أن يكون المسوق بالفاء (٦٨) .

ويقول أبو جعفر النحاس : « وأما

الاحتجاج لمن رواه بالفاء فلأن هذا ليس بمنزلة

قولك : المال بين زيد وعمرو ؛ لأن « الدخول »

موضع يشتمل على مواضع ، فلو قلت : عبيد

الله بين الدخول لتم الكلام كما تقول : درينا

مصر ، تريد بين أهل مصر ،

فعلى هذا قوله : « بين الدخول » ؛ ثم

عطف بالفاء ، وأراد بين مواضع الدخول ، ولم

يُرد موضعاً بين الدخول فحومل (٦٩) .

ومن يتأمل هذين القولين يجد أن أبا زكريا

الفراء ٢٠٧ هـ قد فسّر قول امرئ

القيس « بين الدخول فحومل » تفسيراً

يوافق مذهب سيبويه ، إذ حقق للفاء معنى

الترتيب والتعقيب (٧٠) ؛ كذلك يجد أن أبا

جعفر النحاس ٣٣٨ هـ قد أخذ تفسير

الفراء فزاده شرحاً ومثيلاً ، واستقر

رأيه على أن الشاعر « أراد بين

مواضع الدخول ، ولم يرد موضعاً بين

الدخول فحومل (٧١) »

ولو أخذنا بهذا التقدير الذي ذهب إليه أبو
 زكريا الفراء وحكاه الأتباري والنحاس ،
 وغيرهما من النحاة وشرح المعلقات (٧٢) لكان
 معنى قول امرئ القيس : قفا نبك من ذكرى
 حبيب ومنزل لهذا الحبيب بين مواضع الدخول ،
 ولنتقل بعد ذلك مسرعين لنقف باكين - على
 منزل آخر له كائن بين مواضع حومل ، ولنتقل
 بعد ذلك مسرعين لنقف باكين - على منزل
 ثالث له كائن بين مواضع توضح ، ولنتقل بعد
 ذلك مسرعين لنقف باكين - على منزل رابع له
 كائن بين مواضع المقرأة !! ولا بأس على امرئ
 القيس بن حُجر من هذا الهوان الذي نُسبفه
 عليه ما دما حرصا على أن نحقق للفناء معنى
 الترتيب والتعقيب في الأماكن كما هي في
 الأشخاص : ويبدو لي أن أبا الحسن الأخفش
 قد عرضت له هذه الصورة التي شرحناها
 تفسيراً لمعنى قول امرئ القيس على أن الفناء
 فيه للترتيب والتعقيب - فعز عليه أن يبدو
 امرؤ القيس في صورة لا تليق بمكانه السامي
 بين قومه ، ثم هداه ذلك إلى أن يستنبط من
 هذا القول أن الفناء في عطف الأماكن بمعنى
 الواو (٧٣) ؛ وبذلك يكون امرؤ القيس إنما
 عتّى منزلا واحدا بسقط اللوى ، تحده هذه
 الأماكن جميعا .
 وإذا انتقلنا إلى قول الحارث بن حلزة في

معلقته :
 وبعينيك أوقدتُ هندُ الننا
 رَ أخيرا تُلوى بها العلياءُ
 أوقدتها بين العقيقِ فشخصيَّ
 من يعودٍ كما يَلُوحُ الضياءُ
 فتنوّرتُ نارها من بعيدٍ
 بِخَرَّازٍ ، هيهاتَ منك الصَّلَاءُ « (٧٤)
 - وجدنا أبا جعفر النحاس يقول : في شرح
 هذه الأبيات : « ورواية الأصمعيّ :
 " وشخصين " ولا يجيز أن يُوتى بالفاء بعد
 (بين) ؛ وقد ذكرنا شرح هذا في معلقة امرئ
 القيس « (٧٥) .
 وهذا القول يعني أن أبا جعفر النحاس لم
 يتأمل الأبيات أدنى تأمل ؛ وإنما وجد (الفاء)
 بعد (بين) في قول الحارث ، فتذكّر ما قاله
 في شرح قول امرئ القيس ؛ فبذكّر
 القارئ به (٧٦) .
 وأما ابن القاسم الأتباري فإنه قال في شرح
 هذه الأبيات : « ... معناه : رأى النار
 بالعلياء ولم يدر أين موضعها من العلياء حتى
 تأملها فعلم أين هي من العلياء ، فقال : « بين
 العقيق » ، و « العقيق » مكان ...
 و « شخصان » أكمة لها شعبتان ، فعلم أن
 موقد النار كان بالعلياء بين العقيق وشخصين .
 وقوله : « يعود » : أراد الذي يُتَبَخَّرُ به ..

قوله : « تنوّرت نارها » معناه : نظرت إلى سناها في الليل . والتنوّر : نظرك إلى النار ، وتأمّلك أين هي ؟ قريبة كانت أم بعيدة . ثم قال : « بخزاز » . و « خزاز » : جبل بين العقيق وشخصين كما وصف . ثم أطمع نفسه في اصطلاحها فظن أنها قريب ، فلما علم أنها بعيدة قال : « هيهات منك الصّلاء » أي ما أبعده منك (٧٧) .

ويلاحظ في هذا القول أن ابن القاسم الأنباري أرسل نفسه على سجيّتها لتفهم قول الحارث فوافق شرحه مذهب الأخفش ؛ إذ فسّر الفاء في قول الحارث : « بين العقيق فشخصين » بالواو ؛ إذ قال : « ... وخزاز جبل بين العقيق وشخصين كما وصف » ؛ ولم يستمسك الأنباري بشيء مما قاله هو نفسه في شرح عبارة امرئ القيس : « ... بين الدخول فحومل (٧٨) »

والحق أن في أبيات الحارث أشياء تحوّل دون ما ذهب إليه أبو جعفر النحاس من تقدير (بين مواضع العقيق فمواضع شخصين (٧٩) ؛ إذ الحارث يتحدث في هذه الأبيات عن نارٍ واحدة أوقدتها هند بين العقيق فشخصين بعودٍ مما يُتبخّر به ، وأنه تنوّرت هذه النار من بعيد وهو بجبل خزاز فأطمعته نفسه في اصطلاحها ؛

لكنه استبعد ذلك لما تيقّن بعد النار عن مكانه؛ وليس بميسورٍ في هذا المقام أن نتصور هندَ هذه المرأة الحبيب وقد أوقدت نارا بين منازل العقيق ، وانتقلت بعد ذلك مسرعة إلى منازل شخصين فأوقدت بينها نارا أخرى ؛ وأتى لجارية ناعمة معشوقة أن تأتي ذلك ؟ بل في أي مكانة مرذولة تضع هند نفسها إن فعلت ذلك ؟

ثم أي صِلاء اشتتهه نفس الحارث واستبعده من فوره ؟ أهو صِلاء نار مجهولة مما أوقد بين منازل العقيق فمنازل شخصين كما يريد لنا أبو جعفر أن نفهم ؟ أم صِلاء نار تحضرها هند - وقد عطرتها ؛ ليمتع نفسه بالجلوس إليها أو قريبا من بيتها ؟ ! الواضح أن المعنى في قول الحارث يقتضى أن نفس (الفاء) فيه بمعنى (الواو) ؛ ليضاف الظرف (بين) إلى العقيق فشخصين في وقت واحد دون ترتيب ، ولا تعقيب .

وإذا انتقلنا إلى قول الحارث نفسه في المعلقة عينها :

إن نبشتم ما بين ملحّة فالصّاء

قبّ فيه الأموات والأحياء (٨٠)

- وجدنا ابن الأنباري يشرحه بقوله : « إن نبشتم » معناه : إن أثرتم ما كان بيننا وبينكم

في الوقعات التي كانت بين ملحّة فالصاقب -
ظهر عليكم ما تكرهون من قتلى قتلنا لم
تدركوا بشأهم . والتقدير فيه : إن نبشتم ما
بين أهل ملحّة فأهل الصاقب ، فحذف الأهل ،
وأقام ملحّة ، والصاقب مقامهم ، وملحّة :
مكان ، والصاقب : جبل (٨١) .

فأبو بكر بن الأثير الذي سكت عن
التقدير في قول الحارث قبل ذلك : « أوقدتها
بين العقيق فشخصين » ؛ إذ فسّر (الفاء)
في ذلك القول بالواو - يعود إلى التقدير في
هذا البيت ، وهو من قول الشاعر نفسه
والقصيدة عينها ، والحارث في رأى ابن
الأثير - إنما يتحدث عن قبور كثيرة أقبر
فيها القتلى بعضها بين أهل ملحّة ، وبعضها
بين أهل الصاقب !! ويبدو لى أن أبا بكر لم
يُعن النظر في قول الحارث : « ما بين ملحّة
فالصاقب » ؛ لأن (ما) حدُ بين الشئين
فيما نقل هو نفسه عن الفراء (٨٢) ؛ وهذا
يعنى أن الحارث بن حلزة إنما يتحدث في هذا
القول - عن مكان واحد محصور بين ملحّة
فالصاقب (٨٣) .

ومن أقوى الشواهد على فساد تقدير (بين
أهل الدخول) - قول متمم بن نويرة يرثى
مالكا أخاه :

لقد لامنى عند القبور على البكا
رفيقى لتذرافِ الدموع السوافك
فقال أتبكي كلَّ قبر رأيتَه

لقبر ثوى بين اللوى فالدوانك
فقلت له : إن الشجأ يبعث الشجأ
قدعنى ، فهذا كلُّه قبر مالك (٨٤)

فمتمم بن نويرة يذكر في هذه الأبيات قبراً
ثوى بين اللوى فالدوانك ؛ ولا يجوز لمفسر
يُعن بقراءة النصوص والإحاطة بمدلول ألفاظها
أن يفسر هذا القول إلا بأنَّ متمم يريد قبراً
واحداً دفن فيه أخوه مالك ؛ وأن هذا القبر
معين محصور « بين اللوى فالدوانك » ؛ وأن
فاء العطف في هذا القول تفيد مطلق الجمع لا
محالة .

وإذا كان ذلك كذلك فإننا لنعجب. أشدّ العجب
عما ذهب إليه أبو على المرزوقى ٤٢١ هـ في
أثناء شرحه لهذه الأبيات إذ قال : « يقول :
استسرف رفيقى بكائى عند القبور ... فقال
مؤخا : أمن أجل قبورك بين اللوى فالدوانك
تبكى عند كل قبر تراه ؟ ... وقوله : « بين
اللوى فالدوانك » : اكتفى (بين) باللوى ،
وهو مسترقُّ الرمل لوقوعه على أماكن
مختلفة؛ ولما اكتفى به جاز أن يترتب عليه
فالدوانك (٨٥) .

فالمرزوقي بعد ما صرح بانفراد قبر مالك
 فى قوله : « أمن أجل قبرك بين اللوى
 فالدوانك » - عاد إلى التقدير المحكى عن
 الفراء ، فقال : « اكتفى (بين) باللوى
 لوقوعه على أماكن مختلفة ^(٨٦) » ؛ وكان
 المرزوقي يفسر قول متمم بأنه يريد قبرا بين
 أماكن اللوى فقبرا بين أماكن الدوانك . وهذا
 كلام إن صح فى رأى عامة من شرح « بين
 الدخول فحومل » أن يردده ، فترديده متعذر
 فى شرح قول متمم بن نويرة ؛ إذ هو على يقين
 من انفراد قبر أخيه ، وانحصار مكانه ؛ وإن
 حادثة قتل مالك بن نويرة مشهورة معلومة ؛
 وشأن الناس فى كل زمان ومكان أن يدفن
 الميت منهم فى قبر واحد .

وما تقدم يتبين لنا أن النحاة الذين يرون أن
 الفاء تفيد الترتيب فى الأماكن كما هى فى
 الأشخاص - لا يصبرون أنفسهم عن تقدير
 مضاف إلى المكان الذى أضيف إليه الظرف
 (بين) وعطف عليه مكان آخر بالفاء إذ بدا
 لهم أن المعنى يستقيم على هذا التقدير ^(٨٧) ؛
 لكنهم يسكتون عن هذا التقدير أو التذكير به
 حين يستعصى المعنى على تأويلهم ^(٨٨) ؛ وفى
 حين آخر لا يبالي الشارح بالمعنى وما تدل
 عليه الألفاظ ؛ بل يكتفى بترديد ما آل إليه

من تراث السلف ؛ سواء أكان حجة نحوية أم
 تفسيرا ^(٨٩) .

أما من يذهب مذهب الأخفش والجرمى
 ويرى أن (الفاء) فى عطف الأماكن مع
 (الواو) ؛ فهو يفسر أقوال الشعراء مر
 « بين الدخول فحومل » تفسيرا يوافق حقائق
 الحياة ، وطبائع النفوس دون أن يحتاج إلى
 تقدير مضاف يتعسر اتفاهه ومعنى القول تارة؛
 أو يتعذر تارة أخرى .

ولو أن تلاميذ الأخفش والجرمى عتوا
 بتأييد مذهبهم بأقوال فحول الشعراء كالحارث
 ابن حلزة ، وسلامة بن جندل ، وحسان بن
 ثابت ^(٩٠) ؛ أو لو أنهم عتوا بالفحص عن
 سلامة النسق فى رواية الأصمعى « بين
 الدخول وحومل » ^(٩١) أو بإثبات أن
 الأصمعى روى مثل هذا القول بالفاء أكثر من
 مرة ^(٩٢) - لاستطاع أبو بكر الأنبارى ،
 وأبو جعفر النحاس ، ومن خلف من بعدهما
 من النحاة وشرّاح الشعر القديم أن يفسروا
 (الفاء) فى مثل « بين الدخول فحومل » تفسيرا
 صحيحا لا يخطئون فيه الفحول ^(٩٣) ، أو لا
 يضطروهم فيه الاتباع إلى إهمال معانى
 الألفاظ، وتوهم الكثرة فيما هو متفرد
 متوحد ^(٩٤) .

اختصاص الفاء بعطف المكان

قد استخدم الواو في عطف " منزل " على " حبيب " ليجمع بينهما جمعا مطلقا في إضافة « ذكرى » إليها ؛ وليشرك بينهما في الإعراب ؛ وكذلك فعل في عطف " شمال " على " جنوب " و " قيعانها " على " عرصاتها " ؛ أما أسماء الأماكن في قوله : « بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة » فقد اختصت (الفاء) بعطف بعضها على بعض ؛ أي لتجمع بينها جمعا مطلقا في إضافة (بين) إليها ؛ ولتشرك بينها في الإعراب ؛ وإلى ذلك ذهب أبو الحسن الأخفش ؛ وقد انتصرنا لقوله ، ورددنا حجة من خالفه (٩٦).

ويقول امرؤ القيس أيضا :

لمن الديارُ غشيتُها بسُحام

فعمائتَيْنِ ، فهضب ذى أقدام

فصفا الأطيظ ، فصاحتين ففاض

تمشى النعاجُ به مع الأرام

دار لهندٍ ، والربابِ ، وفرتني

وليسَ قبل حوادث الأيام (٩٧)

ومن يتأمل هذه الأبيات يجد أيضا أن امرأ القيس قد

استخدم الواو في عطف بعض أعلام النساء على بعض

في قوله : « دارلهندِ والربابِ وفرتني وليسَ » ؛ أما

أسماء الأماكن في قوله : « غشيتُها بسُحام ،

اختصاص (الفاء) بعطف المكان لإفادة مطلق الجمع :

لقد مضى وقت طويل كنت أظنّ فيه أن إشكال قول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » ينتهي بالانتصار لمذهب الأخفش ، وتقويته بتكثير أدلته ، ورد حجج مخالفيه ؛ لكن وقع لى - وأنا معني^{٩٨} بتحقيق هذا الغرض - معنى « لفاء العطف » أراه فات النحاة قبلا ، فلم يُبين لأحد منهم ؛ ذلك أنّ الشاعر العربي القديم كان يختص (الفاء) بعطف المكان على المكان ؛ لتشرك بينهما في الإعراب ؛ ولتجمع بينهما في ملابسة الحدث جمعا مطلقا لا ترتيب فيه ولا تعقيب ؛ وبيان ذلك فيما يأتي :

يقول امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

سقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضحَ فالمقراة لم يعفُ رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمألٍ

ترى بعر الأرام في عرصاتها

وقيعانها كأنه حبُّ فُلُقُلٍ (٩٥)

ومن يتأمل هذه الأبيات يجد أن امرأ القيس

فعمائتين ، فهضب ذى أقدام ، فصفا الأظيط،
فصاحتين ، ففاضرٍ « فقد اختصت الفاء
بعطف بعضها على بعض ؛ أعنى لتجمع بينها
جمعا مطلقا فى أن الديار مستقرة بينها ؛
ولتشرك بينها فى الإعراب . وأما الترتيب
بين هذه الأماكن فى ملابسة هذا الاستقرار
ففرض لم يعتد الشعراء أن يعالجوه ، ولا
نحسب امرأ القيس عني به ؛ ومن ثم قال
الأعلم الشنمري فى شرح هذه الأبيات :

« وصف أن الديار التى غشيها مستقرة بين
هذه المواضع (٩٨) » ؛ وإذا كانت هذه الأسماء
لجبال قديمة النشأة ، أو أماكن فى حكمها
قدمة - كان استقرار ديار هؤلاء النسوة بين
هذه الأماكن قد وقع وقوعا مطلقا من غير
ترتيب ولا تفريق .

ويقول الحارث بن حلزة :

أذنتنا بيننا أسماء

رُبَّ ثارٍ يُملُّ منه الثَّوَاءُ

بعد عهد لها ببرقة شماء

ء ؛ فأدنى ديارها الخلصاء

فحياءً ، فالصَّفْحاحُ ، فأعلى

ذى فتاقٍ ، فعاذبٌ ، فالوفاء

فرياضُ القَطَا فأودية الشَّرِّ

بُب ، فالشعبتان فالأبلاء

لا أرى من عهدت فيها فأبكى الـ

سَيَوْمَ دَلَّهَا ؛ وما يَرِدُ البِكَاءُ (٩٩)

ومن يتأمل هذه الأبيات يجد أن الفاء فى قول

الحارث : « أدنى ديارها الخلصاء ، فحياءً .. »

إلى قوله : « فالأبلاء » قد اختصت بعطف

أسماء الأماكن بعضها على بعض ، وقد

جمعت الفاء بين هذه الأماكن جمعا مطلقا فيما

أخبر به الحارث عنها بقوله : « لا أرى من

عهدت فيها (١٠٠) » ؛ ومثل هذا الخبر المنفى

لا يُتصور أن يلابسه ترتيب ولا تعقيب .

ويقول الحارث أيضا :

أيما خُطَّة أردتم فأدو

ها إلينا ، تمشى بها الأملاء

إن نبشتم ما بين ملحَّة فالصَّا

قِب ، فيه الأموات والأحياء

أو نقشتم فالنقش تجشمه النا

سُ وفيه الصَّلَاحُ ، والإبراء (١٠١)

ومن يتأمل هذه الأبيات يجد أن الحارث قد

استخدم الواو فى عطف « الأحياء » على

« الأموات » وفى عطف « الإبراء » على

« الصلح » على حين اختصت الفاء بعطف

« الصاقب » على « ملحَّة » ؛ وهما من أسماء

الأماكن ، وقد سبق أن أثبتنا أن الفاء فى هذا

القول تفيد الجمع المطلق بين معطوفيها :

« لَأَنَّ (ما) حَدُّ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ » كما يقول
الفراء (١٠٢) .

ويقول ليبيد بن أبي ربيعة :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا

بِمَنْىُ ، تَأْبَدُ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا

فَمَدَافِعُ الرِّيَانِ عُرَى رَسْمُهَا

خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الوَحَى سَلَامُهَا

دِمْنٌ تَجْرُمُ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيْسِهَا

حَجَجٌ خَلَوْنَ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا

رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ وَصَابِهَا

وَدَقُّ الرِّوَاعِدِ ، جَوْدُهَا وَدِهَامُهَا

مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ

وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبِ إِرْزَامِهَا

فَعَلَا فُرُوعُ الأَيْهَقَانِ وَأَطْفَلَتْ

بِالْجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا (١٠٣)

ومن يتأمل هذه الأبيات يجد أن ليبيداً قد

استخدم الواو في عطف « حرامها » على

« حلالها » وفي عطف « رهامها » على

« جودها » وفي عطف « غاد » على « سارية »

وفي عطف « عشية » على « غاد » وفي عطف

« نعامها » على « ظباؤها » ؛ أما أسماء

الأماكن في قوله « تأبّد غولها فرجامها

فمدافع الريان » فقد اختصت الفاء بعطف

بعضها على بعض ؛ ولا ريب أن الفاء في هذه

الأبيات تفيد مطلق الجمع بين معطوفاتها في

التأبّد ؛ إذ لا نحسب أن ليبيداً كان عالماً

بترتيب تأبّد هذه الأماكن حتى يُعنى بإتباء من

يسمعُ قوله نبأ هذا الترتيب .

ويقول ليبيد أيضاً :

بل ما تذكّر من نوارٍ وقد نأت

وتقطعت أسبابها ورمامها

مريةً ، حلتنا بقيدٍ ، وجاورت

أهل الحجاز ، فأين منك مرامها

بمشارق الجبلين أو بمحجر

فتضمنتها قرده فرخامها

فصوائق إن أيمنت ، فمظنة

منها وحاف القهراً وطلخامها (١٠٤)

فليبيد في هذه الأبيات قد استخدم الواو في

في عطف « رمامها » على « أسبابها » ؛

أما أسماء الأماكن في قوله : « فتضمنتها

قرده فرخامها فصوائق » فقد اختصت الفاء

بعطف بعضها على بعض ؛ والفاء هنا مقيدة

مطلق الجمع ولا ريب ؛ وما ينبغي لمفسر أن

يذهب إلى أن الفاء في هذا القول معناها

الترتيب والتعقيب ؛ خصوصاً وليبيد يبدو في

هذه الأبيات غير متيقن من شئون نوار التي

تقطعت أسبابها ورمامها «

ويقول النابغة الذبياني :

عفا ذو حُسى من قرتنى فالفوارعُ

فجنبا أريك فالتلاعُ الدوافعُ

فجتمع الأشراج غير رسمها

مصايفُ مرّت بعدنا ومرايعُ

نوهتُ آياتٍ لها فعرفتُها

لستة أعوامٍ وذا العامُ سابعُ

رمادُ ككحلٍ العين لآياً أبيتهُ

ونؤى كجذمِ الحوضِ أثلمُ خاشعُ (١٠٥)

فالنابعةُ قد استخدم في هذه الأبيات -

(الروا) في عطف « مسرابع » على

« مصايف » وقد عنى بهما مطر الربيع ورياح

الصيف (١٠٦) ؛ كذلك استخدم (الروا) في

عطف « نؤى » على « رماد » ؛ أما أسماء

الأماكن في قوله : « عفا ذو حُسى من قرتنى

فالفوارع فجنبا أريك فالتلاع الدوافع فجتمع

الأشراج » فقد اختصت (الفاء) بعطف

بعضها على بعض ؛ ومن الفضول أن نُعيد أن

(الفاء) في هذا القول تفيد مطلق الجمع

كالروا (١٠٧).

ويقول زهير بن أبى سلمى :

كأن كورى وأنساعى وميثرتى

كسوتهن مشباً ناشطاً لهقا

دعى بغيث لأوراك ، فناصقة

من الشتاء فلما شأوه نفا

وقد يكونُ بها حيناً تعزُّبُهُ

وقد تطرفَ من حافاتِها أنقاً

عِشراً وخمسا فقد طابت مراتعهُ

من الربيع ؛ ولم يبدنْ وقد زهقا

فسار منها على شيمِ يومٍ بها

جنبي عماية فالركاء ، فالعمقا (١٠٨)

ففي هذا القول يستخدم زهيرُ حرف (الواو)

في عطف " أنساعى " على « كورى » وفي

عطف « ميثرتى » على « أنساعى » وفي

عطف « خمسا » على « عِشرا » أما أسماء

الأماكن في قوله : « رعى بغيث لأوراك

فناصقة » وقوله : « يومٌ بها جنبي عماية

فالركاء فالعمقا »

فقد اختصت « الفاء » بعطف بعضها على

بعض ؛ ولا ريب أن (الفاء) هنا تفيد مطلق

الجمع دون الترتيب والتعقيب ؛ إذ زهيرٌ يصور

ناقته ثوراً قد أشبَّ أولادا ، فهو يرمى بعض هذه الأماكن

شتاء ، ويرعى بعضها الآخر ربيعا ؛ وما علمنا أن الثيران

تقصد إلى ترتيب وتعقيب في رعيها مواضع الكلا في

الفصل الزمانى الواحد ؛ كذلك لا نحسب زهيراً عنى بترصد

ذلك ووصفه ؛ إذ لا فائدة مرجوة منه - في رأينا .

ويقول زهيرٌ أيضا :

عفا من آل فاطمة الجواء

فيمن فالقوادمُ فالحساءُ

فَذُو هَاشِمٍ فَمِثُّ عُرَيْتِنَاتٍ
 عَفَّتْهَا الرِّيحُ بَعْدَكَ وَالسَّمَاءُ
 فَذَرُوءُ فَالْجَنَابُ كَانَ خُنْسَ التَّعَاجِ
 الطَّاوِيَّاتِ بِهَذَا الْمَلَأُ (١٠٩)
 فَزُهَيْرٌ قَدْ اسْتَعْدَمَ حَرْفَ (الواو) فِي عَطْفِ
 «السَّمَاءِ» عَلَى «الرِّيحِ» ؛ أَمَا أَسْمَاءُ
 الْأَمَاكِنِ فِي قَوْلِهِ : «عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ
 الْجِبَاءِ فَيُؤْمِنُ فَالْقَوَادِمُ فَالْحِسَاءُ فَذُو هَاشِمٍ فَمِثُّ
 عُرَيْتِنَاتٍ فَذَرُوءُ فَالْجَنَابِ» فَقَدْ اخْتَصَّتْ
 (الفاء) بِعَطْفِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ ،
 وَ(الفاء) هُنَا مَفِيدَةٌ مُطْلَقُ الْجَمْعِ بَيْنَ
 مَعْطُوفَاتِهَا ؛ إِذَا الْوُقُوفُ عَلَى تَرْتِيبِ
 عَفْوِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ صَعِبَ مُتَعَدِّرٌ ؛
 وَأَتَى لَزُهَيْرٍ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى رِصْدِ ذَلِكَ لَوْ
 أَرَادَهُ ؟

وَيَقُولُ زُهَيْرٌ أَيْضًا :

صَحَا الْقَلْبُ عَنِ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ

وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

وَأَقْصَرَ عَمَّا تَعْلَمِينَ ، وَسُدَّدَتْ

عَلَى سَوَى قِصْدِ السَّبِيلِ مَعَادِلُهُ

وَقَالَ الْعَذَارَى إِنَّمَا أَنْتَ عَمَّنَا

وَكَانَ الشَّبَابُ كَالْخَلِيطِ نَزَائِلُهُ

فَأَصْبَحْنَا مَا يَعْرِفُنَا إِلَّا خَلِيقَتِي

وَإِلَّا سَوَادَ الرَّأْسِ وَالشَّيْبُ شَامِلُهُ

لَمِنْ طَلَّلُ كَالرَّحَى عَافٍ مَنَازِلُهُ
 عَفَا الرَّسُّ مِنْهُ ، فَالرُّسَيْسُ فَعَاقِلُهُ
 فَتَفُّ ، فَصَارَاتُ ، فَأَكْنَافُ مَنَعِجٍ
 فَشَرْقَى سَلْمَى ، حَوْضُهُ ، فَأَجَاوِلُهُ
 فَهَضْبُ ، فَرَقْدُ ، فَالطُّورِيُّ ، فَتَادِقُ
 فَوَادِي الْقَنَانِ ، حَزْنُهُ ، فَمَدَاخِلُهُ (١١٠)
 فَزُهَيْرٌ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ قَدْ اسْتَعْدَمَ حَرْفَ
 (الواو) فِي عَطْفِ «رَوَّاحِلُهُ» عَلَى «أَفْرَاسِ
 الصَّبَا» ، وَفِي عَطْفِ «إِلَّا سَوَادَ الرَّأْسِ»
 عَلَى «إِلَّا خَلِيقَتِي» ؛ أَمَا أَسْمَاءُ الْأَرْضِينَ فِي
 الْأَبْيَاتِ - وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُعَادَ ذِكْرُهَا -
 فَقَدْ اخْتَصَّتْ (الفاء) بِعَطْفِ بَعْضِهَا عَلَى
 بَعْضٍ ؛ وَ(الفاء) هُنَا مَفِيدَةٌ مُطْلَقُ الْجَمْعِ لَا
 مُحَالَةٌ ؛ وَمَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَسْمَعُ قَوْلَ زُهَيْرٍ أَنْ
 يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ قَصِدٌ إِلَى بَيَانِ التَّرْتِيبِ وَالتَّعْقِيبِ
 فِي عَفْوِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ مِنْ طَلَّلِ سَلْمَى ؛ إِذْ هُوَ
 أَمْرٌ لَا يَسْتَطِيعُ زُهَيْرٌ سَبِيلًا إِلَى مَعْرِفَتِهِ ؛
 وَأَتَى لَهُ أَنْ يُبَيِّنَ نَبَأَ مَا لَا يَعْرِفُ ؟
 وَمَا تَقَدَّمَ يَتَّبِعُنَا أَنْ أَمْرًا الْقَيْسِ ، وَالْحَارِثِ
 بِنِ حَلْزَةَ ، وَبَلِيدِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَالنَّابِغَةَ
 الذَّبْيَانِيَّ ، وَزُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلْمَى - قَدْ اخْتَصَّ
 كُلُّ مِنْهُمْ (الفاء) دُونَ (الواو) - بِعَطْفِ
 الْمَكَانِ عَلَى الْمَكَانِ لِيُشِيرَ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ
 وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ فِي مَلَابَسَةِ الْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ

ترتيب ، ولا تعقيب .

وإذا كان ذلك كذلك صح لنا أن نجهر بقول
لا نعلم أحداً سبقنا إليه : ذلك أن فاء العطف
مختصة أصلاً دون أختها (الواو) - بعطف
المكان على المكان إذا أراد المتكلم أن يضم
الآخر إلى الأول ، ويجمعهما في ملبسة
الحدث جمعا مطلقا ، لا ترتيب فيه ولا
تعقيب .

ولو أن اختصاص (الفاء) بعطف المكان
على المكان لتجمع بينهما في ملبسة الحدث
جمعا مطلقا - تبين للنحاة قبلا ما توقفوا على
تعاقب عصورهم - في قول امرئ القيس :
« بين الدخول فحومل » : وما استعانوا برواية
الأصمعي : « بين الدخول وحومل » - وقد قام
الدليل على فسادها .
هذا : وما توفيتني إلا بالله عليه توكلت
وإليه أنيب ،

صبحان عبد المنعم سعيد

التعليق

- (١) أبو بشر - عمرو بن عثمان بن قنبر - الملقب سيبويه ، كتاب سيبويه ، ج ٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ = بولاق ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .
- (٢) نفسه ، ج ١ هارون ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٤٨ = بولاق ، ج ١ من ٢١٨ .
- (٣) نفسه ، ج ٣ ، هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، م ، ص ٤٢ = بولاق ، ج ١ ، ص ٤٢٥ .
- (٤) نفسه ، ج ١ هارون ، ص ٤٢٩ = بولاق ، ج ١ ، ص ٢١٣ .
- (٥) انظر التعليق رقم (١) .
- (٦) فسر السير في عبادة سيبويه « وإنما يقرأ أحدهما بعد الآخر » بقوله : « يريد : إنما يقرأ المطر أحدهما بعد الآخر ، ومعنى يقرأ : يتتبع »
- انظر الحسن بن عبد الله السير في ٣٦٨ هـ ، شرح كتاب سيبويه ، دار المخطوطات ، صنعاء ح ١٠ ، ورقة ٤٠ / و ، مصورة خاصة منقولة عن مصورة معهد المخطوطات العربية ، الكويت .
- (٧) أبو عمر ، صالح بن إسحاق الجرمي . « أخذ أبو عمر عن الأخفش وغيره ، ولقي يونس بن حبيب ، ولم يلق سيبويه »
- انظر القفطي ، جمال الدين - علي بن يوسف ، إنباء الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ج ٢ ، دار الكتب ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م ، ص ٨٠ - ٨٣ .
- (٨) ابن عصفور الإشبيلي - أبو الحسن علي بن مؤمن ٦٦٩ هـ ، شرح جمل الزجاجي ، تحقيق صاحب أبو جناح ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، بغداد ، ١٩٨٠ م ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .
- (٩) الحرف (لا) ساقط من المطبوع المحقق ، ووجوده ضرورة تقتضيها سلامة المادة العلمية المبثوثة في النص .
- (١٠) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ، ج ١ ، ص ٢٣٠ . وانظر أيضا : أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري ٧٦١ هـ ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاديب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، بدون ، ج ١ ، ص ١٦١ وما بعدها .
- (١١) العبارة بعض بيت امرئ القيس :

بسقط اللوى بين الدخول وحومل

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل

وهو مطلع معلّته . انظر : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ٣٢٨ هـ ، شرح القصائد السبع

الطوال الجاهليات ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ ، ص ١٥ .

(١٢) الهروي - علي بن محمد ، كتاب الأذهية في علم الحروف ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، ص ٢٥٤ .

(١٣) انظر التعليق رقم (٧) .

(١٤) إنباه الرواة على أنباء النحاة ، ج ٢ ، ص ٣٦ - ٤٤ .

(١٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٥ - ٢٠ .

(١٦) نفسه ، ص ١٦ - ١٧ .

(١٧) الطبري - أبو جعفر محمد بن جرير ٣١٠ هـ ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق

محمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ج ٢ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

وانظر أيضا : ابن خالويه - الحسين بن محمد ٣٧٠ هـ ، إعراب ثلاثين سورة ، تحقيق كرنكو ، دار الكتب - القاهرة ، ١٩٤١ ، ص ٤٦ .

(١٨) النحاس - أبو جعفر أحمد بن محمد ٣٣٨ هـ ، شرح القصائد التسع المشهورات ، تحقيق أحمد

خطاب ، مديرية الثقافة العامة - العراق ، بغداد ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م ، القسم الأول ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(١٩) انظر التعليق رقم (١) .

(٢٠) زاد أبو بكر الأنباري على ما تقدم قوله : « وقال هشام بن معاوية : المعنى بسقط اللوى ما بين الدخول إلى حومل ، فأسقط . قال أبو بكر : وهذا خطأ في قول الفراء ؛ لأن (ما) حد بين الشينين فلا يجوز سقوطها . قال الفراء : من قال : (شربنا ما ذبالة فالثعلبية) على معنى ما بين زبالة إلى الثعلبية - لم يسقط (ما) ؛ لأنها الحد بين الموضعين . وأنشد الفراء لبعض بني سليم :
يا أحسن الناس ما فرنا إلى قدم ولا حبال محب واصل تصل أراد ما بين قرن إلى قدم ؛ ولا يجوز إسقاط (ما) لأنها حد بينهما . »

(٢١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢٢) ابن منظور - جمال الدين بن المكرم الأنصاري ٧١١ هـ ، لسان العرب ، مادة (بين) .

(٢٣) انظر التعليق رقم (١) .

(٢٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٩ .

(٢٥) انظر رقم (٢٠) .

(٢٦) الاسترأبادي - رضى الدين محمد بن الحسن ٦٨٦ هـ شرح الكافية لابن الحاجب ، دار

- الكتب العلمية - بيروت ، بدون ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
- (٢٧) أبو محمد - عبد الله بن هشام الأنصاري ٧٦١ هـ ، أوضح المسالك إلى ألفيد ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، ص ٤٠ - ٤٢ .
- (٢٨) ابن هشام الأنصاري ، مغنى اللبيب ، ج ١ ، ص ١٦١ - ١٦٢
- (٢٩) الأشموني - أبو الحسن عليّ نور الدين بن محمد بن عيسى ٩٢٩ هـ ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، ج ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ ، ص ٩٣ .
- (٣٠) الرواية في هذا القول : « وما هاج ... فرقان » ، والتصويب من ديوان امرئ القيس « تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٤٥ .
- (٣١) حاشية تحقيق أوضح المسالك إلى ألفيد ابن مالك ، ج ٣ ، ص ٤١ .
- (٣٢) انظر الصفحات ٧ - ١٠ من هذا البحث .
- (٣٣) انظر الصفحتين ٥ - ٦ من هذا البحث .
- (٣٤) انظر ص ٧ من هذا البحث .
- (٣٥) انظر ص ٦ من هذا البحث .
- (٣٦) انظر ص ٩ من هذا البحث .
- (٣٧) ابن قاسم - الحسن المرادي ٧٤٩ هـ ، الجنى الدانى فى حروف المعانى ، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد فاضل ، دار الآفاق ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٧ .
- (٣٨) انظر ص ٦ من هذا البحث .
- (٣٩) انظر الصفحتين ٥ ، ٦ من هذا البحث .
- (٤٠) المبرد - أبو العباس محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ ، الكتاب الكامل ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج ١ ، نهضة مصر ، بدون ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
- (٤١) إنباه الرواة على أنباء النحاة ، ج ٣ ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م ، ص ٤٢ - ٤٣ .
- (٤٢) السيراء فى - أبو سعيد الحسن بن عبد الله ٣٦٨ هـ ، كتاب أخبار النحويين البصريين ، تحقيق قريتمس كرنكو ، بيروت ، ١٩٣٦ م ، ص ٩٣ .
- (٤٣) ديوان امرئ القيس ، ص ٧ - ٨ .
- (٤٤) ديوان امرئ القيس ، ص ٨ ؛ وص ١ حيث ذكر المحقق أنّ هذا الشعر رواية الأصمعيّ من نسخة الأعلام .

- (٤٥) ديوان امرئ القيس ، ص ٨ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٢٠ وشرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات، صنعة ابن النحاس ٣٣٨ هـ ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ، ص ٤ ، وغير ذلك كثير .
- (٤٦) المبرد - أبو العباس محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، ج ١ ، المجلس الأعلى للثنون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ ، ص ١١ حسب الأصل المخطوط . (٤٧) نفسه .
- (٤٨) انظر التعليق ص ٤٥ ؛ خصوصا ديوان امرئ القيس ، ص ٣٦٧ حيث يقول محمد أبو الفضل محقق الرواية : في غير الأعلم والبطلانيوسى : « فحومل » بالفاء .
- (٤٩) ديوان امرئ القيس ، ص ٣٤٥ .
- (٥٠) البيت مطلع قصيدة من زيادات نسخة السكريّ . انظر ديوان امرئ القيس ص ٣٣٧ ؛ ثم انظر ص ١٧ من مقدمة محقق الديوان .
- (٥١) انظر ترجمته التي كتبها أحمد شاکر وعبد السلام هارون في حاشية المفضلية ٢٢ من ديوان المفضليات ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٩ م ، ص ١١٩ .
- (٥٢) أبو سعيد عبد الملك بن قُربب ٢١٦ هـ الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ ، ص ١٣٢ .
- (٥٣) نفسه .
- (٥٤) نفسه .
- (٥٥) السكريّ - أبو سعيد الحسن بن الحسين ، كتاب شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار فراج ، مراجعة محمود شاکر ، دار العروبة ، القاهرة ج ١ ، ١١٢ . وانظر أيضا مقدمة السكريّ لشعر أبي ذؤيب ، ص ٣ من المرجع نفسه .
- (٥٦) الكتاب الكامل ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
- (٥٧) أبو محمد الأنباريّ - القاسم محمد بن بشار ، شرح ديوان المفضليات ، تحقيق كادلوس يعقوب لايل ، بيروت ، ١٩٢٠ ، ص ٢٤٥ .
- (٥٨) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ٤٣٧ - ٤٣٩ وشرح القصائد المشهورات ، ج ٢ ، ص ٥٣ - ٥٥ ، وقد روى أبو جعفر « بين العقيق فشخصين » بالفاء ؛ لكنه قال في الشرح : « ورواية الأصمعيّ بالواو » .
- (٥٩) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٦٦ وشرح القصائد المشهورات ، ج ٢ ، ص ٦٧

- (٦٠) الأصمعيات ، ص ٣٢ .
- (٦١) ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق . د سيد حنفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م ، ص ١٢١ - ١٢٢ .
- (٦٢) نفسه ، ص ١٤٩ .
- (٦٣) نفسه ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .
- (٦٤) نفسه ، ص ٢٧٩ ؛ والبيت الأول هناك « لمن الديار » والوزن يطلب ما أثبتناه .
- (٦٥) نفسه ، ص ٣٢٢ ؛ والشطر الثانى من البيت الأول صورته فى المتن : « بين أعلا اليرموك فالحُمان » وقد أثبتنا رواية الحاشية المنقولة عن الأغانى ومعجم البلدان ثقة بها ؛ كذلك سكتنا عن إثبات رواية المتن : « تلك دار العزيز بعد أنيس » وأثبتنا بدلا منها رواية فى الحاشية منقولة عن ابن عساكر .
- (٦٦) انظر التعليق رقم (١٨) .
- (٦٧) الأذهية ، ص ٢٥٤ .
- (٦٨) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٩ .
- (٦٩) شرح القصائد التسع المشهورات ، ص ٩٩ - ١٠٠ .
- (٧٠) انظر ما تشير إليه التعليقات ١ - ٤ .
- (٧١) المرجع قبل السابق .
- (٧٢) انظر ص ٦ وما بعدها من هذا البحث .
- (٧٣) الهروى ، كتاب الأذهية ، ص ٢٥٤ .
- (٧٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٣٧ - ٤٣٩ .
- (٧٥) شرح القصائد المشهورات ، ج ٢ ، ص ٥٤ - ٥٥ .
- (٧٦) انظر شرح الأنبارى لهذه الأبيات ، والتعليق عليه فيما يلى بعد .
- (٧٧) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٣٧ - ٤٣٩ .
- (٧٨) نفسه ، ص ١٥ - ٢٠ .
- (٧٩) شرح القصائد المشهورات ، ج ٢ ، ص ٥٤ - ٥٥ .
- (٨٠) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٦٦ .
- (٨١) نفسه .
- (٨٢) نفسه ، ص ٢٠ .

(٨٣) فى شرح القصائد المشهورات ، ج ٢ ، ص ٦٧ يقول أبو جعفر النحاس فى شرح قول الحارث :
إن نبشتم ما بين ملحّة فالصاقب فيه الأموات والأحياء (« ملحّة والصاقب » موضعان ؛ أى إن
ذكرتم الأموات الذين قتلوا بين هذين الموضعين ... » فالنحاس يبدو من خلال هذه العبارة أنه فسر
الفاء بالواو ؛ لكنه بدأ الشرح بقوله : « ملحّة والصاقب » وهذه العبارة قد تفيد أن الرواية التى
شرحها النحاس هى بالواو لا بالفاء ؛ ومن أجل ذلك آثرنا السكوت عن ذكر تفسير النحاس
ومناقشته .

(٨٤) المرزوقى - أبو على أحمد بن محمد الحسن ٤٢١ هـ ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق أحمد
أمين وعبد السلام هارون ، القسم الثانى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٧٩٧ .

(٨٥) المرجع السابق ، ص ٧٩٧ - ٧٩٨ .

(٨٦) نفسه .

(٨٧) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٥ - ٢٠ وشرح القصائد التسع المشهورات ،
القسم الأول ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٨٨) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٣٧ - ٤٣٩ .

(٨٩) انظر ما أشار إليه التعليق رقم (١) وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص
١٥ - ٢٠ وشرح القصائد السبع المشهورات ، القسم الأول ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، وشرح ديوان
الحماسة ، القسم الثانى ، ص ٧٩٧ - ٧٩٨ .

(٩٠) انظر ما كتب قبلا فى هذا البحث تحت عنوان « تكرار الشاعر قوله : بين كذا فكذا من
الأمكنة » .

(٩١) انظر ما كتب قبلا تحت عنوان « رد رواية بين الدخول وحومل » .

(٩٢) نفسه .

(٩٣) انظر الصفحات ٥ - ١٠ من هذا البحث .

(٩٤) انظر ص ١٧ - ١٨ من هذا البحث .

(٩٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٥ - ٢٠ .

(٩٦) انظر ص ٤ من هذا البحث وما بعدها .

(٩٧) ديوان امرئ القيس ، ص ١٥ .

(٩٨) نفسه .

(٩٩) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٣٣ - ٤٣٦ وشرح القصائد المشهورات ، ج ٢
ص ٥٢ - ٥٣ .

- ١٤٤ -

(١٠٠) يبدو لى أن الوجهة - إعرابُ « أدنى ديارها » مبتدأ و « الخالصاء » بدلا منه ؛ وقول الحارث : « لا أرى من عهدت فيها » خيرا للمبتدأ ؛ والفاء فى قوله « فأدنى ديارها » عاطفة لجملة « أدنى ديارها الخالصاء فحياة ... فالأبلاء - لا أرى من عهدت فيها » - على جملة : « آذنتنا ببيتها أسماء ؛ وهذا الرأى مستفاد من شرح الأتبارى والنحاس للبيت الأخير ؛ إذ قال الأتبارى : « يقول لا أرى من عهدت من أحببى فى هذه المنازل فأنا اليوم أبكى شوقا إليهم » وإذ قال النحاس : « قوله : " فيها " : يعنى فى هذه المواضع ، وقوله : " فأبكى اليوم " ... خبر أنه يبكى كما خبر أنه لا يرى من عهدها فيها " والسببية واضحة فى هذه الفاء ؛ لتعلق ما بعدها بما قبلها ، إذ تسبب عن تبين أسماء انعدام رؤية الحارث من عهد من أحببه فى هذه الديار . هذا ، وقد سكتنا عما قاله الشارحان فى تفسير « فأدنى ديارها الخالصاء » لاختلافه قليلا عما قدمناه ونراه الوجه . فانظره . انظر ما أشير إليه من المراجع فى التعليق السابق ، وانظر أيضا محمد عبد الخالق عزيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، الجزء الثانى ، مطبعة السعادة ، بدون ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ (١٠١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٦٤ - ٤٦٨ .

(١٠٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(١٠٣) نفسه ، ص ٥١٧ - ٥٢٤ .

(١٠٤) نفسه ، ص ٥٣٢ - ٥٣٥ .

(١٠٥) ديوان النابغة اليبانى ، « القسم الأول - رواية الأصمعى من نسخة الأعلم » ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٠ .

(١٠٦) نفسه .

(١٠٧) انظر شرح جمل الزجاجى لابن عصفور الإشبلى ، ج ١ ، ص ٣٠. حيث قال : « واستدل

الجرمى على أنها لا ترتب فى الأماكن بقول النابغة : « عفا ذو حسى من قرنتى فالفوارع ... »

(١٠٨) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ، صنعة الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى - ثعلب ، طبعة

معمودة عن طبعة دار الكتب ، ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ،

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م ، ص ٤٢ - ٤٥ . ويلاحظ أن محققى الديوان يرون احتمال أن كلمة « أوراك »

قد تكون معرفة عن « أورال » أو « أوران » .

(١٠٩) المرجع السابق ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(١١٠) نفسه ، ص ١٢٤ - ١٢٧ . هذا والشواهد على اختصاص (الفاء) بعطف الأماكن لإفادة

مطلق الجمع - شائعة مستفيضة فى شعر زهير ؛ ومن شاء نظرها فى شرح الديوان . والله أعلم .

الرقم	المراجع
١	الأصمعيات ، الأصمعيّ - أبو سعيد عبد الملك بن قُرب ٢١٦ هـ ، تحقيق أحمد شاکر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .
٢	إعراب ثلاثين سورة ، الحسين بن خالوية ٣٧٠ هـ ، تحقيق فريتس كرنكو ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤١ م .
٣	إنباء الرواة على أنباء النحاة ، القفطيّ - جمال الدين على بن يوسف ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .
٤	أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد - عبد الله بن هشام الأنصاري ٧٦١ هـ ، تحقيق محمد مجيب الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربيّ بيروت ، ١٩٦٦ م .
٥	جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبريّ - أبو جعفر محمد بن جرير ٣١٠ هـ ، تحقيق محمود شاکر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية .
٦	الجنى الدانى في حروف المعانى ، ابن قاسم - الحسن المرادى ٧٤٩ هـ ، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد فاضل ، دار الأوقاف ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .
٧	حاشية تحقيق أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
٨	حاشية تحقيق ديوان المفضليات ، أحمد شاکر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٩ م .
٩	دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، عضيمة - محمد عبد الخالق ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، بدون .
١٠	ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤ م .
١١	ديوان حسلن بن ثابت ، تحقيق سيد حنفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .
١٢	ديوان النابغة الذبيانيّ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ م .
١٣	شرح الأشمونيّ على ألفية ابن مالك المسمّى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، الأشمونيّ - أبو الحسن على نور الدين بن محمد بن عيسى ٩٢٩ هـ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .

الرقم	المراجع
١٤	شرح جُمَل الزُّجَاجِيّ ، ابن عصفور الإشبيليّ - أبو الحسن علي بن مؤمن ٦٦٩ هـ ، تحقيق - صاحب أبو جناح " ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، بغداد ، ١٩٨٠ م
١٥	شرح ديوان الحماسة ، المرزوقيّ - أبو عليّ أحمد بن الحسن ٤٢١ هـ ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .
١٦	شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة الإمام أحمد بن يحيى - ثعلب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م = ١٩٤٤ م .
١٧	شرح ديوان المفضليات . أبو محمد الأنباريّ - القاسم محمد بن بشار ، تحقيق كارلوس يعقوب لابل ، بيروت ، ١٩٢٠ م .
١٨	شرح القصائد التسع المشهورات ، النحاس - أبو جعفر أحمد بن محمد ٣٢٨ هـ ، تحقيق أحمد خطاب ، مديرية الثقافة العامة بغداد ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م وقد استعنت بطبعة أخرى لهذا الكتاب عنوانها :
١٩	شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ، بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م . شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، الأنباريّ - أبو بكر محمد بن القاسم ٣٢٨ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ .
٢٠	شرح الكافية لابن الحاجب ، الاسترأباديّ - رضی الدين محمد بن الحسن ٦٨٦ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .
٢١	شرح كتاب سيبويه ، السيرافي ، الحسن بن عبد الله ٣٦٨ هـ ، دار المخطوطات ، صنعاء ، مصورة خاصة منقولة عن مصورة معهد المخطوطات العربية - الكويت .
٢٢	كتاب أخبار النحويين البصريين ، السيرافي - أبو سعيد الحسن بن عبد الله ٣٦٨ هـ ، تحقيق فريقس كرنكو ، بيروت ، ١٩٣٦ م .
٢٣	كتاب الأذهية في علم الحروف ، الهرويّ - علي بن محمد ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .
٢٤	كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
٢٥	كتاب شرح أشعار الهذليين ، السكرى - أبو سعيد الحسن ، تحقيق عبد الستار فراج ، مراجعة محمود شاکر ، دار العروبة ، القاهرة .
٢٦	الكتاب الكامل ، أبو العباس محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نهضة

الرقم	المراجع
٢٧	مصر ، القاهرة ، بدون . لسان العرب ، ابن منظور - جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ٧١١ هـ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م .
٢٨	مغنى اللبيب عن كتب الأعاديبي ، ابن هشام - جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري المصري ٧٦١ هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، بدون .
٢٩	المقتضب ، المبرد - أبو العباس محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ ، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ .

الموصول

في اللغات:

العربية والعبرية والسريانية

للدكتورة زكية محمد رشدي

للمثنى والذين للجمع واللائي واللاءون في الرفع واللائين في الجر والنصب ، والتي للمفرد المؤنث واللتان للمثنى واللائي واللات واللاي واللواتي للجمع .

أما الذي فيكون للمذكر العاقل ولغيره فثال الأول قوله تعالى ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾^(١).

ومثال الثاني قوله تعالى : سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله .^(٢) ومنزلة الذي وحده منزلة حرف من ، الكلمة من حيث كان لا يفهم معناه إلا بضم ما بعده إليه فصار من مقدماته ولذلك كان الموصول مبنياً ، فالموصول وحده لفظ لإسم ناقص أي ناقص الدلالة ، وفيه أربع لغات :

معنى الموصول :
« معنى الموصول هو ما افتقر إلى كلام بعده تصمله به ليم اسماً ، فاذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة فيجوز ، أن يقع فاعلاً ومفعولاً ، ومضافاً إليه ، ومبتدأً وخبراً ، فنقول « نجح الذي ذاكر دروسه » فوضع الذي رفع على أنه فاعل ، ونقول « ضربت الذي قام أبوه » فوضعه نصب لكونه مفعولاً ، ونقول « جاءني غلام الذي في الدار » فيكون الذي في موضع خبر بإضافة الغلام ، ونقول « الذي في الدار زيد » فيكون الذي في موضع رفع مبتدأً ، ونقول « زيد الذي أبوه قائم » فيكون الذي في موضع رفع خبر المبتدأ .
لفظ الموصول :

١ - في العربية : الذي للمذكر المفرد والذاتان

٢ - الإسراء آية ١

١ - سورة الفرقان آية ٤١

ما يلحقهما من الزيادات المختلفة لاختلاف معنييهما واحتجوا بذلك بأن قالوا رأينا الياء تسقط في التثنية نحو قولك اللذان والذين .

وذهب بعض النحويين إلى أن الألف واللام في الذي زائدة للتعريف كما في الرجل والغلام ، والذي عليه المحققون إنهما زائدتان والمراد بهما لفظ التعريف لامعناه . ورأى (ابن يعيش) أنهما ليستا لمعنى التعريف ، ويدل على ذلك بقوله :

١ - (أن الألف واللام في الموصولات زيادة لازمه ولام التعريف لا تعرفها لاجتماع لازمه ، بل يجوز اسقاطها نحو الرجل والغلام ورجل وغلام ، ولم نجد أنهم قالوا لذ كما قالوا غلام فلما خالفت ما عليه نظائرها دل على أنها زائدة لغير معنى التعريف كما يزداد غيرها من الحروف .

٢ - كثير من الأسماء الموصولة معرفة من الألف واللام وهي مع ذلك معرفة وهي من وما وأي نحو قولك « ضربت من أخطأ » و « أخذت ما أعطيتني » و « ولأكرم من أيهم في الدار » .

فكل هذه معارف ولا ألف ولام فيها كما كانتا في الذي وإنما تعرفها بما بعدها من صلاتها ، وإذا ثبت أن الصلة معرفة لم يكن الألف واللام فيما دخلا فيه من الموصولات معرفة أيضاً لأن الاسم لا يتعرف من جهتين مختلفتين ، وإذا ثبت أن الألف واللام ، لا يفيدان هنا التعريف كانت زيادتهما لضرب من إصلاح اللفظ) ،

١ - الذي يياء ساكنه وهو الأصل فيها .

٢ - اللذ - بكسر الذال من غير ياء كأنهم حذفوا الياء تخفيفاً ، إذ كانت الكسرة قبلها تدل عليها وذلك كقولهم يا صاحب اجزاء بها عن الياء .

٣ - اللذ - بسكون الذال ومجازه أنهم عندما حذفوا الياء اجزاء بالكسرة منها اسكنوا الذال للرقف ثم أجروا الوصل مجرى الوقف كما قال الشاعر :

مثل الحريق صادف القصباً

والتين والحلفاء فالتبها

والشاهد فيه أنه لما اضطرب حرك ما كان ساكناً في الأصل .

٤ - الذي بتشديد الياء للمبالغة في الصفة كما قالوا أحمرى واصفرى وكما قيل الدهر بالإنسان دواري وجاء في القاموس (« والدهر دواريه ودواري دائر ») .

أصل الذي

يذهب البصريون إلى أن أصل الذي هو لذ كعم وشج فاللام فاء الكلمة والذال عينها والياء لامها .

ويذهب الكوفيون إلى أن أصلها الذال وحدها وما عداها زائد فأصل الذي كأصل هذا ، وهذا عندهم أصله الذال وحدها فجوهرهما واحد وإنما يفرقان بحسب

وتوجد بالإضافة إلى الذى أدوات أخرى
استعملها العرب مثل :

ذو ، فان قبيلة طيء تقول ، هذا ذو
قال ذاك : يريدون الذى قال ذاك وهى
مبنيّة : وتكون ذو بالواو دائماً فى حالة
الرفع والنصب والجر وتعمل للمفرد
والجمع بنوعيه :

ذا : وتعمل كاسم موصول بشرط
دخول ما أو من الاستفهاميتين عليها
كما قال الشاعر :

وقصيدة تأتى الملوك غريبة

قد قلّتها ليقال : من ذا قالها؟

أى من الذى قالها ؟

ويضاف إلى ما تقدم الألف واللام
فتكون موصولة بمعنى الذى فى الصفة
نحو اسم الفاعل واسم المفعول فنقول هذا
الضارب زيدا والمراد الذى ضرب زيدا
وهذا المضروب والمراد الذى ضرب أو
يُضرب ، كما تدخل على الفعل فى مثل

« ما أنت بالحكم الترضى حكومته

ولا الأصيل ولا ذو الرأى والجدل »

ونادراً ما يستخدم اسم الإشارة فى
التعبير عن الموصول مثل :

معدّس ما لعباد عليك إمارة

أمنت وهذا تحمّلين طليق

(أى والذى تحمّلين طليق) وهو شاذ

عند البصريين .

وهناك أسماء موصولة أخرى مثل أى

وما يؤمن »

٢ - فى السريانيه :

أما فى السريانيه فقد استخدموا الدال
(و) للتعبير عن الموصول بعد أن ضعفت
دلالتها الإشارية : وهى تلزم هذه الصورة
مع المفرد والجمع مذكراً ومؤنثاً مثل :

« ܘܐܢ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ »

أى الذى لا تسمع أذناه هو يرى
(أفراطس ٢٨١-٥) ،

ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ

أى المدينيون الذين هم أبناء قطورة

(أفراطس ٢١١-٤) ،

ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ

أى كلمة الله التى تقبلها (أفريم ١٦٦-٩) ،

ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ
ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ

أى الشرور والآثام التى لا تستطيع الكتب
أن تظهرها : (أفراطس ٣٤٣-١٨) :

وعند دخول أداة الموصول هذه على
حرف الجر المتصل بضمير الملك تظهر
بينهما آباء فتقول :

ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ،
ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ،
ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ܘܢܘܨܘܢܐ ،

٣ - في العبرية :

ولفظ الموصول في العبرية هو عبارة عن الكلمة المبنية **אֲשֶׁר** (١) وهو يلزم صورة واحدة مع الأفراد والجمع والتذكير

والتأنيث ويستعمل للعاقل وغيره فهو للعاقل في مثل :

לְכוּ שׁוּבוּ אֶל הַמֶּלֶךְ אֲשֶׁר
שָׁלַח אֲתֵכֶם

أى اذهبوا راجعين إلى الملك الذي أرسلكم (ملوك ثاني : ١ - ٦) ولغير العاقل

مثل **הַמֹּטֵה אֲשֶׁר עָלִיתָ שָׁמָּה**

أى السرير الذي صعديت عليه (ملوك ثاني : ١ - ٤) وذلك في المفرد . أما

في الجمع للعاقل فمثل :

בְּנֵי דָבָר יְהוֹם אֲשֶׁר בִּירֵיחוֹ

أى بنو الأنبياء الذين في أريحا (ملوك ثاني : ٢ - ٥) ولغير العاقل في مثل

כָּל - יְבוּ - אָדָם אֲשֶׁר חָי

أى فكانت كل أيام آدم التي عاشها

(التكوين : ٥ - ٥)

وإلى جانب **אֲשֶׁר** نجد أن الكتب

المتأخرة قد استخدمت صورة مختصرة منها وهي الشين فقط (**ש**) فنجدها في الجامعة والمزامير وأخبار الأيام وعزرا والقضاة وغيرها مثل :

כַּחֲזֵל שֶׁעַל - שְׂפֹת הַיָּם לְרֹב

أى كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة (القضاة : ٧ - ١٣) ، ونادراً ما نجدها **ש** مثل

עַד שֶׁקָּמַתִּי דְבֹרָה

حتى قمت أنا دبوره (القضاة : ٥ - ٧)

وجاءت مرة واحدة **ש** وذلك قبل الألف

في القضاة ٦ - ١٧ وعموماً فهي تأتي **ש**

قبل حروف الحلق **ש** قبل الهاء كما في

الجامعة ٣ - ١٨

ومثل ضمير الإشارة الأصلي **אֲשֶׁר**

توجد أيضاً أسماء إشارة أخرى تستعمل

كاسم موصول وهي **אֲדָה** ، **אֲדָ** ، **אֲדָ**

والأخيرة هي الشائعة فمثال

(١) مازال اشتقاق كلمة **אֲשֶׁר** محلاً للبحث أ - هل تتصل بالكلمة العربية أثر والآرامية التي بمعنى الأثر

والمكان ؟ ولكن نولدكد يرى أنه من الصعب أن تتطور كلمة أثر لتصبح اسماً موصولاً .

ب - هل هي عبارة عن عدة جنور ضميرية ؟ ولكن هومل يرى أنها اسم أصيل يتميز عن **אֲדָ** ، **אֲدָ** (وهي

من الجنور الضميرية) . وتستخدم في العبرية كروابط الموصول وتتميز عن (**אֲדָ** ، **אֲדָ**) اللذين يستعملان في بعض الأحيان) .

ج - هل هي ضمير إشارة أصلي ؟

זָדָה : לְוִיָּתָן זָדָה יִצְרָתָּ
 أى لفياتان هذا خلقتة ليلعب فيه
 (المزامير ١٠٤ - ٢٦) ومثال : זָדָה :
 בְּרִיתִי וְעֵדוּתִי זֶה אֱלֹהֵיכֶם
 أن حفظ بنوك عهدى وشهادتى التى
 أعلمهم إياها (المزامير ١٣٢-١٢)
 ومثال : זָדָה :

הַלֹּא יִהְיֶה זֶה חַטָּאתִי לָא
 أى أليس الرب الذى أخطأنا إليه (اشعيا
 ٤٢-٢٤)

وتستعمل أداة التعريف وهى الهاء ה
 - للموصول كما نرى فى المثال الآتى
 כִּלְ הַהֶקְדִּישׁ שְׂמוֹנֶהָ אֵל אֵי כָל
 الذى قدسه صمويل (أخبار الأيام الأول
 ٢٦-٢٨ ، ٢٩-١٧ ، عزرا ٨-٢٥ ،
 ١٠-١٧)
جملة الصلة :

قلنا فى معنى الموصول انه هو ما افتقر
 الى كلام بعده تصله به ليتم اسما : وهذا
 الكلام هو عبارة عن جملة الصلة ،
 وتشارك اللغات الثلاث فى ضرورة وجود
 هذه الجملة :

العائد :

ويشترط أن تشتمل جملة الصلة على
 عائد يعود منها الى الموصول ويكون مطابقاً
 له فى الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث

وأصله أن يكون ضمير غيبة : وقد يعدل
 عنه إلى ضمير المتكلم أو المخاطب إذا كان
 الموصول نعتاً لضمير متكلم أو مخاطب
 أو خبراً عنه ، وذلك مشاهد فى اللغات
 الثلاث : وقد جاء فى العربية للمتكلم فى
 قول على كرم الله وجهه :

أنا الذى سمتن أمى حيدرته

ضرغام آجام وليث قسوره

والأصل أن يقول (سمتته)

وفى مثل :

وأنا الذى قُتلت بكرا بالقنا

وتركت تغلب غير ذات سنام

والأصل أن يقول قتل ويكون الضمير

للغائب :

وكذلك إذا كان الموصول أو موصوفه

خبراً عن مخاطب ويأتى الضمير للمخاطب

مثل (أنت الرجل الذى قلت كذا)

وأصله أن يقول أنت الرجل الذى قال
 كذا أى أن يكون الضمير للغائب : وقد
 يحل الظاهر محل الضمير العائد كقول الشاعر :

سعاد التى أضناك حب سعادا

وإعراضها عنك استمر وزادا

فسعاد الثانية بدل الضمير أى حبها :

لكون ذلك أنكره كثير من العلماء

وقالوا لا يجوز إلا للضرورة الشعرية :

أى أنتم الذى فاح عرفكم فى كل مكان
والأصل أن يقال (عرفهم) ،

أنت الذى أخبرتنا والأصل أن يقال

(أخبرنا) (أفريم ٤٩٢) .

حذف العائد :

كثُر فى العربية حذف العائد من الصلة
حتى صار قياساً ، وليس حذفها دون
إثباتها فى الحسن ، وقد جاء الأمران فى قوله
تعالى : « أهذا الذى بعث الله رسولا »
والمراد (بعثه) : وقال فى موضع آخر
(كالى يتخبطه الشيطان من المس) (٣)
فأتى بالعائد وهو الهاء فى (يتخبطه)

ولا يحذف هذا العائد إلا بشروط ثلاثة
١- أن يكون ضميراً منصوباً لضميراً
مرفوعاً ولا مجروراً ، لأن المفعول كالفضلة
فى الكلام والمستغنى عنه :

٢- أن يكون العائد متصلاً لا منفصلاً
لكثرة حروف المنفصل «

٣- أن يكون على حذفه دليل وذلك
أن يكون ضميراً واحداً لا بد للصلة منه
فتقول (الذى ضربت زيد) فتحذف العائد
الذى هو الهاء لأن « الكلام والصلة »
لا يتم إلا بتقديره ولو قلت (الذى ضربته

وينطبق هذا الكلام على اللغة العبرية
كذلك : فجاء الضمير للمتكلم فى مثل

أَشْرَ مَكَرْتُمْ أَنَاى أَى أَنَا

يوسف الذى بعثونى (التكوين ٤٥-٤)
والأصل أن تكون أَنَاى أَى بعتموه (١) .
وجاء الضمير للمخاطب فى مثل

يَعْقُوبَ أَنَشْرَ بِحَرْتِي

أى يعقوب الذى اخترتك (اشعيا ٤١-٨)
فقال اخترتك والأصل أن تكون
بِحَرْتِي أَى اخترته (٢) .

وكما عدل عن ضمير الغيبة بضمير المتكلم
أو المخاطب فى اللغتين العربية والعبرية كذلك
عدل بهما عنه فى اللغة السريانية كما فى مثل

أناى أَنَاى أَنَاى

أى وأنا أيضاً الذى تروننى وأصله أن يقول
(ترونه) ومثل

أناى أَنَاى أَنَاى

أى أناحيب الذى تبحثون عنى والأصل
أن يقول ، (تبحثون عنه) (القصة السريانية
ص ٩٠) ومثل

أناى أَنَاى أَنَاى

(١) أنظر العدد ٢٢ - ٣٠ ، اشعيا ٤٩ - ٢٣

(٢) أنظر ارميا ٣٢-١٩ ، التكوين ١٥-٧

(٣) البقرة آية ٢٧٥

في داره زيد) لم يجر حذف الهاء لأن الصلته
تم بدونه فلا يكون في اللفظ ما يدل عليه
كذلك في السريانية نجد حذف الضمير العائد
يتمثل في الآتي :

١- إذا كان مفعولا للشئ مثل

مَلَأَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِحُكْمِهِ

أى كلمة الله التي تقبلها (أفریم)

(١٦٦-٩)

مَلَأَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِحُكْمِهِ

أى الشرور والآثام التي أوجد (ها) الضياع
(أفریم ١٧٩-١٨)

٢- إذا كان العائد مجرورا بحرف :
ويشترط دخول الحرف حينئذ على صاحب
الموصول مالم يكن الباء الظرفية وصاحب
الموصول اسم زمان فلا يشترط دخولها
فالأول مثل

حَبَبَهُمْ مَلَأَ اللهُ

أى في الموضع الذي كلوا فيه

لَحَسَهُمْ بِرُكْبَانِهِمْ

أى البيت الذي تدخلون (٤) : والثاني
نحو

مَهْطَرُهُمْ بِرُكْبَانِهِمْ

أى اليوم الذي صلبوه (فيه) ،

بِحُكْمِهِ مَلَأَ اللهُ قُلُوبَهُمْ
بِحُكْمِهِ مَلَأَ اللهُ قُلُوبَهُمْ

أى إلى السنة

الرابعة لملك سليمان التي ابتداء (فيها)
ببناء :

ونادرا ما يحذف العائد إذا كان التابع
اسم فاعل أو اسم مفعول كما في مثل

طَبَّحَهُمْ لِقُبُورِهِمْ بِحُكْمِهِ مَلَأَ اللهُ قُلُوبَهُمْ

أى الطيبة التي تعود أن

يمنحها (أفریم ٢٠٥-١٩) فنجد أن اسم
الفاعل نال من الضمير :

وفي العبرية يحذف العائد كذلك في
المواضع الآتية :

١- أن يكون مفعولا للشئ كما في

أَمْثَلُ مَلَأَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِحُكْمِهِ

أى عمله الذي عمل (التكوين ٢-٢)
ب والأصل أن تكون

عَلَّمَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِحُكْمِهِ

٢- حينما يكون ضميرا منفصلا يمثل

حالة الفاعلية في الجملة الاسمية مثل

أَمْثَلُ مَلَأَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِحُكْمِهِ

أى المياه التي (هي) من تحت الجلد

(التكوين ١-٧) والأصل أن تكون

أَمْثَلُ مَلَأَ اللهُ قُلُوبَهُمْ

٣ - ويلاحظ الحذف الغالب للضمير العائد حين يكون المسند الخاص بالجملة الوصفية هو فعل القول مثل **אֲנִי אֵשֶׁר אָמַר**

יְהוָה אֱלֹהֵינוּ אֵשֶׁר לָבִים אֵי הַדָּי

قال الرب أعطيك إياه (العدد ١٠-٢٩) (١)

٤ - حينما تضاف الجملة البدلية إلى ظرف مكان يحذف الضمير العائد كما في مثل **כִּי**

כִּי-הַיָּמִים אֲשֶׁר בָּךְ-וַיֵּשֶׁב

כִּי أي لأن كل الأيام التي يعيش (فيها)

ابن يسي (٢)

بعد هذا العرض الذي قدمنا نخلص بالنتائج الآتية :

١ - أصل لفظ الموصول في اللغة السامية الأم هو على الأرجح الذال والياء فإذا نظرنا إلى اللغة العربية وجدنا أن لفظ الموصول (الذي) هو عبارة عن الذال والياء ، أما (ال) فقد دخلت عليهما - كما يقول النحاة - لمعنى التعريف أو للفظه أو هي زيادة للتحسين :

وإذا كنا نرى أن لفظ الموصول في اللغة السريانية هو الذال فقط فليس معنى هذا أنه لا توجد ياء في الأصل ؛ بل يؤيد كلامي السابق - وهو أن لفظ الموصول في اللغة السريانية الأم هو الذال

والياء - وجودهما معا في حالة دخول لفظ الموصول على حرف الجر المتصل بضمير الملك - كما ذكرنا آنفا - في مثل

בְּמַלְכֵנוּ ، בְּמַלְכֵנוּ ، בְּמַלְכֵנוּ

وربما تكون قد سقطت هذه الياء في فترة قديمة من فترات تطور اللغة السريانية وبذلك انفردت الذال في التعبير عن الموصول في هذه اللغة :

أما في اللغة العربية فنجد أن من الألفاظ المستعملة للموصول **الذي ، الذي ، الذي** وهي كما نرى تشترك مع العربية والسريانية في حرف الذال ، وكما أن التطور اللغوي من السامية الأم إلى السريانية أدى إلى سقوط الياء فكذلك نرجح أنه في العصور الأولى لتطور اللغة من السامية الأم إلى العربية قد سقطت الياء ، ثم ألحقت بدلا منها الهاء أو الواو كحركة مد في فترة تلت الفترة الأولى

وهذا الكلام ينطبق أيضاً على لفظي الموصول في العربية (ذا ، ذو)

٢ - تشترك العربية والعبرية في استخدام أداة التعريف للتعبير عن الموصول ، أما السريانية فلا تستخدمها حيث تختلف في

(١) أنظر كذلك العدد ١٤ ، صويل الأول ١٧٩ ، ملوك أول ٢٩٨

(٢) أنظر كذلك التكوين ٦٤٥ ، التثنية ٤٦١ ، ملوك أول ٤٤١١

أهم المراجع

1. Brockelmann Grundriss der verglichenen Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin, 1908.
2. Gesenius, Hebraische grammatik, Leipzig, 1899.
3. Noldeke, Syriac Grammar, Translated from German by, Crichton, London, 1904.

— أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري

— المفصل — القاهرة — مكتبة الخانجي

هـ ١٣٢٣

— جمال الدين بن محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك — القاهرة — دار الكتب العربية ١٣٣٤ هـ :

— محمد بن مالك الطائي — شرح ابن عقيل على متن ألفيه ابن مالك — القاهرة — مطبعة السعادة ١٣٤١ هـ

زاكية محمد رشدي

المفرد عنها في الجمع وهي فيها تلحق الاسم بخلاف العربية والعبرية فهي فيهما سابقة عليه ؛

٣ — تشترك السريانية والعبرية في أن لفظ الموصول كان يستخدم في البداية للدلالة على الإشارة ثم استخدم للموصول بعد أن ضعفت دلالة الإشارة : وأرى أن لفظ الموصول في العربية يتدرج تحت هذا القول حيث أن الأصل في الحالين (الإشارة والموصول) واحد وهو الذال ، وحيث أننا نرى أن اسم الإشارة في بعض الحالات يعبر عن الموصول كما في (أمنت وهذا تحملين طليق) :

٤ — تشترك اللغات الثلاث في وجوب وجود جملة للصلة ليكتمل المعنى بها ، وأن تشمل تلك الجملة على عائد يعود على الموصول ويكون مطابقاً له في الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث ، كما تشترك أيضاً في وجوب أن يكون العائد ضمير غيبية وكلها قد تستثنى هذا الشرط وتعديل عن ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم أو المخاطب :

وأخيراً نجد أن تلك اللغات تشترك في حذفها العائد تبعاً للشروط التي ذكرناها آنفاً ؛

التراب للفقير وكلمة "حتى" عندنا وعند غيرنا للكتور عمر فروخ

الزاوية مساو لمجموع مساحتي المربعين المنصوبين على الضلعين الباقيين من ذلك المثلث» ، إنما هو نظرية أشورية أقدم من فيثاغورس ، وكانت تعرف عند الأشوريين باسم نظرية السلم . إن السلم المستند إلى جدار يمثل وتر المثلث القائم الزاوية . ثم إن الجدار الذي يستند إليه السلم و سطح الأرض الذي يقوم عليه ذلك السلم يلتقيان عند قاعدة الجدار على زاوية نفرضها زاوية قائمة .

وكذلك إذا أنا وصلت في علوم التعاليم أو العلوم العددية (وهي التي تسمى عندنا الرياضيات ، وفي مصر تدعى الرياضة) ثم انتهيت إلى الكلام على الغناء أو الموسيقى قلت أيضا : ليس هنالك موسيقى عربية ثم موسيقى أجنبية عن العرب . هنالك موسيقى فحسب ، إنك إذا شددت وترًا على لوح من خشب رقيق ثم نقرته وأنت في مدينة بيروت مثلا ، وبعدئذ حملت هذا الوتر المشدود على ذلك اللوح إلى الصين ونقرته هنالك كما كنت قد نقرته

أن أبدأ هذا البحث ببدءا خفيفاً في ظاهره .

أحب

حينما أبدأ ، في أول العمام المدرسي ، درس « تاريخ العلوم عند العرب » في الصف الأعلى من كلية الآداب وفي الصف الأعلى من المرحلة الثانوية - أبدأ بالحملة التالية : ليس هنالك علم عربي وعلم غير عربي . هنالك علم واحد ، وهنالك فلسفة واحدة : علم وفلسفة إنسانيان ؛ ولكننا نحن نقول : علم يوناني وفلسفة يونانية لذلك العلم ولهذا الفلسفة المدونين بلغة يونانية .

إن فيثاغورس اليوناني (ت ٥٠٣ ق م) يقول عن نفسه ؛ إنه أخذ كتاب توصية من التورانس (الحاكم المستبد) في جزيرة ساموس إلى فرعون أحمرسو الخامس (٥٧٠ - ٥٢٦ ق م) حتى يستطيع أن يدخل إلى الهيكل ويتعلم من الكهنة المصريين . ثم إن الشكل الهندسي المشهور باسم « نظرية فيثاغورس » ، ولفظه : « إن مساحة المربع المنصوب على وتر المثلث القائم

(*) ألقى البحث في الجلسة العاشرة من مؤتمر الدورة الثامنة والأربعين في ٨ من جادى الأولى ١٤٠٢ هـ ، الموافق

٣ من مارس ١٩٨٢ م

في مدينة بيروت ، فهل يختلف نغمه ذلك من نغمه في مدينة بيروت ؟

والقول الصواب : إن هنالك أنغاما ألفها العرب فسميت أنغاما وألحانا عربية ، بينما ألف الهنود أنغاما وألحانا أخرى ناشئة من نقر الوتر الواحد فسميت ألحانا هندية . وليس هذا القول قولي أنا ، بل هو قول قد ورد في رسائل إخوان الصفا . أما المثل الذي أريد أنأنا أن أقدمه فهو : أن جماعات من العرب أنفسهم قد أصبحوا يألفون ألحانا كانت تسمى أجنبية من فرنسية وإنكليزية وأميركية وزنجية ، ثم أخذوا يرقصون عليها أو يطربون لها طربا أكثر مما كانوا يطربون لألحان قالوا عنها من قبل إنها عربية ، وقد أحب موسيقار مشهور أن يفتخر فذكر - أو ذكر قوم عنه - أنه «يطعم» أغانيه بألحان يونانية . غير أن هذه الألحان التي سموها يونانية لا يمكن أن تلاثم الأغاني العربية إنما هي في الأكثر ، وفي حالها الراهنة ، قد تحدرت من ألحان تركية تحدرت هي بدورها من ألحان فارسية متأثرة بالغناء العربي الإسلامي .

ثم أراني أكاد أقول : ليس هنالك لغة عربية ولغة غير عربية . هنالك لغة واحدة مرت في كل أمة في ثلاثة أطوار من الطور الأول الطبيعي المنطقي والقائم على الحركات والأصوات إلى الطور الثاني الاجتماعي الذي أخذ فيه كل قوم يجعلون لتلك الحركات

ولتلك الأصوات الأولى معاني لم تكن لها في الطور الأول . ثم يأتي الطور الثالث الغنائي أو الموسيقى حينما يحاول الناس أن يغلّبوا سهولة اللفظ أو عدوبته على القاعدة الجازمة ، إذا كان في تلك القاعدة الجازمة شيء من الجفاف أو من العسر أو التنافر في اللفظ .

وفيما يلي عدد من الأمثلة على غاية من الإيجاز :

١ - من الطور الأول الطبيعي المنطقي :

لا يزال كثير من الناس إذا التقوا بأناس آخرين - وكان بعضهم لا يعرف لغة بعضهم الآخر - حاولوا أن يتفاهموا بعدد من الحركات (كما يتفاهم الخرس فيما بينهم فيقصون أخبارا وحكايات أو يعالجون أمور السياسة بطريقة تدعو الناس القادرين على النطق إلى شيء كثير من العجب) . وكذلك لا يزال عندنا جميعا بقايا من تلك الأصوات في طورها القديم يتفاهم بها الصغار والكبار ، كأصوات الزجر والحض والاستحسان والاستهجان وما إلى ذلك . وأحب هنا أن أذكر من لغة الصغار صوت «نن» أو «ننى» بمعنى الطعام . ولفظ «نان» (بألف مفخمة) يدل على الحبز في اللغة الفارسية .

٢ - من الطور الثاني الاجتماعي :

حينما يطالع أحدنا شيئا من اللغات الشمالية في أوروبا (كالدانمركية والأسوجية والنرويجية) وهي لغات لم تفترق إلا

مشكلة قائمة بنفسها ؛ كيف نلفظها إذا سبقتها
أداة تنكير أو أداة تعريف ثم كانت هي
مفردا أو جمعا .

وفي الإيطالية نحو عشرة أشكال لأداة
التعريف لا أخوض الآن في أوجه الاختلاف
بينها .

أما إذا نحن وصلنا إلى أداة التعريف في
اللغة الألمانية فحدث عن الأرض والبحر والجو
ولاحرج . إن أداة التعريف في اللغة الألمانية
تتقلب في صور كثيرة لتلائم الاسم الذي
يأتي بعدها في أحواله المختلفة إذا كان مذكرا
أو مؤنثا أو مفردا أو إذا كان جمعا . ونعود
إلى هنا الاسم نفسه لئلا نراه من حيث إعرابه ؛
في حالة الرفع أو النصب أو الجر أو الإضافة ،
ففي اللغة العربية إعراب واحد للاسم
المجرور وللإسم المضاف إليه ، أما في الألمانية
فللجر علامة وللإضافة علامة أخرى . ثم
تبدو في ذلك كله مشكلتان أخريان : إن
حركة الجر في الاسم المؤنث المجرور غير
الحركة التي تظهر على الاسم المذكر المجرور
ثم تختلف أواخر الكلمات (في تلك الأحوال
المختلفة من الإعراب والتصريف) عند
التنكير وعند التعريف . وأنا لأريد أن أطيل
عليكم حتى أستوفي الكلام على ثمان وأربعين
حالة للاسم في اللغة الألمانية . ومع ذلك فإن
الطفل الألماني لا يشكو من النحو في لغته ،
كما يشكو اليوم نفر من كبارنا من النحو
العربي . ولقد أخذ نفر من العرب - مع

في مطلع القرن العشرين للميلاد -
يجد أنها لا تكاد تفرق إلا في أشياء
يسيرة من صيغ الكلمات ثم في كثرة
الإعراب في بعضها أو قلته في بعضها
الآخر - أما السبب الأساسي في افتراقها ؛ وإنما
جاء من العنصر الاجتماعي الذي جعل
للصوت الواحد فيها من قبل أوجه مختلفة
من الأداء عند التلفظ بها .

ويجدر بالعرب أن يشكروا الله تعالى على
أن عندهم « لا ما » للتعريف واحدة تدخل
على الاسم المذكر وعلى الاسم المؤنث في
الإفراد وفي الجمع . ومع ذلك فإن نفرا
مننا لا يستطيعون . أحيانا أن يفرقوا بين اللام
القمرية واللام الشمسية . أما إذا نحن أتينا إلى
اللغة الآيسلندية - تلك الجزيرة المتطرفة في
الشمال الغربي من قارة أوروبا - فإن أداة
التعريف وحدها تحتاج عندهم إلى كتاب
كامل .

في اللغة الإنكليزية أداة واحدة للتعريف
في صورة هجائها ، ولكن لها لفظين : لفظا
إذا هي سبقت اسما يبدأ بحرف صحيح ثم
لفظا آخر إذا هي سبقت اسما يبدأ بحرف علة .
وفي اللغة الفرنسية ثلاث أدوات للتعريف :
واحدة تدخل على الاسم المذكر المفرد
وثانية تدخل على الاسم المؤنث المفرد وثالثة
تدخل على الاسم إذا كان جمعا . ثم تكثر
مشاكل لام التعريف في اللغة الفرنسية إذا
هي دخلت على اسم يبدأ بحرف علة أو بالهاء .
ولكلمة عظم (مفرد عظام) في اللغة الفرنسية

الأسف الشديد - يجرون الأسماء الخمسة
أو بعض الأسماء الخمسة ، مجرى واحدا في
الإعراب . ونحن نشكر الله على أنهم لم يعرفوا
الاسم السادس .

وفي هذا الطور الثاني الاجتماعي افرقت
معاني الكلمات باختلاف مواطن المتكلمين
فأصبح لكل لفظ عند كل قوم معنى مستقل
إن لفظة « بور » العربية الدالة على الأرض
غير المزروعة تدل في اللغة الهولندية على
« الفلاح » (بتشديد اللام) وكذلك لفظة « نور »
التي تدل في اللغة العربية على الضوء والضيء
واللمعان تدل في اللغة الألمانية على الاكتفاء
ويقابلها في العربية كلمة « فقط » وفي
الألمانية لفظ هو شبابت (بترقيق الفتحة
على الشين وتسكين الياء والتاء : spät)
ومعناه « التأخر » يدل في اللغة الألبانية (بالباء
مكان الميم) على الاستعجال (طلب السرعة
من الآخرين) .

واللفظ « تير » يدل في الإنكليزية
على « الدمع » وفي الألمانية على « الحيوان » وفي
الفرنسية على « إطلاق النار » وعلى « الجذب »
وعلى غير ذلك ، « والریم » في اللغة العربية
هو الغزال الأبيض والمحجوب الحميل ، كما
قال شوقي :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمی فی الأشهر الحرم
أما في الفرنسية فإن كلمة « ريم » معناها
« القافية » (في الشعر) والاستشهاد على هذا

الباب من اللفظ الواحد في اللغات المختلفة
شرحته يطول .

غير أني أحب أن أورد هنا اختلاف
المفسرين في موقفهم من عدد من الكلمات
وردت في القرآن الكريم ، أعربية هي أم
غير عربية ، مثل : درهم ، دينار ، قنطار
عليون ، كرسى ، جهنم . إن نفرا من المفسرين
جمعوا بين المذهبين فقالوا : هي كلمات
غير عربية في الأصل ، ولكن لما جرت على
اللسان العربي في صيغ عربية أصبحت عربية
كالكلمات العربية الأصيلة سواء بسواء .

٣ - من الطور الثالث الفناني أو الموسيقى :

ولما استقرت اللغة على قواعدها المنطقية
الطبيعية (في طورها الأول) ثم على المعاني
الاجتماعية للكلمات (في طورها الثاني) -
وهذا ما نسميه « مجازا » ، كإطلاق لفظ
« الشمس » مثلا على المرأة الحميلة ، وهو
في المعجم اسم للجرم السماوي المنير الذي
نراه من أرضنا نهارا - وجد العرب في
لغتهم العربية ، كما وجد آخرون في لغاتهم
أن عددا من القواعد المنطقية يفقد اللغة
شيئا من السهولة في اللفظ ومن العذوبة
عند التكلم ، فلعجأوا إلى قوانين الغناء أو
قواعد الموسيقى يطبقونها على كلامهم ثم
بخالفون في ذلك منطق العقول في سبيل جمال
الألفاظ .

إن الإيطاليين يحبون تضعيف الحروف
فهم يقولون مثلا : فتوريا مكان فيكتوريا
ويقولون فتورا (مكان فكتور factur

الفرنسية) ، ونحن نقول في هذه الكلمة في اللغة العربية : « فاتورة » وأحسب أن الكاف لا تأتي قبل التاء في كلمة إيطالية بينما عدد من اللغات كالفرنسية والإنكليزية والأسبانية يتقبل توالي هذين الحرفين بالرضا .

وعندنا ، نحن العرب ، في الصرف والنحو أبواب عناوينها : الإدغام والإعلال والإبدال والممنوع من الصرف ثم نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة بدل الفتحة . ومن الحق أن تجمع هذه الأحوال كلها في باب واحد يسمى « باب الموسيقى في اللغة » .

نحن نقول ، مثلاً : ضَرَبَ يضرب وعرض يعرض ونزل ينزل وقصد يقصد . ولقد كان من الحق أن نقول : رَمَى يرمى - كما يقول الأحياس - ولكننا اخترنا أن نقول : رمى يرمى . ثم نحن نعتزف أو نقر على أنفسنا بأن عملنا هذا الذي هو « إعفاء الياء من الحركة الخاصة بها » إنما هو لاستثقال الضمة والكسرة خاصة على الياء . نحن نقول مثلاً : لن يَرِمَى ، ولكننا لا نقول : رَمَى . وكذلك نقول : لم يستحى ، ولا نقول لم يَرِمَى كيلا نجتمع في هذه الكلمة ياء وسكونا (أى مدأً ووقفاً أو حركة قصيرة على حركة طويلة كما يقول نفر من الدارسين باللغات الأجنبية) كل هذا لا تفسير له منطقياً إلا أن نقول إن العرب يستسهلون ذلك .

وأريد أن آتي هنا بمثلين على ذلك من القرآن الكريم :
أولاً - إن كلمة « أشياء » ممنوعة من الصرف . واختلف علماء النحو في تعاليل

ذلك المنع من الصرف في « أشياء » اختلافاً كبيراً ، ثم لم يأتوا في جدالهم الطويل بكلام مقنع .

إن هذه الكلمة « أشياء » وردت في القرآن الكريم مفردة غير مضافة مرة واحدة في قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم . . . » (٥ : ١٠٤ سورة المائدة) ، ورأى أن هذه الكلمة منعت هنا من الصرف للموسيقى فقط . ولو أننا صرفناها في هذا الموضع لوجب أن نقول : « .. عن أشياء إن ... » فتتوالى في هذا التعبير القصير ثلاث نونات ساكنة . وهذا يسمى في علم التجويد « الأناة » (كما كانوا يقولون لنا ونحن صغار) ، وهذا مكروه في القراءة .

وأصبح منع كلمة أشياء في هذا الموضع من القرآن الكريم قاعدة أو إضافة على القاعدة في الأصح ، فقال المقنع الكندي (وهو شاعر إسلامي متقدم ، قبل أيام عبد الملك بن مروان قبل سنة ٦٥ للهجرة - ٦٨٥ للميلاد) :

يعاتبني في الدين قومي ، وإنما
ديُونِي في أشياء تُكسبهم حمداً
ثانياً - تبدأ سورة « الشمس » من القرآن الكريم (ذات الرقم ٩١ في المصحف)
بقوله تعالى (بعد البسملة) :

« والشمس وضحاها - والقمر إذا تلاها
والنهار إذا جلاها . . . » (إلى قوله تعالى :

ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها
قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها
كذبت ثمود بطغواها . . . »

ولو أن الآيات الثلاث الأخيرة ، وردت
في النسق التالي :

قد أفلح من زكاها . . . أو قد خاب من
دسساها . كذبت ثمود بطغواها .

لاختلف السجع ثم جاءت أربع عشرة
آية على قافية مؤسسة (يسبق على رويها - على
الهاء في تلك القافية - ألف) وآية واحدة في
ذلك غير مؤسسة . فأبدلت السين الثانية
في كلمة « دَسَسَها » ألفاً للتخفيف ، كما
قالوا ، أي مجازة للقوافي الباقية ، أي
للموسيقى .

ونأتى الآن إلى « كلمة حتى » .

منذ حين جرى ، في إحدى جلسات
هذا المجمع ، بحث في تركيب شاع استعماله
على أقلام نفر من المعاصرين لنا وتقع
فيه كلمة « حتى » وقوعا عنده نفر منا
غريباً في الاستعمال الفصيح . وذلك
مثل قولهم : جاء القوم حتى كبارهم ؛
ومن متابعة النظر في هذا الاستعمال
في عدد من الكتب الحديثة وفي الصحف
ندرك أن هذا الاستعمال ، في تركيبه
الحاضر ، والذي عنده نفر منا غريباً
وخاطئاً ، إنما جاء من النقل (أي من الترجمة)
عن اللغة الإنكليزية لكلمة « even » ومن
الغريب فعلاً أن تكون اللفظة الإنكليزية « even »
واللفظة العربية « حتى » تتقاربان في أمور
كثيرة . فلنبداً بالكلام على اللفظة الإنكليزية :

من الغريب حقاً أن يكون علماء اللغة
الإنكليزية قد وقفوا من كلمة « even »
موقفاً شبيهاً جداً بموقف الحريصين منا
على صفاء اللغة العربية من كلمة « حتى »
فقد جاء في معجم أوكسفورد الكبير
(٣ : ٣٣٣ - ٣٣٦) نحو ثلاث صفحات
ونصف صفحة من القطع الكبير وبالخط
الدقيق ، وكان ما فيها مايلي :

كثُر ورود هذه اللفظة في الكتب الحديثة
وفي تعابير بعيدة عن الاستعمال القديم
المألوف ، وهو استعمال يشبه وجهها من
وجوه استعمال كلمة meme في اللغة الفرنسية .
هذا التعبير (الإنكليزي) الحديث يحمل
معنى هو « ذكر حالة متطرفة من حكم عام » ،
كقولنا مثلاً :

« فلان يجادل حتى في الحقائق البادية
للعيان » .

هذا التعبير (الإنكليزي) ليس موجوداً
في اللغات التيوتونية ، أي في اللغات الألمانية
والهولندية والدمركية وأخواتها . إن اللفظ
نفسه موجود في اللغة الألمانية ، ولكنه
يستعمل استعمالاً فصيحاً وفي غير المعنى
المقصود من الاستعمال الحديث في اللغة
الإنكليزية . ففي الألمانية والهولندية تستعمل
اللفظة « eben » اسماً وصفة للدلالة على
الاستواء (كاستواء صفحة الجدار ، مثلاً)
كما تستعمل ظرفاً بمعنى « الآن » أو « حديثاً »
(في الوقت الحاضر) .

واعترض علماء اللغة من الإنكليز على هذه اللفظة « even » أنها تستعمل في الكتب الحديثة على أنها « حرف ابتداء » .

أما الذي دعاني إلى عقد هذا الفصل - مع مقدمته الطويلة - فيما يتعلق بترائنا اللغوي أو بالتراث اللغوي عامة ، أننا نجد نقرأ من الكتاب المعاصرين لنا يستعملون لفظة « حتى » حرف جر أو حرف نصب (أو حرف جر ينتصب الفعل المضارع بعده بأن مضمره) ثم يستعملونه أيضاً « حرف ابتداء » على غرار ما يرد عليه هذا الحرف في اللغة الإنكليزية .

* * *

ولعل علماء اللغة من الإنكليز لم يكونوا على حق حينما قالوا : إن هذا الاستعمال لكلمة « even » حديث عندهم ، فلقد ورد هذا التعبير عند شكسبير (في مطلع حياة اللغة الإنكليزية ستمائة وأربعاً وعشرين مرة ، وكان فيها أمثلة كثيرة تشبه الاستعمال الحديث لتلك الكلمة عندهم . ثم إننا نجد هذا الاستعمال نفسه اثنتي عشرة مرة في الترجمة الإنكليزية للتوراة والإنجيل) .

ولا أرى فائدة من إيراد الحمل الإنكليزية هنا . ولكن من المفيد أن نعلم أن هذه الكلمة الإنكليزية المقابلة لكلمة « حتى » (في استعمالها المتأخر عن القرآن الكريم عندنا) يمكن أن يحل محلها عندهم : مع أن - لو أن - ولا سيما .

* * *

ونعود إلى كلمة « حتى » عندنا .

هذه الكلمة كانت محيرة للفراء يحيى ابن زياد (ت ٢٠٧ هـ) شيخ النحاة الكوفيين حتى قال - أو روى عنه أنه قال - : أموت وفي نفسي شيء من « حتى » .

ولفظ « حتى » عربي يقابله في السريانية « عدامو » ، وتكون عند السريان ، كما تكون عندنا أيضاً ، حرف عطف وحرف جر .

(أ) فإذا كانت حرف عطف (لاسم على اسم ، لا لفعل على فعل ولا بحملة على جملة) وجب أن يكون بعضها جزءاً مما قبلها ، نحو : « مات الناس حتى الأنبياء » (لأن الأنبياء جزء من الناس) .

(ب) أما إذا كانت « حتى » حرف جر وجب أن يكون للدلالة على الانتهاء إلى غاية . فلا يجوز مثلاً أن يقال : « سرت الليل إلى نصفه » (لأن نصفه داخل في الليل الذي ذكرت أنك سرته) . ولكنك تقول : سرت الليل إلى الفجر (لأن الليل ينتهي بطلوع الفجر) .

أما في اللغة العربية فإن استعمال « حتى » أوسع مدى .

كلمة حتى في العصر المتوالية :

في الجاهلية :

لقد مررت ببصرى على المعلقة السبع
(كما جمعها الزوزنى) وعلى ديوان بشر
ابن أبي خازم (بتحقيق عزة حسن - ونشر
وزارة الثقافة والإرشاد القومي في دمشق)
وعلى ديوان عروة بن الورد (بتحقيق
عبد المعين المالوحي - ونشر وزارة الثقافة
والإرشاد القومي ، دمشق) وعلى ديوان
الأعشى (بشرح محمد محمد حسين - المكتب
الشرقي للنشر والتوزيع ، بيروت ١٣٨٨ هـ -
عام ١٩٦٨ م) . ويجدر بمن يريد التوسع
في هذا الموضوع أن يرجع إلى ما تبقى من
الشعر الجاهلي في غير هذه الكتب التي
ذكرتها هنا .

* تأتي « حتى » في الشعر الجاهلي حرف
جر بمعنى « إلى أن » :

- فمن ذلك أنها تدخل على الفعل الماضي
مطلقاً ، فقد قال امرؤ القيس في معلقته :

ففاضت دموع العين منى صباية

على النحر حتى بل دمعي محملي

وقال بشر بن أبي خازم (ديوانه ١٨٤) :

ولقد خبطن بنى تميم خبطة

.....

حتى سقيناهم بكأس مرة

مكروهة حسواتها كالعالم

- كما تأتي مقيدة بالحرف « إذا » على

أنه أداة شرط ، وعليه قول زهير في معلقته :

رعواظمأهم حتى إذا تم أوردوا

غماراً تفرى بالسلاح وبالدم

ويبدو أن دخول « حتى » على « إذا »

الشرطية كثير ، فقد وردت مراراً في معلقة

لبيد ، من ذلك مثلاً ، قوله :

حتى إذا سلخا جُمادى ستة

جزأ فطال صيامه وصيامها

ومثل ذلك قول الأعشى (ديوانه ٦٧) :

حتى إذ لمع الدليل بثوبه

سُقيت وصَبَّ رواتها أشوالها

- وكذلك تدخل حتى على الفعل الماضي

المقيّد بإذا الشرطية التي تليها « ما » الزمانية ،

كقول الأعشى (الديوان ٢٩١) :

ركدت عليه يومها

شمس بحر شهابها

حتى إذا ما أوقيدت

فالجمر مثل تراها

كلفت عانسة أمو

نأ في نشاط هبابها

وتدخل « حتى » على الفعل المضارع

فينتصب بعدها بحرف النصب المضمّر « أن » .

قال عمرو بن كلثوم في معلقته :

ورثنا الجهد قد علمت معدّ

نطاعن دونه حتى بيننا

وقال عروة بن الورد (الديوان ٣٠) :
وإن جارتى ألوّت رِيّاح بيّتها
تغافلت حتى يستر البيتَ جِنايبُهُ
وكذلك قال بشر بن أبي خازم (الديوان
ص ٥٧) يخاطب ناقته :

لما تخالجت الأهواء قلت لها :

حق عليك دُؤوبُ الليل والسّمَد
حتى تزورى بنى بـلدر فإنهم
شُمّ العرائن لا سود ولا جُعُد
وقال الأعشى فى الغزل (الديوان
ص ١٧٥ - ١٧٧) :

لو أسندت مَيْتاً إلى نحرها

عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس ، مما رأوا :
يا عجباً للميت الناشر

* وتدخّل « حتى » على الحرف المشبه
بالفعل « كأن » . قال بشر بن أبي خازم :

تغالى نبتُهُ واعتمَّ حتى

كأن منابت العَلَجان شامٌ

وقال الأعشى (الديوان ٤٠٩) :

تدلت عليه الشمس حتى كأنها

من الحرّ ترمى بالسكينة قُورُها

* وكذلك تكون « حتى » حرف جر
فتدخّل على الاسم الظاهر فتجره . قال عروة
ابن الورد (الديوان ١٠٢) :

لكل أناس سيّد يعرفونه
وسـيـدنا حتى المات ربيع
فى القرآن الكريم خاصة :

وردت كلمة « حتى » فى القرآن الكريم
نحو مائة وأربعين مرّة :

— وردت خمس عشرة مرة قبل الفعل
الماضى مطلقاً ، نحو : « . . . وقلّبوا لك
الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله »
(٩ : ٤٨) ؛ « ولقد كذبت رسل من
قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى
أتاهم نصرنا . . . » (٦ : ٣٤) ؛ « فقال :
إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى
توارت بالحجاب » (٣٨ : ٨٢) .

— وجاءت أربعين مرة قبل « إذا »
(الشرطية) الداخلة على الفعل الماضى المثبت
نحو : « . . . فما زلتم فى شك مما جاءكم به
حتى إذا هلك قلم : لن يبعث الله من بعده
رسولاً . . . » (٤٠ : ٣٤) ، « ولا تنفع
الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، حتى إذا فزع
عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم . . . »
(٢٣ : ٣٤) ؛ « ويوم يحشر أعداء الله إلى
النار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها
شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون » (٤١ : ١٩ - ٢٠) .

— ووردت « حتى » ثلاثاً وسبعين مرة
قبل الفعل المضارع المثبت فانتصب الفعل
المضارع بعدها بحرف النصب المضمّر « أن »
نحو : « فلا تقعد معهم حتى يخوضوا فى

حديث غيره» (٤ : ١٤٠) ؛ «... حتى يبلغ الكتاب أجله» (٢ : ٢٣٥) ، « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (١٣ : ١١) .

— ووردت مرتين في لفظ واحد ، وجاءت قبل « كان » التامة في الزمن المضارع المنفي ، وذلك في قوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٢ : ١٩٢ و ٨ : ٣٩) .

— وكذلك جاءت حتى حرف جر قبل اسم هو « حين » (ست مرات) ، نحو : « فتول عنهم حتى حين » (٣٧ : ١٧٤ و ١٧٨) و (مرة واحدة) في قوله تعالى : « سلام هي حتى مطلع الفجر » (٩٧ : ٥) .

في المصدر الأول (أيام الخلفاء الراشدين) :
مررت ببصرى على الدواوين التسالية :
مجموع أشعار الهذليين (الجزء الثاني ، نشره يوسف هل ليبزج عام ١٩٣٣) :
ديوان حميد بن ثور (صنعه عبد العزيز الميمنى - القاهرة ، مطبعة دار الكتب عام ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م) ؛ شعر الخطيئة (تحقيق عيسى سابا - بيروت ، مطبعة صادر عام ١٩٥١ م) ، شرح ديوان كعب ابن زهير (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م) ، ديوان عمرو بن معدى كرب (صنعه هاشم الطعان - وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد) ، ديوان حسان بن ثابت (تحقيق سيد حنى

حسين - القاهرة الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٧٤ م) ؛ شرح ديوان الخنساء (بيروت ، دار مكتبة الحياة) .

تكون « حتى » حرف جر يدل على الانتهاء إلى غاية (أى بمعنى : إلى أن) . وتدخل « حتى » بهذا المعنى على الفعل الماضى مطلقاً ، وعلى الفعل الماضى المؤكد بالحرف « قد » ، وعلى الفعل الماضى المسبوق بالأداة الشرطية « إذا » الداخلة على فعل ماض أو على اسم ، وعلى الفعل الماضى المسبوق بالأداة الشرطية « إذا » وبالأداة الزمانية « ما » معاً ، قبل فعل ماض أو قبل اسم متمكن أو قبل صيغة من الصيغ أو قبل ظرف . وتدخل « حتى » أيضاً على الفعل المضارع المثبت أو المنفى فينتصب هذا الفعل بالحرف المضممر « أن » . وتدخل أيضاً على « كاد » من أفعال الشروع . وتأتى أيضاً قبل « كأن » . وكذلك تأتى « حتى » حرف ابتداء (وهذا هو المقصود الأول من هذا البحث) .

وفيما يلي شواهد مفردة على الأوجه التي ذكرت :

— قالت الخنساء (الديوان ٥١) :
فبت ساهرة للنجم أرقبُهُ
حتى أتى دون غَوْرِ النجم أستارُ

— وقال حميد بن ثور (الديوان ٩٥) :
لقد ركبت العصا حتى قدأوجعتنى
مما ركبت العصا ظهري وأظفاري

— وقال عمرو بن معديكرب في صفة الحرب (الديوان ١٥٦) :

الحرب أول ما تكون فتية
تسعى بيزتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها

عادت عجوزاً غير ذات خليل
— قال الحطيئة (شعر الحطيئة ١١٤) :

كأنني ساورتني يوم أسألها
عوداً من الرقش ماتصغى لراقبها

حتى إذا ما انجلت عنى فعدت على
حرف تهالك في بيسد تقاسيها

— وقال الحطيئة أيضاً (ص ١٥٦) :

وكان رجلي فوق أحقب قارح
بالشبيطين تهاقه التعشير

حتى إذا ما الصبح شق عموده
وعلاه أسطع لا يرد منير

أوفى على عقة الكئيب
.....

— وقال أبو خراش الهذلي (مجموع أشعار الهذليين ٢ : ٧٤) :

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً
وأنجو إذا ما خفت بعض المهالك

— وقال احسان بن ثابت (الديوان ص ١٢٣) :

يُغشون حتى ما تهير كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل

— وقال حميد بن ثور (الديوان ٩٤) :

ليت الشباب عليك الدهر مرتجعاً
حتى تعود كثيراً أم صبار

— وقال حسان بن ثابت (الديوان ص ١٠٩) يصف مقتولاً في إحدى المعارك وملقاً أرضاً :

ومجدل لا يستجيب دعوة
حتى تزول شوامخ الأعلام.

— وقال حسان بن ثابت أيضاً (الديوان ص ٢٩٦) :

(يا) خالة لك بين قدس وآرة
تحت البشام ورفغها لم يغسل

تسعى وترقص حول «شيء» حمارها
حتى يكاد يمسها أو يفعل

— وقال كعب بن زهير (الديوان ص ١٤٦) :

طليح من التسعاء حتى كأنه
حمديث بحمي أسارتها سلالم

* وتكون « حتى » أيضاً حرف جر يدخل على الاسم المتمكن ، أو قبل الاسم إذا كان ظرفاً .

— قال حسان بن ثابت (الديوان ص ٢١٥ - ٢١٦) في مديح عثمان بن عفان وأهل الشام :

وقد رضيت بأهل الشام زافرة
وبالأمير وبالإخوان إخوانا

لئن لمهم ، وإن غابوا وإن شهدوا
حتى المات وما سميت حسانا.

– وقال حميد بن ثور (الديوان ١١٧):

فقلت : امكئى حتى يسار ، لو اننا
نحجج . فقالت لى : أعام وقابل ؟

– وقال المتنخل الهذلى (مجموعة أشعار
الهذليين ٢ : ٨٣) :

فالتطّ بالسبرقة شؤبوبة
والرعد حتى برقِ الأحول

** وكذلك جاءت حتى حرف ابتداء
عند الخطيئة (ت ٥٩ هـ - ٦٧٨ م) .
والخطيئة شاعر مخضرم كان فى الجاهلية ثم
أدرك الإسلام وأسلم وعاش بعد ذلك مدة
طويلة . وإذا كانت وفاة الخطيئة فى السنة
التاسعة والخمسين للهجرة فلا يجوز أن يكون
قد عاش فى الجاهلية طويلا ولا أن يكون
قد قال فى الجاهلية شعراً كثيراً . والبيت
التالى أقدم ما مر بى فى هذا المعنى (شعر
الخطيئة ص ١٠٣) :

تركت المياه من تميم بلاقعا
بما قد ترى منها حلولا كراكرا
وحتى سليم قد أبليت شريدهم
ومن قبل ما قتلت بالأمس عامرا

فى العصر الأموى :

لم أجد ضرورة لاستعراض عدد كبير
من الدواوين الأموية للاستشهاد على الأوجه
المختلفة التى ترد فيها « حتى » . إننا نستطيع
أن نقول : إن « حتى » ترد فى الشعر الأموى

فى جميع الوجوه التى جاءت فيها فى شعر
صدر الإسلام الأول . ويبدو بوضوح أن
أصحاب القواميس قد تنبهوا إلى هذا الوجه
الذى عقدتُ أنا هذا الفصل من أجله . ومع
ذلك فقد مررت ببصرى على ديوان جميل
ابن معمر وديوان عمر بن أبى ربيعة .

جاء فى « تاج العروس » (الكويت
٤ : ٤٨٧ - ٤٨٨) :

« حتى » حرف من حروف الجر (مثل) :
« إلى » ، ومعناه « للغاية » . وهو حرف
يخفض . . . (أى) يجر . وقد تكون حرف
ابتداء . وفى « الصحاح » : وقد تكون حرف
ابتداء يستأنف بها الكلام بعدها ، كما قال
(جرير) :

فما زالت القتلى تمج دماءها
بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

وهو قول جرير يهجو الأخطل
(ت ٩٠ هـ) ويذكر إيقاع الحجاف
بقومه . . . وفى « المغنى » : والثالث من
وجوه « حتى » أن تكون حرف ابتداء ، أى
حرفاً تبدأ بعده الجملة ، أى تستأنف ،
فتدخل على الجملة الاسمية . . . كقول
الفرزدق :

فواعجبا ، حتى كليب تسبى
كأن أباهما نهشل ومجاشع
غير أن البيت الذى وقعتُ أنا عليه للخطيئة
أقدم من بيت جرير بجيل من الدهر على

الأقل ، وهو - من هذه الناحية - أجل قيمة في تاريخ تطور الكلام .

وهناك شاهد آخر في شعر عمر ابن أبي ربيعة (ت ٩٥ هـ) يمكن أن يكون أقدم من بيتي جرير والفرزدق ، ولكنه ليس أقدم من بيت الحطيئة ، هو : (شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة الخزومي ، ص ١٥٤ - ١٥٥) :

واقدم عصيت ذوى القرابة فيكم
طراً وأهل الود والصحير
حتى "مئة" لهم إذا اجتمعوا :
أُجننت أم ذا داخل السحر؟

واستعمال « حتى » في هذا البيت يشبهه تماماً الاستعمال الإنكليزي المستغرب عندهم لكلمة « even » (أى إخراج حكم جزئي من حكم عام) ، فبعد أن ذكر عمر بن أبي ربيعة أنه خالف أهل قرابته (من جهة أبيه) وأهل الود (الأصدقاء) والصحير (أقاربه من جهة أمه) ، قال : « حتى مئة لهم » (أى القليل من فعلهم ، بالإضافة إلى ما كان قد ذكره من قبل) .

ولعمر بن أبي ربيعة بيت آخر (شرح ديوان عمر . . . ص ٤٠٠) هو :
ولو أقسمت لا يكلمني حتى
عُمِّرَ نوح بعيشه ما عصاكا

وبعد : من أين جاء هذا الاستعمال المخالف للمألوف من القاعدة العامة ، ثم كان عند

الإنكليز - فيما بعد - يشبه ما عند العرب من قبل ؟ ليس من المقبول أن يكون العرب قد أخذوا ذلك عن الإنكليز (قبل أن يكون في الدنيا لغة إنكليزية) . وكذلك لم يكن من الممكن أن يكون الإنكليز قد عرفوا ما عند العرب من هذا الاستعمال الجانبي لكلمة جانبية .

ولكن يبدو أن هذا الاستعمال عندنا قد تسرب إلى اللغة العربية الفصيحة بالطريقة التي تسرب بها مثله إلى اللغة الإنكليزية ، والتي يمكن أن يتسرب أمثاله إلى كل لغة . ومعنى ذلك أن في كل لغة فصيحة عدداً من التراكيب الشائعة في اللفظ تفرض نفسها على اللغة الناشئة ولا نجد نحن لها في قواعد اللغة تفسيراً واضحاً . هنالك بقايا يسمونها في الفرنسية « غالية » (بتشديد اللام والياء معاً : (gallicisme) ، أى صيغاً وتراكيب من لغة تستعمل في لغة أخرى استعمالاً جانبياً ، أى مخالفاً لقواعد اللغة التي انتقلت تلك الصيغ والتراكيب إليها . ويحسن بنا أن نسمى نحن هذه الظاهرة في لغتنا « الظاهرة الأعرابية » لأن التسمية « ساميات » تسمية خاطئة ولا دلالة صحيحة لها .

من هذه « الإعرابيات » عندنا : « اللهم » و « ليس من مبرّ مصيام في مسفر » .

إن كلمة « اللهم » مجانية لكلمة « الله » في التهجئة . فالشدة في الكلمة الأولى على اللام الأولى ، وأما اللام الثانية فهي للرسم

وليس لها قيمة هجائية . ولفظ الكلمة « الالهَمَّ » . وأما الكلمة الثانية « الله » ، فالشدة فيها على اللام الثانية . وأما اللام الأولى فيختلف فيها صانعو الفهارس ، إن نفرأ من هؤلاء يجعلون اللام الأولى للتعريف فيأتى الاسم عبد الله عندهم بعد عبد الكريم . وهناك من يجعل كلمة الله « لفظاً واحداً » فيأتى اسم عبد الله عندهم قبل اسم عبد الباسط ونرجع إلى كلمة « اللهم » . لأنها وردت في القرآن الكريم خمس مرات ثم هي في هذه المرات الخمس « منادى » ، ولكن لا تسبقها أداة نداء .

وبالرجوع إلى المعجم الكبير (١ : ٤٤٤ - ٤٤٥) نراه يذكر أن نفرأ من النحاة قالوا في تعليل امتناع أداة النداء قبل لفظ « اللهم » راجع إلى أن الميم تنوب عن أداة النداء ، ولكن المعجم الوسيط لا يذكر ذلك في مطلع باب « الميم » .

وفي المعجم الكبير أيضاً أن « اللهم » قد دخلت عليها أداة النداء « يا » في شعر أبي خراش الهذلي . ثم إن هذه اللفظة قد وردت في صيغة ثانية هي « لاهمَّ » ، وهذا يردنا إلى ما سبق إليه قولي من وجوب الشدة على اللام الأولى أو على اللام الثانية .

ولكلمة « اللهم » استعمال آخر يرد في وجهين : أحدهما قبل أداة الاستثناء ، نحو : « هذا القول صحيح ، اللهم إلا إذا كان فلان قد أخبرني الخبر ناقصاً » ، وأعتقد أن هذا الاستعمال صناعي جداً . أما الوجه الثاني ، قبل أداة الجواب ، نحو : « اللهم

نعم ، اللهم لا » فتدل - كما يقول المعجم الكبير - على « تيقن المحيب » . غير أنى أرى رأياً آخر هو أن « اللهم » هنا هي « المنادى » التابع للأصل العام . وأنا أفهم التعبير : « اللهم نعم » على أنه اكتفاء من قولنا : « اللهم ، أشهد أن هذا الإيجاب (نعم) » .

وبالرجوع إلى رسالتي « صورة الإسلام في الشعر العربي من الهجرة إلى وفاة عمر ابن الخطاب » (لبيزغ عام ١٩٣٧ م) نرى أن هذه الكلمة قد وردت في بيت شعر واحد بروايتين (ص ١٣) :

* اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة
فاغفرن للأنصار والمهاجرة
* لاهمَّ إن العيش عيش الآخرة
فاغفرن للأنصار والمهاجرة
وكذلك يقول عمرو بن سليم الخزاعي :
* اللهم إني ناشدُ محمداً *

ولكن هذا البيت يروى في صيغة ثانية « يا رب ، إني ناشدُ محمداً » . هذا بالإضافة إلى أن هذا « اللفظ » ورد (بحسب دراستي السابقة) في السنوات الأربع الأولى من الهجرة وعند شعراء من المدينة .

وشيء آخر :

إن البيت الذي يورده المعجم الكبير لأبي خراش الهذلي :

* إني إذا ما حدث ألتأ *
* دعوت يا اللهم ، يا للهما *

أصله (مجموعة أشعار الهذليين ٢ : ٧٨) :

إني إذا ما لَمَمَ الماء
دعوت : يا للهيم ، يا للهيم
لا همم ، هذا رابع إن تمّا
أتمه الله ، وقد أتمّا
إن تغفر ، اللهم ، تغفر جمّا
وأى عبد لك ما الماء

غير أن هذه الأشطر منحولة لأبي خراش
(راجع ص ٧٥) . غير أنني لا أعرف إذا
كانت هي لغير أبي خراش ثم نسبت إليه ،
أو أنها منحولة بمعنى أنها قيلت فيما بعد ثم
نسبت إلى أبي خراش . ويلفت النظر أن هذه
ستة أشطر ورد فيها اسم الجلالة خمس مرات
في أربع صيغ : يا اللهم - لا همم - الله -
اللهم . ولعل في ذلك شيئاً من الصناعة
النحوية .

في العصر العباسي وما بعده :

ثم كثر استعمال « حتى » حرف ابتداء ،
وقد اتفق أن مررت أنا بعدد من الشواهد ،
ولكني لم أستعرض ديواناً معيناً ولا مجموع
شعر معيناً . وقد لاحظت أن هذا الاستعمال
كان في الشعر الأندلسي أكثر منه في الشعر
المشركي ، أو هكذا يخيل إلي . وسأورد
فيما يلي عدداً من الشواهد لإيرادها بلا تعليق .
إن استنفاد الشواهد ضروري قبل التعليق عليها
فحسب أن يأتي من يجعل ذلك موضوع دراسة
ذات منهج معلوم .

أما الشواهد التي هي بين يدي الآن فهي
التي تلي :

- قال أبو نواس ، وهو شاعر مشركي ،
في الخمار الذي أخذ منه في شرب الخمر جميع
ثيابه : (رمته بالكسر من رام يريم :
تركه ، فارق) :

فأرمته حتى أتى دون ما حوت

يميني ، حتى ريطي وحذائي

- وقال الطغرائي (وهو أيضاً مشركي) :

ببخيلن حتى بإهداء السلام لنا

والبخل فيهن محسوب من الكرم

والأبيات الثلاثة التالية من الشعر الأندلسي

- قال ابن فرج الحياي :

.....

وأستحلي به حتى كروبي

- وقال محمد بن مسعود بن أبي الخصال

(الذخيرة ، بيروت ٣ : ٧٩٤) :

تقدح الأيام حتى

في المودات القديمة

- وقال أحمد بن جعفر :

طرب ثني حتى الحماد ترثجاً

وأفاض من دمع السحاب أعينا

أرجو أن أكون قد كشفت في هذه

العجالة عن جانب من التراث اللغوي العام

الذي لا يخص لغة دون لغة ، بل هو عام

في اللغات كلها .

عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان

خصائص العربية في
نظر ابن درستويه
للدكتور محمد بدوي المختون

تقديم :

كان ابن درستويه عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الفارسي اللغوي النحوي المكنى بأبي محمد والمتوفى سنة ٣٤٧ هـ - من ذهب إلى تهذيب اللغة عن طريق آرائه في خصائصها ومذهب في نشأتها .

ولا بد لي من تعرف على اللغة وتطورها وتهذيبها في مدخل يجلي ذلك .

(١) مدخل البحث

يشمل هذا المدخل ثلاث نقاط :

أ - على رأسها : اللغة العربية وعصورها :
اللغة العربية قديمة في التاريخ ، أول من تعلمها إسماعيل من جرهم الذين نزل فيهم وصاهرهم ، فلامس العرب وبلغتهم نطق وصار منهم ، وذهب إلى ذلك ابن عباس وأراد بها عربية قريش التي نزل بها القرآن .

وتكاد الروايات تجمع على ذلك ، كما تجمع على الفصل بين العربية التي نزل بها القرآن وبين عربية حمير وقحطان ؛ كما جاء في أدب الكتاب للصولي : « ... أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل عليه السلام فإنما يعنى اللسان الفصيح الذي نزل به القرآن . وعربية حمير وبقايا جرهم غير هذه ليست بفصيحة ^(١) » كما روى : لبست عربيتنا بعربيتهم ؛ من دخل ظفار حمر . أي ليتكلم بالحميرية .

وقد اختلف في أصلها وواضعها على أقوال أوجزها فيما يلي :

١ - أن الواضع هو الله سبحانه وتعالى أخذنا من الآية « وعلم آدمَ الأسماء كلها » البقرة آية ٣١ وهو قول ابن عباس وارتضاه ابن

فارس في (الصحابي) في باب القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح .

ومذهب أبي على الفارسي الذي يعتبر معاصرا لابن درستويه ، وذلك رأى ابن درستويه أيضا ، والأشعري وأتباعه وابن فورك أبي بكر محمد بن الحسن المتكلم الأصولي الأديب النحوي واعظ أصبهان والمتوفى سنة ٤٠٦ هـ . أما ابن حنى تلميذ أبي على الفارسي فقد استعرض المذاهب في ذلك وناقشها وعلّق على الرأى القائل بأنها حكاية الأصوات المسموعات من حنين الريح ، ودوى الرعد ، وخرير الماء الخ بقوله : « واعلم فيما بعد أنى على تقادم الوقت دائم التنقيح والبحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعى والخوارج قوية التجاذب لى ، مختلفة الجهات . التسفول على فكرى ، وذلك أننى إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرقّة ما يملك على جانب الفكر ... فتوى فى نفسى اعتقاد كونها توفيقا من الله سبحانه وأنها وحى .. وإن خطر لى خاطر فيما بعد يعلق الكف بإحدى الجهتين ويكفها عن صاحبها قلنا به

(١) أدب الكتاب ص ٣١ طبع السلفية .

وبالله التوفيق « (١) .

٢ - أن الواضع البشر ، وإليه ذهب أبو هاشم ومن تابعه من المعتزلة ، فهي اصطلاح إذن .

٣ - أن ابتداءها وقع بالتعليم من الله سبحانه ، وبقاها بالاصطلاح .

٤ - أن ابتداءها وقع بالاصطلاح وبقاها بالإلهام ، وهو رأى ابن إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي المكنى بأبي إسحاق والمتوفى سنة ٤١٨ هـ وهو عكس الرأى الثالث ، إلا أن الثالث أقرب تمشياً مع العقل وسنة الطبيعة من هذا الذى قبله .

٥ - أن الألفاظ دلت بذواتها وطبيعتها على المعانى وهو مذهب عباد بن سليمان الصيرى .

ومن قال قديماً بالتوقيف أفلاطون ، فى حين قال سقراط بالعلاقة الطبيعية بين اللفظ والمعنى . ولهذا نجد ابن جنى فى الخصائص يقول فى باب « أساس الألفاظ أشباه المعانى » : « وهذا موضع شريف نُبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول .

قال الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة فقالوا صرّ ، وفى صوت البازى تقطيعاً فقالوا صرصر . وقال سيبويه فى المصادر التى جاءت على الفعلان إنها تأتى للاضطراب والحركة نحو الغليان .. فقابلوا بتوالى حركات الأمثال توالى حركات الأفعال قال ابن جنى : وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط ، من ذلك المصادر الرباعية المضعفة تأتى للتكرير والزعزعة كالقلقلة .. وكذلك جعلوا تكرر العين نحو فرح وبشر ، فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى ، وخصوا بذلك العين لأنها أقوى من الفاء واللام ... ومن ذلك قولهم : الخضم لأكل الرطب ، والقضم لأكمل اليابس ، فاختراروا الحاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس ... » .

أما الجمهور فجوزوا كل واحد من هذه الأقوال السابقة من غير جزم بأحدها « (١) . ولكل من هذه الآراء أدلته ، وردود عليها . وأمور مترتبة على ذلك ، كوجود اللغة دفعة واحدة ، أو مجزأة ، وتطورها أو عدم تطورها ، وجواز الاشتقاق منها أو منعه إلى أشياء كثيرة من نحو هذا ، وإنى أميل إلى أن فى

(١) انظر الخصائص ٢ / ١٥٢ فما بعدها . والمزهر طبعة صبيح ١ / ٣١ ، ٣٢ والبلغة ص ١١ - ١٥

اللغة عنصرا من الإلهام هو ما يعبر عنه بالحس اللغوى ، يظهر حين النطق ببعض الكلمات نطقا صحيحا من غير الوقوف من قبل على حقيقتها ، وكذلك فى قياس الطفل بعض عمليات التصغير ، والصفات وغيرها .

وقد عرضت هذه الآراء موجزة لما يترتب على ذلك من قيم عملية ، إذ الذين يقولون بالتوقيف يمنعون القلب فى اللغة مطلقا ، فى حين يجوز فيها على القول بالتروفيق والاصطلاح ، وكذلك رتب ابن درستويه القول بإبطال القلب والزيادة والترادف والأضداد فى اللغة ، على أنها إلهام وتوقيف . وكذلك الذين ينفون الصلة الطبيعية بين اللفظ والمعنى يقولون بوقوع الأضداد فى اللغة وهكذا .
والحق أن الكلام فى نشأة اللغة ضرب من الحدس ونوع من الاستطراد .

والعربية تعدّ أقرب اللغات السامية إلى الأصل الذى تشعبت عنه ، ذلك لانعزال أهلها فى جزيرتهم وحرص العربى على لفته وحفاظه على نقائها واعتزازه بها ، إلا أنها بالرغم من ذلك لم تقف جامدة أمام مرّ العصور ، فقد طرأ عليها ما غير معالمها ووسع دائرتها من

ناحية ، وجعلها ثابتة من ناحية أخرى .
وهذا ما جعل المؤرخين لها يقسمونها إلى عصور جاهلية وإسلامية وفروعها فقسما جورجى زيدان إلى ثمانية أدوار منها ثلاثة ترجع إلى الزمن والخمسة الباقية إلى الألفاظ ذاتها . وأرى أن هذه التقسيمات عديدة الجدوى ؛ لتداخل عصور اللغة وإن تبعت فى تطورها الظروف التاريخية والاجتماعية والحضارية ، ذلك لأن التطور اللغوى قد تبدو جذوره فى عصر ما ونتائجه فى عصر لاحق ، كما أن الكسب اللغوى يكون ضئيلا عادة وخاصة فى العربية ، إذ تقابله خسائر من ناحية أخرى (١)

ورغم اعتراضى على تقسيمها إلى عصور فقد ارتضيت تقسيمها إلى الجاهلية والإسلامية حيث كان الإسلام ثورة حقيقية فى كل شئ ، ولبروز أثرها واتساع الزمن فيها مما سمح بالتطور ، على أن الزمن أرفع من المكان فى مرتبة التجديد ، فالخلاف بين جيلين فى مكان واحد أوضح منه بين جيل واحد فى مكانين مختلفين .

والجاهلية والإسلام دوران من أدوارها عند جورجى زيدان . وكانت هناك مظاهر للغة فى

(١) اللغة كائن حى . طبع الهلال ص ٩ ، ٣٣ ، ٣٤ .

هذه العصور منها : دخول الأعجمي فيها ،
والتغيير في بعض الألفاظ ، وسعتها بعوامل
النمو من قبل القلب والنحت والاشتقاق
والقياس والإبدال وما إليها ، وسأتكلم عن
هذه الآثار أوجّلها على الرغم من وجود
الظاهرة الواحدة في أكثر من عصر ، وسأنص
على العصر ما أمكن ذلك ، مع تعداد
العوامل التي دعت إلى هذه الآثار على وجه
التقريب ، من عوامل خارجية وسياسية
 واجتماعية ، وأخرى ترجع إلى اللغة ذاتها
 ووسيلة توارثها . وأخيرا إلى عوامل بلاغية .

(٢) تطور العربية

هذا عن أصلها وأقسامها ، أما عن
تطورها - والتطور سلاح ذو حدين - فأبدأ
بأثر العوامل السياسية والاجتماعية والخارجية
فأجد من ذلك :

أ - احتكاك اللغات وأثره : إذ اللغة ما
هي إلا إنعكاس للضمير البشري ، وهي ظاهرة
اجتماعية ككل ظواهر الاجتماع ، كائن حي
ينمو ويتكاثر ويتولد ، ولهذا تطورت لغتنا في
حدّي التطور بالنقص والكمال النسبيين ، فكان
تطورها مظهرا لتطور الجماعة ، فلم يكن

العرب بمعزل محكم عن الأمم الأخرى ، فقد
تاجر تجار مكة مع الآراميين في دمشق ، ومع
الفرس في الحيرة والمدائن ، ومع سبأ وحمير
في اليمن ، وكانت الآرامية من أهم لغات
النصرانية التي اعتنقها بعض القبائل العربية ،
وكانت منها اللغات الحبشية أيضا^(١) .. الخ
فقد وجد أن نقش النمارة في الحرة شرق جبل
الدروز يتأثر خطه بالخط النبطي و معلوم أن
قريشا أهل تجارة كما حكى عنهم القرآن ،
كانوا يسافرون شمالا إلى الشام والعراق
ومصر ، وجنوبا إلى بلاد اليمن وشرقا إلى
بلاد فارس وما وراءها وغربا إلى بلاد الحبشة
قال تعالى « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة
الشتاء والصيف . فليعبدوا ربّ هذا البيت .
الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »^(٢) .
وكانت الكعبة قبلة الهنود والفرس والأنباط
واليمنيين والأحباش والمصريين ، عدا من نزحوا
إليها من جالية اليهود والنصارى ، فاقتبس
العرب منهم وعربوا وخاصة في القرنين الأول
والثاني قبل الإسلام بنزول الحبشة والفرس
في اليمن والحجاز على أثر استبداد ذي
نواس ملك اليمن الذي كان يهوديا^(٣) ،

(١) اللغة كائن حي . طبع الهلال ص ٩ ، ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) اللغة كائن ص ٣٠ - ٣٢ .

كما قصه القرآن في سورة « البروج » فامتزجت لغة العرب بلغات هؤلاء واستعارت وأعارت ، واقتبست من لغة الفرس أكثر من سواها حتى قيل بفارسية كثيرة من الألفاظ وإن كانت في الحقيقة غير فارسية . وفي فجر الإسلام وقبيله دخلت مصطلحات في أغراض متعددة كالديوان والرزق والمرزبان والفرسخ .

ومن الألفاظ الدينية : الدين والجناح والمجوس والنيروز ، ومن ألقاظ ما يستورد من فارس : الصولجان والمسك والديباج والاستبرق والإبريسم . ومن أقدم ما دخلها من اليونانية : إبليس والقرطاس . أما الألفاظ اللاتينية فدخلت اليونانية ثم أخذتها الآرامية ومنها إلى العربية كالصراط والميل والقصر والقنطار والدينار . ومن طريق الحبشية : الإنجيل ، والقلم ، ومن الفارسية الدرهم ، وبعض ما نظن أنه حبشي جاء عن طريق العربية الجنوبية كخوخة ومشكاة وسكة . وبعض الألفاظ الآرامية دخلت عن طريق الحبشة كقدوس وتابوت وجهنم ، كما دخلها ألفاظ أكادية كالدين بمعنى القضاء والحكم ،

والسبت ، وسطر بمعنى كتب ، والتلميذ والجص ومن السوهرية الهيكل ، والآسى : الطبيب ، والكرسى^(١) وغير ما سبق كثير مما ظهر في شعر الأعشى كقوله :
وعَلالٍ وظلالٍ بارداً
وفليح المسك والشاهسفرن^(٢)

وهو نوع من أنواع الرياحين وهو الملكي وفارسيته شاهسفرم . وقد نزل القرآن - في غالبه - بلغة قريش حيث تضافرت عوامل دينية وسياسية واجتماعية على سيادتها وتوحيد اللغة ممثلة فيها ، كما جرى في أسواق العرب مما يحتاج إلى لغة موحدة فكانت لغة قريش إذ كانوا أهل سدانة البيت والمشرفين على شئون الحجيج من سقاية ورفادة وما إليهما ، ولما لهم من سطوة وقوة ، ولتخيرهم من اللغات واللهجات أحسنها حتى قيل « ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجع قيس ، وعجرفية ضبة ، وتلتلة بهراء »^(٣) فالعننة قلب الهمزة عينا يقولون في أن عن كما في شعر ذي الرمة ، والكشكشة

(١) المصدر السابق ٣٤ - ٣٨ وهامش ٣٥ ، ٣٧

(٢) مختار الشعر الجاهلي ٢ / ٢١٧

(٣) المجالس تحقيق هارون ص ١٠٠ القسم الأول . ذخائر العرب والزهر ١ / ٢١١

ونسبت إلى قبيلة أسد: إبدال الكاف شينا نحو
عليش في عليك وجاءت في شعر المجنون :
فعيناك عينها وساقك ساقها
سوى أن عظم الساق منش دقيق
أو هي إلحاق الكاف بالشين نحو عليكش في
عليك ، والكسكسة نسبت إلى ربيعة وهي
وصل كاف بالسين عليكس . والتلتلة كسر
حروف المضارعة كتعلمون ، والتضجع الإمالة
والخفض . والعجرفية التقعر في الكلام وهي
لغات مذمومة ومنها التكلع والغمغمة
والطمطمانية واللخلخانية والفراتية .

وفي القرآن القليل من اللهجات الأخرى
واللغات نحو الرفث بمعنى الجماع لمذحج ،
وأقيضوا بمعنى انفردوا لخزاعة ، والمسجور :
المتلى لعامر بن صعصعة ، والبغى : الحسد لتميم.
وقسورة : الأسد لأزد شنوءة ... الخ كما جاء
فيه ما وافق اللهجات الأخرى كموافقته
النبطية في « هَيْتَ لَكَ » بمعنى هلم ،
والفارسية في الإستبرق بمعنى الديباج الغليظ
والرومية في الرقيم : الكلب أو اللوح ، أو
الدواة . والسريانية في : سَرِيًا : أي جَدُولًا ،
والحبشية في مشكاة بمعنى الكوة إلى غير

ذلك من لغات ثقيف والعمالة وسدوس وسعد
العشيرة وهذيل وغيرها (١) .

وقد رتبت القبائل حسب نصيبها من
الألفاظ القرآنية ترتيباً تنازلياً فكانت : قريش ،
هذيل ، كنانة ، حمير ، جرهم ، تميم وقيس
عيلان ، أهل عمان وأزد شنوءة وخنعم وطبئ
ومذمج ومدين وغسان . بنو حنيفة وحضرموت
وأشعر ، أنمار وخزاعة وبنو عامر ولخم وكندة ،
سبأ وأهل اليمامة ومزينة وثقيف : وأخيراً
العمالة وسدوس وسعد العشيرة . وهذا
الإحصاء يؤيد أفصحية القبائل التي ذكرها
الفارابي في نصه عن جمع اللغة وهو نص
مشهور ، قال في أول كتابه المسمى بالألفاظ
والحروف : « كانت قريش أجود العرب

انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على
اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ،
وأبينها إيابة عما في النفس . والذين عنهم
نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ
اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس
وتميم وأسد فإن هؤلاء الذين عنهم أكثر ما
أخذ ومعظمه ، وعليهم أتكل في الغريب وفي
الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض

(١) انظر اللغات في القرآن رواية إسماعيل بن عمرو ، رسالة فيما ورد في القرآن من لغات القبائل لأبي القاسم بن سلام على هامش الجلالين
طبع الخليل .

كثافة وبعض الطائنين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا من لحم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرعون بالعبرانية ... (١) .

ب - الإسلام : حدث عنه ولا حرج ، فهو الحدث الأعظم الذي غير مجرى الحياة العربية في عقائدها وعاداتها وسياستها ، شمل هذا التغيير فيما شمل اللغة فوسعها بما جد من مصطلحات شرعية كالناسق والمنافق والصلاة والزكاة والحج وغيرها مما صار حقيقة شرعية له مفهوم خاص في الإسلام فليس المفلس الذي عليه كذا وكذا أو الذي لا يملك كذا ، ولكنه قيس بمعيار الإسلام فهو الذي ليس له حسنات الخ . كما أمات الإسلام ألفاظا جاهلية كالمرباع والنشيطه والفضول بمرت معانيها ، وقد جاءت في الشعر الجاهلي :

لك المربع فينا والصفايا

وحكمك والنشيطه والفضول

أشياء يصطفياها الرئيس لنفسه دون القوم ، وقد أبقى الرسول بعض الصفايا ، وكذلك « آبيت اللعن » لأنها تحية الجاهلية أي آبيت أن تأتي ما تلعن عليه على سبيل الدعاء ، عم صباحا أو مساء وأبدلهم منها بالسلام . كما فرق الرسول في حديث له بين تحية الموتى وتحية الأحياء . فكان التغيير إذن في المفردات والأساليب على السواء ، بل حرم الشعر الدينى عند العرب وروايته فلم يبق منه إلا ما اتفق وروح الإسلام ، كما في شعر أمية بن أبى الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الإيادى ، ومن على شاكلتهم من المتحنفين ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قصيدة الأقره الأزدي التي مطلعها :

إن ترى رأسى فيه تزج

وشواتى خلة فيها دوار

لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام . واستدعت العلوم العربية المستحدثة ، والإسلامية بطبيعتها مصطلحات كالسجود والركوع والإيلاء والظهار والتعزير والإباق الخ ومصطلحات لغوية مما في النحو والعروض والإعراب كالرفع والتصب والحفض ، والبلاغة

(١) الزهر تحقيق أبى الفضل ٢١١/١ ، ٢١٢ .

من مجاز وحقيقة وغير ذلك مما اقتضته
الدواوين ورسوم الملك كالكتابة والحجابه
والإدارة والحسبة والحجابه والحراج والتوقيع
وهذا قلّ من كثر .

ولم يقف أثر الإسلام عند الحد من ألفاظها
في ناحية ، والتوسع في ناحية أخرى ، فقد
دأب الرسول صلى الله عليه وسلم على تغيير
الألفاظ المستقبحة إلى ألفاظ أضدادها ،
ومعلوم بدهة أن التغيير استغرق زمنا حتى
رسخ في الأذهان واعتادته الألسنة بل ربما بقي
الأصل وبديله ، القديم والحديث جنبا إلى جنب ،
فسميت يثرب المدينة لأنها من التثريب واللوم
(تاج العروس : ثرب وطيبة) وجاء وقد قال
لهم النبي من أنتم فقالوا: بنو غيان، فقال :
بل أنتم بنو رشدان . وقال سعيد بن المسيب
أراد النبي أن يغير اسم جدى ويسميه (سهلا)
فأبى وقال لا أغير اسما سماني به أبى فما
زالت فينا تلك الحزونة بعد (القاموس: ابن
حزن) . وراشد بن عبدربه السلمى كان اسمه
(غاوى بن عبدالعزى) فسماه النبي راشد بن
عبدربه . وقبيلة « بنو الزينة » وفدوا على
النبي . . فقال لهم بل أنتم بنو الرشدة ،
وسمى زيد الخليل يزيد الخير، وكرهت

التسمية ببعض الألفاظ قال الكميت :

فأما الأزد أزد أبى سعيد

فأكره أن أسميها المزونا

كما غير العرب بعض الألفاظ من أجل

التطير ، فحولوا (الدفينة) إلى (الدثينة)

قال النابغة الذبياني :

وعلى الرميثة من سكين حاضر

وعلى الدثينة من بنى سيار

يروى وعلى الدمسينة ، والدثينة بزينة

الدفينة وهى منزل لبني سليم^(١) .

ج - جمع اللغة وسعة اللهجات : ظلت

الأمة العربية متعصبة فى أيامها الأولى

وخاصة عند الأمويين إلى أن جاءت دولة

العباسيين فقامت على أكتاف الفرس فى

بدها والأتراك فى آخرها ، وقام الصراع

بينهم خلالها ، فتوغلت الحضارة الفارسية

بمستحدثاتها وتطورت اللغة ، وجاء جامعو هذه

اللغة فوجدوا أنفسهم أمام لغة موحدة هى لغة

قريش ولهجات أقوام يحيطون بها فجمعوا كل

ما سمعوه ولم يفرقوا بين لهجة ولهجة ، ولا

بين قبيلة وقبيلة إلا من حيث احتفاظها

(١) أنظر شرح شواهد المغنى ١٠٨ وتاج العروس : زنى ، مؤن فالزون قرية بعمان يسكنها اليهود والملاحون ، وتاج العروس : ذنن ومعجم ما
استعجم ٩٢٥/٣ ، ٥٤٣/٢ ومعجم البلدان ٢٦/٤ ، ٢٧ .

بنقاء اللغة وعدم مخالطة الأجانب أو لصفاء لغتها وتخير ألفاظها كما في لغة قريش وقد مضى نص الفارابي في ذلك من قبل . وقد شغفوا بتقديس اللغة وادعاء اتساعها حتى قال الشافعي : كلام العرب لا يحيط به إلا نبي . ذلك القول الذي استحسنته ابن فارس في الصحاح^(١) . بل ذهبوا يتفاخرون بذلك قال ابن فارس في باب أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها : « . . . وإن أردت أن سائر اللغات يبين إبانة العربية فهذا غلط ، لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب »^(٢) ثم نقل كلام بعض العلماء عن الاستعارة والتمثيل في القرآن وأنه لا يمكن نقله إلى لغة أخرى لهذا . وما نقله ابن فارس هو في الحقيقة لابن قتيبة فقد تناوله في مشكلة . ثم ضرب ابن فارس الأمثلة المختلفة لما اختصت به لغة العرب من قلبهم الحروف عن جهاتها ، وتركهم الجمع بين الساكنين والإدغام والترادف الذي ألف العسكري بسبب منه كتابه «الفروق

اللغوية» وبعض التعبيرات الخاصة بهم ، مما عده العرب مييزات وخصائص للعربية ، وعده الطاعنون عليهم من عيوب اللغة مما انتهزه الشعريون أيما انتهاز فعابوا على اللغة هذا الترادف والقلب والتضاد وما إلى ذلك ، وقد جاء مثل ذلك الفخر بسعة العربية وفضلها عن أبي حيان في مقابساته : المقابلة ٨٨ وبمعيار العلم الحديث لا تفضل لغة لغة إلا بمقدار وفائتها بحاجة أصحابها ، وهذا ما حدا ابن درستويه إلى رأيه في هذه الخصائص . فمما يدل على تمسكهم بغنى العربية ذلك السيل الجارف من الترادف الذي أهمل كثير من أسبابه الأساسية ، ونظر فيه إلى الألفاظ بحالتها الراهنة دون ما نظر إلى التطور اللغوي وما بين الألفاظ من فروق قد نسيت ، مما جعل اللغة تسير من ظاهرة التخصيص والدقة إلى ظاهرة التعميم في المفهوم والمضمون . وسار العلماء في هذا المضمار تكثراً وحذاراً من أن يقال أهملوا شيئاً مما أثبتته السابقون فانظر مقالة ابن الأتباري وأبي حاتم السجستاني والصاغانى^(٣) كما رأى ابن السيد

(١) ص ١٨ .

(٢) ص ١٢ فما بعدها .

(٣) رسائل الصاغانى منخروط رقم ٣٣٦ لغة تيمور ص ٢٢١ ، ٢٤٥ وأضداد الأتباري ص ١١ .

فى الاقتضاب شرح أدب الكاتب ، رغبة فى التزىد أن القول بإبطال الأضداد كلام لا يصح أن يتشاغل به ، وهى نزعة جمود حرمتنا من آراء تراثية قديمة لو نقلها على عهدنا قائلها لأفدنا منها الكثير، وقد كرر هذه النزعة عند مناقشته لابن جنى فى القضم والخضم قال : « فإذا كان الأمر على هذا السبيل كان التشاغل بما تشاغل به ابن جنى عناء لا فائدة فيه » (الاقتضاب ص ١٥٨ ، ١٦٢) فتزعته إذن - رغم سعة علمه وفضله - التكثر من الأضداد والجمود على القديم ومحاربة الجديد والاعتراض دون إقامة الدليل إلا جوابه التقليدى السلبى « لا يصح التشاغل به » فالمحافظون وقفوا فى سبيل التجديد وقد صرح ابن درستويه بالاعتداء بالسابقين وإن كان عن غير اقتناع فقد قال : « وقد ألحق بعض ذلك قوم من النحويين بكتبهم فى الهجاء وإن لم يكن مما يلحق بها ، فرأينا ألا نخلى كتابنا هذا من طائفة مما ذكروا وما تركوا مما يجرى ذلك المجرى » (١) .

دعا العلماء إلى ذلك حب التفاخر وأرادوا

إهمال الدارسين لكتب من قبلهم لتسود كتبهم ، وإلى جوار ذلك كانت نزعة القول بضياع كثير من اللغة قال ابن فارس فى باب القول على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها وأن الذى جاءنا عن العرب قليل من كثير ، وأن كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله :

« ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أن الذى انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل » (٢) وعقب على ذلك بالاستحسان وضرب الأمثلة . وهاتان النزعتان ، نزعة التكثر والجمع للغة ، ونزعة الذهاب إلى ضياع أكثرها جعلتا العلماء يتلمسون ما ذهب من اللغة وكان لهم من هذا خير ملجأ يلجئون إليه فى تعليلهم ما يقولون كما فعلوا فى تناولهم لفظ الجذف والجذث (٣) . بل أول بعضهم اللغة نفسها وألفاظها لتمشى مع فهمهم المجانب للصواب قال ابن قتيبة عند تفسير قوله تعالى « وذا النون إذ ذهب مغاضباً » الأنبياء آية ٨٧ : « قال أبو محمد : يستوحش كثير من الناس أن يلحقوا بالأنبياء ذنوباً ويحمله التنزيه لهم عليهم السلام على مخالفة كتاب الله

(١) كتاب الكتاب له ص ٧٦ - الطبعة الثانية

(٢) الصحاح طبع السلفية ص ٣٤ .

(٣) تاج العروس : جذف

واستكراه التأويل ، وعلى أن يلتمسوا
للألفاظ المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التي
لا تخيل عليهم ، أو على من علم منهم أنها
ليست لتلك الألفاظ بشكل ولا لتلك المعاني
بلفق» (١) .

د - أثر المذاهب والأفكار : كما كان
لاختلاف الأفكار والمذاهب الإسلامية أثرها
كذلك في اللغة ، فالأندلسيون يسمون النرجس
البهار واسمه في اللغة : العَبْهر . والزمخشري
يمثل المعتزلة يرى أن جعل بمعنى خلق ، ففي
الأساس له : جعل الله الظلمات والنور :
خلقهما ، وأرادها بهذا المعنى في خطبة
كشافه (٢) كما جعلوها أيضا بمعنى بين لا
بمعنى فعل ، قال الشاعر :

جعلنا لهم نهج الطريق فأصبحوا

على ثبت من أمرهم حيث يَمُّوا (٣)

وجعل الزمخشري « لن » للنفي مع التأكيد
والتأييد ، توصلا إلى نفي رؤية الله تعالى
وفي تاج العروس : لن : « ... ولا تفيد
توكيد النفي ولا تأييده خلافا للزمخشري فيها
في قوله تعالى « لَنْ تراني » وهما دعوى بلا

دليل ، وفيه دسياسة اعتزالية ، حملته على
نفي الرؤية على التأييد ، ولو كانت للتأييد لم
يقيد منفيها باليوم في قوله تعالى « فلنْ أكلّم
اليومَ إنسيًا » مريم آية ٢٦ وكان ذكر الأيد
في قوله تعالى « وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أبداً » البقرة آية
٩٥ تكرارا والأصل عدمه .

هـ - الحياة والموت في اللغة : سبق شيء من
ذلك في الكلام عن أثر الإسلام واللغة ظاهرة
اجتماعية يعترها ما يعترى الأحياء من صحة
أو اعتلال وموت ، فقد هجرت على مر الأيام
ألفاظ ولغات ورفضت أصول لبعض الكلمات ،
وأباحوا للشاعر عند الضرورة مراجعة هذه
الأصول المرفوضة . هذا وغيره زاد العربية
وآدابها تعقيدا ، فقد كان بعض النحاة يرى أن
الكلمة تروى على ما هي عليه وأن ذلك أيسر
من الرجوع إلى الأصل ، فقول الشاعر :

أرى عيني ما لم ترأياه - يقول فيه الزجاج إنه
ردّ إلى أصله ويرى المازني أن يروى بغير همز
تخفيفا : ما لم يرياه - لأن ارتكاب الزحاف
عنده أيسر من الرجوع إلى الأصل . فاستعمال
الأصل المرفوض عندهم داخل في باب الضرورة

(١) القرطبي للكناني ٢١/٢ ، ٢٢ طبعة أولى للناجي
(٢) حياة الحيوان للدميري ١٥٨/١ تقلا عن تاريخ ابن خلكان وغيره .
(٣) ظهر الاسلام ٤٢ .

كقول الشاعر : وصاليات ككما يؤثفين (١) -
وكذلك قول له رؤية : بلالُ خيرِ الناسِ وابنِ
الأخير - وعلياً . وجد ابن جنى قراءة « الأشر »
بتشديد الراء « سيعلمون غدا من الكذاب
الأشر » وقال إنه الأصل المرفوض (٢) .
واماتت العرب ماضى يدع ويذر ولم تستعمل
المصدر من الأفعال : نذر بالشئ وعسى
وليس استغناء عنها بأن والفعل (٣) كما أميت
الثلاثى من اكلأز (٤) وقللت من استعمال حبّ
وأكثرت من أحب ، ثم أبقت « محبوب »
دلالة على حبّ الثلاثى .

كل هذا عقّد قواعد اللغة ، خاصة عندما
قعدت القواعد بعيدة عن أصلها اللغوى ،
ودارت الفصاحة عندهم على كثرة الاستعمال ،
فكانت القواعد للموجود دون المفقود مع أن
المفقود قد يكون هو الأوضح ، كما رأى ابن
درستويه ذلك أخذاً من مدلول لفظ « الفصاحة »
فالعرب عنده قد تستغنى بفصيح عن فصيح
آخر ، بل إنها أى الفصاحة عنده ما أفصح عن
المعنى واستقام لفظه على القياس وهو مذهب
قد انفرد به ، كما أن هناك عوامل بلاغية

أثرت فى اللغة منها :

المجاز ، وأعنى هنا معناه العام ، فثمت
نصوص تشير إلى أن العرب لم يفرقوا بين
الحقيقة والمجاز ولم يقسموا لغتهم إلى حقيقة
ومجاز الا فى عصر متأخر قال ابن تيمية :
فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما
اشتهرت فى المائة الرابعة ، وظهرت أوائله فى
المائة الثالثة ، وما علمته موجوداً فى المائة
الثانية ، إلا أن يكون فى أواخرها (٥) . ومن
أجل هذا حدث خلط بين الحقيقة والمجاز حيال
القرآن نفسه وأحاديث الرسول فحينما نزل قوله
تعالى « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ . » روى
عن عدى بن حاتم قال : عمدت إلى عقالين
أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي فنظرت
إليهما فلم يتبين لى الأبيض من الأسود
فأخبرت النبى عليه السلام بذلك فقال : إنك
لعريض القفا ، أى سليم القلب ؛ لأنه مما يستدل
به على بلاهة الرجل وقلة فطنته - إنما ذلك
بياض النهار وسواد الليل (٦) ومن أجل هذا
ونظائره نجد أبا عبيدة على حق فى

(١) شرح شواهد المعنى ١٧٢ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ (٢) المحتسب المخطوط ٣٠٨ (٣) المصدر السابق ١٧٧
(٤) تاج العروس : كلمة (٥) فى القول ص ٦٩ نقلا عن كتاب الأيمان لابن تيمية ، وانظر المجمع العلمى المجلد ٣١ ج ١ / ١٢٣ ، ١٢٤
(٦) تفسير السفى ٧٥/١ البقرة آية ١٨٧

وضعه كتاب « مجاز القرآن » والرضى فى
المجازات النبوية ؛ فقد ضحك الصحابة حينما
جاءت الرسول امرأة مسنة فقالت إني يتيمة ،
فرد عليهم الرسول ضحكهم وقال كل النساء
يتامى ، أى ضعيفات ، ذلك لأن الحقيقة كانت
تتبادر إلى الذهن دون المجاز ومن ثم احتاج
المجاز إلى القرينة . وفى خبر الحجاج مع ليلى
الأخيلية أنه حينما أنشدته قصيدة لها وبلغت
أحد أبياتها قال له الحجاج : قاتلها الله ، ما
أصاب صفتى شاعر منذ دخلت العراق غيرها ،
ثم قال يا غلام : اذهب بها إلى فلان فقل له :
اقطع لسانها قال فذهب فقال له : يقول لك
الأمير : اقطع لسانها فأمر بإحضار الحجام
فالتفتت إليه وقالت له : ثكلتك أمك أما
سمعت ما قال : وإنما أمرك أن تقطع لسانى
بالصلة والبر . فبعث إليه يستبينه فاستشاط
الحجاج غضبا وهم بقطع لسانه (١) . وحسبك
أن هذا حدث فى العصر الأموى الذى كان
شديد التعصب للعرب والعربية ، مع أن
العرب ورد عنهم من المجاز الكثير ، وتناقله
عنهم الرواة ، وظهر واضحا فى الشعر والأدب

فقد أنشد العسكرى فى كتاب الأوائل :
يَسْتُونُ آبَالَهُمْ بِالنَّارِ
والنارُ قد تَشْفِي من الأوأر
وقالوا نارها نجارها . (٢) كما نشأت
أساليب اتسع فيها ، فتنوسى أصلها وكانت
لمناسبات خاصة ، من ذلك « رفع عقيرته
بالغناء » وأصل ذلك أن رجلا قد عقرت رجله
فكان يضعها على الأخرى راحة لها ويغنى ،
ف قيل هذا التعبير فى الغناء، ومثل ذلك ما كان
يرتبط بالعادات العربية القديمة ، فقد كانوا
يقولون للمعرس : بان ، وقد بنى بأهله . (٣)
وحسبك أن تتبع الألفاظ : الراوية ، الوغى ،
القحبة ، النجو ، الغائط ، الظعينة ، المجد
... الخ (٤) لتدرك تطور اللغة وأن كل كلمة
تحمل معها تاريخها ، مما ينبىء عن احتياجنا
إلى المعجم الكبير . ونحن أمام هذه الألفاظ
والتعابير بين أمرين : العلم بأصلها أو الجهل
به ، فمما نعلم مبدأ استعماله الكناية فأول
من سبق إليها فى الشعر الجعدي بقوله :
أكنى بغير لاسمها وقد علم اللد خفيات كل
مكتتم (٥)

وقد تقدم عمر بن الخطاب الأ

(٢) المصدر السابق ١٠٨
(٤) تاج العروس : روى والصناعتين ٦

(١) المجلس والائيس مخطوط المجلس الحادى عشر وشرح شراهد المغنى / ٢٠١
(٣) درة القواص ٤٥ أو المنتخب من كنايات البلغاء للجرجاني ١٦
(٥) شرح شراهد المعنى ٢١٠

يشبّب رجلٌ بامرأةٍ إلا جلده فكنى حميد بن ثور
 عن المرأة بالسَّرْحَةِ في شعره فقال :
 أبى الله إلا أن سَرَحَ مالك
 على كل أفنان العضاء تَرُوقُ
 وهل أنا إن علّلت نفسي بسَرْحَةٍ
 من السَّرْحِ مأخوذ على طريق^(١)
 و « مات حتف أنفه » وهم كأسنان
 المشط^(٢) من قول الرسول وأوكياته .
 و « أسقط في يده » تعبير إسلامي .
 والحطيئة أو من قال « أعط القوس باريها »^(٣)
 وخالد بن برمك أول من كنى عن السؤال
 بالزوار، حتى قال في ذلك يزيد بن خالد
 الكوفي المعروف بابن خبيبات الشعر^(٤) وإن
 كان الصولي ذكر هذا الخبر وأسند القول
 للمساور بن التعمان ، لا خالد بن برمك ،
 وذكر شعر زياد الأعجم في ذلك^(٥) . وهذا
 الخبر وإن حمل تضارياً في إسناده يلتقى الضوء
 على مصدر هذه التسمية . وهكذا بشئ من
 الصبر نعرف تاريخ الكلمات ونقف على السر
 فيما عدّ شاذاً ونلمس بُعد نظر ابن درستويه
 في التطور اللغوي ، وأن اللغة كانت بحاجة
 إلى التهذيب وما زالت وحقاً فعَلَّ .

النادرة والمثل :

ولا ننسى أثر النادرة والمثل في اللغة
 فالصيف ضيغت اللبن يقال للمذكر والمؤنث
 بصيغة واحدة ، قال الحريري في درته :
 ويقولون للنذ المتخذ من ثلاثة أنواع من الطيب
 مثلث والصواب فيه مثلوث ... وأصل هذا
 الكلام مأخوذ من قولك ثلثت القوم فأنا ثالث
 وهم مثلوثون . قال الشيخ الإمام رحمه الله :
 وقرأت في بعض النوادر أن إبراهيم بن المهدي
 وصف لنديم له طيب نذ اتخذ وأتاه بقطعة
 منه فألقاها في مجرة ووضعها تحته فخرجت
 منه ريح في أثناء تجمره فقال : ما أجد هذه
 المثلثة طيبة فقال : أي فديتك قد كانت طيبة
 حين كانت مثلثة فلما ربّعها خبثت . قال الشيخ
 الإمام رحمه الله : وإنما قلت مثلثة لأن النادرة
 تحكى على الأصل ، ولا يغير ما فيها من
 اللحن ، ولا من سخافة اللفظ ، ولهذا قال
 بعضهم : إن ملحة النادرة في لحنها وحرارتها
 في حلاوة مقطعها^(٦) . وذلك لأن العرب
 كانت تعتز بالنادرة وتجعل لها حرمة فلا
 تتطرق إليها يد الإصلاح ولا يعاب صاحبها

(٢) السابق ١٨١ والكتايات ١١٩

(٤) الكتايات للثعالبي ٤٢ ، ٤٣

(٦) درة الغواص ٨٣

(١) المصدر السابق ١٤٣ ، ١٤٤

(٣) شرح شواهد المفتى ١٦٣ نقلاً عن شرح الكامل للبطليرسي

(٥) الكتايات للثعالبي ٤٢ ، ٤٣

بهذا الخطأ . وكذلك لا تغير الأمثال ، ولهم
فى ذلك تعليق لطيف، قيل للقومسى : لم تقبل
النادرة ولا ترد؟ فقال : كأن المعنى فى هذا
القول أن النادرة ليست مملولة لأنها غير معهودة
ولا مرددة ، فهى لا تستحق الردّ ، ألا ترى
أنها تعهد إذا قدرت ، ولها حرمتان تقدمها :
حرمة الغريبة وذمام الزائرة البعيدة ،
فهى لذلك ليست كأخرى قد عهدت وملت
وقليت «^(١) . فهذا القول يدل على أنهم
يجعلونها ضيفا وزائرة وغريبة بينهم لها حرمة
لا تمسّ وقد أوضح ابن درستويه أن للأمثال
هذه القداسة ^(٢) . وقد عقد السيوطى فى
مزهرة فصلا للأمثال ذكر فيه أقوالا للصولى
وغيره فى هذا الشأن . قال المرزوقى فى شرحه
للفصيح : « المثل جملة مقتضبة من أصلها ،
أو مرسله بذاتها ، فتتسم بالقبول ، وتشتهر
بالتداول ، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما
يصح قصده بها ، من غير تغيير يلحقها فى
لفظها ، وعما يوجب الظاهر إلى أشباهه من
المعانى ، فلذلك تضرب وإن جهلت
أسبابها التى خرجت عليها ، واستجيز من

الحذف فى ضرورات الشعر ما لا يستجاز فى
سائر الكلام » وقال أيضا : « من شرط المثل
· ألا يغير عما يقع فى الأصل عليه » ^(٣) .
وعلى هذا الأساس قيل : « أجنأؤها
أبنأؤها » أى الذين جنأوا على هذه الدار
بالهدم هم الذين كانوا بنوها ، ولهذا ظن أبو
عبيد أن المثل هو : جنأتها بنأتها لا أبنأؤها ،
لأن فاعلا لا يجمع على أفعال إلا أن يكون
هذا من النوادر لأنه يجرى فى الأمثال ما
لا يجرى فى غيرها . وقالوا : أعط القوس
باريها ، بتسكين الياء وإن أصلها الفتح
والتحريك ^(٤) .

وقالوا « هالك فى الهوالك » وعسى
الغوير أبؤساء ، فى المجالس المذكورة للعلماء
كثير من مثل هذا لجأ إليه المتناظرون ^(٥) «
الازدواج :

ولا ننسى أثر الازدواج والاتباع فى اللغة
فحيصّ بيصّ ، الكلمة الثانية واوية جاءت
بالياء للاتباع ، هذا الازدواج الذى قد يغير
مبنى الكلمة وصيغتها إلى مبنى كلمة أخرى
قد تضادها فى المعنى ، فقد ضموا الدال من
حدث حين قرنوها بقدّم لأجل المجاورة والمحافظة

(٢) انظر رسالتى للدكتوراه « ابن درستويه اللغوى »

(١) المقابسات . مقابلة ٦٩

(٣) ، (٤) المزهرة صبيح ١ / ٣٨٨ ، ٢٨٩

(٥) تاج العروس : فرس ، والمجالس المذكورة لوجه ٣٠ ومجالس أبى مسلم مخطوط ٥٩ بدار الكتب المصرية رقم ٥٨-٩ أدب .

على الموازنة ، وقد نطقت العرب بعدة ألفاظ غيرت مبانيها لأجل الازدواج وأعادتها إلى أصولها عند الانفراد فقالوا الغدايا والعشايا ، وهنأنى ومرأنى ، وفعلت به ما ساءه وناءه ، وهو رجس نجس وهو أهيس أليس . وقد نقل عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ألفاظ راعى فيها حكم الموازنة فقال للنساء المتبرجات فى العيد : « أرجعن مأزورات غير مأجورات » وقال فى عوذته للحسن والحسين رضى الله عنهما : « أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة (١) » .. الخ وقياسها ملمة ، وقياس الأولى موزورات من الوزر وهو الذنب . هذا وابن درستويه يسمي الازدواج بالاتباع أحيانا ، وابن فارس يفعل ذلك فى مقدمة كتابه « الاتباع والمزاوجة » يفرق بين ما يسمي ازدواجا وبين ما يسمي إتباعا أو سجعا ، وجمع بين الازدواج والاتباع (٢) . كما أن هناك عوامل ترجع إلى طبيعة اللغة ذاتها ورموزها ووسيلة توارثها وتناقلها منها :

أ - طبيعة الحروف :

لقد تناولت الألسنة اللغة عن طريق الإرث

والرواية الشفهية جيلا بعد جيل ، لأن الكتابة لم تكن فاشية فيهم ، وإن وجد فى الجاهلية بعض الكاتبين ، فها هو ذا الرسول يفتدى بعض أسرى المشركين فى أول غزوة غزاها بأن يعلم كل أسير يكتب عشرة من المسلمين الكتابة والقراءة ، خاصة وقد حث القرآن عليها فى أول ما نزل من القرآن « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ، نعم كان هناك كتاب للوحى كعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ، وخالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، والحصين بن غير ، وزيد بن أرقم بن عبد يغوث ، والعلاء بن عقبة ، وعبد الله بن الأرقم ، وحذيفة بن اليمان (٣) . وقد ساعدت الأمية الرواة على الافتعال ووجدوا مجالا رحبا رغبة فى التفاخر ، واستغل العلماء اختلاق الرواة أشنع استغلال ، فعقدوا بذلك قواعد العربية وعلومها ، فكثير من شواهد النحو تسقطها الرواية ، ويظهر ذلك بصفة خاصة عند المبرد الأديب النحوى فى تعقبه لشواهد سيبويه فى الكتاب .

هذه الكتابة العربية مدعاة لاختلاط

(١) ورة الفواص ٤٥ - ٤٧ .

(٢) الإنباع والمزاوجة مخطوط رقم ٥٥ لغة مش دار الكتب الررقات ٥٠ - ٥٢ .

(٣) المعقد الفريد وعلى هامشه زهر الآداب ٢ / ٢٠٤ .

الحروف لتشابهها في الطبيعة كالباء مع التاء، والثاء والياء والسين مع الشين والصاد مع الضاد، والطاء مع الظاء والعين مع الغين وهكذا، وانعدمت فيها الحركات أول الأمر، مما كان مدعاة للتصحيف والتحريف، ولما اخترع الشكل كان نقطا، فكان اختلاط السين بالشين ذا أثر كبير في العربية لذا ألف صاحب القاموس كتابه « تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين » تتبع فيه أوهام المجلد في نحو ألف موضع. ووجدت كتب للفروق بين الضاد والطاء وهكذا. فاختلاط لفظي سمل وشمل كان من نتيجته أن قيل: سمل بين القوم أصلح بينهم، وسمل بينهم أفسد، فعُدَّ من حروف الأضداد، وفي رأيي أن الأول شمل أي جمع ما تفرق لأن في الصلح جمعا، فقد روى بيت قيس بن الخطيم:

أنى سريت وكنت غير سرور
وتقرب الأحلام غير قريب

بالباء على رواية ابن دريد، وبالياء سريت على رواية غيره. وفرق بين معنى السارب الذهاب على وجهه في الأرض، والسارى: السائر بالليل. وبيت كعب بن زهير:

لكنها خلة قد سيط من دماها
فجع ووكع وإخلاف وتبديل
جوزوا قراءته بالشين المعجمة: شيط، كما
روى بيت المتلمس بالوجهين:

أحارث إنالو تُشاط دماؤنا
تزايلن حتى لا يمس دم دما
وكذلك بيت عمرو بن أذينة:

لقد علمت وما الإشراف من خلقي
أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
بالسين والشين، وقول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم
فلما استد ساعده رمانى

روى بالمعجمة بمعنى الاشتداد، والرواية الصحيحة بالمهملة، استد من السداد الذي هو الصواب. وسمت العاطس وشمته من هذا الباب، فمن أهملها دعاه بالبقاء على سمته، ومن أعجبها دعا له بأن يسلب عنه شامتوه أي لا يصيبه شيء فيشمت به عدو. وكذلك الشطرنج بالمهملة لأنه يجعل أسطرا والمعجمة لأن اللاعبين يقتسمون القطع شطرين والشطرنج النصف^(١)، وإن كان هذا يدخل تحت تلعب العرب بالمعرب من الأسماء كإبراهيم وإبراهيم

(١) شرح بانت سعاد ٣٢، ٣٣.

وإبرهم ... الخ ، وروى بيت الفرزدق هكذا :

وإن الذي يسعى ليُنْسِدَ زَوْجَتِي

كساع إلى أسدِ الشرى يستبيلها

فتعب أهل الأدب والتقد في تفسير البيت

على هذه الرواية ، والصواب روايته يشتبيلها

بالشين ، ويؤيد هذا ما جاء في كتاب الحيوان

فقد ورد فيه « يشتبيلها »^(١) بدل يستبيلها ،

وفسره بأن معناه يأخذ أشبالها أي أولادها ،

وغير ذلك كثير مما تضمنته بطون الكتب

كالتصحيح والتحريف للعسكري ،

وكتصحيح المحدثين وغيرهما .

وأما عن غير الشين والشين فكتصحيح بيت

ذى الرمة :

..... فيها الضفادعُ والحيتانُ تُصْطَخِبُ

- مما جعل أبا على الأصبهاني يقول للأصمعي :

أي صوت للحيتان يا أبا سعيد ، إنما هو

تصطخب بالحاء المهملة ، أي تتجارر^(٢) ،

وأنشد بلال بن أبي بردة وذو الرمة حاضر -

لحاتم طيئ :

لحي اللهُ صُعْلُوكًا مُنَاهُ وَهُمُ

من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً

يرى الخمس تعديبا وإن يلقى شعبة

يبت قلبه من شدة الغم مبهما

فأنكر عليه ذو الرمة وقال : إنما هو الخمص

من خصاصة البطن ، ورد عليه بلال بقوله :

كدا أنشدني رواة طيئ^(٣) .

وأنشد ابن دأب :

وهم من ولدوا أشبوا بسر الحسب المحض

فقال أسنوا يعنى ارتفعوا . فبلغ ذلك أبا عمرو

فقال : أخطأت استه الحفرة ، إنما هو أشبوا أي

كفوا ، أما سمع قول الآخر :

وذو الرمحين أشباك من القوة والحزم^(٤)

وقد ضرب السيوطي في مزهره أمثلة كثيرة لما

أخذ على العين والصحاح من التصحيح

والتحريف^(٥) .

والتصحيح يكون في نقط الحروف

المتشابهة ، والتحريف أعم ، أوهما مترادفان ،

أو أحدهما خاص بالشكل والثاني بالحروف .

أقوال .

وفى رأي أنه ساعد على ذلك ما كان من

العرب من حملهم - أحيانا - على الألفاظ

لصحة المعاني ، مع ما عرف عنهم من العناية

بالألفاظ كذلك - فقد حدث أن أبا العباس

المبرد في مجلس سعيد بن مسلم الباهلي حيث

أنشد الأصمعي بيت الحارث بن حلزة :

(٢) شرح بانت سعاد ٦٩ .

(٤) المصدر السابق ٢٤ ، ٢٥ والذى أنشده ابن دأب هو للى الإصيح .

(١) حياة الحيوان للدميري ١ / ١١ .

(٣) التصحيح والتحريف للعسكري ٢١ .

(٥) المزهر . صبيح ٢ / ٢٣٧ ، ٢٤١ وما بعدها .

عَتْنَا بِاطِلَا وَظَلَمَا كَمَا تُع

خزَعَن حَجْرَةَ الرَّبِيبِضِ الطَّبِيبِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّمَا هُوَ تَعْتَرُ مِنَ الْعَتِيرَةِ ، وَالْعَتَرُ :
الذَّبْحُ ، فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ تَعَزَّ أَيُّ تَضْرِبُ وَتَطْعَنُ
بِالْفَرْزِ وَهِيَ الْحَرِيَّةُ وَجَعَلَ يَصِيحُ وَيَشْغَبُ ، فَقُلْتُ
لَهُ تَكَلَّمْ كَلَامَ النَّمْلِ وَأَصْب ، وَاللَّهُ لَوْ نَفَخْتَ
فِي شَبُورِ يَهُودَى وَصَحْتَ إِلَى التَّنَادَى مَا نَفَعَكَ
شَيْءٌ وَلَا كَانَ إِلَّا تَعْتَرُ وَلَا رُوِيَتْهُ أَنْتَ بَعْدَ الْيَوْمِ
إِلَّا تَعْتَثِرُ فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَاللَّهُ لَا رُوِيَتْهُ بَعْدَ
هَذَا الْيَوْمِ إِلَّا تَعْتَرُ (١) .

وَقَدْ فَسَّرَ التَّبْرِيزِيُّ مَعْنَى الْعَتَرِ فِي شَرْحِهِ
لِلْمَعْلُوقَاتِ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنِ هَذَا الْبَيْتِ (٢) .
وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ : قَرَأَ الْأَصْمَعِيُّ
عَلَى أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ شِعْرَ الْحَطِيبِثَةِ فَقَرَأَ
قَوْلَهُ :

وَعَزَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَذْنَكَ لِابْنِ بِالصَّيْفِ تَامِرٍ
أَيُّ كَثِيرِ اللَّبَنِ وَالْتِمَرِ فَقَرَأَهَا : لَا تَتْنِي بِالضَّيْفِ
تَامِرُ بِتَخْفِيفِ الْهَيْزَةِ يَرِيدُ لَا تَتَوَانِي عَنْ ضَيْفِكَ
تَامِرُ بِتَعْجِيلِ الْقَرَى إِلَيْهِ ، فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : أَنْتَ
وَاللَّهُ فِي تَصْحِيفِكَ هَذَا أَشْعَرُ مِنَ الْحَطِيبِثَةِ (٣)
وَحَتَّى بَعْدَ تَعَلُّمِ الْعَرَبِ الْكِتَابَةَ كَانُوا
يَكْرَهُونَ النَّقْطَ ، عَلَى أَنَّ الْحَرَكَاتِ نَفْسَهَا كَانَتْ

نَقَطًا فِي بَادِي الْأَمْرِ فَكَانَ كَثِيرًا مِنَ الْإِلْتِبَاسِ
وَالْخَلْطِ . وَسَاعَدَ عَلَيْهِ كَذَلِكَ قَرْبَ مَخَارِجِ
بَعْضِ الْحُرُوفِ مِنْ بَعْضٍ ، حَتَّى أَلْفَتِ الْكُتُبُ
فِي ذَلِكَ :

كَالتَّصْحِيفِ وَالتَّحْرِيفِ لِأَبِي أَحْمَدَ - وَكُنَاهُ
بِرُوكْلِمَانَ أَبَا عَلِيٍّ ٢ / ٢٥٠ - الْحَسَنُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ الْعَسْبَكِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ
٣٨٢ هـ كَمَا جَاءَ فِي الرَّسَالَةِ الْعِذْرَاءِ لِابْنِ
الْمَدْبَرِ : إِيَّاكَ وَالنَّقْطَ وَالشَّكْلَ فِي كِتَابِكَ ، إِلَّا
أَنْ تَمَّ بِالْحَرْفِ الْمَعْضُضِ أَيُّ الَّذِي تَعْلَمُ أَنْ
الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ يَعْبُزُّ عَنِ اسْتِخْرَاجِهِ فَلَنْ يَشْكَلَ
عَلَى الْحَرْفِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَعَابُ بِالنَّقْطِ
وَالْإِعْجَامِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِكِتَابِهِ : إِيَّاكُمْ وَالشُّونَيْزِ فِي
كُتُبِكُمْ ، بِمَعْنَى النَّقْطِ وَالْإِعْجَامِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ
ابْنُ هَانِيٍّ :

لَمْ تَرْضَ بِالْإِعْجَامِ حِينَ كَتَبْتَهُ

حَتَّى شَكَلْتَ عَلَيْهِ بِالْإِعْرَابِ (٤)
وَالْأَبْيَاتِ بِتَمَامِهَا فِي أَدَبِ الْكِتَابِ
لِلْمُصَوِّلِ (٥) . فَكَانُوا يَعْتَبِرُونَ نَقْطَ الْكِتَابِ
سُوءَ ظَنِّ بِالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ . وَحَتَّى الْقُرْآنَ نَفْسَهُ
تَطَّرَقَ الْوَهْمُ إِلَى خَطَأِ الْكِتَابِ فِيهِ - وَوَلَّى

(١) الزهر ٢ / ٢٢٥ ، ٢٣٦ .
(٢) شرح المعلقات ٢٦٠ وإنباء الرواة ١ / ٢٢٣ .
(٣) الزهر ٢ / ٢٢٣ .
(٤) الرسالة العلواء ٣٥ ققرة ١٥ .
(٥) أدب الكتاب ٦١ .

تحفظ على ذلك - ففى المحتسب لابن جنى :
 ومن ذلك قول ابن عباس خطأ الكاتب ،
 إنما هو تستأذنوا يعنى قوله تستأنسوا ،
 وكذلك يروى عن عبد الله عن أبى : حتى
 تسلموا أو تستأذنوا وكذلك قرأ ابن
 عباس^(١) . وفيه أيضا : « ومعنى يؤتون ما
 أتوا يعطون الشئ فيشفقون ألا يقبل منهم .
 وحكى عن إسماعيل بن خلف قال : دخلت مع
 عبيد الله بن عمير الليثى على عائشة (رضى
 الله عنها) فرجبت به فقال لها : جئتك لأسألك
 عن آية فى القرآن . قالت أى آية هى ؟ فقال
 : « الذين يأتون ما أتوا أو يؤتون ما أتوا »
 فقالت أيتهما أحب إليك ؟ فقلت لأن تكون
 يأتون ما أتوا أحب إلى من الدنيا جميعا
 فقالت سمعت رسول الله (صلى الله عليه
 وسلم) يقول « يأتون ما أتوا » ولكن الهجاء
 حُرِّفَ^(٢) .

والمصحف على كتابة عثمان خلا من النقط
 والشكل ليحتمل وجوه القراءات المأثورة
 المختلفة .

وقد أرجع جورجى زيدان التصحيف
 والتحريف إلى قراءة الخطوط وأنه لم يحدث

إلا بعد تدوين اللغة^(٣) . والحق أنه لا يرجع
 إلى الخط وحده بل قد يرجع بعضه إلى قرب
 مخارج الحروف ، وبعضه الآخر إلى الاحتمال
 فى المعنى كما فى استد واشتد وسمت وشمتم
 وأمثالهما ، ماله توجيه صحيح ، أو إلى
 صعوبة النطق بالحرف وخاصة عند غير العرب
 إلى غير ذلك من أسبابه . ومعلوم باتساع
 رقعة الإسلام وجد التعريب والدخيل وفشا
 اللحن ، وإن كان موجودا من قبل كما سمع
 الهول يقول عند ما لحن أحد الصحابة
 « أرشدوا أخاكم فقد ضل » والعرب كانت
 تجاهده وتكرهه حتى من النساء ، وخاصة
 الحجاج جاهده من نفسه جهادا وفى ذلك
 قصص فشاعت تربية ولاية العهد فى البوادي
 وقصة إقواء النابغة وإصلاح شعره بالمدينة
 مشهورة .

وقال أبو بكر « لأن أقرأ فأستط أحب إلى
 من أن أقرأ فألحن » وقال النبى « أنا من
 قريش ونشأت فى بنى سعد فأنى لى اللحن » .
 واشتهرت بعض القبائل بالفصاحة وكتب كاتب
 لأبو موسى الأشعري إلى عمر : « من أبو
 موسى » فكتب إليه عمر : سلام عليك أما

(٢) المصدر السابق ٢١٨ .

(١) المحتسب مخطوط ٢٢٣ من سورة البقرة آية ٢٧ .

(٣) اللغة كائن حتى ٥٦ - ٥٨ وهامشها

(١) مراتب التحريين ٥ ، ٦ ، وأضداد الأتبارى ٢١٣ ، ٢١٤ والبيان والثنيتين ١ / ٨٢ ، ١٢٧ و مجلة الزهراء م ٣٢ ص ٤٥٦ .

بعد : فاضرب كاتبك سوطا واحدا وآخر عطاء»
سنة . وأول لحن سمع بالبادية هذه عصاتي
وقصص اللحن كثيرة (١) .

الفروق :

كان من دأب العرب الفرق بين المعانى
بالشكل بالحركات كالفاعل والمفعول فضحكة
بالتحريك للفاعل مبالغة ، وضحكة بالسكون
للمفعول مبالغة أيضا وسببة وسببية ، وحمل
بالكسر للمنفصل وحمل بالفتح للمتصل ،
وفرقت بالحركات بين اللازم والمتعدى فى نحو
كسًا وكسى ونحوها فلعبت الحركات دورها فى
اللغة فقدم بجئ متعديا وهو الكثير كما بجئ
لازما قدم بين يديه أى تقدم

قال تعالى « ولا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ
ورسوله » الحجرات آية ١ وعلى هذا يجوز
فتح الدال من لفظ (مقدمة) باعتبار
المفعولية لأن الداكر لها قدمها على غيرها ،
وكسرها باعتبار الفاعلية لأنها تقدمت بين
يدى المذكور بعدها (٢) .

وفرقوا بين المشترك بالمصادر فبغى الشئ
إذا طلبه بغية ، وبغى إذا ظلم بغيا بالفتح ،

وبغى الضالة بغاية بالضم عن الأصمى (٣) .
وقنع يقنع قناعة وقنع يقنع قنوعا بمعنىين
متضادين ، وكذلك مصدر وجد الضالة ووجد
من الحزن أو من الوجدان ... الخ (٤) . كما
فرقوا بالجمع لاختلاف المعنى فالشجن بمعنى
الحزن جمعه أشجان ، وبمعنى الحاجة جمعه
شجون ، وأنشد الجوهري :

ذَكَرْتُكَ حِينَ اسْتَأْمَنَ الْوَحْشَ وَالتَّقَتْ

رَفَاقٌ مِنَ الْآفَاقِ شَتَّى شَجُونُهَا

أراد حاجاتها ، وروى لحونها أى لغاتها .
وأنشد :

أُنرَى الزَّمانَ كما عَهَدْتُ بِوَصْلِكُمْ

يَوْمًا يَجُودُ لِتَنْقِضِي أَشْجَانِي

وقولهم الحديث ذو شجون ، أى ذو فنون
وأغراض (٥) .

الحذف والاختصار :

قد حذف العرب من الكلمة حتى أجهفت
بها أحيانا ، فياسين يحتمل أن يراد بها إنسان
أو ياسيد إلا أنه اكتفى من جميع الاسم
بالبين قال الشاعر :

فَبِالْيَتِيْنِي مِنْ بَعْدِ ما طَافَ أَهْلُها

هَلَكْتُ وَلَمْ أَسْمَعْ بِها صَوْتِ يَاسِينِ

(١) مراتب النحويين ٥ ، ٦ ، وأضداد الأتبارى ٢١٣ ، ٢١٤ والبيان واليبين ١ / ٨٢ ، ١٢٧ و مجلة الزهراء ٣٢ ص ٤٥٦ .

(٢) للمعتبر للزودكشى مخطوط دار الكتب رقم ٤٥١ حديث تيمور ص ٤٠٣ .

(٣) تاج العروس : بغى .

(٤) شرح الفصيح لابن درستويه نسختى الخاصة ١ / ١٤١ .

(٥) تاج العروس شجن .

قيل معناه صوت إنسان . وقد حذف الرسول
(صلى الله عليه وسلم) فى قوله « كفى
بالسيف شاء » أى شاهداً ، ويؤكد ذلك ما
ذهب إليه ابن عباس فى : حم وعسق ونحو
ذلك من أنها حروف من جملة أسماء الله
تعالى وهى رحيم وعليم وسميع وقدير ونحو
ذلك ، وشيبه به قول الشاعر :
قلنا لها كفى قالت قاف - أى وقفت ،
فاكتفى بالحرف عن الكلمة ^(١) . وقولهم قلنا
ألاتا : فقالوا ألاتا ... الخ .
الاشتقاق :

اشتقت العرب من الفعل ومن الأسماء
والجوامد ، فالنيروز بمعنى اليوم الجديد قد
اشتقوا منه الفعل كقول على كرم الله وجهه
حينما قدم إليه شئ من الحلوى فى يوم النيروز :
نيرزوتا أكل يوم، وفى المهرجان: مهرجوناً كل
يوم ، فهذا من المعرب . وقالوا تحجر الطين :
صار حجراً، ورآه ضرب رثته وعصاه ضربه
بالعصا وسافه بالسيف وساطه بالسوط وأماه
السكين سقاه الماء وجلس القوم يجلسون جلسا
أتوا المجلس، والمنجد الذى أتى نجداً، قال مروان

بن الحكم ونسب لغيره :
قل للفرزدق والسفاهة كاسمها
إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ورأيتهم يعدون جالسين أى متجددين ، وجلس
السحاب أتى نجداً . وقال ساعدة بن جؤبة .
ثم انتهى بصرى وأصبح جالسا
منه لتجد طائف متقرب
وفى الحديث أنه أقطع بلال بن الحارث معادن
القبلياً غوريها وجليسيها ^(٢) . قال ابن الأثير :
وفى كتاب الأمكنة : معادن القلبية . وهكذا
ذكر ابن درستويه الاشتقاق من الأب والأم
والأخ ... وكل ما سبق كان سبباً فى الاشتراك
والترادف والأضداد وما إليها ، بما كان لابن
درستويه به غاية .
تطور الدلالة :

إن دراسة التطور الدلالى بدأها حديثاً بريل
أواخر القرن التاسع عشر ، واقتصر فى هذه
الدراسات على الجانب الذاتى للألفاظ وأغفلت
العوامل الاجتماعية والخارجية ، وبدأ يدخل
هذا الميدان متخصصون عديدون كعلماء النفس
والطبيعة والمشتغلون بالصحافة ^(٣) . وقد تناول
شيئاً من ذلك جورجى زيدان، فأرجع الشتاء فى

(١) تاج العروس : السين .

(٢) المصدر السابق : نزر ، جلس .

(٣) دلالة الألفاظ ص ٣ - ٦ .

الأصل السامى فى الدلالة إلى « الشرب أو الرى أو الصب » فهى كذلك فى العبرانية والسريانية إلى اليوم . وكتب فى أصل دلالتة على الحفر فى الحجر أو الخشب ، والملح من « ملح أو ملاء » أى نبع الماء . ومرة أصل دلالتها فى اللغات السامية القوة ، ومنها إلى الرياسة ثم إلى الإنسان . ولا زالت فى السريانية تدل على الرب فقط . والبعل بمعنى الزوج أصل دلالتة السيد أو الرب وهكذا أرجع ألفاظ أخرى كالتاريخ وغيره . كما أرجع ألفاظ الترادف وألفاظ الأضداد والمشارك إلى تفرع ألفاظ اللغة ومعانيها بالنمو والتجدد وتكاثر الدخيل^(١) . كما تناولها الدكتور على عبد الواحد وافى فذكر العوامل المؤثرة فى تطور الدلالة وأرجعها إلى مبلغ وضوح دلالة الكلمة فى الذهن ، أو أنها ترجع إلى عوامل تتعلق بأصوات الكلمة ، أو إلى عوامل تتعلق بالقواعد ، فقال إن تذكير كلمة « ولد » مثلاً فى العربية بمعنى ولد صغير معناها يرتبط فى الذهن بالمذكر ، فأصبحت لا تطلق فى العامية إلا على الولد من الذكور^(٢) . وعرض لها المرحوم الدكتور أنيس

بشكل أوسع ، فتحدث عن ظاهرة التطور وأنها شائعة فى كل اللغات ، ثم عن الحقيقة والمجاز ، ذكرا من عوامل التطور : الاستعمال وسوء الفهم ، وبنى الألفاظ ، والحاجة ودوافعها ، ثم تحدث عن أعراض التطور الدلالي من تخصيص الدلالة أو تعميمها أو انحطاطها أو رقيها ، أو تغير مجال استعمالها لأسباب ذكرها^(٣) وحسبك أن تعرف أن أصل كلمة « المجد » هى فى الأصل علف الدابة ، فأنظر كيف صارت من المحسوس إلى المعنوى . ولا شك فى قيمة هذين المرجعين « اللغة والمجتمع » و « دلالة الألفاظ » لأنهما بذلك فتحا فتحا جديدا فى الدراسات العربية ، إلا أن ذلك لا يمنع من إيراد بعض الملحوظات عليهما ، ذلك أن أغلب الاستشهاد فيهما من غير العربية الفصحى سواء كان ذلك عامياً أو أجنبياً ، وهذه الظاهرة أخف فى دلالة الألفاظ منها فى « اللغة والمجتمع » وبخاصة فى ناحية الصوتيات ، فإليها فى الغالب يرجعان التطور ، ومن المعروف أن التطور فى العامية أسرع وأشمل وأظهر منه من الفصحى لأسباب معلومة .

(٢) اللغة والمجتمع ٨٨ - ٩٠ .

(١) اللغة كائن حتى ص ٤٩ وما بعدها ، ص ٦٠ .
(٣) انظر دلالة الألفاظ للدكتور أنيس ١١٨ - ٦٠ .

وسأتناول في البحوث التالية هذا التطور بشيء من التفصيل داخل مجال اللغة الفصحى عند الكلام عن آراء ابن درستويه اللغوية .
ومن أبرز مظاهرها العموم والتخصيص، فكثيرا ما انتقل اللفظ من الكل إلى الجزء وعكسه أو من الصفة إلى الموصوف ؛ فاللحم في العربية معناه في اللغات السامية : الطعام عامة ثم خصته العرب في دلالاته على أهم أصناف الأطعمة عندهم وهو اللحم ، وصار يدل على الخبز في السريانية .
والأصل في طبخ الدلالة على الذبح ، واللفظان متشابهان فتحول معناها في العربية إلى معالجة اللحم للطعام ، واستعملوا للذبح كلمة تقرب منها . ووجدت أن « أحلبت » بالمهملة معناه أعانت ، قال المرزوقي : وأصله الإعانة في الحلب خاصة ، ثم استمر في الإعانات عامة ، قال : وقد يكون الشيء مختصا في الأصل ثم يصير في العرف عاما ، كما يكون عاما في الأصل ثم يصير مختصا (١) وكلمة الدابة في أصلها لكل ما يدب على الأرض قال تعالى « وما من دابة إلا على اللد رزقها » الآية ، ثم خصها العرف

بذوات الأربع وهكذا فخصت بنوع مما لا يعقل ، وهكذا تبادل الخاص والعام التأثير بعضهما في بعض . ومن ثم درسه الأصوليون .

٣ - تهذيب اللغة

كان هذا المدخل لازما لدراسة آراء ابن درستويه ومواقفه من خصائص العربية ، وما دامت اللغة متطورة خاضعة للمجتمع وما يجرى فيه بحكم أنها ظاهرة من ظواهره ، فهي بحاجة إلى التهذيب والإصلاح ، واليونانيون تناولوا لغتهم بالإصلاح على يد «سقراط» حينما أفقدها السوفسطائيون معانيها بسفستتهم . كما وضع للإنجليزية حديثا حدود وقواعد وأسس أساسية ، وأظهر من ذلك كله ما حدث في فرنسا في صدر القرن السابع عشر إذ عنوا بتوضيح معاني الكلمة وبتجديد مدلولاتها، وبتفريق ما اقترب معناه حتى كاد يغم عليهم أمره ، وبتخصيص الجمل بتعابير مستقلة بعد أن كاد بعضها يكون مشتركا ، تستعمل الجملة الواحدة في معان مختلفة من غير تفريق بينها ، وحصروا كثيرا من المترادفات في معان مختلفة ، بحيث أصبح لكل لفظ منها معنى خاص (٢) ذلك ما

(١) شرح شراهد المعنى ٧٣

(٢) مجلة المجمع العلمي م ٨ ص ٦٠٢ من السنة الثامنة .

قائلة « لانصون » مدير دار المعلمين العليا في كتابه « تاريخ الأدب الفرنسي » الطبعة الثامنة عشرة . هذا ما حدث في اللغات الأخرى ، فماذا حدث في اللغة العربية ؟ يسعفنا المرحوم أمين الخولي بالحديث عن التطور فيها وأنه الجذر العميق للمنهج العلمي اللغوي ، وأنه يقتضى عملا جادا، وعرض لقضايا تطويرية وكان حديثه عاما أشبه بما يسمى اليوم بالتخطيط، ونفى أن تكون معاهدنا الجامعية منها وغير الجامعية قد اتجهت إلى شيء من أمر هذا التطور اللغوي ، ورأى أن علم الوضع لاجدوى للأشتغال به اليوم . ونعى على الذين نقلوا من الغرب أن العربية مرت بأربع مراحل مما يسمى « تهذيب اللغة أو تنقيحها » هي : -

١ - ما عمله يعرب بن قحطان

٢ - ما عمله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لما أصهرا إلى جرحم .

٣ - ما عملته قريش بمكانها من الجزيرة في الحرم وانتخابها الأمثل من لغات العرب التي تفد عليها، وبهذه اللغة المهذبة نزل القرآن .

٤ - ما عمله اللغويون في جمع اللغة من تهذيب قصرها على ما أثر عن أختاروا الجمع

عنهم من خُص العرب ومن لا يجاورون الأمم الأعجمية (١) .

ولا أرى - بدورى - وجها لأنكاره ذلك إلا في المرحلتين الأوليين ، أما الثالثة والرابعة فأقر ذلك لما سبق أن قلته من تضافر عوامل دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية على سيادة لهجة قريش التي نزل بها القرآن في معظمه ، وقد سبق قول الفارابي في أفصحية بعض القبائل ، وفي ارتفاع لغة قريش . عن اللغات المذمومة ، وفي تخيرها الأعذب والأسهل . بل أضيف إلى المرحلتين الأخيرتين مرحلة ثالثة هي ماسماها « يوهان » « مبدأ تنقية اللغة » ذلك المذهب الذى أسهم فيه ابن درستويه بنصيب الأسد حينما هاله أمر اللغة وما آلت إليه ، كما سبق أن أوضحت ، واستغلال الشعوريين لذلك ، وكذلك الخلط في ما سمي « خصائص العربية » وما دخلها حيثنذ على يد الفرس وعوام الشعب ، فهب ينافخ عنها آخذا بيدها ، مهذبا ، كما تشذب الشجرة لتورق وتثمر، فأزال عنها ما هو كالميت منها ، ورد كل شيء إلى أصله ، وأثبت تطورها ، ومحا عنها الرصمة التي رمتها بها الشعورية؛

(١) معاضرات عن مشكلاح تياتنا اللغوية لأمين الخولي طبعة ١٩٥٨ ص ٤١ ، ٤٢ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ .

فألف رسالته إلى نجيح الطولوني في تفضيل العربية ، وبكتابه كتاب الكتاب في الحفاظ على اللغة وصيانتها مما أسهم به في مجال نقد النثر . وصنف في إبطال الأضداد ، وإبطال الترادف في كتابه فعل وأفعال ، ليحدد بذلك المعانى ويرجع كل لفظ إلى لغة معينة أو إلى أصله ، وألف في إبطال الزيادة في الكلام وغير ذلك ، وإن فقدت هذه الكتب فقد جاء منها أمثلة في شرحه للفصيح ونقل فيه عنها لأنه كما يبدو كان آخر مؤلفاته ، ومن قبله فعل ثعلب فحدد ما تخطىء فيه العامة وما لا تخطىء فيه . مما صار مقياسا للصواب اللغوي في عصره وما بعد عصره إلى غير ذلك من كتبه .

فلابن درستوريه فضل السبق في التهذيب اللغوي عامة ، فقد قام منذ عشرة قرون تقريبا بما طالعنا به فرنسا إبراز لغتها في القرن السابع عشر الميلادي ، أي بعد عمل ابن درستويه بما يقرب من ثمانية قرون .

وهأنذا الآن أقوم بدراسة الخصائص اللغوية على ضوء آرائه فيها مبينا وجه الحسن والقبح فيما ترك لنا من مذاهب لغوية ونحوية فقد أعمل فكره ونظره حيث كان من النظارين كما وصف بذلك ، مع اعتبار ميزتين هامتين في آرائه هما :

١ - تهذيب اللغة الذي لحظه الأزهري حينما سمى معجمه التهذيب .

٢ - تطورها واعتبارها كائنا حيا يعتريه ما يعترى الأحياء من ضعف وقوة وحياة وموت وفقر وغنى ، كما اعتبر فيشر في معجمه الكبير .

وإن امتد الأجل ذكرت آراءه النحوية الخاصة وما انفرد به دون النحاة ، وعرضت لجملة آرائه من خلال شرحه لفصيح ثعلب .
والله الموفق ..

(للبحث بقية)

محمد بدوي المختون



ظاہرہ
وہول حروف الحیر بعضہا مکان بعض
عرض - تحلیل - نتائج
للاکتور حسین محمد شرف
(۱)

بسم الله الرحمن الرحيم

نمهيّد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - المبعوث خانما للنبيين ورحمة للعالمين ، وبعد فإن حروف المعاني في لغتنا العربية الخالدة قد ظفرت باهتمام علماء العربية منذ بدء الاشتغال بعلومها في أواخر القرن الأول الهجري ، وأوائل القرن الثاني ، وما زال موضع اهتمام الباحثين والدارسين إلى يومنا هذا ، فألفت فيها الكتب الخاصة بها ، وعقدت لها الفصول والأبواب في أمهات الكتب ، وعولجت في ثنايا كثير من المؤلفات .

- ومن العلماء الذين أفردوها بمؤلفات خاصة بها ، وآثارهم بين أيدينا :
- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني " النحوى (ت ٣٨٤ هـ) في كتابه " معانى الحروف " .
 - أبو الحسن علي بن محمد الهروى النحوى (ت ٤١٥ هـ) في كتابه " الأزهية في معانى الحروف " .
 - أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد المالقي (ت ٧٠٣ هـ) في كتابه " رصف المباني في شرح حروف المعانى " .
 - أبو محمد حسن بن قاسم بن عبد الله المرادى (ت ٧٤٩ هـ) في كتابه " الجنى الدانى " .

وممن أفرد الحروف بمؤلفات ، ولم تطلنا بعد :

- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي إمام نحاة الكوفة (ت ١٨٣ هـ) ذكر ذلك صاحب بغية الوعاة ١٦٤/٢
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦ هـ) ذكر ذلك صاحب إنباه الرواة ٢٥٢/٣ .
- وغيرهما كثير .

ومن العلماء الذين عقدوا لها الأبواب والفصول في كتبهم :

- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) في كتابه " الغريب المصنف " .
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه " أدب الكاتب " .
- أبو الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه " الخصائص " .
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه " المصباح " .
- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) في كتابه " فقه اللغة وأسرار العربية " .

- علي بن إسحاق بن سيدة (ت ٤٥٨ هـ) في كتابه " المعصم "
- أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في كتابه " المفصل وشرحه
- لموفق الدين بن علي المشهور بابن يعقوب (ت ٦٤٣ هـ) .
- أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ابن السجري) (ت ٥٤٢ هـ) في كتابه " الأمالي الشجرية " .
- عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) في كتابه " الكافية في النحو " وشرحه لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) .
- جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) في كتابه " مغنى اللبيب "
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في كتابه " البرهان في علوم القرآن " .
- الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه " معجم الجوامع شرح جمع الجوامع " .

ومن العلماء الذين عرضوا لها في ثنايا كتبهم ، وفي أكثر من مكان من هذه الكتب :

- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر " سبويه " (١٨٠ هـ) في الكتاب
- أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي " الفراء " (٢٠٧ هـ) في كتابه " معاني القرآن " .
- أبو العباس محمد بن يزيد " المبرد " (٢٨٥ هـ) في كتابه " المقتضب "

وقد شملت دراسة هؤلاء العلماء وغيرهم " حروف المعاني " من جوانب مختلفة فدرسوها :

- من حيث ما تدخل عليه .
- وجعلوا ما يصلح للدخول على الأسماء والأفعال " مشتركاً " وربطوا بين الاشتراك وعدم التأشير الإعرابي غالباً ، وجعلوا ما يدخل على الفعل وحده أو الاسم وحده " مختصاً " وربطوا بين الاختصاص والتأشير الإعرابي بشرط ألا ينزل الحرف المختص منزلة الجزء من الاسم والفعل، ومما ينزل من الحروف منزلة الجزء فلا يعمل باللام التعريف مع الاسم ، وحرف التنفيس مع الفعل .

- ومن حيث ما تنوعت فيه من معان مع غيرها من أقسام الكلمة .
- ومن حيث تعدد معانيها .
- ومن حيث اشتراك أكثر من حرف في أحد معاني واحد .

- ومن حيث استعمالها .
- ومن حيث أثرها الإعراسي فيما تدخل عليه .
- ومن حيث دخول بعض هذه الحروف مكان بعض أو نيابة حرف منها عن حرف آخر في معناها .

وسوف يقتصر عملي في هذه الدراسة المتواضعة على بحث مسألة دخول بعض حروف الجر مكان بعضها الآخر ، أو بعساف أخرى نيابة حروف الحر بعضها عن بعض - ، وتتلخص دراستي لهما فيما يأتي :

- بيان المراد من دخول حرف جر مكان حرف جر آخر .
- عرض أكبر قدر يمكنه الوقوف عليه من الأمثلة التي وردت في القرآن الكريم ، الحديث ، الشريف ، والشعر العربي ، والمحكي عن العرب ، والتي على أساسها وجدت هذه الظاهرة .
- موقف علماء العربية من دخول حرف جر مكان حرف جر آخر .
- كيف وفق القائلون بمنع ذلك بين وجهة نظرهم وبين هذه النماذج الكثيرة والمتنوعة التي تشهد لغيرهم .
- جهود القائلين بالمنع في توجيه الأمثلة موضوع الدراسة .
- غايات البحث ونتيجته .

وبعد، فهذه الخطوط العريضة لتلك الدراسة التي عازمت على تقديمها في الصفحات الآتية متوكلا على الله ، مستمدا منه الهدى والسداد ، وتحقيق الغاية والمراد إن شاء الله تعالى .

مفهوم دخول بعض حروف الحر مكان بعض

إذا تأملنا أساليب لغتنا العربية ممثلة في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب شعره، ورجزه، ونثره، وطبيعة استخدام هذه اللغة لأفعالها تبين لنا ما يأتي:

- أن من أفعال العربية أفعالاً ترفع الفاعل وتتجاوز به بنفسها وطبيعتها إلى نصب المفعول به، ومن هذه الأفعال: فتح، طلب - فهم . يقولون: فتح القادِم الباب . طلب الباحث الحقيقة . فهم السائل الإجابة .
- وأن من أفعالها أفعالاً ترفع الفاعل، ولا تتعداه إلى نصب المفعول به بنفسها وطبيعتها، ومن هذه الأفعال: ذهب . جلس . خرج . لا يقولون: ذهب الطالب المكتبة . جلس المريض المقعد . خرج المصلى المسجد . إذا أرادوا تعدياً هذه الأفعال، وما على شاكلتها إلى المفعول به - رفدوها بحرف من حروف الجر، وأوصلوها به إليه، وعاملوا الفعل القاصر مع حرف الجر معاملة الفعل المتعدى بنفسه إذا كان في معناه . فقالوا: ذهب الطالب إلى المكتبة، جلس المريض على المقعد، خرج المصلى من المسجد . وناسب كل فعل من هذه الأفعال التي تصل إلى المفعول به بمساعدة حرف من حروف الجر خاص به يلتقى الفعل معه في معناه الأصلي، فيستقيم التركيب، ويقبل الاستعمال .

* انظر في ذلك:

- سبويه ٤١٩/١ : ٤٢١ ، ٢٦٨/٣ - ٤١٢ ، ٢١٧/٤ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧
- ٢٢٨ - ٢٣١ تحقيق شيخى الأستاذ عبد السلام هارون .
- المقتضب ٣١٧/٢ : ٣١٩ تحقيق شيخى المرجوم محمد عزيمة .
- الخصاص ٢٠٧/٢ : ٣١٥ تحقيق شيخى المرجوم محمد على النجار .
- ابن يعين على المفصل ٨/٨ ، ٩ ، ١٠ ، ٥٠ .
- الأزهية في علم الحروف للهروص .
- مغنى اللبيب لابن هشام ١٠٢/١ - ١٠٣ .
- الجنى الدانى في حروف المعانى .
- حاشية الخضرى على شرح " ابن عقيل " ٢١٥/١ .
- همع الهوامع ١٥٣/٤ .

ومن هذا : التنفـاء الحرف " إلى " الذى يدل أصلا على الانتهاء مع الفعل " ذهب " والحرف " على " الذى يدل أصلا على الاستعلاء مع الفعل جلس والحرف " من " الذى يدل أصلا على الابتداء مع الفعل " خرج " فيما تقدم من أمثلة .

وقد بتعدد الفعل مع معانى الحرف التى تتبادر منه ، ويستعمل فيها استعمالا حقيقيا بطريق الاشراف اللفظى - إذا سلمنا بقول من يقول بذلك - ومن هذا :

دلالة الحرف " من " على : الابتداء ، والتبعيض ، والبيان .
ودلالة الحرف " الباء " على : الإلصاق ، والإستعانة ، والسببية . (١)
وإذا قال النحاة : إن كل قبيل من الأفعال القاصرة يختص بقبيل من الحروف الزائدة الموصلة فإن واقع اللغة يؤكد وجود تداخل بين هذه الأفعال ومشاركة بعضها بعضا فى هذه الحروف الزائدة التى دخل بعضها مكان ما يناقضه أو يخالفه من الحروف فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وفصح الكلام العربى شعره ونثره :

ومن ذلك دخول الحرف " إلى " الذى يدل على الانتهاء مكان الحرف " من " الذى يدل على " الابتداء " فى قول " ابن أحمـر " يصف الناقة :

تَقُولُ وَقَدَّ عَالِيْمٌ بِالْكُورِ فُوقَئِهَا . . . أَيْسَقَى فَلَا بَرَوَى إِلَى ابْنِ أَحْمَرَ (٢)

أى " فلا يروى منى " .

ومن ذلك دخول " الحرف " الباء - الذى يدل على " الإلصاق " مكان الحرف " عن " الذى يدل على المجاوزة فى قول الله - عز وجل - " سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ " (٣)

أى: " عن عذاب واقع " .

(١) من النحاة من يقول : إن لحرف الجر معنى أصليا واحداً ، وإليه ترجع كل

المعانى التى اشعبت عنه .

(٢) المخصص ٦٦/١٤ - الجنى الدانى ٢٧٥ " مغنى اللبيب ٧٠/١ ، ٧١ ، همسج الهوامع ١٥٥/٤ .

(٣) سورة المعارج آية ١ ، وانظر فى ذلك : تهذيب اللغة ٦١٤/١٥ - الصحابى ١٣٣ - فقه اللغة ٢٢٧ - المخصص ٦٥/١٤ - الرضى على الكافية ٢٢٨/٢ - امالى الشجرى ٢٧٠/٢ - الجنى الدانى ١٠٥ - ائمنغنى ٩٨/١ - البرهان ٢٥٧/٤ .

ومن ذلك دخول الحرف " على " الذى يدل على " الاستعلاء " مكان الحرف " فى " الذى يدل على "الظرفية" فى قول الله - عز وجل - : وَكَذَلِكَ الدَّيْنَةُ عَلَىٰ حَبِيبٍ عَفْلَقَ مِنْ أَهْلِهَا " (١)
 أى : " فى حين عَفلة من أهلها "

ومن ذلك دخول الحرف " عن " الذى يدل على المجازة " مكان الحرف " فى " الذى يدل على "الظرفية" فى قول " الأَعشى ميمون بن قبيس "

وَآسٍ سَرَاةَ الْحَيِّ حَيْثُ لَقِبْتَهُمْ .. وَوَلَاتِكَ عَنْ حَمَلِ الرَّبَاعَةِ وَرَأَيْبَا (٢)

أى : "فى حمل الرباعة "

ومن ذلك دخول الحرف " فى " الذى يدل على "الظرفية" مكان الحرف " على " الذى يدل على " الاستعلاء " فى قول الله عز وجل - : " وَأَلْمَلَبْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ، (٣)
 أى : " على جدوع النخل " .

ولهذه الأمثلة وغيرها مما لا يكاد يحاط به لكثرتة كانت ظاهرة استعمال حروف الجر بعضها مكان بعض التى يدور البحث حول دراستها .
 وقد وقف علماء العربية منها موقف مؤيد لها مسلم بوقوعها ، وموقف منكر لها مؤول لما جاء من أمثلتها :

-
- (١) من الآية ١٥ سورة القمص ، وانظر فى ذلك : المصنف ٦٧/١٤ - أمالي الشجرى ، ٢٦٨/٢ - المصنف ١٢٦/١ - الهمع ١٨٦/٤ - البرهان ٢٨٤/٤
 (٢) ديوان "الأعشى " ٣٢٩ وانظر فى ذلك : الجنى الدانى ٢٦٢ - المصنف ١٣٠/١
 همع الهوامع ١٩١/٤ .
 (٣) من الآية ٧١ سورة طه ، وانظر : الغريب المصنف ٢٣١/أ . - المقتضب ٣١٨/٢ - تهذيب اللغة ٢٨٣/١٥ - الخصائص ٣١٣/٣ - معانى الحروف للرماشى ٩٦ - الأزهية للهروى ٢٦٧ - الجنى الدانى للمرادى ٢٦٦ - المصنف ١٤٥/١ - البرهان ٣٠٣/٤ .

وبدافع من موقف علماء العربية تجاهها وإخلاصهم في أمرها كانت هذه الدراسة
التي سرت فيها على النهج الآتي :

- اختيار الحروف ؛ إلى - الباء - على - عن - في - اللام - من ، الدراسة الظاهرة .
- عرض المعنى الأصلي أو المعاني المتبادرة لكل حرف منها في إيجاز ، ثم عرض قدر واف من أمثلة نسيابة هذه الحروف بعضها عن بعض ، يستوفي جوانبها ويمثل استفراء شبه تام لما جاء من أمثلتها في العربية .
- تفصيل موقف علماء العربية من دخول حروف الجر بعضها مكان بعض .
- عرض ما توصل إليه المانعون لذلك من تأويل وتخريج . إلى جانب ما من الله - تعالى - على به من ذلك .
- احتكام الباحث إلى أمثلة الظاهرة ما أول منها وما بقى من غير تأويل ، وطبيعة لغتنا العربية في التوصل إلى رأى متواضع فيها .

الحروف المختارة

وأمتثلة دخول بعضها مكان بعض
" إلى " (١)

تدل " إلى " السجارة أملا على انتهاء الفاية مطلقا : رمانية ، مثل
قول الله - عز وجل - : ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّيَّامَ إِلَى اللَّيْلِ " (٢)
أو مكانية مثل قوله - عز وجل - : " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى " (٣) ، ويتوقف دخول ما بعدها في حكم ما قبلها على ما
بوءيد ذلك من نرائس ، فإذا لم توجد القرينة ربح عدم دخول ما بعدها
في حكم ما قبلها .

ومما قيل فيه بدخول " إلى "
مكان حرف آخر من حروف الجسر

أ - دخول " إلى " مكان " الاء " (٤)

- ١ - قال الله - عز وجل - : " وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ " (٥)
أي " شياطيبيهم " .
- ٢ - وقال الله - عز وجل - : " أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَّامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ " (٦)
أي : " بنسائكم " .
- ٣ - وقال النابغة الذبياني :
فَلَا عَمْرُو الَّذِي آسَنَى عَلَيْهِ .. وَمَا رَفَعَ الْحَجَّحُ إِلَى آلَالِ (٧)
أي : " بآلال " وآلال : جبا بعرفة .

- (١) سبويه ٢٣١/٤ - المفتضب ١٣٩/٤ - تهذيب اللغة ٤٢٧/١٥ - اسن بعيش على المفصل ١٤/٨ - الرضى على الكافية ٣٢٤/٢ - المعنى ٦٨/١
- (٢) من الآب ١٨٧ سورة البقرة .
- (٣) من الآف ١ سورة الإسراء .
- (٤) الأزهية ٢٧٤ - أمالي الشجري ٢٦٨/٢ - اسن بعيش ١٥/٨ - مع النبوا مع ١٥٦/٤
- (٥) من الآية ١٤ سورة البقرة .
- (٦) من الآية ١٨٧ سورة البقرة .
- (٧) الأزهية ٢٧٤ - الدسوان : ٩٧ بيروت وفيه " بآلال " بتسرههمزة .

٤ - وقال كُشْبَر بن عبد الرحمن :
وَلَقَدْ لَهَوْتُ إِلَى الْكَوَاعِبِ كَالدَّمَى .. بِبَيْتِ الْوُحُوْفِ حَدْبَتُهُنَّ رَخِيمٌ (١)
أى " لهوت بالكواعب "

ب - دخول " إلى " مكان " فى " (٢)

٥ - قال الله - عز وجل - : " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ " (٣)

أى " فى يوم القيامة " .

٦ - وقال الله - عز وجل - : " فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (٤) " .
أى " فى أن تزكى "

٧ - وقال " النابغة الذبياني زياد بن معاوية " :
فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنَّي .. إِلَى النَّاسِ مَطْلَبِي بِهِ الْقَارُ أَجْرِبُ (٥)
أى " فى الناس " .

٨ - وقال " طرفة بن العبد البكري " :
وَإِنْ بَلَسَتْ حَيَّ الْجَمِيعِ تَلَاقِنِي .. إِلَى ذُرْوَةِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ الْمَمْدُ (٦)
أى " ذروة البيت الذي بممد إليه "

٩ - ويقال : " جلست إلى القوم " .
أى " فيهم " (٧)

-
- (١) الأزهية ٢٧٤ - أمالى الشجرى ٢: ٢٦٨
(٢) الخصائص ٣/٣٠٩ - الأزهية ٢٧٣ - المخصص ١٤/٦٥ - أمالى الشجرى ٢/٢٦٨ -
الرضى على الكافية ٢/٣٢٤ - الجنى ٣٧٤ - المغنى ١/٧١ - البرهان ٤/٢٣٤ -
الهمع ٤/١٥٤ - المخصص ٤/١٥٨ - الإثقان فى علوم القرآن ١/١٩٩
(٣) من الآية ٨٧ سورة النساء .
(٤) الآية ١٨ سورة النازعات .
(٥) ديوان النابغة ٢٤ ط بيروت - الأزهية ٢٧٣ - المخصص ١٤/٩٥ - أمالى الشجرى
الشجرى ٢/٢٦٨ - الرضى على الكافية ٢/٣٢٤ - الجنى الدانى ٣٧٤ - المغنى ١/٧١ -
الهمع ٤/١٥٤ .
(٦) ديوان طرفة ٣٩ ط بيروت ١٩٥٣ برواية " الرفيع " مكان " الكوريم " - معانى
الحروف ١١٥ - الأزهية ٢٧٤ - أمالى الشجرى ٢/٢٦٨ - الرضى على الكافية
٢/٣٢٤ .
(٧) المخصص ١٤/٦٥

ج - دخول " إلى " مكان " اللام " (١)

١٠ - قال الله - تبارك وتعالى - : **وَبِهَدْيٍ مِّنْ يَّشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢)** .

• أي : " لمرراط مستقيم " .

١١ - وقال الله - عز وجل - : **قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكُمْ (٣)** .

• أي : " والأمر لك " .

١٢ - وقال " الشماخ بن ضرار " .
**فَالْحَقُّ بَبْجَلَةَ نَسَابِهِمْ وَكُنْ مَعَهُمْ .. حَتَّىٰ يُعِيرُوكَ مَحْدًا غَيْرَ مَوْطُودٍ
وَأَتْرَكَ تَرَاتٍ خُفَايَ إِيْتَهُمْ هَلَسُوا .. وَأَنْتَ حَيٌّ إِلَىٰ رِعْلٍ وَمَطْرُودٍ (٤)**
• أي : " لرعل ومطروود " وهما قبيلتان .

د - دخول " إلى " مكان " من " (٥)

١٣ - قال " ابن أحمرو الباهلي " :
**تَقُولُ وَقَدْ عَالَيْتُ بِالْكُورِ فَوْقَهَا ..
أَيْسَقَىٰ فَلَا يَرَوِي إِلَيَّ ابْنُ أَحْمَرَ (٦)**

• أي : " فلا يروى منى " .

هذا وقد جاءت " إلى " مكان " مع " وتركت أمثلة ذلك لاختلاف النحاة
في حرفية " مع " .

(١) الصحابي " لابن فارس " ١٧٩ الجنى الدانى ٣٧٤ . - المغنى ٧١/١ - البرهان

٢٣٤/٤ - همع الهوامع ١٥٤/٤ - الإتيقان ١٩٩/١ .

(٢) من الآية ٢٥ سورة يونس . (٤) من الآية ٣٣ سورة النمل .

(٤) الصحابي ١٧٩ - ١٨٠ ورواية الديوان ٢٥ ط القاهرة ١٣٢٨ هـ - والحق بنجاسة

" مكان " فالحق ببجلة " وكذا : " أوأنت حيا " مكان " وأنت حي " .

(٥) المخصص ٦٦/١٤ - الجنى الدانى ٣٧٥ - المغنى ٧١/١ - الهمع ١٥٥/٤

(٦) المخصص ٦٦/١٤ - الجنى الدانى ٣٧٥ - المغنى ٧١/١ - همع الهوامع ١٥٥/٤ -

شعر ابن أحمرو ٨٤ ورواية الديوان .

" يُسَقَى " مكان " أيسقى " .

فمثل البياء: أهل سلمى، الاستعاني، حنيفة، مثل: ... حجت بيدي بالشبوب، ومجازا، مثل: مررت بحماظ العسقلان، ويختار من دعائيهما الامتنانسة، مثل: كتبت بالقلم، والسببة" مثل: حجبت بتوفيق الله.

وهما قبيل فيه بدخول " الباء " مكان حرف آخر

من حروف الجسر

أ - دخول " الباء " مكان " إلى " : (٢)

١٤ - قال الله - عز وجل - : وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ (٢)

ب - دخول " الباء " مكان " على " : (٤)

١٥ - قال الله - عز وجل - : وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ سَفْهُطًا يُؤْذِيكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينًا لَأِيْقُذَكَ إِلَيْكَ (٥)

١٦ - وقال الله - عز وجل - : وَإِذَا نَزَّلْنَاهُمْ بِنُفُوسِهِمْ (٦)

١٧ - وقال " راشد بن عبد ربه السلمى " : أَرَبٌ يَبُولُ الشُّعْلِبَانَ بِرَأْسِهِ . . لَقَدْ ذُلَّ مِنْ بَأْسَتِ عَلَيْهِ الشُّعْلَابِ (٦)

(١) سيبويه ٢١٧/٤ - المقنن ١٤٢/٤ - تهذيب اللغة ٦١٤/١٥ - المختص ٦٥/١٤ - ابن يعيش على المفصل ٢٢/٨ - الرض على الكافية ٢٢٧/٢ - المغنى ٩٥/١ - مع الهوامع ١٥٦/٤

(٢) المغنى ٩٨/١ - مع الهوامع ١٥٩/٤ - الإتنان ٢٠٧/١

(٣) من الآية ١٠٠ سورة يوسف .

(٤) الصحبى ١٣٤ - ١٣٥ - المختص ٦٩/١٤ - الأزهبة ٢٨٥ - أمالي الشجرى ٢٧١/٢

فقهاء اللغة وأسرار العربية ٢٢٨ - الحنى الداى ١٠٦ - المغنى ٩٨/١

البرهان ٢٥٧/٤ - مع الهوامع ١٦١/٤ - الإتنان ٢٠٧/١

(٥) من الآية ٧٥ سورة آل عمران . (٦) سورة المطففين آية ٣٠

(٦) الصحبى ١٢٥ - فقه اللغة ٢٢٨ - أمالي الشجرى ١٧١/٢ - المغنى ٩٨/١ - مع

الهوامع ١٦١/٤ - الحنى الداى ١٠٦

١٨ - وقال " عمرو بن قميئة " : " ... إِذَا هَبَّتْ شَمَالٌ وَرِيحُهَا (١)
يَبُوءُ ذَاكَ مَا قَوْمِي عَلَى أَنْ تَرْتَكِبِيَهُمْ ... وَمَا زَائِدَةٌ ...
آى : " على، وذاك قومي " ، وما زائدة ...

ح - دخول " الباء " مكان " عن " عند السوء ال وغيره : (٢)

١٩ - قال الله - عز وجل - " وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْفِغْمَامِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ
تَنْزِيلًا " (٣) .

آى : " عن الفغمام "

٢٠ - وقال الله - عز وجل - " ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلُ بِخَبِيرًا (٤)
آى : " فاسأل عنه خبيراً " .

٢١ - وقال الله - عز وجل - : " يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى
نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ " (٥) .

آى : وعن أيمنانهم "

٢٢ - وقال الله - عز وجل - " حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ، وَنَزَّ بِالنَّارِ
الْغُرُورُ " (٦) .

آى : " عن الله "

٢٣ - وقال الله - عز وجل - : " وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ " (٧) .

آى " وعن أيمنانهم "

٢٤ - وقال الله - عز وجل - " سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ " (٨)
آى " عن عذاب " .

٢٥ - وقال الله - عز وجل - : " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ " (٩)
آى : " عن ربك " .

(١) الأزهية ٢٨٥ - المخصص ٦٩/١٤ - الديوان ٢٣ تحقيق الأستاذ حسن كامل الصرفى
ط القاهرة : ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

(٢) تهذيب اللغة ٦١٤/١٥ - ٦١٥ صاحبى ١٣٣ - المخصص ٦٥/١٤ - فقه اللغة ٢٢٧
- أمالى الشجرى ٢٧٠/٢ - ٢٧١ الرضى على الكافية ٣٢٨/٢ - المغنى ٩٨/١ -
البرهان ٢٥٧/٤ - همع الهوامع ١٦١/٤ - الإتنان ٢٠٧/١ - تأويل مشكل القرآن
٥٦٨ - الأزهية ٢٨٤ - الجنى الدانى ١٠٥

(٣) الفرقان آية ٢٥ (٤) - من الآية ٥٩ سورة الفرقان .

(٥) من الآية ١٢ سورة الحديد (٦) من الآية ١٤ سورة الحديد

(٧) من الآية ٨ سورة التحريم (٨) المعارج آية ١

(٩) الانفطار آية ٦

٢٦ - وقال " النابغة الجعدي :
سَأَلَنِي بِأَسَى هَلَكُوا .. شَرِبَ الدَّمْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكْسَلُ (١)
أى : " عن أناس "

٢٧ - وقال " النابغة الذبياني " :
كَأَنِّي وَرَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا
بِهِذَى الْجَلِيلِ عَلَى مُسْنَانِسٍ وَحَسَدِ (٢)
أى : " وقد زال النهار عنا " ومعنى زال النهار : انصف ،
الجليل : واد قرب مكة .

٢٨ - وقال " عنتره بن شداد العبسي " :
هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكِ
إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي (٣)
أى : " عما لم تعلمي " .

٢٩ - وقال " علقمة بن عبدة " :
فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي نَسِي
بَصِيرٌ بِأَدْوَارِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ (٤)
أى : " عن النساء " .

٣٠ - وقال " عمرو بن أحمر الباهلي " :
تُسَائِلُ بَابِي أَحْمَرَ مِمَّنْ رَأَاهُ
أَعَارَتْ عَيْنَهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا (٥)
أى : " عن ابن أحمر " .

٣١ - وقال " المفضل النكري " :
وَسَائِلِي بِتَعْلِبَةَ بْنِ سَيِّرٍ
وَقَدْ تَمَلَّقْتُ بِتَعْلِبَةَ الْعِشْلَاقِ (٦)
أى : " وسائلة عن تعلبة " .

٣٢ - وقال " الأخطل " :
دَعِ الْمُعَمَّرَ لَا تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ
وَاسْأَلْ بِمَصْقَلَةِ الْبَكْرِ مَافَعْلًا (٧)
أى لا تسأل عن مصرعه . واسأل عن مصقلة . مافعلًا ،
٣٣ - ومنه قولهم : سألت به ، إنما أراد عقه (٨)

ووجد في المخصص ٦٥/١٤ : ورؤيتهما أيت الباء بعد سألت أو سألت فاعلم أنها موضوعة موضع " عن " .

- (١) الأزهية ٢٨٥ - شعر النابغة الجعدي ٩٢
- (٢) أمالي الشجري ٢٧٠/٢ - ٢٧١ - الأزهية ٢٨٥ ، ديوان النابغة ٣٩ ورواية الديوان : " يوم الجليل " .
- (٣) أمالي الشجري ٢٧٠/٢ - ٢٧١ - ديوان عنتره ١٤٩
- (٤) تهذيب اللغة ٦١٤/١٥ - المخصص ٦٥/١٤ وفيه " طب " مكان " بصير " - همع الهوامع ١٦١/٤ - ديوان علقمة الفحل ١٢ عن محقق الهمع .
- (٥) المخصص ٦٥/١٤ - شعر ابن أحمر ٧٦
- (٦) الصاحبى ١٣٣ - الأزهيات ٢٣٥ - اللسان " سير " .
- (٧) المخصص ٦٥/١٤ - ديوان الأخطل ١٥٧/١ ط دمشق .

د - دخول " الساء " مكان " من " مع البكرة والمعرفه : (١)

٣٤ - قال الله - تبارك وتعالى : إِنَّ أَوَّلَ نَسْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِسَكَةٍ مُّبَارَكًا فِيهِ (٢)

أى : " لدى عى مكة " .

٣٥ - وقال الله - تبارك وتعالى - وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَسَمَ آذِنًا (٣)

أى : " نصركم الله فى بدر " .

٣٦ - وقال الله - تبارك وتعالى - : إِنَّ الْمَلَائِيَةَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ (٤)

أى : " بأتمرون فىك " .

٣٧ - وقال الله - تبارك وتعالى - : وَإِنَّكُمْ لَتَنَمِرُونَ عَلَيْهِمْ مَصْحُورِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفْلا نَعْقِلُونَ (٥)

أى : " وفى الليل " .

٣٨ - وقال الله - تبارك وتعالى - : وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَفِرُونَ (٦)

أى : " فى الأسحار " .

٣٩ - وقال الله - تبارك وتعالى - : إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٧)

أى : " نجسناهم فى سحر " .

٤٠ - وقال الله - تبارك وتعالى - : يَا أَيُّهَا الْمَفْتُونُ (٨)

أى : فى أيكم " .

٤١ - وقال " الأئشى ميمون بن ميس " : مَا بَكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ . وَسَوْءُ الْإِسَاءِ وَمَا تَرَدُّ سَوْءُ الْإِسَاءِ (٩)

أى : " فى الأطلال " .

-
- (١) تهذيب اللغة ٦١٤/١٥ - الصحاح ١٣٤ - الأزهية ٢٨٦ - المخصص ٦٧/١٤ -
فقه اللغة ٢٢٧ - ٢٢٨ - أمالى الشجرى ٢٧١/٢ - الرضى على الكافية ٣٢٨/٢
الجنى الدانى ١٠٤ - المفضى ٩٧/١ - مجمع الهوامع ١٥٨/٤ - الإتفاق ٢٠٧/١
البرهان ٢٥٦/٤ - ٢٥٧ .
- (٢) من الآية ٩٦ سورة آل عمران . (٤) من الآية ٢٠ سورة القصص .
(٣) من الآية ١٢٣ سورة آل عمران . (٥) الأيتان ١٣٧ - ١٣٨ الصافات .
(٦) الذاريات " آية ١٨ . (٧) من الآية ٣٤ سورة القمر .
(٨) القلم آية ٦ .
- (٩) تهذيب اللغة ٦١٤/١٥ - الصحاح ١٣٤ وفيه : فهل " مكان " وما " المخصص
٦٧/١٤ - فقه اللغة ٢٢٧ - ٢٢٨ - الرضى على الكافية ٣٢٨/٢ -
الدوران ٢ ط بيروت - ١٩٥ .

٤٢ - وقال " الشماخ بن ضرار " يصف عبرا وأسنه :
وَهُنَّ وَقُوفٌ يَنْظُرُونَ قَضَاءَهُ . . بِصَاحِي غَدَاةِ أَمْرِهِ وَهُوَ صَامِرٌ (١)
أى : " فى صاحى غداة " .

٤٣ - وقال " الآخر :
وَلَيْلٍ كَانَ نَجُومَ السَّمَاءِ . . بِهِ مَقْلٌ رَنَقَتْ لِلْهَجْرِ (٢)
أى : " فيه " .

٤٤ - وقال : آخر :
إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رِزِيَّةَ مِثْلُهَا . . أَخْوَاىَ إِذْ قُتِلَ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ (٣)
أى " فى يوم واحد " .

٤٥ - وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ : لَا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ " (٤)
قيل : إِنَّهَا بِمَعْنَى " فى " " فى خير "

هـ - دخول " الباء " مكان " اللام " (٥)

٤٦ - قال الله - سبحانه وتعالى - : " إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ
العِجَلِ " (٦)

أى : " لاتخاذكم العجل " .

- وقال الله - سبحانه وتعالى - : " فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا " (٧)
أى : " لظلم من الذين هادوا " .

-
- (١) البرهان فى علوم القرآن ٢٥٦/٤ - ٢٥٧ اللسان - عنمى - الديوان ١٧٧ ط
دار المعارف وفيه " عذاة " مكان " غداة " .
- (٢) جاء غير منسوب فى فقه اللغة وأسرار العربية ٢٢٨ ، ولم أهد إلى قائله .
- (٣) جاء غير منسوب فى أمالى الشجرى ٢٧١/٢ - الأزهية ٢٨٦ ، ولم أهد إلى قائله .
- (٤) المغنى ١٠٢/١
- (٥) المخصص ٦٩/١٤ - همع الهوامع ١٦٠/٤ - البرهان ٢٥٦/٤ - الجنى الدانى ١٠٤
- (٦) من الآية ٥٤ سورة البقرة .
- (٧) من الآية ١٦٠ سورة النساء .

- ٤٨ - وقال الله سبحانه وتعالى - : " فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ " (١)
 أى : " أحدها لذنه " .
- ٤٩ - وقال " لسيدنا ربيعة العامري " :
 غُلِبَ تَشْدُرُ بِالذَّحُولِ كَأَنَّهُمَا . . . جِنُّ الْبَدِيِّ رُوَاسِيًّا أَقْدَامُهَا (٢)
 أى : تشذر للذحول " والمعنى تنتهباً للشأر
 وجاء فى الجنى الدانى ١٥٤ ولم يذكر الاكثرون بقاء التعليل استغناء
 ببقاء السببية : لأن التعليل والسبب عندهم واحد .
- و - دخول " الباء " مكان " من " .
- ٥٠ - قال الله - عز وجل - : " وَأَمْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ " (٤)
 أى : وامسحوا من رؤوسكم .
- ٥١ - وقال الله - عز وجل - : عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ (٥)
 أى : " عينا يشرب منها " .
- ٥٢ - وقال " عنتره " :
 شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّحْرِ ضَبْنٍ فَأَصْبَحْتُ . . . زُورَاءً تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّبْلِيمِ (٦)
 أى : " شربت من ماء " .
- ٥٣ - وقال " أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي " :
 شَرِبْنَا بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَقَّعَتْ . . . مَتَى لَجَّجْ خَطِرِ لِبْنِ نَيْبِجِ (٧)
 أى : " شربنا من ماء البحر " .

- (١) من الآية ٤٠ سورة العنكبوت .
- (٢) المخصص ٦٩/١٤ - اللسان شذر - الديوان ١٧٧ دار صادر بيروت .
- (٣) الصاحبى ١٣٣ - المخصص ٦٧/١٤ - فقه اللغة ٢٢٧ - أمالي الشجرى ٢٧٠/٢ -
 الرضى على الكافية ٣٢٨/٢ - المفنى ٩٨/١ - مع الهوامع ١٥٩/٤ - ١٦٠ -
 الإتفاق ٢٠٧/١ - البرهان ٢٥٧/٤ - تأويل مشكل القرآن ٥٧٥ - الأزهية ٢٨٢
 - الجنى الدانى ١٠٦ .
- (٤) من الآية ٦ سورة المائدة .
- (٥) من الآية ٦ سورة الإنسان .
- (٦) الصاحبى ١٣٢ ، والديوان ١٤٧ ، ورواية المخصص ٦٧/١٤ ، وأمالي الشجرى ٢٧٠/٢
 : " شربنا " تأويل مشكل القرآن ٥٧٥ - الأزهية ٢٨٢ .
- (٧) المخصص ٦٧/١٤ وفيه : " تصيدت " - أمالي الشجرى ٢٧٥/٢ - المفنى ٩٨/١ ،
 مع الهوامع ١٥٩/٤ ورواية الديوان ٥١ : " تروت بماء البحر " وعلى هذا
 لا دليل فيه - تأويل مشكل القرآن ٥٧٥ - الأزهية ٢٨٤ - الجنى الدانى ١٠٧

٤٥ - وقال " عمر بن أسي ربيعة " وينسب لجميل بن معمر ، وغيره :
فَلثَمْتُ فَاها آخِذاً قُرُونِها . . شرب الزَّيْفِ بَبْرِدِ ماء الحَشْرَحِ (١)
أى : " من برد ماء الحشرح " .

هذا وقد دخلت "الباء" مكان " مع " في القرآن الكريم ، والشعر العرسي
وما حكى عن العرب ، ولم أذكر أمثلته لاختلاف النحاة في حرمته " مع " .

(١) الجنى الدانى^٧ - المغنبي ٩٨/١ - همع الهوامع ١٥٩/٤ - ديوان عمر بن أسي
ربيعة ٨٣ نقلا عن محقق الهمع ، اللسان حشرح منسوباً لعمر بن أسي ربيعة
وعلق عليه بقوله : قال " ابن بري " البيت لجميل بن معمر ، وليس
لعمر بن أسي ربيعة .
قلت : لم أقف على البيت في ديوان جميل بن معمر " ط بيروت ١٩٥٢
ووجدته محقق الجنى الدانى في شعر عمر بن أسي ربيعة ملحقات الديوان ٤٨٨
وشعر عروة بن أذينة ٤٠٩ .

(١٦)
" على "

على الجارة حرف يدل أصلاً على الاستعلاء الحقيقي ، مثل قول الله - عز وجل -
" وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ " (٢) أو الاستعلاء المجازي ، مثل قولسه
- سبحانه وتعالى - : تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ " (٣)

ومما قيل فيه بدخول " على " مكان حرف آخر
من حروف الجر

أ - دخول " على " مكان " الباء " : (٤)

٥٥ - قال الله - عز وجل - : " حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ (٥) " .
أى : " حَقِيقٌ يَقُولُهُ اللَّهُ " وقرأ " ابْنُ يَنْبُكُ . . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا (٦)
٥٦ - وقال الله - سبحانه وتعالى - : " وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِنَلِينٍ (٧) " .
نقراءة " ابن كثير " و " ابن عمرو " و " الكسائي " و " رويس " .
بالباء المشالة .
أى بظنين بالغيب " .

٥٧ - وقال " امرؤ القيس بن حجر الكندي " وينسب لغيره :
بِأَيِّ عِلَاقَتِنَا تَرغَبُ . . ن عَنْ دَمِ عَمْرٍو عَلَى مَرثِدِ (٨)
أراد : " ترغيبون عن دم " عمرو " بدم " مرثد "

-
- (١) سيبويه ٢٣٠٠/٤ - معاني القرآن للشراة ٣٦٨/١ - المقتضب ٤٦/١ - ٤٢٦/٤ -
معاني الحروف ١٠٧ : ١٠٩ - الأزهية ٢٧٧ : ٢٧٨ المخصص ٦٥/١٤ : ٦٨ - ابن
يعيش ٣٧/٨ - الرضى على الكافية ٣٤٢/٢ - المقتى ١٢٥/١ - الجنى الدانى ٤٤٤
همع الهوامع ١٨٥/٤ .
- (٢) الموءنون آية ٢٢ .
- (٣) من الآية ٢٥٣ سورة البقرة .
- (٤) معاني الحروف ١٠٨ - الخصائص ٣١٢/٢ - الأزهية ٢٧٧ - ٢٧٨ - المخصص ٦٨/١٤
أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ - المقنى ١٢٦/١ - الجنى الدانى ٤٤٥ - الهمع ١٨٧/٤
- (٥) من الآية ١٠٥ سورة الأعراف .
- (٦) نسب الفراء القراءة فى معانى القرآن ٣٨٦/١ لعبد الله ، أراه ابن مسعود
ومعاني القرآن - أقدم مصدر نقلت عنه هذه القراءة ،
- (٧) التكوير آية ٢٤ وانظر إتخاف ففلاء الشر ٤٣٤
- (٨) الديوان بشرح الأعلام ٣٤٦ من الجزائر ١٣٩٤ هـ - الأزهية ٢٧٧

- ٥٨ - وقال " عوف بن الخرع " :
 شَدُّوا المَطَى عَلَى دَلِيلِ دَائِبٍ . . . مِنْ أَهْلِ كَاظِمَةَ بِسِيفِ الْأَحْرُ (١)
 أى " بدليل دائب " .
- ٥٩ - وقال أبو ذؤيب الهذلي " :
 وَكَأَنَّهَنْ رِيَايَةً وَكَأَنَّهُ . . . يَسْرُ يُفِيضُ عَلَى الْفِدَاحِ وَيَصْدَعُ (٢)
 أى يفيض بالقداح " .
- ٦٠ - وقال " عمر بن أبي ربيعة " :
 فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كَلَفْتُ مَا لَمْ أَعْسَسُودُ (٣)
 أى : " فقالت باسم الله " .
- ٦١ - " رَمَيْتُ عَلَى الْقَوْسِ " يُرِيدُونَ : بِالْقَوْسِ .
- ٦٢ - " جِئْتُ عَلَى حَالِ حَسَنَةٍ " يُرِيدُونَ : بِحَالِ حَسَنَةٍ (٤) .
- ٦٣ - " ارْكَبْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ " يُرِيدُونَ : بِاسْمِ اللَّهِ (٥) .

-
- (١) الخصائص ٢: ٣١٢ - اللسان دليل - الاقتضاب ٤٤٩ عن شيخى المرجوم محمد على النجار .
- (٢) الأزهية ٢٧٧ - المخصص ٦٨/١٤ - أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ - ديوان الهذليين ٦/١ المعانى الكبيرة ١١٧١/٣ .
- (٣) معانى الحروف ١٠٩ - الديوان ١١٣ ط بيروت دار صادر
- (٤) معانى القرآن للفراء ٣٨٦/١ .
- (٥) المخصص ٦٨/١٤ - أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ - المغنى ١٢٦/١ - الجنى الدانى ٤٤٦ وعن محققه أدب الكاتب ٥٤٤ - منهج السالك ٢٥٠ .

ب - دخول " على " مكان " عن " (١) .

٦٤ - قال القحَّيْفُ العَجَبِيُّ " يمدح " حكيم بن المسيب القشيري " :
إِذَا رَفِيتَ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ .. لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِصَاهَسَا (٢)
أى : " إذا رضيت عنى " .

٦٥ - وقال " عدى بن زيد " وينسب لرجل من الأنصار " .
فِي لَيْلَةٍ لَا كَرَى بِهَا أَحَدًا .. يَحْكِي عَلَيْنَا إِلَّا تَوَاجِبُهَا (٣)
أى : " يحكى عنا " .

٦٦ - وقال : دوسر بن غسان اليربوعي " .
إِذَا مَا امْرُؤٌ وَلَّى عَلَيَّ بِوُدِّهِ
وَأَدْبَرَ لَمْ يُصَدِّرْ بِإِدْبَسَارِهِ وَدِّي (٤)

أى : " ولى عنى " .

٦٧ - وقال " حميد الأرقط " :

أَرْمَى عَلَيْهَا وَهِيَ فَرَعٌ أَجْمَعُ (٥)

أى : " أرمى عنها " .

-
- (١) سيبويه ٢٢٦/٤ ، معانى القرآن ٣٨٦/١ - الغريب المصنف ورقة ٢٣١/١ -
المقتضب ٣١٨/٢ : ٣١٩ - الخصائص ٣١١/٢ - الأزهية ٢٧٧، ٢٧٦ - المخصص ٦٥/١٤
أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ - الجنى داني ٤٤٥ - المغنى ١٢٦/١ - همع الهوامع
١٨٦/٤ - الرضى على الكافية ٣٤٠/٢ - البرهان ٢٨٦/٤ .)
- (٢) الغريب المصنف ٢٣١/٤ - المقتضب ٣١٨/٢ - ٣١٩ - الخصائص ٣١١/٣ - ٣٨٩ -
المخصص ٦٥/١٤ - أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ - المغنى ١٢٦/١ - همع الهوامع ١٨٦/٤
- الرضى على الكافية ٣٤٢/٢ - البرهان ٢٨٦/٤ - الأزهية ٢٧٧ - الجنى الدانى
٤٤٥ .
- (٣) المغنى ١٢٦/١ وجاء فى ديوان عدى بن زيد ١٩٤ رابع أربعة أبيات نسبت
له ولغيره .
- (٤) الخصائص ١١١/٢ ، الاقتضاب للبطلينوس ، وشرح أدب الكاتب للجوالين ٣٥٥ عن
محقق الخصائص .
- (٥) ابن سيبويه ٢٢٦/٤ - الخصائص ٣٠٧/٢ الأزهية ٢٧٦ - المخصص ٦٥/١٤ - أمالى
الشجرى ٢٦٩/٢ وعن محقق الأزهية أمالى المرتضى ٣٥١/١ .

وحكى عن العرب :

٦٨ - " رميت على القوس " يريدون : عن القوس (١)

٦٩ - " رضيت عليك " يريدون : عنك (٢)

ج - دخول " على " مكان " في " : (٣)

٧٠ - قال الله - تبارك وتعالى - : " وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ
دَلِكِ سُلَيْمَانَ (٤) " :

أى : " فى ملك سليمان " .

٧١ - وقال الله - عز وجل - : " وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا (٥) " :
أى : " فى حين غفلة " .

٧٢ - وقال " الأعمش " :

وَصَلَّ عَلَىٰ بَيْنِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَىٰ

وَلَا تُعْبِدُ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَاعْبُدْ (٦)

أى : " فى حين العشيات " :

وحكى عن العرب :

٧٣ - " أتيتته على عهد فلان " يريدون : فى عهده (٧)

٧٤ - " كان هذا على عهد فلان " يريدون : فى عهده (٨)

د - دخول " على " مكان " اللام " (٩)

٧٥ - قال الله - جل وعلا - : " وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ " (١٠)

٧٦ - وقال الله - تبارك وتعالى - : " لِيُتَكَبَّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ " (١١)

أى : " لهدايتته إياكم " .

-
- (١) معانى القرآن ٣٨٦/١
- (٢) الغريب المصنف ورقة ٢٣١ / أ
- (٣) معانى القرآن ٣٢٤، ٦٣/١ - الأزهية ٢٧٥ - المخصص ٦٧/١٤ - أمالى الشجرى ٢٦٨/٢ - الجنى الدانى ٤٤٥ - المغنى ١٢٦/١ - همع الهوامع ١٨٦/٤ - البرهان ٢٨٤/٤ - الانتقان ٢١٤/١
- (٤) سن الآية ١٠٢ سورة البقرة .
- (٥) من الآية ١٥ سورة القصص .
- (٦) سيبويه ٥١٠/٣ - المقتضب ١٢/٣ - الأزهية ٢٧٥ - أمالى الشجرى ٢٦٨/٢ ،
وعلى رواية سيبويه والمقتضب - والديوان ١٢٧ لاشاهد فيه ورواية الديوان
للشطر الأول . : وذا النصب المنسوب لا تنسكته .
- (٧) الأزهية ٢٧٥ - أمالى الشجرى ٢٦٨/٢
- (٨) المخصص ٦٧/١٤
- (٩) المخصص ٦٦/١ - ٦٨ - الجنى الدانى ٤٤٥ - المغنى ١٢٦/١ - البرهان ٢٨٤/٤
الهمع ١٨٧/٤ - الانتقان ٢١٤/١
- (١٠) من الآية ١٨٥ سورة البقرة .
- (١١) من الآية ٣٧ سورة الحج .

٧٧ - وقال " عمرو بن معديكرب "
 عَلَامَ نَفْوَلِ الرَّمْحِ يُنْفِلُ عَاتِقِي
 إِذَا أَنَا لَمْ أُطْعِ إِذَا الْخَيْلُ كَسَّرَتْ (١)

أى : " لِمَ تَقُول " .

٧٨ - وقال " الراعى " :
 رَعْتَهُ أَشْهُرًا وَخَلَا عَلَيْهِ
 فَطَارَ النَّيُّ فِيهَا وَاسْتَطَّارَا (٢)

أى : " خَلَا لَهَا " .

وَحِكَى عَنْهُمْ :
 ٧٩ - " صَفَّ عَلَى "
 يريدون : صَفَّ لِي (٣)

هـ - دخول " على " مكان " من " (٤) :

٨٠ - قال الله - سبحانه وتعالى - : " فَأَخْرَانِ يَتَنَوَّمَانِ مَقَامَهُمَا مِنْ
 الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ (٥) "

أى : " منهم الأوليان " . والذي فى معانى القرآن ٣٢٤/١ " فيبيهم "
 ولم أجده فى غيره .

٨١ - وقال الله - عز وجل - : " وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا
 مَقْضِيًّا (٦) " .

أى : " كان الورد حتما مقضيا من ربك " .

٨٢ - وقال الله - سبحانه وتعالى - : " وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ .
 إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ " (٧) .

أى : " إلا من أزواجهم " .

٨٣ - وقال الله - جل وعلا - : الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٨)
 أى : " إذا اکتالوا من الناس " .

(١) المغنى ١٢٦/١ - الديوان ٥٥ ط مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٢) المخصص ٦٦/١٤ - اللسان خلا .

(٣) المخصص ٦٨/١٤ .

(٤) معانى القرآن ٢٣١/٢ - ٢٤٦/٢ - الأزهية فى علم الحروف ٢٧٥ - ٢٧٦ -
 المخصص ٦٨/١٤ . أمالى الشجرى ٢٦٨/٢ ، ٢٦٩ - الجنى الدانى ٤٤٥ - المغنى

١٢٦/١ - همع الهوامع ١٨٦/٤ - البرهان ٢٨٥/٤ - الإتيان ٢١٣/١ .

(٥) من الآية ١٠٧ سورة المائدة .

(٦) مريم آية ٧١

(٧) الأيتان ٥ ، ٦ من سورة المؤمنون .

(٨) المطففين - آية ٢ .

٨٤ - وقال " أبو المثلّم الهذلي " يصف كَتِينَةَ :

مَتَى مَا تُنْكِرُوهَا تَعْرِفُوهَا

عَلَى أَقْطَارِهَا عُلُقُ ثَفِيثٌ (١)

أى " من أقطارها " . والعليق : الدم الجامد .

تفثيث . منفوخ .

(١) ديوان الهذليين ٢٢٤/٣ ونسب في المخصص ٦٨/١٤ لصخر الفى الهذلى ،
والبيت لأبى المثلّم - يورد على " صخر " - ولأبى المثلّم نسب فى الأزهية ٢٦

عَسَنَ (١)

عن الجارة حرف يبدل أصلا على المجاوزة والبعد ، يقال : رمى عن القوس ،
أى قذف عنها بالسهم وأبعده ، وبها يبعدي عدد من الأفعال مثل ، عدل
وتهى ، ونأى ، يقال : نأى عن الشر أى اجتعد عنه .

ومما قيل فيه بدخول " عن " مكان حرف

آخر من حروف الجـ

أ - دخول " عن " مكان " الباء " (٢)

٨٥ - قال الله - عز وجل - " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ " (٣)

أى : ما ينطق بالهوى .

٨٦ - وقال " امرؤ القيس " :

تَصَدُّ وَتُبْدِي عَنِ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي

بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفِلٍ (٤)

أى " تصد بأسيل "

وحكى عن العرب :

٨٧ - " رميت عن القوس " يريدون : بالقوس (٥)

٨٨ - " قمت عن أصحابى " يريدون : بأصحابى (٦)

(١) سيبويه ٢٢٦/٤ - معانى الحروف ٩٥ - الأزهية ٢٧٩ - المخصص ٦٥/١٤ -

شرح المفصل ٣٩/٨ - الجنى الدانى ٢٦٠ - المغنى ١٢٩/١ - همع الجوامع

١٨٩/٤ - الرضى على الكافية ٣٤١/٢ .

(٢) معانى القرآن ٣٨٦/١ - معانى الحروف ٩٥ - الأزهية ٢٧٩ - المخصص

٦٥/١٤ - أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ - البرهان ٢٨٧/٤ - الجنى الدانى ٢٦٣ -

المغنى ١٣٠/١ - الهمع ١٩٠/٤ ، ١٩٢٠ .

(٣) التجم آية ٣ .

(٤) الأزهية ٢٧٩ - المخصص ٦٥/١٤ - الجنى الدانى ٢٦٥ - الديوان ٧٥ - بشرح

الأعلم الشتتمرى .

(٥) معانى القرآن ٣٨٦/١ - الأزهية ٢٧٩ .

(٦) الجنى الدانى ٢٦٤ نقلا عن رصف المبانى .

ب - دخول " عن " مكان " على " (١)

٨٩ - قال الله - سبحانه وتعالى - " فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَبْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالحِجَابِ (٢) "

أى : " على ذكر ربي " .

٩٠ - وقال الله - عز وجل - : " وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ جَمِيدٌ الغَنِى وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ " (٣)

أى : " على نفسه " .

٩١ - وقال " ذو الأصبع العدوانى " :

لَا هِ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتُ فِي حَسَبِ

عَنِّي وَلَا أَنْتَ كَيْبَانِي فَتُخْزُونِي (٤)

أى : " لا أفضلت في حسب على " .

٩٢ - وقال " قبيس بن الخطيم " :

لَوْ أَنَّكَ تَلَقَى حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا

تُدْحَرَجُ عَن ذِي سَامِهِ الْمُتَّقِ (٥)

أى : " على ذي سامه " - السام : عروق الذهب ، الواحدة سامة .

وبه سمى " سامة بن لؤى .

ج - دخول " عن " مكان " فى " (٦)

٩٣ - قال " الأعشى ميمون بن قبيس " :

وَأَسِ سَرَاةَ الحَيِّ حَيْثُ لَقِيْتَهُمْ

وَلَا تَكُ عَن حَمَلِ الرِّبَاعَةِ وَإِنِّي (٧)

أى : " فى حمل الرباعة " .

(١) سيبويه ٢٢٦/٤ - التّريب المصنّف ورقة ٢٣١/أ - تهذيب اللغة ٢١٦/٣ - ٢١٧ -

مصانى الحروف ٩٥ - الأزهية ٢١٩ - المخصص ٦٧/١٤ - أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ -

الجنى الدانى ٢٦٢ - البرهان ٢٨٦/٤ - المغنى ١٢٩/١ - الهمع ١٩٠/٤

(٢) ص آية ٣٢ . (٣) من الآية ٢٨ سورة " محمد " .

(٤) تهذيب اللغة ٢١٦/٣ - معانى الحروف ٩٥ - الأزهية ٢٧٩ - المخصص ٦٧/١٤ -

أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ - الجنى الدانى ٢٦٢ - المغنى ١٢٩/١ - الهمع ١٨٩/٤ .

(٥) المخصص ٦٧/١٤ - الديوان ٨٦ ط بيروت ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

(٦) الجنى الدانى ٢٦٣ - المغنى ١٣٠/١ - الهمع ١٩١/٤ .

(٧) الجنى الدانى ٢٦٣ - المغنى ١٣٠/١ - الهمع ١٩١/٤ الديوان ٣٢٩ .

د - دخول " عن " مكان " اللام " (١) :

- ٩٤ - قال الله - تبارك وتعالى - : " وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا بِإِيَّاهُ " (٢)
أى : لِيَوْعِدَةَ وَعَدَّهَا بِإِيَّاهُ .
٩٥ - وقال الله - جل وعلا - : " وَمَا نَحْنُ بِشَارِكِ آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ " (٣)
أى : " لقولك " .

ه - دخول " عن " مكان " من " (٣)

- ٩٦ - قال الله - عز وجل - : " وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ " (٤)
أى : " يقبل التوبة من عباده " .
٩٧ - وقال الله - تبارك وتعالى - : " أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا " (٥)
أى : " نتقبل منهم " .

٩٨ - وقال " ساعدة بن جؤيية الهذلي " :
أَفْعَنكَ لَا بَرَقَ كَانَ وَمِيفْضُهُ

غَابَ تَشْبِيْمُهُ ضَرَامٌ مَثْنَةٌ (٦)

أى : " أَفْمِنِكَ " .

وَحِكَى عَنْهُمْ :

يريدون : منك (٧)

٩٩ - " عنك جاء هذا " .

يريدون : منك (٨)

١٠٠ - " أخذت هذا عنك " .

(١) البرهان في علوم القرآن ٢٨٧/٤ - الجنى الدانى ٢٦٣ - المغنى ١٢٩/١ - الهمع ١٩٠/٤ - الإيتقان ٠٢١٤/١

(٢) من الآية ١١٤ سورة التوبة . (٣) من الآية ٥٣ سورة هود .

(٣) الغريب المصنف ورقة ٢٣١/أ - تأويل مشكل القرآن ٥٧٧ - تهذيب اللغة ٢١٦/٣

الأزھية ٢٧٨ - المخصص ٦٥/١٤ آمالي الشجرى ٢٦٩/٢ - البرهان ٢٨٧/٤ -

المغنى ١٣٠/١ - الهمع ١٩٢/٤ - الإيتقان ٠٢١٤/١

(٤) من الآية ٢٥ سورة الشورى (٥) من الآية ١٦ سورة الأحقاف .

(٦) الغريب المصنف ٢٣١/أ - تهذيب اللغة ٢١٦/٣ وفيه " تَسْمِيَهُ ضَرَامٌ مُوقِدٌ " .

المخصص ٦٥/١٤ وفيه " تَسْمِيَهُ " ورواية الديوان ١٧٢/١ : " أَفْمِنِكَ " وعلى

هذا لاشاهد فيه . (٧) الغريب المصنف ٢٣١/أ .

(٨) تأويل مشكل القرآن ٥٧٧ وجعلها سيويه ٢٢٧/٤ على أصلها من الدلالة على

المجازة ، فقال وتقول : أخذت عنه حديثا ، أى عدا منه إلى حديث .

" فـــــــى " (١)

حرف الجر " فى " يدل أصلا على الوعاء والظرفية فالله - سبحانه وعالى -
 " تَلَيْبَتِ الرُّومُ فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بَعْضِ سِنِينَ " (٢)
 وتقول : الرجل فى الدار ، واللص فى الحبس ، وتدل على الظرفية الحقيقية كما
 مثل ، والمجازية مثل قوله الله - تبارك وتعالى - : " وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ
 حَيَاةٌ (٣) " .

ومما قيل فيه بدخول " فى " مكان حرف آخر

من حروف الجر

أ - دخول الحرف " فى " مكان " الى " (٤) :

١٠١ - قال الله - عز وجل - : " أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا
 فِيهَا " (٥)

أى : " فتهاجروا إليها " .

١٠٢ - وقال الله - سبحانه وتعالى - : جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرَدُّوا
 أَيْدِيَهُمْ فِى أَفْوَاهِهِمْ " (٦)

أى : " فردوا أيديهم إلى أفواههم .

١٠٣ - وقال " علقمة بن عبدة " :

طَعَا بِكَ قَلْبِ فِى الْحَسَنِ طَرُوبُ

بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيْبُ (٧)

أى : " طعاً بك قلب إلى الحسان " .

(١) سيبويه ٢٢٦/٤ - المقتضب ١٨٤/١ - ٤ / ١٣٩ - معانى الحروف ٩٦ - الأزهية

٢٦٧ - المخصص ٦٦/١٤ - أمالى الشجرى ٢٦٧ - شرح المفصل لابن يعيش ٢٠/٨

شرح الكافية للرضى ٣٢٧/٢ - الجنى الدانى ٢٦٦ - المغنى ١٤٤/١ - البرهان

٣٠٣/٤ - الهمع ١٩٢/٤ .

(٢) سورة الروم الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ (٣) من الآية ١٧٩ سورة البقرة

(٤) الأزهية ٢٧١ - المخصص ٦٦/١٤ - أمالى الشجرى ٢٦٧/٢ - الجنى الدانى ٢٦٧

المغنى ١٤٦/١ - البرهان ٣٠٣/٤ - الهمع ١٩٣/٤ - الإقتان ٢١٧/١ .

(٥) من الآية ٩٧ سورة النساء (٦) من الآية ٩ سورة إبراهيم

(٧) أمالى الشجرى ٢٦٧/٢ .

- دخول الحرف " في " مكان " الباء " : (١)

١٠٤ - قال الله - عز وجل - : " فَاطْرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَشْجَامِ أَزْوَاجًا يُذَرُّوْكُمْ فِيهِ " (٢)

أى : " يذروكم به " .
١٠٥ - وقال " زيد الخير " :
وَيَرْكَبُ يَوْمَ الرَّوْعِ فِيهَا فَسَوَارِسَ

بصيرون في نعين الأباهر والكلسى (٣)

أى : " يصيرون بطعن الأباهر " .

١٠٦ - وقال " الأعشى ميمون بن قيس " :

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يُكَذِّرُ نِعْمَةً

فَإِذَا تَنَوَّشِدَ فِي الْمَهَارِقِ أَنْشُدَا (٤)

أى "تنوشد بالمهارق "

١٠٧ - وقال الآخر :

وَخَضَّضْنَا فِيْنَا الْبَحْرَ حَتَّى قَطَعْنَاهُ

على كل حال من غمار ومن وشى (٥)

أى : " خضضنا البحر " .

١٠٨ - وقال ثالث :

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ عَبِيدٍ وَرَهْطِهِ

ولكن بها عن سنيس كنت أرغب (٦)

أى : " أرغب بها " .

١٠٩ - وقال الراجز :

أى " نلود بأم " أم هنا . جبل من جبل طي .

-
- (١) معانى القرآن ٢٢/٣ - تهذيب اللغة ٥٨٣/١٥ - الخصائص ٣١٣/٢ - الأزهية ٢٧١ - ٢٧٢ - المخصص ٦٦/١٤ - أمالي الشجرى ٢٦٧/٢ - ٢٦٨ - الجنى الدانى ٢٦٦ - ٢٦٧ - المغنى ١٤٦/١ - الهمع ١٩٣/٤ - الإتيقان ٢١٧/١ .
(٢) من الآية ١١ سورة الشورى .
(٣) الأزهية ٢٧١ - المخصص ٦٦/١٤ - أمالي الشجرى ٢٧٨/٢ - الجنى الدانى ٢٦٦ - ٢٦٧ - المغنى ١٤٦/١ - الهمع ١٩٣/٤ .
(٤) المخصص ٦٦/١٤ - اللسان والتاج " رهوق " - الديوان ٢٢٩ وفيه " بالمهارقة، الخصائص ٣١٣/٢ - الأزهية ٢٧٢ - المخصص ٦٦/١٤ - وعن محقق الخصائص الاقتضاب ٤٣٧ أدب الكاتب ٣٥٨ .
(٥) تهذيب اللغة ٥٨٢/١٥ .
(٦) الخصائص ٣١٤/٢ برواية تختص " بالخين المعجمة على البناء للمجهول يصفها بالمنعة ، وفي المخصص ٦٦/١٤ " تعصب " أى لا تشد عليها العصابة .

دخول الحرف " في " مكان " على " (١)

١١٠ - قال الله - تبارك وتعالى - : " حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلِكِ وَجَرِينَ
بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ " (٢)

• آى : " حتى إذا كنتم على الفلك "

١١١ - وقال الله - عز وجل - : " فَلَا تُقَطِّعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ
وَأَصْلَابِنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ " (٣)

• آى : " على جذوع النخل "

١١٢ - وقال الله - جل وعلا - : " فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي
النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا (٤) "

• آى : " من على النار "

١١٣ - وقال الله - سبحانه وتعالى - : " أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ
فَلَيَّاتٍ مُّسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٥) "

• آى : " يستمعون عليه "

١١٤ - وقال " عنتره " :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سُرْحَانَةٍ

يُحْدَىٰ فِعَالٌ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَسْوَامٍ (٦)
• آى : " كأن ثيابه على سرحة "

١١٥ - وقال " سويد بن أبي كاهل "

هَمْ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ

فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانٌ إِلَّا بِأَجْدَعَاءٍ (٧)
• آى : " على جذع نخلة "

١١٦ - وقالت امرأة من العرب :

وَنَحْنُ صَلَبْنَا النَّاسَ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ

وَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانٌ إِلَّا بِأَجْسَادِ (٨)
• آى "على جذع نخلة "

وَحِكْمِي مِنَ الْعَرَبِ : (٨)

١١٧ - لا يدخل الخاتم في أصبعي .. يريد : لا يدخل على أصبعي ، وأولا
بداخل أصبعي فيه (٩)

- (١) الفريبي المصنف ٢٣١/أ - تأويل مشكل القرآن ٥٦٧ - المقنضب ٣١٨/٢ - تهذيب اللغة ٥٨٣/١٥ - الخصائص ٣٠٣/٣ - معاني الحروف ٩٦ - فقه اللغة للشعالبي ٢٣٦ - الأزهية ٣٦٨ - المخصص ٦٤/١٤ - أمالي الشجري ٢٦٧/٢ - البرهان ٣٠٣/٤ - الجنيد الداني ٢٦٦ - المغني ١٤٥/١ - الهمع ١٩٣/٤ - الإتيان ٢١٧/١
- (٢) من الآية ٢٢ سورة يونس . (٣) من الآية ٧١ سورة طه .
- (٤) من الآية ٨ سورة السمل . (٥) من الآية ٣٨ سورة الطور .
- (٦) تأويل مشكل القرآن ٥٦٧ - تهذيب اللغة ٥٨٣/١٥ - معاني الحروف ٩٦ - الخصائص ٣١٢/٢ - المغني ١٤٥/١ - الديوان ١٥٢ .
- (٧) تأويل مشكل القرآن ٥٦٧ - المقنضب ٣١٨/٢ - الخصائص ٣١٢/٢ - فقه اللغة ٢٣٦ - الأزهية ٣٦٨ - المخصص ٦٤/١٤ - أمالي الشجري ٢٦٧/٢ - المغني ١٤٥/١
- (٨) شرح المفصل لابن يعقوب ٢١/٨ ولعل المرأة تدعو هي الأخرى على شيبان - كما دعا " سويد بن أبي كاهل " .
- (٩) الفريبي المصنف ٢٣١/أ - المخصص ٦٤/١٤ .

د - دخول الحرف " فى " مكان " عن " : (٢)

١١٨ - قال الله - عز وجل - : " وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
أَعْمَى " (٢)

أى : " فهو عن الآخرة أعمى "

هـ - دخول الحرف " فى " مكان " اللام " : (٣)

١١٩ - قال الله - تبارك وتعالى - : " لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ
فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " (٤)

أى : " لمسكم لما أخذتم فيه "

١٢٠ - وقال الله - عز وجل - : " قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ " (٥)
أى : " لمتننى لأجله "

١٢١ - وقال الله - سبحانه وتعالى - : " لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ " (٦)

أى : " لمسكم لما أفضتم فيه "

١٢٢ - وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " دَخَلْتُ امْرَأَةَ النَّارِ
فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا " (٧)

أى : " لأجل هرة "

١٢٣ - وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " فِي النَّفْسِ مِائَةٌ
مِنَ الْإِبْلِ " (٨)

أى : " للنفس " .

١٢٤ - وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الْحَبُّ فِي اللَّسَنِ
وَالْبُغْضُ فِي اللَّوِّ مِنَ الْإِيمَانِ " (٩)

أى : " الحب لله والبغض لله "

(١) البرهان ٣٠٤/٤ - الإتيان ٢١٧/١ .

(٢) من الآية ٧٢ سورة الإسراء .

(٣) البرهان ٣١٢/٤ - الجنى الدانى ٢٦٦ - المغنى ١٤٥/١ - الهمع ١٩٤/٤ -

الإتيان ٢١٧/١ .

(٤) الأنفال آية ٦٨ . (٥) من الآية ٣٢ سورة يوسف .

(٦) من الآية ١٤ سورة النور .

(٧) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب إذا وقع الذباب ١٠٠/٤ ط تركيبا .

صحيح مسلم كتاب الكسوف باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم

ص ٩٠٤ دار عيسى الحلبى .

(٨) سنن النسائى - كتاب القيامة باب ٤٦ ج ٥٢/٨ - تنوير الحوالك علسى

موطأ مالك كتاب العقول باب ٥٨/٣

(٩) صحيح البخارى كتاب الإيمان باب ١ ج ٨/١ سنن أبى داود كتاب السنة

باب ٣ حديث ٤٥٩٩ ج ٦/٥ - مسند أحمد ١٤٦/٥ .

و - دخول الحرف " في " مكان " من " (أ) :

١٢٥ - قال الله - حل وعلا - : " وَيَوْمَ سَعَتْ فِرْكَلَّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ " (٢)

آى : " من كل أمة شهيدا " .

١٢٦ - وقال " امرؤ القيس " :

وَهَلْ يَعْمَمُ مَنْ كَانَ أَحَدْتُ عَنْهُ دِرْهُمٌ

ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ (٣)

آى : " من ثلاثة أحوال " .

١٢٧ - وقال " امرؤ القيس " كذلك :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي

بِصُبحٍ وَمَا إِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْثَلِ

آى : " منك بأمثل " .

(١) الأزهية ٢٧١ - المخصص ٦٨/١٤ - البرهان ٣٠٣/٤ - الجنى الدانى ٢٦٧ -

المغنى ١٤٦/١ - الهمع ١٩٣/٤ - الإلتقان ٢١٧/١ .

(٢) من الآية ٨٩ سورة النحل .

(٣) الخصائص ٣١٣/٢ - المخصص ٦٨/١٤ - الجنى الدانى ٢٦٧ - المغنى ١٤٦/١ -

الديوان ٩٩

(٤) الجنى الدانى ٢٧١ وهى رواية الديوان ٨١ بشرح الأعلام الشتتمرى ط الجزائر .

"الكاف" (١)

حرف الجر " الكاف " يدل أصلاً على التشبيه ، قال الله تعالى - : أَلَمْ نَرُكَ تَتَّبِعَ صَرِيحَ
اللَّهِ مَنَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَسَجْرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا نَائِبٌ وَفُرْعَاهَا فِي السَّمَاءِ " (٢) وَنَدَى كَالْأَسَدِ .

ومما قيل فيه بدخول " الكاف الجارة " مكان حرف
آخر من حروف الجارة

أ - دخول حرف " الكاف " مكان " على " (٣) :

١٢٨ - قال الله - عز وجل - : " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِنَ ثَمَرِهِ ذُكْرٌ " (٤)
أى : " فاستقم على ما أمرت " (٥)

وحكى عن العرب :

١٢٩ - كيف أصبحت ؟ فيقول : كخبير ، يريد : على خير (٦) .
١٣٠ - كن كما أنت . يريد : على ما أنت عليه (٧)
١٣١ - دعه كما هو . يريد : دعه على ما هو عليه (٨)

-
- (١) سيبويه ٢١٧/٤ - معاني القرآن ٤٦٦/١ المقتضب ٧٧/١ - ١٤٠/٤ - معاني الحروف ٤٧ - شرح ابن يعقوب على المفصل ٤٢/٨ - شرح الرضي على التفسير ٣٤١/٢ - المغنى ١٥١/١ - الهمع ١٩٤/٤ .
- (٢) سورة إبراهيم آية ٢٤ .
- (٣) الجنى الدانى ١٣٦ - المغنى ١٥٢/١ - الهمع ١٩٥/٤ - الأزهية ٢٩٠ .
- (٤) من الآية ١١٢ سورة هود .
- (٥) الأزهية ٢٩٠ نقلاً عن " الأختار " فى كتاب " المسائل
- (٦) الجنى الدانى ١٣٦ - المغنى ١٥٢/١ - الهمع ١٩٥/٤ وانظر معاني القرآن ٤٦٦/١ وحكاية دليلاً على زيادة الكاف .
- (٧) همع الهوامع ١٩٥/٤ .
- (٨) الأزهية ٢٩٠ .

ب - دخول حرف " الكاف " مكان " اللام " (١) :

ودخلت الكاف مكان اللام سواء لحقتها ما الزائدة أو المصدرية أم لسم
تلحقها ؟ * * *

١٣٢ - قال الله - عز وجل - : " كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا " (٢) .

أى : " لِأَجْلِ إِرْسَالِي فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ " .

١٣٣ - وقال الله - تبارك وتعالى - : " وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ
مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ " (٣) .

أى : " لِهَدَايَتِكُمْ " .

١٣٤ - وقال الله - جل وعلا - : " قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ " (٤) .

أى : " لِأَجْلِ آلِهَتِهِمْ " .

١٣٥ - وقال الله - سبحانه وتعالى - : " وَيَكْفُرُونَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ " (٥) .

أى : " لِعَدَمِ فَلَاحِهِمْ " .

وحكى عن العرب :

١٣٦ - " كما أنه لا يعلم ، فتجاوز الله عنه " يربدون : " لأنه لا يعلم (٥) " .

(١) سيبويه ١٤٠/٣ - الجنى الدانى ١٢٥ - المفنى ١٥١/١ - الهمع ١٩٤/٤ - ١٩٥ -

البرهان ٣١٠/٤ - الإتيقان ٢١٨/١ .

(٢) من الآية ١٥١ سورة البقرة .

(٣) من الآية ١٩٨ سورة البقرة .

(٤) من الآية ١٣٨ سورة الأعراف .

(٥) من الآية ٨٢ سورة القصص .

(٥) الحكاية فى سيبويه ١٤٠/٢ لبيان أن " ما " لم تكف " الكاف " عن العمل فى " أن "

تصويبات

صواب	خطأ	السطر	الصفحة
المجازة	المجازة	٥	٥٦
أى فى ذروة	أى ذروة	١٥	٥٩
ابن أحمر	بن أحمر	٥٨	٦٠
المخصص ٦٥/١٤	—	٨٥	٦٣
الكبير	الكبيرة	٥٤	٦٩
محقق	محققه	٥٨	
سليويه	سليوية	٥١	٧٠
الجنى الدانى	الجنى الرانى	٥٣	٧٠
سليويه	ابن سليمان	٥١٣	٧٠

(للدراسة بقية)

ظاهرة قبول عروف الحرب بعضها مكان بعض
عرض - تحليل - نتائج
(الجزء الثاني)
للكاتب حسين شرف

((اللام)) (١)

- ١٣٨- وقال الله - تبارك وتعالى - .
« وَكَوَرُّدُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ » (٦)
- أى . « إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ » .
- ١٣٩- وقال الله - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -
« إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرَّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ » (٧)
- أى . « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ إِلَى الدِّينِ » .
- ١٤٠- وقال الله - سبحانه وتعالى - .
« وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا » (٨)
- أى . « هَدَانَا إِلَى هَذَا »
- ١٤١- وقال الله - حل وعلا - : « حَتَّى
إِذَا أَوْلَيْتَ سَحَابًا تَقَالُ سَفْسَادًا لِيَلِدَ نَيْتٌ » (٩)
- أى : « سُقِّنَاهُ إِلَى بَلَدٍ » .
- اللام الجارة تدل أصلاً على الملك (٢)
- مثل : الكتاب لحالك ، والسيارة لعمرى ،
وجعل بعضهم أصل معانيها الاختصاص (٣)
- مثل : الحنة للمؤمنين ، وجعل بعضهم
الاستحقاق معناها الذى لايفارقها مثل
« النار للكافرين » وواقع استعمالها فى
العربية يبين أنها من حروف الحر التى
كثرت معانيها .
- ومما قيل فيه دخول « اللام » مكان
حرف آخر من حروف الحر
- (أ) دخول « اللام » مكان « إلى » (٤)
- ١٣٧- قال الله - عز وجل - : « رَبَّنَا
إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ » (٥)
- أى : « إِلَى الْإِيمَانِ » .

(١) سيويه ٤ / ٢١٧ - معاني القرآن ١ / ٢١٢ - ٢١٣ - تأويل . مشكل القرآن ٥٦٩ - المقتضب
١ / ١٧٧ - معاني الحروف ٥٥ ، ٥٦ - شرح المفصل لاس يبيتين ٨ / ٢٦٠ ، ٢٥٠ شرح الرضى على الكافي ٢ / ٣٢٤
٣٢٨ ، ٣٢٩ - الجى الدانى ١٤٣ - المعنى ١ / ١٧٥ الطبع ٤ / ٢٠٠

(٢) سيويه ٤ - ٢١٧ ، المقتضب ١ / ١٧٧

(٣) شرح المفصل ٨ / ٢٥

(٤) تهذيب اللغة ١٥ / ٤١٣ - الأرهية ٢٨٧ - المحصن ١٤ / ٦٨ - أمال الشحرى ٢ / ٢٧١ الرضى
٢ - ٣٢٩ - الدرمان ٤ / ٣٤٠ - الجى الدانى ١٤٥ - المعنى ١ / ١٧٧ - الطبع ٤ / ٢٠٢ - الإيقان ١ / ٢٢٢

(٥) من الآية ١٩٣ سورة آل عمران
(٦) من الآية ٢٨ سورة الأمام
(٧) من الآية ٧٩ سورة الأنعام
(٨) من الآية ٥٧ سورة الأعراف
(٩) من الآية ٥٧ سورة الأعراف

١٤٢- وقال الله - عز وجل - . « قُلْ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ . »^(١)

أى « إلى مستقر »

١٤٦- وقال الله - حل ثناؤه - . « قَلِيلًا فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ »^(٥)

أى : « فإلى ذلك . . »

أى . « قُلْ اللهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ » .

١٤٣- وقال الله - تبارك وتعالى - « وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَحْلٍ مُّسَمًّى »^(٢) .

١٤٧- وقال الله - تبارك وتعالى - : « بَيِّنَّا رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا »^(٦) .

أى . « أوحى إليها » .

أى : « يجرى إلى أجل » .

١٤٨- وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ »^(٧) .
أى . « استمع إلى من حمده » .

١٤٤- وقال الله - جل وعز - . « أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ »^(٣) .

(ب) دنخول « اللام » مكان « على »^(٨) .

أى : « وَهُمْ إِلَيْهَا سَابِقُونَ » .

١٤٩- قال الله - عز وجل - . « ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ »^(٩) .

١٤٥- وقال الله - سبحانه وتعالى - . « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا »^(٤) .

(١) من الآية ٣٥ سورة يونس

(٢) من الآية ٢ سورة الرعد - ١٣ سورة فاطر - ٥ سورة الرمر .

(٣) المؤمنون آية ٦١ .

(٤) من الآية ١٥ سورة الشورى .

(٥) الزلزلة آية ٥

(٦) صحيح البخاري كتاب الأذان باب متى سجد من خلف الإمام ١ - ١٧٢ - صحيح مسلم كتاب الصلاة باب متابعة الإمام والعمل بعده الحديث ١٩٩ ج ١ / ٣٤٥ - سنن أبي داود كتاب الصلاة باب الإمام يصلي من قومود الحديث

٦٠١ ح ١ - ٤٠١ / ١ مسند أحمد ١ / ٦٥ ، ١٠٢ ، ٢٧٠

(٨) زأوبل مشكل القرآن ٥٦٩ - الأرهة ٢٨٧ - المحمص ١٤ / ٦٦ - أمالي الشجرى ٢ / ٢٧٢ -

الرضى ٢ / ٣٢٩ - البرهان ٤ / ٣٤١ - الجنى الدانى ١٤٦ - المعنى ١ / ١٧٧ المسع ٤ / ٢١٢ - الإقتان ١ / ٢٢٢

(٩) من الآية ١٩٦ سورة البقرة .

أى « ذلك على من لم يكن » .

١٥٤- وقال الله - جل ثناؤه -
« وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ
حُشوعاً »^(٥) .

أى « ويخرون على الأذقان » .

١٥٠- وقال الله - تبارك وتعالى - :
« وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ^(١) »

أى : « دَعَانَا عَلَى حِمِّهِ »

١٥٥- وقال الله - جل وعلا -
« لَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ^(٦) »

أى . « على الجبين » .

١٥١- وقال الله - سبحانه وتعالى -
« أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ^(٢) »

أى . « أولئك عليهم اللعنة »

١٥٦- وقال الله - عز وجل - : « يَوْمَ
لَا يَسْمَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتَهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ^(٧) » .

أى . « وعليهم اللعنة »

١٥٢- وقال الله جل وعلا - « إِنَّ
أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ
فَلَهَا^(٣) »

أى : « وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَعَلَيْهَا »

١٥٧- وقال الله - سبحانه وتعالى -
« وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
بِبَعْضٍ^(٨) » .

أى : « لا تجهروا عليه . . » .

١٥٣- وقال الله - سبحانه وتعالى -
« إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُحَّداً^(٤) »

أى « يخرون على الأذقان »

(١) من الآية ١٢ سورة دوس

(٢) من الآية ٢٥ سورة الرعد

(٣) من الآية ٧ سورة الإسراء .

(٤) من الآية ١٠٧ سورة الإسراء .

(٥) الإسراء آية ١٠٩

(٦) الصمات آة ١٠٣

(٧) من الآية ٥٢ سورة عافر .

(٨) من الآية ٢ سورة الحجرات .

١٥٨- وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعائشة - رضى الله عنها . « اشترطى لهم الولاء »^(١) .

أى . « عليهم » .

١٥٩- وقال « الأشعث بن قيس الكندى وينسب لعيره .

تَنَاولْتُ بِالرَّمْحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ

فَخَرَّ صَرِعًا لِيَلِيدَيْنِ وَلِلْفِغَمِ^(٢)

أى . « على اليلدين وعلى الفغم »

١٦٠- وقال الآخر :

كَأَنَّ مُخَوَّاهَا عَلَى ثَفِينَاتِهَا

مُعَرَّسٌ حَمِيسٌ وَقَعَّتْ لِلْحَسَاجِنِ^(٣)

أى . « وقعت على الجناجن الثفنات . ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استنخا واحدها ثفنة ، والجناجن . عظام الصدر ،

وقيل أطراف الأضلاع مما يلي الصدر ، واحدها حَنَجَنٌ وَجِنَجِمَةٌ ؛ وَحُكِيَّ عَنِ الْعَرَبِ :

١٦١- « سقط لوجهه »

ويريدون : على وجهه^(٤) .

١٦٢- « سقط فلان لفيه »

ويريدون : على فيه^(٥) .

(ح) دخول « اللام » مكان « عن »^(٦)

١٦٣- قال الله - عز وجل - « وَقَالَ

الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا

مَا سَأَلْنَا إِلَيْهِ »^(٧) .

أى : عن الذين آمنوا » :

١٦٤- وقال الشاعر :

كَضَرَّائِرِ الْحَسَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا

حَسَدًا وَبُغْضًا إِنَّهُ لَدَمِيمٌ^(٨)

أى . « قلن عن وجهها » .

(١) صحيح البخارى كتاب المكاتب باب استعانة المكاتب ٣ / ١٢٧ - صحيح مسلم كتاب العتق باب إنما الولاء لمن أعتق، الحديث ١٥٠٤ ح ٢ / ١١٤٣ - توبور الحوالمك على موطأ مالك كتاب العتق باب مصير أولاء لمن أعتق ٣-٨

(٢) الأزهه ٢٨٨ - المحمص ١٤ / ٦٦ - أمالي الشجرى ٢ / ٢٧١ - المفى ١ / ١٧٧

(٣) المحمص ١٤ / ٦٦ .

(٤) الأزهية ٢٨٧ - أمالي الشجرى ٢ / ٢٧١ .

(٥) تأويل مشكل القرآن ٥٦٩ .

(٦) الرضى على الكامة ٢ / ٣٢٩ - الرهان ٤ / ٣٤٢ - الجنى الدانى ١٤٦ - المفى ١ / ١٧٨ - الهمع

٤ / ٢٠٣ - الإثقان ١ / ٢٢٢ .

(٧) من الآية ١١ سورة الأحقاف

(٨) الجنى الدانى ١٤٦ - المفى ١ / ١٧٩ - الهمع ٤ / ٢٠٤ - وقال محقق الهمع « نسب لأنى الأسود الدؤلى - ديوانه ٢٣٢

١٦٨- وقال الله - تبارك وتعالى - :
« وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ
فَلَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً »^(٥٥) .
أى . « فى يوم القيامة . . » .

١٦٩- وقال الله - عزوجل - : « هُوَ الَّذِي
أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ »^(٥٦)
أى « فى أول الحشر » .

١٧٠- وقال الله - سبحانه وتعالى - :
« يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي »^(٥٧) .
أى : « فى حياتى الدنيا » .
وحكى عن العرب .

(د) دخول « اللام » مكان « فى »^(٥١) :

١٦٥- قال الله - جل وعلا - : « رَبَّنَا
إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ »^(٥٢)
أى : « فى يوم » .

١٦٦- وقال الله - سبحانه وتعالى - :
« فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ
فِيهِ »^(٥٣) .
أى : « إذا جمعناهم فى يوم . . » .

١٦٧- وقال الله - جل وعلا - : « قُلْ
إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي لَّا يُجَلِّئُهَا لِوَقْتِهَا
إِلَّا هُوَ »^(٥٤) .
أى . « لا يجليها فى وقتها إلا هو » .

(١) معانى القرآن ١/ ٢٠٢ - الصحاحى ١٤٨ - الأزهية ٢٨٨ - أمالى الشجرى ٢/ ٢٧٢ - الرضى على الكافية
٢/ ٣٢٩ - البرهان ٤/ ٢٤١ ، ٢٤٢ - الجنى الدانى ١٤٥ - المغنى ١/ ١٧٨ - المصع ٤/ ٢٠٣ - الإقتان
١/ ٢٢٢ .

(٢) من الآية ٩٥ سورة آل عمران .

(٣) من الآية ٢٥ سورة آل عمران .

(٤) من الآنة ١٨٧ سورة الأعراف .

(٥) من الآنة ٤٧ سورة الأنبياء .

(٦) من الآية ٢ سورة الحشر .

(٧) الفجر آية ٢٤

- ١٧١- « مصي لسيله »
 يريدون : « في سبيله »^(١)
 - دخول « اللام » مكان « من »^(٢)
 وحكى عنهم :
- ١٧٢- قال « جرير بن عطية الخطفي »
 لَنَا الْفَضْلُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْفُكَ رَاعِمٌ
 وَنَحْنُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْصَلُ^(٣)
- ١٧٣- « سمعت لزيد صياحاً »-
 يريدون : من زيد صياحاً^(٤)

(١) المغني ١ / ١٧٨
 (٢) الأرهنة ٢٨٨ - منبج السالك ٢٤٥ - الجني الداني ١٤٧ - المغني ١ / ١٧٨ - الجمع ٤ / ٢٠٣
 (٣) الجني الداني ١٤٨ - المغني ١ / ١٧٨ - الجمع ٤ / ٢٥٣ - الديوان ٤٥٧ ط القاهرة - ١٣٥٣ . ٨
 (٤) الأرهنة ٢٨٨ - المغني ١ / ١٧٨ - الجمع ٤ / ٢٠٣ وفي الأخيرين : « سمعت له تصراخاً » .

((من)) (١)

من الجارة حرف يدل أصلاً على ابتداء
الغاية مكانية باتفاق مثل قول الله - جل
وعلا - سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى (٢) وزمانية - على
الأرجح - مثل قول الله - عز وجل - لا تقم
فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من
أول يومٍ أحق أن تقوم فيه (٣) وما ينزل
من سورة ابتداء الغاية مثل قوله - صلى الله عليه
وسلم - : من « محمد » عبد الله ورسوله
إلى « هرقل » عظيم الروم (٤) .

ومما يتبادر من معاني « من » بغير
نناوب : التبعية « مثل قول الله »
- تبارك وتعالى - : « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى

تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » (٥) . و « تبين
الجنس » مثل قول الله - عز وجل - :
« فَاجْتَنِبُوا الرِّحْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ » (٦)
والبعض يرجع كل معانيها إلى الابتداء
كما هو معلوم -
ومما قيل فيه بدخول « من » مكان حرف
آخر من حروف الحر
(أ) دخول « من » مكان « إلى » (٧) :

١٧٤ - قال « الأعشى » .
أَرَمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارًا
وَسَطَّتْ عَلَى دِي نَوَى أَنْ تَزَارَا؟ (٨)
أى : أزمعت إلى آل ليلي .

(١) سيبويه ٢٢٤/٤ - المقتضب ١ / ١٨٢ - ٤ / ١٣٦ - معاني الحروف ٩٧ - شرح ابن يعيش على المفصل
١٠ / ٨ - شرح الرصى على الكافية ٢ / ٣٢٠ - الحى الدانى ٣١٤ - المغنى ٢ / ١٤ - ١٨ - الجمع
٢٢١ / ٤ .

(٢) من الآية ١ سورة الإسراء .
(٣) من الآية ١٠٨ سورة التوبة .
(٤) صحيح البخارى كتاب بدء الوحي باب ٦ حديثاً أبو اليمان ١ - ٦ وانظر مجموعة الوثائق السياسية للمعهد
النبوى والخلافة الراشدة ١٠٩ لمحمد حميد الله ط بيروت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

(٥) من الآية ٩٢ سورة آل عمران .
(٦) من الآية ٣٠ سورة الحج
(٧) سيبويه ٢٢٥ / ٤ - معاني الحروف ٩٨ - وعزاه إلى الإصمعي - ابن يعيش ٨ / ١٣ - الجنى الدانى ٣١٧ -
المعنى ٢ / ١٦ - الجمع ٤ / ٢١٤ .

(٨) معاني الحروف ٩٧ - اللسان « زمع » التاج « رمع » .

- ١٧٥- وتقول : رأيت من ذلك الموضع .
وتجده عاية رؤيتك^(١) .
- (ب) دخول « من » مكان « الباء »^(٢) .
- ١٧٦- قال الله - سبحانه وتعالى - :
« لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنَ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ »^(٣) .
- أى . « يحفظونه بأمر الله » .
- ١٧٧- وقال الله - عز وجل - : « يُلْقَى
الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ عَالِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ »^(٤)
- أى . « يلقي الروح بأمره » .
- ١٧٨- وقال الله - تبارك وتعالى -
« وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَائِشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ
يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ »^(٥)
- أى : « ينظرون بطرف خفي » .
- ١٧٩- وقال الله - جل وعلا - : « تَنْزِيلُ
الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ
أَمْرٍ »^(٦) .
- أى : « بكل أمر » .
- (ح) دخول « من » المكفوفة بما « مكان »
« ربما »^(٧) .
- ١٨٠- قال الفرزدق همام بن غالب :
وَإِنَّا لَمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبِشَ ضَرْبَةً
عَلَى رَأْسِهِ وَالْحَرْبُ قَدْلَاحُ نَارِهَا^(٨)
- أى « وإنا لربما نضرب »
- ١٨١- وقال « أدوية النيميرى » .
وَإِنَّا لَمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبِشَ ضَرْبَةً
عَلَى رَأْسِهِ تُلْقَى السِّنَانَ مِنَ الْقَمَرِ^(٩)
- أى . « وإنا لربما نضرب » .

(١) سيبويه ٢٢٥ / ٤ - الجي الداني ٣١٧ - المعنى ١٦ / ٢ - الهمع ٢١٤ / ٤

(٢) معاني القرآن ٦٠ / ٢ - تأويل مشكل القرآن ٥٧٤ - المقتضب ٣١٨ / ٢ - معاني الحروف ٩٨ -
الألفية ٢٨٢ - أمالي الشجرى ٢٧٠ / ٢ - الرضا ٤٢٠ / ٤ - الجي الداني ٣١٨ - المعنى ١٦ / ٢ - الهمع ٢١٤ / ٤

(٣) من الآية ١١ سورة الرعد

(٤) من الآية ١٥ سورة طه .

(٥) من الآية ٤٥ سورة الشورى .

(٦) سورة القدر آية ٤

(٧) سيبويه ١٥٦ / ٣ - المقتضب ١٧٤ / ٤ - أمالي الشجرى ٢٤٤ / ٢ - الهمع ٢١٥ / ٤ وعراه صاحب

الهمع للسيبويه ، وابن حروف ، وابن طاهر ، والأعلم

(٨) الدوا ٣٤٨ / ١ ط بيروت ، ونقله شيخى المرحوم محمد عبد الحاق عصيمة عن الخزانة ٢٨٢ / ٤ ،

هامش المقتضب ٤ - ١٧٤

(٩) سيبويه ١٥٦ / ١ - المقتضب ١٧٤ / ٤ - أمالي الشجرى ٢٤٤ / ٢ - معنى اللبيب ١٠ / ٢ - الهمع

٢١٥ / ٤ .

« يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا نَلْ كُنَّا
طَالِمِينَ »^(٢٦) .

أى : « فى غفلة عن هذا » .

١٨٦ - وقال الله - جل وعلا - « قَوِيلٌ
لِلْمَقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ »^(٢٧) .

أى . « عن ذكر الله » .

١٨٧ - وقال الله - سبحانه وتعالى - :

« الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ
نَخَوْفٍ »^(٢٨) .

أى . « أطعمهم عن جوع »

ويقال .

١٨٨ - أطعمه من جوع ، وكساه من
عرى ، وسقاه من العيئة .

ويقال :

١٨٢ - « لى مما أفعل » على معنى
« ربما أفعل »^(١) .

(د) دخول « من » مكان « على »^(٢) :

١٨٣ - قال الله - جل وعلا - . «
وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ »^(٣) .

أى : « نصرناه على القوم » .

(هـ) دخول « من » مكان « عن »^(٤) :

١٨٤ - قال الله - عز وجل - . « مَا كَانَ
اللَّهُ لِيُذِرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى
يَمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ »^(٥) .

أى : « عن الطيب » .

١٨٥ - وقال الله - تبارك وتعالى - :

(١) المصادر السابقة هـ ٩ ص ١٤٣

(٢) تأويل مشكل القرآن ٥٧٧ - الصاحى ١٨٢ - فقه اللغة للتعاليى ٢٣٧ - الأزهية ٢٨٢ - البرهان ٤ / ٤٢٠
الجنى الداى ٣١٨ - أمالى الشحرى ٢ / ٢٧٠ - المغنى ٢ / ١٦ - الهمع ٤ / ٤١٤ - الإقتان ١ / ٢٣٠ .

(٣) من الآية ٧٧ سورة الأنبياء

(٤) سيويه ٤ / ٢٢٧ - العريب المصنف ٢٣١ - ١ - تأويل مشكل القرآن ٥٧٨ - تهذيب اللغة ٣ - ٢١٦ -
معانى الحروف ٩٨ - الأزهية ٢٧٨ - المخصص ١٤ / ٦٥ - البرهان ٤ / ٤٢٠ - الجنى الداى ٣١٦ - المعنى ٢ / ١٦
الهمع ٤ - ٢١٤ - الإقتان ١ / ٢٣٠ .

(٥) من الآية ١٧٩ سورة آل عمران

(٦) من الآية ٩٧ سورة الأنبياء .

(٧) من الآية ٢٢ سورة الرمر

(٨) سورة قريش آية ٤ .

- يريد . عن حوع ^(١٦) «
- ١٨٩ - حدثني هالان من فلاں
يريد . « عن فلاں » ^(٢٢)
- ١٩٠ - « رميت من القوس »
يريد : « عن القوس » ^(٢٣) .
- ١٩١ - « لهيت من فلاں » .
يريد . عن فلاں ^(٢٤)
- ١٩٢ - « أحدثه منكم » .
يريد . « عنكم » ^(٢٥)
- (و) دخول « من » مكان « في » ^(٢٦) .
- ١٩٣ - قال الله - عز وجل - « قل
أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون
الله أروني ما خلقوا من الأرض » ^(٢٧)
أى « ماذا خلقوا في الأرض »
- ١٩٤ - وقال الله - سارك وتعالى -
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ
يَوْمِ الْحُمَةِ ^(٢٨) »
أى نودي للصلاة في يوم الجمعة «
(ر) دخول « من » مكان « اللام » ^(٢٩)
- ١٩٥ - قال الله - عز وجل - « سَجَّادُونَ
أَصَابِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَرَارَ
الدَّوْتِ ^(٣٠) »
أى : « لأجل الصواعق » .
- ١٩٦ - وقال الله - تبارك وتعالى - :
« وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَهْبِطُ مِنْ حَشِيِّ اللَّهِ ^(٣١) » .
أى « لأجل حشية الله » .
- ١٩٧ - وقال الله - حل وعلا - .
« وَمَنْ أَجَلٌ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٣٢) »
أى . « لأجل ذلك » .

(١) سيدييه ٤ / ٢٢٧ - الرهان ٤ / ٤٢٠ - والمعنى . تهويه اللس .
(٢) العرب المصنف ٢٣١ / أ - أوئل متكل القرآن ٥٧٧ - تهذيب اللغة ٣ / ٢١٦ - المحققين ١٤ / ٦٥ .
(٣) معاني الحروف ٩٨
(٤) العرب المصنف ٢٣١ / أ - أوئل متكل القرآن ٥٧٧ - المحققين ١٥ / ٦٥
(٥) المحققين ١٤ - ٦٥
(٦) أوئل متكل القرآن ٥٧٧ - الرهان ٤ - ٤٢٠ - الحن الداني ٣١٩ - المعنى ٢ / ١٦ - الجمع ٤ / ٢١٥
(٧) من الآية ٢٣ سورة فاطر .
(٨) من الآية ٩ سورة الجمعة
(٩) الرهان ٤ / ٤١٩ - الحن الداني ٣١٥ / المعنى ٢ - ١٥ - الجمع ٤ / ٢١٤ - الإلتقان ١ / ٢١٠
(١٠) من الآية ١٩ سورة المبرد
(١١) من الآية ٧٤ سورة البقرة .
(١٢) من الآية ٣٢ سورة المائدة .

- ١٩٨ - وقال الله - سبحانه وتعالى - :
 «مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْجَلُوا نَارًا»^(١)
 أى . « لخطيئاتهم »
- ١٩٩ - وقال الله - جَلَّ وَعَلَا -
 «الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ»^(٢)
 أى : « لجوع » .
 وقد سبق ذكر هذه الآية مثالا لمحيء
 « من » معنى « عن » .
- ٢٠٠ - وقال « امرؤ القيس بن حجر
 الكندي » ويمسب لغيره
 وَذَلِكَ مِنْ نَبَأِ حَاطِسَى
 وَخَضِرْتُهُ عَنِ أَبِي الْأَسْوَدِ^(٣)
 أى « وذلك لسبأ حاطسى »
- ٢٠١ - وقال « الفرزدق » .
 يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَانَتِهِ
 فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ^(٤)
 أى « وَيُغْضِي لِمَهَابَتِهِ » .
- (ح) دخول « من » مكان « مذ »^(٥) :
 قال « رهير بن ألى سلمى » .
 ٢٠٢ - لِمَنْ الدِّيَارُ بَقْنَةَ الْحِجْرِ
 أَقْوَيْنَ مِنْ حِحْحٍ وَمِنْ دَهْرٍ^(٦)
 أى « مدحجيج ومددهر »
 وَخَكِي عَنْهُمْ .
- ٢٠٣ - مَا رَأَيْتَهُ مِنْ سَنَةِ .
 يَرِيدُونَ : مَدَّ سَنَةً^(٧)

(١) من الآية ٢٥ سورة نوح

(٢) من الآية ٤ سورة قمرش

(٣) معنى اللبيب ٢ / ١٥ والبيت ثالث قصيدة لامرئ القيس بن حجر الكندي في ديوانه ٣٤٥ شرح الأعلام ط الجزائر .

(٤) معنى اللبيب ٢ / ١٥ والديوان من قصيدة للفرزدق يمدح رين العالدين على بن الحسين ٢ / ١٧٩ ط بيروت .

(٥) الغريب المصنف ٢٣١ / أ - المخصص ١٤ / ٦٥

(٦) الغريب المصنف ٢٣١ / أ - المخصص ١٤ / ٦٥ والبيت مطلع قصيدة له يمدح « هرم بن سنان » .

(٧) الغريب المصنف ٢٣١ / أ .

تفصيل موقف علماء العربية من دخول

حروف الجر بعضها مكان بعض

الفريق الأول جمهور نحاة الكوفة ،
ومن رأى رأيهم من علماء البصرة والعلماء
التأخرين الذين أخذوا عن المدرستين وقد
سلم هذا الفريق بدخول حرف الجر -
- أو حروف الصفات كما سهاها - بعضها
مكان بعض فيدخل حرف الجر « إلى »
الذي يدل أصلاً على « الانتهاء » مكان
حرف الجر « في » الذي يدل أصلاً على
الظرفية ومن ذلك قول الله - عز وجل - :
« اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ »^(١) .

ويدخل حرف الجر « في » الذي يدل
أصلاً على « الظرفية » مكان حرف الجر
« اللام » الذي يدل أصلاً على « الملك »
ومن ذلك قول الرسول - صلى الله عليه
وسلم - : « الحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ
مِنَ الْإِيمَانِ »^(٢) . ويدخل حرف الجر

إن ما أمكن وقوى عليه من أمثلة العربية
التي يشير سياقها إلى ظاهرة دخول حرف
جر مكان حرف جر آخر (٢٠٣) مائتا
مثال وثلاثة نياها كالاتي

١٠٥ مائة مثال وحمسة من القرآن الكريم .

٥ خمسة أمثلة من الحديث الشريف

٦٢ اثنان وستون مثالا من الشعر والرحز .

٣١ واحد وثلاثون مثالا من المحكي عن
العرب .

وهذه الأمثلة وغيرها مما جاء في لغتنا
العربية هي التي أثارَت قضية نياة حروف
الجر عن بعضها وكان موقف علمائنا
الأوائل ، سلفنا الفاضل من هذه القضية
كسوقفهم من أغلب قصايا العربية . فلم
يتفقوا عليها ، ولم تلتق كلمتهم على رأى
واحد فيها ، وانقسموا فريقين .

(١) من الآية ٨٧ سورة النساء

(٢) صحيح البخارى كتاب الإيمان باب ١ ح ١ - ٨ ، سنن أبى داود كتاب السنه باب ٣ الحديث ٤٥٩٩ ج ٥ - ٦

واستقامة الأسلوب والمعنى عند وضع الحرف
غير المستعمل أصلاً في المثال مكان الحرف
المستعمل ، ويوضح ذلك

دلالة السياق على مساواة الحرف «
في» مع الحرف «من» في إعادة الابتداء
من قول « امرئ القيس » .

وهل يَعْمَنَ مَنْ كَانَ أَحَدُ عَهْدِهِ
تلاتين شهراً في ثلاثة أحوال^(٢)

واستقامة المعنى والأسلوب عند
وضع الحرف «من» مكان الحرف «في»
الذي جاء على لسان الشاعر .

٣- دلالة الاستعمال اللغوي دلالة لفظية
صريحة على دخول حرف جر مكان حرف
آخر بوجه - ود أمثله عربية وفصحية
ووصل فيها الفعل بالحرف غير الملفوظ به .

فستدل هذا الفریق على دخول حرف
الجر « الباء » مكان « على » في قول

« الباء » الذي يدل أصلاً على « الإلصاق »
مكان حرف الجر « من » الذي يدل أصلاً
على الابتداء ، ومن ذلك قول « عنتره »

شَرِبْنَ مَاءَ الدُّخْرِ صَيْنَ وَأَصْنَحَتْ
رَوَاةً تَسْفِرُ عَنْ حِصَايِ الدِّيَلَمِ^(١)

ويدخل حرف الجر « من » الذي
يدل أصلاً على « الابتداء » مكان الحرف
« عن » الذي يدل أصلاً على « المجاوره »
ومن ذلك قولهم : « حدثني فلان من فلان »
يريدون عن فلان^(٢) .

وأيد هذا الفریق وجهة نظره بما يأتي .

١ - وافع الاستعمال اللغوي . ودؤكد
وجوده هذه الأمثلة الكثيرة من القرآن
الكريم والحدیث الشريف . والسعر
العربي . والمحكي عن العرب

٢ - دلالة السياق في إعادة الأمثلة على
مساواة حرف الجر الملفوظ به فيها مع
حرف آخر غير الملفوظ به في معناه ،

(١) دأويل مسكن القرآن ٥٧٥ - الصاحي ١٣٢ - الأرملة ٢٨٣ - المخصص ١٤/٦٧ - أمالي السجري
١٧٠ / ٢ الديوان ١٤٧

(٢) العرب المصنف ٢٣١ / أ - دأويل مسكن القرآن ٥٧٧ - تهذيب اللغة ٣ / ٢١٦ - المخصص ١٤ / ٦٥

(٣) المصنف ٣ / ٣١٣ - المخصص ١٤ / ٦٨ الجي الدي ٢٦٧ - المعنى ١ - ١٤٦ - الديوان ٩٩ .

الله - عر وجل - : « وَوَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ مَن
إِن تَأْمَنَهُ مَمْنَطَارٌ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ »^(١)

بمقول الله - تبارك وتعالى - « فَالَ هَلْ
آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُتُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن
قَبْلُ »^(٢)

فقد وُصِلَ الفعل « آمن » بالحرف
« على » مرتين في الآيه

ويستدل على دخول حرف الحر « على »
هكان « عن » في قول « القحيف العجيلي »

إِذَا رَضِيَتْ عَلَى بِنُو فُشَيْرٍ
لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْحَسِي رِصَاهَا^(٣)

بمقول الله - جل وعز - « رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبِي رَبَّهُ »^(٤)

وفي الآيه وُصِلَ الفعل « رضى »
بالحرف « عن » مرتين

ويستدل على دخول حرف الحر « اللام »

مكان الحرف « على » في قول الله - سبحانه
وتعالى - « إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ
لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا »^(٥)

بقول الله - جل وعلا - « مَنْ عَمِلَ
صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا
رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِرَاعِبِيدٍ »^(٦)

وفي الآيه وُصِلَ الفعل « أساء » بالحرف
« على » .

٤ - المول بدخول حرف حر مكان
حرف حر آخر

يحقق مروره الةة والسوسع ههها ،
وهغف من التأويل والتخريج اللى يتأتى
عن حرف ههها ، ومع تكلف ههها . وقد
ستعصى بخريج بعض الأملة ، هههلم إلى
القول بالسندود

المردق التانى . هههور بهاه البصره
اللىن يقصرون كل حرف من ههه الحروف

(١) من الآنة ٧٥ سورة آل عمران

(٢) من الآنة ٦٤ سورة يوسف

(٣) العرب المصنف ٢٣١ - أ - المقتصد ، ٣١٨ / ٢ - الحصائن ٣١١ / ٢ - الحصص ٦٥ / ١٥ - وقد

سوق تخريج الشاهد قبل هذا مما هو أسهل

(٤) من الآنة ٨ سورة البنة

(٥) من الآنة ٧ سورة الإسراء

(٦) سورة فصلت آنة ٤٦

على معنى أصلي واحد ، إنَّه يعود ما تشعب
من معان ، ويمعون نيابة بعضها عن بعض
قياساً . وهي في هذا كحروف النصب
وحروف الجزم .

ويروى أن القول بالنيابة ليس هذه
الحروف يؤدي إلى خلل واضطراب ؛
لأننا إذا سلمنا بدخول الحرف « الباء »
مكان « من » في إفادة التبعيض صح
وقوعه موقعه . وجاز أن نقول . فصننا
بالدراهم ونحن نريد قبضاً من الدراهم
وإذا سلمنا بدخول الحرف « عن » مكان
« على » في إفادة الاستعلاء ، صح وقوعه
موقعه ، وحاز لنا أن نقول . ريد عن
الفرس ، ونحن نريد على الفرس وهكذا
ثما لا تقلبه اللغة ، ولا تسلم به .

لهذا رأى جمهور علماء البصرة قصر
حرف الحر على معنى أصلي واحد ، ومنع
نيابة حرف حر عن حرف جر آخر ،
وعرّوا التوسع في استعمال بعض الحروف
إلى ضرب من ضروب البلاغة والجمال
يقتضيه المقام ، ويمكن الوقوف عليه عن

طريق التعمق في الفهم ، والثأني في الطرارة ،
وجدوا ما أمكنهم الحد في تخريج ما جاء
من أمثلة يوحى ظاهرها بتعدد المعاني .
ودخول حرف مكان آخر . وسلكوا إلى ذلك
عدة سبل . منها ما يتجه بالتحريك إلى
الفعل ، ومنها ما يتجه به إلى الحرف .
ومنها ما يتجه به إلى الأسلوب نفسه .
وعلى هذه السبل الثلاث خرجوا أغلب
ما جاء في العربية من أمثلة ، وفصروا الحرف
على معناه الأصلي وما استعصى عليهم أمر
تحريكه قالوا فيه بدخول حرف مكان
حرف على سبيل الشدود

١ - ومن أمثلة التحريك عن طريق التصرف
في الفعل .

- تحميمين الفعل المعدى بغير حرفه
معنى فعل آخر يشاركه في معناه ، ويتعدى
بالحرف المذكور إيداناً تتوافق الفعلين
في المعنى وتوسعاً في اللفظ

ومن ذلك تحريك قول الله - عز وجل
« أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى
نِسَائِكُمْ »^(١) والذي يقول الكوهيون ومن
قال بقولهم - فيه . إن « إلى » نابذ

(١) من الآية ١٨٧ سورة البقرة .

مناب «الباء» لأن الرفث مصدر الفعل
«رفث» الذي يعدى بالباء ولا يعدى
بإلى .

ويرض البصريون وجهة نظر الكوفيين
ويقه لون : لما كان الرفث هنا بمعنى الإفضاء
والفعل أفصى يعدى بالحرف «إلى» .
رفدوا مصدر الفعل «رفث» بحرف الجر
«إلى» إشعاراً بأنه في معناه^(١) !

- حمل الفعل المذكور مع حرف جر
لا يصل به إلى الاسم بعدد على نقيضه
إذا كان مما يرفد بهذا الحرف ، وذلك أمر
تعارف عليه العرب ، وله بطائر كثيره
في كلامهم .

وعلى ذلك خرجوا قول «القحيف
للعقيلي» :

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو فُشَيْرٍ
لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا^(٢)

الذي يقول الكوفيون - ومن قال
بقولهم - فيه : إن «على» نابت مناب
«عن» لأن الفعل «رضى» يرفد بالحرف

«عن» فيقال : رضى عنه ، ولا يقال :
رضى عليه

ويرفض البصريون ذلك ويقولون :
لما كان الرضى بمعنى الإقبال . استعمال
الشاعر الحرف «على» مكان «عن»
أويقول بعضهم بقول «الكسائي» إمام
الكوفيين : لما كان الفعل «رضى» ضد
الفعل «سخط» (الذي يصل بالحرف «
على» حمل الفعل «رضى» على
نقيضه «سخط») وعدها بالحرف
«عن» حذراً لشيء ، على نقيضه ،
كما يحتمل على نظيره^(٣) .

- حمل الفعل المذكور مع حرف جر
لا يصل به فيما يصدر من معنى خاص على
وعلى آخر يصل بالحرف المذكور ويفيد
معنى عاماً يدخل تحته معنى الفعل المذكور ،
ووضع الخاص موضع العام متعارف عليه ،
وله بطائر في كلامهم ، وعلى هذا خرجوا
قول الله - نبارك وتعالى - «وَإِذْ كُرُوهُ
كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ
الصَّالِّينَ»^(٤) .

(١) الخصائص ٢/ ٣١١ - الكشف ١/ ٣٣٨ - ابن يعيش ٨/ ١٥ - التسهيل في علوم النزيل ١/ ٧٢ .

(٢) سبق تخريج الشاهد ص ١٤٩ وعيها .

(٣) الخصائص ٢/ ٣١١ ، ٣٨٩ / المعنى ١/ ١٢٦ - المبح ٤/ ١٨٧ .

(٤) من الآية ١٩٧ سورة البقرة .

الذي يقول الكوفيون - ومن قال بقولهم - فيه إن « الكاف » نابت مماث « اللام »

ويرفض البصريون ذلك ويحرجون الآية بطرق منها « أنه لما كان الذكر والهداية يتشركان في أمر واحد وهو الإحسان عوامل الفعل « ادكر » معاملة الفعل « أحسن » ووضع الخاص موضع العام لخصوصية فيه

- صلاحية الفعل للوصول بالحرفين معاً .
عن طريق الاستعمال . لا عن طريق النيابة ودحول حرف مكان آخر ، ومن ذلك قول الله - حل وعلا - . « وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السُّجُنِ » .

الذي يقول الكوفيون - ومن رأى رأيهم فيه إن « الباء » دحات مكان « إلى » ويرفض البصريون النيابة ، ويحرجون الآية . ومن تحريجهم لها . صلاحية الفعل

(١) المعنى ١ / ١٥١

(٢) من الآية ١٠٠ سورة يوسف

(٣) الاكتشاف ٢ / ٣٤٤ - السهيل المعلوم السربل ٢ / ١٢٩ ، وفي الصحاح حسن - « وأحسبت اليهودية » وانظر المحكم « حسن » ٣ / ١٤٤ أساس البلاغة « حسن » اللسان « حسن » التاج « حسن »

(٤) من الآية ٧١ سورة طه .

(٥) الخصائص ٣ / ٣١٢ ، ٣١٣ - ابن عمير على المفصل ٨ / ٢٠ ، ٢١ - الرصم على الكافية ٢ / ٣٢٧ -

الرهان ٤ / ٣٠٣ - المعنى ١ / ١٤٥ - المجمع ٤ / ١٩٤ .

أحسن للوصول بالحرفين « الساء » و « إلى » يقال أحسن به ، وأحسن إليه ، وآسا - به وآسا - إليه^(٣)

٢ - ومن أمثله التحريج عن طريق التصرف في الحرف .

- الحرف باق على معناه من إفاده المعنى الأصلي ، ومن ذلك قول الله - جل وعلا - « فَلَا تُقَطِّعْ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ جِلاَفٍ . . . وَأَلْصِقْ كُفُوكُمْ فِي خُدُوعِ النَّجْلِ^(٤) » .

الذي يقول الكوفيون - ومن وافقهم - فيه إن « في » نابت مماث « على »

ويرفض البصريون ذلك ويرون أن الحرف « في » باق على أصله من إفاده الطرفه . وأن الحدغ للمصاوب بمنزلة الفسر المقصور كأن يسوق الحدغ ويوضع التحصن فيه^(٥) .

- الحرف دال على معنى من معانيه المتبادرة
مسه التي لا تمتصى نية حرف عن آخر .
ومن ذلك قول الله - حل تساؤه - « قُلْ
أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا حَلَمُوا مِنَ الْأَرْضِ »

الذي يقول الكوفيون - ومن قال
بمبولهم - فيه . إن الحرف « من » في قوله
تعالى « من الأرض » باب مباب « في »

ويرفع الصريون ذلك . ومما جاء عنهم
في تحريجه إن « من » في الآية لبيان
الجس ، وهو من معانيها التي لا تمتصى
نية (٢٢)

- الحرف الموحود ليس حرفاً من حروف
الحر ، وإنما هو حرف آخر من حروف
المعاني ، ولا نية فيه ، ومن ذلك قول
الله - سبحانه وتعالى - « لَوْلَا أَن مَنَّ
اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّكَ لَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ »
(٢٣)

الذي يقول الكوفيون - ومن وافقهم -
فيه إن « الكاف » رابت عن « اللام »
وأن المعنى أعجب لعدم فلاح الكافرين .
و- بعض الصريون ذلك . ومن تحريجهم
له أن الكاف ليست كلمة قائمة بنفسها .
وإنما هي حرف نية من الأداة « كأن »
والكلام معها مستأنف

- الحرف رائد - هذا عند تسليمنا
بالريادة - ولا مجال في المثال اية حرف
عن آخر . ومن ذلك قول الله - تبارك
وتعالى - « فَسْتَصِرُّ وَيُصِرُّونَ ، بِأَيْكُمُ
الْمَعْتُونَ » .

الذي يقول الكوفيون ومن وافقهم
فيه إن « الراء » دخلت مكان « في »

ويرفع الصريون ذلك . ومما جاء في
تحريجه إن « الراء » في الآية رائده
في المتداً للتوكيد ومعنى الآية - والله أعلم
وأعلم - . أَيْكُمُ الْمَعْتُونَ (٢٤)

(١) من الآية ٤٠ سورة فاطر .

(٢) الأمير على المعنى ١٦ / ٢

(٣) من الآية ٨٢ سورة القصص .

(٤) سنونه ١٥٤ / ٢ - الكشاف ١٩٢ / ٢ - المعنى ١٥١ / ١ - التسهيل لعلوم الدرر ١١٢ / ٣

(٥) الآيات ٥ / ٦ سورة القلم

(٦) الكشاف ١٤٠ / ٤ - التسهيل لعلوم التريل ١٣٧ / ٤ - الإنقاذ ٢٠٨ / ١

٣- ومن أمثلة التخريج على أساس الأسلوب .

- تعلق الجار والمجرور بمحذوف يبقى الحرف على أصله ، ويُحْمَلُ الجار والمجرور ضميراً لتعلقه به ، ومن ذلك قول الله عز وجل - : « فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ^(١) » .

الذي يرى الكوفيون - ومن وافقهم أن « عن » حلت فيه مكان « على » ويرفض البصريون ذلك ، ويخرجون الآية ، وما جاء من تخريجهم تعلق الجار والمجرور بحال محذوفه والتمقدير : منصرفاً عن ذكر ربي ^(٢) .

- حرف الحر داخل على مضاف حذف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، فبقى الحرف مع المضاف إليه بعد حذف المضاف ، وهو على أصله . ومن ذلك قول « عوف بن سن الخرع »

شَدُوا الْمَطِيَّ عَلَى دَلِيلٍ دَاتِبٍ

~~مِنْ أَهْلِ كَانِزِمَةَ بِسَيْفِ الْأَبْحَرِ~~

الذي يرى الكوفيون - ومن وافقهم - أن « على » فيه نابت مناب « الباء » أي بدليل .

والبصريون يرفضون ذلك ويخرجون البيت ، وما جاء من تخريجهم له : أن « على » جارة لمضاف محذوف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، والمعنى : شدوا المطي على دلالة دليل داتب ، فحذف المضاف « دلالة » لدلالة لفظ « الدليل » بعده عليه ، ويعرب الجار والمجرور في محل نصب حالاً من الضمير في شدوا ^(٣) .

- الأسلوب يقتضى استعانة فعل بحرف

لا يبرهده به لتحقيق غرض بلاغى ، ومن ذلك قول الله - سبحانه وتعالى - : « فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابِكُمْ فِي جُنُوعِ النَّخْلِ ^(٤) » .

يرفض البصريون قول الكوفيين فيه ،

نيابة « في » مناب « على » ويرون أن

إِيتَارَ الْحَرْفِ « فِي » لِلإِشْعَارِ بِسَهْوَةِ صَلْبِهِمْ

(١) من الآية ٣٢ سورة ص .

(٢) الكشاف ٣ / ٣٧٣ - البرهان في علوم القرآن ٤ / ٢٨٦ - المعنى ١ / ١٢٩

(٣) الحصائص ٣ / ٢١٢

(٤) من الآية ٧١ سورة طه سبق الاستشهاد بها ص ١٥٢

الحنى الدانى لحسن بن قاسم بن
عبد الله المرادى

- شرح كافية ابن الحاجب لرضى
الدين محمد بن الحسن الاسترابادى
السجوى ٢ / ٣١٩ - ٣٤٤ .

- معنى اللبيب جمال الدين عبد الله
ابن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام
الأنصارى .

البرهان فى علوم القرآن لبدر الدين
محمد بن عبد الله الرركنى

- مجمع الهوامع شرح جمع الجوامع
لحلال الدين السيوطى ٤ / ١٥٣ . ٣٠٦ .

- التسهيل لعلوم التنزيل للإمام المفسر
محمد بن أحمد بن جرى الكلبى .

وعلى هذه المصادر التى ذكر صاحب
كل منها ما وقف عليه من تحريجات
المصريين وموافقيتهم . اعتمدت فى
استقراء هذه الجهود فى التحريج .
وتقدمها فى الصفحات التالية .

ويسر أمره على « فرعون » وما يوحى
به الحرف « فى » من يسر وسهولة لا يوحى
به الحرف « على » الذى يدل على رفع
وعلو يصعب ويشق^(١)

أقول تلك وغيرها طرق حرجوا بها ما حا-
من أمثله يفهم طاهرها نية حرف حر
مناب حرف حر آخر . وما عز عليهم
تخريجه قالوا فيه بالنيابة عن طريق الشدود .

ومن الكتب التى اهتمت بعرض جهود
المصريين فى تأويل ما أولوه وتحريج
ما حرجوه :

- معانى الحروف لأبى الحسن على بن
عيسى الرمانى .

- الخصائص لأبى المتبحر عثمان بن حنى
فى الفصل الذى عقد لذلك ح ٢ / ٣٠٦ -

- تفسير الكشاف لأبى القاسم حار الله
محمود بن عمر الرمحتبرى ت ٥٣٨ هـ

- شرح المفصل لموفق الدين يعيش
ابن على بن يعيش السجوى ٨ - ٧ - ٥٤٠

(١) البرهان ٤ / ٣٠٣ .

جهود علماء البصرة في تخريج الأمثلة
التي يدل السباق فيها على الداخلة

أرى ضرورة الوقوف على جهود علماء البصرة القائلين بعدم دخول حروف الجر بعضها مكان بعض في تحريك الأمتثلة التي عرضتها ، وطبيعة هذا التحريك من حيث يسره وفرب تأتية ، أو تكلفه ووُعوده الطريق إليه ، وتعرف ماتم لهم تحريكه ، وما تبقى من غير تأويل وتوجيه فكان حكمه دخول حرف مكان حرف على سبيل الشدود حتى تكون النتائج المستحصلة من الدراسة فائدة على الجيده التامة متسمه بالموصف عليه الكامله .

وقد عرّضت هما الأمثلة بترتيبها ، وأرقامها التي سبقت من قبل ، ليسهل الرجوع إليها مكتفياً من المشال بالتركيب ووضع الطاهرة ، وذكر توجه واحد - في أكثرها - مما ذكر علماء البصرة له أكثر من تحريك واكتفيت بما جاء من ذكر للمصادر والمراجع عند عرض الأمثلة ، وما سبقت الإسهاره إليه من مصادر - عرّضت بعضها ، وبنت موقف العلماء منها - من إعادة ذكرها هنا حتى أتحب الإطالة والتكرار

م*	التركيب	التوجيه
١	« إلى » وإذا خلوا إلى شياطينهم	الفعل « خلا » يعدى بإلى والباء ، يقال : خلوت بفلان وإليه
٢	الرفب إلى سائكم	حمل « رفب » على أفصى « لأنه في معناه وعده « بإلى » .
٣	رفع الحجيج إلى ألال	(لعله ضمن « رفع » معنى « حمل » فوصله « بإلى ») **

(*) الأرقام هنا غير متسلسلة لأنها أرقام الأمثلة التي وحدت لها « تأويلا » واحتفظت بأرقامها السابقة ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة
(**) ما من الحاصرات من تحريك الباحث وعلمه يقع إتمة ما فيه من قصور

م	التركيب	التوجيه
٤	لهوت إلى الكواعب	(لعله ضمن « لها » معنى « مال » فوصله بالحرف إلى) .
٥	ليجمنكم إلى يوم القيامة	حمل « يجمع » على « يضم » لأنه في معناه ووصله بالحرف « إلى »
٦	هل لك إلى أن تركي	ضمن قوله هل لك إلى كذا معنى أدعوك إليه وعده « إلى » .
٧	كأنى إلى الناس مطلى به القار	ضمن قوله « مطلى » معنى مسغض ، ووصله بالحرف « إلى » .
٨	تلافنى إلى دروة البيت الكريم	« إلى ذروة » متعلق بمحذوف أى تلاقى مستسبباً إلى ذروة « .
٩	جاست إلى القوم	(جلس إلى القوم توحى بحاحتهم إليه وإفادته لهم ، وهو بهذا فد دخل إلى عقولهم وقلوبهم)
١٠	ويهدى من شاء إلى صراط مستقيم	(فيه هديته إلى كذا ، وهديته لكذا بمعنى أرتدته) .
١١	والأهر إليك	قيل : إنها لانتهاى الغاية ، أى : والأمر منته إليك .
١٢	وأنت حى إلى رعل ومطرود	(رواية الديوان . . أو أنت حيا إلى رعل ومطرود . .) .

التوجيه	التركيب	٢
	« الباء »	
صمن الفعل « أحسن » معنى « لطف » فعداه بالباء .	وقد أحسن لى	١٤
(الفعل « مر » يعدى بالباء ، وعلى يقال مر به وعليه ، أى احتاز)	وإذا مروا بهم يتغامرون	١٦
الباء للسببية ، أى شقت السماء بالغمام سبب طلوعه منها	تشقق السماء بالعمام	١٩
الباء داخلة على مجرور محذوف ، أى بِسؤاله خيرا	فاسأل به خبيرا	٢٠
جاء فى تفسير « بأيمانهم » أى يحملونه بأيمانهم فيسسط نوره قدامهم . جمع يمين .	يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم	٢١
سقط ما جاء فى تفسير « بأيمانهم » أى يحملونه بأيمانهم ، جمع يمين	نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم	٢٣
صمن سأل معنى « دعا » أى دعا داع بعذاب واقع »	سأل سائل بعذاب واقع	٢٤
صمن « سأل » معنى « اهتم واعتنى » وقيل . الباء للسببية	سألتنى بأناس	٢٦
صمن « سأل » معنى « اهتم » وتحفظ ابن هشام على تعميم القول بأن كل « ساء » بعد السؤال للسببية المعنى (٩٨ - ١) .	سألت الحيل . كما لم تعلمى	٢٨
الباء للسببية ، والمعنى بسبب النساء .	فإن تسألونى بالنساء	٢٩

التوجيه	التركيب	٢
(رواية الديوان . رَبَّتْ سَائِلَ عَنِي حَتَّى	تسائل بابن أحمر	٣٠
صمن « سائلة » معنى « مهتمة ومعتنية	وسائلة بثعلبة	٣١
ضمن « لاتسأل » معنى « لاتهم » وقيل :	لاتسأل بمصرعه	٣٢
الباء للسببية		
صمن « سأل » معنى « اعتنى » .	سألت به	٣٣
الباء للسببية ، أى يأتَمرون بسببك .	إن الملاً يأتَمرون بك	٣٦
الباء زائدة	بأيكم المفتون	٤٠
الباء رائدة	لاخير بخير بعده النار	٤٥
السببية والتعليل متقاربان	ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل	٤٦
السببية والتعليل متقاربان .	فبظلم من الدين هادوا	٤٧
السببية والتعليل متقاربان .	فكلا أخذنا بدنبيه	٤٨
ضمن « تشذر » معنى تتوعد « فعلاه	تشذر بالدحول	٤٩
بالباء .		
الماء للاستعانة والمعنى وامسحوا رؤوسكم	وامسحوا برؤوسكم	٥٠
بالماء . وقيل : رائدة .		
الباء للاستعانة والمعنى : يشرب بها عباد	عينا يشرب بها عباد الله	٥١
الله الخمر		
ضمن « شرب » معنى « روى » فعلاه	شرب بن بماء اللحر ضيين	٥٢
بالباء .		
(رواية الديوان . تروت بماء البحر ثم	شربن بماء البحر	٥٣
ترفعت . . .) .		
صمن « الشرب » معنى « الرى » .	شرب النزيف ببرد ماء	٥٤

التوجيه	التركيب	م
	« على »	
ضمن « حقيق » معنى « حربص » وعدها بالحرف « على » .	حقيق على أن لا أقول	٥٥
« على داخله على محرور محذوف ، والتقدير : « على دلالة دليل » .	شدوا المطى على دليل	٥٨
(يمال : رمى عن القوس ، ورمى عليها ، لأنه إذا رمى عنها جعل السهم عليها ولا يقال رمى بها في هذا المعنى . ويقال رميت بالسهم) الحارى والمحرور متعلق بمحذوف والتقدير معتمداً على اسم الله .	رميت على العوس	٦١
	اركب على اسم الله	٦٣
حمل الفعل « رضى » على تقيصه « سخط » معدى بالحرف على ، وفيل : ضمن معنى « عطف » الذى بمعناه	إذا رضيت على .	٦٤
ضمن « ولى على بوده » معنى « استهلكه على « وأفسده » (أو حمل « ولى » على نقبضه أقبل) .	ولى على بوده	٦٦
(« على » على أصلها ، لأنه إذا رمى عنها جعل السهم عليها)	أرمى عليها وهي فرع	٦٧
« على » على أصلها ، لأنه إذا رمى عنها جعل السهم عليها .	رميت على القوس	٦٨

التوجيه	التركيب	م
حمل الفعل « رضى » على بقيصه « سحط » أو صممه معنى « عطف » .	رصيت عليك	٦٩
ضمن « تنلو » معنى « تتقول » فعدها بالحرف « على »	ما تنلو الشياطين على ملك سليمان	٧٠
ضمن « التكبير » معنى « الحمد » أى ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم .	ولتكبروا الله على ما هداكم	٧٥
ضمن « تكبروا » معنى « تحمدا » فوصل بالحرف « على »	لتكسروا الله على ما هداكم	٧٦
يمكن تعاق الجار والمجرور بمحذوف ، أى كان الورود واجاً على ربك أوجهه على نفسه	كان على ربك حتما مقصيا	٨١
ضمن « حافظون » معنى « قاصرون » فوصله بالحرف « على » .	إلا على أرواجهم	٨٢
ضمن « اکتالوا » معنى « تحاملوا » فعدها بالحرف « على »	اكتالوا على الناس	٨٣
	« عن »	
ضمن « ينطق » معنى « يصدر » فوصل بالحرف « عن »	وما يسطق عن الهوى	٨٥
ضمن الفعل « تبدى » معنى تكشف ، أى تكشف الغطاء عن وجه أسيل	تصد وتبدى عن أسيل	٨٦

م	التركيب	التوجيه
٨٧	رمى عن القوس	الفعل رمى هنا يعدى بالأحرف . الباء - على - عن . غير أنه مع على وعن يختلف عن معناه مع الباء .
٨٩	أحسبت حب الحير عن ذكر ربى	الجار والمجرور متعلق بمحذوف، والتقدير . منصرفاً عن ذكر .
٩٠	يبخل عن نفسه	ضمن « يبخل » معنى « يرغب » فوصل بالحرف « عن » .
٩١	لا أفصلت في حسب عنى	ضمن « أفصل » معنى « انفرد » فوصل بالحرف « عن » .
٩٣	ولاتك عن حمل . . وانيا	الفعل « وئى » يعدى بالحرفين « عن » و « فى » ومعنى وئى عنه : جاوزه ولم يدخل فيه .
٩٤	إلا عن موعدة	الجار والمجرور متعلق بمحذوف ، أى إلا صادرا عن موعدة .
٩٥	بشاركى آلهتنا عن قولك	الجار والمجرور متعلق بمحذوف يعرب حالا والتقدير . صادر ين عن قولك .
٩٦	يقبل التوبة عن عباده	الجار والمجرور متعلق بمحذوف يعرب حالا ، أى . صادرة عن عباده .
٩٨	أفمنك لابرق	(رواية الديوان : أفمنك لابرق . .) .

التوضيح	التركيب	م
	« في »	
« في » على أصلها ، والمراد تمكن واستقرار الأيدي في الأفواه .	فردوا أيديهم في أفواههم	١٠٢
« في » على أصلها ؛ لأنه جعل التدبير كالمسح للبت والدرء والتكثير .	يدرؤكم فيه	١٠٤
« في طعن » متعلق بمحذوف ، أي لهم دراية وحذق في طعن	بصيرون في طعن الأباهر	١٠٥
« في » داخلة على مجرور محذوف ، أي في سيرنا .	وخصخضن فينا البحر	١٠٧
ضمن « نلوذ » معنى « ندخل » فعدها بالحرف « في » .	نلوذ في أم لنا	١٠٩
« في » تמיד الظرفية أي استقر وجودكم وتمكنكم في الفلك	حتى إذا كنتم في الفلك	١١٠
ضمن « الصلب » معنى الاستقرار والتمكن هوصل « صلب » بالحرف « في » .	ولأصلبنكم في جذوع النخل	١١١
« في » داخلة على مجرور محذوف ، أي من في مكان النار .	بورك من في النار	١١٢
« فيه » متعلق بمحذوف ، أي يستمعون صاعدين فيه .	أم لهم سلم يستمعون فيه	١١٣

التوجيه	التركيب	٢
« في » على أصلها ، لأن ثيابه إذا كانت على السرحة ، فقد صارت السرحة موضعاً لها .	كأن ثيابه في سرحة	١١٤
ضمن « صلب » معنى « استقر وتمكن » فوصله بالحرف « في »	صلبوا العبدى في جدع نحلة	١١٥
ضمن « صلب » معنى « استقروا وتمكن » فوصله بالحرف « في » .	صلبنا الساس في جدع	١١٦
على سبيل القلب .	لا يدخل الخاتم في أصبعي	١١٧
في الظرفية تقديراً ، أى في قتل النفس فالقتل متضمن للدية تصمن الظرف للمظروف .	في النمس مائة من الإبل	١٢٣
« في » داخلة على مجرور محذوف ، أى الحب في رضا الله والبعض في رضائه .	الحب في الله والبعض في الله	١٢٤
« في » داخلة على مصنف محذوف ، أى في عقب ثلاثة أحوال (الرواية المشهورة : منك بأمثل .	في ثلاثة أحوال	١٢٦
	لما وما الإصباح فيك بأمثل	١٢٧ ،
	« الكاف »	
الكاف للتشبيه ، أى فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها .	فاستقم كما أمرت	١٢٨

التوجيه	التركيب	م
الكاف داخلة على مصاف محذوف، أى كصاحب حير .	كخير	١٢٩
من وضع الحاص موضع . العام والكاف للتشبيه	وادكروه كما هداكم	١٣٣
الكاف جرء من نية الحرف « كَأَنَّ » .	ويكأنه لا يملح الكافرون	١٣٥
الفعل ينادى يصل باللام ، وإلى ، يقال : ناداه له وإليه	« اللام » ينادى للإيمان	١٣٧
(يقال . عاد إليه . رجع . وقد عاد له بعد ما كان أعرض عنه) .	لعادوا لما هوا عنه	١٣٨
الفعل هدى يصل باللام وإلى ، يقال : هداه لكذا وإلى كذا	هدانا لهذا	١٤٠
اللام على أصلها ، أى لأجل بلد ميت ليس فيه حياة لسقيه	سقاء لبلد ميت	١٤١
الفعل يهدى يصل باللام ، وإلى ، والآية دليل ذلك	قل الله يهدى للحق	١٤٢
الفعل يجرى يصل بالحرفين . « إلى » و « اللام »	كل يجرى لأجل مسمى	١٤٣
اللام تفيد التعليل أى فاعلون السبق لأجلها ، أو سابقون الناس لأجلها	وهم لها سابقون	١٤٤

التوجيه	التركيب	م
الفعل « يجرى » يصل بإلى ، ويصل باللام	والشمس تحرى لمستقر لها	١٤٥
اللام للتعليل . أى فلأجل التفرق ولما حدث بسببه . فادع .	فلذلك فادع	١٤٦
(حمل الفعل « أساء » على نقيضه أحسن ، فوصله باللام « .) .	وإن أسأتم فلها	١٥٢
اللام للاختصاص ، وتفيد اختصاص الذن والوحه بالخرور .	يخرون للأذقان سجداً	١٥٣
اللام للاختصاص كسابقه .	ويخرون للأذقان يبيكون	١٥٤
اللام للاختصاص ، وتفيد اختصاص اليدين والعم بالخرور	فخر صريعاً لليدين والفم	١٥٩
(لعل اللام للاختصاص ، وتفيد اختصاص الوجه بالسقوط) .	سقط لوجهه	١٦١
(اللام للاختصاص ، وتفيد اختصاص الفم بالسقوط) .	سقط فلان لفيه	١٦٢
اللام على أصلها من إفادة التعليل ، وقيل على حذف مضاف ، أى لطائفة .	وقال الذين كفروا للذين	١٦٣
اللام داخلة على محذوف ، أى لحساب يوم ، أو لجزاء يوم .	جامع الناس ليوم	١٦٥
اللام على أصلها من إفادة الاختصاص وتفيد اختصاص اليوم بالجمع .	جمعناهم ليوم	١٦٦

م	التركيب	التوجيه
١٦٨	ووضع الموارين القسط ليوم القيامة	اللام داخلة على محذوف، أى لأهل يوم القيامة .
١٧٠	قدمت لحياتي	اللام للتعليل ، أى قدمت لأجل حياتي الآخرة .
	« من »	
١٧٨	يظرون من طرف خفي	قيل : إنها على أصلها من إفادة الابتداء .
١٨٣	ونصبراه من القوم	ضمن « نصر » معنى « منع » فوصله بالحرف « من » .
١٨٥	كنا في غفلة من هذا	« من » على أصلها من إفادة الابتداء .
١٨٦	للقاسية قلوبهم من ذكر الله	« من » على أصلها من إفادة الابتداء ، وقيل للتعليل ، لأن قلوبهم تقسو لذكر الله .
١٨٧	أطعمهم من جوع	قيل ، إن « من » على أصلها من الابتداء لأن الجوع ابتداء الإطعام .
١٨٨	أطعمه من جوع	من على أصلها من إفادة ابتداء الغاية ؛ لأن الجوع ابتداء الإطعام .
١٩١	لهيت من فلان	(الفعل يعدى بالحرفين « من » و « عن »)
١٩٣	ماذا حلفوا من الأرض	« من » هنا لبيان الحنس
١٩٤	بودى للصلاة من يوم الجمعة	من هنا لبيان « إذا » وتفسير له .
١٩٥	يجعلون .. من الصواعق	من على أصلها من إفادة الابتداء ، لأن الصواعق ابتداء لوضع الأصابع في الأذن .

التوجيه	التركيب	م
من لابتداء العاية ، أى ابتداء الكتابة نشأ من أجل ذلك .	من أجل ذلك كتبنا	١٩٧
« من » على أصلها من إمادة الابتداء ، أى الإطعام من أجل الجوع .	الذى أطعمهم من جوع	١٩٩
(يروى السيت « مذحج ومذهر ») ويمكن أن يكون الجار داحلا على محذوف أى من أجل مرور ححج وشهر	أقويش من ححج ومن دهر	٢٠٢

تلك هي الأمثلة التي وقفت على تحريج لها فيما رجعت إليه من كتب اللغة والنحو والتفسير ، ودواوين الشعر وعددها (١١٨) مائة وثمانية عشر مثالا من مائتي مثال وثلاثة أتيح لي جمعها .

وإذا أمكن تخريج ما بقي من أمثلة أو بعضه ، فإن الذى لا شك فيه أن من الأمثلة التي جاءت في لغتنا العربية أمثلة عز تأويلها ووصل إلى حد التعسف تحريجها ، فسلم ، جمهور علماء البصرة - ومن وافقهم على القول بعدم بياة حروف الجر بعضها عن بعض - بورود هذه الأمثلة على سبيل الشذوذ .



نتائج الدراسة

وأرى أنه لا ضير علينا إذا سلمنا بذلك سواء علينا أُرِدَّتْ هذه المعاني إلى المعنى الأصلي أم لم ترد ، وكانت دلالة الحرف على هذه المعاني من قبيل المشترك اللفظي .
- وثبت لي أيضاً من واقع استعمال هذه الحروف في لغتنا العربية الفصحى ، وبأمثلة دخلت في عداد المثات أن الحرف قد يأتى مستعملاً في أسلوب يدل ظاهر سياقه دلالة واضحة على أن معنى الحرف في هذا الأسلوب ليس المعنى الأصلي له ، وليس معنى من المعاني المتبادرة منه ، وإنما هو معنى من المعاني التي وضع لها حرف آخر يناقضه أو يخالفه ومن ذلك :

دلالة الحرف « على » الذي وضع للاستعلاء على معنى المجاورة الذي وضع له الحرف « عن » .

ودلالة الحرف « إلى » الذي وضع للانتهاء على معنى الابتداء الذي وضع له الحرف « من »

ودلالة الحرف « في » الذي وضع للظرفية على معنى الاستعلاء الذي وضع له الحرف « على »^١ وهكذا .

- ثبت لي من خلال دراسة حروف الحر مستعملة في لغتنا العربية أن لكل حرف من الحروف معنى أصلياً له وُضع ومن أجله حسب في قاهوسها اللغوي ، ومن ذلك دلالة الحرف « من » على الابتداء ، والحرف « إلى » على الانتهاء ، والحرف « على » على الاستعلاء ، والحرف « عن » على المجاوزة ، و « الاء » على الإلصاق وهكذا

- وثبت لي كذلك من خلال تتبع استعمال هذه الحروف في لغتنا العربية الفصحى أن الحرف قد تتسادر منه معانٍ أخرى - ليست معنى أصلياً لحرف آخر - يوحي بها السياق ، ويعرب عنها المعنى العام ، ومن ذلك

دلالة الحرف « من » على « التبعيض » وعلى « بيان الجنس »

ودلالة الحرف « الاء » على السببية وعلى « الاستعانة » وهكذا

والاستعمال الأخير هو الذى شدد
جمهور البصريين فى معه قياساً ، وأولوه ،
أو قالوا بشذوذه وهو الذى أجاره جمهور
الكوفيين ومن وافقهم من البصريين

وإذا كان لى رأى متواضع فى هذه الدراسة
اعتمدت فيه أساساً على تتبع الظاهرة ،
وجمع أمثلتها ، وقول سيوخ نحاة البصرة
والكوفة ومن جاء بعدهم مستعيناً بأهمات
الكتب فى ذلك فإننى أرى .

أولاً : أن علماء الكوفة لا يقولون بدخول
حروف الحر بعضها مكان بعض دخولا
مطلقاً ، ولا يقبأون من هذا إلا ما وافق
السياق ، واستقام معه المعنى يؤكد هذا
ويقويه أن جميع ما وفتت عليه من أمثله
تصح عبارتها ويستقيم معناها إذا وضع
الحرف غير المذكور مكان الحرف المذكور
وإلا لرمهم ما يقوله « البصريون » من أن
القول بنىابة حروف الجر بعضها عن بعض
يؤدى بنا إلى أن نقول ما يأتى

١٦ الراكب عن العرس ، ونحن نريد عليه

كتبت على القلم ، ونحن نريد به .

وهكذا .

ثانياً : أرى أن ما يعترض عليه جمهور
علماء البصرة من نىابة بعض حروف الحر
عن بعض إنما هى السىابة المطلقة التى
يترتب عليها أن نقول .أخذت على الكيس ،
ونحن نريد منه ، يؤكد هذا ويقويه
تلك الجهود التى بدلت فى تخريج هذه
الأمثلة تخريجاً يبقى الحرف المذكور على
معناه ، ثم تسليمهم فى نىابة المطاف بنىابة
بعضها عن بعض شذوذا عند تعسف
التخريج حيناً وخروجه عن الطاقة أحياناً .

أقول - والله أعلى وأعلم - لا يريدون
بالشذوذ الخطأ وإنما يريدون ماخالف قياسهم
ولم يصل إلى الكثرة التى تلتقى مع وجهة
نظرهم والكثرة من وجهة نظرى نسبية ،
وما لم يرد له تحريج من الأمتله كثير

ثالثاً : صرح كثير من سيوخ علماء
البصرة ، وعلماء الكوفة ومن جاء بعدهم
آخدا عن المدرستين باستعمال حرف حر
مكان حرف حر آخر - أعنى بصرف النظر
عن إمكانية تحريجه أو عدمها ومن ذلك

(أ) صرح « سيبويه » رحمه الله -

بدخول « عن » مكان « من » فقال « وأما » ،

« عن » فلما عدا الشيء ، وذلك قولك .

أطعمه عن جوع جعل الجوع مصرفاً

فقال : « وقال » قيس بن الخطيم يصف جيشاً كثيراً :

لوانك تلقى حَظلاً فوقَ نَيْضِنَا
تَدحرجَ عَن دِي سَامِه المتقارب

يقول 'لو' ألقيت حنطلا على بيضهم لتدحرج عليه ، يريد . جرى فوقه ، ولم يسقط إلى الأرض . . و « عن » بمعنى « على »^(٤) .

(د) وصرح « المبرد » رحمه الله - بدخول حروف الإضافة بعضها مكان بعض ، فقال . « كما تدحل (حروف) الإضافة بعضها على بعض فن ذلك قوله - عز وجل - : « يَحْمَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ » أى بأمر الله . وقال « وَلَا أَصَلِّنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ » أى « على » ، وقال : « أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ » أى عليه^(٥) .

(هـ) وصرح « ابن جنى » - رحمه الله - بإمكانية دخول حرف جرهم كان حرف آخر

تاركاً له قد جاوزه ، وقال . قد سقاه عن العيمة (العيمة شهوة اللبن) . وكساه عن العرى وقد تقع « من » موقعها أيضاً ، تقول . أطعمه من جوع ، وكساه من عرى ، وسقاه من العيمة^(١) .

ونقل عنه كذلك دخول « على » مكان « عن » فقال « قال » أبو عمرو : سمعت أباريد يقول رميت عن القوس ، وناس . رميت عليها^(٢) .

(ب) وصرح « الفراء » رحمه الله - بدخول « الباء » فى موضع « على » فقال . « ويقراً . « حقيق على أن لا أقول » وفى قراءة « عبد الله » حقيق بأن لا أقول على الله ، فهذه حجة من قرأ « على » ولم يضيف ، والعرب تجعل « الباء » فى موضع « على » . رميت على القوس وبالقوس وجئت على حال حسنة ، وبحال حسنة^(٣)

(ج) وصرح « ابن قتيبة » رحمه الله - بدخول « عن » مكان « على »

(١) سيبويه ٤ / ٢٢٦ - ٢٢٧

(٢) سيبويه ٤ / ٢٢٦

(٣) معاني القرآن ١ / ٣٨٦

(٤) المعاني الكبير ٢ / ٨٩١ - ٨٩٢

(٥) المقتضب ٢ / ٣١٨

رابعاً من كل ما تقدم أستطيع أن أقول إن العرب توسعوا في استعمال حروف الحر ، فأوقعوا الحرف على معناه الأصلي ، وعلى بعض المعاني التي تتبادر منه ويسوعها المقام ، وعلى بعض المعاني التي وصع لها غيره من الحروف التي تناقصه في معناه والتي تحالفاه ، وتنطق بصحة ذلك مئات الأمثلة من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وفصيح الكلام العربي وهذا اعترف علماء العربية من البصريين والكوفيين ثم خضع جمهور كل من المدرستين لمهجع مدرسته التي احتطته لسهجها في تقعيد قواعد العربية ، فطرق جمهور علماء الكوفة مسهجهم الذي يقوم على التسامح والتوسع ، وسلموا في يسر بإقامة حروف الحر مقام بعضها عند أداء المعنى من غير ما سلود أو خروج على المؤلف ، وأعفوا أنفسهم مشقة التأويل والتخريج وطبق جمهور علماء البصرة منهمجهم الذي يؤثر الدقة والاطراد والقياس ، فتمالوا بالمعنى الواحد للحرف الواحد ، وحاولوا

عند صحة الاستعمال واستقامة المعنى ، فقال « ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا . لكنا نقول إنه يكون معناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوعة له ، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا^(١) »

(و) وصرح « الرصي » - رحمه الله - بإقامة حروف الجر بعضها مقام بعض ، فقال : « وإقامة بعض حروف الحر مقام بعض غير عزيزة^(٢) »

وسلم كذلك بإقامة حرف حر مقام حرف آخر عند تعذر التحريج والتأويل ، فقال « واعلم أنه إذا أمكن في كل حرف يتوهم خروج عن أصله وكونه بمعنى كلمة أخرى أوريادته أن يسقى على أصل معناه الموضوع هو له ، ويضمن فعله المعنى به معنى من المعاني يستقيم به الكلام فهو الأولى بل الواجب^(٣) .

وبما صرح به هؤلاء العلماء من إقامة حروف الحر مقام بعض صرح به آخرون

(١) الحصائص ٢ / ٣٠٨

(٢) الرصي على الكافية ٢ / ٣٢١

(٣) الرصي على الكافية ٢ / ٣٤٥

إثبات ذلك في كل متال يفهم من ظهريه
التعدد وما وقصرا أمامه عادوا فقالوا فيه
بالنيابة شأن علماء الكوفة ثم وسموه
بالتدويز .

وعلى هذا يكون الحلاف يسهما حلافاً
لفظياً ، أبقى الكوفيون الفعل على أصله
وتصرفوا في الحرف ، وحاول الصوريون
إبقاء الحرف على أصله ، وتصرفوا في الفعل
وتحريك المثال من جانبهم تسليم منهم بأن
الحرف فيه توسع لا محالة

وأرى أنه لا ضمير على اللغة من توسع
لجأ إليه أصحابها الفصحاء وهم أدري
بها ، وأفقه الناس بحصائصها ، فأقاموا
بعض حروف الحر مكان بعض ، وهو وجدناه
من ذلك وأمكن تخريجه في يسر ولطف
خرجناه ابقاء للحرف على أصل معناه ،
وما عز تخريجه سلماً فيه باقامة حرف
مكان حرف يعير تدود تسليمياً بالاستعمال
العربي ، وتفادياً لتخريج قد بخطيء
الصواب إليه ، وتوفيقاً بين المدرستين .

ولا أرى ما آه بعض الإخوة الأفاضل

من أن القول برأي نحاة الكوفة - في
هذه الظاهرة - يمثل تسامحاً ضاراً بلعتنا
القومية في حاضرها ومستقبلها لما يعرضي
إليه من مشكلات لغوية ، واصطراب
في البيان^(١) لأن علماء الكوفة - فيما أرى -
لا يوافقون على استعمال حرف مكان
حرف في كل موضع وعلى كل حال ،
وإنما يسلمون بما سلم به « ابن جنى » وهو
استعمال حرف مكان حرف آخر بمعناه
في موضع دون موضع على حسب الأحوال
الداعية إليه والمسوعة له ، كما سبق
الإشارة إلى ذلك .

(بقى هذا السؤال هل نقف عند
حد ما سمع منها أو يتقى باب استعمالها
مفتوحاً لمن يريد التعبير ؟) .

أرى :

* تفصيل وجود معنى أصلي واحداً
للحرف إليه يرجع الذي اشعب منه
ما أمكن ذلك .

* جل من يتحدث العربية اليوم حتى ،
في مهدها الأول - توارت سلبقتهم ،
وبررت لكننتهم ، وامتنع عليهم التصحيح .

(١) من القائلين بذلك الأحم الدكتور / محمد حسن عواد في كتابه تماوز حروف البحر في لغة القرآن ١٣ ط / الأردن

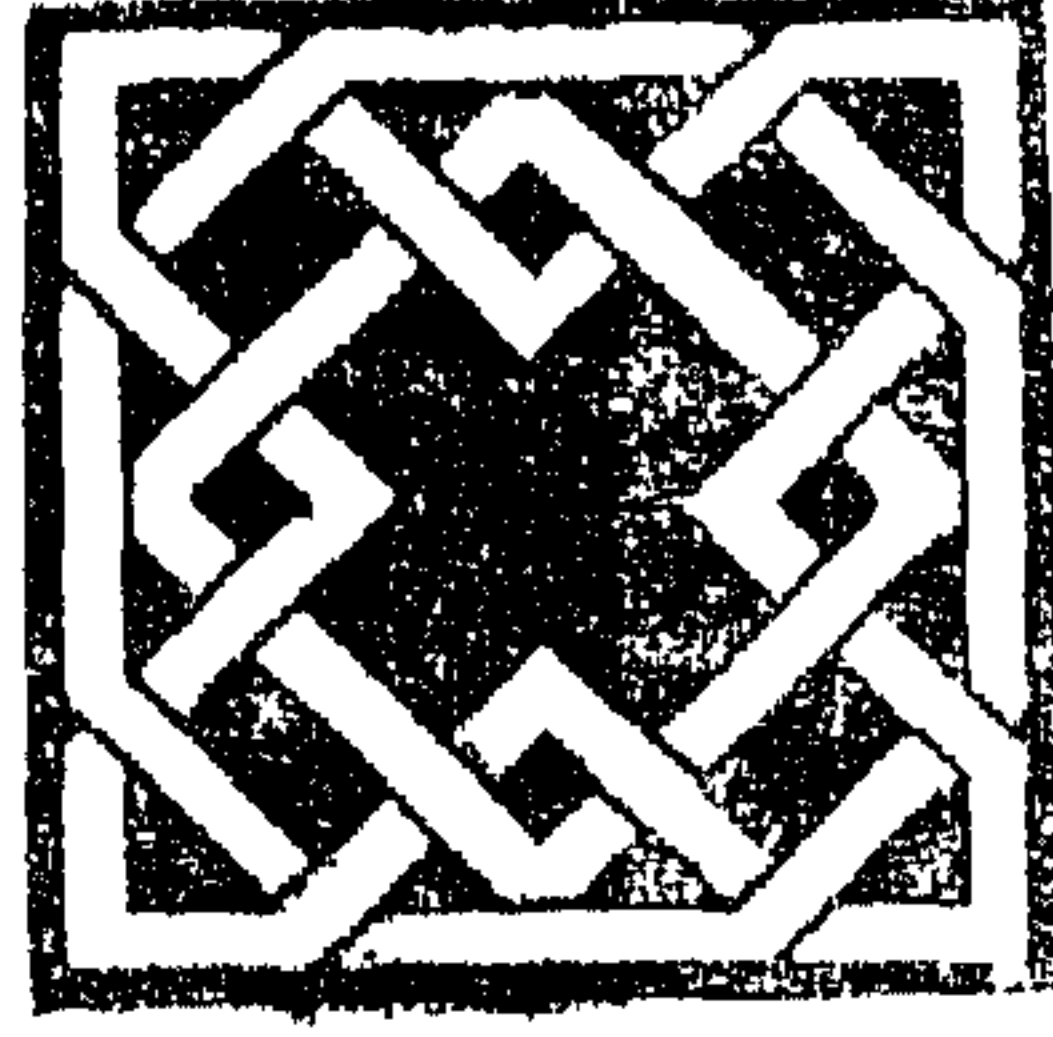
١٤٠٢ - ١٩٨٢ م .

* الأمثلة التي تساقها الخلف عن السلف
جيلا بعد جيل حتى عصرنا تقف عند لغة
عصر الاحتجاج وليس بينها أمثلة عليها
طابع التحديث .

وهذه وغيرها اعتبارات تميل بي إلى
إيثار الوقوف عندما سمع منها وإذا قبل
شيء من تسامح ، قبل في أصيق الحدود

لمن صقلت ملكته ، وصمت قريحته ،
وارتفعت لغته ، وامتلك ناصية البيان .
وَأَسْأَلُ اللَّهَ - جَل وَعَلَا - فِي آخِرِ هَذِهِ
الدراسة المتواضعة أن أكون قد وفقت فيها
إلى شيء من سداد ، وأن ينفع بها العباد ،
ويجزل عليها الثواب إن شاء الله .

حسين شرف
الحبير بالمجمع



من مصادر الدراسة ومراجعتها

م	الكتاب	المؤلف	مكان الطبع	تاريخ الطبع
١	إتحاف فضلاء البشر	الدمياطى	القاهرة	١٣٥٩ هـ
٢	الإتقان فى علوم القرآن	السيوطى	القاهرة	
٣	الأرهمية فى علم الحروف	الهروى	دمشق	١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
٤	أساس البلاغة	الزمخشرى	بيروت	١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
٥	الأصمعيات	الأصمعى	القاهرة	١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م
٦	أمالى الشجرى	ابن الشجرى	بيروت «تصوير»	
٧	إنساء الرواة	القفطى	القاهرة	١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م
٨	البرهان فى علوم القرآن	الزركشى	القاهرة	
٩	بغية الوعاة	السيوطى	القاهرة	
١٠	تأويل مشكل القرآن	ابن قتيبة	القاهرة	١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
١١	التسهيل فى علوم التأويل	ابن جزى	بيروت «تصوير»	١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م
١٢	تنوير الحوالك على موطأ مالك	السيوطى	القاهرة	
١٣	تهذيب اللغة	الأزهري	القاهرة	١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م
١٤	الجنى الدانى فى حروف المعانى	المرادى	بغداد	١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
١٥	حاشية الخضرى على «ابن عقيل»	الخضرى	القاهرة	١٣٠٥ هـ
١٦	الخصائص	ابن جنى	القاهرة	
١٧	ديوان شعر	الأخطل عيات	دمشق	١٣٩٩ هـ / ١٣٨٩ هـ
١٨	ديوان شعر	الأعشى «ميمون»	بيروت	١٩٥٠ م
١٩	ديوان شعر	ابن أحمر الباهلى	دمشق	

م	الكتاب	المؤلف	مكان الطبع	تاريخ الطبع
٢٠	ديوان شعر	امرؤ القيس	الجزائر	١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م
٢١	ديوان شعر	حرير بن عطية	القاهرة	١٣٥٣ هـ
٢٢	ديوان شعر	حميل بن معمر	بيروت	١٩٥٣ م
٢٣	ديوان شعر	رهير بن أبي سلمى	القاهرة	١٣٦٣ هـ ١٩٤٤ م
٢٤	ديوان شعر	الشماع بن ضرار	القاهرة	١٣٢٧ هـ
٢٥	ديوان شعر	طرفة بن العبد	بيروت	١٩٥٣ م
٢٦	ديوان شعر	عدي بن زيد	بغداد	١٣٨١ هـ ١٩٦٥ م
٢٧	ديوان شعر	عمر بن أبي ربيعة	بيروت	١٩٦٨ م
٢٨	ديوان شعر	عمرو بن قميصة	القاهرة	١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م
٢٩	ديوان شعر	عمرو بن معد يكرب	دمشق	
٣٠	ديوان شعر	عنتر بن شداد	بيروت	١٩٥٣ م
٣١	ديوان شعر	الفرزدق همام ابن غالب	بيروت	
٣٢	ديوان شعر	قيس بن الخطيم	بيروت	١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م
٣٣	ديوان شعر	لبيد بن ربيعة	بيروت	
٣٤	ديوان شعر	النايعة الجعدى	دمشق	١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م
٣٥	ديوان شعر	النايعة اللبياني	بيروت	
٣٦	ديوان شعر	الهلديون	القاهرة	١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م
٣٧	سنن أبي داود	أبو داود سليمان	دمشق	١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م
٣٨	سنن النسائي	النسائي عبد الرحمن	القاهرة	

م	الكتاب	الؤلف	مكان الطبع	تاريخ الطبع
٣٩	شرح ابن يعيش على المفصل	بعيش بن علي	القاهرة	
٤٠	شرح الرضى على الكافية	رضى الدين الاستراباذى	تركيا	١٣١٠ هـ
٤١	الصاحبي	أحمد بن فارس	القاهرة	
٤٢	صحيح البخارى	البخارى محمد ابن اسماعيل	تركيا	١٩٨١ م
٤٣	صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج القشيري	القاهرة	١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م
٤٤	الغريب المصنف	أبو عبيد بن سلام	مخطوطة	
٤٥	فقه اللغة	أبو منصور الثعالبي	بيروت	
٤٦	الكتاب	سيبويه « هارون »	القاهرة	١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م
٤٧	الكشاف	الزمخشري	القاهرة	١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م
٤٨	اللسان	ابن منظور	القاهرة-الأميرية	
٤٩	المخصص	ابن سيده	القاهرة-الأميرية	
٥٠	مسند أحمد	أحمد بن حنبل	القاهرة	
٥١	معاني الحروف	الرماني	جده	١٤٠١ هـ ١٩٨١ م
٥٢	معاني القرآن	الفراء	القاهرة	١٩٥٥ م
٥٣	المعاني الكبير	ابن قتيبة	حيدرآباد	
٥٤	المقتضب	المبرد	القاهرة	١٣٨٨ هـ ١٩٥٥ م
٥٥	همع الهوامع	السيوطي	الكويت	١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م

رد على دعوى يدعيها اللغويون الغربيون تتصل بالزمن في اللغة العربية (☆)

للدكتور البدر اوي زهران

الأخري من الأرومة المشهورة باسم
اللسان السامي أو لسان الساميين
ويناقش العقاد القضية مناقشة علمية
تحليلية قائمة على التحليل
اللغوي المنبثق من داخل اللغات نفسها
وهو ما يعرف في علم اللغة الحديث
بـ Intra Languages .

ويبين من خلال بحثه كما يتراءى لنا
أنهم حكموا حكما متعجلا غير مبني على
دراسة دقيقة.

فهو يرجع هذه الدعوة إلى العجلة
عندهم وإلى عدم التريث في البحث، وذلك
أنهم صدقوا أو هاما توهموها عن
العربية . يقول : وربما ساغ هذا القول
عن اللغة العربية في عقول المتعجلين من
مصدقيه، لأنهم توهموا أن هذه اللغة
نشأت في صحراء خاوية لا قيمة للوقت
عند أهلها، فلا جرم أن تخلو من التوقيت
الدقيق في تمييز الأفعال والأحداث. (١)

تكتسب هذه القضية أهميتها من أنها
نموذج لنوع من الصراع الفكري في
ميدان استأسد فيه طائفة من
المستشرقين وأصبحت كلمتهم هي العليا
التي لا ترد وأراؤهم مناط استشهاد
وموضع احتجاج وعَضْدٌ موقفهم في هذه
القضية أن ظاهر كلامهم يستهوي
العقل. فالقضية تتصل بالساميات وهي
مسرح نشاطهم ومجال أبحاثهم وفي
الغالب يقبل المتخصص آراءهم ولا يفند
أقوالهم ومن هنا جاءت أهمية موقف
العقاد ليؤكد من وجهة نظرنا حقيقة أنه
ليس كل ما يراه هؤلاء في هذا المجال
غير قابل للرد أو التعقيب .

والقضية مؤاذا أنها شاع بين
اللغويين المختصين بدراسة تواريخ
الأسنة في الغرب - أن اللغات السامية
ناقصة في دلالة الزمن - أي في دلالة
الأفعال على الأزمنة - ومنها اللغة
العربية، على تفاوت بينها وبين الفروع

(*) ألقى العقاد بحثه في هذه القضية في الحلسة العلنية المسائية لمؤتمر المجمع بدار الجمعية الجغرافية المصرية في
١٩٥٧/١٢/١٦م تحت عنوان الزمن في اللغة العربية . رقد رأيت أن أعيد عرضها في ضوء علم اللغة الحديث.

(١) الزمن في اللغة العربية ص ٣١ . وانظر كتاب «لغتنا الشاعرة» للعقاد .

ثم يشرع في بيان فساد هذا الوهم الذي لا يثبت أمام نظرة محققة في التاريخ ولا في اللغة، وفي أناة وتؤدة يبين أن اللغة العربية (١) قد اشتملت علي وسائل للتمييز بين الأوقات علي نحو لم يوجد في لغة غيرها ويحل القضية من جانبين: جانب يتصل بطبيعة الحياة البدوية العربية، وجانب يتصل بالتحليل الداخلي للغة من حيث تصريف الأفعال والأزمنة ومباني الجمل وغير ذلك من نحو مفردات اللغة الدالة علي الزمن.

ثم يُبين أن اللغة العربية تستوفي الدلالة علي الإحساس بالزمن في مختلف مواضعه ومناسباته، بأسلوبها المعروفين في اللغات ويعني بهذين الأسلوبين :

أسلوب الكلمات المستفادة من التصريف والاشتقاق، أو من الأدوات المصطلح علي تخصيصها لمعانيها.

وأسلوب التعبيرات التي تدخل في عداد الجمل والتراكيب.

ومن الأسلوب الأول الصيغ التي تأتي

من تصريف الفعل للدلالة علي المستقبل الإنشائي كفعل الأمر. فإنه في اللغة العربية مخصص بصيغته لهذا المعني بغير لبس في الزمن ولا الفاعل. فيقول العربي: اكتب .

وفهم من ذلك أن الكتابة مطلوبة للمستقبل غير حاصلة حتما ، فإذا عبر المتكلم بالإنجليزية عن هذا العمل فترجمة «اكتب» فيها كلمة (wriet) وهي تدل علي مجرد الكتابة بغير زمن محدود ولا تخصص لمعني الأمر إلا إذا قيل (Dowrit) أو (You should write) أو (You should write) (١) ويندر في اللغات الغربية ما يشتمل علي تخصيص أدق من هذا التعميم.

والصيغة العربية ذات دلالات متعددة لا تؤديها اللغات الأخرى إلا بصيغ متعددة ومعناه أن العربية في هذا محكمة (٢).

أما الأسلوب الأخر وهو أسلوب الدلالة علي الزمن والتعبيرات التي تدخل في عداد الجمل والتراكيب، فكل ما أمكن

(١) أي يدخل ضمن مباحث علم اللغة الاجتماعي .

(٢) هذه القضية تظهر واضحة في الدراسات الحديثة من خلال علم اللغة التقابلي - Contrative analysis في مجال تحاليل البنيات النحوية - انظر كتابنا : علم اللغة التقابلي الباب الثاني الدراسات النحوية في مجال التحليل التقابلي البنيات النحوية .

التعبير عنه بهذا الأسلوب في لغة من اللغات فهو ممكن في اللغة العربية في سهولة - كسهولة - أو أسهل منها .

فقد ينسب القول مثلا إلي أحد من الناس كأنه عادة ، كأن يأتي بها في غير زمن محدود فيقول المتكلم بالانجليزية

(He was always saying
he used to say

ويقول العربي: أنه كان يقول، أو أنه تعود أن يقول، أو أنه طالما قال، ولا تختلف العبارات فلي صحة الدلالة، ولا في التحديد الزمني. ولا في الإطلاق من هذا التحديد ولا في الإطالة والإيجاز.

غير أن اللغة العربية فيها ما يدل علي التطور والارتقاء وعلي النضج العقلي والرقى الفكري وهذا ما يكشف عنه البحث في أجروميته وننظر إلي الأفعال من وجهة الأجرومية، فنري أن أوضاعها في اللغة العربية أدل علي التطور والارتقاء من لغات أخرى تحسب في طليعة اللغات دقة وأداء للمعاني الذهنية.

على نحو ما تكشف عن ذلك الدراسات التقابلية وذلك راجع إلي عوامل تشير إليه دلائل متعددة والقرائن

التي تكشف عن ذلك كثيرة فمن علامات التطور في اللغات أن الفعل الماضي فيها هو الاصل ويأتي الفعل المضارع بالتصريف ، وفي لغات أخرى من أرقى اللغات. (١)

يشيع استعمال المضارع «أولا» ويأخذون منه الماضي بإضافة حرف أو مقطع أو تغيير الصيغة وفي نظرة العقاد للتدرج الزمني في اللغات حكم علي أن العربية أدق وأرقى فالماضي هو الأصل في اللغة العربية وفي هذا دلالة علي النضج العقلي والرقى الفكري لأن الإنسان البدائي يتخذ من الحاضر المشاهد (المضارع) البداية ثم يعبر عن الماضي بإضافة علامة. أما العربية فتأخذ من الماضي بداية للتطور حتي تستقر بقية الصيغ يقول في ذلك:

«فالإنسان البدائي يتكلم كأنه يصور علي الطريقة الهيروغليفية (٢) فيرسم الحاضر المشاهد في أثناء العمل فهو مثلا إن أراد أن يعبر عن الكتابة فيرسم إنسانا في أثناء عمل الكتابة. أي في الزمن الحاضر المضارع للرؤية فإذا أراد أن يعبر عن الماضي أضاف إلي الصورة علامة تدل حدوثها فيما مضى أو أضاف إليها صورا تتم معناها بما يفهم منه

(١) الزمن السابق ص ١٣٩.

(٢) السابق.

إسنادها إلي وقت مضي. ولكن اللغة العربية تغلب فيها صيغة الماضي ويؤخذ منها المضارع بحرف يدخل عليها وإنما تتم غلبة الصيغة الماضية بتطور يتدرج في الارتقاء حتي تستقر الصيغتان - صيغة الماضي وصيغة المضارع - علي هذا التقسيم وهنا إضافة وإفادة إلى علم اللغة التاريخي وعلم اللغة العام .

وعلاوة أخري تدل علي تطور اللغة العربية في هذا الاتجاه وهي أن التفرقة بين الأمنيين فلسفية منطقية. فضلا عن كونها تفرقة نحوية.

ففي كثير من اللغات المعهودة من أرقى اللغات ينقسم الفعل إلي ماض وحاضر ومستقبل pas. present and future علي حين أن الحاضر شيء نبحث عنه فلا نجده أو نجده علي الدوام متصلا بالاستقبال لا ينفصل عنده لحظة منهما أقصر اللحظات لأنه ما من لحظة

منها تقصر إلا وهي كافية أن تدعله في حكم ما كان وليس ما هو حاضر الآن. فالحاضر جزء من اثنين إما ماض وإما مستقبل.

وهذا الفارق الدقيق ملحوظ في تقسيم الأفعال العربية لأنها ماض ومضارع يدل علي الحال متصلا بالاستقبال. ولا يكون الفعل إلا للحال والاستقبال. أو يكون الزمن فيه مضارعا للزمن السائر الذي لا يستقر علي قرار وهذه غاية في الدقة تحسب للعقل العربي (١) .

وقد فطن لهذه الحقيقة عالم من علماء الأجروميات والمباحث اللسانية لمؤلفه الدكتور أوتوجسبيرين (otto jespersen) (٢) يقول إن لنا - علي الاصح - أن نقول إن الزمن ينقسم إلي جزئين: ماض ومستقبل. وبينهما حد الانفصال وقت حاضر كأنه النقطة الهندسية التي لا طول لها ولا عرض ولا ارتفاع.. ولكنها

(١) يعتبر العقاد من مقاييس ارتقاء اللغات الدلالة علي الزمن في أفعالها في سائر أفعالها ويربط بين علامات الدلالة علي الزمن وعلامات الدلالة من خلال رأيه في نشأة اللغات ويرى العقاد أن اللغات تنشأ علي نحو قريب من نشأة الكتابة علي الطريقة الهيروغليفية أي طريقة الدلالة بالأشكال المرسومة. فالإنسان يعبر عن الكتابة بنقشه أشكالاً علي حجر ويدل بذلك علي مجرد حدوث الفعل في غير زمن محدد فإذا أراد أن يدل علي وقت الفعل أشار إليه بعلامة مضافة تفهم منها البعد والإدبار والبعد والإقبال أو الاستمرار والاستغراق وهذا لابد فيه من علامات صوتية أو جسدية للتفرقة بين حالات الزمن المختلفة ما هو كائن وما سيكون وما هو معلق علي شرط ومن هنا يظهر ارتقاء اللغة من علامات الزمن في أفعالها . إن اللغة التي تدل علي الزمن بعلامات مقدره في الفعل أعرق دائماً من اللغة التي تخلو من تلك العلامات وبمقدار علامات الدلالة تكون العراقة والارتقاء والعربية فيها ما ليس في غيرها مما يثبت ارتقاها.

(٢) Otto jespersen, language its nature development and origin .

علي الدوام منسوبة إلي المستقبل (١) .

فإذا أراد المتكلم في لغة العرب أن يذكر المستقبل بشتي معانيه فهو موجود بمعنى الاستمرار بشتي معانية وهو موجود بمعنى الإنشاء واستحداث الفعل علي الطلب.

فصيغة المضارع تدل علي الحال والاستقبال وصيغة المضارع مسبوقه بالسین تدل علي المستقبل القريب ومسبوقه «بسوف» تدل علي المستقبل البعيد (٢).

١ - المجاوية بين طلب الفعل وحدوثه داخل في دقة الزمن في العربية.

٢ - وأفعال المطاوعة.

٣ - ودلالة المفعول المطلق.

٤ - وأفعال الدعاء والرجاء.

يقول في ذلك: «وصيغة الأمر تدل علي: **أفعل** مطلوب في المستقبل يقترن بالزمن عند حصوله: أمرته ففعل، وهذه المجاوية بين طلب الفعل وحدوثه مألوفة

في اللغة العربية. تتمثل في أفعال المطاوعة التي لانظير لها في كثير من اللغات(٣) .

فإذا وقع الحدث في الزمن فله صيغ متعددة تؤكد هذا التحقيق كما يقال: أمرته فأتمر. ورسمته فارتسم وقطعته فانقطع. وكسرتة فانكسر.

ومن قبيل هذا التوكيدات للحدوث أو طلب الحدث في الزمن - دلالة المفعول المطلق علي حين تقول. فعلته فعلا وصنعتة صنعا إلي أشباه ذلك في مواضعه وبواعيه من التعبير والتوكيد.

ومن علات التطور أفعال الدعاء والرجاء فإنها في هذه اللغة العربية غاية في الدقة تحسب من قبيل التمييز المنطقي أو الفلسفي في هذا الباب.

فالمعني غالب علي اللفظ في أفعال الدعاء والرجاء « يقول القائل (صحبتك السلامة) و (حفظك الله) و (رعاك الله) .. ولا يحتاج الفعل هنا إلي النقل من

(١) التفاتة في غاية الأهمية من الناحية الفلسفية والواقعية من خلال التعمق في فكرة الزمن في أجروميات اللغات تشير إليها جعل الماضي هو الأصل في اللغة العربية فال حاضر لا يكاد يذكر فالزمن ماضٍ ومستقبل - والعبد بين مخافتين لا يدري ما الله صانع به فيهما بين ماضٍ قد انقضى ومستقبل لا يدري ماذا له فيه. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) السابق.

(٣) على نحو ما تثبت ذلك الدراسات التقابلية في علم اللغة .

صيغة الماضي إلي الحاضر. لأن المعني بالبداية معلق بالاستقبال. وفي بقائه علي صيغة الماضي ما يشعر بقوة الأمل في الاستجابة كأن ما يرجي أن يكون قد كان ولاشك أن هذا المعني مقصود لأنه لم يأت عن عجز في اللغة. ولا يمتنع علي قائل أن ينقله إلي صيغة المضارع إذا شاء .

والشرط والنفي في العربية له دلالة علي الزمن ويلحقه الغربيون في أجروميئاتهم بالكلام علي الزمن في الأفعال فهو لحق معقول لأن الشرط والنفي يفيدان ما يحدث وما لا يحدث في زمن من الأزمان.

يقول العقاد : ومن المعلوم أن قد أستوفي الشرط والنفي في اللغة العربية الزمن أيما استيفاء.. فكان من أدوات الشرط :

١- ما يفيد الاحتمال الضعيف.

٢- ومنها ما يفيد الاحتمال القوي كما قال إن حدث هذا. وإذا حدث هذا.

٣- ومنها ما يفيد الاحتمال مع الغرض والتقدير.

٤- وقد يفيد الامتناع حين تستخدم «لو» في مواضعها.

٥- ومنها ما يفيد الشرط المعلق علي توقيت منتظر.

٦- أو متفق عليه كالشرط بـ «متي».

٧- ومنها ما يربط السببية أو النتيجة العقلية علي الإطلاق الذي لا يتقيد من الأزمان كـ «مهما» و «أيان» و «أنني» و كـ «لو» في بعض الأحوال.

أما النفي ففيه دقة دلالة زمنية في اللغة العربية.

فالنفي بـ «لم» مقصور علي نفي الحدوث. وهو بالبداية لا يكون إلا لزمن ماض لأننا لا نتكلم عن شيء حدث قطعا أو لم يحدث إلا إذا كان الكلام علي ما مضى ولهذا لا نحول الفعل من صيغة المضارع إلي صيغة الماضي بعد «لم» ويقول العربي ما حدث هذا ولا يقول «لم حدث هذا» لأن «ما» تدخل علي المضارع فتفيد نفي «الانبغاء لانفي الحدوث .. ومن قال: «ما يحدث هذا» فإنه يعني أن هذا لا ينبغي أن يحدث ولا يعقل أن يحدث وهذه وظيفة أخري في العربية يفهمها الناطق بها. وقد يلاحظ هذا علي الفعل الماضي الذي تسبقه «ما» فإن نفي الوقوع هنا لا يخلو

من نفي الانبغاء ومن قال مثلاً: ما فاه فلان بهذا الكلام فكأنه يقول: «حاشاه أن يفوه به» وهذا هو الفارق بين «ما» التي تدخل في الماضي والمضارع لأنها تدل إلى جانب معني الوقوع علي نفس الشيء لأنه لا ينبغي أو لا يعقل أولاً يقع في الحسب . انظر الوظائف التي تؤديها الصيغ في العربية (١) .

أما إذا نفي الحدث مع انتظاره في المستقبل فصيغة المستقبل هنا لازمة ولهذا يقول العربي «لماً» يحدث هذا وهو يترقب أن يحدث بعد قليل أو كثير.

وتحويل صيغة الفعل في هذا لا يتأتي جزافاً لأنه يتكرر حينما اقتضاه المعني فنقول مثلاً «إن حدث هذا وإذا حدث هذا ومتي حدث هذا» لأن الاستقبال مفهوم بالبداهة».

وإذا دخلت أداة نفي علي الفعل المضارع فهي في حقيقتها مانعة للحدث لا نافية للحدث ومن قال : «لن يثوب القارطان ولن تشرق الشمس من المغرب فهو يقرر امتناع ذلك لسبب عنده قاطع يمنعه وليس هذا من قبيل النفي في الصيغ الماضية.

انظر وظيفة في الصيغ في الدلالة على الزمن (٢).

فالفاعل يتأثر بموقعه من الأداة النافية فليس هو منقطعاً عن العلاقة الزمنية بل هو متأثر بها في لفظه ومعناه فلم يفعل «غير» لن يفعل وغير ما يفعل وهو اختلاف يدل علي ارتباط العلاقة الزمنية بعلاقة الإعراب.

ويخلص العقاد إلي أن اللغات التي تتكلم بها أرقى الأمم لم تشتمل علي تصريفات أو صيغ مصطلح عليها للدلالة علي الزمن خلت منها اللغة العربية أو من نظائرها وإنما ترد الشبهة عليهم من وجود عناوين للأزمنة المعلقة عندهم لا توجد لها نظائر في اللغة العربية مثل الأفعال المساعدة وهذه الأزمنة المعلقة يعبرون عنها في بعض اللغات الأوروبية بالأفعال المساعدة مع الفعل أو اسم الفاعل أو اسم المفعول وأن اللغة العربية لم تخل من مثلها فنقول مثلاً عن أحد : لعله يكون مصوراً كبيراً لو نشأ قبل عصره أو لعله يكون في مثل هذه الأحوال قد نجح لو نشأ بعد حين.. إلي أشباه هذه التعبيرات التي يسهل استخدامها في اللغة العربية وليست هي في اللغات الأخرى مخصصة بوضع أصيل من أوضاع التصريف والاشتقاق. ولكنها تعبيرات طارئة تتيسر محاكاتها

(١) انظر الصيغ الشكلية ووظائفها الدلالية في كتابنا مبحث في قضية الرمزية الصوتية القسم الثاني - قوة اللفظ في قوة المعنى - وغيره - (نشر دار المعارف) وانظر حديثاً في علم اللغة التاريخي باب الدراسات الصرفية والنحوية - نشر دار المعارف وانظر كتابنا العمدة كتاب في التصريف لعبد القاهر الجرجاني - نشر دار المعارف .

(٢) انظر ما سبق .

عندنا في كل معني من معانيها وأن ما يظنه الغربيون من دلالة دقيقة علي بعض الأزمنة لا تعد كذلك ولا دخل لها بالدقة في أزمنة اللغة وإنما هي أمور يمكن صياغتها أو صياغة أمثلة لها في العربية ونحن نستعملها .

في دراسة أسلوبية لبعض الأدباء نستخلص من نماذجها ما لا حصر له من الأمثلة بل إن هناك أمثلة لنماذج إذا ترجمت لا يدرك حقيقة مقصودها الدخلاء علي اللغة.. وقد يأتي التعبير مخالفا لقصد القائل مع استعمال الفعل المساعد في أشيع اللغات الأوروبية، كما يظهر من ترجمة هذه الجملة العربية: قلت له من أنني سأذهب غداً «فإنهم يترجمونها بالإنجليزية:

Isaid to him yesterday that I should go tomorrow

ويجوز للسامع أن يفهم من هذا التعبير أن الذهاب واجب أو أنه حاصل حتما، في حين أن المتكلم لا يعني ذلك، بل يعني أنه ينوي أن يذهب ولا يقيد ذلك بالوجوب أو الجزم بالحدوث وهذا اللبس أوجده الفعل المساعد في الإنجليزية الذي يعدونه من حسنات

لغاتهم وليس في التعبير العربي شيء يدعو إلى هذا اللبس وسببه عدم وجود هذا الفعل المساعد لأن السين حرف واحد، وقد يستغني عنه فيقال له أمس أنني «أذهب غدا» أو «ذاهب غدا» «فيفهم السامع ما أراد القائل فما اعتبروه عندهم دقة وعدوه نقصا في العربية فإن الدليل الحي والعمل التطبيقي يثبت عكسه».

ومن الأمثلة علي ذلك باب المبني للمجهول فعندنا ما معناه أن دقة الزمن عند الناطقين بالعربية فرضتها الطبيعة علي نحو ما ظهر من تصريف أفعالها وفي صياغة تعبيراتها وفي المفردات الخاصة بالزمن فيها.

ولهذا وجدت كلمات البكرة والضحي أو الغدوة والظهيرة والقائلة والعصر والأصيل والمغرب والعشاء والهزيع الأول من الليل والهزيع الأوسط والمومن والسحر والفجر والشروق.

ويكاد التقسيم علي هذا النحو أن ينحصر بالساعات علي صعوبة التفرقة بين هذه الأوقات في كثير من اللغات الأخرى إلا بالجمال أو التراكيب فانظر لغة مفرداتها تؤدي وظيفه تراكيب لغة

أخري أيهما أدق في بابه في هذا المجال؟!

إن هذه الدلالات التي تدل عليها كلمات مفردات لا يوجد لها نظير في غيرها من تلك اللغات إلا بالجمل والتراكيب لهي دلالة علي الدقة ومثله الاهتمام بالزمن الذي أبداه الاهتمام بفصول العام والحديث عن العام بما يظن أنه من المترادفات وما هو من المترادفات ولهذا وجدت أسماء المواسم والفصول جميعا، ووجدت معها ثلاثة أسماء مختلفة الدلالة للدورة حول الشمس في مصطلح الفلكيين، فهي السنة، وهي العام، وهي الحول، ولكل منها موضعه في التعبير .

ووجدت في اللغة كلمة اليوم والنهار والليل، ولم تنقسم إلي يوم وليل بدون تفرقة بين معني اليوم ومعني النهار.

بل لهذا وجدت للأوقات كلمات مختلفة علي حسب الطول والقصر في المدة فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن، وتنطوي فيها اللحظة أو اللمحة للوقت القصير والبرهة والردح للوقت

الطويل.. والفترة للمدة المعترضة بين وقتين والحين للزمن المقصود المعين والعهد للزمن المعهود المقترن بمناسباته والزمن للدلالة علي جنس الوقت كيفما كان، والدهر للمدة المحيطة بجميع الأزمنة والعهود والأحيان.

إن مثل كل هذا الإحساس بالزمن لا تصوره الكلمات في لغة من اللغات التي نفهمها - أو نفهم عنها - علي صورة أدق من هذه الصورة ولا أدل علي الفوارق بين أجزائها ولا غرابة في ذلك لو أراد الباحثون أن يلتمسوا السبب الذي يبطل العجب فالزمن الماضي مهم عند أبناء البادية العربية في كل عهد من عهوده. لأنه مستودع المفاخر والأنساب والثارات والسوابق والذكريات... وليس من المصادفة أن يسمي التاريخ هنا باسم الأيام، وأن يعرف لكل يوم أثره فيما كان وفيما سيكون. (١)

وان عناية الناطقين بالعربية بالزمن الحاضر بأجزائه وتقسيماته لعوامل تتصل بطبيعة حياتهم كذلك.

ثم ينتهي إلي أن أي لغة من اللغات

(١) السابق ص ٣٨.

يعيبها علي الألب الأعم نقصان في
المفردات ونقص في أصول التعبير
والنقص في المفردات مستدرك لأنها
تزداد بالاقتباس والنقل والتجديد، وما
من لغة إلا وهي فقيرة لو سقط منها ما لم
يكن فيها قبل قرنين أما النقص المعيب
حقاً فهو نقص الأصول والقواعد
الأساسية في تكوين اللغة وهذا ليس في
العربية وقد نسبه لها علماء الساميات
الغربيون عن خطأ وعدم إلمام وإنه لنقص
خطير لوصحت نسبه إليها، ولكنه بحمد
الله غير صحيح علي نحو ما ثبت
بالدراسة والتحليل ويحق لنا أن نقول :

إن هذه اللغة العربية لغة الزمن بأكثر
من معني واحد: لغة الزمن لأنها تحسن
التعبير عنه. ولغة الزمن لأنها قادرة علي
مسايرة الزمن في عصرنا هذا وفيما يلي

من عصوره.

وقد هدفت من وراء عرض هذه
القضية إلي أمرين:

أما أولهما فلايين بالدليل العلمي أن
أقوال المستشرقين في شأن العربية
والساميات هي آراء قابلة للنقض والرد
وأن أعرف الناس بالعربية الناطقون بها
والمختصون فيها من أبنائها.

وأما ثانيها فلايين أن أعمال الرواد
في هذا المجال مازالت مشاعل يستضاء
بها وأن علينا أن ننقب عن جهودهم وأن
نفيد أجيال الحاضر والمستقبل بها.

ولأبين أن أصول علم اللغة ثابتة في
أعمال علماء العربية في القديم والحديث.

والله من وراء القصد..

البدر اوي عبدالوهاب زهران

عميد كلية الآداب بقنا

والخبير بالمجمع

ظاهرة الربط في التركيب والأرباب العرفي للدكتور تمام حسان

أولاً : سيميولوجية القاهرة :

تتصل ظاهرة الربط بناحيتين من نواحي النشاط العقلي هما التعرف والتذكر . فأمّا التعرف فيتعمد على إدراك المعالم والقرائن وأمّا التذكر فيتصل أكثر ما يتصل بالتداعي والترابط . وفي كلا الحقلين : حقل القرائن وحقل التداعي لا بد من وجود الدوال والمثيرات وهي بصورتيها داخلية في نطاق ظاهرة الربط . ولقدرة الإنسان على التعرف حدود كما أن لاستطاعته التذكر حدوداً كذلك . وهذه الحدود تجعل من المستحسن أن نكشر من القرائن الدالة على موضوع التعرف ، ومن المثيرات المؤدية إلى التذكر بحيث يكون بعض ذلك نافلة وزيادة على المطلوب ونستطيع أن نضرب الأمثلة على ذلك :

إذا سألك سائل عن عنوان تعرفه بالوصف دون أن تذكر اسم الشارع ورقم المنزل فإن المعتاد في هذه الحالة ألا تكتفي بذكر اسم الحي ولا متعرجات الطريق وإنما تذكر له من المعالم ما ينبغي للسائل أن ينحدر عنده إلى اليمين أو إلى الشمال فتقول له مثلاً : إذا بلغت ثالث تقاطع في هذا الشارع فستجد عمارة مبنية على الطراز العربي وتحتها محل لبيع الأدوات المدرسية وإلى يمينها حديقة ، فعندها فانحدر شمالاً حتى إذا بلغت كذا وصفاته كذا فانحدر يميناً ، وما تزال تعين له المعالم حتى تصل به إلى المنزل المطلوب ، وعندئذ تكشر من ذكر المعالم الدالة على هذا المنزل أيضاً فهو ذو سور له باب حديدي وإلى جانبه مسجد وفيما يقابله من الشارع محل جزارة وإلى جانب الجزارة

ولكنهم إذا سمعوا لفظاً معيناً أو رأوا شيئاً
ما ذا ارتباط بما نسوا آثار ذلك الشيء في
ذاكرتهم مانسوه من قبل فانتعشت ذواكرهم⁷
وعادت إليهم صورة الماضي كما كان .

من هنا نشتمل تراكييب اللغة على
قرائن تعين على التعرف وتشتمل أساليبها
على وسائل تعين على التذكر والأمر في
الحالين يتعلق بظاهرة من ظواهر الاستعمال
اللغوي تسمى بالربط سواء في ذلك أن
يكون الربط قرينة من قرائن النحو أو وسيلة
من وسائل الأسلوب . وسنرى ذلك واضحاً
إن شاء الله في السطور الآتية . والقرائن
النحوية التي يعمد الربط واحدة منها .

هي : البنية - الإعراب - الربط -
الرتبة - التضام - الأداة - النغمة - وفوقها
وأعم منها قرينة أخرى هامة يمكن أن نسميها
قرينة الساق . ولقد درج معلمو اللغة
العربية على أن يعلموا تلاميذهم أن الفاعل
في « طلع البدر » إنما سمي فاعلاً لأنه
مرفوع وقد غفلوا عن أن الرفع وحده
(وهو علامة من قبيل قرينة الإعراب)
لا يكفي للدلالة على الفاعل مادام هنالك

بقال وخضري وعلى مقربة من هذه المعالم
إشارة مرور وهلم جرا . ولقد كان يكفي
بعض ذلك للتعرف على العنوان المطلوب
ولكن قصور الانتباه الإنساني يجعل المرء
ينسى بعض ما سبق له من ذكر المعالم
فيتبع المسئول حيال السائل سياسة يصدق
عابها قوله تعالى : « أن تفضل إحداهما
فتذكر إحداهما الأخرى » أي أن بعض
المعالم قد يضيع من الذاكرة فيكفي المعلم
الأخر للدلالة على المطلوب .

والأمر كذلك في مجال التذكر إذ
تجد للذاكرة الإنسانية طاقة محدودة .
يعرف ذلك كل من وجد الداعي إلى العودة
بفكره إلى الوراء ليخرج من الأحداث
الدفينة في ركاب الماضي ما يدعو شيء ما إلى
إخراجه والكشف عنه - فحين يحاول
المرء ذلك قد لا يظفر بعد النبش والتنقيب
في الماضي بما حاول أن يتذكره . والناس
في كل لحظة ينسون ما مر بهم من الوجود
والأسماء والعناوين والأرقام وقد يتعذر عليهم
أن يذكروا ذلك حتى مع التذكير به .

بعضها بعضاً على بيانه كما تضافرت معانيه
الطريق من قبل على بيان العنوان المطلوب
وتيسير التعرف عليه . والقرائن التي
تضافرت لبيان الفاعل هي :

وهذه قرينة	البنية
»	الإعراب
»	الرتبة
»	البنية مرة أخرى
»	الإسناد وهي قرينة معرفية

وفي « أكرم محمد نفسه » عرفنا أن النفس مفعول به بالقرائن الآتية :

البنية	وتلك قرينة	اسم	النفس
الإعراب	»	منصوب	
التعدية	»	تعدي إليه الفعل	

احتمال المعنى أن تكون النفس لغير محمد
ومن هنا أصبح من حق النفس أن تضاف
إلى محمد . وفي هذه الحالة إما أن نقول :
« أكرم محمد نفس محمد » على غرار
ما قال الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته السكر والإقداما
وصيرته ماسكاً هماما

وعلى نحو ما في قوله عليه الصلاة والسلام
« لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع

مرفوعات أخرى غير الفاعل منها النائب
عن الفاعل والمبتدأ والخبر واسم كان وخبر
إن والتابع المرفوع . وإنما عرف أن « البدر »
فاعل بعدد من القرائن التي تضافرت وأعان

اسم	البدر :
مرفوع	»
تقدمه فعل	»
مبنى للمعلوم	
دل على من فعل الفعل	

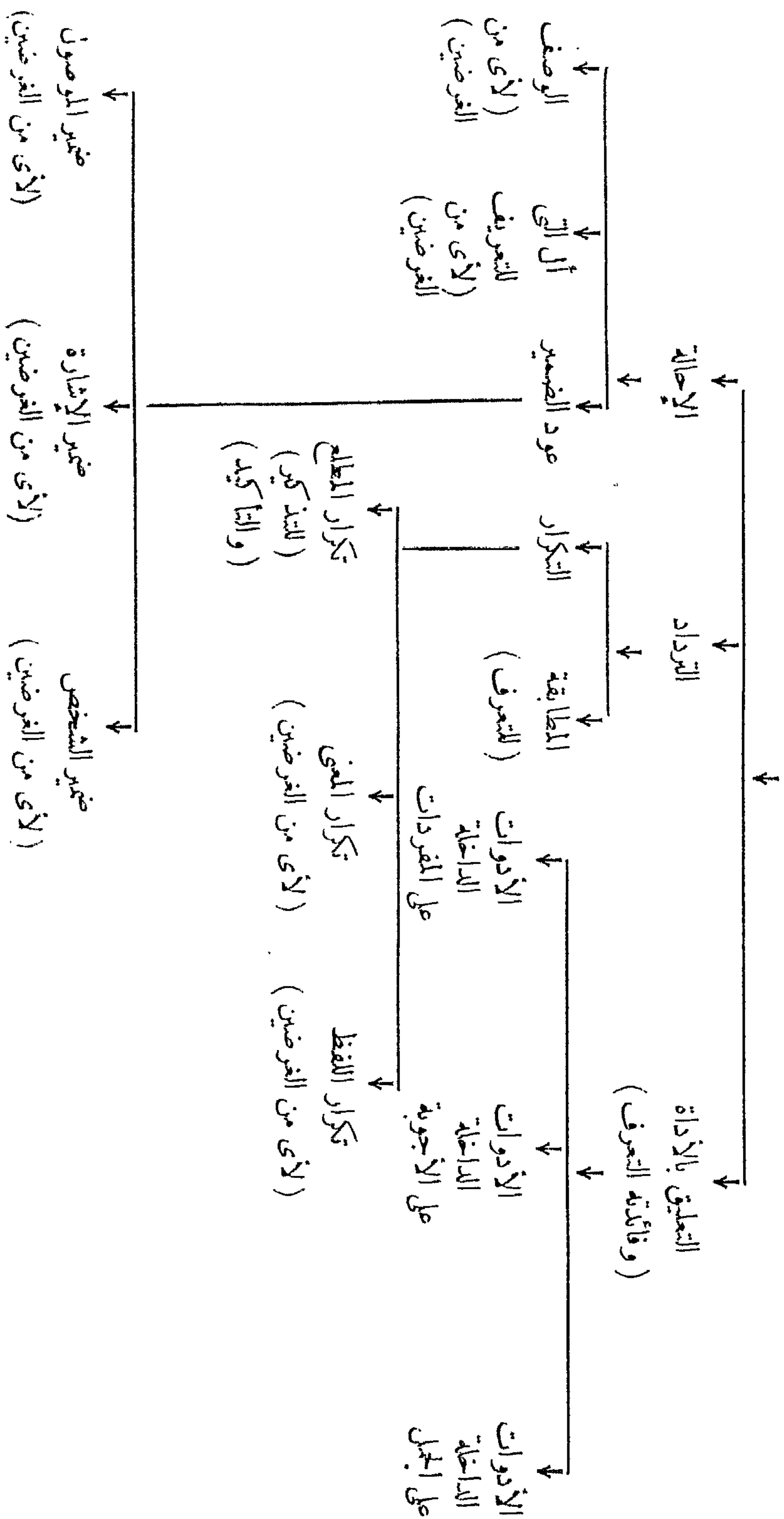
فلولا الاسمية ما كان البدر فاعلاً ولا
النفس مفعولاً به ولولا تقدم الفعل ما كان
البدر فاعلاً ، وكذلك الأمر ببناء الفعل
للمعلوم وبالدلالة البدر على من فعل الفعل
ودلالة النفس على من وقع عليه الحدث .
أما الرفع والنصب فكلاهما قرينة من القرائن
ولا يستقل أحدهما بالدلالة على فاعل
ولا على مفعول به . ولكننا مع ذلك بحاجة
إلى معرفة النفس لمن تكون (أو بعبارة
أخرى نحن بحاجة إلى التعرف على نسبة
النفس إلى أحد عناصر الجملة) لأننا لو كان
لدينا « أكرم محمد نفساً » بدون الهاء لرجح

محمد يدها « أو أن نستبدل بالاسم الظاهر
ضمير محمد فنقول : « أكرم محمد نفسه »
فتربط النفس بمحمد بواسطة الضمير العائد
أو أن نضع (ال) موضع الضمير
فناحقها بأول الكلمة فنقول أكرم محمد
النفس إلخ . فهذه الوسائل المذكورة وغيرها
تنبئ عن أن النفس نفس محمد وليست
بأنفس غيره . وإذا قلنا تنبئ فإن المقصود
أنها تعين على « التعرف » على نسبة النفس
إلى من تكون . ونخرج من كل ما تقدم
بأن في تضافر القرائن ما يجعل القدرة
على التعرف أكبر وأقوى كما رأينا في

التعرف على الفاعل والمفعول وفي عود
الضمير وأن الفرصة سانحة من خلال تعدد
القرائن وتضافرها أن تصبح إحداها نافلة
زائدة على المطلوب redundant على أنها وهي
نافلة لا يتوقف عليها وضوح المعنى تعدد
توكيدا لضمان التعرف على المعنى ولكنها
لكونها نافلة أيضاً يمكن للمتكلم أن يترخص
فيها إذا كان ذاسليقة في اللغة لعدم توقف
انكشاف المعنى على وجودها (انظر مبدأ
الترخص في القرائن في كتاب اللغة العربية
معناها ومبناها لصاحب البحث) .

ثانياً : تصنيف العناصر :

وسائل الربط



وفروعهما وَمَنْ وما وَأَيَّ) . فالأول نحو قوله تعالى : « لقد كان في يوسف وإخوته » آيات للسائلين » والثاني نحو « ولباس التقوى ذلك خير » والثالث نحو « وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله » أى جاء المعذرون وقعدوا . وأما « ال » التى للتعريف فنحو قوله : « تعالى : » « وأما من خاف مقام ربه » ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » أى هى مأواه . وأما الوصف فنحو « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » أى ويشف صدوركم . هذا وفيما يلى عرض مفصل بعض التفصيل يعين على تصور ظاهرة الربط على وجهها الذى يراه هذا البحث .

ثالثاً : عرض الظاهرة :

قدمنا منذ قليل رؤيتنا للمحمل السيكولوجى للحاجة إلى ظاهرة الربط وإلى فائدتها فى مجالى التعرف والتذكر . دعنا الآن ننظر فى الجانب النظرى اللغوى الذى يتصل بفائدة الربط فى وضوح المعنى ،

ويتضح من هذا التخطيط أن الربط قد يكون تعليقاً بالأداة وقد يكون إعادة أو تردداً لعنصر لفظى ، وقد يكون إحالة إلى مذكور أو مفهوم سابق . فإن كان تعليقاً بالأداة فإن الأداة قد تكون مما يدخل على الجملة كأداة الشرط أو القسم وقد تكون الأدوات الداخلة على الأجوبة كالفاء الداخلة على جواب الشرط واللام الداخلة على جواب القسم وقد تكون مما يدخل على المفردات كحروف الجر أو الواو المعية . وإذا كان الربط تردداً فقد يكون بإعادة عنصر من عناصر المطابقة كالضائير وعلامات التثنية والجمع والتأنيث وحروف المضارعة إلخ ، وقد يكون بتكرار اللفظ نحو « واتقوا الله ويعلمكم الله » أو تكرار المعنى نحو : « تحييتهم فيها سلام » أو تكرار المطالع نحو : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون » أما إذا كان الربط بالإحالة فقد يكون بعود الضمير وقد يكون بأداة التعريف وقد يكون بالوصف . وإذا ذكرت الضمير فإن فهمى له يشمل ضمائر الأشخاص (أنا وأنت وهو وفروعها) وضمائر الإشارة (ذا وذى وفروعها) والضمائر الموصولة (الذى والى

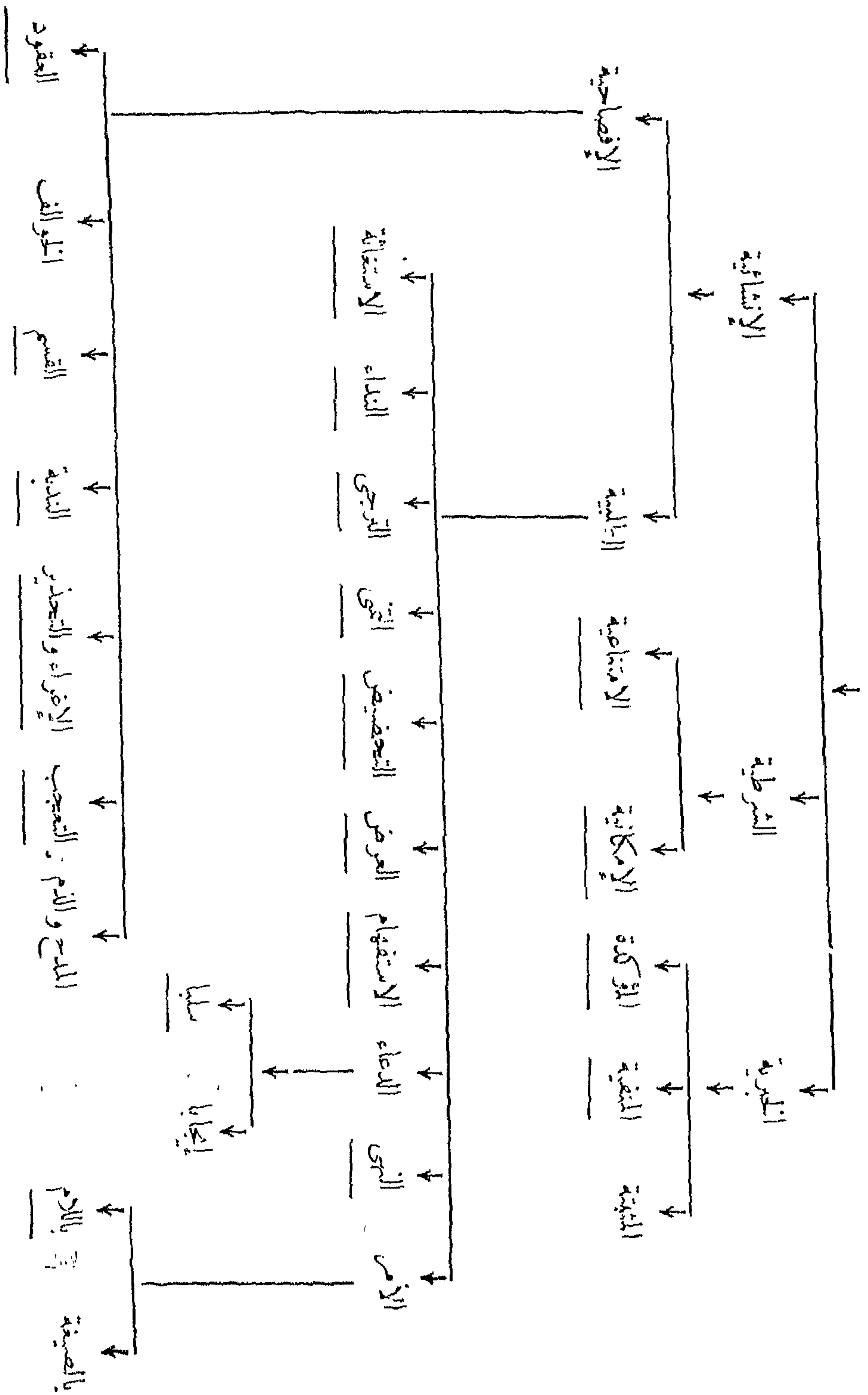
منها ما يعزز: القول فيه من الشواهد .
ومن الأمثلة (إن عز الشاهد) .

١ - أدوات الجمل :

تعتمد الجملة العربية في الأغلب الأعم
من صورها على الأداة فلا نكاد نجد منها
إلا القليل مما يستغنى عن الأداة . ويتضح
ذلك من التخطيط التالي :

وسنرى من خلال هذا النظر فائدة كل
نوع من أنواع الروابط على حدة . فنبدأ
بأدوات الجمل ثم بأدوات الأجوبة ثم
بأدوات المفردات ثم بالمطابقة فتكرار اللفظ.
الخ حتى نستقصى ماعدناه وأحصيناه من
أنواع الربط ووسائله ذاكرين لكل نوع

أنواع الجمل العربية



فهذه أربعة وعشرون نوعاً للجمل العربية منها تسعة عشر نوعاً تتقدمها الأداة كما في الأمثلة التالية .

١- المنفية : وما قتلوه وما صلبوه ولكن

شبه لهم .

٢- المؤكدة : إن الله على كل شيء قدير .

٣- الإمكانية : إن تنصروا الله ينصركم .

٤- الامتناعية : ولولا رهطك لرجمناك .

٥- الأمر باللام : وليستعفف الذين لا تجدون نكاحاً .

٦- النهي : لا تأكلوا الربا أضعافاً

مضاعفة .

٧- الدعاء سلبياً : ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد إذ هديتنا .

٨- الاستفهام : أفأمن أهل القرى أن
يأتئهم بأسنا بيانا .

٩- العرض : ألا تحبون أن يغفر الله

لكم .

١٠- التحضيض : فلولا إن كنتم غير

مدينين ترجعونها .

١١- التمني : يا ليت قومي يعلمون بما

غفر لي ربي .

١٢- الترجي : لعل الله يحدث بعد ذلك

أمراً .

١٣- النداء : يأيها الضالين .

١٤- التعجب : فما أصبرهم على النار .

١٥- الإغراء : عليك بالصبر والعصاة .

١٦- التحذير : إياك واتباع الهوى .

١٧- الاستغاثة : يا الله لعبده المسكين .

١٨- الندبة : واحر قلباه ممن قلبه شيم .

١٩- القسم : فورب السماء والأرض إنه

لحق .

لم يبق إذا من الجمل العربية ما يستغنى
عن الأداة إلا المثبتة والأمر بالصيغة والمدح

والذم والخوالف (أسماء الأفعال وأسماء
الأصوات) والعقود . هذا وإن لبعض

الجمل التي تعتمد على صدارة الأداة صوراً
بغير أداة كما في الإغراء والتحذير نحو :

« ناقة الله وسقياها » وفي التعجب نحو :

« كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن المقصود

بجعل العقود تلك الجمل التي تفيد الالتزام
ن أي نوع كالتعبير عن الإيجاب والقبول
مثلاً :

ويتمثل الربط بالأداة في أن معناها
ينسحب على كل ما دخل في حيزها من
عناصر الجملة أي أن كل ما دخل في حيز
النفي مثلاً فهو منفي واشتراك عناصر الجملة
في معنى النفي الحادث بسبب تقدم الأداة
يجعل الأداة سبباً في هذا الاشتراك بمعنى
أنها ربطت بين عناصر الجملة بتشريكتها
في معنى النفي فأحكمت الصلة بين هذه
العناصر فلم يعد يخرج عن معنى النفي منها
شيء إلا أن يكون ذلك بأداة استثناء
أو استدراك أو نحوهما مما يدخلنا في نقاش
نوع آخر من أنواع الأدوات يتجه معناه
في اتجاه الربط النحوي ولكنه يفيد التفريق
المنطقي .

والتأكيد ينصب على إسناد المسند إلى
المسند إليه فيعطى الإسناد قوة لم تكن له
من قبله ومن هنا يربط أواخر الجملة وأداة
الشرط فيها إفادة ترتب الجواب
على الشرط وفي إفادة الترتب ربط بين
عنصري الجملة ويصدق ذلك على نوعي
الشرط. ولولا اللام المكسورة مع المضارع

المجزوم ما كان المضارع صالحاً لإفادة الأمر
وفائدة لالناهيية أنها تجعل المضارع المجزوم
يفيد عكس ما أفاده مع اللام فينصب الأمر
مع اللام والنهي مع « لا » على إيقاع
ما تضمنه المضارع من الحدث من حيث
ينتسب هذا الحدث إلى فاعل يوقعه وإلى
مفعول يتقبله الخ فالربط بهما عام في
جمليتهما وليس خاصاً بالحدث مبرراً من
صلاته بالعناصر الأخرى في الجملة ، والدليل
على ذلك أن المقصود هو « إيقاع » الحدث
؟ وليس الحدث من جهة أنه « حدث » .

والإيقاع إنما يكون من فاعل على مفعول
في ظرف معين لسبب معين الخ .

يقال ذلك أيضاً لبقية الجمل الطلبية
لأن فيها جميعها طلب إيقاع حدث معين
فالاستفهام طلب الإجابة والعرض طلب
الاستجابة والتحضيض طلب الموافقة والتمني
طلب وقوع مالا يقع والترجي طلب وقوع
الممكن والنداء طلب الإقبال والاستغاثة
طلب الإغاثة . وفي كل ذلك طلب « وقوع »
أحداث معينة وهذه الأحداث أوقعها فاعل

ووقعت على مفعول لسبب ما ظرف ما. فالأداة في جميعها ينصب معناها على نسبة كل عنصر في الجملة إلى العنصر الآخر وهذا معنى كونها رابطة .

أما الجمل الإنشائية غير الطلبية فهي الجمل الإفصاحية . ومعنى 'كونها إنشائية' أنها تنشئ معنى ليس له وجود خارجي ومن ثم لا يحتمل الصدق والكذب وهي بهذا المعنى تشارك الجمل الطلبية في معناها وهو الإنشاء ولكنها تنفرد عن أخذها الطلبية بأنها لا تفيد طلب إيقاع حدث وإنما تفصح عن حالة أو موقف في النفس . فالذي يمدح أو يذم أو يتعجب أو يندب أو يقسم أو يقبل ما عرض عليه لا يبغى بما يقول أكثر من عرض موقفه النفسى على السامعين والإفصاح عن هذا الموقف . ثم لا يفهم من قوله هذا « طلب إيقاع » ولا يترتب عليه « وقوع » . ومع هذا تصدرت الأدوات بعض هذه الجمل التي لها طابع الصيحات كالتعجب والإغراء والتحذير والندبة أو طابع التوكيد كالقسم وإنما عدنا الأداء رابطة في هذه الجمل القصيرة الأنماط لأنها لو لم تكن لما كان المعنى فلو حذف لوجب التعويض عن حذفها كما « رباه »

إذ قامت الألف والهاء دليلاً على « يا » المحذوفة .

٢ - أدوات الأجوبة :

إذا نظرنا إلى واحد من الأجوبة وليكن جواب الشرط وجدنا القاعدة تنص على اقترانه بحرف الجواب إذا لم يصلح الجواب أن يكون شرطاً وذلك بأن يكون جملة اسمية أو طلبية أو مبدوءة بفعل جامد كعسى وايس ، أو منفية بما أولن ، أو مصدرية بقد أو بأداة تنفيس وهي السين وسوف ؛ ولعل السبب في اقتران الجواب بالحرف هنا أنه يكون في بعض حالاته عرضة للبس إذا لم يذكر الحرف في صدر الجواب ، فإذا تأملنا قوله تعالى : « من عمل صالحاً فلنفسه » ثم تصورنا حذف الفاء من الجواب لوجدنا شبه الجملة (وهو هنا شبه جملة اسمية تقديرها فعله لنفسه يصلح صفة للمفعول (صالحاً) الذي قبله أي أن صورة التركيب من تغيير حرف الجواب تؤدي إلى اللبس (وهو تعدد احتمالات المعنى دون مرجح) . وعلى الرغم من أننا قد نجد صوراً أخرى من الأجوبة لا يتطرق إليها اللبس عند حذف الحرف كما في قوله تعالى : « وإن

أطعمتموهم إنكم لمشركون) فاللغة تحرص على الاطراد قدر حرصها على أمن اللبس ومن هنا طردت اقتران الجواب بحرفه في كل الحالات ما ألبس منها وما لم يلبس .

وقد انعكس ذلك على تراكيب الإخبار بالذى والألف واللام نحو : «واللذان يأتياها منكم فأذوهما» ونحو «والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» إذ اقترن الخبر في الحالين بالفاء لوقوعه جملة طلبية ولعل سبب ذلك أن من الموصولات مانقل إلى معنى الشرط نحو «من» و «ما» و «أى» وهذه الموصولات لنقص حروفها عن الثلاثة عوملت معاملة أدوات الشرط وصدق على جوابها ما يصدق على جواب «إن» الشرطية من حيث اقتران الجواب بالحرف . ولما كانت «الذى» و «التي» وفروعهما و «ال» من الموصولات أيضا عوملت بخبرها معاملة جواب «من» و «ما» و «أى» اللاتي للشرط للسببين الآتيين :

(١) أن بين الذى والألف واللام علاقة من حيث الأصل هى علاقة

الموصولية وأن الذى والألف واللام لاتصلح أى منهما للنقل إلى الشرطية لزيادة الذى على الثلاثة ولاقتران الألف واللام بصيغة صريحة لاتصلح أن تكون جملة شرط .

(ب) أن لجملة الشرط ولجملة الإخبار بالذى والألف واللام كليهما معنى سلبيا يفهم منهما باللزم العقلي يشبه ما يسميه الأصوليون «مفهوم المخالفة» ففي قولنا :

من تنأى نال ماتمى .

الذى يتأى ينال ما يتمنى .

المتأى ينال ما يتمنى .

مفهوم سلبى مشترك بين هذه الجمل هو أن الذى لايتأى لاينال ما يتمنى . فلما قام الشبه من جهتين بين الشرط والإخبار بالذى والألف واللام سلكت اللغة بخبر الذى وأخواتها مسلكها بأجوبة الشرط فلزم اقتران خبر الذى والألف واللام بالفاء في المواضع التي يقترن فيها جواب الشرط بالفاء أيضا . والمراد في الحالين أن يتم الربط بين صدر الجملة وعجزها .

وقد يقال شىء قريب من ذلك في جواب «لو» و «لولا» من حيث اقتران جوابهما باللام في مواضع معينة ففي قولنا «لولا زيد لهلك أخوه» يؤدى حذف اللام من الجواب إلى لبس شبيه بما كان في قوله تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه » إذ لو حذف اللام فأصبحت الجملة «لولا زيد هلك أخوه» لظل السامع ينتظر الجواب ، أى «لحدث كذا» . كأن يقال مثلا : «لولا زيد هلك أخوه ما جزع أو لما جزع» وهكذا اطردت اللام في كل جواب موجب (أى غير مقترن بحرف النفي) . والأمر كذلك بالنسبة إلى اقتران جواب القسم عند الإيجاب باللام أو بإن أو بقد ، وعند السلب بما أو بلا أو بإن .

ومن الأدوات الداخلة على الجمل لتربطها بما سبقها واو الحال ، وهى تلزم إذا خلت جملة الحال من وسيلة أخرى للربط. كالضمير العائد إلى صاحب الحال وذلك كقولك : «ولد محمد وقد انتهت الحرب العالمية الثانية» أو «جاء خالد والشمس تغرب» . وبذلك تصبح واو

الحال هى الرابط الوحيد الذى يربط جملة الحال بما عداها . ورتبة الواو دائما قبل جملة الحال كما أن رتبتهما معا (الواو والجملة) التأخر عما وقعا في حيزه. ومن الحالات النادرة التى تقدمت فيها جملة الحال المقترنة بالواو عن الحدث الملابس لها وانجده في قوله تعالى في سورة هود (٣٨) : «ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه» ، لأن سخريتهم نشأت عن اشتغاله بصناعة الفلك مع جهلهم بسبب اشتغاله بذلك وليس بقربه ماء تسيير فيه الفلك .

ومن الروابط مانعرفه باسم الموصول الحرفى وهى الأدوات ذات الاختصاص بالدخول على الجمل لربطها بمحيطها من النص كالحروف المصدرية وهى أن وأن وما ولو واللام نحو :

عزم التاميز على أن يجد في المذاكرة .
وقد علم أن الجد سبيله إلى النجاح .
«ودوا ما عنتم» .

«ودوا لو تدهن فيدهنون» .
«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم» .

٣ - أدوات المفردات :

« حين عرّف النحاة الحرف قالوا :
« الحرف ما دل على معنى في غيره » فإذا
علمنا أن غير الحرف في عرفهم إما أن
يكون اسماً أو فعلاً أصبح تعريفهم
للحرف كأنه ينص على أن الحرف ما أفاد
معنى في الاسم أو في الفعل أو فيهما معا .
وإذا تأملنا الاحتمال الثالث وهو أنه يفيد
معنى فيهما معا وجدنا خير تعريف للحرف
أنه يدل على علاقة بين الاسم والاسم
نحو « النظافة من الإيمان » أو بين الاسم
والفعل نحو « قاتلوا في سبيل الله » ،
أو بين الفعل والفعل نحو « قام فخرج »
زيد . والحروف الداخلة على المفردات
منها حروف الجر والاستثناء والمعية ،
والعطف ... إلخ . فأمّا حرف الجر فهو
يفيد علاقة بين مجروره ومتعلقه . فإذا
قلنا : « صدق محمد فيما قال » فقد
جعلنا الحدث الذي في « صدق » وهو
الصدق مظروفاً في المصدر المؤول من « ما »
و « قال » وهو القول وهكذا تتحمل « في »
معنى العلاقة الرابطة بين الصدق والقول
وفي قوله تعالى : « واسألوا الله من فضله »
كانت وظيفة « من » أن تجعل السؤال

وقد تلحق بهذه الأدوات أدوات أخرى
مثل كى التي للتعليل وإذا ونحوهما مما لا يليه
إلا الجمل . وتبدو قيمة هذه الأدوات في
الربط إذا تصورنا الكلام الذي وردت
فيه بدونها . فلو حذفناها من الكلام لأصبح
الكلام مهلهلاً رث المظهر غير مقبول ولادال
على المعنى المقصود : إذ لا يأذن الاستعمال
العربي بدخول الفعل على الفعل إلا في حالات
خاصة مثل دخول كان وأخواتها وأفعال المقاربة
على الخبر عند استتار الاسم أو عند
عدم الضمير المستتر كما في حالة ليس
إذ يمكن أن نقول : « ليس يقوم زيد » .
فليس في « ليس » ضمير مستتر كالذي
في قولنا :

إن أباك كان يفعل الخير .

إن صديقك مازال يكن لك الود .

إن قيساً ظل يحب ليلى حتى مات .

إن زيدا أصبح يخشى الفقر حتى صار
إلى البخل .

قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف .

بهذا يتضح لنا أن هذه الروابط ذات
أهمية تركيبية خاصة في السياق العربي وأن
السياق لا يمكن أن يستغنى عنها .

يبدأ غايته من الفضل أو على الأصح ينطبق على بعض الفضل فتكون « من » بالمعنى الأول لابتداء الغاية وبالمعنى الثاني للتبعيض . وإذا قلنا : « إن رأى فلان يصدر عن تجربة » فقد جعلنا لحرف لجر « عن » معنى العلاقة بين المصدر - دور الذي في « يصدر » وبين التجربة وهذه العلاقة هي علاقة المجاوزة . وهكذا نرى أن الربط بحرف الجر بين المجرور والفعل هو في الواقع ربط بين المجرور ومعنى الحدث الذي في الفعل ومن هنا قد يرى البعض أن العلاقة هنا قد تنحل إلى أن تكون علاقة بين اسمين أحدهما المجرور وثانيهما المصدر المفهوم من الفعل . وتتضح ضرورة الربط بحرف الجر بصفة خاصة حينما يكون الفعل الذي يتعلق به الجار والمجرور لازماً . فلو وازنا بين قولنا :

« قرأ التلميذ الدرس في الفصل » وقولنا :

« جلس التلميذ في الفصل » لوجدنا

الجار والمجرور في الحالة الأولى أقل خطراً

في تركيب الجملة منه في الحالة الثانية

لأنه في الحالة الأولى بيان للظرفية ولكنه

في الحالة الثانية بيان ظرفية ووسيلة اتعديّة . ومن ثم نجده يلخص علاقيتين في وقت معاً .

وحرف الاستثناء يدل على علاقة بين اسمين أحدهما مخرج منه والثاني مخرج . أي أن العلاقة التي يعبر عنها حرف الاستثناء هي علاقة الإخراج . فإذا دخل حرف الاستثناء على ما ظاهره الجملة فإن المراد بها هو المفرد لأنها إما أن يتقدمها موصول حرفي أو يصيرها إلى التأويل بالمصدرية وإما أن تكون في الأصل جملة حالية ووصفية مستثناة من حال أعم . فالأول نحو قولنا : « ما قصر زيد إلا أن يكلف بما لا يطيق » فالتقدير « إلا تقصيرا ملائماً لعدم الطاقة » والثاني نحو « دخلت المسجد الحرام فما وجدت رجلاً إلا يصلي أو يطوف » والتقدير « ما وجدت رجلاً إلا رجلاً مصلياً أو طائفاً » .

وحرف المعية أو واو المعية تربط بين

متلازمين أحدهما مدخولها والثاني معنى

المصدر الذي في الفعل . فإذا قلت :

« سر وعمين الطريق » كان المعنى : « ينبغي

أن يكون السير ملازماً ليمين الطريق

أما الإيجاب والسلب فأدنى درجات معناه
 أن يكونا من أضرب أساليب الجملة
 العربية (المثبتة والمنفية) والمعروف أنه
 لا بد من الربط أياً كان الأسلوب النحوي
 أما أعلى درجات الإيجاب والسلب فتدخل
 في الدلالة المعجمية كالذي لاحظته النحاة
 في تحليل قول الشاعر : « عافٍ تغيرٌ
 إلا النوى والوتدُ » إذ برروا النوى والوتد
 بأن الاستثناء في قوة المنى الناقص لأن
 الفعل « تغيرٌ » معناه : « لم يبق على
 حاله » .

ولا يفوتنا هنا أن بعض ما يدخل على
 المفردات يدخل على الجمل كذلك كشأن
 حروف الاستثناء والعطف ، وكواو المعية
 التي تسمى عند الدخول على الجملة « واو
 المصاحبة » . فالفرق بين الواوين فرق في
 التسمية والاختصاص أما المعنى وأما إعراب
 مدخولهما فواحد لأن ما بعدهما منصوب
 سواءً أكان اسماً أو فعلاً .

الترداد :

ومن الربط ما يكون بالترداد . والمقصود
 بالترداد إما المطابقة وإما التكرار . وسنحاول
 فيما يلي أن نلقى بعض الضوء على كل منهما .

ولكن هذه الواو تحت تسمية أخرى قد
 تربط بين حدثين في نحو « لا تأكل
 السمك وتشرب اللبن » . فالنهي هنا
 منصب على مصاحبة أحد الحدثين للآخر
 وإذا صح أن يكون النهي منصباً على
 المصاحبة صح أيضاً أن وظيفة « لا الناهية »
 منصبة على وظيفة « واو المصاحبة » أي
 أن النهي متجه إلى إلى فكرة « الربط
 أو الجمع » بين الحدثين مع تعبير الوار
 عن هذا الربط .

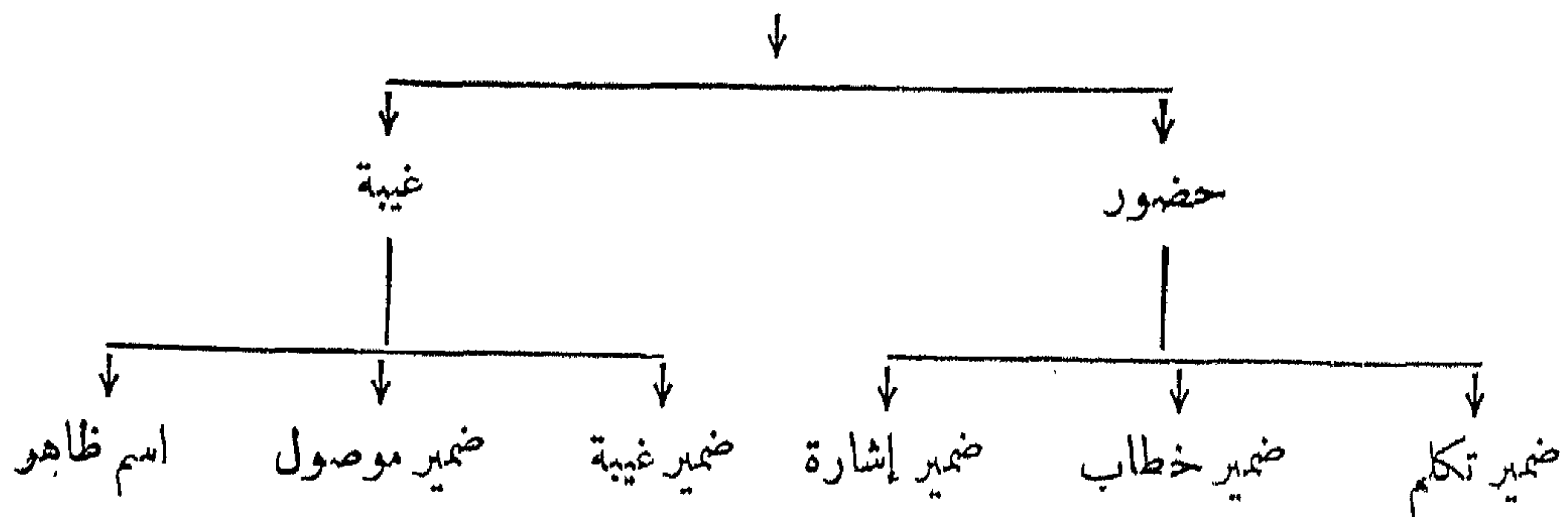
ويربط حرف العطف بين المتعاطفين
 مع اختلاف في المعنى بين حرف وحرف
 من حيث مطلق المشاركة أو الترتيب
 أو التراخي والتعقيب ... إلخ . وإذا
 نظرنا إلى هذا الاختلاف في المعنى بين
 حروف العطف وبخاصة عندما يكون معنى
 الحرف نفي المشاركة كما في « لا » ؛
 و « بل » و « لكن » أدركنا أن فكرة
 الربط في السياق تتجاوز فكرة المشاركة
 وما يتفرع عنها من ترتيب أو تعقيب
 أو غيرهما . فالربط علاقة أعم من علاقتي
 الإيجاب والسلب لأنها وسيلة لإحكام
 الصلة بين عناصر السياق فحسب ومن هنا
 يصبح معناه تركيبياً دلالياً (سيانتيكياً)

للمطابقة محاور من المعاني العامة تدرك من خلالها يمكن أن نسميها من الجدول الآتي :

الشخص	العدد		مفرد		مثنى		جمع
	النوع		معرفة	نكرة	معرفة	نكرة	
متكلم	مذكر						
	مؤنث						
مخاطب	مذكر						
	مؤنث						
غائب	مذكر						
	مؤنث						

وقد يكون الشخص صاحب ضمير تكلم أو خطاب أو غيبة وقد يكون صاحب اسم ظاهر كما قد يكون الحاضر مشاراً إليه ، والغائب موصولاً . وإذا أحصينا المربعات التي حدثت في الجدول السابق من تقاطع المحاور وجدناها ستة وثلاثين مربعاً فإذا ضربناها في إمكانات الحضور والغيبة : التالية :

الإمكانات



لازداد العدد أضعاف ذلك . على أن ذلك ليس مناط القول في المطابقة وإنما أردنا بالكلام فيها أن نبين كيف كانت بين ظواهر الربط .

إذا قلنا : « الأخوان التوأمان يتشابهان » لاحظنا في تركيب العبارة ما يلي :

١- في الاسم والوصف ألف تشنية وفي الفعل ألف اثنين .

٢- في الاسم والوصف تذكير وللفاعل إسناد إلى مذكر (لاحظ ياء المضارعة) .

٣- لام التعريف التي في الاسم تقابل « أل » الموصولة التي في الوصف .

٤- الاسم الظاهر والوصف ناسبهما ابتداء المضارع بياء الغائب .

٥- لما كان الاسم مرفوعاً رفع الوصف كذلك .

معنى هذا أن التشنية والتذكير والغيبة قد امتدت على الكلمات الثلاث التي تكونت منها الجملة وأن التعريف والرفع شركة بين الاسم وصفته . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الموصوف وصفته قد تشاركنا في جميع ألقاب المطابقة المعبرة عن محاورها

وأتهما فوق ذلك تشاركنا في الإعراب . ما مغزى هذه الشركة ؟ مغزاها أن أحدهما ينتمى إلى الآخر أى أن بينهما ربطاً يجعل أحدهما لا ينفك في الفهم عن الآخر والدليل على ذلك ما نراه عندما نهدر أى محور من محاور المطابقة التي سبقتمند قليل . وإليك هذا الإهدار بالترتيب التي أوردنا به هذه المطابقات :

١- الأخ التوأمان يتشابهان

= إهدار التشنية .

٢- الأخوان التوأمان تتشابهان

= إهدار التذكير .

٣- الأخوان توأمان يتشابهان

= تحولت الجملة إلى جملة أخرى غير مرادة .

٤- الأخوان التوأمان تتشابه

= إهدار الغيبة والتشنية .

٥- الأخوان التوأمان يتشابهان

= إهدار الإعراب .

ففي ١ ، ٢ ، ٤ تحولت الجملة إلى لغو كما تحولت في ٣ إلى معنى آخر وفي ٥ إلى صورة مرفوضة ربما قبها النحاة تحت

عنوان « قطع النعت » . وإذا أردت أن أتري إهدار كل المطابقات في وقت معاً فيإليك ذلك في الجملة الآتية (ونأسف لتسميتها جملة) .

الأختان توأمين تتشابه .

هذا هو المقصود باتخاذ المطابقة وسيلة من وسائل الربط .

٥ - التكرار :

للتكرار أكثر من صورة واحدة فقد يكون تكراراً للفظ وقد يكون تكراراً للمعنى كما قد يكون تكراراً لمطلع الجملة لأداء غرض أسلوبى ما . والتكرار إنما يكون للتذكير أو للتعرف الذى كان غرض الأدوات .

(أ) تكرار اللفظ :

إن تكرار اللفظ فيما يبدو هو الأصل في الربط (من حيث كان التكرار خيراً وسيلة للتذكير بما سيق) وأنه إذا عدل عنه فإنما يعدل لأحد سببين :

الأول : كراهية الرتابة والإملال الذى يترتب على التكرار بصفة عامة وربما دخل هذا في قبيل كراهية توالى المثليين أو المتقاربين

في اللغة العربية وتبدو هذه الكراهية في التحول إلى إدغام المثليين وإدغام المتقاربين والتخلص من التقاء الساكنين وكراهية توالى الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون وكراهية توالى النونات في نحو لتبلون وتوالى التاءات في نحو « ولا تنابزوا بالألقاب » ، وكما في بناء الماضى على السكون نحو ضربت لكراهية توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة .

ومعنى ذلك أن الذوق العربى يكره الرتابة والتكرار .

الثانى : استعمال مبدأ « الاختصار » وهو فرع على القاعدة العامة التى عنوانها « طلب الخفة » فكما أن اللغة استعملت علامة التثنية والجمع تجنباً لتكرار المتعاطفات فقالت : « قائمون » بدلاً من « قائم وقائم وقائم ... إلخ » وقالت : « عربى » فجعلت ياء النسب اختصاراً لعبارة « منسوب إلى ... » وجعل ياء التصغير فى « رجيل » اختصاراً لكلمة « صغير » وهلم جراً . كما فعلت العربية ذلك اختصرت التكرار فى الربط فدلّت

على المكرر بضمير أو بآل أو إشارة ،
أو نحو ذلك .

ولكن قد يدعو داع تركيبياً أو أسلوبياً
إلى تكرار الاسم للوصول إلى الربط . انظر
إلى قوله تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله »
(البقرة ٢٨٢) وتصور إحداث الربط
في الآية بواسطة غير التكرار نحو : واتقوا
الله وهو يعلمكم فإن ما بعد الواو سيكون
أقرب إلى معنى جملة الحال وذلك غير
مراد لأن المراد معنى يقرب من معنى الشرط
وانظر إلى قوله تعالى : « قل اللهم مالك
الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء »

(آل عمران ٢٦) ، فلو تصورنا أن الذي
آتاه الله الملك هو « أ » وأن الذي نزع منه
الملك هو « ب » وتصورنا الربط بالضمير
فقلنا : تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك
منه ما كان ذلك هو المقصود . ولأن الملك
الثاني غير الأول ، فلا يجوز أن يكون
النص : تؤتي الملك من تشاء وتنزعه ممن
تشاء وليس مطابقاً للمقصود أيضاً أن
يقال : وتعز من تشاء وتذله : ومن هنا كان
الربط بالتكرار (أي تكرار اللفظ)
أمراً لا عرض عنه .

انظر أيضاً إلى قوله تعالى : « فيومئذ
لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد »
(الفجر ٢٥ ، ٢٦) . فالمعروف أن لفظ
« أحد » في الحالتين نكرة واقعة في سياق
النفي وأن وضع النكرة هذا الموضع يجعلها
مفيدة للعموم . فلو تصورنا في مكان
« أحد » الثانية ضميراً لما أجزأ في الإفادة
بالدلالة على معنى العموم وهو المقصود .
وفي قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن
إثم » (الحجرات ١٢) لو تصورنا
الضمير في موضع « الظن » الثاني لاحتتمل
الضمير العود إلى « كثير » كما احتتمل
العود إلى « الظن » وهذا لبس يتنزعه عنه
القرآن .

(ب) تكرار المعنى :

إنما يكون تكرار المعنى مع إجمال الأول
وتفصيل الثاني فإذا قلت مثلاً : « عقيدتي
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فإن العقيدة مجملة تشمل
مدلول هذه العبارة كما تشمل أن محمداً
رسول الله ، وأن هناك بعثاً وحساباً وجنة
أو ناراً ... إلخ . وأما جملة « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »

فهى من تفصيل الأول ومن ثم كان المعنى مكرراً .

وليس يطعن فى كون الثانى عين الأول أنه أخص منه لأن الغرض الأسلوبى انتقاد من بين سائر ما يصدق عليه أنه عقيدة وأعطاه من الاهتمام ما جعله مساوياً للأول فى القصد . وكذلك قولك : فلسفتى فى حياة أطرق الحديد وهو ساخن أو شعارى : لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم .
ومن ذلك قوله تعالى : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » (يونس ١٠) فى هذه الآية الكريمة ثلاث جمل يقوم الربط فى كل واحدة على تكرار المعنى وهذه الجمل هي :

١- « دعواهم فيها

سبحانك اللهم » .

٢- « وتحيتهم فيها

سلام » .

٣- « وآخر دعواهم

أن الحمد لله رب العالمين » .

ولا يضر مع ذلك أن بدىء الخبر فى الجملة الأخيرة بأن المخففة من الثقيلة

التي لا يذكر اسمها معها نكونه ضميراً مستتراً والتي تحل مع ما بعدها محل المصدر (أى تؤول مع ما بعدها بالمصدر) .

(ج) تكرار المطلع :

وتكرار المطلع وسيلة أسلوبية إما للتأكيد وإما للتذكير (راجع الكلام عن التعرف والتذكر فى أول هذا البحث) وهو إما أن يكون بتكرار اللفظ كما هو أو مع تعديل طفيف أو يكون إشارة إلى المطلع أو وصفاً له كما يبدو من الشواهد الآتية :

١- من التكرار للتأكيد قوله تعالى :

* « ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون »

(الروم ١٤) .

* « ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر

المبطلون » (الجاثية ٢٧) .

* « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم

وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم

الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق

المبين » (النور ٢٤ ، ٢٥) .

* « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل

الملائكة تنزيلاً . الملك يومئذ الحق للرحمن

وكان يوماً على الكافرين عسيراً » .

(الفرقان ٢٥ ، ٢٦)

٢- ومن التكرار للتذكير بعد طول المطلع
قوله تعالى :

* « ولما جاءهم كتاب من عند الله
مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .
(البقرة ٨٩)

* « ولو شاء الله ما اقتتل الذين
بعدهم من بعد ما جاءهم البينات ولكن
اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر
ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل
ما يريد » (البقرة ٢٥٣)

* « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا
ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب
أليم » (آل عمران ١٨٨)

* « ثم إن ربك للذين هاجروا من
بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك
من بعدها لغفور رحيم » (النحل ١١٠) .

* « ثم إن ربك للذين عملوا سوءاً
بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن
ربك من بعدها لغفور رحيم » .
(النحل ١١٩)

٢- ومن الإشارة إلى المطلع دون تكرار له
قوله تعالى :

* « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
لن يفرحوا هو خير مما يجمعون » .
(يونس ٥٨)

وهو من قبيل التوكيد لا التذكير .
١- ومن التكرار مع تعديل طفيف قوله
تعالى :

* « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من
أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح
بالكفر صدراً فعليه غضب من الله ولهم
عذاب عظيم » (النحل ١٠٦) .

* « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر
فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله ... » (النور ٣٦ ، ٣٧) .

وهذا الشاهد الأخير أولى أن يكون من
قبيل التأكيد .

٢- ومن التكرار بواسطة وصف المطلع
قوله تعالى :

* « فما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق

الثانية : أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فكان الرد تكذيباً لهم أدبياً لما حدث ولشكوكهم حتى في دعاوى أنفسهم وتأكيد أنهم لم يقتلوه أبداً وبقيناً : أن ذلك لم يحدث منهم . جاء كل ذلك في صورة اعتراض جعل المسافة بين الجار والمجرور (بما نقضهم) وما عطف عليه وبين المتعلق مسافة طويلة تدعو إلى التذكير بالمطلع بواسطة تكراره بالوصف .

الإحالة :

الفرق بين الإحالة وتكرار المعنى أن تكرار المعنى يكون من خلال جملة ملفوظة كلها أو مقدر بعضها وقد اجتمعت الصورتان في قوله تعالى : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » لأن خبر الدعوى جملة ملفوظة وخبر التحية جملة حذف أحد ركنيها .

أما الإحالة فمعظم صورها من قبيل مبدأ « الاختصار » حيث هي عود للضمير إلى مرجع أو إشارة إلى ذلك المرجع أو وصف له

وقولهم قلوبنا غلف (بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً) وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً وإن من أهل الكتاب إلا ليومنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ... » (النساء ١٥٥ - ١٦٠) .

فقد وصف النقص والكفر والقتل ، وما تكرر من القول فجعل كل أولئك ظلماً وجعل الظلم تلخيصاً لما تقدم وتكراراً له للتذكير به . هذا وقد اشتملت الآية على جمل معترضة وضعناها بين الأقواس وكان الاعتراض بهذه الجمل رداً على دعويين من دعاوى اليهود :

الأولى : أن قلوبهم غلف فكان الرد بالجملة المعترضة شرحاً لسوء حالة قلوبهم .

نعود على السائلين كما تصلح أن تعود:
على الإخوة ولو لم يكن هناك ما يرجع
عودها على أحد المرجعين لتقبل « إذ قال
« إخوته . . . » ولكن في الآية عنصرا
آخر يدل على أن القائلين هم الإخوة
لأنهم قالوا « ليوسف وأخوه أحب إلي
أبينا منا » فهذا الأب ليس أباً للسائلين
الذي سألوا النبي صلى الله عليه وسلم
لأنهم كانوا بحكم المنطق معاصرين للنبي
محمد عليه الصلاة والسلام فلا يمكن أن
يكون الأب أباهم لأن بينه وبينهم
عشرات القرون على الأقل . وبذلك أمن
اللبس وعرف أن الأب أبو الإخوة فرجع
الضمير إليهم وهم الأبعدون .

٢ - الإشارة إلى المرجع :

حين قسمت الكلم تقسيماً جديداً في
كتاب « اللغة العربية معناها ومبناها »
ضممت ضمائر الأشخاص والإشارات
والموصلات تحت قسم واحد اسمه
« الضمير » اعتماداً على قول ابن مالك .
في تعريف الضمير :

وما لدى غيبة أو حضور

كانت وهو سم بالضمير

فجعلت الدلالة على الغيبة دلالة
« هو » و « الذي » وفروعهما وجعلت
الدلالة على الحضور معنى « أنا » و « أنت »
و « هذا » وفروعها .

ولو أن النحاة الأقدمين رأوا رأيي في
هذه الضمائر لكشفوا عن ظواهر نادت
عنهم كظاهرة الربط بالموصول مثلاً
وهي التي سنوردها بعد قليل تحت
رقم ٣ ولأذكر كوا سر اتخاذ الإشارة ارتباطاً
وقد اعترفوا له بوظيفة الربط فليس
القول بالربط باسم الإشارة جديداً وقد
مثلوا له بقوله تعالى : « لباس التقوى
ذلك خير » (الأعراف ٢٦) وذلك
في قوة قولك : « هو خير » إذ تحكّم
بالضمير « هو » بأنه ضمير فصل إن
كان لا محل له من الإعراب فلا سبيل
إلى إنكار قيمته في الربط ولا في التأكيد .
ويغريني هذا الموضع بشيء من الاستطراد
أعتره له مقدماً؛ ذلك أن المفسرين فيما
أعلمه قد فسروا لفظ « لباس التقوى »
بملايس التقوى ولست أدري إن كان
للتقوى ملايس خاصة بها والأمر في
رأيي يمكن أن يخضع للقواعد الصرفية

* « ولئن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم
الأمور » (الشورى ٤٣) .

* « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب النار » (البقرة ٣٩) .

* « والذين آمنوا وعملوا الصالحات
أولئك أصحاب الجنة » (البقرة ٨٢) .

* « والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها أولئك أصحاب النار » (الأعراف
٣٦) .

* « والذين سعوا في آياتنا معاجزين
أولئك أصحاب الجحيم » (الحج ٥١)

* « وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة
أولئك الأحزاب » (ص ١٣) .

* « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب
الميمنة » (البلد ١٧ - ١٨) .

إذ من المعاوم أن مسيئة الماضي « فاعل »
لها مصدران كما يقول ابن مالك :

لفاعل الفِعال والمفاعلة

وغير مامر السماع عاد له

فالفعل « لابس » له مصدران أحدهما

« اللباس » والثاني « الملابسة » وبذلك

يكون تفسير الآية والله أعلم « وملابسة

التقوى خير » .

أما استعمال لفظ « لابس » دون

كلمة « ملابسة » فإذا نظرنا إليه من

الناحية البلاغية والأسلوبية فإن ذهبنا

به مذهب المفسرين فإنه يصبح من قبيل

المشاكاة ومثل ذلك ما في قوله تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها » (الشورى ٤٠)

إذ أطلق لفظ « سيئة » وقصد « العقاب »

للمشاكاة اللفظية .

٣ - الربط بالوصول :

لم يشر أحد من قبل إلى هذا النوع من
الربط وإن سبقت الإشارة إليه بفهم
آخر تحت عنوان « الإظهار في مكان
الإضمار » فالملاحظ الذي لحظه البلاغيون

أما إذا ذهبنا به المذهب الآخر الذي

يجعل اللباس مصدرًا فإنه يصبح من

قبيل الجنس وهو أوضح المعنيين .

وفي القرآن الكريم شواهد أخرى على

الربط بالإشارة نذكر منها :

وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين فأزلهما الشیطان عنها فأخرجهما
مما كانا فيه « (البقرة ٢٤ - ٢٦) فالمعنى
فأزلهما هو أى إبليس الذى سبق ذكره .
ومن هذا القبيل أيضاً :

* « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل
الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل
الطاغوت فقاتلوا أولياء الشیطان إن كيد
الشیطان كان ضعيفاً » (النساء ٧٦)
أى فقاتلوهم .

* « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم
لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » (التوبة ١٢)
أى فقاتلوهم .

* « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين »
(التوبة ١٤) أى ويشف صدوركم .

رابعا : خاتمة :

يمكن أن نلخص نتائج هذا البحث أى
النقط المبتكرة فيه على النحو التالى :

١ - أن للربط جانباً سيكولوجياً يوثق
صلته بنوعين من أنواع النشاط العقلى هما
التعرف والتذكر .

٢ - أن للربط اتجاهى تطبيق أحدهما
تركيبى نحوى والآخر أسلوبى بلاغى .

٣ - أنه يبدو أن الأصل فى الربط أن
يكون بتكرار اللفظ. وأن العدول عن ذلك
إلى الربط بالإحالة جاء نتيجة تطبيق مبدأ
الاختصار الذى هو فرع على مبدأ طلب
الخفة .

٤ - أن النحاة عرفوا الربط بالأداة
والربط بالمطابقة والربط بتكرار اللفظ
والمعنى والربط بالإشارة وأل ولكنهم
غفلوا عن الربط بالوسائل الآتية :

(أ) الربط بتكرار المطلع لأن طول
المطلع قد يشتمل على أكثر من جملة واحدة
أو البحث النحوى لا يتعدى الجملة الواحدة
إلا فى حالات محدودة كعطف الجمل مثلاً .

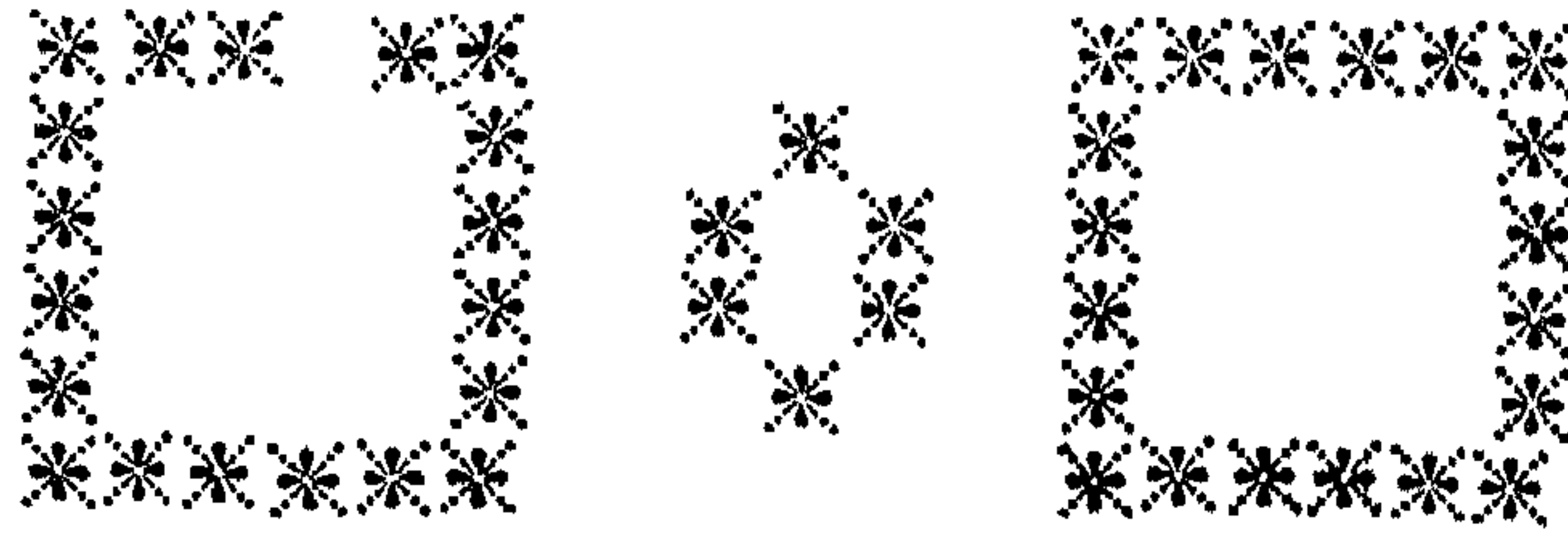
(ب) الربط بالموصول وإن اعترف
البلاغيون بهذه الظاهرة تحت عنوان آخر
هو « الإظهار فى موضوع الإضمار » .

(ج) الربط بالوصف وقد غفل عنه
الفريقان النحوى والبلاغى .

أرجو أن يكون هذا البحث قد ألقى
بعض الضوء على هذه الظاهرة الهامة من
ظواهر التركيب والأسلوب العربي .
والله سبحانه ولى التوفيق ومنه العون .

تمام حسان
عضو المجمع

هـ - أن الإضممار لا يتم إلا مع المطابقة
فى اللفظ والقصد وأن هذه الفكرة مأخوذة
عن التوليدين فلا تعتبر من ابتكار
هذا البحث وإن كان للبحث فضل
تطبيقها على اللغة العربية لأول مرة .



فى التركيب اللغوى (*)

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

(٤)

تراكيب بين القبول والرفض

أولاً:

كان يجوز التركيب الواحد فى لهجة دون لهجة أخرى (٢) ، وفى عرضه التراكيب يهدم بالسماع عن الخليل ويونس ، ثم يعرض ما سمعه على كلام العرب ، ومن ذلك قوله : ليس فى الدنيا عربى يرفع (٤) ... أو قوله : ولا يكاد عربى يقول (٥) ... أو قوله : وليس كل العرب تتكلم بها (٦) ، " وليس كل العرب تعرف هذا (٧) " ، أو قوله : ولم نسمع عربياً يقوله (٨) .

وأرى أن سيبويه عندما رفض بعض هذه التراكيب كان ينظر إليها من مستوى الفصحى « لكن لو نظر إليها من

أشار سيبويه إلى بعض التراكيب القبلية غير الصحيحة نحويًا ، وحكم عليها بأنها قليلة أو خطأ أو قبيحة ، أو قليلة خبيثة ، فيقول بعد عرضه لبعض التراكيب " وهذا بعيد لا تكلم به العرب ولا يستعمله منهم ناس كثير " (١) وقوله معلقاً على بعض التراكيب " أعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون : إنهم أجمعون ذاهبون (٢) ... " وكان سيبويه يرى أنه من الضرورى تحكيم سنن العرب فى كلامها حين النظر إلى اللغة ، كما

(١) الكتاب ٢ / ٤١١ ط : هارون .

(٢) ٢ / ١٥٥ وانظر : التراكيب غير الصحيحة نحويًا فى الكتاب د . محمود ياقوت . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية .

(٣) الكتاب ٢ / ٣١٧ ط : هارون .

(٤) الكتاب ٣ / ٢١ هارون (٥) الكتاب ٢ / ٤٠٠ هارون .

(٦) الكتاب ١ / ٤٧٤ بولاق .

(٧) الكتاب ٢ / ١٠٣ بولاق .

(٨) انظر : فهارس سيبويه ٦٢ فما بعدها للشيخ عزيمة .

(*) نشر القسم الأول فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . الجزء ٧٢ من ذى الحجة ١٤١٣ هـ - مايو ١٩٩٢ .

«مستوى لغات العرب» فلا يصح أن يحكم بخطئها ، وكان هدف سيبويه وغيره التقنين لفصحى ، كما أن الحكم على هذا التركيب بالخطأ وغيره أنها لم ترتق عندهم إلى درجة اللهجات القوية في الجزيرة العربية حتى تثبت أقدامها جنباً إلى جنب مع اللهجات القوية للقبائل المشهورة .

وأحياناً كثيرة يقبل التراكيب كقوله :
سمعنا العرب الفصحاء ، سمعت رجلاً من أهل البادية ، قال قوم ترضى عربيتهم ، سمعنا ناساً من العرب (١) .

وقد مال سيبويه حين تكلم عن الخلاف النحوى فى بعض التراكيب بين الحجاز وتميم إلى أن التميمية أقيس الوجهين (٢) وقد تابعه فى ذلك طائفة من اللغويين (٣) .

أما ابن جنى فيقول : " ألا ترى أن لغة

التميميين فى ترك أعمال « ما » يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين فى أعمالها - كذلك - لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ، ويخذ إلى مثله ، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين لصاحبتهما ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، لكن غاية ما لك فى هذا أن تتخير إحداهما فتقدمها على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين ، أقبل لها وأشد أنسابها فأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا " (٤) . فابن جنى يرى أن كل اللغات حجة ، مهما اختلفت ، وإذا تكلم إنسان على قياس لغة منهما أصاب ولم يخطئ ، ويرى أبو حيان الأندلسى : أن كل لغة منها يقاس عليها (٥) ، ويقول أبو عثمان المازنى " ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم " (٦) ومع ذلك ، فهناك لغة أقوى قياساً ، وهناك لغة أضعف قياساً يقول ابن جنى :

(١) انظر : فهارس كتاب سيبويه للشيخ عضيمة .

(٢) الكتاب ١ / ٤٠٣ و ٢٨ ط . بولاق .

(٣) الخصائص ١ / ١٢٥ و ١٦٧ وابن يعيش : شرح المفصل ١٣٢ فما بعدها .

(٤) الخصائص ٢ / ١٠ .

(٥) المزهر : ١ / ٢٥٨ .

(٦) المنصف : ١ / ١٨٢ .

فأما أن تقل إحداهما وتكثر الأخرى -
جداً فإنك تأخذ بأوسعهما رواية ،
وأقواهما قياساً (١) . فلغات القبائل يمكن
القياس عليها جميعاً وبناء الأحكام على
نصوصها ، غير أن هناك لغة أجود في
القياس من لغة ، وأفصح في الاستعمال،
وأشيع في القبائل .

ولهذا لا يكاد يختلف التركيب في
القبائل عنه في اللغات العربية الأخرى ،
إلا في نزر يسير ، لأن ظواهر التركيب
فيها أقل الظواهر اللغوية تطوراً وتغيراً .
فالتراكيب في لغات القبائل متقاربة من
«حيث أنماطها وأشكالها» . ويقول ابن
جنى في معنى ذلك " ومع هذا فليس
شيء مما يختلفون فيه - على قلته وخفته
- إلا له من القياس وجه يؤخذ به ، ولو
كانت هذه اللغة حشواً مكيلاً ، وحشواً
مهيباً لكثرت خلافها وتعدت أوصافها (٢) ."
بل من الصعب أن نحكم على تركيب ما
بالخطأ ، لأن المعاجم ربما أغفلت هذا

(١) الخصائص : ٢ / ١٠ .

(٢) الخصائص : ١ / ٢٤٣ فما بعدها .

التركيب والنص عليه ، رغم وروده في
كلام عربي أو في لهجة قبيلة عربية ، أو
قد نجد له وجهاً في العربية يخرج عليه .

والدكتور تمام يلفت النظر إلى حقيقة
منهجية يتضمنها موقف النحو العربي من
التصويب والتخطئة ، فيشير إلى الصواب
والخطأ في عرف النحاة لا ينبغي أن
يفهما على إطلاقهما ، ولا أن يتم الانتقال
من الحكم بأحدهما إلى الحكم بالآخر
فجأة ، ولا أن يفصل بينهما خط مستقيم
على أحد جانبيه الصواب ويعنى الآخر
الخطأ ، ذلك أن موقف النحو العربي من
ذلك يبدو من حيث التداخل في الفهم
كألوان الطيف ، لا يدرى المرء أين يبدأ
لون منها وأين ينتهي ، وربما تعارض
اللونان منها ، وربما أبطئ لون أثر لون ،
بل ربما وقف البصر عند نقطة بين لونين
فلا يدرى أينسبها إلى هذا اللون أو ذاك،
ومرجع هذا كله إلى طبيعة البناء النظرى
لنظام النحو العربي ، ففيه أصول مجردة

هي دائماً نقطة البداية في التحليل ، سواء منها ما كان أصل وضع وما كان أصل قاعدة ، وإذا كانت هذه الأصول النظرية بحكم مفارقتها للاستعمال تتسم بالاطراد التام ، فإن الاستعمال لا يمكن أن يستقيم على سمتها ، ومن هنا يأتي الاستثناء عن الأصول حيناً والاستدراك عليه حيناً آخر ، ليكون من هذا وذاك قواعد فرعية تتسم بالعدول عن الأصل ، فتنشأ بها درجة من درجات الصواب لا تتفق مع أصول اللغة ، فتكون هذه الدرجة كلون جديد من ألوان الطيف ، يختلف عما جاوره ويتداخل معه " (١) .

ومن هنا يمكن أن يباح الترخص في تركيب بعض القبائل العربية التي اختلفت مع الفصحى والعرف الشائع في التراث ، كما أن لها مستوى يختلف عن مستوى الفصحى ، وقد ورد الترخص عن العرب في استعمالها اللغوي فهو إذن درجة من درجات الصواب ، وما دام كذلك فلا

يصح أن يوصف بالخطأ لأن المترخص صاحب لغة ، وإذا كان بعض النحاة قد رمى بعض تراكيب القبائل بالندرة والقلّة والشذوذ ، فلا يعنى هذا أن التركيب غير فصيح ، وذلك استناداً على أصل شامل من أصول النحاة أنفسهم حين يقررون — أن " الشذوذ لا ينافي الفصاحة " (٢) فلم يعد مقبولاً الآن أن نخطئ التراكيب القبلية اللغوية التي جرت على السنة القبائل ، لمجرد مخالفتها للغة المشهورة ، فكل ما يشيع من وجوه التراكيب يكفي في قبوله أن نجد شاهداً أو نجد له تخريجاً وإن كان مرجوحاً ، ومن الخطأ أن يخطئ النحاة أصحاب اللغة ، ولو كان كلام أهل هذه اللغة خارجاً عن القياس ، فالقواعد النحوية لاحقة للنص لا سابقة عليه ، يقول ابن ولاد : " الذي للنحوى أن يفعله أن يمثل ويعتدل لما جاء عن العرب فأما أن يردّه فليس ذلك له (٣) " ويقول أيضاً " لابد من متابعتهم « أى العرب » إذا كان « النحوى » يريد التكلم

(١) بحوث لغوية وأدبية ٨ فما بعدها و ٢١ فما بعدها ، معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى .

(٢) الأصول : ٢٢٤ د . تمام ، ط. الدار البيضاء .

(٣) الانتصار لابن ولاد : ١٢٠ فما بعدها .

بلغتهم دون ما يطرد لنا ويحسن من مقاييسنا (١) قال أبو منصور الحمشاذي ليس لأحد منا أن يعيب على الآخر فيما هو خلاف لغته ، كذلك لغات العرب في اختلافها " (٢) .

كما أن التراكيب الشاذة عند العرب ليست منبوذة ، بل هي صيغ قوية بقيت خارج القاعدة ولم تستسلم لقوة القياس ، بل فرضت نفسها بخصائصها الفردية ، وهي وإن شذت بالمفهوم الصحيح ، إلا أنها تحفظ ولا يقاس عليها ، على أن قبول التراكيب أو رفضها يخضع للمستوى الصوابي فهو الذي يقوم على أساسه الحكم بالصحة والخطأ ، وسبب الاختلاف بين اللغويين فيما يجوز من التراكيب وما لا يجوز يعود سببه إلى تحديد المستوى الصوابي ، فالأصمعي كان يقول أفصح اللغات ويلغى ما سواها

• ، أما أبو زيد فيجعل الشاذ والفصيح واحداً فيجيز كل شيء قيل ، كما كان يتسع في اللغات (٣) ، وقد كان البصريون لا يقيسون إلا على المشهور الشائع ، أما النادر فلا يقاس عليه ، والكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبؤبؤاً عليه (٤) ، وهكذا لم يتفق كثير من اللغويين على مقياس محدد يقوم على أساسه الحكم بالصحة أو الخطأ ، فمنهم من سلك مسلكاً متشدداً بالوقوف على ما سمع ، وعدم الاعتراف إلا بالأفصح ، ومنهم من يرى أن من يتكلم بلهجة من لهجات العرب ، أو يقيس عليها ، ولو كانت نادرة أو رديئة فهو محصوب غير مخطيء (٥) .

فمقياس الصواب والخطأ مختلف عند المتشددين وعند المتساهلين كما أن

(١) الانتصار : ٣٢٧ فما بعدها .

(٢) الرد على الانتقاد على الشافعي في اللغة ٦٠ للبيهقي ، تحقيق ، د. عبد الكريم بكر . ط. بريدة / السعودية .

(٣) انظر : المزهري ١ / ٢٣٣ وطبقات النحويين واللغويين ١٨٢ للزبيدي .

(٤) الاقتراح ٨٤ ط حيدر آباد .

(٥) لحن العامة ٤٧ د. عبد العزيز مطر .

القدماء ربطوا الصواب والخطأ بفكرة البداوة والحضارة ، وطالعونا بقوائم القبائل التي يؤخذ عنها ، والتي لا يؤخذ عنها ، وحين جاءوا إلى تطبيق هذه الأسس كانت لهم مواقف غريبة مثل : تخطئة بعض القراءات التي لم تتفق مع قواعدهم ، وتخطئة بعض الشعراء الذين عاشوا في عصور الاستشهاد ، وأخيراً إجازتهم في العربية ما ليس منها اعتماداً على القياس النظري الذي لا تسنده مادة لغوية أو استقراء .

والحق أن مقياس الصواب والخطأ ، مقياس متغيرة متجددة ، فما هو خطأ اليوم قد يكون صواباً غداً والعكس صحيح ، فمجمع اللغة في القاهرة قد أقر كثيراً من التراكيب والألفاظ فأصبح صواباً ما كان بالأمس خطأ ، وكثير من الأساليب الخاطئة قد تحقق لها النصر إذا بدأ في استعمالها عالم مرموق ، أو ممن لهم مكانتهم الاجتماعية والثقافية ، بل إن كثيراً من الاستعمالات والتراكيب

الخاطئة دخلت اللغة عن طريق القياس الخاطيء ، ويشفع لها أنها انحراف نحو منطقة نفوذ الكثرة بتحوّل إلى اتجاه جديد (١) ، ولا بد في الصواب والخطأ من ربطهما بالعرف اللغوي للجماعة اللغوية ، فلا يصح أن نتكلم عن الصواب والخطأ دون أن نربطها بالمستوى الكلامي الذي ينتمي إليه المتكلم ، وما يروى عن الشيخ حمزة فتح اله حين غادر قطار السكة الحديدية نادي المكارين قائلاً له : يا مكارى ! إيتنى بحمارِ جَمَزَى ! فلم يفهم الرجل مراده ، وتركه وانصرف ، وهنا حلت العقوبة بالشيخ حين هرب إلى داره ماشياً قائلاً :

مشيناها خطأ كُتبت علينا

ومن كُتبت عليه خطأ مشاها

فالشيخ قد جانب الصواب اللغوي بهذا المقياس ، وإن كان قد تكلم باللغة الفصحى لأن المستوى الصوابي معيار لغوي يرضى عن الصواب ويرفض الخطأ في الاستعمال في ظل مقياس اجتماعي

(١) محاضرات في علم اللغة ١٢٩ ، د. أحمد مختار ١٩٦٨ .

يفرضه المجتمع اللغوي على الأفراد ويرجع الأفراد إليه عند الاحتكام في الاستعمال (١) .

على أن الأخطاء اللغوية تفيدينا كثيراً عند دراستها ، لأن بعضها يصور لهجات قبلية ، فقد رمى الإمام الشافعي بالخروج عن استعمال العربية الفصحى في بعض التراكيب ، وغاب عن ناقيه أن الفصاحة ليست على درجة واحدة ، فمنها ما هو خلاف بين العرب أنفسهم ، فاستعمل الشافعي لغة وعدل عن الأخرى وأحياناً يستعمل اللغتين معاً ، كما عيب عليه أشياء لغوية لأنها لم ترد في كتاب العين للخليل بن أحمد ، ظناً منهم أن ما لم يذكره الخليل ليس من لغة العرب ، كما استعمل الشافعي لغات قليلة ولما كانت أصول العربية مرنة ولهجاتها مختلفة ، فقد سمح للشافعي أن يتنقل في استعماله بين الفصح والأفصح والكثير والقليل والغالب والنادر ، وإذ كنا وجدنا من يعترض على بعض استعمالات

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية ٦٧ ، د. تمام حسان .

(٢) وذلك في كتاب « الرد على الانتقاد على الشافعي في اللغة » تحقيق د. عبد الكريم بكار ط : بريدة . السعودية .

الشافعي اللغوية فإننا وجدنا كثيراً من دافع عن لغة الشافعي مؤيداً دفاعه بأقوال أئمة العربية وعلمائها ، واللغة لا شك أدق من قواعدها والذوق أصدق من أجروميتها ، واللغة أولاً وأخيراً هي أوسع من معجماتها ، ولا تعدو المسألة في النهاية أن يكون الشافعي قد استعمل لغة قومه في الحجاز وهي في بعض استعمالاتها مخالفة لما عليه الجمهور أحياناً ، فالشافعي مصيب ، لأنه صور لغته ، والمغلط غلط . وممن رد على منتقدي الإمام في مسائل العربية الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٢) .

وقد غاب على المنتقدين للشافعي في لغته : أنه أقام في بطون العرب عشرين سنة يأخذ أشعارها ولغاتها ، ولزم هذياً وهي من أفصح العرب فتعلم كلامها ولغتها ، وأصبح كلامه حجة في اللغة كما يقول ابن حنبل ، ويقول الأصمعي : صححت أشعار الهذليين على شاب من

قريش يقال له : محمد بن إدريس ، وقال غلام ثعلب : سمعت ثعلبا يقول : إنما توحد الشافعي باللغة لأنه من أهلها ، وإذا كانت هذه نشأة الشافعي بين أقحاح العرب هي التي جعلته من أفصح العرب بياناً وأنداهم لساناً ، أفصح أن يجعل قول مَنْ هو دون الشافعي حجة عليه (١) ! وإذا نظرنا إلى الشريعة وعلاقتها باللغة معروفة - عرفنا أن كل ما ليس قطعياً من الأحكام هو أمر قابل للاجتهاد ، وإذا كان يقبل الاجتهاد فهو يقبل الاختلاف ، وقد روى عن الشافعي قوله : " رأيت صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب ، وهذا الاحتمال من الجانبين - احتمال الخطأ في رأي المجتهد واحتمال الصواب في رأي غيره - هو الذي يقرب المسافة بين الطرفين ، وهذا من إنصاف الشافعي وسعة علمه ورعاية أفقه ، ومن هنا يمكن أن نقول : بإمكان تعدد الصواب - لكن ابن جني له

(١) انظر : المصدر السابق « مقدمة المحقق » .

(٢) انظر : المفصل في شرح أبيات المفصل ٣٣٣ للسيد بدر الدين الحلبي .

(٣) الخلاف بين النحويين ٢٥٢ د . السيد رزق الطويل ، الفيصلية ، مكة ، ط . أولى .

(٤) المرجع السابق ٢٦٠ .

مقولة أخرى حين يرى " أن العربي الخالص لا يجرى على لسانه لحنٌ وكل ما تسمع منه فهو اللغة العربية ... فلا يخطأ واللغة ما نطق به " (٢) والحكم بالخطأ أو اللحن في الإعراب أو التركيب لا بد أن يسبق بمعرفة تامة بلغات العرب ، فأغلب ما نسب إلى الخطأ وجد له نظير من لغات العرب ، أو سند من قواعد بعض النحاة ، وكثير من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين يرجع إلى أن أحد الفريقين إنما يعتمد في رأيه على لغة من لغات العرب لم يعتمدها الفريق الآخر، فمن ذلك :

(١) التعجب من البياض والسواد دون غيرهما من الألوان والخلاف في ذلك بين البصريين والكوفيين (٣) .

(٢) تقديم حرف الاستثناء في أول الكلام (٤) .

(٣) إهمال « أنْ » مع استحقاقها
العمل - لهجة عربية ، ورأى
المدرستين (١) .

(٤) فى نداء الاسم المحلى بأل ،
والخلاف فى ذلك بين البصريين
والكوفيين (٢) .

(٥) حذف « أنْ » فى خبر عسى ، من
الضرورات عند البصريين وكلام
سيبويه جوازه (٣) فى الكلام .

(٦) إلغاء « كان وظن » مع التقدم ،
فقد نقل عن الكسائى أن « كان »
ملغاة ولا عمل لها ، ووافق ابن
الطراوة .

(٧) كما أن ابن الطراوة أجاز حذف
الجار إذا تعين وأجاز : برئت (٤)
القلم السكين .

٨ « كما أجاز ابن الطراوة تعريف
التمييز (٥) .

(٩) كما أجاز ابن الطراوة نصب
الجزأين بعد : إن وأخواتها ، بل
جعله مقيساً (٦) .

(١٠) ومنع نصب المفعولين متقدمين
فى باب « ظننت » ولا مفر من
رفعهما على الابتداء والخبر
رُغَاء العامل . ويقابل آراء ابن
الطراوة أخرى معارضة (٧) .

(١١) قال الأزهري : وخطأ بعضهم
قول من يقول : فلان يستأهل أن
يكرم أو يهان ، بمعنى يستحق
وأضاف " أما أنا فلا أنكره ولا
أخطىء من قاله ، لأننى سمعت
أعرابياً فصيحاً من بنى أسد
يقول لرجل شكر عنده يداً أوليها:
تستأهل يا أبا حازم ما أوليت ،
وحضرت ذلك جماعة من الأعراب
فما أنكروا قوله " (٨) . وما يزال

(٣) المرجع السابق ٣٦٠ .

(٢) المرجع السابق ٢٦٤

(١) المرجع السابق ٣٣٧ .

(٤) أبو الحسين بن الطراوة ٩٠ د. محمد البنا . ط. دار الاعتصام . ط. الأولى - القاهرة .

(٥) المرجع السابق ٩٣

(٦) المرجع السابق ٩٧

(٧) التهذيب ٦ / ٤٦٨ « أهل » ، اللسان ١١ / ٣٠ « أهل » ط. بيروت .

(٨) العربية الصحيحة ١٥٦

هذا التركيب يعيش في اللهجات المعاصرة المصرية والعراقية وغيرها مع تسهيل الهمزة وكسر حرف المضارعة .

(١٢) منع بعضهم تركيب « هب أنى فعلت كذا » والصواب صحته وسمع ولا مانع منه قياساً واستعمالاً ، والدليل : ما روى في الحديث من مسائل الميراث المسماه «الحجرية أو الحمارية»^(١) فقد اعترض أحدهم على عمر بن الخطاب لعدم توريثه من أبيه بقوله : هب أن أبانا كان حماراً ، هب أن أبانا كان حجراً .

وفي العصر الحديث يذهب مجمع اللغة المصري إلى التيسير والترخص والأخذ ببعض الآراء المرجوحة ، والاعتماد على بعض اللهجات القديمة لتجويد ما منعه النحاة أو توسيع ما

ضيقوه ، ومن قراراته في النحو والتركيب :

(أ) يجوز أن يقال : عطشانة وغضبانة وأشباهاها ، ومن ثم يصرف (فعلان) وصفا ، ويجمع على (فعلان) ومؤنثه (فعلانة) جمعى تصحيح ، فيقال : سكرانون وسكرانات . وقد اعتمد المجمع في إجازته على تأنيث (فعلان) لبنى أسد^(٢) .

(ب) قياسية النعت بالمصدر ، وكان النحاة يذهبون إلى أنه - مع كثرته - مقصور على السماع^(٢)

(ج) يجيز المجمع ما يجرى على الألسنة من حذف (ابن) من الأعلام المتتابعة مثل (سافر محمد على حسن) وتضبط على أحد وجهين :

١ - يعرب الأول بحسب موقعه ويجر ما يليه بالإضافة .

(١) في أصول اللغة ١ / ٨٠ مجمع اللغة العربية - القاهرة .

(٢) في أصول اللغة ٢ / ١٦٠ .

٢ - تسكن الأعلام كلها إجراء
للوصل مجرى الوقف^(١) .

ومن خلال ما سبق نرى تطور
التركيب من القديم إلى الحديث وفي
أثناء مسيرتها نرى بناء الجملة العربية
يشتمل على ظواهر لاتكاد توجد في
الضوابط التي استخرجها النحاة من لغة
القرون الأولى ، بل نجد ظواهر شائعة
في النثر العربي الحديث لا يكاد يعرفها
الاستخدام القديم ، مما يؤكد تطور هذه
التركيب عبر القرون^(٢) .

ثانياً:

ويجب أن نشير هنا إلى تعدد الوجوه
الإعرابية في التركيب ، وسنجد أنماطا
منه كثيرة في الحديث عن لهجات القبائل
على مستوى النحو والتركيب ، وتعدد
الأوجه الإعرابية يستمد صحته من جهل
بالموقف اللغوي ، وقد كان بعض النحاة
يحاولون بتوجيهاتهم المختلفة أن يقدموا

عدة احتمالات افتقدت الموقف اللغوي في
حال النطق ، فمثل قوله تعالى : " وإن
تخالطوهم فأخوانكم"^(٣) . حيث ترفع
كلمة (إخوانكم) على تقدير ضمير (فهم)
كأنك قلت : فهم إخوانكم ، يقول الفراء :
ولم نصبته كان صوابا ، يريد : فأخوانكم
تخالطون^(٤) ، تكون كلمة (فأخوانكم)
جملة فعلية ، وعلى التقدير الأول - جملة
اسمية ، ولكن لا بد أن يختلف المعنى على
كل : فإذا كان التركيب (فهم إخوانكم)
فالمعنى أن هذا شيء ثابت مقرر ، وإذا
كانت (فأخوانكم تخالطون) فالمعنى أن
لابأس من استحداث هذه السنة الحميدة
مع إخوانكم .

ومن التراكيب السطحية التي لها
ثلاثة معان مختلفة قوله تعالى :
" يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا"^(٥) ،
فيحتمل :

١ - المصدرية : يريكم البرق
فتخافون خوفا وتطمعون طمعا .

(١) المرجع السابق ٣ / ١٧٠

(٢) اللغة العربية عبر القرون ٧٧ فما بعد ها د / محمود حجازي ، دار الكاتب العربي ١٩٦٨ (القاهرة) .

(٣) البقرة آية : ٢٢٠ (٤) معاني القرآن : ١ / ١٤١ فما بعدها للفراء . (٥) الرعد ١٣ .

٢ - الحالية : يريكم البرق خائفين
وطامعين .

٣ - المفعول لأجله : يريكم البرق
لأجل الخوف والطمع .

وهناك تراكيب كثيرة في التراث لها
أكثر من معنى وأكثر من بنية عميقة (١) ،

وقد أثبت علم اللغة النفسى أن فهم
الجملة ذات المعانى المتعددة يستغرق وقتا
أكثر من الجمل ذات المعنى الواحد على
الرغم من أن السامع قد لايلحظ إلا معنى
واحدا من معانيها ، لأن السامع حين
يستخلص معنى الجملة فإنه يقوم بعملية
تحليل لهذه الجملة كى يتوصل إلى بنيتها
العميقة ومن ثم إلى معناها . (٢)

من ذلك قول المتنبي :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت ...

... لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

١ - ف (لها) جار ومجرور متعلق

بوجدت ، لكن فيه تعدى فعل الظاهر
إلى ضميره المتصل كقوك (ضربه
زيد) وذلك ممتنع .

٢ - أو يكون صفة فى الأصل لسُبُلا فلما
قدم عليه صار حالا منه ، كما أن
قوله (إلى أرواحنا) كذلك ، إذ
المعنى : سبلا مسلوكة إلى أرواحنا .

٣ - أما الإعراب الثالث فهو أن تقدره
جمعا للهاة كحصاة وحصى ، ويكون
(لها) فاعلا بوجدت ، والمنايا
مضافا إليه ، ويكون إثبات اللهوات
للمنايا استعارة ، شبهت بشئ يبتلع
الناس ، ويكون أقام (الها) مقام
الأفواه لمجاورة اللهوات للقم ،
ويصف ابن هشام الإعراب الأخير
بأنه غريب (٣) .

فإذا كانت الاحتمالات الإعرابية
تسير وراء المعنى وتخدمه فلا بأس بحيث
لا تتعداه إلى الشكل والصنعة إذ
المحافظة على المعنى أولى (٤) .

(٢) المرجع السابق ٢٢١

(١) العربية والغموض ٢٢٠ د . حلمى خليل . ط أولى

(٢) معنى اللبيب ١ / ٢٢٢ فما بعدها . تحقيق محيى الدين . ط المدنى . القاهرة .

(٤) الهمع ١ / ٨

وغياب الموقف والمقام وما يصاحب الكلام المنطوق من علو الصوت أو انخفاضه أو الضغط على بعض الكلمات دون بعض ، مظهر تشكك وخط واضطراب وتميع في أداء التركيب ، بل يحول تعدد الوجوه بين مضمون الفكر ، وبين الإبانة عن ذلك المضمون ، ولهجات القبائل التي قمنا بدراستها جاعتنا مكتوبة لامنطوقة غاب فيها ما سبق أن ذكرناه من المواقف والسياقات وما يصاحبهما ، ولذلك يحاول بعض النحاة عرض احتمالات إعرابية في التركيب الواحد من غير مقتضى لتعدد المواقف ، وسترى أمثلة لهذا (١) ، أما إذا كان الموقف محددًا ، فإن التركيب يقتضى وجهًا واحدًا لا غير .

وتطالعنا الاحتمالات الإعرابية المسرفة في التركيب ، وهي لا تفرق بين وجه قوى أو ضعيف أو قريب أو بعيد ، ثم ترى التوالد العجيب للاحتتمالات

الإعرابية يدور في عمليات حسابية مجردة لا حس فيها ولا حياة ، وهي أشبه بالتجريدات العقلية والافتراضات الذهنية والتمحلات التي لا تمس الواقع اللغوي وأحيلك إلى مصدرين :

أولهما : رسالة لأبي جعفر النحاس (٧) . (ت ٣٣٨ هـ) في إعراب قول سيبويه (هذا باب علم ما الكلم من العربية) وقد أوصل النحاس احتمال وجوه الإعراب في قول سيبويه السابق إلى بضعة وأربعين احتمالًا ، أما أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) فقد أوصل (٣) . احتمالات وجوه الإعراب في قول سيبويه السابق إلى خمسة عشر احتمالًا .

وأما الآخر : فهو أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) في (أقسام الأخبار) (٤) . وسترى فيها عجبًا للاحتتمالات الإعرابية في التركيب وهي

(١) انظر : الباب الثاني (التركيب) في كتابنا (اللهجات العربية في التراث) ج ٣ ط : تونس

(٢) مخطوطة ضمن مجموعة في مكتبة شهيد علي باشا بتركيا تحت رقم ٢٧٤٠

(٣) شرح السيرافي سيبويه ١٣٧ نحو مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٤) نشرت في مجلة المورد العراقية المجلد ٧ عدد ٣ / ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

ذهنية عقلية مجردة ليس وراءها معنى .
أما إعرابه لقول سيبويه السابق فقد
أوصله إلى خمسين وجها ، ثم يقول في
آخرها : وقد تبلغ هذه الوجوه ستين
وتزيد على السبعين إذا استقصى التفرع
فيها ... وإيثار الاختصار أولى ...

أما ابن العريف : ففي مسألة واحدة
خرجها بلغت من وجوه الإعراب ألفي ألف
وجه وسبعمائة ألف وجه وأحدا وعشرين
ألف وجه وستمائة وجه في جملة واحد (١)
ولا أريد أن أجعل من استشهادي
هذا منبرا للتشهير بالقدماء لكن الجهود
التي بذلوها - وهم فيها مشكورون -
ستظل خاضعة للنظر ، كما أننا لا نريد
أن نزن مناهجهم بمعايير القرن الذي
نعيش فيه الآن ، وإلا ظلمناهم .

وقد يجلب التعدد والاحتمالات صورا

من صور الغموض الذي ينشأ من
استغلاق المعنى بسبب عدد الجمل
الأساسية والفرعية وطولها ووقوع
مكوناتها في غير موضعها الطبيعي من
التركيب نتيجة للتقديم والتأخير والتعريف
والتنكير الحذف (٢) . والإضافة والفصل
والوصل واضطراب عوة الضمائر وموقع
الكلمات والأدوات وترتيبها ، كما وردت
نماذج في التركيب ذات أنواع وأنماط
عدة ، بعضها أمكن تفسيره أو تأويله على
وجه الوجوه غير المشهورة في عرف
الأقدمين كالتبادل بين الحروف ،
واستعمال حرف مكان آخر ، واستعمال
الفعل اللازم متعديا ، أو جعل المتعدى
إلى واحد متعديا لاثنين ، أو يكون
المتعدى لاثنين متعديا لواحد بنفسه
ولآخر بحرف الجر .

وكما يكون التركيب بين الجمل يكون

(١) الأشباه والنظائر ٣ / ١٣٥ . طه عبد الرؤف سعد - مصر .

(٢) انظر : الحذف في المثل العربي . د . عبد الفتاح الحموز . دار عمان الأردن ط ١ وفي كتب (الأمثال) يكثر : الحذف
في كثرة غامرة فقد تحذف بعض المرفوعات أو المنصوبات أو المجرورات ، وكذلك الجمل ، كما يكثر في (الأمثال)
التقدير والتأويل والحمل على المعنى ، وترجع أهميتها في التركيب إلى أن كثيرا منها جيء به لخروجه عما يقتضيه
الأصل النحوي وقياسه . وهي في ذلك تشبه التراكيب اللغوية في القبائل العربية . إلا أنها وردت في (الأمثال) خالية
من العزو .

كذلك فى المفردات والأدوات ، فالتركيب فى الأدوات النحوية يزيل المعنى الاستقلالى لكل منها ، ويكسبها بعد التركيب حكما (١) . جديدا ، وكما يغنى التركيب عن العطف والتكرار فإنه كذلك يبطل عمل الأداة مثل (إن وأخواتها ورب) إذا تركبت مع (ما) ، وينقل بعض الأدوات من حال إلى حال مثل (إن) فهى ظرف ، ولما تركبت مع (ما) أصبحت حرفا من حروف الجزاء ، و(عليك وإليك) حرفا جر، وبعد التركيب انتقلا إلى حيز (اسم الفعل) و (مكانك ودونك) ظرفان ، وبعد التركيب انتقلا إلى اسم الفعل .

وغموض التركيب كما وقع فى الفصحى المكتوبة - وقع فى اللهجات العربية القديمة منطوقة ومكتوبة ، وتمثل هذا فى ظاهرتى الوقف والابتداء والفواصل والإعراب وما يصاحب التركيب من تنغيم وتلوين صوتى فى أدائه ، وقد وقع فى اللهجات القديمة هذا

الغموض أيضا بسبب الاحتمال فى الدلالة فلا يعرف القارئ أى الدلالات المقصودة ، كما يقع بسبب الصور المجازية وخفاء دلالتها لمخالفتها لما جرى عليه العرب أو العرف اللغوى ، ومن هذا الباب : التعريض بمعنى عدم التصريح المباشر بأمر معين واللجوء ليس فقط إلى لفظ مغاير أو تحسين اللفظ بل إلى الكذب المباح ، ومن ذلك أن الخليفة زياد بن عبد الملك قد مرض ، ودخل عليه القاضى شريح فلما خرج سأله أحدهم : كيف تركت الأمير : قال : تركته يأمر وينهى . فقال : إن شريحا صاحب عويص ، فسأله ، فقال : تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء ، يعنى : أنه يحتضر (٢) كما أن (القوصرة) إناء من قصب يرفع فيه التمر إلى البوادرى ، وهناك رجز يقول : أفلح من كانت له قوصره .: . يأكل منها كل يوم تمره .

أراد بالقوصرة هنا : المرأة ،
وبالأكلى : النكاح (٣) .

(١) انظر : الأدوات : كآين وحبذا ، وكذا ، حيهل ، فى كتب : حروف المعانى .

(٢) المحظورات اللغوية ٧٢ د. كريم جسام الدين . ط١ / الانطو المصرية .

(٣) السابق ٧٨

كما وقع الغموض نتيجة للترادف
والمشترك اللفظي والأضداد وغيرها ،
لأنها تؤدي إلى التعدد والاحتمال في
المعاني (١) .

وظهر الغموض أيضا في التركيب
النحوي بسبب (اللبس) ، وكثيرا ما
تسللت ظاهرة اللبس إلى التركيب ، لأن
العربية تواجه كثيرا من المعاني النحوية
بالقليل من القرائن اللفظية ، وتواجه
العديد من معاني الجمل بثلاثة أنواع من
التراكيب (الخبر والإنشاء والشرط)
وتواجه الكثير من العلاقات النحوية
بالقليل من صور التضام (كالموصوف
وصفته والمضاف والمضاف إليه ، وإذا
كثرت المعاني وقلت وسائل التعبير عنها
أصبح المعنى عرضة للتعدد بالنسبة
للمبنى الواحد ، وإذا لم يكن هناك قرينة
من لفظ أو معنى أو حال تعين أحد
المعاني المحتملة وذلك هو (اللبس) (٢) .

وإذا قال النحوي : فيها إعرابان ،

(١) العربية والغموض ٢٢٩ ، د . حلمي خليل . ط . الأولى .

(٢) مقالات في اللغة والأدب ٣٠٤ فما بعدها ، د . تمام حسان ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م جامعة أم القرى .

(٣) البقرة / ١٨٤

فهو يعنى بقوله (فيها لبس) ومن حق كل
نص أن يكون فيه إعراب واحد ، كما
تصلح الأداة لأكثر من معنى من ذلك أن
تقول : ما أسعدنى هذه الليلة . فهو
صالح للاستفهام والتعجب ولكن العربية
قادرة على مراوغة اللبس ، ولهذا زادت
حرف الجر (من) للفرق بين الحال
والتمييز في نحوقولهم : لله دره من
فارس ، فالموضع التبس فيه التمييز
بالحال فأتوا (بمن) لتخصصه للتمييز ،
فإذا قلت : لله دره فارسا - جاز أن
تعنى في هذه الحال ، فلما كان يقع فيه
لبس مشتبهين فصل بينهما بدخول
(من) .

كما تحذف الفاء مع معطوفها للدلالة
إذ لا لبس كقول الحق : فمن كان منكم
مريضا أو على سفر فعدة من أيام
آخر (٣) . أى : فأقطر فعليه عدة من أيام
آخر ، فحذف (أقطر) والفاء الداخلة عليه
وابن مالك أشار إلى ذلك بقوله :

والفاء قد تحذف مع ما عطفت .: .
والواو إذ لا لبس وهي انفردت (١) .

فالعربية ولهجاتها أمكنت التغلب على
هذا اللبس في التراكيب بالقرائن لفظية

كانت أو معنوية أو حالية . فوضوح
المعنى في التركيب أو أمن اللبس غاية
لا يمكن التفريط فيه ، لأن اللغة الملبسة لا
تصلح واسطة للفهم والإفهام .

للبحث بقية

أحمد علم الدين الجندي
الخبير بالمجمع

(١) انظر أمثلة أخرى في (مواضع اللبس عند النحاه والصرفين ١٨ فما بعدها) د. زين كامل الخويسكي . ط أولي .
اسكندرية .

قبل يكون... وقبل أن يكون

لداستان محمد عبد الغنى حسن

مميزة يكاد يتفرد بها الأمير تميم من دون شعراء مصر في العصر الفاطمي . وإن كان بعضهم حاول أن يشركه فيها . ووجدت لشاعرنا تعابير خاصة لعل فيها من مصر آثاراً عليه بعد أن قدم من المهديّة والمنصورية في تونس سنة ٣٦٢ هـ وهو في الخامسة والعشرين من عمره في صحبة والده المعز لدين الله الفاطمي .

وما أكثر ما كان تميم يمد المقصور ويتصر الممدود في شعره على هيئة تلفت نظر قارى شعره ، وما أكثر ما كان يصل همزة القطع ويقطع همزة الوصل كقوله في مدح والده :

أحصى أياديه ومن بعضها أنا

أم انعت جدواه ومن بعضها قدرى
وما أكثر ما كان شاعرنا يحذف المشبه الموصوف مع ما يبدو في ذلك من غرابة كقوله :

تفتر عن كالحمان منتظم

يصافح اللثم بارداً خصراً

ويريد أن يقول: تفتر عن ثغر كالحمان .
وما أكثر ما كان يلجأ شاعرنا تميم إلى

إلى المقادير يوماً عبء
الحديث عن الشاعر
العربي المصري تميم

أَلْفَت

ابن المعز لدين الله الفاطمي في معرض الحديث جملة عن مصر الشاعرة في العصر الفاطمي . والأمير تميم هذا شاعر له وزنه ، ظلمته الأيام حيناً ، ثم حاولت إنصافه بأخرة من الزمان ، فظهر ديوانه الضخم سنة ١٩٥٧ عن دار الكتب المصرية محققاً بجهود عالين جليلين هما أستاذنا المرحوم أحمد يوسف نجاتي ، وزميلنا في مجمع اللغة العربية المرحوم الأستاذ محمد علي النجار :

وتميم هذا هو الذي يقول عنه ابن الأبار الأديب الشاعر المؤرخ الأندلسي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ وصاحب « الحلة السراء » : (شاعر أهل بيت العبيديين غير منازع ولا مدافع وكان فيهم كابن المعتز في بني العباس : غزارة علم ، ومعاناة أدب ، وحسن تشبيه ، وإبداع تخييل ، وكان يقنق آثاره ويصوغ على مناحيه في شعره أشعاره) .

ولقد كان من حظي أن أقرأ ديوان تميم بن المعز كله من ألفه إلى يائه بيتاً بيتاً ، فمادتني الألفة إلى التعرف إلى ملامح

(*) انظر التعميمات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة ، الأربعين (جلسة الأربعاء ١٩٧٩ م) ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م) .

لغة « أكلوني البراغيث » فيلحق علامة
التثنية والجمع بعامل الفاعل ونائب الفاعل ،
كالذي صنعه عبد الله بن قيس الرقيات
في مراثيته لمصعب بن الزبير حيث يقول :
تولى قتال المارقين بنفسه
وقد أسلماه مبعد وحميم

كما أنشده ابن عقيل رقم ١٤٣ ، والأشموني
رقم ٣٥٦ ، وابن هشام الأنصاري المصري
في أوضح المسالك رقم ٢٠٩ ، وفي شرحه
لغذور الذهب رقم ٨١ . وكالذي صنعه
الشاعر أبو فراس الحمداني في قوله :
نتج الربيع محاسنا
ألقحها غر السحائب

بدلا من قوله : ألقحها غر السحائب .
وإن كان أبو فراس ممن لا يحتج بشعره
على قواعد اللغة ومفرداتها لأنه مولد . وإن
كانت هذه اللغة أعني لغة أكلوني البراغيث
هي لغة جماعة من العرب يلحقون علامات
التثنية والجمع بالفعل المسند إلى المثني
والجمع كما يلحق جميع العرب علامة
التأنيث .

وأظهر ما وجدته من غرائب التعبير
عند شاعرنا تميم بن المعتز هو حذف
(أن) المصدرية عقب الظرف (قبل) .
كقوله من أبيات في شعر الشكوى ، وليس

عجيباً أن يشكو الأمراء وأبناء الخلفاء
من زمان لا تنقطع الشكاة منه لدى غنى أو
فقير :

عدائي عن الشكوى إلى الناس أني
عليل : ومن أشكو إليه عليل
ويمعنى الشكوى إلى الله علمه
بجملة ما ألقاه قبل أقول

ونستطرد هنا إلى إباء الأمير تميم وكبريائه
وعزة نفسه ، فهو يجد أسباب الشكوى
ولكن كبريائه ، لا تسمح له بالإفصاح
حتى إلى خالقه ، فالله عالم بكل ما يلقاه
فلا حاجة به إلى القول ، والناس كلهم
شركاء له في آفة الضعف البشري ، فما
جدوى الشكوى من عليل إلى عليل ؟

ولقد ألفنا وألف الناس فيما يقرءون
ويحفظون ويتحدثون أن يقول القائل
(قبل أن أقول) : لا أن يقول : (قبل
أقول) بحذف أن المصدرية التي يسبك
منها ومن الفعل بعدها مصدر يقع مضافا
إليه للظرف : قبل . ويقدر هكذا : قبل
القول .

ولقد تكرر حذف أن المصدرية
هذه بعد الظرف (قبل) عند شاعرنا
تميم . فنجده مثلا في قصيدة يمدح بها
أخاه الخليفة العزيز بالله الفاطمي يقول :
ولست أرضى من الأمور بما
لا أجد المكرمات ترضاها

واسمع فعندى من كل صالحة
الطائف أسرارها وأخفاها
لأدعى الفضل قبل يشهد لى
به أدانى الدنى وأقصاها

فهو لا يقول كما يقول سائر الناس :
لأدعى الفضل قبل أن يشهد لى، بل يقول :
قبل يشهد لى ، فيحذف أن المصدرية
التي نألف ورودها في كثير جداً من منظوم
الكلام ومنتوره بعد الظرف الزمانى
المكانى : (قبل) .

وإذا تتبعنا « قبل » في القرآن الكريم
وهو أعلى إِمْتِلَافٍ في الصحة اللغوية وعلو
الاستعمال وجدناها إما مضافة أو مقطوعة
عن الإضافة لفظاً لا معنى ، أو مقطوعة
عن الإضافة لفظاً ومعنى .

والمضافة لها أحوال سنتحدث عنها
عما قليل . أما المقطوعة عن الأضافة
لفظاً لا معنى فكقوله تعالى : (لله الأمر
من قبل ومن بعد) آية رقم ٤ سورة
الروم . وقد قرأها السبعة على الضم ، وقدره
ابن يعيش على أن الأصل في الكلام :
من قبل كل شيء ومن بعده . ورأى
ابن هشام الأنصارى أن الأنسب للمقام
أن يقلد : من قبل الغلب ومن بعده ،
تمشياً مع سياق الكلام في قوله تعالى :
« ألم غلبت الروم في أدنى الأرض » ، فحذف
المضاف إليه لفظاً ونوى معناه فاستحق
البناء على الضم :

أما المقطوعة عن الإضافة لفظاً ومعنى
فاستشهدوا لها من القرآن بقراءة :
(لله الأمر من قبل ومن بعد) بالجر والتنوين
لقطع النظر عن المضاف إليه لفظاً ومعنى .
وشاهده من الشعر قول يزيد بن الصعق :

فساغ لى الشراب وكنت قبلاً
أكاد أغص بالماء الحميم
وإن كان « العيني » قد نسبه خطأ لعبد
الله بن يعرب . فالظرف هنا منون منصوب
لأنه قطع عن الإضافة في اللفظ ، ولم ينو
المضاف إليه :

أما « قبل » المضافة في القرآن الكريم
فيدل التبع على ما يأتي : (١) إما مضافة
إلى اسم الإشارة « هذا » كقوله تعالى في سورة
هود : (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً
قبل هذا) . وقوله في السورة نفسها :
(ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من
قبل هذا) . وقوله تعالى في سورة مريم :
(ياليتنى مت قبل هذا) . وقوله في سورة
الواقعة : (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) .
(٢) وإما مضافة إلى اسم ذات كقوله تعالى في
سورة الرعد : (ويستعجلونك بالسبيته قبل
الحسنة) أو مصدر صريح أو مؤنرل ، فالصريح
كقوله تعالى في سورة النساء : (وإن من
أهل الكتاب إلا ليؤسننن به قبل موته) .
وقوله في سورة مريم : (فاصبر على ما
يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها) أى قبل أن تطلع
الشمس وقبل أن تغرب . والمصدر المؤنرل

الغائبين كقوله تعالى في سورة يوسف: (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم). ضمير ياء المتكلم كقوله تعالى في سورة آل عمران: (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات).

ومن تتبعنا للمواضع التسعة والعشرين في القرآن التي جاء فيها المصدر مؤولاً من أن المصدرية والفعل بعد الظرف (قبل) نرى أن القرآن جرى على ذكر أن لاحتدفاها أو إضمارها، كما جاء في شعر تميم بن المعز الفاطمي. فالقرآن جرى على عبارة (قبل أن يكون) لا عبارة: (قبل يكون).

ومعلوم أن (أن) المصدرية كما جاء في شرح شذور الذهب، وفي المغنى لابن هشام، وفي حاشية الصبان، وفي المقرب لابن عصفور تضرع وجوباً في مواطن، كما تضرع جوازاً في مواطن أخرى نص عليها النحاة. فبعد اللام التعليلية، ولام العاقبة التي تسبى أيضاً لام الصيرورة أو لام المآل، واللام الزائدة الواقعة بعد فعل متعدٍ يجوز إظهار أن المصدرية وإضمارها. وقد ورد الإضمار والإظهار في قوله تعالى في سورة الأنعام: (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وقوله في سورة الزمر: (وأمرت لأن أكون أول المسلمين). أما لام الجحود المسبوقة بكون منى فيجب إضمار أن بعدها، كقوله تعالى في آل عمران: (وما كان الله ليطلبكم على الغيب)، وكذلك تضرع أن المصدرية وجوباً

يكون من (أن) المصدرية المذكورة وفعالها الذي يلي (قبل) على أن يكون المصدر المؤول من أن والفعل مضافاً إليه للظرف «قبل». ولقد جاء هذا الاستعمال في القرآن كله على تسعة وعشرين موضعاً. كقوله تعالى في سورة النساء: (من قبل أن نطمس وجوها)، وقوله في سورة الأعراف: (قال فرعون آمنتم به قبل أن أذن لكم)، وقوله في سورة إبراهيم: (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق)، وقوله في سورة المجادلة: (فن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) وتأويل هذه المصادر هو على الولاء: من قبل طمس الوجوه، آمنتم به قبل الأذن لكم، من قبل إتيان يوم، فصيام شهرين متتابعين من قبل التماس (3) وإما أن تكون «قبل» مضافة إلى الضمائر الآتية: ضمير المفرد المخاطب كقوله تعالى: في سورة البقرة (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك). ضمير المخاطبين كقوله تعالى في سورة البقرة: (اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم). ضمير المتكلمين كقوله تعالى في البقرة: (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا). ضمير الغائب المفرد، كقوله في سورة البقرة: (وإن كنتم من قبله لمن الضالين). ضمير الغائبة المفردة، كقوله في سورة الرعد: (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم). ضمير

بعد : كى التعليلية التي بمنزلة اللام ، ولا يجوز التصريح بأن بعدها إلا في الشعر لضرورة ، على حين يجيز الكوفيون إظهارها عموماً في الشعر والنثر . أما حروف العطف الأربعة : أو ، الواو ، الفاء ، و ثم ، فمنها ما لا يجوز معه إظهار أن وهو الحرف : أو . ومنها ما لا يجب معه الإضمار وهو حرف : ثم ، والباقي وهو الفاء والواو يجوز معهما إظهار أن وإضمارها .

وإذا حذف أن المصدرية في غير المواضع المنصوص عليها في كتب النحو بطل عملها فلا تنصب المضارع ، فإذا نصبته كان ذلك شاذاً ولا يقبل منه إلا ما نقله العدول كما جاء في حاشية الصبان على شرح الأشموني . ومن ذلك قراءة بعضهم : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) سورة الأنبياء . بنصب الفعل يدمغ . ومنه قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فقد نصب الفعل : أحضر ، على الرغم من إضمار أن التي لا يُعملها الكثيرون لأن العامل الناصب ضعيف كالحار والحازم ، والعامل الضعيف لا يعمل إلا إذا كان مذكوراً في اللنظ فإذا حذف لم يبق له عمل . ومن ذلك ما جاء في المثل : (خذ اللص قبل يأخذك) بالنصب ، أو قبل يأخذك بالرفع على رأى البصريين

ويبدو أن الإمام الشافعى قد تأثر بلهجة بعض قبائل العرب من حيث حذف أن المصدرية

قبل الفعل المضارع ، وبعد الظرف : (قبل) . فتصادفنا في كتابه الرسالة وهو مشهور موثق أمثال هذه العبارات : عليه يتعلم الصلاة ، بدلا من أن عليه أن يتعلم الصلاة . وقبل تكمل الصلاة . بدلا من قبل أن تكمل ، قبل يحل عليك بدلا من : قبل أن يحل عليك . (انظر صفحات ٤٩ ، ٢٦٥ ، ٥٨٢ من الرسالة بتحقيق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر) .

ويعد استعمال الإمام الشافعى لأمثال هذه اللهجات العربية توثيقاً لها ، ومساندة لصحتها . ومن هنا صح للشيخ أحمد محمد شاكر أن يقول في هذا الصدد : (لغته - يعنى الإمام الشافعى - حجة ، لفصاحته وعلمه بالعربية .. وأصل الربيع من كتاب الرسالة أصل صحيح ثابت غاية في الدقة والصحة . فما وجدناه مما شذ عن القواعد المعروفة أو كان على لغة من لغات العرب لم نحمله على الخطأ ، بل جعلناه شاهداً لما استعمل فيه) .

ومن هنا أيضاً نرى الأستاذ المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة يتحدث في كتابه عن (الإمام الشافعى) قائلاً : (ولقد كان مع استحفاظه لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه لكتاب الله تعالى قد اتجه إلى التفصح في العربية ، ليعبد كل البعد عن العجمة وعدواها

التي أخذت تغزو اللسان العربي بسبب الاختلاط بالأعاجم في المدائن والأمصار . وقد خرج في سبيل هذا إلى البادية ولزم هذيلًا . ويقول الإمام الشافعي نفسه عن نفسه كما جاء في (مناقب الشافعي) للفخر الرازي : (إنني خرجت من مكة فلازمت هذيلًا بالبادية ، أتعلم كلامها ، وأخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، أرحل برحيلهم ، وأنزل بنزولهم ؛ فلما رحلت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار) . وإذا ما احتجنا إلى شاهد آخر غير الشافعي على الشافعي ، فإننا نرى الأصمعي اللغوي الراوية المعروف يقول : (صححت أشعار هذيل على فتي من قريش يقال له محمد بن إدريس) يعني الإمام الشافعي . وقد التقط المرحوم الأستاذ مصطفى منير أدهم - والذم له - الزميل د . إبراهيم الدمرداش - هذه الشهادة فرواها في محاضراته عن (رحلة الإمام الشافعي إلى مصر) التي ألقاها في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٨ بدار الجمعية الجغرافية بشارع قصر العيني ، وطبعها في مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٣٠ وأسعدني بأنه أهداها إلى يومئذ ، كما أسعدني مجله الزميل الدكتور إبراهيم بإهدائي - من أشهر - نسخة أخرى من طبعة جديدة لها ،

ومن الأمثلة على حذف أن المصدرية التي استشهد بها ابن هشام في مغني اللبيب ، والصبان في الحاشية ، وابن عقيل في الشرح ، والإمام أحمد بن عبد النور الماتقي المتوفى سنة

٧٠٢ هـ ، وابن عصفور في المقرب قول بعضهم : (مره يحفرها) أي أن يحفرها ، وقول بعضهم : (لا بد من يتبعها) . وإن كان صاحب المقرب قد عد هذا من نادر الكلام .

فالإمام الشافعي قد أفاد من أمثال هذه اللهجات واستعملها في كتاباته وأدارها على ما كان يحمره بمصر ، وخاصة أنه دخل مصر سنة ١٩٩ هـ . ومات ودفن بها سنة ٢٠٤ هـ . وقد كان رضي الله عنه قد كتب كتابه (الرسالة) لعبد الرحمن بن مهدي قبل أن يجيء إلى مصر ، ولكنه أعاد كتابتها بهذا البلد الطيب من جديد .

ويبدو أن هذه اللهجات التي ارتضاها الإمام الشافعي وأكثر استعمالها في كتبه ورسائله قد لقيت من علماء مصر وأدبائها ومؤرخيها وشعرائها ترحيباً وقبولاً . فنجد الحسن بن زولاق مؤرخ مصر في القرن الرابع الهجري يلجأ في كتابه المشهور : (أخبار سيديويه المصري) - وهو غير سيديويه النحوي - إلى حذف أن المصدرية في المواضع التي لم ينص فيها النحاة واللغويون على حذف . كقوله : (فما قدرنا نقابله) أي أن نقابله . وقوله (فعقد على أبيه لا يعمل الصرف) أي أن لا يعمل الصرف . وقوله : (فقال : اذهب عافاك الله لا أراك ، على تأتي بعدها) يريد : على أن تأتي بعدها . وقوله : (لاشتهيت تصفع نفسك) يريد : لاشتهيت

أن تصفع : . . . وقوله : (احتاج أحفظ) يريد احتاج أن أحفظ . وقوله : (فمنها أنه طلب مني حمراً يركبه فهاربت منه خوف يطوف عليه) يريد خوف أن يطوف عليه . وقوله : (على شريطة تعطيني من ديني خمسمائة دينار) يريد : على شريطة أن تعطيني . وقوله : (ياسيدي : أخاف لا يقبل مني) بدلا من : أخاف أن لا يقبل مني . (انظر صفحات ١٦ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٩ - ٤٨ - ٥٠ - ٥٥ - ٥٦) من كتاب أخبار سيويه المصري . ونجد الكاتب المؤرخ أبا محمد عبد الله البلوي - وهو مصري يرجع بنسبه إلى قبيلة بلي بالحجاز وكان معاصراً للدولة الطولونية . . . نجده في كتابه (سيرة أحمد بن طولون) الذي حققه المرحوم محمد كرد علي . تميل إلى حذف أن المصدرية فيقول : (أريد أنخطب الأمير) بدلا من : أريد أن أنخطب الأمير :

ونجد الشاعر الشامي المشهور ابن حيوس من رجال القرن الخامس الهجري يحذف أن المصدرية بعد الفعل : أراد . كقوله من قصيدة يمدح بها أمير الجيوش :
أراد يرينا الله جاهك عنده
ومن منك أولى بالحببة والزلفي

ويبدو أن العوام في مصر والشام والعراق وجدوا في حذف أن المصدرية استثناساً بمجيزي الحذف في اللغة المكتوبة ، فرى عند شاعر زجال عراقي اسمه ابن جابر

البغدادي من رجال القرن السابع الهجري استعماله لأن المضمرة بعد (لا بد) في قوله نقلا عن الجزء الثاني من فوات الوفيات لابن شاعر الكنتي :

لا بد تظهر بين الناس
قلندري مخلوق الرأس
تلبس عوضاً دا الكنتان
وحلتك من صوف خرفان
رأو دلق أو تصبج عريان

وتدل وثائق البردي - المكتشفة في مصر والتي نشرها العلامة أدولف جروهمان في مصر سنة ١٩٣٤ ، سنة ١٩٥٢ - على أن حذف أن المصدرية قبل المضارع في غير مواطن الحذف المعروفة كان ظاهرة سائدة في الكتابات العربية - على أوراق البردي ، سواء أكانت تلك الكتابات مدونة بالحروف العربية أم بحروف قبطية ، وسواء أكانت مكتوبة بعبارة عامية فيها بعض الفصيح ، أو بعبارة فصيحة مشوبة بالعامية . ومن ذلك ما جاء في وثيقة كتبت في القرن الرابع الهجري وفيها هذه العبارة :
(فكيف تسمح نفوسهم يسلفوا شيء
ويأخذوه وقت الغلة) . بدلا من : (فكيف تسمح نفوسهم أن يسلفوا) .

ويظهر أن هذا الحذف وجد قبولا عند العامة لسهولة ولايجاز الكلام فيه :

وليس عجيباً أن يهتم العامة في مصر بحذف أن المصدرية قبل مضارعها وأن يرتضوها

لهم لغة سهلة في الكتابة وفي الخطاب ، ولكن العجيب أن يهتم الشعراء بهذه اللهجة أو اللغة التي اختارها الإمام الشافعي وآثرها على اللغة العالية في إثبات أن . وقد رأينا الشاعر تميم ابن المعز في القرن الرابع الهجري يرضى عن هذه اللهجة ويكررهما في مواطن من شعره حيث كان له عنها مندوحة . ونجد شاعراً مصرياً آخر من الأشراف الطالبين هو الشريف العقيلي الذي اختلف في وجوده بين القرنين الرابع والخامس قد ارتضى هذه اللهجة كما ارتضاها تميم بن المعز من قبل ، فنجد في ديوانه الذي نشره زميلنا المرحوم الدكتور زكي المحاسني في مصر قوله :

فكن لداعي التقي مجيباً

من قبل تدعى فلا تجيب

بدلاً من قوله : من قبل أن تدعى .

ونجده في موطن آخر يقول في خمريه له :

فاسبق الشمس قبل تبدو بشمس

سرهما في غمامة الكأس جهر

بدلاً من قوله : فاسبق الشمس قبل أن تبدو .

ونجده في موطن ثالث يقول في إحدى خمرياته النيلية :

فاشرب على مذهب أزهاره

من ذهب في فضة يجري

قبل يريك الصبح بلوره

يلمع في فيروزج الفجر

بدلاً من قوله : قبل أن يريك الصبح بلوره .

ولا يقف حذف أن المصدرية في مصر قبل الفعل أو قبل الفعل . وبعد الظرف (قبل) عند شعراء القرن الخامس الهجري : فنجد الظاهرة تمتد عند شاعر مصري يمني من رجال القرن السادس هو ظافر الحداد الأسكندري المتوفى سنة ٥٢٩ هـ كما جاء في أكثر المصادر ، وسنة ٥٦٣ هـ كما ذكر ابن تغري بردي الأتابكي في وفيات سنة ٥٦٣ . فنجد له من قصيدة في حالة النسيان التي كانت تعترى أبا عامر قوله : من قبل يبسم أو تنهل عيناه . . بدلاً من أن يقول : من قبل أن يبسم أو تنهل عيناه .

على أن بعض شعراء الشام قد حلا لهم أن يجاروا بعض شعراء مصر في هذه الظاهرة التي أشاعها الإمام الشافعي باستعمالها في نثره منذ أواخر القرن الثاني الهجري ، فجاء الشعراء بعد ذلك وارتضوا استعمالها في غير ضرورة على توالي العصور . ويصادفنا من هؤلاء الشعراء الشاعر ابن حيوس الدمشقي المتوفى سنة ٤٧٣ هـ والذي نشر ديوانه المغفور له الأستاذ خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٧١ هـ (سنة ١٩٥١ م) . فرى هذا الشاعر يقول من قصيدة في مدح أمير الحيوش :

لازلت تحكم في الأنعام مخولا

ملكاً يزول الدهر قبل يزول

بدلاً من أن يقول : يزول الدهر قبل أن
يزول . وليس معنى اختيار ابن حيوس
لهذه اللغة أنه غصّ نظره عن إثبات (أن)
بعد الظرف (قبل) ، فإنه كان يراوح بين
الاستعمالين ، كقوله من قصيدة عينية يمدح
بها أمير الجيوش :

ريعت له الأملاك قبل رضاعه

وتزعزعت من قبل أن يترعرعا
ولعل زملاءنا الأفاضل هنا من أهل المغرب
الكرام يسرهم أن يعلموا أن هناك شاعرين
يتصحف اسمهما على الناس باسم (ابن حيوس)
الدمشقي من أهل المشرق العربي . أحدهما
مغربي من فاس ، والآخر أندلسي من
أشبيلية . أما الأول فهو : عبد الله بن محمد
ابن حبوس بالباء التحتية الموحدة المخففة ،
وقد نبه إلى التصحيف فيه ابن خلكان .
والناس يصحفونه إلى ابن حيوس بالثناة
المشددة . وهو غلط كما نبه عليه صاحب
الوفيات (انظر وفيات الأعيان ج ٢) .

أما الثاني الأندلسي فقد ورد اسمه في
معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي بعد ترجمته
لابن حيوس الدمشقي . وهو من غرائب
التصحيفات ، وصوابه : ابن حنون
بنونين ، أو لهما مخففة كما جاء في « المغرب »
لابن سعيد المغربي ، وقد تنبه إلى ذلك الدكتور
عبد العزيز الإهواني ، ونبه عليه المرحوم
نخيل مردم بك .

ولقد وجدنا الشعراء في العصور المتأخرة
يتخففون كثيراً من حذف (أن) المصدرية
بعد الظرف (قبل) . ولعلهم وجدوا
في الحذف شيئاً لم يألوه في الاستعمال
الغالب ، فأثروا أن يجروا على اللغة
الشائعة الغالبة . ولكننا نصادف عند
الشاعر المهجري الكبير (إيليا أبو ماضي)
— وهو يمثل تيارات الشعر الحديدية في
المهجر الأمريكي الشمالي — نزوعه بعض
الحين إلى اللغة التي ارتضاها الإمام
الشافعي في حذف (أن) بعد الظرف
(قبل) ، كقوله من قصيدة رائعة في أثر الغربة
في بلاد المهجر الشمالي :

قلت : أينسى النازحون بلادهم

ماهاج حزن القلب غير سؤاها

الأرض سورياً أحب ربوعها

عندى ولبنان أعز جبالها

والناس أكرمهم على عشيرها

روحي الفداء لرهطها ولآها

تشتاق عيني قبل يغمضها الردى

لو أنها اكتحلت ولو برمالها ؟

كما أن الشاعر المهجري الصديق زكي
فمنصل من شعراء المرحلة في المهجر الجنوبي
بالأرجنتين ينفرد من بين الشعراء العرب
في أمريكا اللاتينية بحذف (أن) المصدرية

معنى (كاد)

في الإثبات والنفي

للدكتور أحمد الحوفي



الفعل (كاد)

مشبهاً بتارة

فإذا قال قائل : كاد زيد يبكي ،
فمعناه قارب زيد البكاء ، أي أن مقاربة
البكاء ثابتة ، ولكن البكاء نفسه منتف .

وقد عبّر الفراء والأزهري عن هذا
بأن إثبات كاد نفي ، أي نفي لوقوع
الخبر ، لأنك إذا قلت : كدت أبلغ
إليك ، فمعناه أنك قاربت البلوغ
ولم تبلغ .

٢- أما كاد المنفية تحو قولنا :
لم يكد الثمر ينضج ، فمعناه عند
الجمهور أنه لم يقارب النضج ، أي أن
المقاربة منفية ، والنضج نفسه منتف
انتفاءً أبعد من قولنا : كاد الثمر
ينضج ، وبهذا فسر الأخفش قوله
تعالى : « إذا أخرج يده لم يكد يراها »
بأنه لا يراها .

على حين أن الفراء والأزهري يذهبان إلى
أن نفيها إثبات ، فإذا قلت : ما كدت
أبلغ إليك ، فمعناه أنك قد بلغت (١) .

ومنفياً تارة ، فما معنى كاد في الحالين ؟
أوثر ألا نتعجل الجواب ، بل نستأنس
أولاً بآراء النحاة ، ثم نعتمد على القرآن
الكريم وعلى الشعر القديم في تعرف
الدلالة الحقيقية للفعل كاد في الإثبات
وفي النفي .

أولاً (في النحو) :

١- قال جمهور النحاة إن كاد
وكرب وأوشك وضعت للدلالة على قرب
الخبر ، وإن كان قربه لا يستلزم
وقوعه ، بل قد يستحيل وقوعه كما في
قوله تعالى : « يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسه نار » .

(١) شرح الأشموني ٢/٩١-١٠٣ وشرح ابن يعيش ٧/١٢٤ ولسان العرب مادة "كيد" .

ثانيا (كاد في الاثبات) :

(١) في القرآن الكريم

١- قال تعالى : « ولما رجع موسى إلى قومه غضبانَ أسفاً قال : بئس ما خلقتُموني منْ بَعْدِي ، أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ؟ وَأَلْقَى الْأَوْاحِ ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، قَالَ : ابْنَ لِمَ إِنْ الْقَوْمِ اسْتَضَعَفُونِي . وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ، فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءُ ، وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(١) » .
[فما معنى كاد هنا ؟]

المعنى أنني لم آل جهداً في معارضتهم ووعظهم وإنذارهم ، لكنهم غلبوني على أمري ، ولم يبق إلا أن يقتلوني ، وقد قاربوا ذلك .

٢- وقال سبحانه : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريقي منهم ، ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ^(٢) » .

فقد كان المسلمون في غزوة تبوك في ضيق شديد ، لأن رواحلهم قليلة ،

وأزوادهم ضئيلة ، وكان ماؤهم نزرًا ، حتى إنهم نحروا الإبل واعتصروا فروشها ، وكان الحر شديداً ، ولهذا كادت قلوب بعضهم تنصرف عن ثباتها على الإيمان ، أو تنصرف عن اتباع رسول الله في الخروج معه في تلك الغزوة .

ومعنى هذا أن قلوب هذا الفريق لم تنزع ، بل قاربت أن تزيغ .

٣- وقال تعالى : « وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتريَ علينا غيره ، وإذا لا تتخذوك خليلاً . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلاً ^(٣) » .

وذلك أن ثقيفاً أو قريشاً عرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلموا لكنهم اشترطوا شروطاً ، ولولا أن الله تعالى ثبت النبي وعصمه لقارب أن يميل إلى الرضا بشروطهم ، لشدة رغبته في إسلامهم .

٤- وقال سبحانه : « وقالوا اتخذوا الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئا إداً ، تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتانشق ^(٤) » .

(٢) سورة التوبة ١١٧

(١) سورة الأعراف ١٥٠

(٣) سورة الإسراء ٧٣-٧٤

الأرضُ ، وتَخْرُجُ الجبالُ هُدًى ، أنْ دَعَوْا
للرحمن ولدا « (١) .

أى أن نسبتهم ولدا إلى الله تعالى كلمة
شنيعة فظيعة ينكرها العقل السليم ،
وتبرأ منها الجمادات ، وتوشك أن
تنفطر وتنشق وتخر من هول هذه
القرية وبطلانها .

٥- وقال تعالى : « الله نورُ السماوات
والأرض ، مثلُ نوره كمشكاةٍ فيها
مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجَةُ
كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ من شجرةٍ
مباركةٍ زيتونَةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ
يكاد زيتها يضيءُ ، ولو لم تمسسه نار ،
نورٌ على نور ، يَهْدِي اللهُ لنوره من يشاءُ ،
ويَضْرِبُ اللهُ الأمثالَ للناس ، والله بكلِّ
شئٍ عليمٌ » (٢) .

أى أن الزيت بسبب صفائه وبريقه
ولعانه يقارب أن يضيء من غير نار .

٦- وقال سبحانه : « ألم تر أن
الله يُزجى سحابا ، ثم يُؤلّفُ بينه ،
ثم يجعله ركاماً ، فترى الودقَ يخرجُ
من خلّاله ، ويُنزّلُ من السماء من جبالٍ

فيها من بردٍ ، فيصيب به من يشاءُ ،
ويصرفه عن من يشاءُ ، يكاد سنا
برقه يذهبُ بالأبصار » (٣) .

ومعنى هذا أن ضوء البرق يقرب من
أن يخطف الأبصار ، ولا يخطفها .

٧- وقال تعالى : « وإذا رأوك إن
يتخذونك إلا هزواً . أهذا الذي بعث
الله رسولا ؟ إن كاد ليضلننا عن آلهتنا
لولا أن صبرنا عليها ، وسوف يعلمون
حين يرون العذابَ من أضلُّ سبيلاً » (٤) .

ويتبين من الآية أن النبي عليه الصلاة
والسلام بذل أقصى جهده في دعوتهم إلى
الإسلام ، مع عرض المعجزات عليهم
حتى شارفوا أن يتركوا دينهم ويسلموا ،
لولا فرط لجاجهم واستمسكهم بعبادة
آلهتهم .

٨- وقال سبحانه : « وأصبح فؤادُ
أم موسى فارغاً ، إن كادت لتبدي به ،
لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من
المؤمنين » (٥) .

(٣) سورة النور ٤٣

(٢) سورة النور ٣٥

(٥) سورة القصص ١٠

(١) سورة مريم ٨٨-٩١

(٤) سورة الفرقان ٤١-٤٢

أى أن أم موسى لما سمعت بوقوع موسى في يد فرعون طار صوابها من شدة الجزع حتى قاربت أن تجهر بآن موسى ابنها ، لولا أن الله تعالى ألهمها الصبر لتكتم الخبر ، ولتكون من المصدقين بوعد الله لها في قوله « إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

أو أنها حينما سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه كادت من شدة فرحها تبوح بآنه ابنها ، لولا أن الله ثبتها وألهمها الصبر .

(٢) في الشعر :

١ - قال أبو صخر الهذلي :

تكاد يدي تَنَدَى إذا ما لمستها
وينبت في أطرافها الورق النَّضْرُ (١)
فهو يصور مساعده إذا لمستها يده
بهذه الصورة ، وهي أن يده تقرب من الإبراق الجميل .

٢ - وقال قيس بن ذريح :

وَعَذْبَهُ الْهُوى حتى براه
كَبْرِي الْقَيْنِ بالسَّفْنِ القِداحا
وكاد يذيقه جُرْعَ المنايا
ولو سَقَّاه ذلك لا ستراحا (٢)

أى أن الحب هزله وقارب أن يسقيه أجرع الموت ، وهو لم يسقه إياها ، لأنه لو شربها لاستراح ، وما قال ولو سقاه ذلك لاستراح .

٣ - وقال رجل من بني جعدة :

إذا دعا باسمها داعٍ لِيَحْزُنُنِي
كادت له شُعْبَةٌ من مهجتي تَقَعُ (٣)

أى أوشكت وقربت أن تقع .

٤ - وقال رجل من قيس :

وفيهن من بَخَّتِ النساءِ رِبْحَلَةً
تكاد على غرِّ النساءِ تَرُوقُ (٤)

فهى في نظره لم تفق النساء الحسنان ، بل قاربت أن تفوقهن ، وهو بهذا التعبير صادق ، لأنه يعلم أنها لم تفق النسوة الحسنان جميعا .

ثالثا (كاد في النفي) :

(١) في القرآن الكريم

١ - قال تعالى : « قالوا الآن جئناك

بالحق . فذبوها ، وما كادوا يفعلون » (٥) :

أى أن قوم موسى تباطأوا في ذبح

البقرة ، وتلكأوا ، وأطالوا في أسئلتهم

(١) الأماك ١/١٤٩

(٢) الأماك ١/١٦٢ القين : الحداد . السفن جلد أو حجر ينحت به الشيء ويسحج القلح .

(٣) الأماك ٢/٢٧٣ . (٤) الأماك ١/١١٨ بخت وربحلة : المراد ضخمة بمتلثة . (٥) سورة البقرة ٧١

عن صفاتها ، وهم يقصدون التهرب من ذبيحتها ، حتى إن حالتهم كانت تدل على أنهم لم يقاربوا الاستجابة والطاعة ، ثم بعد هذا كله اضطروا إلى ذبيحتها .
ففي الآية الكريمة معنيان ، لكل منهما حاله وزمانه .

وأغلب الظن أن الذين ذهبوا إلى أن نفي كاد إثبات فهموا أن قوله تعالى « فذبحوها وما كادوا يفعلون » تصوير لحالة واحدة في زمان واحد ، أي أنهم ذبحوا البقرة فعلا ولكن بعسر ومشقة .

والحق أن الإثبات لم يفهم من قوله تعالى « وما كادوا يفعلون » بل فهم من قوله سبحانه « فذبحوها » فالنفي الداخِل على الفعل كاد ما زال نفيا ، ويحسن أن استأنس هنا بما قاله الطبري والزمخشري .

أما الطبري فإنه قال : وما كادوا يفعلون ، أي أنهم كادوا لا يفعلون ، لأنهم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة ، لغلاء ثمنها ،

ولخوف الفضيحة على أنفسهم حينما يظهر قاتل القتيل الذي اختصموا فيه^(١)

وأما الزمخشري فقال : وما كادوا يفعلون ، استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم ، وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها ، وما كادت تنتهي أسئلتهم ، وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم^(٢) .
٢ - وقال تعالى : « قل كل من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا^(٣) » .

وذلك أنهم زعموا أن ما أصابهم من خير ونعمة منسوب إلى الله ، وما أصابهم من قحط وشر منسوب إلى رسول الله ، وهم مبطلون في زعمهم ، لأن الله تعالى هو الفعال ، وهو الذي يبسط الأرزاق ويقبضها ، فما بالهم لا يقاربون أن يفهموا فيعلموا هذه الحقيقة ؟ وليس المراد أنهم فهموها بعسر .

٣ - وقال سبحانه : « واستفتحوا ونجاب كلُّ جبارة عني ، من وراءه

(١) تفسير الطبري ١/ ٢٨١

(٢) سورة النساء ٧٨

(٣) تفسير الزمخشري ١/ ٧٥

جهنم ، وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ، يَتَجَرَّعُهُ
وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ
كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ، وَمِنْ وَرَائِهِ
عَذَابٌ غَلِيظٌ^(١) .

أَيُّ أَنَّهُ يَتَجَرَّعُ الصَّدِيدَ وَلَا يَقَارِبُ
أَنْ يَسِيغَهُ ، فَكَيْفَ تَكُونُ إِسَاغَتُهُ إِذَنْ ؟
وَيَفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الْإِسَاغَةَ لَمْ تَقَعْ
مَهْمَا يَكُنْ عَسْرَهَا .

٤ - وَقَالَ تَعَالَى : « حَتَّى إِذَا بَلَغَ
السَّادِّينَ وَجَدَ مَنْ دُونَهُمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ قَوْلًا^(٢) » .

أَيُّ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ لَمَّا بَلَغَ مَا بَيْنَ
السَّادِّينَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَقَارِبُونَ
أَنْ يَفْهَمُوا الْكَلَامَ ، وَلِهَذَا يَتِمُّ التَّفَاهُمُ
مَعَهُمْ بِالْإِشَارَةِ وَنَحْوِهَا ، فَهَمُ مِثْلُ
الْبِكْمِ ، لِأَنَّ لُغَتَهُمْ غَرِيبَةٌ عَلَى ذِي
الْقَرْنَيْنِ ، وَلِأَنَّ لُغَتَهُ مَجْهُولَةٌ لَهُمْ .

٥ - وَقَالَ سَبْحَانَهُ : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيْعَةٍ ، يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ
مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ،
وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ

سَرِيْعُ الْحِسَابِ ، أَوْ كظلمات في بحر
لجج يغشاه موج من فوقه موج من
فوقه سحب . ظلمات بعضها فوق
بعض ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا ،
وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ^(٣) .

فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَصَفَ لظلمات
متراكمة ، إِذَا أَحَاطَتْ بِإِنْسَانٍ وَأَخْرَجَ
فِيهَا يَدَهُ لَمْ يَقَارِبْ أَنْ يَرَاهَا .

وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَتَنَاسَبُ وَالظُّلْمَاتِ
الْمُوصُوفَةِ ، وَهُوَ أَبْعَدُ فِي نَفْسِ الرَّوِّيةِ ،
لِأَنَّ الَّذِي لَا يَرَى قَدْ يَقَارِبُ أَنْ يَرَى ،
أَوْ يَرَى رَوِّيةً ضَعِيفَةً ، وَلَكِنْ الَّذِي
لَا يَقَارِبُ أَنْ يَرَى لَا يَرَى شَيْئًا مَا ،
وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَيَعَزِّزُهُ
تَشْبِيهُهُ أَعْمَالَ الْكُفَّارِ بِالسَّرَابِ ، فَإِنَّ
السَّرَابَ لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، ثُمَّ شَبِّهَتْ أَعْمَالَهُمْ
بِالظُّلْمَاتِ الْمُتْرَاكِمَةِ الَّتِي لَا تَهْدِي إِلَى
شَيْءٍ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَى فِيهَا شَيْءٌ .

٦ - وَقَالَ سَبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ فِرْعَوْنَ :
« أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ،
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ^(٤) » .

(٢) سورة الكهف ٩٣

(٤) سورة الزخرف ٥٢

(١) سورة إبراهيم ١٥-١٧

(٣) سورة النور ٣٩-٤٠

فقد زعم فرعون لقومه أنه خير من
موسى عليه السلام ، ووصفه بالضعف
والحقارة وبالعجز عن الإبانة .

(٢) في الشعر :

١ - قال ذو الرمة :

إذا غيّر النأى المحبين لم يكذ
رئيس الهوى من حب مية يبرح^(١)

يريد أنه إذا أضعف الفراق الحب
في قلوب المحبين فإن حبي لم يقارب
الضعف والتغير .

[وهذا أدل على ثبات حبه من أن يقول
لم يبرح حبها قلبي ، فقد يكون حبها
باقيا في قلبه وهو ضعيف أو قريب
من الزوال ، ولا يطاوعنا الأسلوب إذا
أردنا أن نفهم البيت على أن النفي
[إثبات ، لأن المعنى يصير حينئذ إذا
تغير المحبون جميعا تغيرت ، وهذا غير
ما قصده الشاعر .

٢ - وقال قيس بن ذريح أو قيس
المجنون :

وما كاد قلبي بعد أيام جاوزت
إلى بأجراع الثدى يريع^(٢)

أى أن عقله بعد رحيل محبوبته
لم يقارب العودة إليه ، وليس المراد
أنه عاد ، لأن عودته مهما تكن عسيرة
لا تتفق والصورة الغزلية التي يقصدها .

٣ - وقرأ أبو علي القالى على أبي بكر
بن دريد :

وقد لان أيام اللوى ثم لم يكذ
من العيش شئ بعدهن يلين^(٣)

فهو يصف الحياة في أيام اللوى
باللين ، ويصفها بعد أيام اللوى بالقسوة
والجفاف وبأنها لم تقارب اللين ،
ولا يريد أنها لانت مهما يكن لينها
ضعيفا ، وهذا هو الذى يلائم ضيقه
بالحياة بعد أيام اللوى .

٤ - وقال المرار بن منقذ :

وإذا تمشى إلى جاراتها
لم تكذ تبلى حتى تنبه^(٤)

(٢) الأماك ١ / ١٣٦

(١) ريس الهوى : ثابتة .

(٢) الأماك ١ / ١٦١

(٤) المفضليات ١ / ٨٩

أى أنها ذات جسد ممتلئ ، وذات
نعيم ، فإذا مشيت من دارها إلى دارجارتها
تلاحق نفسها سريعا ، وأدركها الإعياء
قبل أن تصل .

رابعا (النتائج) :

تبين من الآيات القرآنية الكريمة
ومن النصوص الشعرية ما يأتى :

١- (كاد) فعل يدل فى حالة
الإثبات على مقاربة الخبر ، ولا يدل
على وقوعه فى أية صورة من الصور .

٢- أما (كاد) الفعل المنفى فإنه ينبنى
مقاربة الخبر ، ولهذا كان الخبر المنفى
بعده أبعد من المنفى بدونه ، فقولنا :
لا أكاد أصدق هذا الخبر أوغل فى نفي
التصديق من قولنا : أكاد أصدق هذا الخبر .

وهذا يخالف ما ذهب إليه الفراء
والأزهري فى قولهما إنك إذا قلت :
ما كدت أبلغ إليك ، فمعناه أنك قد
بلغت ، ويؤكد ما ذهب إليه الأنخفش
وغيره فى فهم ما بعد نفي كاد على أنه
أوغل فى نفي الخبر منه بغيرها .

٣- أما دخول النفي على خبر كاد
نحو قضيت أياما فى بلد كاد فيه المطر
لا ينقطع ، فإننى لم أجده فى نص موثوق
به ، ولكن النحاة أجازوه ، والقياس
لا يمنع ، والمعنى حينئذ أن المطر قارب
ألا ينقطع ، فالنفي منصب على الانقطاع
لا على مقاربة الانقطاع .

وقد روى بيت زهير بن أبى سلمى :
صحا القلب عن سلمى وقد كان لايسلو
وأقفر من سلمى التعانيق فالتفل
بوضع كاد بدلا من كان .

وجاء فى تفسير الطبرى قوله :
عن ابن عباس فذبحوها وما كادوا
يفعلون ، يقول كادوا لا يفعلون^(١) .

والفرق بين قولنا : ما كاد المطر
ينقطع وقولنا : كاد المطر لا ينقطع ،
أن النفي فى الجملة الأولى منصب على
مقاربة الانقطاع ، أما النفي فى الجملة
الثانية فهو منصب على الانقطاع نفسه ،
ولهذا كان النفي فى الأولى أوغل من
النفي فى الثانية .

ومعنى هذا أن الخبر المنفى بنفى يسبق
كاد أبعد من الخبر المنفى بنفى .يجى بعدها .

أحمد الحوفى
عضو المجمع

(١) تفسير الطبرى ١ / ٢٨١

في إعراب ومشكلاته

للكبير أحمد علم الدين الجبزي

(١)

مقدمة :

الأمير ، فليبغني كاتباً لقنناً يفعل ما أقول
فأتى بكاتب من عبد القيس ، فلم يرضه
فأتى بآخر فقال له أبو الأسود : إذا رأيتني
قد فتحت في بالحرف ، فانقط نقطة
فوقه على أعلاه ، فإن ضمنت في فانقط
نقطة بين يدي الحرف ، وإن كسرت
فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبت
شيئاً من ذلك غنة ، فاجعل مكان النقطة
نقطتين (١) « كما ذكر السيوطي : أنه أول من
نقط المصحف (٢) ، وكان عند ابن سيرين مصحفاً
نقطه يحيى بن يعمر (٣) ، وكان أول من
نقط المصحف ، كما ذكر الداني أن المبتدئ
بالنقط هو نصر بن عاصم (٤) اللبثي ،
ويظهر أن العلماء الثلاثة ساهموا في إعراب
المصحف ، إلا أنني أرجح أن أبا الأسود
كان أولهم ، للروايات التي تسوقها كتب

مما لا يتطرق إليه الشك أن أبا الأسود
الدؤلي كان أول من وضع اللبنة الأولى
في العربية وهي شكله للقرآن الكريم عن طريق
النقط ، فكأنه أول من أعرب القرآن
بالنقط ، والدليل على ذلك روايات عدة
في كتب الطبقات : منها ما جاء عن
السيرافي من أن زياداً أرسل إلى أبي الأسود
وقال له : اعمل شيئاً تكون فيه إماماً
ينتفع الناس به وتعرب به كتاب الله ،
فاستعفاه من ذلك ، حتى سمع أبو الأسود
قارئاً يقرأ : « إن الله برئ من المشركين
ورسوله » بكسر اللام في رسوله
فقال : ما ظننت أن أمر الناس صار إلى
هذا فرجع إلى زياد فقال : أنا أفعل ما أمر به

(١) أخبار النحويين البصريين : ١٢ ، مراتب النحويين : ١٠ أبو الطيب اللغوي : كتابه النقط والشكل
لأبي عمرو الداني : ١٢٤ - ١٢٥ دمشق .
(٢) المزهر : ٢ - ٣٩٨ .
(٣) المقنع للداني : ١٢٥ دمشق .
(٤) كتاب النقط والشكل للداني : ١٢٥ دمشق .

الطبقات^(١)، ولما عثر عليه من مصحف مخطوط في مسجد عمرو بن العاص في مدينة القسطنطينية، وهذا المصحف يعد أقدم مصحف في العالم، وأنه جمع الشكل الذي وضعه أبو الأسود، وقد رسم بمداد أحمر وبنفس الطريقة التي نسبتها الرواة إلى أبي الأسود، كما أن هذا المصحف جمع عملاً آخر لنصر بن عاصم وهو نقط الإعجام وقد رسم في المصحف بمداد أسود^(٢). فهذا يدل على أن عمل أبي الأسود كان إعراب القرآن بوسيلة النقط، وأن عمل عاصم كان نقط إعجام للحروف، للترقية بين ما تشابه منها في اللحن. ولا أريد أن أفيض فيما إذا كان هذا النقط قد ابتكره أبو الأسود أم أنه استمده من نحاة السريانيين، فلهذا مقام آخر، وإنما الذي أريد أن أنتهي إليه هو أن تلك الخطوة الحريثة من أبي الأسود تلاها وصحبها ملاحظات، وتجمع للأشباه والنظائر من المرفسوعات والمنصوبات والمجرورات، ولا شك أن العلاقة وثيقة بين نقط النص القرآني - والذي يشير إلى الإعراب في عمل أبي الأسود -

وبين النحو الذي بأيدينا الآن ذلك الذي يحث على الإعراب في كل صفحة من صفحاته؛ إذ أنهم خافوا على القرآن الكريم من أن يمتد إليه اللحن، وهو فيه أشد خطراً، وأبشع جرماً، ولهذا فزع أبو الأسود عندما سمع من يقرأ «إن الله بريء من المشركين ورسوله»^(٣) بكسر اللام في رسوله، وفي رواية أن الأعرابي قال: إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرؤ منه^(٤)، وماروى عن يونس أنه قال: قال الحجاج لابن يعمر: أتسمعي ألحن على المنبر؟ قال: الأمير أفصح من ذلك فألح عليه فقال: حرفاً، قال: أيا؟ قال: في القرآن. قال الحجاج: ذلك أشنع له، فما هو؟ قال: تقول: «قل إن كان أبأؤكم وأبناؤكم»^(٥) إلى قوله عز وجل «أحب» فتقروها «أحب» بالرفع، والوجه أن تقرأ بالنصب على خبر كان، قال: «لا جرم: لا تسمع لي لحناً أبداً، فألحقه بخراسان»^(٦) وهذا يدل على أن اللحن عار، بدلي - بل أن الحجاج نفي يحيى بن يعمر إلى خراسان، لأنه أنف أن يطلع له رجل على لحن.

(١) طبقات النحويين واللغويين: أبو الأسود الدؤلي، المقنع ١٢٥ الداني.

(٢) اللغة والنحو: ٢٣٦ حسن عون.

(٣) سورة التوبة آية ٣.

(٤) نزها الألباء ٧.

(٥) سورة التوبة آية: ٢٤.

(٦) طبقات النحويين واللغويين: ٢٢ للزبيدي، وأخبار النحويين البصريين: ١٨ للسيرافي، نزها الألباء ١٠٠.

وجدنا أن الخطأ في الإعراب من أقبح
 الهجنة، فعبد الملك بن مروان كان يستسقط من
 يلحن، قال العيني: «استأذن رجل من عليّة
 أهل الشام عليه، وبين يديه قوم يلعبون
 بالشطرنج، فقال: يا غلام، غطها،
 فلما دخل الرجل فتكلم لحن، فقال
 عبد الملك: يا غلام، اكشف عنها
 الغطاء، ليس للاحن حرمة»^(٧) ومما ساقه ابن
 عبد ربه أن عمر بن عبد العزيز كان يجالساً
 عند الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد
 لحانا فقال: يا غلام، ادع لي صالح، فقال
 الغلام: يا صالحا. قال له الوليد: انقص
 ألفا فقال عمر: وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا^(٨)!
 واحتج على عبد الملك بلحن الوليد هذا، فقد
 ذكر ابن عساكر أن عبد الملك قال لرجل
 من قريش: «إنك لرجل لولا أنك تلحن»
 فقال: «وهذا ابنك الوليد يلحن» قال عبد
 الملك: لكن ابني سليمان لا يلحن «قال الرجل
 وأخى فلان لا يلحن»^(٩) وقرأ يوما علي

ومن أجل هذا قال النبي (ص)
 «أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن»^(*)
 كما روى أن رجلا لحن بحضرة النبي (ص)
 فقال: أرشدوا أحاكم فإنه قد ضل»^(١)
 كما روى السيوطي أن النبي (ص) قال:
 أنا من قريش، ونشأت في بني
 سعد، فأني لى اللحن^(٢) «فإذا وصلنا إلى
 عهد أبي بكر نسمعه يقول «لأن أقرأ
 فأسقط أحب إلى من أن أقرأ فألحن»^(٣)
 «فإذا جاء عهد عمر رأيناه يقول لقوم
 استقبح رميمهم «مأسوا رميمكم فيقولون:
 نحن قوم متعلمين، فيقول عمر: لحنكم أشد
 على من فساد رميمكم»^(٤) كما روى أن كاتباً
 كتب إلى عمر «من أبو موسى الأشعري»
 فكتب عمر إلى أبي موسى: «أن قنّع
 كاتبك سوطا»^(٥)، وروى عن ابن المغيرة
 عن أبي عبيدة قال: مرّ أبو عمرو بن العلاء
 فإذا أعدالاً مطروحة مكتوب عليها
 «لأبوفلان، فقال أبو عمرو: يارب: يلحنون
 ويرزقون»^(٦). فإذا جئنا إلى عصر بني أمية

- (*) الأضداد ٢١٣ لابن الأنباري .
 (١) الخصائص : ٢-٨ ، إرشاد الأريب : ١-٨ .
 (٢) المزهر : ٢-٣٩٧ .
 (٣) المرجع السابق .
 (٤) الأضداد : ٢١٣ لابن الأنباري .
 (٥) الخصائص : ٢-٨ ، المزهر : ٢-٣٩٧ .
 (٦) إنباه الرواة : ٢-٣١٩ للقفطي .
 (٧) تاريخ آداب العرب : ١-٢٤٥ .
 (٨) العقد الفريد : ٢-٢٩٩ .
 (٩) في أصول النحو للأفغانى : ١٢ هامش .

وهو ربيعة بن أبي عبد الرحمن (المتوفى ١٣٦) إذ كان يخاطب في الإعراب (٣)، ولم يكن اللحن مقصوراً على هؤلاء جميعاً ولكنه شمل ميداناً آخر - ميدان القراء - حيث اتهمهم النحاة باللحن في القرآن ، فالنحاة يخطئون ابن عامر مقرئ الشام ونافع مقرئ المدينة ، وحمزة مقرئ الكوفة ، والقعقاع ، وابن مسعود ، والحسن البصرى ومعاذ الهراء .

حركة تنقية اللغة :

ومن هذا العرض الوجيز نرى أن اللحن قد شمل البيئات والأفراد على اختلاف مشاربها ومنازلها ، فشمل الأمراء ، والفقهاء والشعراء ، وأخيراً القراء ، والحق أن اللحن له صور عدة ، اخترت منها الأمثلة السابقة وهي كلها تتعلق (بالإعراب) إذ أن اللحن في الإعراب كان أول ما ظهر عند العرب ، بعكس لحن الموالي الذي اتجه أولاً إلى تحريف الأصوات العربية ، ويؤيد ذلك قول أبي الطيب « واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى التعلم الإعراب (٤) » كما يظهر أن هذا اللحن في الإعراب قابلته حركة قوية ، ولا سيما بعد أن انتشر في جميع الأوساط في المنازل

المنبر « ياليتها كانت القاضية » وضم التاء ، فقال عمر بن عبد العزيز (وكان تحت المنبر) ياليتها كانت عليك وأراحتنا منك (١) ! » فإذا ما جاء عصر الدولة العباسية ، نرى اللحن يزحف وينشر وتتعدد صورته وأشكاله ، بل إنه هدد الفصحى ، ونظرة واحدة إلى العقد الفريد والبيان والتبيين ، والمعجم في بقية الأشياء للعسكري ، وكتب الطبقات تريك حشداً من اللحن. ولم يكن اللحن مقصوراً على طبقة معينة ، ولكنه شمل العلماء ورجال الدين ، فأبو حنيفة - كان في الفتيا ولطف النظر واحد زمانه ، وسأله رجل يوماً فقال له : ماتقول في رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل ، فقتله أتقيده به ؟ قال : لا ، ولو ضربه بأبا قبيس (٢) ، والحق أن هذه القولة من أبي حنيفة يمكن أن نجعل لها تخریجاً في العربية ، وأنها جاءت على لهجة من يلزم الأسماء الخمسة الألف في جميع أحوالها ، كما نجد لحناً للإمام الكبير مالك بن أنس (٩٠ - ١٧٩ هـ) من يقول : أى مطراً ، بدلاً من : أى مطر . حتى إن الأصمعي ليدهش من صدور مثل هذا عنه ، وهو حجة ثقة ، نجد جرف اللحن أيضاً فقيها من رجال المدينة

(١) المرجع السابق .

(٢) العقد الفريد : ٢ - ٣٠١ ، البيان والتبيين : ٢ - ٢١٢ .

(٣) العربية : ٦٩ يوهان فك .

(٤) مراتب النحويين : • أبو الطيب .

والمدارس والمساجد وبين الخاصة أنفسهم تلك الحركة هي حركة تحصيل اللغة وتنقيتها التي تمثلت أول أمرها في نقط القرآن أو إعرابه ، ثم إعجابه ، فالنحو الذي وضعه أبو الأسود ليس هو النحو الذي نراه ونلمسه الآن ، مملوءا بالمهارات والمشاحنات ، والجدل ، والمنطق والعمل ولكنه نحو أيسر مما نراه لا يجاوز الحفاظ على قراءة القرآن ، حتى لا تنحرف فيه الألسنة ، ثم أعقبته أعمال بعد ذلك كملت خطاه .

سلطان النحاة ونفوذهم :

وكانت وظيفة النحو أن يطاردا للحن ويشن عليه غاراته ، ولكن هذا النحو أخذ يمد سلطانه حتى تصدى لعلماء العربية ، وشعراء الجاهلية ، وأخيرا امتدت يده إلى القراء ، المشهود لهم بالثقة ، والذين تلقوا قراءتهم عن صاحب الرسالة (ص) وكان أكثر هجومهم وتخطئهم في ميدان الإعراب ، حتى اشتد الجدل بينهم أنفسهم فيه ، فمن ذلك أن ابن أبي إسحق كان يقرأ

« ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » بالنصب ، وكان يقرأ « الزانية والأزاني »^(١) « والسارق والسارقة »^(٢) بالنصب وهو خلاف ماقرأ به القراء^(٣) . إذ قرعوا بالرفع كما كان يقرأ عيسى بن عمر « هؤلاء بناتي هن أطهر لكم »^(٤) بنصب أطهر ، وأبو عمرو^(٥) ينكرها عليه ، وكان عيسى وأبو عمرو يقرآن « يا جبال أوبي معه والطير »^(٦) بالنصب ويختلفان في التأويل وكان عيسى يقول : هو على النداء كما تقول : يا زيد والحارث لما لم يمكنه ويا الحارث ، وقال أبو عمرو : لو كان على النداء لكان رفعا ، ولكنها على إضمار وسخرنا^(٧) الطير ، كما تناول النحوى عيسى بن عمر الثقفي (١٤٩هـ) فخطأ النابغة في قوله .

فبت كأني ساورتني ضئيلة

من الرقش في أنيابها السم ناقع^(٨)

اوذكر أنه يجب أن يكون في غير الضرورة : ناقعا . كما خطأ عنيسة بن معدان المهري (١٠٠ هـ) الفرزدق أيضا^(٩) . وهذا أحد النحاة عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي النحوى

(١) سورة النور آية : ٢٤

(٢) سورة المائدة آية : ٥

(٣) طبقات النحويين واللغويين : ٢٧ للزبيدي .

(٤) سورة هود آية : ٧٨

(٥) طبقات النحويين : ٣٦ للزبيدي .

(٦) سورة سبأ آية : ١٠

(٧) طبقات اللغويين : ٣٦ للزبيدي .

(٨) طبقات الزبيدي : ٣٥ ، كتاب سيويه : ١ - ٢٦١ ط بولاق .

(٩) أخبار النحويين البصريين : ١٨ - ١٩ ، الموشح : ١٠٤ للمرزباني .

(١١٧ هـ) وكان كعبسى بن عمر يطعن على العرب (١) فى لغتهم ، إذ كان يقدم القياس ويأخذ بالعلل ، كما يقف من العرب موقف العداوة والبغضاء - ويعيب على الفرزدق فى مديحه ليزيد بن عبد الملك :

مستقبلين شمال الشام - تضربنا

بمحاصب كنديف القطن منثور

على عمائنا يأتى وأرجلنا

على زواحف تزجى مخها رير (٢)

وبلغ الفرزدق أن الناس يهيمسون بأنه قد أقوى ، ولم يبلغه أن الذى اتهمه بالإقواء هو ابن أبى إسحق ، فقال الفرزدق : ما بال هذا الذى يجر خصييه « يعنى ابن أبى إسحق » لا يجعل له بحيلته وجهاً ؟ فلما علم أن ابن أبى إسحق صاحب الطعن عليه قال : والله لأهجونه ببيت يكون شاهداً على ألسنة النحاة فهجاه بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته

ولكن عبد الله مولى مواليا (٣)

ويظهر أن جمود النحاة وتعننتهم هذا قد أوجد فى أول الأمر ثورة عليهم من العرب

وشعرأهم . يظهر هذا حين أنشد الفرزدق قصيدته التى يقول فيها :

إليك أمير المؤمنين رمت بنا

هموم المنى والهوجل المتعسف

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع

من المال إلا مسحتاً أو مجلف (٤)

فقال له ابن أبى إسحق : على أى شىء رفعت مجلفاً؟ فأجابه الفرزدق فى سخرية : على ما يسروك وينووك ، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا . وإجابة الفرزدق تشير إلى منهج يراعى المستوى الصوابى الاجتماعى أما المنهج الآخر الذى يراعيه المستوى الصوابى النحوى فهو منهج النحاة ، ويرى الدكتور تمام حسان أن المنهج اللغوى الحديث يعترف بالمستوى الصوابى الأول ، وينكر المستوى الصوابى الثانى لأنه معايير باحث خلقها بنفسه ، ويريد أن يفرضها فى الاستعمال (٥) ، ولقد طلب النحاة العال والمقاييس لتصحيح قول الفرزدق حتى جهدوا ، وأرى أن الفرزدق لم يخطئُ بدليل أن أبا عمرو بن العلاء قال للفرزدق أصبت وهو جائز على المعنى (٦) ، ورحم الله ابن قتيبة حيث قال : أتعب

(١) طبقات الزبيدى : ٢٦

(٢) المرجع السابق .

(٣) مراتب النحويين : ١٢

(٤) الشعر والشعراء : ٢٣ ط المعاهد .

(٥) اللغة بين المعيارية والوصفية ١١ دكتور تمام حسان .

(٦) نزهة الألباء ١٣ .

٣ - ابن حزم الأندلسي (القرن السادس).
٤ - ابن مضاء القرطبي (القرن السابع) .
وهكذا أصبحنا لا نتصفح ورقة من النحو
إلا وجدنا خلافاً في الإعراب ، فالكسائي
يقراً بحضرة الرشيد أبيات أفنون التغلبي ومنها:
أبلغ حُببياً وخلل في سراتهم
أن الفؤاد انطوى منهم على حزن
إلى أن قال: أم كيف ينفع ما تعطى العلقوق به
رثمان أنف إذا ماضنّ باللبن
ففتح نون رثمان - وكان الأصمعي حاضراً
فقال : هي رثمان بضم النون ، فأقبل عليه
الكسائي وقال له : اسكت ما أنت وهذا ؟
يجوز رثمان - ورثمان - ورثمان بالرفع
والنصب و الجر (٣) . فالنحاة في هذا
قد نسئوا المعنى لحرصهم على هذا
الإعراب ، حتى كان النحو عندهم
غايته الإعراب ، وهم بهذا قد ضيقوا حدوده
حين اهتموا بالأحوال المختلفة من : رفع
ونصب وجر من غير فطنة لما يتبع هذه الأوجه
من أثر في المعنى ، يجيزون في الكلام وجهين
أو أكثر من أوجه الإعراب ، ولا يشيرون
إلى ما يتبع كل وجه من أثر في رسم المعنى
وتصويره ، وهذا يشتد جدلهم ويطول احتجاجهم
ثم لا ينتهون إلى كلمة فاصلة (٤) .

الفرزدق أهل الأعراب ، فقالوا وأكروا ،
ولم يأتوا بشيء يرتضى ، ومن ذا يخفى عليه
من أهل النظر أن كل ما أتوا به احتيال
وتمويه (١) ، وكان النحاة بالتحامهم مع
الشعراء في تلك المعارك الحامية يريدون أن
يتثبتوا من مدى صلاحية مفايرهم وقواعدهم
التي فرضوها ، ولا شك أن كثيراً من النحاة
كانوا يتقعون حتى تستغلق أفهامهم ،
ويستبد بهم جمود القرينة والصنعة والتكلف
ويظهر هذا من سؤال وجهه الخاضع إلى
أبي الحسن الأخفش قائلاً له : أنت أعلم
الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة
كلها ؟ ... قال : أنا رجل لم أضع كتبى
هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ،
ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه
قلت حاجاتهم إلى فيها ، وإنما كانت غايتي
المنالة (٢) . وبهذا ضيق النحاة على أنفسهم
وعلى غيرهم حتى ضاق النحو بنفسه لتعقد
أبوابه ، وأخذ رد الفعل الإيجابي لهذا الضجر
تقديم مقترحات لإصلاح النحو وتيسيره ،
ونقد مناهج النحاة ، ومن أول من تصدى
لذلك :

- ١ - ابن ولاد المصري (القرن الرابع) .
- ٢ - أبو العلاء المعري (القرن الخامس) .

(١) الشعر والشعراء ٢٣ . إحياء النحو إبراهيم مصطفى ط ١٩٥١ ٩٤ .

(٢) الحيوان ١ - ٩١ فما بعدها . تحقيق عبد السلام هارون .

(٣) معنى اللبيب ١ - ٤٤ ، وانظر : خزنة الأدب . الشاهد ٩٠٦ .

(٤) إحياء النحو ٨ .

تفسير ظاهرة الإعراب :

قام خلاف بين علماء العربية في دلالة الحركات على المعاني الإعرابية أو عدم دلالتها ، وأول من أشار إلى ذلك الخليل (١) .
ومن ذهب إلى أن الحركات دوال على معان أبو القاسم الزجاجي ت ٣٣٧ هـ في كتابه : الإيضاح (٢) في علل النحو حيث يقول : إن الأسماء لما كانت تعورها المعاني ، فتكون فاعلة ومفعولة ، ومضافة ومضافا إليها ولم تكن في صورتها وأبنيها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جعلت حركات الإعراب فيها تنبيء عن هذه المعاني .

ويذهب قطرب ت ٢٠٦ هـ إلى أن العرب : « إنما أعربت كلامها ؛ لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل ، وكانوا يبطئون عند الإدراج (٣) فلما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ، ليعتدل الكلام » فذهب قطرب إلى أن الحركات الإعرابية لا معنى لها ، بل جرى بها تخفيفا ، وقد انفرد قطرب بهذا الرأي ، والأصل دخول الإعراب في الكلام ، ليفرق بين المعاني ، وعلماء العربية على هذا .

لكن منهج البحث عند جمهور النحاة تنكب هذا الطريق حين فسّر هذه الحركات تفسيراً فلسفياً في ضوء العامل ، والأثر والمؤثر ، والمعلول والعللة ، وشغلوا عن دلالة الحركات ودلالاتها على المعاني ، حتى صار الإعراب وهو دليل المعاني يدرس بمعزل عن تلك المعاني ، وحرصوا على أن يتقن العرب مصطلحات الإعراب وعباراته من غير إشارة إلى الارتباط بين المعاني والإعراب ؛ ولهذا كان يهيب ابن جنى بالنحاة أن يتركوا المعنى على ما هو عليه ، وأن يصححوا أوجه الإعراب من غير مساس (٤) بالمعنى نفسه .

وإحقاقا للحق يجب أن نشير إلى أن فئة من نحاة القرآن كانت تلاحظ هذا الارتباط ، وها هو الفراء في معانيه عند تفسير قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » يقول : لو نونت في (ذائقة) ونصبت الموت كان صوابا ، وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل ، فإذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة (٥) ؛ فالفراء يشير إلى اختلاف الحركات باختلاف المعاني ماضيا واستقبالا (٦) .

(١) كتاب سيويه ٢ / ٣١٥ بولاق .

(٢) ص ٦٩ تحقيق : مازن المبارك ط دار العروبة ، وانظر الأشباه والنظائر ١ / ٧٦ فما بعدها . للسيوطي .

(٣) الإيضاح ٧٠ .

(٤) انظر الخصائص ٢٩٢ ط الهلال .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء عند تفسير : « كل نفس ذائقة الموت » .

(٦) انظر المصدر السابق عند تفسير : إن الله بالغ أمره ، وقوله : « هل هن كاشفات ضره » .

الإعراب في الفصحى والساميات :

ولكن هل هذا الإعراب كان مراعى في الفصحى ؟ وهل في الساميات مثل هذا الإعراب الذى نراه في عربيتنا ؟

يرى V. Renan أن الإعراب في العربية لا يوجد له نظير في أى أخت من الأخوات السامية اللهم إلا بعض آثار ضئيلة بدائية في العبرية والآرامية والحبشية^(١) ،

ويذهب المستشرقون ومنهم : ولين Wallin وفليبي Phillippi ونولدكه Noöldeke ثم بروكلمان Brokelmann إلى أن الإعراب خاصة سامية قديمة تشترك فيه مع العربية الأكديّة، والإعراب فهما أقدم من ٢٥٠٠ سنة ق.م. أى أن عمره أكثر من خمسة وأربعين قرنا ، وبهذا يرد على زعم من ينكر الإعراب عند العرب أو من يرى في الإعراب ظاهرة لا تتلاءم مع الحضارة^(٢) . ولا يشارك العربية في الإعراب من اللغات الحية إلا الألمانية ، أما اللغات الآرية الحديثة - وتشمل معظم لغات أوروبا الحديثة - فقد نخلت من حالات الإعراب ، هذا وقد امتدح الإعراب في العربية نفر من المستشرقين منهم : بروكلمان حيث يرى أن لغة الشعر العربى تميزت بثروة

عظيمة من الصور النحوية ، وقد بلغت من حيث دقة التعبير عن علاقات الإعراب والنحو ذروة التطور في اللغات السامية « ولوى مسينون ، ويوهان فك » حيث يقول الأخير : لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابى بسمة من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الأدبى^(٣) .

يؤكد ذلك ما ساقه د . رمضان عبد التواب من نصوص قانون حمورابى ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م المدون باللغة البابلية القديمة - بين فيها تماثل الإعراب بينها وبين العربية ، فالفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، وعلامة الرفع الضمة وعلامة النصب الفتحة وعلامة الجر الكسرة كما في العربية^(٤) . هذا ، وقد حملت لغة النقوش العربية البائدة بذور الإعراب ، وقد رمز إلى الإعراب في تلك النقوش بحروف تلاحق بآخر الكلمة ، ومن ذلك ما جاء في نقش النمارة : ونزدو - فالواو علامة الرفع عندهم : وهرب منحجو - فألحق الواو بالكلمة أيضا مع أنها في حالة النصب ، لأنها مفعول به وقد وقع عليها الفعل : وملك معدو - فالواو في الاسم ذكرت

(١) فقه اللغة ١٣٠ وافي .

(٢) نحو عربية ميسرة ١٢٣ / د . فريجة . بيروت .

(٣) العربية ٣ يوهان فك .

(٤) فصول في فقه العربية ٢٣٩

إذن لرجل سوء! ، فالأعرابي البدوي فهم :
الجر والهدز لغويا لا بمعناها الاصطلاحى
العلمى المعروف للنحاة :

وأميل إلى أن نحاة البصرة والكوفة قد زادوا
فيه شيئا كثيرا ، ولا سيما فى دقة القواعد وتشعبها ،
فاتسع الإعراب كلما احتدم النزاع بين المذاهب
النحوية ، وكثرت الأوجه الإعرابية فى
كل كلمة ، فالإعراب أثر لعامل إن وجد
فبها ونعمت ، وإلا وجب تقديره ، فكل
حركة لا بد لها من عامل ، كما أن كل حادث
لا بد له من محدث .

وقد كانت المناظرات بين علماء النحو
من أسباب التوسع فى الإعراب ، وخلق أنماط
جديدة منه ، فالمناظرة التى وقعت بين الكسائى
والأصمعى - كانت خلافا على الإعراب فى
كلمة - أجاز فيها الكسائى الأوجه الإعرابية
الثلاثة^(٣) ، وكذلك كانت المناظرة بين
الكسائى وسيبويه فى المسألة الزنبورية^(٤) .
وقد لعبت فيها السياسة دورا خطيرا ،
وكذلك غيرها من المناظرات النحوية كالتى
وقعت بين الرياشى وثلعب ، أو بين المبرد
وثلعب ، وأكثرها يشترك فيها الإعراب الذى
أتقنه وزاد فيه وغيره هؤلاء جميعا .

للإعراب^(١) ، كما حملت الإعراب لهجة
(أزد السراة) وهى لهجة عربية قديمة حيث
يقولون : جاء زيدو ، ورأيت زيدا ،
ومررت بزيدى ، فالواو والياء يمكن أن
تكون دليل الإعراب فى تلك اللهجة ، وأنهم
فعلوا ذلك لحرصهم على بيان الإعراب ولا سيما
عند الوقف^(٢) . ولا شك أن هذه آثار
ضئيلة إذا ماقيست بالإعراب فى عربيتنا .
والذى أرجحه أن الإعراب عنصر أساسى
من عناصر الفصحى ، وموجود فيها قبل
وضع النحو العربى على الصورة التى نراها
الآن ، على أن الإعراب لم يصل إلى تلك
الدرجة الدقيقة الكاملة إلا بعد مراحل ،
وربما كانت الألفاظ المعربة فى العربية فى
وقت ما مبنية على السكون ، ثم تطورت إلى
مرحلة جديدة نحو الإعراب ، وكان ذلك
قبل الإسلام بوقت طويل ، واللغة العربية
لا تشد فى هذا الباب عن عالم الأحياء ،
والاجتماع ، إذ اللغة كائن حتى من جهة
واجتماعى من جهة أخرى .

على أن الأعراب فى باديتهم فى الزمن
الأقدم لم يعرفوا قواعد الإعراب كعلم له
مصطلحاته العلمية بدليل أن أعرابيا سئل :
أتجر فلسطين ؟ فقال : إني إذن لقوى !
ف قيل له : أتهدز إسرائيل ؟ فقال : إني

(١) تاريخ اللغات السامية ١٩٠ ولفنسون ، تاريخ العرب ٧ / ٢٧٣ فما بعدها . جواد على .

(٢) شرح السيرافى على سيبويه ٥ - ١٦ مخطوط بالتميزية ٢٨ ٥ نحو .

(٣) معجم الأدباء : ترجمة الكسائى .

(٤) طبقات اللغويين ٦٩ للزبيدي .

فايت كفافاً كان شرك كله
وخيرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى
ولم أقل إلا الماء بالنصب (١) .

والحق أن للنحويين دخلاً كبيراً في اللغة
التي بين أيدينا ، وأنهم خلقوا أشياء وأمثلة
لم تعرفها العرب ، وعمموا ما لم تعدسه العرب ،
والواقع أن هناك فروقا كبيرة بين اللغة كما
حكيت عن العرب ، كما قعدا النحاة .

واستمع إلى المعرى يثير مشهدا لأحد
النحاة حيث اتتهم بتغيير الإعراب وتبديله
« وكنت رأيت في المحشر شيخا لنا كان يدرس
النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي على الفارسي
وقد امترس به قوم يطالبونه ويقولون :
تأولت علينا وظلمتنا . منهم : يزيد بن
الحكم الكلابي وهو يقول : ويحك !! أنشدت
عنى هذا البيت : برفع الماء - يعنى قوله :

بين الحركات والحروف في الإعراب

وتاريخ الحركات جزء هام من تاريخ
الكتابة العربية في عصورها الإسلامية غايتها
تصوير كل صوت برمز كتابي يدل عليه ،
وفي العربية نجد أنماطا من الحركات المختلفة من
بسيطة ومزدوجة (Diphthong) وممطولة
ومخطوفة أو مختلطة ، على أن الحركات وهي
الأهم في موضوعنا يمكن أن ترتبط بنظرية
نحويي العربية الذين يرون أن الحركات
الأساسية هي التي بواسطتها تحرك نهاية الكلمة
في حالات الإعراب ، غير أنه يوجد إلى جانب
هذه الحركات حركات أخرى نشأت
بتأثير الحرف الصامت سابقا أو لاحقا ،
مع بعض العوامل الأخرى ، على أن هذه

لمحة تاريخية :

توهم القدماء من علمائنا ضلالة قيمة
الحركات ، وأنها أمر ثانوي بالقياس على
الحروف وفي هذا القول بعض المغالاة ،
فالحركات خطورتها في تنويع أصل كل معنى
وعن طريقها يتحقق تغير المعنى الصرفي ،
كما أنها تمثل عنصرا هاما في كل من : النبر
في الجانب الصرفي ، والتنغيم في الجانب
النحوي ، زد على ذلك أنها تكون قسم مقاطع
في العربية ، ومكانتها أخيرا في العروض العربي
لا تنكر حيث حلت مكانا مرموقا في موازين
الشعر (٢) .

(١) رسالة الغفران ١٥٢ فا بعدها . المعرى . تحقيق : بنت الشاطي * : ١٩٥ .
(٢) انظر كتابنا : « نحو القلوب الصغير » ص : ١٩٠ ط الدار العربية للكتاب بتونس ، وفي هذا الكتاب أثبت
أن للحركات قيمة هامة أخرى في الجانب الصرفي وشاعت عليها تسمية مبتكرة باسم (صونية الحركات) ، أو (أخلاقية
الحركات) .

الحركات والسكنات عندما تتقاصف على الصيغة تؤلف نمطا منسجما يتواكب مع المعاني الوظيفية ، وفيضا غامرا من اختلاف الأوجه وديناميكية الانتقال من صيغة إلى أخرى مما يعبد نمطا فريدا لسياسة الحركات الذي يتوج التمدن اللغوي الحضاري للأمة العربية (١) .

على أننا لاننكر صعوبة تاريخ الحركات في سائر اللغات العربية الجاهلية لأن أبجديتنا أبجدية حروف صامتة تهمل الحركات وأمثالها من ضغط ونبر وتنغيم ، كما أن مخالفة الكتابة للنطق كثيرا ما يكون مصدرها تطور الصوت في الكلمة ، ونشاهد ذلك في رسم المصحف الشريف ، والساميات أخوات العربية حيث نشاهد في العبرية (صان) ونطقها (صون) وكذلك (راش) بمعنى رأس ، ونطقها (روش) .

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نرى أن بعض قدماء النحاة لم يوفقوا حين ظنوا أن الحركات ليس لها من الأهمية ما للحروف ، فقد زعموا أن حركات العلة أعراض ، والحروف الساكنة جواهر وأصول ثم دخلوا في متاهات ومشكلات منها :

١ - محل الحركة من الحرف : أما سيديويه فيذهب إلى أن الحركة تحدث بعد الحرف ، وقال غيره : معه وذهب غيره إلى أنها تحدث

قبله ويذكر ابن جني ابتداء تلك القضية فيقول « واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخاو أن تكون في المرتبة قبله ، أو معه ، أو بعده (٢) » .

والفارسي على رأس الذين يرون أن الحركة تحدث مع الحرف (٣) على أن ابن جني يستنكر أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف (٤) .

ونحناتنا في هذا الخضم العريض تتناحر آراؤهم وتشاجر فعندما يقررون أن الحركات أضعف من الحروف نرى أن الصواب قد جانبهم في ذلك ، إذ الدراسات الحديثة قد أثبتت أن جميع الحركات القصيرة والطويلة مجهورة ، وأنها أقوى في الوضوح السهوى من الأصوات الساكنة (٥) .

٢ - ثم تراهم ينقضون مبدأهم فيقررون أن الحركة أصل الإعراب وأن حرف المد فرع عنها وذلك في قول ابن جني « فالألف والياء والواو في جميع هذه الأسماء الستة دواخل على الفتح والكسر والضم ، ألا تراها تفيء من الإعراب ما تفيد الحركات :

الضمة والفتحة والكسرة . . . وإنما الموضع في الإعراب للحركات ، فأما الحروف فدواخل عليها (٦) .

(١) انظر مقالنا في مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢٩ .

(٢) سر الصناعة : ٣٢ .

(٣) السابق : ٣٧ .

(٤) انظر أدلته في سر الصناعة ص : ٣٢ . (٥) نحو القلوب الصغير : ١٨٤ .

(٦) الخصائص : ٣ / ١٣٥ تحقيق الأستاذ محمد النجار . دار الكتب المصرية .

وإذا كان نحائنا يرون أن الحركات أضعف من الحروف لأن الحركة في حقيقتها ناقصة لأنها لا تقوم بنفسها وهي محتاجة لكي توجد إلى حامل هو الحرف. ثم إن الحركات جزء من شيء آخر سابق عليها وهو الحرف التام الكامل ، وابن جنى يقرر ذلك حين يقول : « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والواو والياء فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث : الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة : الألف الصغيرة ، والكسرة : الياء الصغيرة والضمة : الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة » (١) .

فنص ابن جنى يؤكد أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وإذا كان كذلك فكيف تنقلب الفكرة عندهم رأسا على عقب حين يقررون أن أصل الإعراب أن يكون بالحركات كما قالوا أيضا بأن الحروف أقوى من الحركات وأصل لها ، وفي الإعراب نقضوا عهدهم أيضا حين قالوا بأن حروف المد فرع أو دواخل على الحركات وهي الضم والفتح والكسر . على أنه لا فرق بين الحركات وحروف المد إلا في الكمية من وجهة نظر الدرس اللغوي الحديث ، وعلماء العربية الأقدمون يذهبون إلى مثل ذلك أيضا ، حيث

يقرر ابن جنى ذلك فيقول : « ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هو بعضه » (٢) فكأن الحركات حين تشبع تنشأ الحروف ، وكان على النحاة من خلال هذا الفهم أن يعتصموا بأن الإعراب لا يكون إلا بالحركات وحدها لا غير حتى لا يثيروا بلبلة واضطرابا وتناقضا في مسائل النحو كما سنرى ، لأنه ليس بين الإعراب بالحركات والحروف من فرق إلا في الكم ، أما في الكيف فهي هي : الحركات أصوات مد قصيرة والأحرف أصوات مد طويلة ، والواو التي زعموا أنها علامة رفع فرعية ليست إلا ضمة مشبعة ، والياء ليست إلا كسرة مشبعة ، والألف كذلك ليست إلا فتحة مشبعة ، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو ، ولكن النحاة شقوا على أنفسهم وعلى غيرهم حين ذكروا علامات أخرى للإعراب سموها العلامات الفرعية ، وجعلوها نائبة عن العلامات الأصلية ، وسبقا بلك حشدهم من آرائهم المتصارعة في الإعراب بالعلامات الفرعية . وعلى سبيل المثال فالأسماء الستة تراهم يختلفون في إعرابها إلى مذاهب قددا :

١ - أن الواو والألف والياء فيها حروف إعراب ، والإعراب مقدر فيها كما يقدر في الأسماء المقصورة . وهذا قول سيديويه .

(١) سر الصناعة : ١٩ ، وانظر : الأشباه والنظائر ١ / ١٧٢ للسيوطي . القاهرة .

(٢) سر الصناعة : ٢٠ .

٢- أنها معربة من مكانين بالحروف والحركات التي قبلها ، وهو رأى الكوفيين .

٣- أن هذه الحروف حروف الإعراب وعلامة فالواو بمنزلة الدال والضمة في نحو : قاتل الجند، والياء بمنزلة الدال والكسرة في نحو : أتيت على الجند والذي جعلهم يقولون بذلك : أن حروف العلة لو سقطت اختلفت معاني هذه الأسماء ، فهي كحروف الإعراب ، توجد بوجوده ، وتزول بزواله فهي كعلامته .

٤- وذهب بعض النحويين إلى أن هذه الأسماء إذا كانت في موضع رفع كان فيها نقل بلا قلب ، وإذا كانت في موضع نصب كان فيها قلب بلا نقل ، وإذا كانت في موضع جر كان نقل وقلب .

٥- وذهب بعضهم إلى أن الياء والواو والألف نشأت عن إشباع الحركات (١) وهذا الرأى قريب من رأى المحدثين اللغويين حيث يرون أن اختلاف وقوع النبر هو السبب في مثل هذه الحركات أو تقصيرها فلو قلت : (أخوك) كان النبر على المقطع الثانى (خو) أما (أخك) بدون مثل فالنبر على المقطع الأول (أ) .

ومثل هذا الخلاف يطالعنا في باب التثنية والجمع كذلك بين البصريين والكوفيين ، وبين أفراد كل فريق منهم ، فيذهب سيديويه إلى أن الألف والواو والياء هي حروف الإعراب ، وذهب أبو الحسن الأخفش ، وأبو العباس المبرد ومن تابعهما إلى أنها تدل على الإعراب وليست بإعراب ولا حروف إعراب ، وذهب أبو عمر الجرمي إلى أن انقلابها هو الإعراب وذهب قطرب والفراء والزياىدى إلى أنها هي الإعراب (٢) .

والذى ورط النحاة في قولهم : الإعراب بالحروف فرع عن الإعراب بالحركات التى هي أصول - ما يذهبون إليه دائماً من القول بالأصل والفرع في كل مشكلة تقابلهم ، ولهذا يعجج النحو العربى ، وتطالعك نظرية الأصول والفروع التى ترتبط بمنهج أصول الفقه في كل باب من أبوابه ومن ذلك :

١ - باب من غلبة الفروع على الأصول (٣) .

٢ - حمل الأصول على الفروع .

٣ - باب فى المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول (٤) .

(١) أسرار العربية لابن الأنبارى ١ / ٤٤ فما بعدها ط د مشق ، واللمع لابن جنى : ١٠١ فما بعدها وانظر التحقيق للدكتور حسين شرف ط ١٩٧٨ والرضى على الكافية ١ / ٢٧ ، وشرح المقدمة النحوية لابن شاذ ٥٨ فما بعدها .

(٢) سيديويه ١ / ٤ ط بولاق ، وأسرار العربية : ٥١ ، واللمع لابن جنى : ١٠٣ وانظر المحقق ، وشرح المقدمة النحوية لابن شاذ : ٦٤ تحقيق د . أبو الفتوح شريف ط ١٩٧٨ .

(٣) الخصائص ١ / ٣٠٠ .

(٤) الخصائص ٣ / ٣٢٨ .

- ٤ - مراجعة أصل واستثناف فرع .
- ٥ - نقض الأصول وإنشاء أصول غيرها منها (١) .
- ٦ - مراجعة الأصل الأقرب دون الأبعد .
- ٧ - مراعاة الأصول تارة وإهمالها إياها أخرى . وقد تكثر الفروع وتطرد حتى تصير كالأصول فتشبه الأصول بها .
- ٨ - حط الفروع عن الأصول .
- ٩ - هجر الأصل حتى بعد النطق شذوذا .
- ١٠ - قد يكون للشيء أصلان (٢) والأصول لا تحتاج إلى علامات ، وإنما تحتاجها الفروع ، كما نرى هذه الأصول في جزئيات الفصول والأبواب النحوية مثل قولهم :
- ١ - لماذا كان (٣) الأصل في الخبر الأفراد؟ ومتى يأتي الخبر على خلاف الأصل؟
- ٢ - لماذا كانت إلا هي الأصل في الاستثناء؟
- ٣ - لماذا كان الأصل في الأفعال التصرف ، ولماذا كان الأصل في الأفعال الدلالة على الحدث والزمان؟
- ٤ - لماذا كان الفعل أصلاً للاسم في الصحة والإعلال؟
- ٥ - الأصل في الأسماء التذكير ، والتأنيث فرع عليه .
- ٦ - الحذف للجزم أصل للحذف للنصب .
- ٧ - الباء هي الأصل في حرف القسم .
- ٨ - الذكرة أصل والمعرفة فرع عليها .
- ٩ - وحسبنا أن نختم هذا بما يتصل بموضوعنا (الإعراب ومشكلاته) ونشير إلى قضيتين :
- أولاهما : قولهم : الأصل في الإعراب أن يكون بالحركات ، والإعراب بالحروف فرع عليها . وإنما كان الإعراب بالحركات هو الأصل لثلاثة أمور :
- الأمر الأول : أن الإعراب دال على معنى عارض في الكلمة ، فكانت علامته حركة عارضة في الكلمة لما بينهما من التناسب .
- والثاني : أن الحركة أخف من الحرف وأقل منه ، وهي كافية في الدلالة على الإعراب ، وإذا حصل الغرض بالأخف الأقل ، فلا يتكلف غيره ، ولذلك كثرت الحركات في بابها ، وقل غيرها مما أعرب به ، وقدر غيرها بها ، ولم تندر هي به (٤) .

(٢) الأشموني : ٢١٢/٤ .

(١) الخصائص : ٢٢٧/٣ .

(٣) ألاحظ اهتمام النحو التقليدي بالعلة : لماذا كان ؟ فلم يكن يلاحظ ويستقرىه ويفسر تفسيراً يقوم على المعقائق اللغوية ، بل كان نحرأ معيارياً صورياً لا يركز على الاستعمال اللغوي كما هو .

(٤) انظر شرح المفصل ١/٥١ .

والثالث : أن الحرف من جملة الصيغة الدالة على معنى الكلمة اللازم لها ، فلو جعل الحرف دليلاً على الإعراب ، لأدى الأمر إلى أن يدل الشيء الواحد على معنيين ، وفي ذلك اشتراك ، والأصل أن يخص كل معنى بدليل . وإنما أعرب المثني وجمع المذكر والأسماء الستة بالحروف لأمر اقتضاه ، فأعربوا المثني وجمع المذكر بالحروف للفرق بينهما وبين المفرد ، ولم يعكس الأمر ليكون الأصل للأصل والفرع للفرع ، فإن الحركات أصل للحروف ، والمفرد أصل للمثني والجمع (١) .

وثانيتها : قولهم : هل حركات الإعراب أصل لحركات البناء ، أو حركات البناء أصل لحركات الإعراب ، وقد اختلف النحاة في ذلك :

فذهب بعضهم إلى أن حركات الإعراب هي الأصل ، وأن حركات البناء فرع ، لأن الأصل في حركات الإعراب أن تكون للأسماء وهي الأصل ، فكانت أصلاً ، والأصل في حركات البناء أن تكون للأفعال والحروف وهي الفرع فكانت فرعاً .

وذهب آخرون إلى أن حركات البناء هي الأصل ، وحركات الإعراب فرع ، لأن حركات البناء لا تزول ولا تتغير ، وحركات الإعراب تزول وتتغير وما لا يتغير أولى أن يكون أصلاً مما يتغير (٢) .

ولا تعجب بعد ذلك أن تجد خلطاً بين كثير من النحويين في علامات كل من حركات الإعراب والبناء حيث أطلق بعضهم ألقاب الإعراب على ألقاب البناء والعكس (٣) .

والأعجب مما سبق أن البصريين والكوفيين عندما وضعوا أصولهم وفروعهم في النحو لم يلتزموا تلك الأصول والفروع عند التطبيق ، فقد ناقض كل فريق (أصله) (٤) وكان ذلك سبباً من أسباب التضارب والتناقض والتخالف والتشابك في مسائل العربية .

ونظرية الأصل والفرع وافدة على النحاة من أصول الفقهاء ، فقد تحدث الأحناف والشافعية عن الأصول والفروع ، واهتم بها أبو حنيفة ومدرسته ، ومعلوم أن تأثير الفقه وأصوله في النحو كان قوياً منذ العصور الأولى فقد كان النحاة ينظرون إلى الفقه وأصوله على أنه علم تابع من الفكر الإسلامي الخالص ، ولهذا رأينا كثيراً من النحاة

(١) انظر حواشي النحو المطولة ، والأشباه والنظائر ٢ - ٢٢ للسيوطي . ط القاهرة ، القواعد الكلية د . غريب نافع ، نشر : مكتبة الأزهر سنة ١٩٧٥

(٢) أسرار العربية لابن الأنباري : ٢٠ ط دمشق ، وانظر الأشباه والنظائر ١ - ١٥٩ القاهرة .

(٣) معاني الفراء ٢ / ٣٥ ، ٤٠ ، والمقتضب ٤ / ٨٣ .

(٤) الإنصاف مسألة : ٥ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٥ .

والتأخير ، وغيره من القرائن التي تظهر
من سياق الكلمات السابقة واللاحقة .^١

وفكرة الاعتماد على القرائن في فهم التعليق
النحوي ينفي عن النحو : كل تفسير ظني
أو منطقي ، كما ينفي أصالة بعض الكلمات
في العمل وفرعية الأخرى^(٢) كما أن مسائل
الأصل والفرع بالصورة التي تخللت جزئيات
ومسائل النحو العربي مرفوضة لأن اللغة لها
خصائصها وسماتها التي تختلف عن خصائص
وسمات القياس المنطقي الحدلي الذي تأثر به
النحاة ، وقضية (الأصالة والفرعية)
لا ترتبط بمقاييس ثابتة عند علماء النحو
العربي ، ومن هنا اضطربت الآراء والمشارب
فما يعتبره نفر منهم أصلاً يعتبره الآخرون
فرعاً لهذا الأصل . ونظرية الأصل والفرع
ترتبط أولاً وأخيراً بالقياس الذي فرض
سلطانه على النحو ونرجح أن تعتمد القضايا
النحوية على الاستقراء . ولهذا أرى إلغاء
فكرة نيابة الحروف عن الحركات لبنائها
على الأصالة والفرعية ، ويكون إعراب
الأسماء الستة بالحركات الثلاث مع مدها ،
أما جمع المذكر فالضمة فيه علم الرفع وعلم
الإسناد والواو لإشباع ، والكسرة علم الحر
والإضافة والياء لإشباع . وأغفل الفتح لأنه
ليس بإعراب ، فلم يقصد إلى أن يجعل له

يتأثرون بالفقهاء ويشاركونهم من أمثال :
أبو عمر الجرمي ، والفراء ، والسيرافي ، حتى
إن الجرمي والسيرافي كانا يقعدان للفتيا ،
والخليل بن أحمد النحوي يصرح في أمكنة
كثيرة باقتباسه نصوصاً فقهية لأبي حنيفة
يؤكد بها مسائل في النحو والعربية^(٣) ، ومحمد
ابن الحسن ألف كتاباً في الإيمان ضمنه مسائل
فقهية مبنية على أصول النحو والعربية ،
وابن جني في الخصائص يتأثر في مسأله
النحوية بالفقهاء وعلماء الأصول^(٤) . وكذلك
كتب ابن الأنباري كالإنصاف ولمع الأدلة ،
وتأليف السيوطي كالمجمع والاقتراح والأشباه
والنظائر ، فهي مبنية على أشباهها من كتب
الفقهاء ، ونرى أن يكون منهج النحو نابعا
من اللغة ويعود على اللغة دون السماح لأي
فكر آخر غير لغوي أن يتدخل .

والدراسات النحوية الحديثة لا تعترف

بفكرة الأصل والفرع كما فسرها النحاة إذ
أنها ترى أن فهم اللغة يخضع للشكل والوظيفة
ففي العربية كثير من الوظائف كوظيفة الفاعل
والمفعول والمبتدأ وكل وظيفة تتخذ لها طريقة
شكلية تعبر عنها ، فشكل الفعل مع الفاعل
يختلف شكله مع نائب الفاعل ، وهذا الشكل
لا يقتصر على الحركات الإعرابية بل يتسع
ليشمل الترتيب بين الكلمات مثل : التقديم

(١) كتاب العين : ٢٨٥ تحقيق الدكتور عبد الله درويش .

(٢) الخصائص : ١ / ١٦٣ فإيها ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

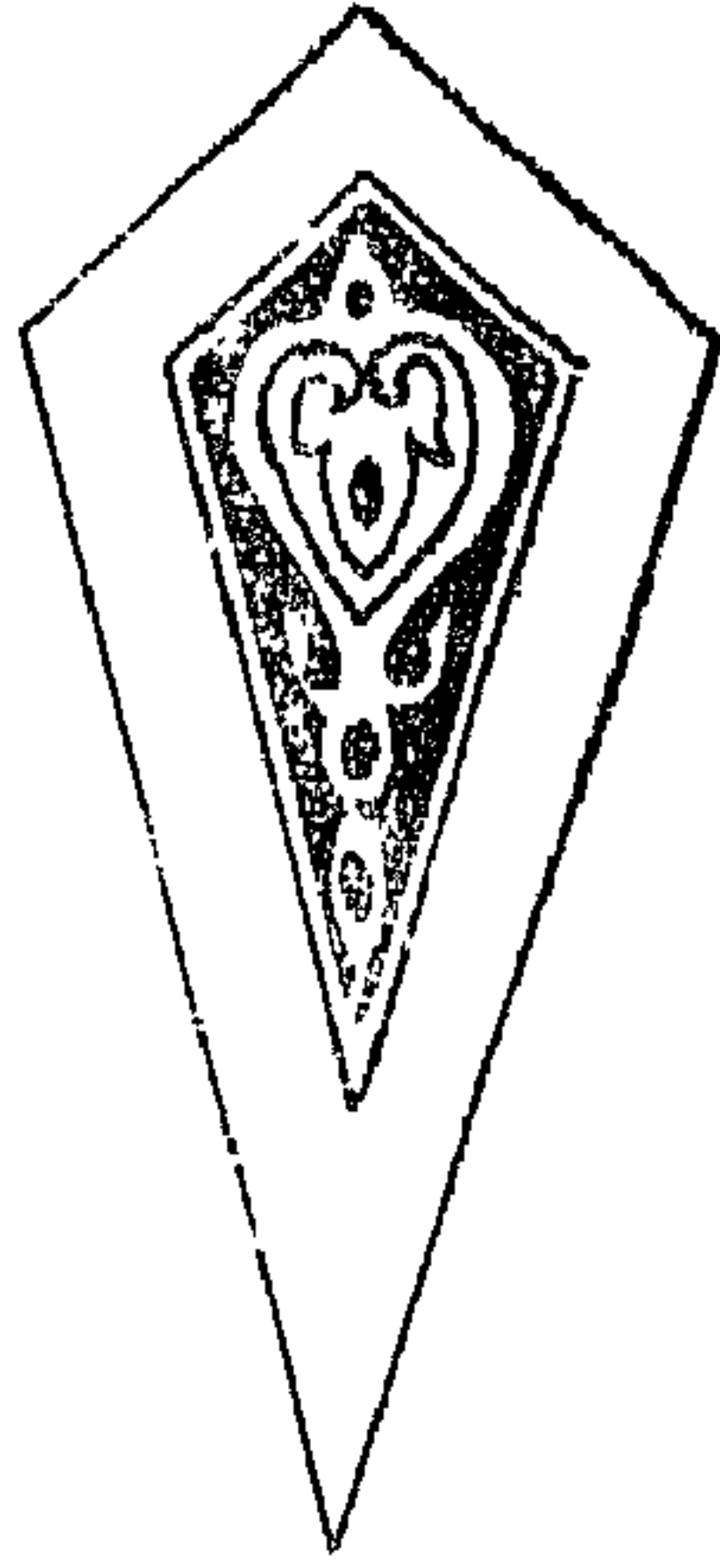
(٣) اللغة العربية معناها ومبتاها للدكتور تمام حسان ص ٢٣٣ .

المعنى فتركت الكلمة وهي مسند إليها -
بلا علامة تدل على الإسناد ، فاذا أريد أن
يكون مضافا إليه استعين بالياء - وهي جزء
من الكسرة ، ومطولة لها ، وأبقيت الفتحة
الدالة على ألف الاثنين قبلها ، وتحقق
في الصيغة إذن : دلالتها على التثنية ، ودالتها
على الإضافة .

أحمد علم الدين الجندى

علامة خاصة ، لأنه إذا أريد إلى أن يجعل
نصبا وأتى له بالفتحة اشتبه بالثنى ، ولهذا
أغفل الفتح فيه ، وجعلت الصيغة المستعملة
في الإضافة هي صيغة المنصوب^(١) أما المثنى
فالألف فيه ليست علامة للرفع ؛ لأن الضمة
وحدها هي علم الرفع ، أما الألف فهي
للتثنية لا غير ، وإذا أريد رفعه بالضمة
فيجب أن تزول الألف ، وبزوالها يزول

(لأبحاث بقية)



(١) إحياء النحو : ١١١ ط ١٩٥١ .

(٢) انظر : في النحو العربي ٥٩٠ . مهدي الخزومي . ط . أولى . بيروت .

في الإعراب ومشكلاته

الدكتور محمد علي عبد الحليم

(٢) *

لغاتهم ، وسبيل الإعراب والتصريف فيها ويرى أن العربية ذات منهج في الإعراب يخالف المناهج اللغات الغربية إذ العربية تدل بالحركات على المعاني المختلفة من غير أن تكون تلك الحركات أثراً شتتاً أو بقية من أداة (١) .

وكما اختلف المستشرقون حول تفسير حركات الإعراب ترى اختلافاً آخر بين علماء العربية وإليك آراءهم :

أولاً : بينا في مقال سابق (٢) أن التحليل كان أول من ذهب إلى أن الحركات الإعرابية دوال على المعاني ثم تبعه في هذا علماء العربية القدامى (٣) . وينذهب قطرب ٢٠٦ هـ من القدامى على أنه لا صلة بين حركات الإعراب والمعنى ، حيث يقول : إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوصل والوقف

أدلى المستشرقون بدلهم في تفسير حركات الإعراب واختلفوا مذاهب قديداً في ذلك ، وأقرب هذه الآراء إلى الصواب وأولها بالدرس ما كتبه «وليم رايت» و «كارل بروكلمان» حيث رجحا أن اللغة السامية الأم كانت تفرق بين حالة الرفع باللاحقة (u) وحالة الجر باللاحقة (i) وحالة النصب باللاحقة (a) على أن الأصل لكل لاحقة غير معروف على وجه الدقة ، ويمكن أن يرجح أن أصل الفتحة (ha) ، وهي ضمير إشارة مستعمل في اللغات السامية ، ولم يزل في الحبشية يلحق بالأعلام في حالة النصب كما يمكن أن تكون حالة الرفع مشتقة من الضمير (ho) أما علامة الجر فظاهر مشابهتها بياء النسب التي حذفت وبقيت الكسرة قبلها وقد نقد أستاذنا «إبراهيم مصطفي» ما ذهب إليه المستشرقون ورأى أنهم تأثروا بنظام

(*) نشر المقال الأول في مجلة المجمع ، الجزء الثاني والأربعون .

(١) إحياء النحو ٤٣ فا بعدها .

(٢) انظر مقالنا : في الإعراب ومشكلاته قدم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(٣) سيبويه ٢ / ٣١٥ بولاق ، والإيضاح للزجاجي ٦٩ . وشرح الكافية ١ / ٢٠

وكانوا يبطلون عند الإدراج فلما وصلوا
وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبا
للإسكان ليعتدل الكلام^(١) .
هذا وقد احتج الخالفون له ردا عليه :
لو كان كما زعم (قطرب) لجاز خفض
الفاعل مرة ، ورفع آخرى ونصبه
رجاز نصب المضاف إليه ، لأن القصد
في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكونا يعتدل
به الكلام ، وأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته
فهو مخير في ذلك ، وفي هذا فساد للكلام
وخروج عن أوضاع العرب وحكمة نظام
كلامهم :

هذا ، وقد علل (قطرب) اختلاف
الحركات عندما اعترض عليه النحاة بقولهم .
فهلا لزموا حركة واحدة ، لأنها مجزئة
لهم إذ كان الغرض إنما هو حركة تعتقب
سكونا ؟ فقال : لو فعلوا ذلك لضيقوا على
أنفسهم فأرادوا الاتساع في الحركات وألا
يخطر واعي المتكلم الكلام إلا بحركة واحدة^(٢) .
ومن ذهب من المحدثين مع قطرب
أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه
« من أسرار اللغة » فالحركة الإعرابية
لا مدلول لها عنده^(٣) ، وإنما يؤتى بها
نوصل الكلمات بعضها ببعض وتخلصاً من

التقاء الساكنين^(٤) : والذي يعين الحركة
عنده أحد عاملين .

أولهما : طبيعة الصوت وإيثاره لحركة
معينة كإيثار حروف الحلق للفتحة .

وثانيهما : انسجام تلك الحركة مع
ما يجاورها من حركات^(٥) وهو ما يسمى
«Vowel Harmony»

وأن الذي يحدد معاني الفاعلية والمفعولية
عنده يرجع إلى عاملين :

أولهما : نظام الحملة العربية والموضع
الخاص لكل من هذه المعاني اللغوية في
الحملة .

وثانيهما : ما يحيط بالكلام من ظروف
وملابسات .

وقد تكفل بالرد عليه كثير من تلاميذه
مستدلين بالشواهد الكثيرة التي تشير إلى
الحركات الإعرابية وأثرها في المعاني من
الفاعلية والمفعولية وغيرهما^(٦) ، كما حشد
بعضهم شواهد وأدلة من الساميات تؤكد أن
الإعراب كان فيها كما كان في العربية الفصحى^(٧) .

وهناك سؤال موهده :

أكان قطرب أول من نادى بهذا الرأي
أم سبقه سابق من النحويين ؟

(١) الإيضاح ٧٠ .

(٢) الإيضاح ٧١ .

(٣) من أسرار اللغة ١٥٨ ط لجنة البيان العربي نشره : الأنجلو المصرية .

(٤) من أسرار اللغة ١٧٠ .

(٥) من أسرار اللغة ١٧٥ - ١٧٦ - ١٨١ .

(٦) مدرسة البصرة النحوية ٣١٢ فا بعدها . دكتور عبد الرحمن السيد ط أولى ، مدرسة الكوفة ٢٤٩ فا بعدها

د . مهدي الخزومي ، دراسات في فقه اللغة ١٢٨ فا بعدها د . صبحي الصالح ، دمشق ١٩٦٠ .

(٧) انظر قضية الإعراب . للدكتور رمضان عبد التواب في مجلة المجلة . السنة العاشرة . العدد ١١٤ .

يرى بعض الباحثين (١) أن الخليل بن أحمد سبق قطرباً بهذا الرأي مستدلاً بقول سيبويه : زعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يُلحَقن الحرف ليوصل التكلم به (٢) ، فالحركات عند الخليل إنما هي زوائد جئ بها ليتوصل بها إلى النطق بالحروف وليس العامل مؤثراً فيها ، ولا علاقة لها بالمعنى وإيضاحه كما يفهم من النص .

والذي نميل إليه أن سيبويه عندما نسب ذلك إلى الخليل بصورة الزعم لم يكن يتحدث عن الإعراب والبناء ، كما أن هذا الرأي لا يتفق مع آراء الخليل وفكره ، لأنه يربط دائماً بين الحركة الإعرابية ومعنى معين (٣) ، بل كان يقلب الحمل على وجوهها التي يحتمل أن يكون العرب قصدوا إليها ، ليقف على المعاني المختلفة التي تدل عليها هذه الوجوه ، فمن ذلك ما روى عنه من قولهم : مرزت به المسكين . والمسكين يرفع وينصب ويجر ، يرفع على إضمار هو : كأنه لما قال : مررت به . قال : هو المسكين ، كما يقول مبتدئاً : المسكين هو . وينصب على إضمار فعل فيه معنى الترحم ، ويجر على اعتباره بدلاً من الضمير المجرور (٤) :

فهذه الوجوه من الحركات الإعرابية المتعددة إنما حدثت في رأي الخليل ، لأن المعاني متعددة كذلك . والحركات في النص

السابق لها أثرها في المعاني التي تضمنتها الجملة ، وأخيراً فإن الزجاجي عندما تناول دلالة العلامات الإعرابية على معانيها يقول : هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً . فهو لم يستثن غير قطرب . ولو كان الخليل يقول بمقولة قطرب لذكره الزجاجي مقترناً بقطرب (٥) .

ثانياً : أضاف ابن الطرارة (ت ٥٢٥٨) عاملاً جديداً : لم يعهده النحاة في عوامل النصب ؛ سماه : القصد إليه . ومصدر هذا الرأي عنده أن بعض العمودات من الأسماء والأحداث قد يقصد إلى ذكرها خاصة من غير حاجة إلى الإخبار عنها . أو تسليط عامل لفظي عليها ، ومثل لهذا بقوله «سبحان الله» فان (سبحان) اسم ينبي عن العظمة . فوقع القصد إلى ذكره مجرداً عن التقييمات بالزمان أو بالأحوال ، ولهذا وجب نصبه كما يجب نصب كل مقصود إليه بالذكر نحو ويل زيد ، وزيداً ضربته في الاشتغال ، والمفعول المقدم : زيداً ضربت ، والمنادى : يا عبد الله ، فلا علاقة للعامل بهذا المنصوب ، والاسم هنا (قصد) ذكره فحسب ، وليس شرطاً أن يكون مبنياً عليه فيكون مبتدأ : أو واقعاً عليه فيكون منعولاً به ، وما يراه ابن الطرارة رثيق الصلة بالجانب البلاغي وهو : الإهتمام أو التخصيص وهما عين

(٢) الكتاب : ١ / ٣١٥ بولاق .

(٤) الكتاب ١ / ٢٥٤ .

(٥) أنظر قرينة العلاقة الإعرابية ٢٥٤ دكتور محمد حساسة (مخطوط بمكتبة دار العلوم) .

(١) مدرسة البصرة النحوية ٣٠٦ .

(٣) الكتاب ١ / ١٨٧ فما بعدها ، ٤١٣ .

(القصدي إليه) عند ابن الطراوة . (انظر في هذا : أبو الحسين بن الطراوة وأثره في النحو (٧٤ - ٧٦) د . محمد البنا . ط دار الاعتصام بالقاهرة) .

ثالثاً : وهي فكرة أستاذنا إبراهيم^(١) مصطفي ، وتقوم أساساً على أن^(٢) حركات الإعراب ليست أثراً لعامل من العوامل بل هي دوال على معان في تأليف الجملة وربط الكلام ، فالضمة علم الإسناد ودليل على أن الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها ويتمحدث عنها . وأما الكسرة فإنها علم الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء أكان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة كما في : كتاب محمد ، وكتاب محمد . ولا تخرج الضمة ولا الكسرة عن الدلالة على ما أشرنا إليه إلا أن يكون ذلك في بناء أو في نوع من الاتباع .

أما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيء بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك .

فلإعراب الضمة والكسرة فقط وليستا بقية من مقطع ولا أثراً لعامل من اللفظ بل هما من عمل المتكلم ليدل بهما على معنى في تأليف الجملة ونظم الكلام .

ورابعاً : أن الهمزة لما كانت تتعدد وظائفها في الكلام أضافوها إلى الأفعال في أولها

أو في آخرها حتى لقد أضيفت إلى الفعل الواحد في بعض الحالات في أوله وفي آخره معاً مثل : اذهب (= إي + ذهب + آ) و : افعل (= أي + فعل + أي) . فإذا جئنا إلى الحالات الإعرابية مثل قولنا : جاء الرجل . ورأيت الرجل . ونظرت إلى الرجل ، ففي المثال الأول (= الرجل + أو) وفي الثاني (= الرجل = آ) وفي الثالث (= الرجل + أي) ويمكن تحليل الأفعال الآتية :

افعلوا = اي + فعل + أو .

افعلا = اي + فعل + آ .

أفعلى = اي + فعل + إي .

فالضمة التي لحقت بالاسم : مبتدأ أو أو خبراً أو فاعلاً هي نفسها الضمة التي لحقت بالفعل . فحركات الإعراب الثلاث في الاسم والفعل واحدة فالضمير الذي التصق بالاسم هو نفسه الذي التصق بالفعل .

ويرى الباحث أن الضمير مع الفعل ظهر على صورة ضمة أو كسرة أو فتحة في مثل : أذهب أو . أذهب إي . اذهب آ ، ليعرف السامع من هو المقصود بفعل الذهاب ، ثم انتقل هذا الضمير مع الفعل إلى الاسم فكان مبتدأ موعخراً في قولك : صغير أو مريض أو عل معنى صغير هو مريض هو .

(١) كان يسميه العقاد (سيوبه العصر) أما الدكتور طه حسين فكان يسميه « الفراء » مقدمة احياء النصوص (ل) .

(٢) احياء النحو : ٥٠ .

ثم يرى الباحث أن ظاهرة تحريك أو آخر الألفاظ قد نشأت لدى الفريق الذي كان الضمير عنده هو الهمزة، وهذه الهمزة نفسها نراها في العربية ولهجاتها قد تحولت أو أبدلت أو خففت أو ذابت ولم يبق إلا حركتها تلك الحركة التي تدل عليها ، ولهذا اختلف في نطق الهمزة فهي عند قبيل : آ ، وعند بعض آخر : أي . وعند آخرين (أو - o) وعند فريق (أو - ü) ويظهر والله أعلم - أن الحركات التي نشأت عن صوت الهمزة كما سبق قد التقت واختلطت وتفاعلت - فكان العربي ينطق بهذه الحركات كلها في وقت واحد بدون تمييز بينها ، وبعد فترة زمنية خضعت لقاعدة (التخصيص) فأخذت تلك الحركات المختلفة تبحث لها عن عمل تختص به ، حتى استقرت كل واحدة منها فأصبحت تدل على مجموعة من حالات الإعراب ، وليس معنى ذلك أن الحركات الإعرابية قد تخصصت في وقت واحد ، ومن المحتمل أن بعضها تخصص قبل بعض ، ومما يؤكد ذلك وجود حركة الضمة في أواخر الألفاظ البابلية من الأفعال والأسماء على السواء فقد كانوا يقولون (من الأفعال) (ومن الأسماء) :
(من الأفعال) (من الأسماء)
سحنو : سحن حرثو : حرث
صرمو : صرم (قطع) ايلو : يلد
قلفو : قلف (قشر) ملاحو : ملاح

على حين نجد الفتحة في السريانية الشرقية - العراقية بوجه عام - هكذا :

ايدا : يد .

حروتا : حرية .

ملاحو : ملاح .

وأما في السريانية الغربية - الشامية بوجه عام - فكانت تنطق حركة آخر الاسم بين الفتحة والضممة هكذا :

ايدو (ido) .

حروتو (hjrou) .

وفي الغربية نجد الضمة أقوى الحركات فالذين يتكلمونها كانوا أكثر عددا وأعز جانباً من الجماعات الأخرى ، ولذا اقتصت بالمسند إليه حتى المفعول به مازال يرفع إذا تألفت الحملة منه ومن الفعل (في حالة المبني للمجهول) . أما إذا اجتمع الفاعل مع اسم آخر في الحملة الفعلية ، فإن الفتحة هي التي تتولى الاسم الطارئ ، من المفعولات والحال وغيرها . أما حالة الجر فهي التي تنحصر في الإضافة وبضعة حروف .

وخلاصة رأى الباحث في حركات الإعراب أنها ليست إلا رواسب تطويرية من الهمزة في مختلف حالاتها النطقية : آ . أو ، إي . ثم تغيرت وظيفتها . ومما أكثر الرواسب في حياة البشر الاجتماعية واللغة لا تشد عن هذا الباب ، فهي كائن حتى من جهة ، واجتماعي من جهة أخرى . ومن الرواسب اللغوية زوائد متخلفة من عهد تطوري كانت لها فيه وظيفتها ، ثم تقلبت الأحوال ففقدت وظيفتها أو اعتاضت

عنها بغيرها ، وضرب الباحث عدة أمثلة من عالم الحياة في المجتمعات والطبيعة وعالم الجغرافيا^(١) :

والذي أراه أن الباحث يبدى تفسيرات جزئية لاقدرة لها على إبراز رأى عام ، أو فكرة مكتملة ، كما أنه لم يستطع البرهنة من التراث القديم لتأييد فكرته ، والحق أن بعض القدماء من علماء العربية أشار إلى ما يمكن أن يكون علاقة لما بين الهمزة—حين أغلقت المقطع المفتوح آخر الكلمة—والإعراب ، ففي كتاب سيديويه : وزعم الخليل أن بعضهم يقول : رأيت رجلاً فيهمز^(٢) . وفي الخصائص أن ابن جنى عزا لبعض العرب همز الألف في الوقف مثل : هذه جبلاً ، وهذا سييلهم وعادتهم حيث يقولون : رأيت رجلاً ، وهو يضر بها^(٣) والهمزة في : رجلاً إنما هي بدل من الألف ، التي هي عوض من التنوين في الوقف ، كما أنها أقفلت المقطع المفتوح ، وربما كان سر هذا أن الألف تهوى في الفم فأخرها عند أول الهمزة ، فلما كانت تنقطع عند الهمزة جيء بالهمزة مكانها .

وأرى أن الهمزة تحتاج إلى دراسة واعية لبيان تأثيرها في القضايا اللغوية بنظرة أشمل وأوسع . وإذا كانت الهمزة هي الأصل كما يرى الباحث في قضية الإعراب ، فإنها كذلك أصل للضائر ، بدليل أن الضمير (نحن) كان ينطق في الماضي السحيق بهمزة في أوله ، وهو كذلك في العبرية والأرامية القديمة والآشورية ، وضمير الغائب (هو) كان أصل هائه همزة ، واللغات السامية كثيراً ما تحول الهمزة إلى هاء . فالـ التعريف في العبرية هي (هل) ثم لحق اللام إدغام فبقيت الهاء وحدها ، وهل — لغة في — أل عند بعض القبائل العربية^(٤) ، كما أن صيغة أفعل العربية تقابل صيغة : هفعل في اللحيانية القديمة^(٥) .

كما أن الباحث في النهاية تورط حين عقد صلة بين الساميات واللاتينية في بعض علامات الإعراب .

وخامساً : تقوم هذه الفكرة على أن العرب جعلوا عناصر الجملة مشابهة لعناصر بيت الشعر . فخصوا الضمة بالعمدة ليكون مرفوعاً (كالعقاد) في الخيمة ، والكسرة بالوسيط

(١) انظر مقال الأستاذ عبد الحق فاضل بعنوان (أسرار الضائر) بمجلة اللسان العربي عدد : ٥ في أماكن متفرقة .

(٢) الكتاب ٢ / ٢٨٥ بولاق .

(٣) الخصائص ٢ / ١٧ سر الصناعة ١ / ٨٤ .

(٤) ومن تبادلها : لإبرية : هبرية ، اياك : هياك ، هيا : من حروف النداء : أيا ، أرحت : هرحت . أما والله : هما والله . درأ علنا : دره علينا . بمعنى طلع . لإبدال أبي الطيب ٢ / ٦٨٨ فما بعدها . دمشق . وكتاب الإبدال لابن السكيت ٨٨ ، ٨٩ تحقيق د . حسين شرف . القاهرة .

(٥) لغات النقوش ، مؤتمر مجمع اللغة العربية . الجلسة ٦ مارس ١٩٦٢ .

ليكون مجرورا (كالظن المشدود) والفتحة بالفضلة ، إشعارا بضآلة الدور الذي تؤديه في قيام الحملة الصحيحة . شأنها في ذلك شأن (الأوتاد الصغير) .

ولعل صاحب هذه الفكرة ينظر لنشأة حركات الإعراب بما كان من أمر الخليل ابن أحمد عندما وضع علم العروض حين استمد مصطلحاته (الأوتاد والأسباب والفواصل) من عناصر خيمته الشعرية . (والحركة) النشطة هي عماد الحياة البدوية والرعوية ، وفي نظر الباحث أن الحملة العربية وضعت على مثال (الخيمة) العربية . فإذا كانت الخيمة تحتاج إلى مادة أساسية هي (النسيج والجلد) فإن الحملة كذلك تحتاج إلى مادة أساسية هي (الفعل أو ما في معناه) وكما احتاجت الخيمة بعد قيامها إلى عناصر ثانوية لتثبيتها هي (الظن والأوتاد والأسباب) فالحملة كذلك تحتاج إلى ما يشبه هذه العناصر الثانوية في شكل حروف وأسماء مجرورة ومنصوبة .

ويحاول الباحث^(١) أن يكشف عن سر حركات الإعراب بربطها بالتمالية ، فالعماد للفعالية الشديدة التي تقابلها حالة الرفع في الأسماء ، والوسيط للاسم المجرور ، والفضلة لكل ما عدا ذلك . أما في الأفعال الفعالية الشديدة تقابلها حالة الرفع والفعالية الخفيفة

تقابلها حالة انصب . وانعدام الفعالية تقابلها حالة الحزم .

وفكرة الباحث عن حركات الإعراب تتأثر في جانب منها بالأسس التي ابتغى إبراهيم مصطفي ، وفي بعضها الآخر بالقدماء ، وجانب منها يحيطه الغموض وانوهن . كما أنها مغرقة في التشبيه حين ربط العلامة الإعرابية بغيرها من ظواهر الحياة المتبدية .

وسادساً : كما أن بعض الدارسين يرى ربطا بين الحركات في العربية وبين الإنسان في عالمه فهو إما مؤثر وإما متأثر، أو إما أن يقوم بالحركة بنفسه وإما أن تحصل له من غيره ممن يعيش معه ، أو من عناصر الطبيعة من : رعد ومطر ونار . . . والعرب لما رأى في عالمه أبجداً ثلاثة بنى لغته على ثلاث حركات أيضاً :

١ - حركة الفتح ، أي التأثير على العالم الخارجي . وهو عمل صادر عن الإرادة مثل : ضرب وقتل وخرج وقطع ، وأكل . وفتح ، ودخل ، وكلها أفعال مفتوحة العين ؛ لأن الفتحة تدل على العمل الصادر عن الفاعل بإرادة منه حقيقة أو مجازاً .

٢ - ثم حركة الكسر أي التأثير الذي يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجي . فالكسر والخسر والتقصير والخزل كلها بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور . فالفعل المكسور العين يدل على كل ما يحصل

(١) انظر : المفتاح لتدريب النحو : ١٦٩ فا بعدها . محمد الكسار . دمشق .

للفاعل بدون إرادة منه حتمية أو مجازاً
مثل : مرض وحزن وعطش وعلم وفرح .
وسقم وغرق وجزع » .

٣ - ثم حركة الضم (والطم والتم)
وكلها تدل على التجمع والكثرة والدوام
والثبات ، مثل : حسن وكبر وصغر وقرب
وشرف . وكلها بمعنى حصول الشيء للفاعل
لاحصولاً طارئاً أو مؤقتاً .

ثم ينتقد الباحث فكرة الثقل والخفة في
الحركات عند القدماء ، ويرى أنها فكرة
ناقصة لأنها مبنية على ظاهر اللفظ لا على
باطنه المحرك الذي هو النشاط العصبي الدماغى
بالنسبة إلى تحكم الإنسان في كلامه^(١) .

وعلماء العربية يرون أن الضم أثقل وأقوى
من الكسر والفتح^(٢) ، ولهذا كان الضم قوة
لأنه علامة الإسناد الذى يحقق الارتباط بين
المسند والمسند إليه ، وأن الفتحة أعذب أخواتها
وألينها وأخفها ، أما الياء فضعيفة بالاستعمال
والرخاوة . ويقول ابن الجزرى^(٣) « وأسفل
المستفلة الياء » وقد ساق ابن جنى في المختص^(٤)
نصاً دقيقاً بيّن فيه كيف تؤثر الصيغة حركة
على أخرى كما ازدادت الحركة شها بالمعنى .
وهو فى هذا لا يقل لهما عن المحدثين من
علماء اللغة فى الحركات وصلاتها بالمعاني

ومساوقتها لها . يقول ابن جنى : غلا فى
(قوله) : غلوا ، وغلا (السمر) : يغلو غلاء .
فصلوا بينهما فى المصدر ، وإن اتفقا فى
الماضى . . . فلما اتفق اللفظان والمثلان فى
الماضى والمضارع خالفوا بين مصدريهما
ليكون ذلك الخلاف بين مثاليهما أنفسهما
فقالوا غلوا وغلاء^(٥) . نعم ، وخصوا
(غلا) فى (القول) بالغلوا لأن لفظ (فعول)
أقوى من لفظ (فعال) للواوين والضمتين ،
وضعف الألف والفتحتين . وذلك لأن الغلو
فى (القول) أعلى وأعنى عندهم من (غلاء)
السمر ، ألا ترى إلى قول الله تعالى « تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر
الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا » وقال
تعالى « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم »
وأما غلاء السمر فلا يدخل النار ولا يحرم
الجنة .

ثم إنهم قالوا : غات القدر تغلى غايانا -
فلما صغر هذا المعنى فى أنفسهم أخذوه من
الياء ، لأنها تنحط عن الواو والضمة إلى
الياء والكسرة ، (أى فى المضارع : تغلى) .
فإن قلت : فقد قالوا : علوت فى (المكان)
أعلو علوا ، وعليت فى الشرف علاء
فجعلوا الشرف دون ارتفاع النصبة . قيل
لم يجف الشرف عندهم ولا تبشع تبشع الكفر

(١) اللسان : المجلد : ١٠ الجزء الأول ص : ٧٠

(٢) المختص ٢ / ٢٩٩ ط المجلس الأعلى ، والإنصاف ١ / ١٤ ط ٤ ، وأسرار العربية لابن الأنبارى ص :

٣١ والتصريح : ١ / ٥٩

(٤) ٢ / ١٣٩

(٣) النشر : ١ / ٢٠٢

(٥) المختص : ٢ / ١٣٩ ط المجلس الأعلى .

والغلو في القول المعاقب عليه والمنهى عنه
فلان جانبه ونعم وعذب في أنفسهم فبنوه
على (فعل) لتقلب الواو ياء ، ومصدره
على (الفعال) لعذوبته بالفتحتين والألف .

وابن جنى ينصح الباحث عندما يقبل
على تلك الدراسة أن يكون رقيقاً رقيقاً
حيث يقول : « وهذه أماكن إن رفقت
بها ، وسانيئتها وتأنيتها ... أولئك جانبها
وأركبتك ذروتها وقبالتك لها ضعيفاً وبسطتلك
يداً وسيفاً ، وإن أخذت بها إلى ضد
هذا أخذت بك إلى ضده ، فتلافياً ورفقاً
لا مغالاةً ولا خرقاً (١) .

ولهذا لم يوفق الباحث حين وجه نقده
إلى علماء العربية ظاناً أن (الحركات) عندهم
مبنية على ظاهر اللفظ وحده كما يقول ؛
فنص ابن جنى السابق يلحظ بالحركات
أدق الخليليات وأخفى الأسرار حين جعل
الصيغة تؤثر حركة على أخرى كلما ازدادت
الحركة شها بالمعنى ، يؤكد ذلك ما رواه
الجاحظ من أن الناس سمعوا ابن ضحيان
الأزدى وهو من أشرف قومه يقرأ «قل
يأيا الكافرون» «قل يأيها الكافرين» فلما
سئل عن ذلك اللحن قال لسائله : إني أعلم
القراءة في ذلك ولكنني لا أجل أمر الكفرة .
وكأنه يشير إلى حالة الحذف وهي أدنى

أحوال الإعراب ومراتبه لأن الاسم فيها
يكون في أدنى منزلة من الكلام ، بعكس
الرفع فهو عند النحاة أعلى مراتب الإعراب
وأسناها ولا كيان للكلام بدونها ولا غناء
له عنه أليس كما يقولون إنه «علم الإسناد»
وكان ابن يعيش يسميه «أول الحركات» (٢)
فذهب العرب في الحركات والحروف مبنى
على الحس وقائم على (نظرية التأثير) حيث
رأى النحاة في الكلمة المفردة تفاعلاً ، يقول
الخليل « إن بعض الحروف أشد من بعض
وأقوى جرساً ، فإذا اجتمع حرفان قدموا
الأقوى» . ويقول سيديويه : «واللحرف الأقوى
تأثير في الضعيف حتى إذا قدم عليه فلا
يزال يؤثر فيه حتى يزحزحه عن مخرجه
الأصلي ويحوّله إلى حرف أقرب ما يكون
إليه (٣) » .

كما رأى النحاة في الجملة أن كلماتها
يتأثر بعضها ببعض ، فالكلمة تعمل في
جارتها الرفع أو النصب أو الجر ، وهذا
التأثير في الكلمة المفردة أو الجملة هو
مفتاح صناعة الإعراب .

ويقول عالم مصري وهو ابن بابشاذ
(توفي ١٠٧٧م) الدلالة دالتان - دلالة تدل
دلالة الذات ودلالة تدل دلالة الإعراب ،
فدلالة الذات هي التي تدل على ذات الشيء في

(١) المحتسب ٢ / ١٤٠ ط المجلس الأعلى وانظر كتابنا « نحو القلوب : ١٧٥ ط تونس » .

(٢) شرح المفصل ٣ / ٨٦

(٣) الكتاب : ٢ / ٢١٥

ولكن هنا ضاع الزمن وضاع الإسناد فانتقل من الإخبار عن زمن خاص ومخبر عنه خاص إلى التكلم عن النفس ، ولذلك قالوا : إن هذا الأسلوب إنشائي وهو لا يتصرف تصرفاً تاماً (٥) .

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم » فمن رواه جزماً أو جيب ظاهر الكلام للقرشي ألا يقتل إن ارتد ولا يقتص منه إن قتل ، ومن رواه رفعاً التأويل إلى الخبر عن قریش أنه لا يرتد أحد منها عن الإسلام فيستحق القتل .

ولو أن قارئاً قرأ : فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون . . . وترك طريق الابتداء بإناء ، وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب أن بالقول كما ينصبها بالظن لقلب المعنى عن جهته وأزاله عن طريقه وجعل النبي (ص) محزوناً لقولهم : إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، وهذا كفر ممن تعمدوا وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به (٦) .

فإذا قلت : هذا كريم أحسن منه عالم . فإن رفعت كريماً وعالمًا كان المراد بهما شخصين اثنين أحدهما كريم والآخر عالم ،

نفسه ، ودلالة الإعراب هي التي تدل على عوارضه التي تعرض فيه ألا ترى أنك إذا قلت : ما أحسن زيداً ، يفهم من زيد معنى الشخصية وهي ذاته ولا يعرف ما قصدت من المعاني من : نبي الإحسان عنه أو إثباته الحسن له ، أو الاستفهام عن ذلك فإذا أردت إثبات الحسن على طريق التعجب قلت : ما أحسن زيداً - بالنصب ، وإذا أردت الاستفهام جررت زيداً ورفعت أحسن فقلت : ما أحسن زيد ، فهذه معان ثلاثة لم يفرق لك بين كل واحد منها وبين الآخر إلا الإعراب (١) .

فالعلامة الإعرابية قرينة تدل على الكلمة لتدل على معنى العسمية والفضلية والإضافة (٢) ، ويردد ابن يعيش رابطاً بين حركة الإعراب ووظائف الكلمات في التركيب فيقول « وكل واحد من الرفع والنصب والخبر علم على معنى من معاني الاسم التي هي الفاعلية والمفعولية والإضافة (٣) .

ولو أن علامات الإعراب لا تدل على معنى بلحيدت كما جمده اسم الإشارة (حينئذ) و(نعم وبئس) فلا يقال : ينعم لأن أصل الفعل يدل على الحدث في الماضي

(١) شرح المقدمة النعوية لابن باب شاذ ص : ٧٦ تحقيق الدكتور أبو الفتوح شريف ط ١٩٧٨ .

(٢) شرح الكافية : ٢٠ / ١ .

(٣) شرح المفصل ١ / ٧٣ .

(٤) مجلة المجمع : ١٠ / ٥٣ .

(٥) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة « ص ١١ فا بعدها ، تحقيق السيد صقر .

ولكن العالم أحسن من الكريم ، وإذا نصبتهما
كانا شخصا واحدا عالماً وكريماً لكنه في
كرمه أحسن منه في علمه .

فالنصوص السابقة لم يتغير شيء من
تركيبها غير علامات الإعراب ، ولكن
المعنى التركيبي قد تغير ، فترك الإعراب
يوقع السامع في الاشتباه واللبس في فهم
الجملة .

سابعاً : نظرية تضافر القرائن :

ونحدد معالم هذه النظرية فيما يلي :

(1) أن العلامة الإعرابية قاصرة عن التفريق
بين المعناني ، فليس الفرق بين الحال
والتمييز إلا أن أحدهما مشتق والآخر جامد
أما الحركة فواحدة فيهما فلا يمكن التفريق
بينهما بها ، وما كان للفتحة هنا أن تفرق بين
المعنيين لوجودها في كلتا الحالتين ، فكان لا بد
من الاستعانة بوسيلة أخرى تميز عجز
العلامة الإعرابية . والعلامة الإعرابية
لا تستطيع أن تفسر لنا كل ما حمل عليها ،
وإلا فما دور العلامة الإعرابية في :

الأسماء المفردة المضافة لياء المتكلم ، والأسماء
المقصورة وهي لا تظهر عليها علامات الإعراب
والأسماء المنقوصة في حالتها الرفع والجر؟
وما دور العلامة الإعرابية في اتفاق أكثر من
حالة في علامة إعرابية واحدة ، كاتفاق
الفاعل والمبتدأ والخبر واسم كان ، وخبر إن ،
واتفاق المفاعيل كلها والحال والتمييز واسم
إن وخبر كان ، والمنادى غير المفرد العلم

في النصب واتفاق المضاف إليه والاسم
المجرور بحرف الجر ، وتبع المجرور في
الجر فهنا العلامة الإعرابية وحدها قادرة
على التمييز بين هذه المعاني ؟

والحقيقة أن العلامة الإعرابية وحدها
لا تنهض العبء الملقى عليها ، ودر في الواقع
نتيجة قرائن أخرى ، لأنها بطيها حقها من
الاهتمام حرصاً على العلامة الإعرابية ،
فالإعراب واحد من الأشياء التي تحدد
المعنى الرظيني وليس وحده الذي يحدد
المعنى .

والإعراب في بعض الحالات قد لا يكون
فاصلاً بين المعاني . وهنا نلجأ اللغة إلى
وسائل أخرى للفصل بين المعاني ، وقد
ذكر ابن جني منها :

الرتبة : أي التقديم والتأخير والمطابقة
والسياق ودلالة الأحوال ، ربن ابن
جني أن كلا من هذه علامة تقوم مقام
الإعراب في الفصل بين المعاني ، وفي هذا
يقول ابن جني : « فإن قلت : فتد تقول
ضرب يبي بشرى فلا تجيد هناك إعراباً
فاصلاً ، وكذلك نحوه ، قيل : إذا اتفق
ما هذه سبيله بما يخفى في اللفظ ، أليس
الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول
ما يقوم مقام بيان الإعراب ، فإن كانت
هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع
التصرف فيه بالتقديم والتأخير نبي : أكل
يحي كترى : لك أن تقدم وأن تؤخر

أحكام اللسان» . ومعنى كلمته القيمة أن الإعراب ليس كل شيء في أحكام اللسان^(٢) .
والحق أن الانصراف إلى العلامات الإعرابية وحدها - هو الذي أدى إلى ما صار إليه أمر النحو من تعقيد .

إن الحالات التي تفقد فيها العلامات الإعرابية وظيفتها في الدلالة على المعاني الوظيفية تتخذ لها اللغة وسائل أخرى هي التي تسمى (بالقرائن) تعين على جلاء المعنى ، ومبدأ (القرائن أو تضافر القرائن) أشار إليه أسلافنا النحاة^(٣) ، كما أشار إليها ابن خلدون يقول : لم يفقد منها (لغة هذا العهد) إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا عنها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد ، لأن الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها ، ويبقى ما تقتضيه الأحوال ويسمى (بساط الحال) محتاجا إلى ما يدل عليه ، وكل معنى لا بد وأن تكتنفه أحوال تخصه ، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود ، لأنها صفاته . . .
وأما في اللسان العربي فإنما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة إعراب ، وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة^(٤) .

كيف شئت ، وكذلك ضربت هذا هذه ، وكلم هذه هذا ، وكذلك إن وضع الغرض بالثنائية أو الجمع ، جاز لك التصرف ، نحو قولك : أكرم اليحيى البشريين ، وضرب البشرين اليحيون ، وكذلك لو أمأت إلى رجل و فرس ، فقلت : كلم هذا هذا فلم يجبه ، جعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت ، لأن في الحال بيانا لما تعني ، وكذلك قولهم : ولدت هذه هذه . من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة غير منكورة ، وكذلك إن ألحقت الكلام ضربا من الإتياع جاز ذلك التصرف لما تعقب من البيان ، نحو : ضرب يحيى نفسه بشري ، أو كلم بشري العاقل معلى ، أو كلم هذا وزيدا يحيى^(١) .

فتلك القرائن الكثيرة في النص السابق تغنى عن قرينة الإعراب ، كما أن المعاني تحتاج في الكشف عنها إلى قرائن أخرى غير الإعراب وحده ، والعلامة الإعرابية قرينة من القرائن اللفظية في الجملة ولكن النحاة نسبوا كل تغير في المعنى في مستوياته المختلفة إلى تغير العلامة الإعرابية فأعطوها بذلك اهتماما فوق ما تستحق .

وكان ابن خلدون على حق عندما وصف الإعراب في عهده بأنه « بعض

(١) الخصائص ١ / ٣٥ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ١٣٩١ تحقيق وافي ط ٢ .

(٣) شرح المفصل ١ / ٩٤ ، شرح الكافية ١ / ٧٢ . الأشياء والنظائر ١ / ٢٦٦ .

(٤) الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون - ١٥٠ د . محمد عبد .

وليست الأحوال والكيفيات في تراكيب الألفاظ إلا القرائن التي منها : التقديم والتأخير وهي قرينة الرتبة ، والحذف وهو مظهر من قرينة التضام ، وحركة الإعراب وهي قرينة العلامة الإعرابية ، والحروف غير المستقلة وهي قرينة الأداة . ويقول ابن خلدون في موضع آخر : ولا عبرة بقرواين النحاة في ذلك ، وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم ما عدا حركات الإعراب في آواخر الكلم ، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر (ساكنة) ويتميز عندهم الفاعل من المفعول ، والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب (١) .

فحركات الإعراب عنده يستغنى عنها بالقرائن ، والقرائن معنوية ولفظية ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة على جانب من الأهمية أهملت فيها العلامات الإعرابية اعتماداً على غيرها من القرائن (٢) .

بهذا ظهر أن العلامة الإعرابية وحدها لا يمكن أن تكون محط التمييز بين المعاني المختلفة وأنها وحدها لا تكفي في كشف العلاقات

وتحديد المعنى الوظيفي ، وذلك أن الكلمات المقصورة أو المحكية تختفي فيها دور العلامة الإعرابية ، كما أن العلامة الإعرابية قد تسقط ترخفاً عند أمن اللبس ، لأسباب صوتية أو تناسق موسيقى .

هذه النظرية السابقة نسج خيوطها ، وكون لحمها وسداها ، وكان صاحب الفضل في لمحها والتخطيط لها العالم الحاد الدكتور تمام حسان ، فكان جريئاً في أدب ، فاصلاً في رفق ، بالغاً محزاً الصواب في غير التواء (٣) .

وقد نلخص هذا العالم ما قام به حيث :
(١) أحصى القرائن النحوية معنوية ولفظية ، وتقديم دراسة لكل واحدة منها .
(٢) إنشاء مبدأ هام وهو مبدأ تضافر القرائن .

(٣) إنشاء مبدأ آخر أهم وهو جواز إهدار القرينة عند أمن اللبس .
(للبحث بعمية)

أحمد علم الدين الجندى

(١) المقدمة ٤ / ١٤٣٦ فا بعدها تحقيق د . وافي ط ٢ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٥ .

(٣) انظر كتابه : «اللغة العربية معناها ومبناها ، والقرائن النحوية» ، وهو بحث نال به الدرجة الأولى من المكتب

الدائم للتعريب بالرباط

في إعراب وسكراة

(٣)

للكبير احمد علم الدين الحنفي

- ١- قول الله تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة » (٣) .
- ٢- وقوله جل شأنه : « قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا » (٣) .
- ٣- وقوله عز وجل : « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » (٤) .
- ٤- وقوله تعالى : « واذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى » (٥) .

فالفتحة في الآية الأولى علامة إسناد في (مثلا) بدليل أن المعنى لا يتم لو حذف (مثلا) شأنها في ذلك مثل قوله تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له » (مثلا) في الآية هذه مسند إليه ، وهو مرفوع ، كما أنه مسند إليه في الآية الأولى وهو منصوب ، وفي الآية الثانية مناط الإسناد فيها الظرف وهو منصوب كذلك ليلا ونهارا .

الأقدمون من علماء العربية يرون أن كل

كان

واحد من الرفع والنصب والجر عام على معنى ، فالرفع عام على الفاعلية والإسناد . . . والنصب عام على المفعولية ، والجر عام بالإضافة (١) .

وملاحظتنا على رأى القدماء هي :

أولا :

إن المتبع لنصوص العربية يرى أن المسند إليه في الجملة ليس كون الكلمة مبتدأ أو فاعلا ، وليس كونها مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة ، وإنما الذى يحدده هو المعنى وحده ، ولهذا يمكن أن تكون الفتحة علامة إعراب ، بل علامة إسناد كالضممة ، وهذا ما لا يراه علماؤنا القدامى . وانظر النصوص الآتية :

(٢) سورة النمل الآية : ١١٢ .

(٤) سورة النمل الآية : ٥٢ .

(١) شرح المفصل ٧١/١ فا يعلما .

(٣) سورة نوح الآية : ٥ .

(٥) سورة النساء الآية : ١٤٢ .

وفي الآية الثالثة نجد مركز الدائرة ،
والمقصود الحقيقي بالإسناد هو (الحال)
خاوية ، وهي منصوبة كذلك ومفاد المعنى
استنباط العبرة من خواء البيوت ، لامن
كونها موجودة ، إذ كان الخواء وحده
هو دليل إهلاك هؤلاء (١) .

وفي الآية الرابعة وقعت الحال عمدة ،
إذ المعنى كما ترى يتوقف عليها ويفسد
بمخالفها ، ومن هذا ترى أن المعنى هو
الذي يحدد المسند إليه من غير نظر إلى
الحركة ضمة أو فتحة ، فالحال في الآية
الثالثة يجب ذكرها ، كما يجب ذكرها
أيضا في الآية الرابعة إذ لو حذف لانهدم
المعنى ، ولأن ما يحتاج إليه المعنى كان عمدة
وإلا فلا ، دون تفريق بين مرفوع أو
منصوب . فالمفعول وغيره من الفضلات
يستوى مع الفاعل وغيره من المرفوعات
(العمد) من حيث إن كلا منهما له وظيفته
في التركيب ، فلا يغني الفاعل في التركيب
عن المفعول ، كما لا يغني العكس ، والمعنى
مع تضام المفعول يتغير قبل تضامه ، ولذلك
كان عبد القاهر الجرجاني لا يرى أهمية
لأحدهما عن الآخر ، لأن لتضام كل
منهما غرضا وفائدة ، فلا فرق عنده
بين منصوب ومرفوع ، لأن كل ضميمية

التركيب لها قيمتها المحددة بغض
النظر عن كونها عمدة أو فضلة (٢) فالرفع
ليس علم الإسناد وحده ، بل وجدنا
كلمات غير مرفوعة يسند إليها مثل :
اسم إن واسم لا ، فإنهما غير مرفوعين
مع أنهما مسند إليهما ومتحدث عنهما . كما
أن من المرفوعات كلمات لا يسند إليها
أهـ يتحدث عنها كالمنادي - فإنه مرفوع
في بعض أحواله ، وهو غير متحدث عنه ،
فنوع الحركة لا قيمة له في الإسناد وسواء
كانت موجودة أو غير موجودة . انظر
قوله تعالى : « فأوجس في نفسه خيفة موسى »
فالإسناد لا يتم إلا بتام الكلمتين (خيفة)
و(موسى) إذ المعنى لا يتم إلا بهما ، مع
أنه لا حركة على كلمة (موسى) فلا استدلال
بالمعنى في تحديد المسند إليه هو الأولى
والأبقى (٣) .

فالمعنى هو الذي يخصص للألفاظ مكانها
في النظام النحوي ، فإذا وجدت الإعراب
والمعنى تتجاذبان ، هذا يدعوك إلى أمر ،
وذاك يمنعك منه ، فاحتكم إلى اللوق
والحس والبصيرة ، وابن جنى يدعوك
إلى التمسك (بعروة) المعنى ، وعليك أن
تلتزم تصحيح الإعراب (٤) إذا كان

(١) مجلة المربد ص ١٢٤ سنة ١٩٧٠ م .

(٢) التضام في النحو العربي ١١٩ رسالة ماجستير بدار العلوم تأليف محمد صلاح الدين .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٤) الخصائص ٢٢٥/٣ .

التي تقاس بها الأشياء ، وشهادة المعنى دائماً أصدق من شهادة الحس .

والنحاة المتأخرون كانوا يفرقون بين العمد والفضلات ، فالعمد ركن الإسناد ، وما عداها تبع لها ، ولا بد من وجودها في الجملة لتؤدي معنى تاما ، فإذا لم يوجد العملة وجب تقديره ، أما الفضلات فاسمها يدل على قلة خطرهما في المعاني والأغراض ، يؤكد ذلك قول ابن يعيش :

« اعلم أنه قدم الكلام في الإعراب على المرفوعات لأنها اللوازم للجملة والعمدة فيها ، والتي لا تخلو منها ، وما عداها فضلة يستقل الكلام دونها(٤) » .

فابن يعيش وغيره من النحاة المتأخرين يفرقون بين المرفوعات والمنصوبات ، والعمد والفضلات ، أما في أول عهد النحو ونشأته فأم تكن التفرقة واضحة ، ودليلنا على ذلك أن سيبويه كان يسمي النائب عن الفاعل بالمفعول ، والمبتدأ والخبر في باب (ظن) بالمفعولين ، ويطلق لفظ الخبر على الحال(٥) .

كما أن المفعول به في صيغة التعجب عمدة إذ حذفه ينحل بسلامة التركيب ، وعلماء البلاغة يرون أن متطلبات الموقف اللغوي هي التي تحكم على ما يسمى عمدة أو فضلة ، فإذا

الإعراب مخالفا لتفسير المعنى ، ومما يصور تشاحن الإعراب والمعنى قول النحاة : « هذا تفسير معنى لا تفسير إعراب(١) » وكثيرا ما يقول ابن هشام : « وهذا تقرير لأجل الصناعة دون المعنى(٢) » .

وعبد القاهر الجرجاني سن سنة في الدراسات النحوية تجاوز بها علامات الإعراب إلى ما وراءها من وضع الكلمة في الجملة ، وموضع الكلمة من الحمل فكان نحوه نحواً من معاني البلاغة . وإذا كان صاحب الإعراب يعتمد على عقله ، فإن صاحب المعاني يعتمد على ذوقه وكشفه ، وهذا أبو علي الفارسي النحوي قد كان كثيراً ما يتردد في التوجيه النحوي بين الإعراب والمعنى أو بين النحو والذوق ، وكان يقول : (قسمة الأعشى) يريد بيته المشهور :

فقال ثكل وغدر أنت بينهما
فاختر وما فيهما حظ لمختار(٣)

والفرق بينهما أن تقدير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية ، وتقدير المعنى لا تضره مخالفة ذلك . والنحوي الذي يرى وجها من الإعراب بعيدا عن المعنى هو نحوي لم يتمثل غايته ، ولم يعرف صناعته ، إذ المعاني هي المقاييس الحقيقية

(١) منى اللبيب ١٦٧/١ تحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد ، والأشياء والنظائر للسيوطي ١٧٦/٢ ط

(٢) المعنى ٢٢٩/١ .

(٣) انظر كتابنا « نحو القلوب الصغير » ٢٠٤ ط تونس .

(٥) الكتاب ١٤/١ ، ١٨ ، ١٩ .

(٤) شرح المفصل ٧٤/١ .

اقتضت ظروف القول أن يذكر المفعول فلا بد من ذكره ، وإلا صار الكلام مخلواً من الفائدة . والمهم عندهم المعنى والإفادة سواء حصلت بوجود ركني الإسناد (الفعل والفاعل ، المبتدأ والخبر أو أحدهما) أو بإحدى المكملات دون وجود أحد طرفي الإسناد فقد جاءت الإفادة بالمصبر وحده دون إسناد شيء آخر إليه ، وأغنى عن الفعل وفاعله في قولك : شكرا وحمدًا^(١) كما أن بعض الجمل يتكون من كلمة واحدة ، تؤدي معنى كاملاً كقولنا : لا ، صه ، وأسفاه ، فقد أفادت دون حاجة إلى تقدير ركن أو إسناد ، كما أن الواقع اللغوي يؤول إلى الفائدة بالنطق ببعض الصيغ : كالحال وحده أو التمييز كذلك دون وجود المسند والمسند إليه .

وترتب على فهم النحاة أن اعتبروا الفاعل من حيث كونه ركناً في الإسناد أقوى أصالة من المبتدأ والخبر ، لأنهما يجوز حذفهما ، أما الفاعل فلا يجوز حذفه لأنه أصل (العمدة وأشرفها) .

والقول بالقوة والضعف ، والشرف والنحسة ليس من منهج النحو في شيء
وحسبنا أن تعبر اللغة العربية عن الفاعل بالاسم المرفوع وترك ما وراء ذلك من الأوهام والظنون :

ثانياً :

إذا كان النحاة ، يرون أن الرفع علم الفاعلية ، والنصب علم المفعولية ، والخبر علم الإضافة ، فإننا نرى أن هذه العلامات الثلاث غير كافية للتعرف على وظيفة الكلمة في الجملة ، وكان على النحاة إيجاد علامة رابعة لمعنى المشاركة والمطاوعة : وبيان ذلك :

إذا قلت : نازع خالد علياً - فكل منهما فاعل ومفعول به في وقت واحد فلماذا وقعت (خالد) ، لأنه فاعل ، فلماذا لم تنصبه ، لأنه مفعول به في الوقت نفسه ؟ وإذا نصبت (علي) ، لأنه مفعول به ، فلماذا لم ترفعه ، لأنه فاعل في الوقت نفسه ؟

وإذا قلت : تنازع خالد وعلياً - فرفعتهما ، لأنهما فاعلان ، فلماذا لم تنصبهما ، لأنها مفعولان في الوقت نفسه ؟ تلك هي المشاركة ؟

أما المطاوعة فكقولك : شعبت الزبجاج فانشعب الزبجاج ، وقدت الجواد فانقاد الجواد ، فهنا فعلان : الأول - قدت وهو المتعدي ، وفاعله المتكلم ، وأثره القيادة ، والثاني - انقاد وفاعله الجواد ، وقد حصل له أثر القيادة وهو الانقياد .

(١) التمام في النحو العربي ٢٧٩ ، ٢٨٢ .

وكل من الزجاج والحواد فاعل ومفعول
في وقت واحد ، فإن رفعناهما ، لأنهما
فاعلان ، فلماذا لم فنصبهما ، لأنهما
مفعولان ؟ وفي كتب التراث أمثلة صالحة .
لهذا :

١ - يقول الشاعر يصف أفعى :

قد سالم الحياتُ منه القدمَا

الأفعوانَ والشجاعَ الشَّجَعَا (١)

برفع الحيات ونصب الأفعوان ، ورواية
أخرى بنصب الحيات والقدم معا ، لأن
كل واحد منهما مفعول بالآخر ، فالحيات
مسالمة ، كما أن القدم مسالمة ، فكل
منهما صالح للفاعلية والمفعولية ، والذي
يصحح لك هذا المعنى قوله (سالم) ،
لأن (فاعل) لا يصح إلا من اثنين
- على سبيل المقابلة - فكأن الحيات
وإن كانت مسالمة أن تداس فكذلك
القدم من أن تؤذى ، فعلى هذا
يتوجه نصب الحيات ، وما بعدها نصب
على البذل ، ولو رفع الحيات بفعلها ،

ونصب الأفعوان ، بإضمار فعل كان
جائزاً (٢) .

٢ - وقول أوس بن حجر (٣) :

تواهى رجلاها يداها ورأسه

لها قتب خلف الحقيبة رادفُ

فجعل كل واحد يفعل بصاحبه ، لأن
اليدين مواهقتان ، كما أنهما مواهقتان وباب
المفاعلة يكون من اثنين ، كل واحد منهما
يفعل بصاحبه وهو كقولك ؛ قاتل زيد
عمرو ، لأن كل واحد في المعنى فاعل بصاحبه
وفي شرح أبيات سيويه للنحاس (٤) : رفع
الرجلين واليدين ، لأن كلا منهما قدواهى (٥)
الآخر ، فهما الفاعلان ، ولولا ذلك لنصبهما
جميعاً .

ولهذا كان على النحاة وضع علامة إعرابية
لتلك الحالة الحديدية التي تخاط فيها الإعراب
وماع واضطرب ، إذ الأصل في الإعراب
أن يلزم مهيباً واحداً ، والدليل على هذا
التخليط أن الشاهدين السابقين وغيرهما تراها
حيناً في كتب الضرورة ، وحيناً يجزونها

(١) يصف رجلاً بخشونة القدمين وغلظ جلدهما فالحيات لا تؤازر فيهما . والشجاع ضرب من الحيات .
والشجيم : الطويل . وانظر خزانة الأدب ٥٦٩/٤ ط بولاق .
(٢) سيويه ١٤٥/١ بولاق ، ٢٨٧/١ تحقيق عبد السلام هارون . والخصائص ٤٣٠/٢ ، غير البحر للشعر
١٠٧ تحقيق د . محمد زغلول سلام ، د . محمد مصطفى هدارة . ط منشأة المعارف بالإسكندرية . ٨٠ ط تونس تحقيق :
المنجي الكعبى . والإفصاح للفاروق ٣٣٨ تحقيق سيد الأفغاني : نشرة : بنغازى ، وشرح قصيدة بانث سعاد لاين هشام
ص ٨٢ ط أولى سنة ١٣١٧ هـ .

(٣) في وصف حمار وحش يجرى وراء أتان ، فرجلاها أى مؤخرتا قوائمه توافقان يدي هذا الحمار التى
يضع رأسه خلفها في سيره . فرأسه كآله قتب لها خلف حقيبتها : أى حجزها .
(٤) ص ١٣١ ط : حلب ١٩٧٤ . (٥) التواهى : الموافقة في السير والتبارى فيه .

وأن من «كلام العرب نصب الفاعل ورفع
المفعول ، وعكس ذلك ، أو نصب الفاعل
والمفعول معا ، أو رفعهما معا ، وكل ذلك
إذا أمن اللبس (١) ، وقد سمي السيرافي
هذا : « تغيير الإعراب عن وجهه (٢) » .

ثالثا :

إن فهم القدماء من أن الرفع علم على
الفاعلية ، والنصب علم على المفعولية ، والبحر
علم الإضافة ، فهو وإن فهم على علته كان
مشتملا في طيه على ما ينقضه ، ذلك أن
الضمة إن دلت على الاستناد فإنها علامة
على عدد من الأبواب كالمبتدأ والخبر
والفاعل ونائب الفاعل واسم كان وخبر إن
ولكل من هذه الأبواب معنى وظنن مختلف
عن معاني الأبواب الأخرى ، ولو كانت
الضمة وحيدة في الدلالة على أحد هذه
الأبواب لما صح لها أن تدل - في نفس
الوقت - على الأبواب الأخرى ؛ لأن العلامة
الواحدة لا تدل على أكثر من معنى واحد
ومثل هذا الكلام يقال عن الكسرة والفتحة .

ومن هنا كان لابد أن يكون للعلامة
الإعرابية ضمام أخرى تتعاون معها على تحديد
معنى الباب النحوي الخاص ، ومن هذه
الضمام : الرتبة ، والأداة ، والبنية الصرفية
والمعنى العام ، والتطابق (٣) :

وهذا الرأي يتنى نظرية العمل والعامل
في النحو ، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن
معاني الأبواب في السياق ويفسر العلاقات
بينها على صورة أوفى وأفضل ، والخلاصة
أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو
وفهمه بدقة يقضى على نظرية العوامل (٤) .

فالقرائن عند صاحب هذا الرأي وهو
الدكتور تمام تغنى عن العوامل ، بل وتغنى
ما قالوه ، عن قوة بعض العوامل وضعفها
كما تننى التعليل والتأويل ، الأمر الذي جعل
مسائل النحو تتشعب وتزدحم وتتناقض
وليس هناك مجال لمثل هذا في حدود مبدأ
تضافر القرائن التي قال بها النحاة ، ثم إن
العوامل لا توضح إلا قرينة واحدة فحسب
وهي قرينة العلامة الإعرابية ، فكانت
الحركات قاصرة عن تفسير المعاني النحوية
والعلاقات السياقية ، فهناك الإعراب بالحذف
والإعراب المقدر للتعذر والتقل ، والمحل
الإعرابي للجمل ، وجميع هذا لا تظهر
عليه الحركة الإعرابية الظاهرة ، ويرى
الدكتور تمام أن النحاة أعطوا العلامة الإعرابية
اهتماما فوق ما تستحق ، فبنوا نحوهم كله
عليها ، وهو عمل يتسم بالمبالغة لأننا إذا
بنينا النحو عليها فقد اهتمنا بدور أحد
الممثلين على المسرح دون بقية الأدوار :

(١) شرح قصيدة بانث سعاد ٨٢ .

(٢) شرح السيرافي على سيبويه (باب تغيير الإعراب عن وجهه) ج ١ رقم ٥٢٨ بالثيمورية (نحو) .

(٣) حوليات دار العلوم ١٩٦٩ (أمن اللبس) للدكتور تمام حسان .

(٤) اللغة العربية ١٨٩ ج . تمام حسان .

من الجانب القرآني لتطبيق منهج القرائن النحوية :

وهذه نصوص تطبيقية أهملت فيها العلامة الإعرابية اعتمادا على غيرها من القرائن وقد اخترت هذه النصوص من القرآن الكريم وقراءاته ، ويمكنك أن تجد نصوصا كثيرة من الشعر والنثر على السواء :

١ - «قالوا: إن هذان لساحران»^(٤) بتشديد

(إن) وهي قراءة سبعة قرأ بها نافع وابن عامر وأبو بكر وغيرهم^(٥) ، فقد تضافت قرائن البنية والتضام والرثبة فأمن اللبس فأهدرت القرينة اللفظية وهي العلامة الإعرابية ولم يعد لها من الأهمية ما يحتم الاحتفاظ بها لتكون هناك مناسبة صوتية في هذان ساحران يريدان ؛ والقرآن يحرص عليها لأنها مطالب من مطالب الأسلوب الأدبي كما استعان القرآن بها على تأكيد المعنى بوفاء الإيقاع وكمال الموسيقى الذي تحقق بصوت المد (آ) في (هذان) ولا يتحقق بالحيف عليه وانتقاصه بالصوت (أى) في : إن هذين .

والنظرة الموسيقية تؤكد تأثير الصيغة بجرس الحروف وتناسب الأصوات ، ولا تأبه لمخالفتها قواعد النحاة الذين يعنهم الشكل والقالب دون ما وراء ذلك من : لطائف وإشارات ، وأحاسيس ، وأسرار .

ويرى الدكتور تمام أن فكرة القرائن توزع اهتمامها بالقسطاس بين (قرائن التعليق) ولا تعطى العلامة الإعرابية أكثر مما تستحق ، والقرائن جميعها مسثولة عن أمن اللبس^(١) ، وعن وضوح المعنى ، ولا تستعمل واحدة منها بمفردها للدلالة على معنى ما ، وإنما تتضافر كلها لتدل على المعنى النحوي^(٢) :

فالعلامة الإعرابية تكشف عن المعنى النحوي في حدود كونها قرينة واحدة تعمل مع القرائن الأخرى الكثيرة ، وهدف القرائن جميعها كشف اللبس عن المعنى فبدأ تضافر القرائن يفسر التعليق النحوي كله ، على حين لا يفسر العامل النحوي منه إلا قرينة واحدة هي العلامة الإعرابية .

والحق الذي نميل إليه أن العامل والإعراب هما المحور الذي تدور حوله نظرية النحاة العرب ، وأن الإعراب أثر يجلبه العامل وكان هذا مجالا خصبا للتخمين والتأويل والتخيل ، وكان هذا أيضا من أسباب نقد العلماء لنظرية العامل ، إلا أن النقاد تحبطوا كما تحبط النحاة ، فقد رفض النقاد (العامل) النحوي ، وأقاموا مكانه عاملا آخر هو (المتكلم)^(٣) ، واللغة ليست ملكا للفرد وإنما هي ملك للمجتمع .

(١) أمن اللبس في العربية محفور ، ومن ثم وضع له مايزيله . الأشباه والنظائر ١/٣٠٠ ط حيدر آباد .

(٢) انظر الخصائص ١/١٠٩ .

(٣) الإتحاف ٣٠٤ .

(٤) اللغة العربية ٢٣٢ .

(٥) سورة طه الآية ٦٣ .

هذا ، وقد استغل النحاة في تخريج الآية الكريمة مذاهب لم تخل من التعسف والتكلف منها :

(أ) أنها لغة بلحارث بن كعب وغيرهم
(ب) إن : بمعنى (نعم) .
(ج) أصلها : إنه هذان لهما ساحران .

(د) أنه لما ثني (هذا) اجتمع ألفان ألف هذا وألف الثنية فوجب حذف واحدة منهما لالتقاء الساكنين ، فن قدر المحذوفة ألف هذا ، والباقية ألف الثنية قلبها في الجر والنصب ياء ، ومن قدر العكس لم يغير الألف عن لفظها .

(هـ) أنه لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد وهو (هذا) جعل كذلك في الثنية ، ليكون المثنى كالمفرد ، لأنه فرع عايه (١) :

وقريب من هذا كله ما قاله ابن كيسان عندما سئل عنها فقال : نجعلها مبنية فقال له إسماعيل القاضي : فما علة بنائها ؟ قال ابن كيسان : لأن المفرد منها « هذا » وهو مبنى ، والجمع — هؤلاء — وهو مبنى فتحمل الثنية على الوجهين (٢) :

(و) وبعضهم يرى أن الأصل في اسم إن — الرفع ، وأنه وقع في القرآن والحديث والشعر ، وفي إعراب القرآن المنسوب للزجاج أنه وصف القراءة بأنها جاءت على الأصل الذي ينبغي أن يكون (٣)

(ز) وأخيرا يدفعون هذه القراءة ويرفضونها حين أخذوا بشبه حول كتابة المصحف وأخذوا ذلك دليلا على وقوع اللحن في القرآن مستدلين برواية سعيد بن جبير من أنه قال : في القرآن أربعة أحرف لحن : والصائبون ، والمقيمين ، فأصدق وأكن من الصالحين ، إن هذان لساحران .

وما روى من أنه لما فرغ من كتابة المصحف أتى به عثمان ونظر فيه فقال : أحسنتم وأجملتم ! ، أرى فيه شيئا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها (٤) . وهذه شبه مردودة :

وما يؤكد رفض النحاة لهذه القراءة أنهم يعدلون الشواهد الشعرية ويتلاعبون

(١) النظر : شلور الذهب ١ / ٧٤ ، وحاشية الشيخ عبادة ، والحجة لابن خالويه ٢١٧ بيروت ، المواهب الفتحية ٨٢/٢ ، الكشف ١٠٠ / ٢ مكي القيسى . دمشق تحقيق د . يحيى الدين رمضان .

(٢) ابن كيسان النحوي ١٥٢ د . محمد البنا دار الاضواء .

(٣) ٩٣٣/٣ .

(٤) النظر لإحياء النحو ٦٤ لإبراهيم مصطفي .

(٥) المقنع للداني ١١٨ ، ومعاني القراء ١٥٦/١ .

برواياتها ، لأنها أشبهت وناظرت الآية السابقة في إيقاعها النغمي ، واعتقدوا أنهم بهذا قد أراحوا أنفسهم ، مع أن الروايات المخالفة من حقها أن تعيش وأن تروى (١) .

٢- « وإذا قلنا للملائكة اسجدوا » بضم التاء ، وهي قراءة أبي جعفر إتباعا لحركة الجيم (٢) .

فقد تضافرت القرائن وأمن اللبس فأهدرت العلامة الإعرابية واستهلك الإعراب بحركة الإتياع ، والنحاة يرمون هذا الإتياع بالضعف (٣) ، على الرغم من أنه يحقق نسقا صوتيا ، ومن أجله ترخص في العلامة الإعرابية .

٣- « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله (٤) » بنصب امم الجلالة مع أنه الفاعل ، وترخص في العلامة الإعرابية لأمن اللبس ، وفهم المعنى ، يؤكد ذلك قول ابن مالك :

ورفع مفعول به لا يلتبس

مع نصب فاعل وروا فلا تقس

٤- « وأما الغلام فكان أبواه مؤمنان » وهي قراءة أبي سعيد الخدري (٥) برفع (مؤمنان) فقد تضافرت قرائن : البنية

والرتبة والتضام ، فأمن اللبس وأهدرت العلامة الإعرابية ، لتحقق نسقا صوتيا بين الاسم والخبر .

٥- « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابغون » حيث رفع الصابغون ، فقد تضافر من القرائن : التبعية ، والأداة وهي (واو العطف) فأمن اللبس وترخص في العلامة الإعرابية .

٦- « فتلقى آدم من ربه كلمات » بنصب آدم ، ورفع كلمات ، فقد تضافرت قرينة الإسناد والتعدية بين : تلقى وكلمات . فأمن اللبس وترخص في العلامة الإعرابية :

٧- « وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات » برفع إبراهيم ونصب ربه . فقد تضافرت قرينة الإسناد والتعدية ، فأمن اللبس وأهدرت العلامة الإعرابية .

٨- « إنما ينشئ الله من عباده العلماء » برفع الله ونصب العلماء . فقد تضافرت قرينة الإسناد والتعدية وأمن اللبس ، فأهدرت العلامة الإعرابية ، كما حدث الترخص في الظاهرة الإعرابية في ظواهر : الإدغام ، وإسكان آخر المعرب المتحرك

(١) انظر هذه الشواهد في سيبويه : ٢٨٧/١ ط هارون ، السان ، ٢٣٩ / ١٥ ، والشعر والشعراء ١٣٢/١ تحقيق شاکر ، مقتصدان في علوم القرآن ، كتاب المبادئ ٢٧٧ ، وابن يعيش ١٢٨/٣ ، والقرطبي لابن مطرف ١٠/٢ ، والهج ١ / ٤٠ ، والدرر الرابع ١ / ١٤) .

(٢) البحر المحيط ١ / ١٥٢ .

(٣) انظر الكشاف : البقرة آية ٣٤ .

(٤) المحجب ١ / ١٨٨ .

(٥) المحجب ٢ / ٣٣ .

ذلك : قرائن الرتبة والصيغة والمطابقة
والربط والتضام والأداة والنغمة^(٤) .

رابعاً :

أما رأى الأستاذ إبراهيم مصطفى من
أن الرفع علم الإسناد ، والكسرة علم
الإضافة والفتحة علم لما ليس بإسناد ولا
إضافة فهي ليست علامة إعراب ولا دالة
على شيء فلاحظنا عليه :

١- إذا كان للضمة عمل ، وللكسرة
كذلك ، وكل منهما يشير إلى معنى ويرى
إلى هدف ، فلماذا سارت الفتحة في
طريق مخالف عن أنحواتها ، حيث لم نجد
لها معنى ولا هدفاً ، إن الواقع والتفكير
لا يقر ذلك ، ورأى أستاذنا إبراهيم

وحذف نسون الرفع من المضارع
المرفوع ، وعدم جزم الفعل في موضع
الجزم ، وجزم المضارع في غير مواضع
الجزم ، وغيرها^(١) .

ونستجد أمثلة كثيرة لا حصر لها من
الأخاديث الشريفة^(٢) والأمثال :
والشعر العربي ، وجميع ما وسمه النحاة
بالشذوذ ، والضرورة ، والندور ، والضعف
والقلة واللحن ، والخطأ ، وما لا يقاس
عليه ، كل ذلك يمكن أن يفسر بالترخيص
في قرينة ما ، وإغناء غيرها عنها ، إلا
أن النحاة وجدوا فيه مجالاً خصباً للتأويل ،
والتقدير ، والحذف^(٣) ، وكما ترخص
في العلامة الإعرابية عند أمن اللبس يمكن أن
يترخص في غيرها من القرائن : ومن

(١) انظر مقالتي بمجلة المجمع الأجزاء : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) انظر إعراب الحديث النبوي لأبي البقاء المكي ت ٦١٦ بتحقيق عبد الإله قهان ط دمشق ١٩٧٧ م .
والمكبري يميل إلى القياس النحوي ، ويخرج الروايات المخالفة للقواعد بعمدة طرق منها :

أولاً : اللجوء إلى التأويل لكي يوافق الحديث القاعدة النحوية (انظر : إعراب الحديث ص ٧ ، ٩ ، ١٠) .

ثانياً : أو يفترض رواية أخرى للحديث تخدم القاعدة النحوية (ص ١١) .

ثالثاً : أو يخرج الرواية المخالفة للقاعدة النحوية بعمدة أوجه (ص ٢٣ ، ٤٨) .

رابعاً : وقد يصف رواية بالخطأ (ص ١١١ ، ١١٣ ، ١٣٦) .

وانظر كتاب : شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
ط دار العروبة . لثرى فيه علاقة الحديث النبوي بالقواعد النحوية والمخالفة بينهما . انظر (ص ١٧ - ٤١ / ٩٧)
فا بعدها ، ١٣٣ فا بعدها ، ١٧٨ ، ١٨١ .

وانظر في معنى اليب ٣٥/١ ط مصطفى محمد ، قول الرسول «إن تعرج جهنم سبعين خريفا» لثرى التأويل والتخريج .
وفي المصادر الحديثية السابقة نجد :

١- تغيير الإعراب عن وجهه .

٢- روايتان مختلفتان واحدة تثبت قاعدة على حين تنفيها الأخرى .

٣- تعدد وجوه الإعراب . (٣) انظر المختص ٣٣/٧ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٠٥ فا بعدها .

مصطفى متأثر إلى حد ما برأى قطرب حيث سلبها الأخير دلالتها اللغوية ، وجردها وحرمها من المعنى ، وهي فكرة معيارية ، كما وقع فيما عابه على النحاة القدماء حيث أول اسم (إن) المنصوب ورأى أن حقه الرفع ، ويرى أن النحاة أخطأوا فهم هذا الباب فوقع في التأويل الذي عابهم من أجله ، ولأحكامه وفروضه كان عرضة لسهام الناقدين وفي مقدمتهم صاحب كتاب « النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة » (١) :

٢- افترض كذلك أن الفتحة أخف من الحركات كلها ومن السكون أيضا ، وأرى أن السكون أخف من الحركة ، وذلك أن الفتحة شروع في ألف ، والضممة شروع في واو ، والكسرة شروع في ياء. أما السكون فليس شروعا في حرف آخر ، فالحرف إذا نطقنا به محركا فقد نطقنا بحرف وشرعنا في آخر ، وإذا نطقنا به ساكنا لم نطق إلا بذلك الحرف ، إذن فالحرف المتحرك حرف وبعض حرف ، والحرف الساكن حرف فحسب ، والحرف وبعض حرف أثقل من الحرف وحده ، إذن فالسكون أخف من الحركة ولو كانت الحركة فتحة :

ويظهر أن أستاذنا إبراهيم مصطفى تأثر بمنهج القدماء في ذلك وعلى رأسهم سيبويه حيث يقول: وأما ما توالى فيه الفتحان فإنهم لا يسكتون منه ، فلا يقولون في جمل (بفتح الجيم) جمل (بسكونها) (٢) :

وأرى أن سيبويه والسيراني قد جانبا الصواب ، فقد خفف المفتوح بعض القراء (٣) ، والقراء أعدل وأقوم ، فالسكون أخف من الفتح ، لأن السكون يختصر المقاطع فيوفر الجهد ، وبذلك وردت قراءة أبي السمال وأبي المتوكل وأبي الجوزاء (الجمل) بفتح الجيم وإسكان الميم وذلك في قوله تعالى: « حتى يبلغ الجمل » (٤) :

تقييم لفكرتي (العامل وتصافر القرائن)

(١) جعل النحاة العلامة الإعرابية نظرية كاملة سموها (العامل) ، والعامل يفسر العلامات الإعرابية ، والعامل عند القدماء إما مؤثر حقيقة وهذا هو المشهور في كتب النحو ، وإما أنه علامة وأمانة فحسب ، ويرى فريق آخر أن ما أطلق عليه اسم العامل لا عمل له مطلقا ، والعامل الحقيقي هو المتكلم ، وهذا رأى ابن جني (٥) ويرى نفر أن العامل ليس اللفظ ولا المتكلم وإنما هو الله ، ويرى الشيخ محمد عرفة أن العوامل

(١) ومؤلفه الشيخ محمد عرفة ط السعادة - مصر .

(٢) شرح السيراني على سيبويه ٤١٦/٥ مخطوط بالتيهورية ، والكتاب ٢٥٨/٢ ، ٢٨١ .

(٣) الأعراف الآية ٤٠ .

(٤) المختص ٣٠٧/١ .

(٥) الخصال ١٠٩/١ فاهما .

ليست هي التي رفعت ونصبت وجرت ، وإنما هي التي أوجبت هذه العلامات ، وهذا الإيجاب أثرها لا يتخلف عنها^(١) ، وهو تفسير لا يخلو من الافتراض .

وكما اختلف النحاة في العامل اختلفوا كذلك في العمل نفسه :

(أ) أنه الأثر اللفظي الذي يوجد في الكلمة من حركة أو حرف أو سكون أو حذف .

(ب) أن مقتضى العامل هبو نفس الاختلاف ، وهو معنى عقلي ، لأنه ليس هذه الحركات والحروف بل الاختلاف نفسه .

(ج) أن مقتضى العامل هسو توارد المعاني المختلفة من فاعلية ومفعولية وإضافة وإذا كان النحاة يرون في العوامل ألفاظا مؤثرة فإنهم يرون في المعمولات ألفاظا متأثرة ، فإذا رأوا في اللغة معمولات بلا عوامل اضطروا إلى الاعتراف بوجود عوامل شخصية لها تأثير ظاهر ، أو رأوا عوامل بلا معمولات ، اضطروا إلى القول بالحذف ، أو التقدير ليسلم لهم ما فهموه من

معنى العامل والعمل ، ومن هنا اضطرت المنهج النحوي إلى : الحمل أو القياس أو التقدير^(٢) .

فقد قاسوا الفعل على الفعل ، وعلى الاسم وعلى الحرف ، وقاسوا الحرف على الحرف وعلى الفعل وعلى الاسم .

ثم تظهر قضية الأصالة والفرعية مرتبطة بالعمل . فالأفعال أصل في العمل ، وكذلك الحروف المختصة لها أصالة في العمل^(٣) وترتب على هذا أن الحرف غير المختص لا يعمل . وأن الحرف المختص يعمل . ولكن قاعدتهم تلك وهم أصحابها ، لم تسلم لهم عندما أرادوا تطبيقها في جزئيات النحو^(٤) .

كما أسرفوا على أنفسهم حين حكموا النظر العقلي في خلافاتهم حول أمور العامل مثل :

١- اختلافهم حول العامل في المستثنى (الإنصاف المسألة ٣٤) .

٢- اختلافهم في عامل النصب في المفعول به (المجمع باب المفعول به) .

٣- اختلافهم في رافع الفعل المضارع (المجمع ١-١٦٥ ، شرح المفصل ٧-١٢ ، الإنصاف المسألة ٧٤) .

(١) النحو والنحاة ٨٣ .

(٢) الحذف والتقدير ١٤٠ رسالة ماجستير مخطوطة للدكتور علي أبو المكارم . مكتبة دار العلوم .

(٣) الأشباه والنظائر ١ / ٢٦٢ .

(٤) الأشباه والنظائر ١ / ٢٦٣ . طبعه محمد آياد . كما أن النحاة وضروا للعامل والمعمول والعمل شروطا وأوصافا ،

ولكنهم لم يسيروا وفقها . انظر ابن يعيش ١ / ٨٤ ، الإنصاف : المسألة ٨٣ ، ٧٨ .

٤- اختلافهم حول رافع المبتدأ والخبر... إلخ .

٥- ما يترتب على العمل من قوة العامل الأصلي وضعف العامل الفرعي .

والنحاة في كل هذا يرتكزون على النظر العقلي في إصدار أحكامهم ، وبعدهم عن الواقع اللغوي . وهذه القضية أسرف فيها علماء النحو دون اعتبار للنص اللغوي ، وما يحمل من دلالات .

(٢) كما أن ظاهرة الحذف والتقدير ارتبطت في النحو بنظرية العامل أيضا ، وقد حذف من الكلام العربي أكثر من جملة ، أو جملة أو بعض أجزاء الجملة ، وتمت هذه الكليات التي حدث فيها الحذف آلاف من الجزئيات حتى أنك لا تجد بابا من أبواب النحويين من ظاهرة الحذف والتقدير والتأويل ، على أن أكثر صور الحذف إنما كان هدف النحاة منه تصحيح قواعدهم في نظرية العامل ، ولهذا اختلفوا في تحديد المحذوف ونوعه ومركزه : فقد أكثروا من التقدير والحذف والتأويل :

(أ) في قوله تعالى : « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي »^(١) .

فيرى سيبويه إعراب أنتم فاعلا لفعل محذوف دل عليه ما بعده ، والتقدير :

لو تملكون تملكون ، فلما حذف الفعل : تملكون ، انفصل الضمير :

أما الكوفيون : فيعربونها مبتدأ ، ويعربها غيرهم فاعلا بالفعل الموجود بعده ، وآراء أخرى يضيق المقام عنها ، لكن الزمخشري ذو الحس اللغوي المرفه يرى أن (أنتم) فيه دلالة على الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ^(٢) ، وكأنه يشير من طرف نحي إلى الإعراض عن الخلاقات الإعرابية المتكلفة السابقة .

(ب) قالوا بحذف العامل في التحدير والإغراء ، والمنصوب على الاختصاص ، والحقيقة لا حذف ، ولا تقدير ، فإذا قلت : نحن المصريين عبرنا القنال : بالنصب . فعناه تخصيص المصريين بالعبور ، في مقابل : نحن المصريون عبرنا القنال : بالرفع حيث لا تخصيص ، فلما اختلف المعنى كان النصب على المخالفة - وهذا رأى الكوفيين - ثم إن أمثال تلك الأساليب لا يضرها مخالفة قواعد النحاة من العمل والعامل والحذف والتقدير ، لأن لها طريقا خاصا عبرت عنه لغة العاطفة والانفعال .

على أن هناك وجهة نظر أخرى ترى أن العربي ما كان يحذف إلا إذا كان المحذوف أبين لمراده ، وأنطق بحجته من الذكر ، فالذي يحذف يكون أنطق ما يكون إذا لم ينطق ،

(٢) الكشاف ٤٣/٢ - الاستقامة - ط الثانية .

(١) سورة الإسراء الآية ١٠٠ .

وأتم ما يكون بيانا إذا لم يكن (١) : والنحاة عندما حذفوا أو قدروا كانوا على أصول مقررة فقاوسوا النظر على النظر ، واستدلوا بالحاضر على الغائب ، ورأوا المحذوف في المذكور ، تهديهم ملاحظة بارعة (٢) :

ثم هو لون من ألوان التعبير ، وخصيصة من خصائص العربية ، فحين تقرأ قوله تعالى « وآتينا ثمود الناقة مبصرة » (٣) تفهم للنظرة الأولى أن : مبصرة بمعنى ذات بصر ، وأن يجعلها حالا من الناقة ، لكن الفهم السديد حين ينظر في الآية يجدها « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها » فالمنهج القويم : أن تكون مبصرة صفة لموصوف محذوف تقديره : آية ؛ إذ الكلام في الآيات لافي النوق ، فالناقة حين ذكرت هنا ذكرت لأنها آية لا لأنها ناقة وكفى (٤) :

على أن النحاة عندما حذفوا أو قدروا فهم متفقون مع أحدث النظريات المعاصرة حيث اعترف (التحويليون) بما رآه علماءنا القدامى من ظاهرة الحذف والتقدير ، وهذا يتفق مع فكرتهم في أن النحو ينبغي أن يربط (البنية العميقة ببنية السطح) والبنية العميقة تمثل العملية العقلية في اللغة (٥) .

والنظرة السديدة التي أميل إليها أن الحذف

لا يكون إلا حيث يتطلبه المعنى ، على أن يكون بقدر ، كما يجب أن يراعى الموقف والظروف المحيطة به ، وملاحظة الواقع اللغوي ، فلا أقر الحذف الذي قال به النحاة في قولهم :

(أ) كل رجل وضيعته ، لأن الواو بمعنى : مع .

(ب) لعمر ك لأفعلن . وأرى أن جملة لأفعلن هي الخبر ، كما أنها أغنت عن جواب القسم .

(ج) كما حذفوا الخبر في قوله تعالى « أكملها دائم وظلها » وأرى أنه لا داعي لهذا الحذف ، لأنه مفهوم ، وادعاء الحذف - كما رآه النحاة فيما سبق - متكلف ، لأنه حذف صناعي :

(٣) إن قضايا العامل وما يتصل به تدل على البراعة العقلية والذهنية (٦) ، لأن العقل منشؤها . حيث خلاه المنطق لا اللغة ولا النص ، فهي معايير فرضها النحاة مستمدة من النظر العقلي ، والقوانين والقواعد ، لكن اللغة مسلك اجتماعي ، وكثيرا ما يتعارض مسلك اللغة مع هذه العملية المعيارية : على أن هناك وجهة نظر أخرى ترى أن الجانب العقلي في النحو هو الأهم لكي نصل منه إلى (البنية العميقة) وهي

(١) دلائل الإحجاز ١٠٦ عبد القاهر . ط المنار . (٢) من قضايا اللغة والنحو ٩٢ على النجدي .

(٣) الإسراء ٥٩ . (٤) نحو القرآن ١٣٥ مقال منشور بمجلة المجمع للأستاذ على النجدي ج ٣٤ .

(٥) النحو العربي ١٥١ د . عبد الرأحيم .

(٦) انظر : المجمع الميوطي . والإنصاف لابن الأنباري ، وشرح التسهيل لأبي حيان .

التي تعبر عن المعنى ، وقد ربط (تشومسكي) صاحب هذه النظرية بنظرته إلى التركيب الإنساني وأصوله العميقة ، قال ذلك حين نادى بنظرية عامة للغة تصدر عن اتجاه عقلي ، بحيث يرى أن السطح يعكس ما يجري في العمق من عمليات تخنق وراء الوعي ، والحركات العقلية في الفكر الإنساني تؤكد قيمة اللغة في الحياة ، وأن تناولها ينبغي أن يراعى هذه القيمة وأن اعتبار اللغة عملاً للعقل يعني أن للغة جانبين :

أولها : داخلي : والثاني : خارجي . وكل جملة يجب أن تدرس من الجانبين ولا سيما ما يتصل بالفكر أو العقل ، وعلى هذا فالنقد الذي وجهه الوصفيون إلى النحو التقليدي ، وهو الذي وجه بعد ذلك إلى النحو العربي ليس مقبولاً الآن ؛ لأن المدرسة الوصفية ترفض ما وراء المادة وتهتم بالواقع اللغوي ، والمدرسة التحويلية الأمريكية تؤكد وجهة نظر أسلافنا من النحاة العرب ، وضرورة العودة إلى جهودهم ، حين اهتموا بقضية (المعنى) باعتبار اللغة المنطوقة على (السطح) صورة تعكس « عمليات عقلية » عميقة ، لا مناص من فهمها لمعرفة الطبيعة الخلاقة في اللغة ، وأن هذا المنهج أقرب إلى طبيعة الإنسان حيث أصوله العميقة في التركيب (١) :

(٤) ومما أخذ على منهج النحاة القدامى أنهم أخطوا كذلك في تحديد الصلة بين العامل والمعمول على أنها صلة (تلازم وتأثير) حتى في الحركات ، إذ يلزم من وجود العامل وجود معمول له ، يؤثر فيه ، ويلزم من وجودهما معا وجود أثر للعامل ، فالإعراب أثر من آثار العوامل التي أكسبها النظر العقلي مظهر العلة وقوة السبب ، والعوامل مؤثرات حقيقية - كما قال الرضي - ، وأثرها الحركات والسكنات ، إنهم لما رأوا الإعراب عوارض تتبدل بتبدل التراكيب قالوا : عرض لا بد له من محدث ، وأثر لا بد له من مؤثر ٥

والوصفيون ينكرون نظرية نحاة العرب القدامى ، لأنها تصدر عن تصور عقلي ، ولهذا لا يرون أن تكون الحركة الإعرابية أثراً للعامل النحوي ونتيجة لوجوده ، وهذا يتفق ومحاولة ابن مضاء (٢) حيث رفض القول بتأثير الكلمات بعضها في بعض ، ويرى الوصفيون أن منشأ فكرة التأثير والتأثر هذه هو المنطق الإغريقي ، فهي فكرة فلسفية دخيلة على اللغة ، والبحث في اللغة يجب أن يكون لغوياً خالصاً ، ولهذا ففكرة التأثير والتأثر مرفوضة لا يؤذن لها بالدخول في منهج البحث اللغوي (٣) :

(١) النحو العربي ١١٢ فما بعدها بتصرف .

(٢) الرد على النحاة : ٨٥ فما بعدها .

(٣) أصول النحو ٢٧٣ د . محمد عبد ط عالم الكتب .

فتشومسكى يؤيد النحو العربى القديم
المبنى على منهج وأسس عقلية ، والنحو
القديم عندما بنى علاقاته فى العلامات الإعرابية
على مبدأ (التأثير والتأثر) كما رأى القدامى
كان يقرب من الطبيعة الإنسانية .

وماذا على النحاة إذ جعلوا فى جملة
(الشمس طالعة) مثلا عاملا معنويا هو
الابتداء ، كما جعلوا فى جملة (كانت
الشمس طالعة) عاملا لفظيا هو كان ؟ أليس
التعميم فى الحكم على الأشياء يقتضى ذلك
ويستدعيه ؟ أو ليست الطبيعة وهى سر
الكون ومصدره تؤثر فى الموجودات
بعوامل ظاهرة حيناً وخفية حيناً آخر ؟
وهكذا يعنى الأستاذ على النجدى على من
عارض العامل بأن النحاة قد اجتهدوا
وسموا تأثير الكلمات فى الحركات عوامل
فهل عليهم من ثم (٣) ؟

والحق الذى أميل إليه أن ظاهرة التأثير
والتأثر فى الإعراب ليس مردها المنطق
الإغريقى - كما رأى بعض المحدثين - لأننا لانعلم
نحويا لازم عالما منطقيا فى القرنين الأول
والثانى ، والنحو فى بدايته لم يتأثر بالفكر
الخارجى وإن كنا نرجح أن الدرس النحوى
مذ القرن الأول قد تأثر بالمنهج الكلامى (٤) .

وابن جنى حين يقول فى الخصائص :
فأما فى الحقيقة ، ومحصل الحديث ، فالعمل
من الرفع والنصب والجر والحزم إنما هو
للمتكلم نفسه لاشئ غيره ، وإنما قالوا لفظى
ومعنى لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة
اللفظ للفظ ، أو باشتغال المعنى على اللفظ .
فالعلاقة - التى أثرت فى الشكل الإعرابى
وجعلتها تؤثر حركة على أخرى هى نفسها
(العامل) وليس الفعل - هو العامل فى مثل
قولك : ضرب سعيد جعفرا : ويعلق ابن جنى
على هذا قائلا : فإن - ضرب - لم تعمل
فى الحقيقة شيئا ، وهل تحصل من قولك :
ضرب - إلا على اللفظ بالضاد والراء الباء على
صورة (فعل) - فهذا هو الصوت ، والصوت
بما لا يجوز أن يكون منسوبا إليه الفعل (١) .

فابن جنى هنا يسير فى ركاب الوصفين
الذين يرفضون العامل النحوى ، لكن ظهر
فى العصر الحديث مذهب يؤيد علماء النحو
القدامى ، وهو مذهب Chomsky (تشومسكى)
الذى ربط (البنية العميقة) (ببنية السطح) ،
والبنية العميقة عنده تمثل العملية العقلية فى اللغة
ودراسة هذه البنية تقتضى فهم العلاقات
لا باعتبارها وظائف على المستوى التركيبى
وإنما باعتبارها علاقات للتأثر والتأثر فى
التصورات العميقة ، فقضية العامل التى رفضها
الوصفيون تعود إلينا مرة أخرى فى المنهج
التحويلي بصورتها القديمة فى النحو العربى (٢) .

(١) الخصائص : ١٠٩/١ .
(٢) النحو العربى ١٤٩ د . مجاهد الواجى .
(٣) من قضايا اللغة والنحو ١٠٦ .
(٤) النظر فى الكتاب ٢٧٦/١ بولاق .

في أبوابه وفصوله حتى تشعب ، ووقع تحت تأثير الاتفاقات المختلفة الوافدة من هنا وهناك فظهر على وجهه الغلو والتكلف في العلل ، ومدد القياس ، وتشقيق القضايا ، وتفنيق الجزئيات وظهور المقولات ، وهي منافذ تسلل منها النفوذ الإغريقي وغيره إلى النحو العربي .

ويرى صاحب نظرية تضافر القرائن أن الحركات الإعرابية هي من تأثير القيم الخلافية بين وظائف الكلمات في الجمل ، واختلاف وظائفها في السياق ، فاختلاف الوظيفة هو السبب في الرفع والنصب والجر ، ثم قال : والقيم الخلافية لا تعمل وإنما تراعى وهي فروق سلبية ، لا عوامل إيجابية ، ومعنى ذلك أن القيم الخلافية بين أبواب النحو سبب في اختلاف حركات الإعراب . فالاختلاف بين وظيفة الفاعل ووظيفة المفعول في الجملة أدى إلى رفع الأول ونصب الثاني (٢٧) .

وكان من الخاتمة العكس لولا أن المصادفة العربية لم تجر على النحو الذي جرت عليه . ويفهم من النص السابق :

١- أن القيم الخلافية تحمل محل العامل في النحو القديم ، وفهمها يعتمد على العلاقات بين الكلمات والجمل لأعلى أساس التأثير والتأثر كما رأى علماء النحو .

وكثيرا ما يصرح ابن جني في كتابه الخصائص (١) ، بأنه تأثر فيه بمنهج علم الكلام والفقه ، وهما من العلوم الأصيلة في الفكر الإسلامي ، وساعد على ذلك أن نفرا من النحاة الأولين كان على اتصال بالمنهج الكلامي ، ولهذا أرجح أن الخلاف الذي دار بين النحاة في (موجد) الحركة الإعرابية ليس إلا تطبيقا نحويا لمشكلة في (علم الكلام) فذهب ابن مضاء من (موجد) الحركة الإعرابية ليس إلا تطبيقا لمذهب (الجهمية) ، ومذهب جمهور النحاة حيث يرون أن (موجد) الحركة الإعرابية ظاهرة أو مقدره هو (العامل) نفسه ، يمتد إلى أصل (قدرى معتزلي) ، على حين يتميز موقف ابن جني - حين رأى أن العامل هو المتكلم بمضامة اللفظ ومصاحبته - بالتوسط ، فيحاكي بتوسطه هذا موقف متأخري المتكلمين من (أشاعرة وما تريدية) .

فالمشكلة ليست في جوهرها سوى قضية خلق وإيجاد منشؤها مصادر إسلامية لا يونانية ، ولا ضرر أن يتأثر النحاة بعلماء من ميادين مختلفة ، فقد تأثر (دى سوسير بدور كايم) و (ادوارد ساپير بفرائز) ، وتأثر (بلومفيلد بالسلوكيين) ، و (تشومسكي بديكارت والعقليين) .

على أن النحو حين شب وترعرع تضافرت عليه الثقافات المختلفة ، فحرثت

(١) الخصائص ٢/١ ، ٤٨ ، ٣ / ٦٢ .

(٢) مناهج البحث في اللغة ٢٠٦ ، ٢٠٧ . تمام حسان الإنجلو .

٢- أن العلامات الإعرابية ليست من آثار العامل - كما رأى علماء العربية القدامى - فليس عند صاحب تضافر القرائن عامل أو معمول يؤثر أو يتأثر ، وإنما حركات الإعراب عنده مظهر من مظاهر العربية في توزيع الوظائف اللغوية والقيم النحوية :

٣- أن حركات الإعراب عنده هي من تأثير القيم الخلافية .

٤- أنه رفض تأثير العامل ، ومع ذلك قبل تأثير القيم الخلافية ، فاستبدل تأثيرا بتأثير .

٥- أنه يرى أن القيم الخلافية لا تعمل وإنما تراعى ، وهي فروق سلبية لا عوامل إيجابية . والأسلوب يظهر عليه التناقض ، فإذا كانت لا تعمل ، فكيف تراعى ؟ وإذا كانت تراعى فكيف تكون سلبية ؟

والدكتور تمام يعترف في شجاعة بأن القدماء كشفوا عن تضافر القرائن وهي لب نظريته ، بل اعترفوا بها وألوا بها إلاما خفيفا ، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني حيث أشار إلى قرينة (التعليق) فأشار إلى تعاون القرائن النحوية في تحديد المعنى النحوي (١) ولكن النحاة قصرُوا حيث لم يسلكوا هذه النظرية في نظام واحد كالذي حاوله صاحب النظرية ، كما لم يبينوا تضافر القرائن للكشف عن المعنى

النحوي ، والدليل على هذا أنهم شغلوا بالشذوذ والقلة والندرة ونحوها عن جواز إهدار القرينة عند أمن اللبس : وعبد القاهر الجرجاني لم يكن أول من أشار إلى هذه النظرية كما يرى الدكتور تمام ، ولكنني عثرت على نص لسبويه يؤكد أنه لمح ذلك حيث يقول : إن الأفعال لما كانت دليلا على ما مضى وما لم يمض من نحو : الذهاب والجلوس والضرب فلإنها تعمل في الحدث نحو : ذهب ذهابا ، والزمان نحو : ذهب أمس ، والمكان نحو : ذهب فرسخين ، من حيث إنها تدل على الحدث والزمان وتتطلب المكان ، فلما كانت دالة عليها ، وطالبة ، لما فقدت هذه وارتبطت بها (٢) .

والتعليق في قول سبويه هو التعليق نفسه الذي يقصده الدكتور تمام ، ولكن د. تمام استطاع ببصيرة نافذة ، وحس لغوي أصيل ، وذوق مرهف أن يجعل ذلك أساسا لنظرية تناولت النسيج النحوي كله ، وليس لموضع أو جانب محدد ، كما فعل سبويه وغيره من النحاة .

ومن هنا رأيت وضع حدود مركزة فاصلة بين نظريتي العامل النحوي ، وتضافر القرائن النحوية أو التعليق أو القيم الخلافية ، وهي بمعنى واحد :

(٢) الكتاب ١/١٦٦ لما بعلمها ط بولاق .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٨ .

(أ) أحيانا تكون العلامة الإعرابية قاصرة عن التفريق بين المعاني النحوية، وفي بعض الحالات لا يكون الإعراب فاصلا بين المعاني ، فالفتحة على سبيل المثال وهي علامة إعراب في المفعول به ومعها ، لا تميز بين المعنيين في قولك : أعطيت المسكين صدقة ، وأعطيت والمسكين صدقة. فالواو هي القرينة الوحيدة المميزة بين المفعول به ومعها، فالنحاة لم يحالفهم التوفيق عندما بنوا منهجهم على أساس وحيد هو اختلاف المعاني باختلاف الإعراب ، ولهذا لجأت اللغة إلى وسائل أخرى للفصل بين المعاني ، ومن هنا كان لا بد من وجود قرائن أخرى تتضافر مع قرينة الإعراب فكان لزاما الأخذ بمبدأ تضافر القرائن .

(ب) ارتباط الحركات الإعرابية بالمعنى النحوي في السياق كان لأمر اعتباري لا منطقي .

(ج) النظرية الجديدة تغني عن نظرية العمل والعامل .

(د) القرائن جميعها مسؤولة عن أمن اللبس وعن وضوح المعنى ، وجميعها تتضافر لتدل على المعنى الوظيفي .

(هـ) مبدأ تضافر القرائن أو القيم الخلاقية يفسر التعليق النحوي كله ، على حين لا يفسر العامل النحوي منه إلا قرينة الإعراب ، ولا مزيد .

(و) النظرية الجديدة تنفي عن النحو ما وقع فيه من القول : بالحذف والإضمار ، والتأويل والتعليل (١) ، والأصل والفرع ، والحكم بالشدوذة والندرة والضعف والقوة والضرورة وتعدد الأوجه الإعرابية ، وتفسره في ضوء مبدأ (تضافر القرائن) . وقد كانت الظواهر السابقة من أسباب تضخم النحو وتشعبه وثقل كاهله ، وقد عالجها د . تمام تحت مبدأ (الترخيص) فرد إليها اعتبارها ، وحل جزءا كبيرا من مشكلات النحو ، وهذا أفضل من علاج النحاة الأقدمين للظاهرة السابقة حيث اعتبروها شذوذا . . الخ .

(ز) التقطد . تمام خطوط نظريته الجديدة من غضون التراث النحوي القديم ، ولذلك كان للنحاة الفضل في أنهم عبدوا له الطريق ، وأضاءوا له مسالكه ودروبه .

(١) لاحظ أن التعليل هو أصل العامل ، وقد أكثر النحاة عن الحديث في الملل وأقسامها ، وألفوا فيها كتباً مستقلة منها على سبيل المثال : اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري .

(ح) إن فكرة د : تمام من وجهة نظرنا تصلح أن تفسر الجوانب الإعرابية وغيرها من الناحية النظرية ، ولكن يبي عليه أن يطبق فكرته عمليا وتعليميا في النحو والتأليف في جميع أبوابه على هدى من فكرته ، وعندئذ يكتب لها الخلود والبقاء ، ومع اعترافنا بأن صاحب نظرية القرائن يضع أساس مذهب كامل ناضج في النحو ، إلا أنه غير ميسر إلا للموهوبين ، إذ يحتاج إلى نوع من البصر النافذ ، والحس اللغوي .

(ط) لا تصلح نظرية د. تمام أن تفسر بها ما يجد من استعمالات تنافي اللغة المعاصرة من خروج على قواعد النحاة فهي مقصورة على تفسير ما وقع ، وتبرير ما حدث من النحاة السابقين وحدهم . ومعنى هذا أن النظرية ليست تشريعا للمستقبل وإنما هي لماضى التراث وحده ، وهي لهذا ينقصها عامل الإطراد ، وهو شرط أساسي لكل نظرية .

(ي) أن تفسير الدكتور تمام لجواز الترخيص أو التسمح في العلامة الإعرابية . مشروط عنده بالاعتماد على فهم المعنى وعدم اللبس ، وهذا صحيح مقرر ، لكن السيوطي يضيف شيئا جديدا

حين يقول : وسمع رفع المفعول به ونصب الفاعل : ونصبهما : ثم قال : والمبيح لذلك كله : فهم المعنى وعدم الإلباس ، ولا يقاس على شيء من ذلك (١) . فالنحاة أوجبوا قصر مخالفة القاعدة على السماع وأحب أن أضيف شيئا هنا ، وهو أن هذه المخالفات الإعرابية لم تأت عفوا ، وإنما تأتي لغرض معين ، أو هدف متعمد ، ولذلك يجب أن يكون الترخيص فيها لغاية أو قصد ، وعلى سبيل المثال كقراءة ابن عجلة ورؤية : (الحمد لله) بكسر اللام اتباعا لكسرة اللام فحركة الإعراب فيها أهملت لأجل حركة المناسبة ، وذلك حين تضافت القرائن على وضوح المعنى وأمن اللبس (٢) فقد ذهبت الظاهرة الإعرابية وضحت بها القراءة من أجل الظاهرة الصوتية .

وكان على الدكتور تمام أن يضع قانونا لهذا الترخيص والتسمح ، حتى لا يكون الباب مفتوحا على مصراعيه لتدخل منه كل المخالفات الإعرابية .

(ك) أن د . تمام عندما وضع نظريته ، نظر إلى النحو نظرة كلية شاملة ، استقرأ منها الظواهر المختلفة ثم تناول الجزئيات على أساس من التحليل

(١) المطبوع ١٦٥/١ .

(٢) انظر المحتسب ٣٧/١ ومعاني القرآن للفراء : ٣/١ وقزعة الألباء : ٢٩١ تحقيق أبي الفضل .

اللغوي القائم على إدراك العلاقة بين هذه الأجزاء المنعزلة، ووضعها في سياق منظم ، اتضح منه علائقه وكيفية أدائه أو وظائفه وبهذا تصور قوانين التعليق وهي لب نظريته، فكانت محاولته أجراً محاولة عرفت في العصر الحديث :

وهي تذكرني بمن يصوب الهدف من أقرب مكان بمهارة ، فقد أبعدت المحاولة نفسها عن محاولات النحاة وتراكماتهم اللغوية وصرامتهم ، نطقهم وتفريعاتهم ، لقد كانت رؤية كاية للنظام كله ، ثم إجراء هندسة جديدة تمضيها في نظام جديد . على أن حياة الأستاذ نفسها فيها تفسير لمحاولته ، فليدنه الحصر والربط ورسم الحدود ، ووضع الخطط ، فقد كان ضابطاً دفع عن الأرض والعرض في حرب مقلسة ، فلغته وفكره يتسمان (بالضبط والحصر) وهي لغة العسكريين يؤكد هذا عقله الرياضي ، وتفكيره العميق ، ونظامه الجدولي المنظم الذي اشتهر به في سنوات دراسته الأولى المبكرة ، ليوضح به مسار العلاقات الفكرية في جانبها اللغوي .

فإذا أضفنا إلى ذلك اتساع ثقافته ، وإطلاعه العريض على مناهج الغرب وقتله بحثاً للمذاهب أسلافنا القدماء وقضاياهم

عرفنا كيف كان بحق أرفع المجتهدين صوتاً ، وأصلهم فكراً وأعمقهم فهماً ، أما النحاة القدامى ، فعندما بدعوا دراسة النحو كان منطلقهم الأول دراسة العلامات الإعرابية فبدعوا بالجزء وانتهوا بالكل ، ولهذا ركزوا اهتمامهم على المثال قبل النظرية ، واقتضى هذا الاتجاه تقطيع الكلمة الواحدة إلى أجزاء عند إعرابها كالتاء في : قلت (فإنهم) اعتبروها كلمة مستقلة عن الفعل ، واعتبروا الفعل في هذه الحال (قال) بوجود الألف التي لا وجود لها في الواقع ، ويدل على ذلك قول النحاة في إعراب هذه الكلمة : قال من (قلت) فعل ماضٍ (١) .

وكان على النحاة أن يبدعوا دراساتهم بدراسة الجملة واستكشاف العلاقات بين أجزائها والقرائن التي تعمل على تماسكها ، أما نظرية العامل :

(أ) فلم تكن إلا وسيلة توصل بها النحاة إلى تفسير ظاهرة الإعراب .

(ب) والنحاة إذا كانوا قد استفادوا فيها بالمنطق ، فكل العاوم دخلها المنطق واستعان به فلم لا يكون منها النحو ؟

(ج) لم يقدم أحد نظرية بعد ابن مضاء تخلف نظرية العامل بحق غير د. تمام حتى أن ابن مضاء لم يفكر في رفض العامل عندما رفضه تفكيراً لغوياً ، بل كان نتيجة لأخذ بالمذهب الظاهري في الشريعة

(١) دراسات نقدية في النحو ٣ د. أيوب . ط الأنجلو .

(د) نظرية العامل عبرت عن اللغة
أصدق تعبير ، ومثلتها خير تمثيل . وهم عندما
قالوا بها فلانما رجعوا إلى تقاليد اللغة وطبيعة
الاشتراح ، ومقتضيات النصوص من ذلك قول
العرب في أمثالهم : اللهم ضبعا وذئبا ، إذا كانوا
يدعون بذلك على غم رجل ، وإذا سألتهم
ما يعنون : قالوا : اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعا
وذئبا . وكلهم يفسر ما ينوي (١) فلم يعجزهم
الاهتداء إلى العامل ، إذا كانوا أصحاب
حسن ودكاء .

(هـ) إن فهم فكرة العامل من خلال
(التركيب) أقربنا من فكرة (التعليق) الذي
قال بها الدكتور تمام إلى حد ما ، فهما غير
متفصلين ، بل هما متلاحمان في إطار
واحد لفهم المعنى النحوي .

(و) إن قضايا النحو العربي القديم قد
لقيت قبولا من أحدث المدارس الأجنبية
المعاصرة - كما بينا سابقاً - فقد فسرت
اللغة الألمانية صورة من التحليل اللغوي
فيها ، شاهدنا لها مشابهة في نحونا العربي
القديم الذي قام على أساس نظرية (العامل) (٢)
ومعنى هذا أن (نظرية العامل) كانت ،
ولا تزال صالحة لتحليل الظواهر النحوية
في العربية القديمة ، وفي الدرس النحوي
الحديث .

وبهذا كشفنا النقاب عن أخطر عملية
في النحو العربي منذ سيوييه حتى الآن
ووضعنا الحدود الفاصلة لأهم رأيين من
آراء عرفاء العربية وعلمائهم : رأى القدماء
التمثل في ربط العلامات الإعرابية بالعامل
النحوي ، ورأى صاحب فكرة القرائن
النحوية ، أما ما وراء ذلك من الآراء ووجهات
النظر فقد ناقشتها في أثناء عرضها ، لأنها لم
تقدم غير ملاحظات جزئية .

وكان هدفنا كشف الحقائق ، وتقويم
الآراء من غير إلصاق عيب بأحد أو مدحه
بما ليس فيه ، كما التزمنا في النقد بسرعة
الإلتصاف ، ومراجعة الواقع على حقائق
التاريخ .

وكان الحكم أخيراً على أساس من
التمحيص والتجرد ، خالصاً من كل شائبة .
خالياً من كل تعصب .

وفي النهاية ، إذا كاج النحو - كما يقولون -
أكثر قداسة (٣) من الكتب فإن المقدسة
ذلك لا يمنعنا من أن نقبل أي نظرية جديدة
ببناءة في منهجه ، وتفسيره وإصلاحه ، لأن
النحو يخضع لمسا تخضع له اللغة من عوامل
الحياة وسنة التطور والله أعلم :

أحمد علم الدين الجندي

الخبير بالمجمع

والاستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

(١) الكتاب : ١-٢٥٥ ، وانظر أمثالا عربية وردت بروايات إعرابية مختلفة في الكتاب ١/٢٥٦ تحقيق هارون .

(٢) فقه اللغة في الكتب العربية : ١٥٨ ، ١٥٩ د . عبده الراجحي ١٩٧٤ م .

(٣) (الماء أقدس شئ على الأرض ، والكتب المقدسة أكثر قداسة من الماء ، ولكن النحو أكثر قداسة من

الكتب المقدسة) البحث اللغوي عند الهنود ص ٧٣ د . أحمد مختار . بيروت ١٩٧٢ م .

ليس في اللغة "واو" للاستئناف

للكاتب محمد نائل أحمد

قطع وفصل ، لا مكان فيه للواو .. فحين قال يوسف - عليه السلام - : « وما أبرئ نفسي » أثارت الحملة علامة استفهام كبرى تخطر لكل قارئ أو سامع : كيف تنفي عن نفسك البراءة وقد ثبتت بأكثر من شاهد ؟ فيكون الجواب : « إن النفس لأمارة بالسوء » (يوسف ٥٢) فالحملة الثانية كأنها ابتداء كلام ، إذ السائل عادة يقطع كلام المستؤل فيستأنفه هذا بالجواب .

ويبدو أن ابن هشام حاول في كتابه « المغنى » أن يتتبع كل المعاني والأفكار التي طافت بعقول العلماء والمتأديين في عصره ، فذكر ما يصح وما لا يصح ذكر « واو التذكير » و « واو الذكورة » و « واو الإنكار » و « واو الثمانية » و « الواو الزائدة » و « واو التعليل » ، وغير هالي ما يزيد عن عشرة

بعض النحاة المتأخرين ، وفي مقدمتهم ابن هشام ،

ذكر

أن الواو تأتي للاستئناف ، وذكروا بعض الشواهد من القرآن الكريم ومن الشعر .

ولقد راجعت مؤلفات المتقدمين كسيبويه وابن جنى وابن يعيش ، فلم أجد فيها شيئاً اسمه « واو الاستئناف » وإنما تأتي عندهم للعطف أو الحالية أو المعية ، فبهمتها عندهم الربط والوصل ، وليس القطع والفصل ، فكيف غاب عن ابن هشام العالم الفحل ، هذا التضارب الواضح بين معنى « الواو » ومعنى « الاستئناف » في اللغة وفي اصطلاح علماء البلاغة .. فان اللغة تقول : الاستئناف - تبالابتداء ، إذ هو مأخوذ من « الأنف » وأنف ، كل شيء أوله .. وعلماء البلاغة يعرفون الاستئناف بأنه فصل جملة عما قبلها لوقوعها جواباً عن سؤال تضمنته الجملة الأولى ، فهو

(*) أتى في الجلسة العاشرة يوم الثلاثاء ٢٩ من رجب سنة ١٤٠٩ هـ الموافق ٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٨٩ م .

معان لم تعرفها اللغة الفصيحة ولم يثبت منها
شيء عند التحقيق .

وسوف لا نناقش هنا إلا واو الاستئناف
وحدها .

قال ابن هشام في مغنیه : ومن أقسام الواو
واوان يرتفع ما بعدهما ، إحداهما واو
الاستئناف ، نحو «لنبين لكم ونثبث في الأرحام
ما نشاء» ، ونحو «لا تأكل السمك وتشرب
اللبن» فيمن رفع تشرب ، ونحو «من يضل
الله فلا هادي له ويذرهم» فيمن رفع أيضاً ،
ونحو «واتقوا الله ويعلمكم الله» ، إذ لو كانت
واو العطف لانتصب (نقر) ولانتصب
أو انجزم (تشرب) ، ولجزم (ينذر) كما
قرأ الآخرون ، وللزم عطف الخبر على الأمر
(أى في الآية الأخيرة) وقال الشاعر :

على الحكم المأتى يوماً إذا قضى

قضيته ألا يجسور ويقصد

وهذا (أى البيت) متعين للاستئناف ،
لأن العطف يجعله شريكاً في النفي ، فيلزم
التناقض ، وكذلك قولهم : دعنى ولا أعود .
نص ابن هشام ، ج ٢ ص ٣٢ ، طبعة ١٩٢٨
ولقد نقلت كلامه كله ، لتسهيل مناقشته
جملة ثم تفصيلاً .

فلأول نظرة يتبين أنه اعتمد في رأيه هذا
على اختلاف حركة الإعراب وحدها ولم

يحاول أن يستوحى المعنى ، وما وراء مخالفة
الإعراب من سر ، وما أكثر الأسرار التي
يعبر عنها باختلاف الحركة ، من رفع يأتي
بعد نصب أو جزم ، سواء في الأفعال أو في
الأسماء كما سنرى بعد ، حين نعرض نماذج
له من كتاب الله .

وفي النظرة الثانية ، نقف عند قوله - تعليقاً
على البيت - إنه يتعين فيه أن تكون الواو
للاستئناف فان مفهوم هذا النص أن ما سبقه
من الآيات لا يتعين فيها ذلك ، إذ قد تخرجها
العلماء فعلاً على العطف ، رافضين هذا
الاستئناف ، وبهذا لا يتبقى من شواهد
إلا البيت والجملة التي بعده ، على أننا سننظر
فيها جميعها ، شاهداً بعد شاهد :

١ - ففي قوله تعالى في سورة الحج (٥)
«يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نبعث
فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم
ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم
تخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم» .

هناك قراءتان في (نقر) الرفع والنصب ،
فالرفع هو ما اعتمد عليه ابن هشام في رأيه ،
والنصب عطفاً على (لنبين) وفي نفسى
شيء من قراءة النصب لأن التعليل الواضح
في (لنبين) لا يتضح في (نقر) بينما قراءة
الرفع هي التي يساندها السياق .

والمأمل في الآية يجدها استعملت حرف
«ثم» في العطف سواء في الأطوار التي سبقت

(نقر) والتي جاءت بعدها : فلم تلجأ إلى الواو إلا عند (نقر) وحدها . أليس في هذا التغيير إشارة إلى سر قصد إليه النظم؟ أو ليست الواو هنا مع ما بعدها (مما أقر في الأرحام) ، مما يشير إلى حديث مطوي عن شيء لم يستقر في الأرحام ..؟ وما أروع القرآن حين يوجز فيشير ، ويكتفي بالإشارة عن العبارة . إن ما هنا حذفاً في الآية دلت عليه الواو والفعل المرفوع بعدها . يتبين ذلك حين نصوص الآية بلغتنا نحن هكذا : يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانظروا كيف خلقناكم .. إنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، وجعلنا الأرحام تلفظ ما نشاء مما لم تكتب له الحياة ، وتقر ما نشاء مما أردنا له الحياة ثم نخرجكم طفلاً ... فالواو عطفت (نقر) على (تلفظ)

ويعمل هذا التقدير في إظهار ما طواه النظم الكريم ، كان العلماء يقدرون . فهذا ابن قتيبة .. وقد فطن إلى أن القرآن الكريم لا يمكن أن يترجم لفظه ، بل الميسور أن يترجم تفسيره — يقول : (واعلم أنك لو أردت أن تنقل (أي ترجم) قوله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » (سورة الأنفال ٥٨) ، لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته ، حتى تبسط مخبرها وتصل مقطوعها وتظهر مستودعها ، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة ،

أو عهد ، فخفت منهم خيانة أو نقضاً ، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم ، وأذنهم بالحرب ، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء (كتاب تأويل مشكل القرآن) ص ١٦ تحقيق السيد أحمد صقر هكذا كان الأوائل يدركون المطوى ، إيجازاً وإعجازاً في كتاب الله ، فإنه يحذف ويطوى ، مكتفياً بالإشارة والتلويح عن العبارة والتصريح .

فالعدول عن « ثم » إلى الواو ورفع ما بعدها في الآية وأمثالها ، إنما هو عطف على محذوف دل عليه السياق ، وما أشبه رفع الفعل هنا برفع الاسم بين المنصوبات في لفظ « الصابئون » كما سنوضحه فيما بعد .

ومهما يكن فقد رفض شراح ابن هشام أن يوافقوه على أن الواو للاستئناف ، فقال الدماميني : إنها للعطف على الفعل الذي تعلق به الحار والمجرور في (لنبيين) وقدره هكذا (نفع لنبيين لكم ونقر ...) فعطف نقر على نفع . بينما رأى الأمير أنها عطف على جملة (فإنا خلقناكم) .

٢ — وفي قوله تعالى في الأعراف (١٨٦):

« من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون » قراءتان أيضاً في « ويذرهم » : الرفع وهي شاهد ابن هشام ، والحزم عطفاً على بجواب الشرط ، إذ هو مجزوم محلاً وقدره

الزنجشري هكذا : (من يضل الله لا يهده
أحد ويذرهم) :

ولعل الأقرب من هذا ، أن نقول : إن
جملة « من يضل الله فلا هادي له » هي
حكيم عام يشمل الخاق جميعاً ، فحين يساق
عند الحديث عن قوم بأعينهم يتساءل متسائل :
أهلأ يضلهم الله ولا يهديهم أحد ..؟ يكون
الجواب : نعم ، يضلهم ويذرهم في ضلالهم
يعمهمون ، وهذا ما عناه الزنجشري حين قال :
إن الرفع على الاستئناف - أي الاستئناف
البلاغي الذي يعطف الفعل على جواب السائل
المخدوف ، وليس استئناف ابن هشام ، على
أن الشيخ الأمير يرى أن جملة يذرهم معطوفة
على الجملة الشرطية بتامها ، ومعنى ذلك
أنها معطوفة على أية حال ، مجزومة أو مرفوعة
وأن الورو للعطف لا للاستئناف .

٣- وقوله تعالى في آخر سورة البقرة
(٢٨٢) : « واتقوا الله ويعلمكم الله » ، جاءت
الواو بين جملتين : إنشائية وخبرية ، ويرى
ابن هشام أنه لا يجوز عطف هذه على تلك ،
وهو الذي عقد فصلاً في هذا الكتاب بعنوان
(عطف الخبر على الإنشاء وعكسه) (ص ٧٩)
من الجزء الثاني وذكر فيه الخلاف بين النحاة
في من أجازهم ومن منعه ، وذكر أن ممن أجازهم
سيبويه والصفار وجماعة من النحاة ، محتجين
بقوله تعالى في أول البقرة : (وبشر الذين

آمنوا) ، ونقل في تأييد هؤلاء رأي الزنجشري
في هذه الآية ، وأنها من عطف جملة المعنى
على جملة ما سبقه من عقاب الكافرين ، بل
إن ابن هشام عقد عنواناً لعطف المعنى على
المعنى ، بل لعطف التوهم . .

فكيف ضيق الأمر في هذه الآية ولم ير
فيها عطف المعنى على المعنى ، أو العطف على
مخدوف - فلقد علمهم الله نظام التعامل في
الدين ، حاضرين ومسافرين ، وشدد على
الكاتب والشهود ، وكرر لهم الأمر بالتقوى
أكثر من مرة .. أفلا يصح تقدير الكلام
هكذا : ... فاتقوا الله فيما علمكم من هذه
الأحكام ويعلمكم من غيرها ، فكان تغيير
النسق في رفع يعلمكم إشارة إلى هذا المخدوف .
ولتربط هذه الواو ما علمهم قبل بما سيعلمهم
بعد .. لا ينبغي أن يفهم القرآن إلا على هذا
النسق .

٤- ثم نأتي إلى البيت الذي أصر على أنه
يتعين فيه الاستئناف لا غير :
على الحكم المأثي يوماً إذا قضى
قضيته ألا يجوز ويقصد
فان عطف (يقصد) على (يجوز)
يؤدي إلى التناقض

ولنا أولاً على هذا البيت أكثر من ملحوظة
فهو بيت مجهول النسب ، لا يعرف قائله ،
ثم هو سقيم الصياغة ركيك ، ثم إن نصف
الفاظه مجتلب بلا فائدة ، ولو أننا عبرنا عنه

لقلنا : (على الحكيم إذا قضى ألا يجور)
فأدينا المعنى كاملاً تماماً بالكلمات (المأتى -
يوماً - قضيته - يقصد) زيادة لا حاجة
إليها ، فالبيت بهذه الصورة يشك في أنه
مصنوع وصناعته رديئة .

ومع كل هذا ، قد أواحنا الدماميني من
أمره ، إذ قال في حاشيته : يمكن أن الأصل
(وأن يقصد) فالواو عاطفة على أن لا يجور ،
ثم حذف أن فارتفع الفعل ، على حد قوله
تعالى : « ومن آياته يريكم البرق » ، وتسمع
بالمعنى خير من أن تراه ... ولك أن تقول :
إن جملة (ويقصد) عطف على جملة (على
الحكم ...) ، كما تقول : على زيد الصلاة
ويزكى .

هـ - ثم مثاله الذى أحقه بالبيت في حتمية
الاستثناف وهو قولهم : (دعنى ولا أعود)
إنما يجرى على الألسنة ، وهو من فصيح
الكلام ، ولكن ليست واوه للاستثناف كما
يرى ، وإنما هى للعطف ، وقد قدره العلماء
هكذا : منك العفو ، ومتى الترك ، على
أساس أن هذا القول إنما يصدر ممن أخطأ
ويطلب العفو ويعد بالأعود ، وينبغي أن
يعلم أن المخطيء من شأنه .. وهو في موقف
الضعف - ألا يستعمل صيغة الأمر (دعنى)
بل حقه أن يقول : تدعنى وأعدك ألا أعود ،
أو تدعنى ولا أعود ، وإنما لجأ إلى صيغة
الأمر - وإن كان الأمر بمعنى الرجاء هنا -

كأنه يتعجل الإفلات من العقوبة ، وكثيراً
ما تجرى على ألسنة المخطئين عبارات : أرجوك
أتوسل إليك أن تعفو عني ولا أعود إلى
مثلها ، فالجملة الأولى تحمل في مضمونها
خبيراً يعطف عليه الخبر بعدها .

* * *

وبعد :

فإن لهذه اللغة أساليبها الدقيقة التى تستخدم
في التعبير والتصوير ، وهى فى سبيل الأغراض
التي يقصد إليها المتكلم ، تفسح له الطريق
بأساليب متنوعة ، يختار منها ما يشاء ، فمن
حقه أن يخالف النسق الإعرابي لأداء غرض
لا يود التعبير عنه بالكلمة أو الجملة ، ومن
حقه أن يحذف بعض الكلام ويشير إليه
بحرف العطف ، أو بحرف من الحروف
الزائدة ، التي نيط بها أداء هذه الغاية ، نحو :
« فبإرحمة من الله لنت لهم » .

ولئن كان ما وصل إلينا من كلام الفصحاء
الأول ، لا تشيع فيه الأساليب التي تقوم فيها
الإشارة مقام العبارة ، لقد جاءنا من كتاب
الله ما لا يكاد يحصى عدداً ، أو تدرك أبعاده
إعجازاً وأسراراً .

وليس هذا الذى تقوله هنا استطراداً دخيلاً
على البحث ، وإنما هو فى صميمه ومحتواه ،
فما جر النحاة المتأخرين إلى هذه المصطلحات
والمسميات الكثيرة المرهقة ، إلا انصرفهم
إلى المظهر الإعرابي المتعلق بالحركات ، بينما

كان النحاة القدامى يغوصون وراء المعاني ، ويتحسسون ما وراء المخالفة للنسق الإعرابي من أسرار وأغراض ، ولو أن النحاة المتأخرين ساروا على خطى المتقدمين لكفونا مثونة مثل هذه الدراسة حول واو الاستئناف وغيرها مما شغل حيزاً كبيراً في كتب المتأخرين ، وحرّم النحو من متعة التذوق والخصب في دراسة الشواهد والنصوص ، وساقنا إلى تشقيق هذه الدراسات إلى علوم ثلاثة : النحو والبلاغة والنقد ، بينما كان النحو الأول هو هذه الثلاثة مجتمعة . وغفر الله للسكاكي ، فهو صاحب هذه البدعة ، فقد كان « مفتاحه » هو الذي أغلق الباب في وجه الدراسات التي بدأها سيبويه وابن جنى والمبرد والجرجانيان : صاحب « الوساطة » وصاحب « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » ، والتي سجلها الزمخشري ببراعة واقتدار في الكشف « الباحث عن أسرار التنزيل » ، وهذه قطرة من - بحارهم :

١ - يقرأ الزمخشري قول الله تعالى في سورة المائدة (٦٩) : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابثون والنصارى من آمن بالله بالله واليوم الآخر ... » الآية .

فيرى في الآية ظاهرتين تخالفان الآية نفسها في سورة البقرة (٦٢) : « رفع الصابثون » هنا ، ثم قدمها على النصارى ، بينما جسات هناك منصوبة ، ومتأخرة عنهم .. فما السر .. ؟ ولماذا خالف بين هاتين وتلك .. ؟ ثم يجيب

بما يراه السر في ذلك ، فيقول : فائدة التقديم التنبيه على أن الصابثين يثاب عليهم إذا صح منهم الإيمان والعمل الصالح ، فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابثين أبين هؤلاء المعسودين ضللاً وأشدهم غياً ، لأنهم خرجوا عن الأديان كلها . (ج ١ ص ٦٣٢) .

ثم يستأنس بما قال سيبويه في قول الشاعر :

والإفاعة علموا أنا وأنتم

بغاة ما بقيننا في شقاق

إذ قال : قدم « وأنتم » قبل مجيء الخبر « بغاة » ليسارع إلى التنبيه على مشاركتهم في البغي ، إذ لو قال : « أنا بغاة وأنتم كذلك لأفاد أن المتكلم وقومه هم البادئون بالبغي ، وأن أولئك جاء بغيمهم رداً عليهم ، فقدم « أنتم » ليدفع هذا الوهم .

هكذا فهم النحاة الأوائل أن المخالفة في الإعراب أو المخالفة في الترتيب كلاهما وراءه مغزى وسر ، تماماً كالمخالفة في « نقر في الأرحام » بعد « لنبيين لكم » . وكلمة « الصابثون » في الآية خبرها محذوف ، والجملة معطوفة على جملة « إن الذين آمنوا » ، كما أن جملة « ونقر » معطوفة على الجملة المحذوفة كما سبق تقديرها (فنسقط من الأرحام ما نشاء ونقر ما نشاء) ، أو معطوفة على جملة الفعل الذي تعلق به (لنبيين لكم) أي (نذكر لكم ما ذكرنا من أطوار الخلق لنبيين لكم قدرتنا ،

وتحرر...) ، والواو عاطفة لا استثنائية
على كل حال ، والعطف على المحذوف أشهر
من أن يذكر .

٢- ويرى العلماء قول الله تعالى في قصة
بنى إسرائيل في سورة البقرة (٤٩) : « وإذ
نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
يذبحون أبناءكم » قد فصل « يذبحون » عما
قبله ، بينما وصله بالواو في سورة إبراهيم (٦)
فيدركون أن الله تعالى - وهو المتحدث في
البقرة - أجمل العذاب ، ثم فصل ، على
حد قوله تعالى : « أممكم بما تعلمون أممكم
بأنعام وبنين (الشعراء ١٣٢ ، ١٣٣) ، بينما
المتحدث في إبراهيم هو موسى ، فأراد أن
يذكرهم بأنواع العذاب التي كانوا يعانونها ،
من اضطهاد وضرب وسجن وتشريد ، ثم
نخص أشدها وأفجعها وهو ذبح الأبناء ..
فلما اختلف المعنيان بالتنوع عطف ، من
عطف الخاص على العام ، على حد قوله
تعالى : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومثلك
ومن نوح » (الأحزاب ٧) ، ولا يعطف
الخاص على العام إلا إذا كان له خصوصية
تجعله كأنه نوع مستقل .

ولا أحب أن أستطرد في ذكر هذه
الدقائق التي تراها منبثة في كتاب الله وفي
بعض الشعر ، والتي أغفلها النحو المتأخر ،
فابتعد عن أسرارها في كثير من نظراته ،
حتى حكم بزيادة إحدى الواوین في قوله

تعالى في سورة الزمر (٧٣) : « حتى إذا
جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام
عليكم » ليكون ما بعد الواو الزائدة هو جواب
إذا . قياساً على الآية التي سبقتها إذ كانت
(فتحت) فيها هي الجواب ، متغافلاً عن
الذكاة التي ذكرها العلماء في حذف الجواب
في آية المتقين ، بل اتخذ من الآية شاهداً على
أن « الواو » تأتي زائدة ، دخولها كخروجها
ج ٢ ص ٣٤ من المعنى .

ومن القضايا التي أجمع عليها الثقات من
أهل اللغة أن القرآن الكريم ليس فيه حرف
زائد دخوله كخروجه قط ، وإنما لكل
حرف زائد فيه معنى قصد به ، وغرض
سيق من أجله ، فكيف يقول بعض النحاة :
إن الواو هنا دخولها كخروجها ؟

كما أن من القضايا التي لا جدال فيها ، أن
اللغة لا تقبل بحال وضع جملة بجوار أخرى
إلا وبين الحملتين نسب وصلة ، وإلا كان
الكلام لغواً لا يشبه كلام الناس .. فان قويت
الصلة بين الحملتين بأن اتحد معنهما اتحاداً ما ،
وجب الفصل ، بأن يمتنع ذكر عاطف بينهما
وذلك إذا كانت الجملة الثانية بياناً للأولى
أو بدلاً منها أو توكيداً لها ، فان ضعفت
الصلة بينهما ، بأن تغاير معنهما مع وجود
صلة ما تجمععهما وجب الوصل بحرف عطف .

وإنما أذكر هذه القضية الثانية ، مع أنها
معلومة ، لأن حديث النحاة عن واو الاستئناف

الأصلي للواو ، وهو العطف ، إما على محذوف
دل عليه المقام ، وإما على مضمون الكلام
السابق :

* * *

ومن هنا أرى مهمة الجمع وكل مشتغل
بعلوم اللغة . مهمة شاقة وواسعة المدى لا في
وضع مصطلحات للعلوم والفنون فحسب ،
بل في تخليص هذه العلوم مما يثقلها من التقسيم
والتفريع والتنويع ، وليتنا نفكر عملياً وجدياً
في العودة إلى النحو القديم ، ندرسه من خلال
الدس دراسة تطبيقية لا نظرية تنقد وتعرب
وتعال لما وراء الأساليب من أسرار وأبعاد ..
ليتنا .. وكان الله في عون الحافظين للضاد .^{٣٤}

محمد نايل
عضو المجمع

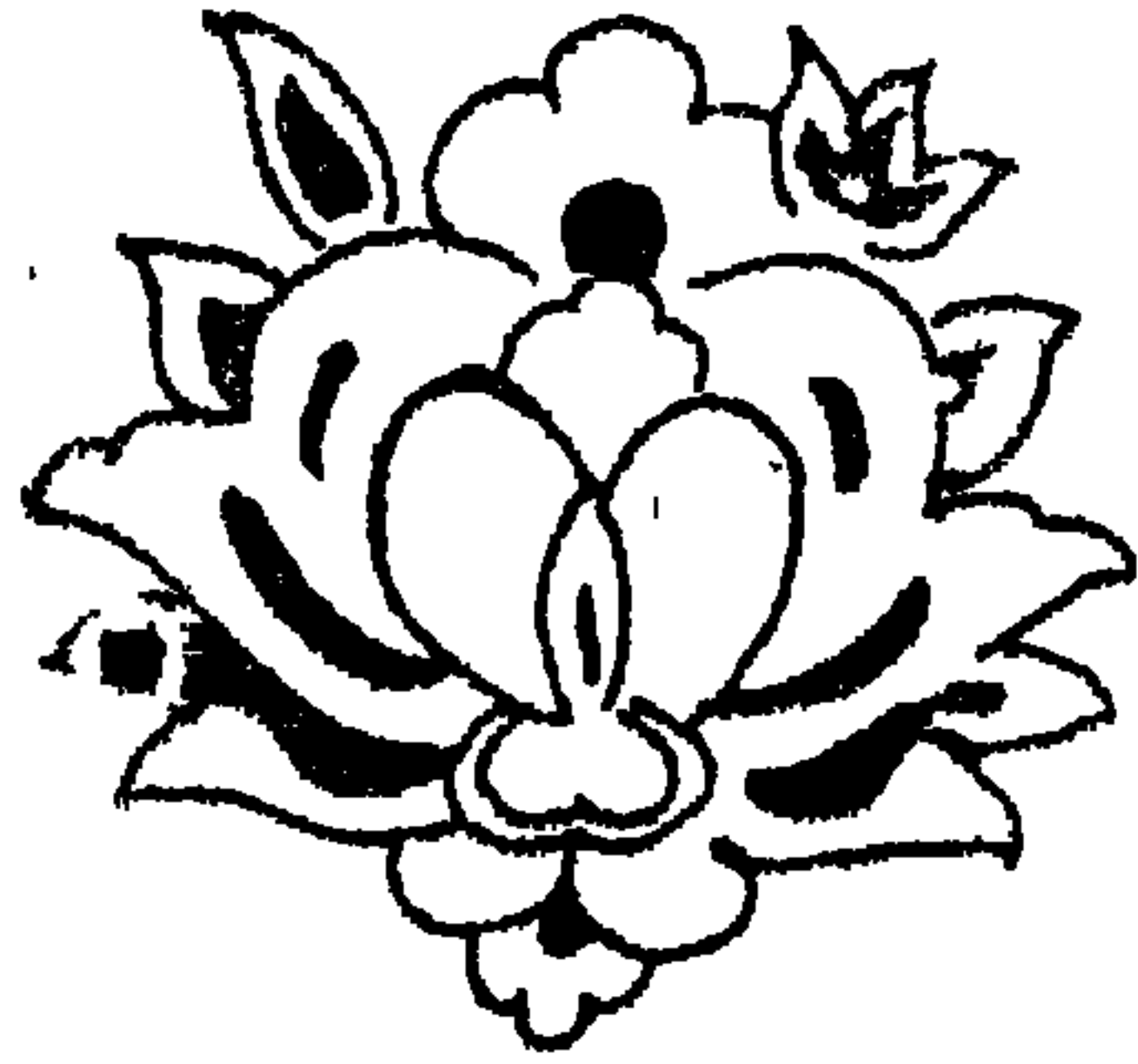
قد يوهم جواز الانقطاع بين الحمل وبينما اللغة
تأباه إباء شديداً وتسقط الكلام إذا بدت فيه
رائحة هذا الانقطاع ، ولهذا حوسب الشعراء
حساباً عسيراً ، عندما بدت في أشعارهم حمل
لا رابط بينهما ، كالبيت المشهور ، الذي
جمع بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين :

لا والذي هو عالم أن النوى

صبر وأن أبا الحسين كريم

ومع تقديري للجهود التي بذلها علماءنا في
ضبط قواعد هذه اللغة ، مما يشكر لهم ،
ولا ينكر ، فأني لا أجد حرجاً في تعقب
بعض الآراء التي تثقل هذا العلم ولا تفيده ،
والتي يمكن ردها بيسر إلى القواعد والأصول
المتسقة مع أساليبها الجميلة والتي فطن إليها
الفحول القدماء من النحاة وأرباب الذوق .

فقد رأيناهم يردون جميع الشواهد التي
أريد بها أن تكون واوها للاستئناف إلى المعنى



وحدة البنية ومصرف الرنظمة

للكتور تمام ضهان

وحدة البنية وتعدد النماذج

وإذا نظرنا إلى النماذج المختلفة التي بناها اللغويون للغة الإنجليزية في الوقت الحاضر وجدنا عددا من هذه النماذج يسود جنبا إلى جنب في أوساط اللغويين الأمريكيين وإن خضع مجموع النماذج على اختلافها للفكرة التوزيعية أو تفرع عنها. وفي الدراسات العربية كان النموذج البصري يختلف عن النموذج الكوفي وجاء هذا الاختلاف في مجال الأصول كما شاع في مجال الفروع. فقد اختلفت المدرستان حول عدد من الأصول مثل القليل لا يعتمد به، وكثرة الاستعمال تميز الحذف العطف على الضمير المحرور لا يجوز والأصل في حروف الجر ألا تعمل مع الحذف ولا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه وعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال والحمل على الجوار كثير في كلامهم. الخ ومن شاء أن يظفر بحشد من أمثلة اختلافهم حول الأصول فليتمس ذلك في كتب الخلاف وأشهرها كتاب الإنصاف لابن الأنباري. ثم أضاف

مقدمة :

تتحد بنية اللغة وتعدد النماذج التحليلية التي يعرض الباحثون من خلالها نظام هذه اللغة، وإنما أتى تعدد هذه النماذج من قبل الأسس النظرية التي يبني عليها الباحثون أعمالهم؛ فمنهم من يطلق من بداية فلسفية فيرى اللغة كيانا فلسفيا؛ ومنهم من يبدأ من المنطق فيراها فكريا منطقيا ومنهم من يخضعها للدين فيسخرها له، ومنهم من يراها كائنا طبيعيا ينمو ويضمحل ومنهم من يراها مظهرا لتصورات ذهنية لا تخضع للوصف ولا للتقعيد وإنما يقول عنها ما يخضع للوصف والتقعيد :

ويتجلى اتحاد اللغة واختلاف النماذج في عدد من الأمثلة منها ما يتصل باللغات الأوروبية التي أخذت النمو في البداية عن النموذج الذي بناه نحاة اللاتينية ثم تحووا عن هذا النموذج اللاتيني إلى نماذج أخرى تخضع لتطور الدراسات اللغوية الحديثة.

كتابى : « اللغة العربية : معناها ومبناها »
نموذجا آخر إلى نماذج النحو العربى سنعرض
له فيما بعد بالتفصيل على قدر ما تسمح المسافة
المخصصة لذلك فى هذا العرض .

ولا تستوى الحسنة ولا السيئة من بين هذه
النماذج ما دامت تختلف فى مأخذها وتباعد
كبعدها ما بين التأويل وظاهر النص . وإن
كفاءة أى واحد من هذه النماذج إنما تنبع من
قربه من الوفاء بالشروط العلمية التى تعارف
عليها العلماء وهى الموضوعية المتمثلة فى
الاستقراء الناقص وإمكان التحقق من صدق
النتيجة ثم الشمول المتمثل فى الخوض لمبدأ
الحتمية وتجريد الثوابت ثم التماسك المتمثل فى
الاعتماد على التقسيم والحرص على عدم
التناقض وأخيرا الاقتصاد المتمثل فى التعقيد
والاستغناء بالأقسام عن الخوض فى المفردات ؛
تلك هى خصائص العلم المضبوط أو الصناعة
كما يسميها تراثنا العربى . والنحو صناعة كما
يقول النحاة فلا بد أن تتحقق له الموضوعية
والشمول والتماسك والاقتصاد . وقد يتحقق
له بعض هذه الشروط دون بعض وقد
يتحقق له الأكثر دون الأقل أو الأقل دون
الأكثر ومن هنا تختلف النماذج قريبا وبعدا
من الصورة المثالية للنموذج فتتفاوت حسنا
وسوءا (أى من ناحية الـ elegance) ومما
يوضح التفاوت فى تحقق هذه الشروط ما
تلمحه من فارق بين النحو وفقه اللغة . فالنحو
صناعة لأنه يتناول ثوابت الأفكار والأقسام
وفقه اللغة ليس من قبيل الصناعة لأنه يبحث

فى المتغيرات ومفردات الظواهر إذ يتناول
علاقة اللفظ المفرد باللفظ المفرد والظاهرة
المفردة بالظاهرة المفردة كما يتناول علاقة اللفظ
المفرد بالمعنى وعلاقة اللفظ المفرد بالاستعمال
ثم لا يصطنع لذلك شيئا من التفسير ولا التعقيد
ولا التجريد إلا ما يستعيره استعارة من علوم
أخرى كالصرف والأصوات كحين يعالج
ظاهرة الاشتقاق أو ظاهرة التأليف مثلا ؛
ومثل ذلك يقال عن الفارق بين البصريين
والكوفيين حين ننظر مثلا إلى الأصل البصرى
الذى يقول : « القليل لا يعتمد به » إذ نرى
الكوفيين يعتدون بالقليل فيدونون بذلك من
الاعتداد بالمفردات من الظواهر وقد علمنا
أن العناية بمفردات الظواهر أشبه بفقه اللغة
منها بالنحو .

فإذا وضعنا هذه الحقائق السابقة نصب
أعيننا علمنا أن اللغة العربية التى وصفها
النحاة يمكن أن تظل على حالها التى تبدو
بها فى تراثنا الأدبى ثابتة لا تتغير ثم
تحاول الأجيال المتعاقبة من الباحثين أن
تكشف عن نظامها بإنشاء النماذج المتعاقبة
لهذا النظام دون أن تتأثر هذه اللغة بذلك
الاختلاف فى بناء النماذج . وسأحاول فى
الصفحات التالية أن أعرض النموذج البصرى
الذى أنشأه النحاة ولخصه كتاب سيبويه
ثم أعرض بعد ذلك نموذجى الذى تضمنه
كتاب « اللغة العربية » سنة ١٩٧٣ . لم أعرض
تطبيقا لنموذج النحو التخويلى على اللغة العربية

مأخوذاً من كتاب Aspects لتشكوفسكى سنة ١٩٦٥ . وبذلك أرجو أن أضرب المثل لإعادة وصف اللغة العربية في ضوء علم اللسانيات .

النموذج البصرى :

بنى النموذج البصرى على أسس منهجية معينة يمكن تلخيصها على النحو التالى :

١- الكلمة وحدة الجملة ومن ثم كانت هى النواة التى دارت حولها الدراسات الصرفية والمعجمية . أما فى الصرف فقد حددت صيغها وأصولها وزوائدها وما يلحقها من الظواهر المختلفة التى يشملها مصطلح « التغيير » كالأعمال والإبدال والنقل والقلب والحذف الخ وعنيت الدراسات الصوتية بإمداد الصرف بكثير من الحقائق التى استعان بها على دراسة الكلمة . وإنما وقع اختيار النحاة على الكلمة دون الصوت المفرد ودون المقطع ودون المتلازمين لأن الكلمة بحكم تعريفها لفظ مفرد وبحكم دلالاتها تدل على معنى مفرد . وهكذا يبدو أن فكرة الأفراد هى التى أعانت على بناء الجملة على الكلمات دون غيرها من وحدات التحليل . أضف إلى ذلك أنها نواة صيغة مفردة وأن اللواصق والزوائد تلتصق بها وأن ظاهرة الإعراب فى اللغة الفصحى ارتبطت بالكلمة . فالإعراب عندهم أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل

فى آخر الكلمة . وإذا كانت أواخر الكلمات تختلف بحسب المعانى فلا شك أن الكلمة تصاح لأن ينسب إليها استقلال فى بنية اللغة لا يمكن أن ينسب مثله إلى الصوت أو المقطع مثلاً ، بل لا يمكن أن ينسب مثله إلى المتلازمين لأن الإعراب لا ينسب إليهما معا ومن لا يصلحان معا - فى رأى النحاة - أن يكونا وحدة تحليلية قائمة بذاتها ثم إن الكلمة مع ذلك يمكن تقديمها وتأخيرها ويمكن أن تضام الكلمات الأخرى أو تنفصل عنها وبذلك كله يتحقق وجودها النظرى باعتبارها وحدة تحليلية :

٢- والكلمة أقسام ثلاثة : اسم وفعل وحرف . وإن التقسيم مبنى على أساسين أحدهما التمييز بحسب المعنى وثانيهما التمييز بحسب المبنى . فأما من حيث المعنى فالاسم مادل على مسمى والفعل مادل على حدث وزمن والحرف مادل على معنى فى غيره وأما من حيث المبنى ؛ فالأمر واضح من قول ابن مالك :

بالجر والتنوين والندا وأل
ومسند للاسم تمييز حصل
بتما فعلت وأنت ويا افعل
ونون أقبان فعل ينجلي
سواهما الحرف

ومع التسليم بأن مثل هذا التقسيم ينبغي أن يأخذ في اعتباره المعنى والمبنى معا على حد ما صنع النحاة ، يحسن أن نشير هنا إلى أن النحاة أحسنوا اختيار المبدأ ولكنهم قصرُوا بعض الشيء عند إجراء التطبيق ، لأن الاسم في تقسيمهم اشتمل على أمشاج من الكلم بينها اختلاف هام جدا من حيث المبنى إذ لا يدل كل اسم عندهم على مسمى لأن المصدر يدل على الحدث ، والوصف يدل على موصوف بالحدث ، والضمير يدل على مطلق حاضر أو غائب، والمظرف يدل على اقتران حدثين وأسماء الأفعال تدل على استعمال إفصاحي لإنشائي للغة وهكذا نجد أن هناك طوائف من الأسماء لا تدل على مسميات أضف إلى ذلك أن الحرف لا يدل على معنى في غيره وإنما يدل على علاقة من العلاقات الرابطة لأوصال الجملة فله معنى وظيفي يعرف به ويساق له وينسب إليه . وحسبنا أن نعلم أن النحاة أنفسهم نسبوا المعاني إلى الحروف وحسبنا أن نقرأ قول ابن مالك :

على للاستعلا ومعنى في وعن

بعبى تجاوزا عنى من قد قطن

الخ . والأمر من حيث المبنى يبدى لنا بعض المفارقات أيضا ، فالضمائر لا تقبل التنوين وبعضها لا يقبل النداء ولا تدخل عليها « أل » وإن دخل عليها حرف الجر

لم يظهر عليها وكذلك الحال في الظروف وأسماء الأفعال . ولقد عد النحاة النواسخ من بين الأفعال وهي ليست متصرفة تصرفا تاما في معظمها وبعضها يأبى علامات الأفعال . وهذا وغيره مما يمكن أن يطلع عليه في كتابي : اللغة العربية : معناها ومبناها ص ٨٢ - ١٣٢ :

٣ - حين لاحظ النحاة عدم اطراد صور الاستعمال أدركوا أن محاولة بناء القواعد على أمور غير مطردة أمر غير ممكن وغير مفيد . وكيف يتبادر إلى ذهن من لا يعرف العربية أن النون في « ينبغي » وهي تنطق بضم شفتين والنون في « ينبع » وهي من الشفة السفلى والأسنان العليا » والنون في « ينظر » وهي يخرج في نطقها اللسان والنون في « ينقل » وهي تنطق في اللهة ؛ كل ذلك يؤدي وظيفة واحدة من حيث المعنى ؟ بل كيف يمكن أن يتصور المرء منذ الوهلة الأولى أن « استخرج » و « ع » و « ره » يمكن أن توضع تحت عنوان واحد ؟ بل كيف يمكن أن يضع المرء قاعدة واحدة مثل « زيد ذنف » و « ذنف » في جواب « كيف زيد » ؟ من هنا كان لابد للنحاة أن يعزفوا عن غير المطرد إلى المطرد فإن لم يجدوا المطرد في الاستعمال اخترعوه بالتجريد . وكذلك كانت الحال ؛ فقد اخترع النحاة (أصل الوضع) وبنوا النحو على هذا الأصل . فأما النونات

التي سبق الكلام عنها فأصل وضعها نون مجردة في الذهن تنسب إلى النطق في اللثة ، وتمثل عند نطق النون المفردة وهي ساكنة غير متحركة ولكل حرف من حروف العربية أصل مثلها للنون أصل . والذي يقرأ باب الإدغام في كتاب سيبويه يجد سيبويه يتكلم عن الأصول والفروع فيعد الأصول تسعة وعشرين ويجعل لها فروعاً تصلح في قراءة القرآن والشعر وفروعاً أخرى لا تصلح لذلك وهذه الأصول هي أصول وضع الحروف التي جردها النحاة :

ولكل كلمة أصل وضع كذلك وإنما يعدل بالكلمة عن أصل وضعها بالإعلال أو الإبدال أو النقل والقلب أو الحذف أو الزيادة «فقال» أصلها «قول» وقد عدل بها عن هذا الأصل بواسطة الإعلال إذا تحركت الواو (التي في الأصل مجردة في الذهن) وانفتح قبلها فصارت في الاستعمال الفاء وهكذا أعلنت عن الكلمة «وكساء» أصل وضعها كساو ، قد وقعت الواو متطرفة أثر ألف زائدة فأبدلت همزة . ويقوم أصلها يقوم بقاف ساكنة وواو مضومة وقد نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها فسكنت الواو وحياض أصلها حواض وقد وقعت الواو عينا لجمع صحيح اللام قبلها كسرة فقلبت ياء و يجد أصلها يوجد بياء مفتوحة وواو ساكنة وجيم مكسورة وقد وقعت الواو فاء لمضارع فعل من نوع «المثال» فحذفت

إذ تحذف من مضارع هذا النوع في أمره ومصدره ومصغره . و «رجيل» المصغرة أصلها «رجل» زيدت فيها ياء ساكنة للتصغير . كل هذا من الناحية الصرفية . أما من الناحية الاشتقاقية فإن «استغفر» أصلها (غ ف ر) و «جاه» أصلها «وج ه» و «سمة» أصلها «وسم» و «اذكره» أصلها «ذك ر» وهلم جرا .

ولكل جملة أصل وضعها . وقد عرف الجزولي الكلام بأنه «اللفظ المركب المفيد بالوضح» فإذا عرفنا أن الجزولي كان يقصد تعريف «الجملة» عرفنا أن الجملة لها صورة مجردة في الذهن عند النحاة قد يطابقها الاستعمال وقد يختلف عنها ، وهذا الأصل هو :

الجملة الاسمية : مبتدأ + خبر

الجملة الفعلية : فعل + فاعل (أو نائب فاعل) .

الجملة الشرطية : أداة + شرط + جزاء

جملة الأمر : صيغة الأمر + فاعل إما ضمير متصل ومستتر

جملة النهي : أداة + مضارع + فاعل (إما ضمير متصل أو مستتر)

وهكذا يصبح أصل الوضع أمراً ثابتاً من عناصره الأظهار والذكر والاتصال

والرغبة على عكس مايجرى على الحمل الحقيقية في معمعة الاستعمال من إضمار أو حذف أو فصل أو تقديم وتأخير إلى غير ذلك من مظاهر «التغيير» وهذا الثبات الذى نسبه النحاة لأصل الوضع مكنهم من أن يبنوا قواعد مطردة صارمة بمعزل عن تطور اللغة من عصر جاهلى إلى آخر إسلامى وعن اختلاف القبائل فى استعمال اللغة من الحجاز إلى نجد فلما تم لهم ما أرادوا من بناء القواعد عمدوا إلى قواعدهم المبنية بتجريد الأصول فسلطوها على المسموع من الفصحاء وهو مبنى على السليقة دون التجريد فيفحين اختلف المسموع عن القاعدة كان بعض النحاة يطعن على العرب ويغلطهم ، وكان بعضهم الآخر يسلم لهم معترفا بما قاله الفرزدق لابن أبى إسحق «علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا» .

وهكذا نرى أن النحاة افترضوا «أصل الوضع» فإذا اتفق المستعمل معه فذلك ، وإلا ادعى النحاة أن هذا المستعمل قد عدل به عن الأصل . فإن كان المعدول به عن الأصل حرفا سمي العدول إدغاما أو إقلابا وإخفاء الخ وإن كان كلمة سمي العدول إعلالا أو إبدالا أو نقلا أو قلبا أو حذفاً أو زيادة أو عدلا وإن كان جملة سمي العدول إضمارا أو حذفاً أو فصلا أو زيادة أو تقدما وتأخيرا . وكل عدول عندهم كان يتطلب الرد إلى الأصل وهذا

الرد إلى الأصل يتم فى ضوء قواعد صوتية أو صرفية أو نحوية ويسمى «التأويل» وإنما اختاروا هذا المصطلح ليدلوا به على قصدهم أن يعملوا على أن «يؤول» هذا المعدول به عن الأصل إلى أصله . فكأنهم أخذوا لفظ «التأويل» من الفعل «يؤول» .

٤- وكذلك جعل النحاة للقاعدة أصلا وسموه «أصل القاعدة» وجعلوه صالحا لأن يعدل بالتركيب عنه إلى قواعد فرعية : فالقاعدة العامة للمبتدأ والخبر تخضع للأصل القائل «الأصل فى المبتدأ التعريف وفى الخبر التنكير» (ابن عقيل ١ / ٢١٦) ، ولكن هذه القاعدة الأصلية يعدل عنها إلى قاعدة أخرى فرعية تقول: «إذا أفادت النكرة فلا يمنع الابتداء بها» (نفس المرجع) وكذلك يقول أصل القاعدة «لا يخبر بالزمان عن الحثة» ولكن هذه القاعدة قد يعدل عنها عند أمن اللبس إلى قاعدة فرعية تقول: «إذا كان الإخبار بالزمان عن الحثة لا يذهب بالفائدة جاز» والأمر كذلك بالنسبة للأصل القائل: «أى معربة» والفرع القائل: «تبنى أى إذا أضيفت وحذف صدر صلتها» . وهكذا إذا وقعنا على تركيب تصدق عليه القاعدة الفرعية أمكننا أن نرده إلى أصله (القاعدة الأصلية) بواسطة التأويل إذ نسبه إلى ذلك الأصل ونعترف به فى ظله ونعده استثناء منه ، وهذا هو تأويل القاعدة

أى الرجوع بها إلى أصلها المنسجم مع ظاهر النص أو الذى يتبادر من ظاهر النص . أما إذا كان تفسير بناء تركيب ما يتم فى ضوء أصل لا يتبادر إلى الذهن من ظاهر النص فيضطر النحوى إلى « إخراج » التركيب من الأصل القريب الذى ينسجم مع أول فهم للنص إلى آخر غير وارد عليه للوهلة الأولى فذلك نوع آخر من التأويل غير « الرد » يسمى « التخريج » من ذلك مثلا ما دار حول قوله تعالى : « ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير » قرأ عيسى بن عمر بنصب الطير وقال إن « الطير » معطوف على محل المنادى أما النحاة الآخرون فجع اعترافهم بقراءة النصب قالوا إن هناك قراءة أخرى بالرفع وإن « الطير » المنصوبة لا يمكن عطفها على محل المنادى لنشابه أحكام المنادى - وأحكام تابعه والمعروف أن المنادى إذا اقترن بأل فإنه لا تسلط عليه « يا » وإنما تتوسط « أيها » بينهما . وحين رأى النحاة أن ظاهر النص يشهد بما رآه عيسى بن عمر بحثوا عن معنى آخر يمكن أن ينسجم مع أصل قاعدة أخرى وهى القاعدة العامة لعطف التى يعطف بحسبها غير المنادى فعثروا على ذلك المعنى بأن جعلوا الطير معطوفة على « فضلا » فكأن الله تعالى آتى داود فضلا وآتاه الطير ولكن يشهد لرأى عيسى قوله تعالى « وسخرنا مع داود الجبال

يسبحن والطير » أما هذا الصنيع من القائدين به فيعد « تخريجا » لا « تأويلا » وهكذا يمكن الرجوع إلى أصل الوضع بالرد فقط ، ويمكن الرجوع إلى أصل القاعدة به أو بالتخريج .

هـ - ولقد بنى النحاة نحوهم على قرينة واحدة من قرائن المعنى النحوى وهى العلامة الإعرابية وأقاموا عليها نموذجا متكاملا سموه « العمل النحوى » أو « العوامل النحوية » وقسموا العوامل إلى لفظية ومعنوية ، وقسموا الإعراب إلى ظاهر وتقديرى ومحلى وأخضعوا الظاهرة كلها لفكرة أصل الوضع . فالأصل فى الإعراب أن يكون بالحركة وأما الحرف فهو فرع عليها وعدول عن الأصل ، والأصل فى الإعراب أن يكون ظاهرا فإذا لم يظهر فذلك عدول عن الأصل يرد إليه بالتقدير ، فإذا كان مالم يظهر عليه الإعراب مقصورا أو منقوصا قدرت الحركة على آخره ، أما إذا كان مفردا مبنيا أو جملة فالمقدر هو المحل . والأصل فى النصب أن يكون بالفتحة وفى جمع المؤنث السالم عدول عن الأصل ، والأصل فى الحر أن يكون بالكسرة وفى الممنوع من الصرف عدول عن الأصل . والأصل فى الإعراب أن يكون للأسماء وفى إعراب المضارع عدول عن الأصل يتطلب التعليل بعلة الشبه كما أن فى بناء الأسماء عدولا عن الأصل بعلة الشبه أيضا لقد ظهر فى صفوف النحاة من أتى

ابراهيم أنيس قد وقفوا في صف قطرب وأنكروا الصلة بين الإعراب والمعنى . ولو لم يرتبط الإعراب بالمعنى ما كان هناك فارق فيه بين عبارتي « هذا كاتب ساخر » و « هذا كاتب ساخرا » ومعنى هذا أن الإعراب قرينة من قرائن المعنى النحوي لامراء ، وأن الذي دعا قطربا إلى الوقوف هذا الموقف يمكن تفسيره على نحو آخر كما سنرى من بعد (انظر فكرة الترخيص في هذا البحث) .

٦- ونظر النحاة في الزمن النحوي فأروا أن الأزمنة الثلاثة : ماضٍ وحاضر ومستقبل . ولكن الزمن عندهم ارتبط بالصيغة المفردة ارتباطا تاما حتى قالوا : « إن الفعل دال على الحدث بلفظه ، على الزمن بصيغته » وكأن الماضي عندهم ارتبط بالبناء على الفتح وقبول ضمائر الرفع المتصلة ومن ثم رأيناهم ينسبون الماضي إلى « نعم وبئس » وما أفعله « و « هيات » لتحقيق البناء على الفتح فيها وينسبونه إلى « ليس » لهذا ولقبولها ضمائر الرفع المتصلة على الرغم مما يبدو في معاني هذه الكلمات من بعد عن معنى الزمن في أساسه ، وارتباط « العبارات » التي هي فيها بمعنى التو واللحظة ، فإذا وجدوا أن السياق ربما أدى إلى معنى زمني غير الذي نسبوه إلى الصيغة ذهبوا ينسبون المعاني الزمنية إلى الأدوات

ضلال الشك على ظاهرة الإعراب وزعم قطرب أن ارتباط الإعراب بالمعنى لا يعدو أن يكون من تأصيلات النحاة وتجريداتهم وأعانه على ذلك ما لاحظته من توسع الشعراء والفصحاء في ارتكاب الضرائر الشعرية مع عدم ذهاب المعنى ، فالقرآن والحديث والشعر وكلام العرب ملئ بالتوسع في أمر العلامة الإعرابية والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى وحسبنا أن نذكر مثالا من كل نوع مما سبق .

فالله تعالى يقول : « إن هذان لساحران » والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن قعر جهنم لسبعين خريفا » والفرزدق يقول :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتا أو مجلف

والعرب تقول : « خرق الثوب المسمار » برقع الثوب ونصب المسمار ، ومعنى هذا أن قطربا لم ينكر وجود الإعراب نفسه ولو أنكره لقام القرآن المتواتر بإعرابه والشعر الذي لا يستقيم وزنه إلا مع الإعراب شاهدين على خطئ رأيه ووضوح باطله . وإنما زعم قطرب أن هذا الإعراب الذي لا سبيل إلى نفي وجوده لا يرتبط بالمعنى على نحو ما قرر النحاة . ولكن ذلك أيضا لا يسلم لقطرب وإن كان بعض المحدثين ومنهم المرحوم الدكتور

كنسبة « القلب » إلى « لم » ونسبة الدلالة على ما يستقبل من الزمان إلى « إذا » ونسبة شئ من معنى الحضور إلى « قد » وهكذا حسبوا الدلالة الزمنية للنحو العربي في هذا النطاق الضيق بسبب انشغالهم بالمفردات وبناء النحو عليها كما سبق أن أشرنا وسنرى من بعد أن الزمن في اللغة العربية أغنى بكثير مما تصوره النحاة .

نموذج كتاب اللغة العربية (١٩٧٣) :

إنما مثلى بالنسبة لهذا النموذج ومثل البصريين بالنسبة لنموذجهم كمثل رجلين أرادا أن يكشفوا عن بنية ضاحية صغيرة من مدينة إذ تتكون هذه الضاحية من ثلاث مجموعات من المباني . فأما أحد الرجلين (والمثل هنا للبصريين) فقد ركب طائرة عمودية توقفت به في الجو فوق هذه الضاحية بمسافة قليلة تمكنه من رؤية المباني المذكورة دون بقية المدينة فاطلع فرأى هذه المباني من ثلاث كتل (والمثل للاسم والفعل والحرف) فأقر بذلك ورضى به وجعل ذلك في صلب معلوماته عن الضاحية . وأما الرجل الآخر (والمثل لشخصي المتواضع) فلم يركب الطائرة وإنما قصد إلى هذه الكتل ماشياً فدخلها واحدة بعد الأخرى فوجد كل كتلة منها مكونة من بنايات متلاصقة بحيث لا يدرك من يشرف عليها من الطائرة إلا أنها

كتلة واحدة . حين رأى تعدد البنائيات في كل كتلة ذهب يتفحص في صورة كل منها والغرض الذي تستعمل من أجله ، فخرج من تجريته هذه بزعم أن ما رآه راكب الطائرة ثلاثة أقسام هو في الحقيقة سبعة أقسام للمباني لثلاثة وهكذا وصل نموذجي الذي بنيته إلى جعل أقسام الكلم سبعة : الاسم - الفعل - الوصف - الضمير - الظرف - الخالفة - الأداة . فالنحاة البصريون أشرفوا على أقسام الكلم من أصولهم المجردة تجريدا عقليا بعد أن التزموا بعبارة قالها على ابن أبي طالب رضى الله عنه « الكلم اسم وفعل وحرف » وطلب إلى أبي الأسود أن ينحو هذا النحو . أما نموذجي فقد بدأ بالاستقراء المنهجي الوصفي المبني على أسس من المعنى وأسس من المبني وانتهى إلى هذا النموذج المستقل عن النحو البصرى مع بعض الانتفاع بالممارس الغربية فوجد ما يلي :

١ - أن ما سماه النحاة : « الاسم » يشتمل في الواقع على أمشاج من الكلم يختلف سلوك كل منها عن سلوك الآخر فإذا كانت الأسماء تعرف بأل فإن الأوصاف (اسم الفاعل والمفعول والتفضيل والمبالغة والصفة المشبهة) لا تفيدها « ال » تعريفا ولا تخصيصا وإذا كانت الأسماء لا تتطلب مرفوعا ولا منصوبا فالأوصاف تفعل ذلك الخ . ثم إذا دلت الأسماء

طبيعته هذا المعنى . وهكذا حصلنا على تعريف غير جامع ، لأن النواسخ (وسنعددها من الأدوات) تدل على معنى في غيرها وهو النسخ ، وغير مانع ، لأن الظروف الحاملة المبينة له وهي ليست من الأدوات (تدل على معنى في غيرها وهو اقتران حدثين .

لهذا قام نموذج كتاب اللغة العربية ١٩٧٣ على أساس تقسيم جديد فقسم الكلام إلى : اسم - وصف - فعل - ضمير - خالفة - ظرف - أداة .

و فرق بين كل قسم من هذه الأقسام وبين غيره على أساس مزدوج من المعنى والمبنى وهذا التقسيم جزء لا يتجزأ من نظام اللغة العربية كما يتصوره النموذج . والمعروف أن النظام تجريد صامت ساكن غير متحرك وأن هذا النظام إن كان الإطار الذي يرتبط به الاستعمال فإن الفرق بينه وبين الاستعمال فرق ما بين الحسى والمعنوى أو بين الساكن والمتحرك أو بين القانون والسلوك الفردى والمعروف أن الاستعمال اللغوى ، بحكم ماله من دينامية وخضوع لظروف التكلم والمتكلم ، لا يمكن أن ينطبق تمام الانطباق على أى نموذج يمكن للباحث فى اللغة أن يجرده تجريداً . ومن هنا ينبغى لصاحب النموذج بعد إنشاء الإطار العام أن يفسر الظواهر المتعارضة مع هذا التأطير . وهكذا وجدت أن ما يسمى

على مسسمى فالضمائر (الموسوليه والإشارية والشخصية) تدل على مطلق غائب أو حاضر ولا تقبل بعض العلامات الشكائية كالأسماء وتنتظم فى جداول بحسب التكلم والخطاب والغيبة والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث على عكس الأسماء وتبدو أحياناً فى صورة مشبعة وأخرى فى صورة مضعفة فإذا أضعفت اتصلت بالكلمة كما تتصل بباء الجر أو لا مثلاً والظرف (انظر المقصود بالظرف فى الكتاب المذكور) لا يدل على مسسمى ولا تتصل به الـ ولا يقبل الجر والتثنية والنداء وهكذا ..

٢- إن ما سماه النحاة « الفعل » يبدو أيضاً فى صورة تحتاج إلى كثير من العناية والنظر . لقد اشتمل الفعل على النواسخ التى لادلالة لها على الحدث كما اشتمل على التعجب والمدح والذم ولا دلالة فيهما على الزمن ورصدوا للفعل علامات يابها كثير مما عدوه من قبيل الأفعال ، فقد نسبوا الفعل لما إن التعلدى ولما إلى اللزوم فيما سبق دلالة على تعدد أو لزوم وهلم جرا مما قد يرى بتفصيل أتم فى كتاب اللغة العربية : معناها ومبناها .

٣- لم يدرك النحاة المعنى العام الذى تندرج تحته الأدوات جميعاً ، وهو معنى الربط والدلالة على العلاقة فساقوا للحرف تعريفاً لا يكتفى فى حد الحرف بخاصة ولا الاداء بعامه إذ قالوا : الحرف ما دل على معنى فى شيره دون أن يذكرها طبيعة الغير ولا

في النموذج اسماً ربما ورد في الاستعمال في
مواقع يرد فيها الوصف أو الفعل أو الظرف
وأن الوصف قد يرد مورد الاسم
وأن الفعل قد يرد علماً وأن الضمير قد
يرد مورد الظرف الخ فأنشأت فكرة النقل
أو بعبارة أدق انتفعت بما أشار إليه اللغويون
من فكرة النقل فلقم تكلم اللغويون عن
ظاهرة النقل بما لاحظوه من تحول الكلمة
عن معناها الذي كان لها بأصل الوضع
فقالوا إن هذه النقل قد يكون عن طريق
الحجاز اللغوي الذي علاقته المشابهة كالقصاص
مثلاً نقلت عن صفاء اللبن وذهاب رغوته إلى
نقاء اللغة وقد يكون بنقل اللفظ من المعنى
الخاص إلى العام كاللبأس إذ كان يدل على
الحرب فنقل إلى الدلالة على الشدة من أي
نوع وقد يكون بنقل اللفظ من المعنى الكلي
إلى الجزئي مثل « الرث » وكانت تدل على
الحسيس بوجه عام فخصصت باللباس والفرش
وقد يكون بنقل اللفظ من المعنى اللغوي
إلى المعنى الاصطلاحي كالصلاة والزكاة والصوم
والحج والحال والتميز الخ (فقه اللغة
للأستاذ علي وائي) هذا ما قاله اللغويون
والبيانون. وقد رأيت أن أضيف إلى ذلك
نوعاً آخر من النقل يشمل أمرين : نقل
المبنى من استعمال القسم الذي ينتسب إليه من
أقسام الكلام إلى استعمال قسم آخر والثاني نقل
نمط تركيب الجملة بلا تغيير فيه من أسلوب
إلى أسلوب آخر مثال الأول ما أشرنا إليه
منذ قليل من أن الاسم قد يستعمل وصفاً

كما في (زيدا رجلاً) لأن النموذج يعرض
لحبر المبتدأ أن يكون وصفاً فإذا ورد الاسم
مورده تحول إلى وصف ، بل إن النحاة أنفسهم
أولوه بالوصف فقالوا : (أي متصف
بالرجولة) ومن هذا القبيل قولهم : هذا
رجل الساعة وهذا معاوية القرن العشرين
وقضية ولا أبا حسن لها . وفي هذا المقام
بتحول معاوية وأبو الحسن إلى نكرتين وقد
يرد الاسم مورد الفعل كما في ضرباً زيدا
مورد الفعل كما في ضرباً زيدا فيتعدى الاسم
إلى المفعول وقد يرد مورد الظرف كما في
لقيته ساعة الغروب فتمحدثت إليه بعض
الوقت وافترقنا زهاء الثامنة مساءً وتواعدنا
أن نلتقى غداً .

وقد يرد الوصف مورد الاسم كما في
صالح وشاكر ومحمود وأحمد و خليل
وغيرها من أسماء الأعلام . كما قد يرد الفعل
هذا المورد كما في يزيد ويشكر ويعيش
ويموت ويحي وتغلب الخ وقد يرد الضمير
(وهو في هذا النموذج يشمل الإشارات
والموصولات أيضاً مورد الظرف كما في
هنا وشم والآن (إشارة إلى الحاضر) أما نقل
النمط التركيبي للجملة من أسلوب إلى أسلوب
فمنه نقل الإثبات إلى الدعاء كما في « بارك
الله فيك » والنفي إلى الدعاء كما في « لا فاض
فوك » والاستفهام إلى الإنكار نحو : « كيف
تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » وقد
التفتت النحاة إلى هذا النوع الثاني (نقل

النمط التركيبي) وجعلوه جزءاً من نموذجهم ولكنهم غفلوا عن النوع الأول فلم يلمحوا به إلا إلاما متسرعاً في بابي اسم العلم والتمييز (الأعلام المنقولة والتمييز المنقول).

وهناك فكرة أخرى كان لابد أن يشتمل عليها نموذج اللغة العربية 1973 وهي فكرة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد على نحو ما يتعدد المعنى المعجمي للكلمة الواحدة. ولم يغفل النحاة عن هذه الفكرة بل على العكس من ذلك نجد ما تمثل العمود الفقري في نوع من أنواع الكتب النحوية، مثل مغني الأبياب لابن هشام والجنى الداني لابن أم قاسم ورفض المبانى لابن عبد النور الماتى ولكن النحاة مع ذلك لم يعطوا هذه الفكرة ما تستحقه من التنظير فلم يدخلوها في تجريداتهم وتأصيلاتهم وينبغي أن يكون قد اتضح الآن ما أقصده بتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد فقد يكون المبنى (وهو يساوى ما يقصده المحدثون بلفظ Morpheme) أداة فتتعدد معانيها كما في صلاحية «ما» أن تكون موصولة أو مصدرية أو نافية أو تعجبية أو زائدة. وكما في صلاحية صيغة «فعل» (بفتح فسكون) للمصادر والصفة المشبهة وصيغة فعيل للفاعل والمفعول والمصدر وهام جرا والفرق بين هذا وبين النقل أن النقل تحول عن جسم إلى قسم فهو مرتبط بأقسام الكلام، أما هنا فالأمر مرتبط

بصورة المبنى الذي يتعدد معناه في داخل قسم بعينه فيثنائي مع فكرة النقل ولكنه قد يمتد على قسمين أو أكثر.

وفي رأى هذا النموذج أن أصل الاشتقاق ليس المصدر كما زعم البصريون ولا الفعل الماضي كما زعم الكوفيون. إنما هو الأصول الثلاثة التي تستعمل في المعاجم على شرط أن تكون مفرقة غير موضوعة في كلمة وأعجب لعقري كالحليل بن أحمد؛ إذ تراه أبا المعجميين العرب وسيد النحاة جميعاً والمسئول المباشر عن كثير مما نعرفه الآن باسم أصول النحو. كيف اضطرب تفكيره بالنسبة لأصل الاشتقاق. لقد وضع الحليل أصلاً للاشتقاق في الصرف في صورة المصدر فقال وقال البصريون معه: إن المصدر أصل الاشتقاق. وحين تصدى للغة في كتاب العين فرع المشتقات لا من المصادر وإنما من الأصول الثلاثة التي تعرفها اليوم باسم أصول المادة فما الفرق بين المادة والاشتقاق؟ ولماذا لا تكون أصول المادة هي أصول الاشتقاق؟ الحق أن الصرف لو اعترف بهذه الأصول الثلاثة في التفريع الاشتقائي لكان أصدق مع نفسه لأن كل التحليلات الصرفية تقوم على افتراض الأصول الثلاثة أصلاً للاشتقاق وترعاها في كل التقسيمات سواء في المجرد والمزيد وفي الصحيح والسالم والهيموز والمثال والأجوف والناقص واللثيف

المفروق والمفروق في الميزان الصرفي وفي القول بالإعلال والإبدال والنقل والقلب والحذف وفي إسناد الضمائر إلى الأفعال وفي تثنية الكلمة وجمعها وتصغيرها والنسب إليها . بل إن الأصول الثلاثة معتبرة حتى في أمور تقع خارج نطاق الصرف كالإملاء الذي يفرق بين الألف الواوية والياءية في الكتابة وهلم جرا .

والنحو شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية التي قد يعتمد وضوحها على التأخر بينها وبين القرائن اللفظية في السياق والقرائن المعنوية في هذا النموذج النحوي هي قرينة الإسناد (ولها صور) قرينة التخصيص (ولها صور أيضاً) وكذلك النسبة (ولها صورها) والتبعية (ولها صورها) والمخالفة (ولها صورها) (انظر كتاب اللغة العربية معناها ومبناها) وأما صور الإسناد فهي الحمل الاسمية والوصفية والفعلية والأولى والأخيرة معروفتان أما الوسطى فالمعروف أن الوصف قد يذكر له فاعل وقد يتعدى إلى مفعول به وقد يكون له مفعول مطلق فإذا تقدمه أداة نفي أو استفهام بدت الجملة الوصفية جملة أصلية بحيث نجد « أقام زيد » تقف جنباً إلى جنب مع « أيقوم زيد » « وأزيد قائم » أما إذا تقدمتها مبتدأ أو موصوف فإنها تبدو في صورة الجملة الفرعية بحيث تبدو « أقام أبوه » في

« زيد قائم أبوه » ولها نفس المظهر الذي لجملة « زيد يقوم أبوه » وهكذا يضيف النموذج جملة ثالثة إلى التراكيب العربية هي الجملة الوصفية وفروع التخصيص كلها علاقات للمنصوبات فالتعدي علاقة المفعول به وقرينته والغائية قرينة المفعول لأجاء والمعية قرينة المفعول معه والظرفية قرينة المفعول فيه والتأكيد قرينة المفعول المطلق المؤكد للمفعول أي الصارف لمعناه عن احتمال الحجاز ، والتحديد قرينة المفعول المطلق المبين للنوع أو للعدد والملازمة قرينة الحال والإخراج قرينة المستثنى والتفسير قرينة التمييز وأما النسبة فهي قرينة الإضافة وهي المعنى الذي ينتظم الحرف بالحرف وتتعدد معاني هذه الحروف حتى تكاد تربو على الثلاثين (انظر باب حروف الحرف في كتب النحو) وتكون الإضافة على معنى أي حرف منها وليست على معنى اللام ومن وفي ، لاحظ مثلاً معنى « عن » في عبارة « تجاوز الحد » ومعنى على في « ركوب الحصان » ومعنى إلى في « بلوغ المدينة » ومعنى « الباء » في « ضرب العصا » وهلم جرا وأما التبعية فقرينة قوامها الرابطة بين عنصريين من عناصر الجملة تجعلهما يقفان على نفس المستوى إزاء نواة الجملة ، والمقصود بالنواة العنصر الفعلي للجملة (الفعل أو الوصف أو المصدر المضاف أو المتعدي) وهذه القرينة تدل على النعت والتوكيد والبيان والنسق والبناء ولا ترتبط

بإعراب معين وإن اعتمدت على المطابقة
في الإعراب .

والمخالفة قرينة إرادة معنى غير إسنادي،
إليه نمط يخضع لقاعدة من قواعد الحمل
فحين يستعمل النمط نفسه لا على سبيل
الإسناد ، يختلف المعنى عما كان في الإسناد
وتشير اللغة إلى هذه المخالفة بالاختلاف
في الإعراب ، فتفرق بين عنصر من التركيب
في حالة الإسناد وبين هذا العنصر في غير
الإسناد بالضممة هنا والفتحة هناك ، قارن
لفظ « سلام » في قوله تعالى : « قالوا سلاما
قال سلام قوم منكرون » وكذلك الأمثلة
الآتية :

ما أحسن زيد . ما أحسن زيدا !

نحن العرب : نحن العرب نكرم الضيف

فصبر جميل : صبراً جميلاً

عليك خطوك . عليك نفسك

العمل العمل (مبتدأ وخبر)

العمل العمل (إنشاء)

سقى لك ورعى . سقيا لك ورعى

كم عمة لك يا جرير . كم عمة

ولقد جهد النحاة عظيم الجهد في محاولة
تخريج معظم الطائفة الثانية المنصوبة على
وجوب الحذف .

إنما كان الجزء الصرفي الذي قدمناه من
النموذج تمهيداً ضرورياً للكلام في الجزء

النحوي ، ذلك بأن الجانب الصرفي يقوم
للنحو قرينتي البنية والربط (والمطابقة
داخلة في الربط) اللتين تؤديان مع غيرهما
إلى حراسة المعنى وأمن الاليس ، فالنموذج
يشتمل على القرائن الآتية :

١ - العلامة الإعرابية . وقد سبقت الإشارة
إلى موقف النحاة منها ، وهي تعد إسهاماً من
النظام الصوتي في بناء النظام النحوي .
ولكن يدخل فيها كذلك عند النحاة تجريد
ذهني لا يتصل بالأصوات وذلك ما أطلقوا
عليه الإعراب التقديري والإعراب المحلى .
وقد اتخذ نموذج اللغة العربية ١٩٧٣ ، الذي
نحن بصدد الكلام ، فيه موقفاً معيناً من هذا
النوع من التجريد الذهني الذي لا يتفق
مع المنهج الوصفي .

وسنشير إلى ذلك بعد قليل :

٢ - البنية الصرفية وهي قرينة يقامها
الصرف إلى النحو وتبدو قيمتها في الكشف
عن المعنى عندما يكون الباب النحوي
مشروطاً بشروط بنائية خاصة ؛ كاشتراط
بناء الفعل للفاعل مع الفاعل وللمفعول مع
نائبه واشتراط الحمد للتمييز والمصدرية
مع اتحاد الأصول الاشتقاقية للمفعول المطابق
ومع اختلافها للمفعول لأجله وهلم جرا
فهنا تكون البنية قرينة المعنى النحوي وهو
الفاعلية والمفعولية الخ .

٣ - الربط وهو يتم بطريقتين :

(أ) بغير المطابقة فيكون بالضمير نحو :
قابلت الرجل الذى كلمتك عنه . وإعادة
اللفظ نحو : واتقوا الله ويعلمكم الله .
أو «فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها
من وعاء أخيه» أو الألف واللام نحو
« فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم
هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى »
وبالإشارة نحو « ولباس التقوى ذلك خير »
وبإعادة المعنى نحو « شعارى لا إله إلا الله »
وبالحرف نحو « من عمل صالحا فلنفسه »
لأننا لو تصورنا الغاء غير موجودة لكان
الحار والحجور صفة لما قبله وليس جوابا
للشرط وهلم جرا .

(ب) بالمطابقة فى الشخص « المتكلم
والخطاب والغيبة » أو فى العدد « الأفراد
والثنائية والجمع » أو فى النوع « التذكير
والتأنيث » أو فى التعيين « التعريف والتشكيك ».

ووسائل الربط كما نرى تعود إلى العناصر
الصرفية .

وهناك قرينتان تعودان إلى علاقة المبني
بالمبني فى السياق وهما :

٤ - الرتبة وهى إما محفوظة دائما فى
النظام والاستعمال فيعرف بها معنى الكلمة
ويرتفع بها الالبس وإما غير محفوظة إذ
يقررهما النظام مبدأ ويتصرف فيها الاستعمال

أساوبا وهذا النوع من الرتبة هو مجال ما
يسميه البلاغيون : التقديم والتأخير أما النوع
الأول فلا يخلو احتمال تقديمها ولا تأخيرها . وهل
تتقدم الصلة على الموصول أو النعت على
المنعوت أو المضاف إليه على المضاف أو
الحجور على حرف الجر أو المعطوف على
حرف العطف ؟

٥ - التضام وهو يشمل التلازم والتنافي
والتوارد فأما التلازم فكلام النحاة عن المتلازمين
أشهر من أن يعرف به . وذلك حين لا تنفك
الكلمتان إحداهما عن الأخرى كالحجار
والحجور والعاطف والمعطوف والموصول
والصلة وهلم جرا . وأما التنافى فمعكس ذلك
وهو أن تأبى الكلمة أن تضام الأخرى
فالضمير لا يضاف ولا ينعت وحروف
الجر تأبى الدخول على الأفعال كما تأبى
وأو الحال أن تدخل على الماضى دون
توسط « قد » وهلم جرا .

أما التوارد فذلك نصيب العلاقات
المعجمية من تحديد المعنى النحوى وهو فى
اصطلاح هذا النموذج يعنى أن بعض الكلمات
يحدد لها الاستعمال مدخولها وإن أطلقه نظام
اللغة . فليس فى نظام اللغة ما يمنع إضافة لفظ
« جلاله » إلى أى مضاف إليه : ذى جلال ولكن
الاستعمال حدد ذلك بلفظ الملك فيقال « جلاله
الملك » كما يقال « حنان الأم » وكما يقال :
« الأم الرؤوم » و « العالم العلامة » . ولكلمة
« صاحب » عدد محدود من الكلمات يمكن أن
تضاف إليها عناء إرادة التلقين مثل : صاحب

الحاللة - صاحب المعالي - صاحب الفخامة -
صاحب السعادة - صاحب الفضيلة - صاحب
النيافة الخ . نحب أن نشير إلى أن تشومسكى
قد كشف عن جانب هام في علاقات
التوارد لم أفطن إليه وذلك ما يمكن أن
نطلق عليه « قيود التوارد » ترجمة لعبارة
Selection restrictions وقد عاق
تشومسكى هذه الظاهرة بالمناسبة النحوية
لا بالصحة النحوية .

ولعل الرتبة والتضام من أوغل القرائن
في نظرية التوزيعيين ؛ لأن بيئة المبني وهي
مناطق التوزيع عندهم ، إنما تحدها الرتبة
وما يتعين بها من موقع (التضام) وما يستعين
به من معاقبة أو كما يسمونها Substitution
ويذكر للنحاة العرب أنهم كانوا على ذكر
من فائدة المعاقبة في الكشف عن المعنى
وكان من عباراتهم الشائعة قولهم : إن
هذا يعاقب ذلك أو لا يعاقبه . فالحرف
« قد » مثلاً يعاقب « سوف » ولا يعاقب
« أن » .

٦ - وهناك قرينة الأداة ، وكان يمكن
لها أن تحتسب فرعاً على قرينة البنية ، لأن
الأداة مبني على أى حال . لكن الأداة
كما تكون قرينة على معنى مدخولها المفرد
تكون قرينة على معنى الجملة وهنا
نأتي مرة أخرى إلى فكرة المعاقبة لنقول
مثلاً إن حرف الجر « في » لا يعاقب

« قد » لأن كلا منهما يدخل على مدخول
مختلف ويحل مواقع لا يحل فيها الآخر أو
بعبارة التوزيعيين : يختلف توزيعها عن صاحبه
وهناك جمل في العربية تتعين لها أدوات
فتكون الأداة قرينة الجملة . وإنه ليبدو
أن تعين الجملة بالأداة هو الأغلب الأعم
في العربية ؛ لأننا لا نكاد نجد جملة (فيما
عدا الإثبات والأمر بالصيغة) تخلو من
أن تتقدمها الأداة ، فهناك أدوات تتقدم
جملة النفي وجملة التأكيد وجملة الاستفهام
والأمر باللام والنهي والتخصيص
والتمنى والترجي والنداء والشرط الامتناعي
والشرط الإمكانى والقسم والتعجب الخ
وقد يحدث أن تحذف الجملة كلها حين
يدل دليل عليها وتبقى الأداة وحدها نائبة عن
الجملة المحذوفة وقرينة عليها ، بحكم ما بينهما
من التضام . كما في نحو علام وإلام ،
وكنحو : ولو وإن . . . الخ .

٧ - وهناك أيضاً قرينة النغمة في
الكلام المنطوق وهي قرينة هامة لم يقلل
من أهميتها عند النحاة إلا أنهم كانوا
يعرفون الفصحى في صورتها المكتوبة
الصامتة . ولكننا عندما نلجأ إلى الفصحى
ونتخذها وسيلة من وسائل التعبير الشعري
أو الخطابي أو المسرحي أو السينمائي تبدو
قيمة النغمة من جديد في أجلى صورها ،
فقد تحذف أداة الاستفهام فتحمل النغمة
عبء هذا المعنى ؛ كأن تحكى قصة تطاول

أحد الأشخاص علي رجل سليم وتدل
منها إلى نقطة من نقاط تمام المعنى فيسأل
السامع متعجبا : ولم يغضب ؟ وهو يعنى :
« أو لم يغضب ؟ » فيحذف الهمزة ويعتمد
على النغمة في أداء المعنى . وقد جاء حذف
الهمزة في قوله تعالى بإسان موسى « وتلك
نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل »
وقول الكميت :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب
ولا لعباً منى وذو الشيب ياعب

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا : تحبها قلت بهرا
عدد النجم والحصى والتراب

٨ - وهناك قرينة السياق بكل ما يشتمل
عليه من اعتبارات الصناعة النحوية
والمقام البلاغي ثم ما سماه تشومسكى : قيود
التوارد . وتتضح قرينة السياق في تحديد
معنى « إن » من قول الشاعر :

أنا ابن أباة الضيم من آل مالك
وإن مالك كانت كرام المعادن

فإز تعدد المعنى الوظيفي للسببي الواحد يجعل
الاحتمال هنا لأحد معنيين : النفي أو كون إن
مخففة من الثقيلة دالة على التأكيد . ولا
يتعين أحد المعنيين بطبيعة الحال إلا أن
يساعدنا السياق على تعيينه . وإذا نظرنا
إلى صدر البيت وجدنا الشاعر يفخر

بآبائه . وعشيرته ، فلو جملنا « إن » نافية
لوقعنا في التناقض بين الفخر بالقوم والذم لهم
فلم يبق إلا أن نعتبر « إن » مخففة من الثقيلة
دالة على التأكيد ليستقيم المعنى ، ولن يتسع
المقام لتفصيل القول في قرينة السياق لأنه
سيؤدى بنا خارج حدود النموذج النحوى :

إن الذى تقدم من كلام فى القرائن
الثمان إنما هو تمهيد للفكرة الرئيسية فى
هذا النموذج وهى فكرة تضافر القرائن :
لقد أعطى النحاة العرب لإحدى هذه القرائن
(وهى العلامة الإعرابية) نصيباً من العناية
عظيماً أخمل ذكر القرائن الأخرى فبدأ
النحو العربى وكأنه إعراب خالص وقامت
على الإعراب فكرة العامل النحوى التى
رأى فيها النحاة قمة نظريتهم ويراها المنهج
الوصفى المعاصر أكبر خدعة جازت على
ذكاء النحاة العرب على مر العصور وملكخص
فكرة « انتضافر » (التى تصلح عنواناً
للمنموذج الذى وضعته للنحو) أن المعنى
النحوى لم يستعين بقرينة واحدة مهما
كان خطرهما . وإنما تتعاون القرائن المختلفة
وتتضافر على بيان المعنى . فليس الفاعل
فاعلاً لأنه مرفوع فقط وإنما هو كذلك
لأنه :

- ١ - اسم قرينة البنية
- ٢ - مرفوع قرينة الإعراب .

٣ - يقدمه فعل قرينة الرتبة

٤ - مبنى للمعلوم قرينة البنية مرة أخرى

٥ - ودل على من فعل الفعل أو قام بالفعل : قرينة معنوية هي قرينة الإسناد .
ولو أنك قرأت هذه القرائن بالترتيب لوجدتها التعريف الذي وضعه النحاة لباب الفاعل ، ولكن الذي أقروا به عند التعريف نسوه عند التطبيق والتحليل وأنت ترى أن الفاعل هنا استبان بخمس قرائن ، إحداها قرينة الإعراب . وكذلك يتبين المبتدأ بأنه الاسم المرفوع المتقدم ، ولو تقديرا ، الذي يجبر عنه بمفرد أو جملة في حكم المفرد وكل قيد من هذه القيود يكشف عن قرينة .
والحال وصف فضامة منتصب يدل على حالة وقوع الفعل . فهذه خمس قرائن أيضاً والتمييز الاسم النكرة الحامد المنصوب الرفع لإبهام مبهم سابق . فهذه ست قرائن تتضافر على بيان التمييز . والمفعول المطلق مصدر منصوب مشارك للفعل في مادته دال على توكيد أو نوع أو عدد . فهذه أربع قرائن . والمفعول لأجله مصدر منصوب مغاير للفعل في مادته دال على سبب حدوث الفعل ، وهذه أربع قرائن أيضاً تبين المفعول لأجله .

والتضافر يغني عن القول بالعامل كما هو واضح لأننا إما أن نختص كل واحدة من هذه القرائن بنظرية كنظرية العامل النحوي وهو أمر لا يتفق والاقتصاد العلمي الذي أشرنا إليه سابقاً ولا يفيد عند النظر إلى المعنى أية فائدة بالإضافة إلى أنه يتنافى مع التفكير المستقيم ، وإما أن نجعل القرائن حزمة واحدة فيكون بيان المعنى راجعاً إلى اجتماعها وتضافرها فلا فضل لواحدة منها على الأخرى بحيث تستحق تنظيراً إضافياً يحمل ذكراً لأخرى مع الصمت المطبق عن الكلام في هذه الأخرى إلا عند الضرورة القصوى كحين يتكلمون عن لزوم الرتبة في «ضرب موسى عيسى» أو شذوذ الحذف (والقرينة هنا هي التضام) في قول الشاعر .

نحن الأولى فاجمع جمود

عك ثم وجههم إلينا

وتأويل المطابقة في نحو :

فمن يك أضحى بالمدينة رحله

فإني وديارها لغريب

وشذوذ حذف الرابط في :

من يفعل الحسنات الله يشكرها

وهلم جزا . ولكنهم لم يتصوروا تصافر
القرائن على بيان المعنى . ولم يجعلوه جزءا من
نموزجهم .

ويتفرع على القول بالتصافر مبدأ آخر
يذهب بكل ما جاء به النحاة من طعن على
العرب الفصحاء ويرد للقراءات الموسومة
بالشاذة اعتبارها وذلك هو مبدأ « الترخص »
الذي ربما ورد في التراث تحت عنوان
« التوسع » أو الضرورة أو « التوهم » أو غير
ذلك من المصطلحات التي تجتمع تحت عنوان
« الرخصة » أو الترخص وقبل أن نشرح
المقصود بهذا المبدأ ينبغي أن نجعله مقصورا
على الفصحاء دون غيرهم ، وهو إذا طبقه
المعاصرون منا دخل في مجال الخطأ .

فالمقصود بهذا المبدأ تفسير ماخالف
القاعدة من نصوص التراث وليس دعوة
للمعاصرين إلى التوسع في الاستعمال .

يقول أبو هلال العسكري في ص ٢٦
من كتابه (الفروق في اللغة) « والتوسع يازم
موضعه المستعمل فيه ولم يتعداه » .

والمقصود بالترخص في القرينة إهدارها
عند أمن اللبس اتكالا على أن المعنى مفهوم
بدونها فالمعنى يقتضيها فتكون مميزة بدلا من
أن تكون هي التي تقتضي المعنى وتميزه ، ومن
هنا تصبح فائضة وتدخل ضمن مفهوم
قول ابن مالك : « وحذف ما يعلم جائز »
ونحن نظفر بالترخص في النص القرآني وفي
الحديث وفي الشعر العربي وفي كلام العرب

وحيث نظفر به نجده يتناول كل القرائن
فلا تستعصم واحدة منها دونه . فمن الترخص
في العلامة الإعرابية : قراءة « إنما يخشى
الله من عباده العلماء » برفع لفظ الجلالة
ونصب العلماء وقوله صلى الله عليه وسلم
« إن مقر جهنم سبعين خريفا » بنصب
خبر إن وقول امرئ القيس :

كأن ثيرا في عراني وبله

كبير أناس في بجاد مزمل

وقول العرب : « جحر ضب خرب »
بحر لفظ خرب وهو صفة لرفوع . ومن
الترخص في البنية الصرفية قوله تعالى :

« والتين والزيتون وطور سينين » أي سيناء
وقوله : « سلام على إلياسين » أي إلياس
وقواه تعالى « وإبراهيم وميكايل » أي ميكائيل
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « جلس
إحدى عشرة نسوة » أي امرأة وقول الراجز
« الحمد لله العلي الأجلل » أي الأجل ومن
الترخص في المطابقة قوله تعالى : « السماء
منقطر به » أي منقطرة وقوله : « والذين
كفروا أولياؤهم الطاغوت » أي الطواغيت
وقوله تعالى : « بل أنتم قوم تجهلون » أي
يجهلون وقوله جل شأنه : « فضلت أعناقهم
لها خاضعين » أي خاضعة وقوله صلى الله
عليه وسلم « ثم أتبعه ستا من شوال » أي ستة
وقول النابغة :

كأنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منها كوكب

فجمع التكسير وهو «كواكب» يعامل
 معاملة المؤنث المفرد لا الجمع . ومن الترخص
 في الربط قوله تعالى : «وقذف في قلوبهم
 الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا» فحذف
 الضمير (أى منهم) ويتحتم هذا لأن صاحب
 الحال هو الضمير في قلوبهم وليس يوجد
 غيره مما يصلح أن يكون صاحب الحال :
 وقوله تعالى : «والذين يتوفون منكم ويذرون
 أزواجا يتربصن . . . » أى بعدهم ومن
 حذف الفاء اللازمة لحواب الشرط قوله
 عز من قائل : «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات
 ما كان حججهم . . . » ، «والذين إذا
 أصابتهم البغي هم ينتصرون » ، وإذا
 ما غضبوا هم يغفرون . . . » ، «وإن
 أطعتموهم أنكم مشركون » ، «ولئن اتبعت
 أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم لملك من
 الله من ولى . . . » وقول الشاعر : «من
 يفعل الحسنات الله يشكرها » . ومن
 الترخص في الرتبة كل ما يعرفه النحوي مما
 يسمى «رتبة غير محفوظة» وكذلك بعض
 الرتب المحفوظة كما في قول الشاعر :

ألا يا نخلة في ذات عرق

عليك ورحمة الله السلام

وقوله :

لعن الإله وزوجها معها

هند الهنود طوية ال . . .

وقوله :

ومالى إلا آل أحمد، شيعة

ومالى إلا مذهب الحق مذهب

والترخص بالتضام إنما يكون بالفصل
 بين المتلازمين أو حذف أحدهما أو الجمع
 بين المتناقضين ومن ذلك قوله تعالى : «وإن
 كلا لما ليوفيتم ربك أعمالهم» فبعد لما مضارع
 تقديره عندهم «ينقص» وقوله صلى الله
 عليه وسلم : «إن مما ينبت الربيع يقتل أو
 يلم» لحذف ما الموصولية وقول الشاعر :

كم بجود مقرف نال الغنى

فنفصل بين كم الخبرية وتمييزها «مقرف»
 الذى ما يزال مجزورا بفواصل أجنبي هو الحار
 والمجروز (بجود) المتعلق بالفعل «نال»
 وقوله : «ما أنت بالحكم الرضى حكومته»
 فجمع بين المتنافيين وهما آل والفعل المضارع
 وأما الترخص في الأداة فنحو قوله تعالى :
 «قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف» أى لا تفتأ
 وقوله تعالى «فلما رأى الشمس بازغة قال
 هذا ربي» أى أهذا ربي؟ وقوله جل شأنه
 «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من
 وراء حجاب أو يرسل رسولا» فحذفت
 «أن» المصدرية دون أن يسبق ذكرها ولكن
 دل عليها نصب المضارع ومعنى المصدر
 المنهوم من الكلام السابق عليها (وحيا أو من
 وراء حجاب) . . . وقول امرئ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا

ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالى

أى أبرج . وأما قول عنبرة :

« ونحلا الذباب بها فليس ببارج عردا »
فالنبي متحقق بذكر ليس قبل الناسخ الذى
هو اسم الفاعل من « برج » وأما فى الآية
الكريمة « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم
قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا . . . »
فالمخذوف هو فاء العطف أما فى حيز الشرط
فيكون المعنى : ولا على الذين إذا ما أتوك
لتحملهم فقلت لا أجد ما أحملكم عليه
تولوا . . . وأما فى حيز الجواب فيكون
المعنى : ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم
قلت لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا . . .
فالترخيص واقع على إحدى الحالتين إذ أن
جواب الشرط لا يتعدد هكذا . وأما فى
قوله تعالى : « وألقى فى الأرض رواسبى
أن تميد بكم » فقد وقع الترخيص بحذف
حرفين هما اللام قبل « أن » ولا النافية بعدها
أى : لئلا تميد بكم ومثله فيما يبدو : « إني
أعظك أن تكون من الجاهلين » وعكس
الحذف الزيادة فى قوله تعالى : « حتى إذا
جاءها وفتحت أبوابها » وقوله : « لا أقسم
بأننا البلاد » وأما الترخيص فى النغمة فيقع
بالقراءة مع الصمت وبالتلحين فى الغناء
إذ تحول نغمة الغناء دون تحقق نغمة الكلام .

وفى كل حالة من حالات الترخيص
السابقة تقوم بقية القرائن المتضافرة بوظيفة
حفظ المعنى من اللبس ، فلا يضير الترخيص
شيئا ومما يدل على ذلك أنك قد تستمع إلى
التلميذ يقرأ نصا فيخطئ فى النص إعرابا

أو بنية الخ . وقد تستمع إلى المذبح يفعل
الشيء نفسه ، ولكنك مع ذلك تفهم ما يقوله
هذا ذلك فلو كان الخطأ الذى ارتكبه كل
منهما بإهدار القرينة يذهب بالمعنى ما فهم
كلامه ولو اعتمد المعنى على هذه القرينة التى
أهدرها لحنى المعنى ولوقع الكلام فى حدود
اللبس . والذى يبدو لى أن القراءات الشاذة
فى جملتها يمكن أن تفسر على أساس الترخيص
وعندئذ لا تكون شاذة لأنها تبدو فى مظهر
مألوف درج الكلام الفصيح على الظهور به
ولأن الترخيص من الكثرة والشيوع فى كلام
العرب بحيث لا ينبغي أن يعد شذوذا ثم لأنه
مشروط فى كل حالة بأمن اللبس ومن هنا
هنا كان يحسن أن يحتل مكانه المشروع من
النظرية النحوية وألا تنقطع الأسباب بينه
وبين قواعد النحو . ومن أصول النحاة أن
« الشذوذ لا ينافى الفصاحة » .

أشرنا عند الكلام عن النموذج البصرى إلى أن
النحاة نسبوا الزمن النحوى إلى الصيغ المفردة
فجعلوا الزمن وظيفية الصيغة وقالوا « إن الفعل
يدل على الحدث بلفظه وعلى الزمان بصيغته »
ولما كانت صيغ الفعل ثلاثا عند البصريين
جعلوا الأزمنة ثلاثة وأعانهم على ذلك اتفاق
تقسيمهم مع الفهم الفلسفى لمقولة الزمان .
ومن هنا جعلوا الزمن النحوى إما ماضيا أو
حاضرا أو مستقبلا ، وجعلوا للأول صيغة
فعل ولثانى والثالث صيغتي يفعل وافعل
ولم يتكلموا عن الزمن بالنسبة للمصدر أو
للصفات الخمس (اسم الفاعل واسم المنعول

والصفة المشبهة وصيغة المبالغة وأفعال التفضيل) إلا في مجرى القول عن أعمال اسم الفاعل وربما أشاروا في معرض الصفة المشبهة إلى الدوام والثبوت دون تحديد الزمن.

أما في نموذج اللغة العربية ١٩٧٣ فقد أتى بين الزمن والجهة وخرج من ذلك بنظام زمني غني تباهى به اللغة العربية غيرها من اللغات وربما حسن عند هذا أن أوضح المقصود بلفظ الجهة أنها في الأصل فكرة مما تشتمل عليه الدراسات اللغوية الحديثة تحت اسم Aspect ولكنني عندما نظرت إليها في ضوء تركيب النظام النحوي العربي خرجت بفهم لها غير مطابق لها فهمه الغربيون منها إذا وجدت الجهة في لغتنا تقوم بوظيفة تخصيص المعنى كما وجدت أن المعنى الذي تخصصه الجهة إما أن يكون « الحدث » وأما أن يكون الزمن فأما مخصصات الحدث فهي المنصوبات (التي جعلنا قرينتها الشاملة منذ قليل قرينة التخصيص) والمحوررات. ومعنى ذلك أنك إذا قلت: « قرأت » أسندت حدث القراءة إلى نفسك على وجه عام يشمل كل مقروء وكل سبب للقراءة وكل مصاحب لها وكل مكان.

كما يشمل المعنى الحقيقي للقراءة والمجازي لها ونوعها ولا يحدد ملايسة الخ فإذا قلت « قرأت الكتاب » فقد خصصت القراءة بالكتاب رتبت الصحيفة والمجلة الخ. وإذا قلت: (قرأت كتابا للمستهة) فقد شتمت القراءة

بسبب وثقت بقيمة الأسباب وكذلك الحال في « قرأت وضوء المصباح » وقرأت قراءة متأنية» و« قرأت جالسا » و« قرأت في الحجرة » الخ. وأما مخصصات الزمن فهي أفكار مثل التجدد والانقطاع والثبوت والدوام والاستمرار والبساطة والمقاربة والشروع والقرب والبعد والتعود ويعبر عن هذه الأفكار بالنواسخ الفعلية (كان وأخواتها وكاد وأخواتها وبعض الحروف مثل قد ولم والسين وسوف إلخ) وبهذه المزاوجة بين الزمن والجهة يصبح الزمن وظيفة السياق بعد أن جعله النحاة وظيفة الصيغة وهكذا نستطيع التفريق بالزمن بين تراكيب مثل كان فعل وكان قد فعل وكان يفعل وقد فعل وما زال يفعل وظل يفعل وفعل وكاد يفعل وطفق يفعل ويفعل وسيفعل وسوف يفعل وسيظل يفعل الخ.

والدليل على أن الزمن النحوي وظيفة السياق أن الأوصاف الخمسة والمصدر لا ينسب إليها الزمن حالة الأفراد ولكنها إذا دخلت معمعة السياق استعانت بقرائن مختلفة على الانتساب إلى زمن بعينه أو من قرأ باب أعمال اسم الفاعل أو أعمال المصدر وأعمال الصفة المشبهة في كتب النحاة وتأمل التراكيب السياقية التي ترد بها هذه المباني أدرك اختلاف الأزمنة بين بعض صورها والبعض الآخر وعرف أن مرجع الدلالة الزمنية في هذه التراكيب إنما هو قرائن السياق لا معنى الصيغة ذاتها.

النموذج التحويلي :

رأينا كيف اختلف النموذجان السابقان في تصورهما نظام اللغة العربية الفصحى دون أن تتغير اللغة نفسها مما يدل على أن النموذج النحوي هو تصور لنظام اللغة يختلف باختلاف الباحثين في اللغة وليس هو اللغة نفسها أوحى بها إلى نبي نحوي وإذا رجعنا إلى المثل الذي ضربناه للفرق بين البصريين الذين نظروا إلى الضاحية من الطائفة العمودية وبنى إذ سمعت إليها ودخات بيوتها وحجراتها أمكننا أن نقول أن النحو التحويلي كما يراه تشومسكي والمتفكرون حوله لم يدخل بيوت الضاحية ولم يكتب بالطائفة العمودية ليخلق فوق الضاحية من قرب بحيث يراها ولا يرى الضواحي الأخرى وبقية المدينة وإنما حاق تشومسكي في أجواء الفضاء ليرى المدينة كلها بضواحيها المختلفة (والمثل هنا اللغات الإنسانية جميعاً) وليصفها بما استنبطه من الصفات المشتركة بين الضواحي جميعاً، والمدينة هنا في جمالها هي اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية أو كما يسميها دي سوسور Le langage والضواحي هي اللغات المختلفة كالعربية والفارسية والتركية. وقد حاول التحويليون أن يوجدوا نحواً عاماً لهذه اللغات الإنسانية جميعاً به تتضح كيفية اكتسابها واختزانها وتحويل المختزن إلى الاستعمال والعلامة تشومسكي تلميذ طاريس الذي هو تلميذ لبارونيه منشى اللغويات التوزيعية في أمريكا

ومن هنا يعتبر النحو التحويلي حفيداً إن لم يكن ابناً مباشراً للنحو التوزيعي، ولكن تشومسكي آخى بين تعاليم بلومفيد وتعاليم شمبولدت ووصفية دي سوسور ومنطقية بور رويال وانتفع مع كل ذلك بالمنطق الرمزي وعلم النفس وأقر على نفسه بالعقلانية في فهم اللغة.

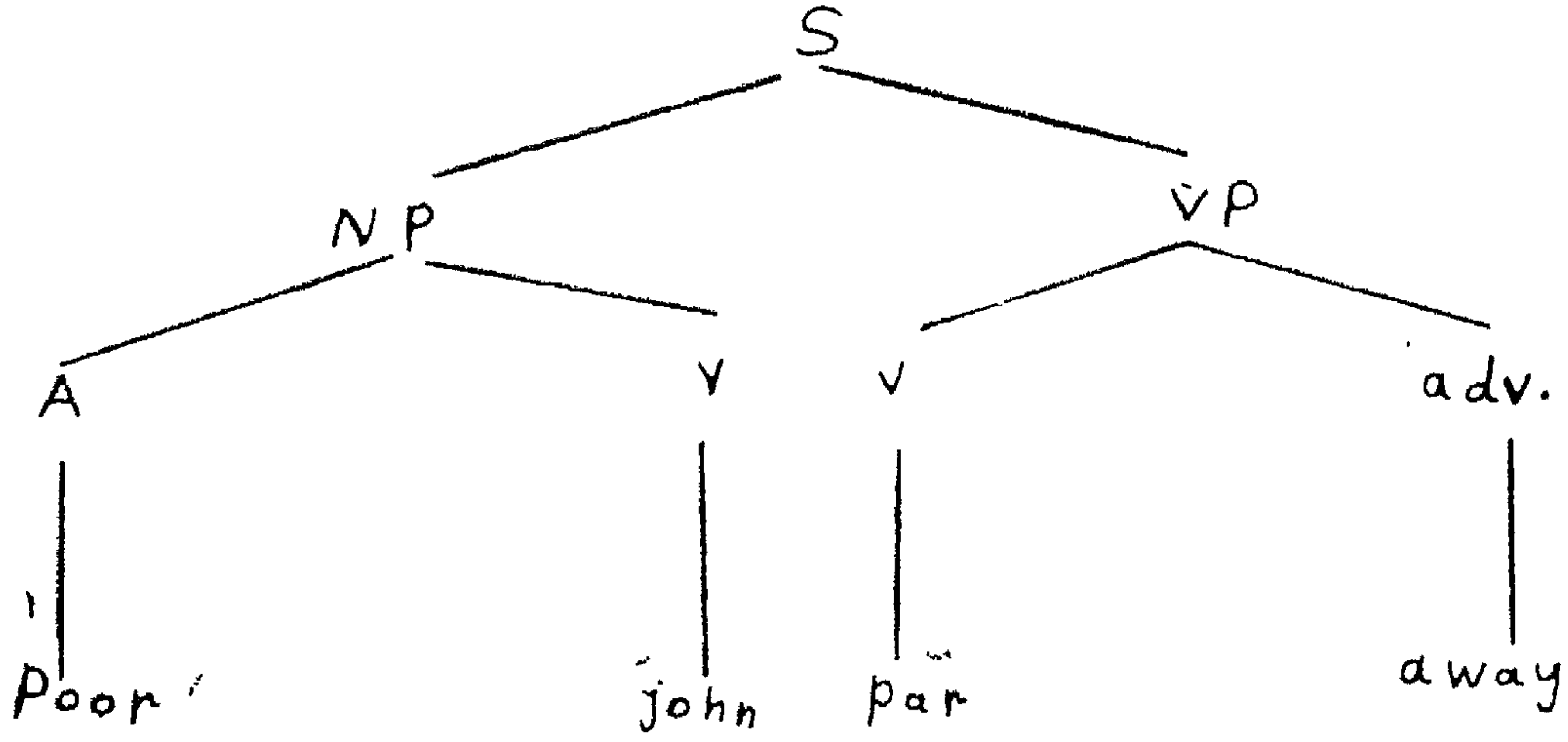
لقد قال بلومفيد في كتابه «اللغة» ١٩٣٣ «كل متكلم يعنى بالتأمل فيما يقول لا بد أن يخبرنا» .

إن Poor John ran away مركبة من مكونين مباشرين هما Poor John و ran away وأن كلا من هذين بدور صورة مركبة ، وأن المكونات المباشرة لعبارة Poor John هي Poor و John وأن مكونات ran away هي ran و away ودكنا وقع بلومفيد لأول مرة على مصطلح قدر له أن يؤدي دوراً كبيراً على مسرح الدراسات اللغوية الأمريكية هو مصطلح «المكونات المباشرة» :

Immediate Constituents لكنه ترك لتلاميذه من بعده أن ينسوا هذه الفكرة ويصاوا بها إلى نتائجها الطبيعية في اتجاه الكشف عن التراكيب النحوية المباشرة وغير المباشرة ومن خلال اعتماد بلومفيد وتلاميذه، في التحليل النحوي، على ظواهر المرتبة والتضام والمعاقبة والموقع جعلوا التوزيع مندهباً لهم وعرفوا به وسمى

وعرضوا هذا التحليل في صور بيانية مختلفة أشهرها الشجرة التي تبدو على النحو التالي :

قلاميذ بلومفيلد عملهم باسم immediate constituent analysis أو تحليل المكونات المباشرة.



قوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » إذ يمكن أن يرد على الآية المعاني التالية :

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين
 ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين *
 ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين *
 ذلك الكتاب (لا ريب فيه) هدى للمتقين *

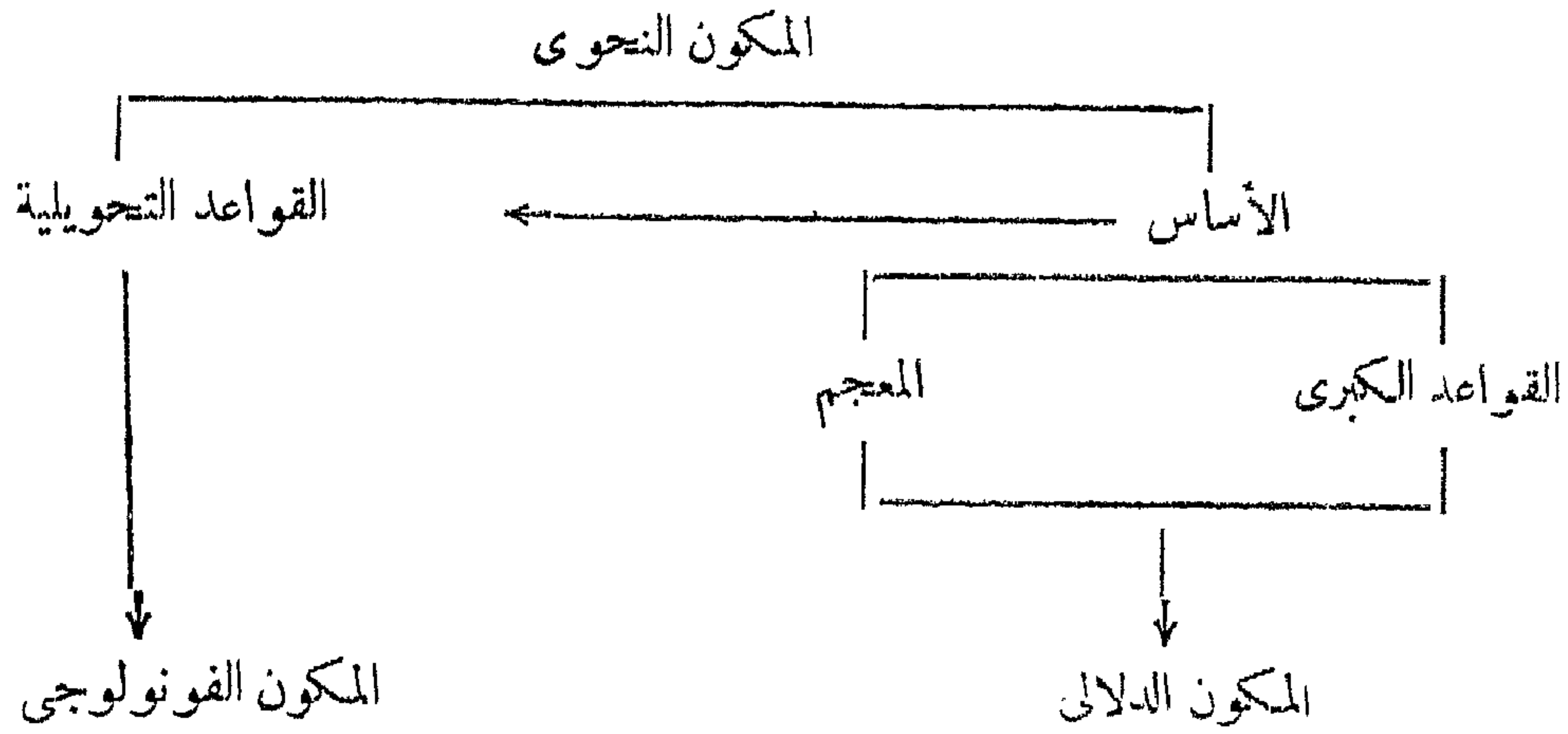
كما يمكننا من أن ندعى معنيين على الأقل لعبارة مثل : « زيارة الأصدقاء سارة » و « دار الكتب المصرية » و « لقد رجا التلميذ المعلم أن يقرأ النص » إذ يأتي اللبس من إضافة المصدر وتحديد المنعوت وتعيين مرجع الضمير على الترتيب فإذا حللنا هذه الجمل بواسطة الشجرة السابقة فربما أدركنا إلام أضيف المصدر وإلام رجع

انتفع التحويليون بهذه الطريقة من طرق العرض ولكنهم لم يستخدموها على علاقتها وإنما طوروا الإفادة منها بحسب المطالب العلمية أنهمجهم . لقد قيل إن إحدى مميزات النحو التحويلي أنه يمكننا إن نسمح القرابة بين جمل متميزة من حيث بنيتها السطحية كما نسمح الاختلاف بين جمل متطابقة من حيث هذه البنية السطحية . وهكذا يمكننا أن نعبر بالتحليل النحوي عن طبيعة القرابة بين أزواج من الجمل مثل :

ضرب	زيد	عمرا	ضرب	عمرو
علمت	زيدا	تعلم	زيد	
قام	زيد	زيد	قام	

كما يمكننا أن نستخرج بنيات عميقة متقدمة بالوقوف على أماكن مختلفة من

الخ . غير أن التحويل لا يتم من بنية سطحية إلى بنية سطحية أخرى، وإنما يتولد من البنية العميقة التي يمكن التعبير عنها بطرق مختلفة من خلال أنواع من القواعد التي شرحها تشومسكي بصورة يمكن عرضها بالشكل البياني التالي:



تتصف بها أو توصف من خلالها مداخل المعجم كأن نقول إن لفظ « الرجل » يتسم بأنه اسم معدود (حى - إنسان) فإذا أردنا الجنس أبدلنا « معدود » بعبارة « لا معدود » وفائدة هذه السمات أننا سنرى بعض الأفعال تتخذ فاعلها ومفعولها بشروط خاصة تحددها هذه السمات، فمثلا الفعل « صلى » لا يتخذ فاعلا من النبات أو الحمار أو الحيوان والفعل « بكى » لا يكون فاعله إلا من يصح منه البكاء . فإذا اكتفينا بالقواعد الكبرى والسمات المعجمية فإنها لن تمدنا بالكلمات بأسمائها لأنها ليست أكثر من

الضمير وما المنعوث المنى وصفه النعت . وأكثر من ذلك أننا نستطيع من خلال هذه الشجرة أن نولد من معنى الجملة بنيات سطحية أخرى تعبر عن المعنى نفسه مثل : « من السار أن يزورك الأصدقاء » و « دار مصرية للكتب » و « رجاء التلاميذ أن يعيد المعلم قراءة النص » ..

أما القواعد الكبرى فإنها تحدد تخطيط البنية العميقة للجملة على النحو التالي :

NP → VP أي الجملة ضميمية اسمية وضميمة فعلية

NP → Det N « الضميمة الاسمية » أداة واسم

VP → Aux V « الضميمة الفعلية » مساعد وفعل

ويقرأ السهم كما تقرأ « أى » التفسيرية في اللغة العربية . هذا هو الجانب الأول من جانبي الأساس، أما الجانب الثانى وهو المعجم فإنه يحدد عمدا من السمات المعجمية التي

المكون الفعلي (وهو الفعل أو الوصف
أو المصدر وما في حيزه) - المركب الفعلي
من ناسخ ومكون فعلي .

أما الجملة الفرعية فقد تقدم لها أن " أو أن"
أو ما المصدرية أو غيرها من الأدوات
المصدرية أو الموصول وقد تكون الجملة
بدون مقدمة ولكنها حالة محل المفرد من
نوع ما يسميه النحاة : الجمل ذوات المحل
ونحب أن نشير إلى أن المصدر الصريح
سيعامل معاملة خاصة ، فإذا وقع المصدر
الصريح دون مطلق أو إضافة عومل كما يعامل
الاسم المفرد وإن وقع مضافاً أو ممتولاً
(ذا فاعل أو مفعول) عومل معاملة المصدر
المؤول من حرف وجملة . أما الضمير فشرط
استبداله من الاسم أن يتحد الاسم الذي
حل محله الضمير في الصورة مع مرجع
الضمير وهذا ما يسمى بالتطابق المعجمي
Lexical identity ثم أن يشير إلى ما يشير
إليه المرجع وذلك هو التطابق الإشاري
referential identity

وسنحاول فيما يلي أن نعرض عدداً
من الجمل بهذا النوع من التحليل ونضيف
من خلاله مزيداً من الشرح لتطبيق هذا
المنهج على اللغة الفصحى ؛ لاختيار صلاحية
هذا المنهج أن يعاد وصف العربية من خلاله :

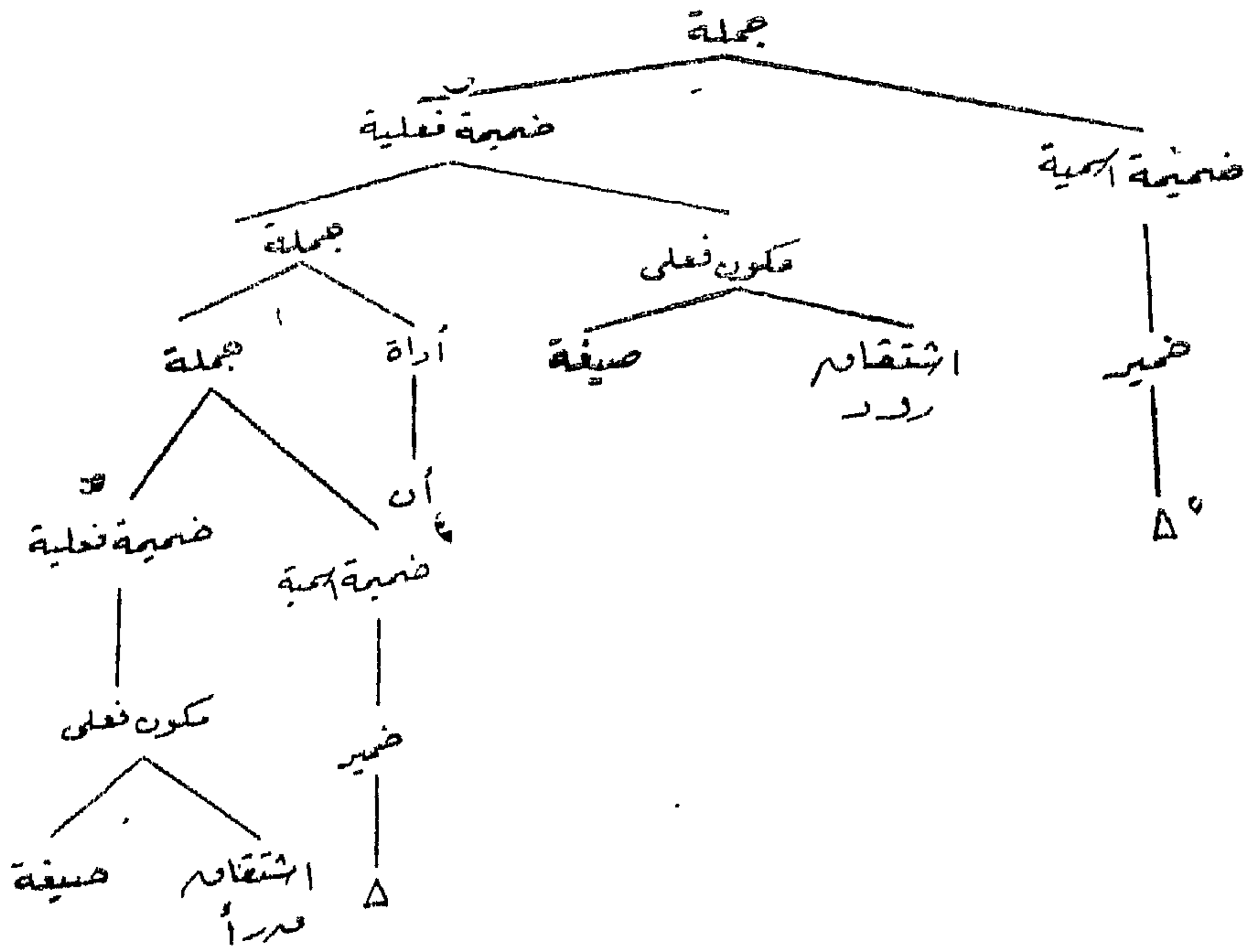
مجموعة من القواعد والمطالب المجردة ومن
ثم تحتاج إلى عنصر دلالي يعيننا على أن
نختار المعاني المنسوبة إلى البنية السطحية : وفي
الوقت ذاته تعمل مجموعة أخرى من القواعد
التحويلية على أن تستعين بالعنصر الفونولوجي
من هذا النموذج لتصوغ البنية السطحية
المعبرة عن تلك البنية العميقة . وقد تطلب
هذا المنهج أن تحدد الضمائم التي تعبر عنها
هذه القواعد تحديداً مجرداً مثل (NP VP)
وأن تصاغ قواعد لاستبدال الضمائر بالأسماء
وقواعد لإدماج الجمل الفرعية في تكوين
الجمل الأصائية .

لقد جعلنا الغاية التي نسعى إليها من عرض
هذا النموذج أن نرى كيف يمكن أن توصف
اللغة العربية الفصحى من خلاله : والذي
ينبغي لنا أن نفعله ، لنمهدهم به الطريق إلى
هذا النوع من التطبيق ، هو أن نحدد الضمائم
في لغتنا العربية لنعرف ماذا يقصد بالضميمة
الاسمية وماذا يراد بالضميمة الفعلية . وأول
شيء أن المقصود بالضميمة الاسمية قد يكون
واحداً من الأمور الآتية :

الاسم المفرد - الضمير - الاسم الموصوف -
المتضامنين - الموصول وصلته - الموصوف
وصفته .

أما المقصود بالضميمة الفعلية فهو :

١- أريد أن أقرأ :



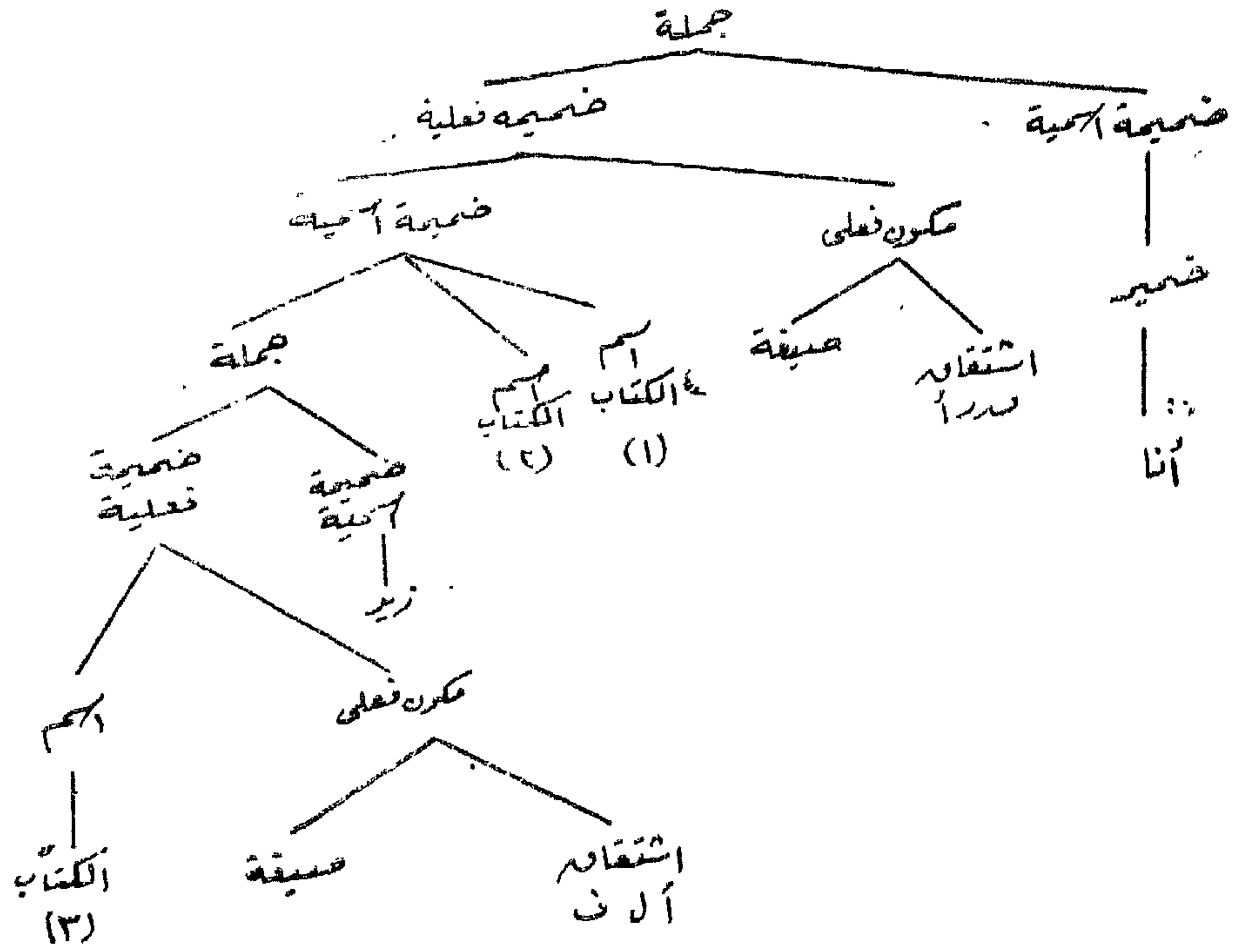
ولما رأينا أن الجملة الفرعية تتقدمها أداة أفردنا للأداة فرعاً خاصاً قبل كلمة « جملة » وبهذا يمكننا أن نعبر عن هذه الجملة بالبنيات السطحية الآتية :

أريد أن أقرأ أريد القراءة
أنا مرید أن أقرأ أنا مرید القراءة
أردت أن أقرأ لإرادتي أن أقرأ

وهلم جرا مما يمكن لرجاعه جميعه إلى التخطيط السابق فإذا غيرنا الاشتقاق في المكون الفعلى الأول إلى (ن و ي) وفي الثانى إلى (ص ل و) فقد نصل إلى جملة « نويت أن أصلى »

ففي هذه الجملة نجد أننا قدمنا الضمير وجعلنا مستترا (Δ) قبل الفعل لأن الرتبة في حساب هذا النموذج إنما هي ظاهرة سطحية أسلوبية فقولك « قام زيد » هي من وجهة نظر النموذج المطروح « زيد قام » والفارق أسلوبى يتعلق بالتقديم والتأخير والأسلوب غير النحو، أما عبارة « المكون الفعلى » ففائدتها أنها تمكننا من أن نضع تحتها فعلا أو وصفا أو مصدرا مضافا أو ممطولا ، ولذلك رصدنا تحتها الاشتقاق لأنه لا يتعدد ويمكن تركه أيضا لإفساح المجال لمختلف المواد الاشتقاقية وتركنا الصيغة غير محددة لتنويع البنية السطحية

٢ - قرأت الكتاب الذي ألفه زيد :



الكتاب (٣) تتحول إلى ضمير متصل
للسبب نفسه بينه وبين الكتاب (٢)

زيد ألف الكتاب تتحول إلى ألفه
زيد بعد وضع الضمير الموصول موضعه

وهذا هو المقصود بالتحويل الذي سمي
النموذج باسمه .

ويتضح من هذا المنشور التحليلي للبنية
العميقة أن العناصر النهائية بالترتيب هي :

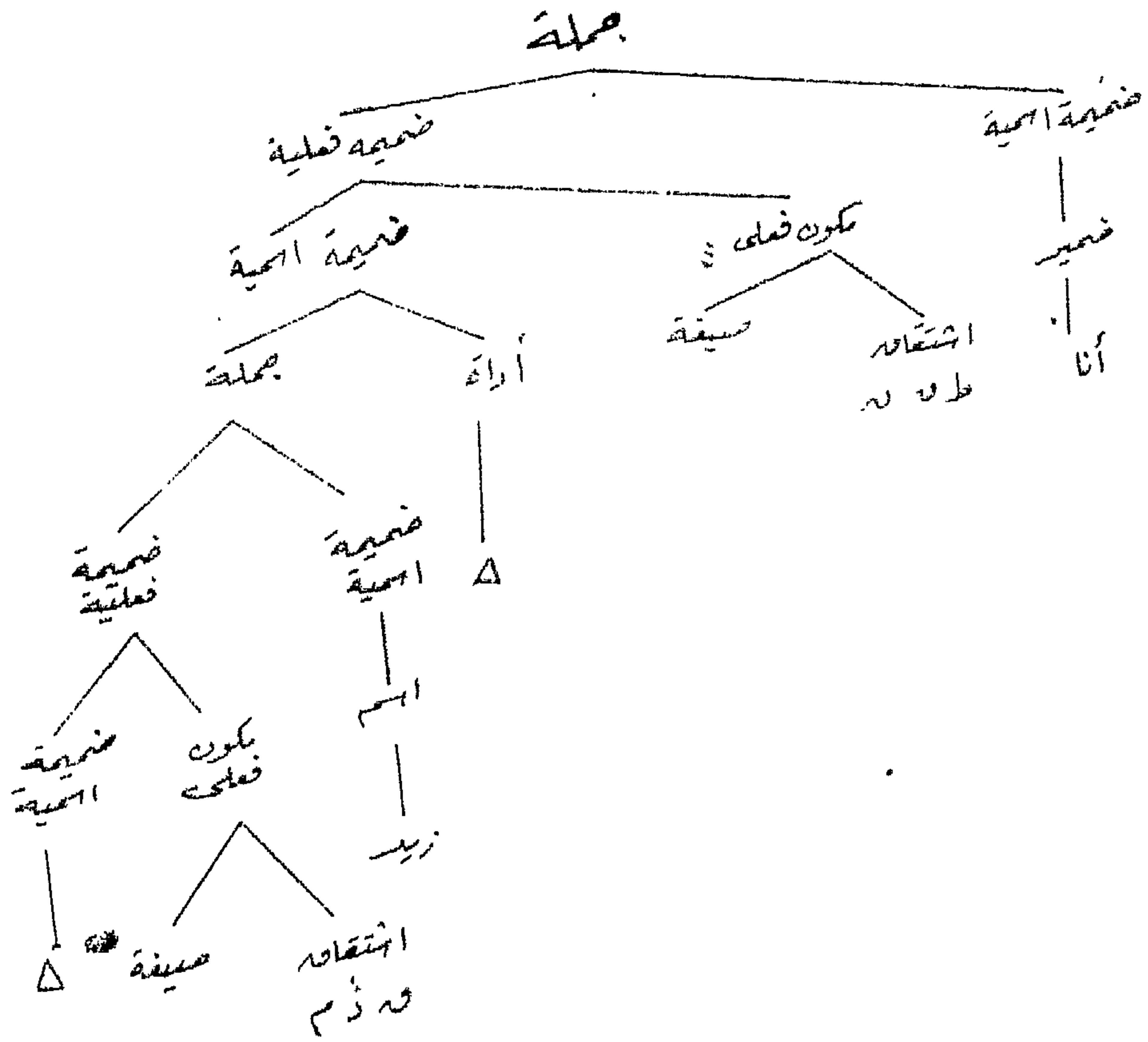
أنا + قرأ + الكتاب ١ + الكتاب ٢ +
زيد + أل ف + الكتاب ٣ .

وبقواعد التحويل نصل إلى ما يأتي :

أنا + قرأ تتحول إلى قرأت

الكتاب ٢ تتحول إلى الذي لمراعاة
التطابق المعجمي والإشاري بينه وبين الكتاب (١)

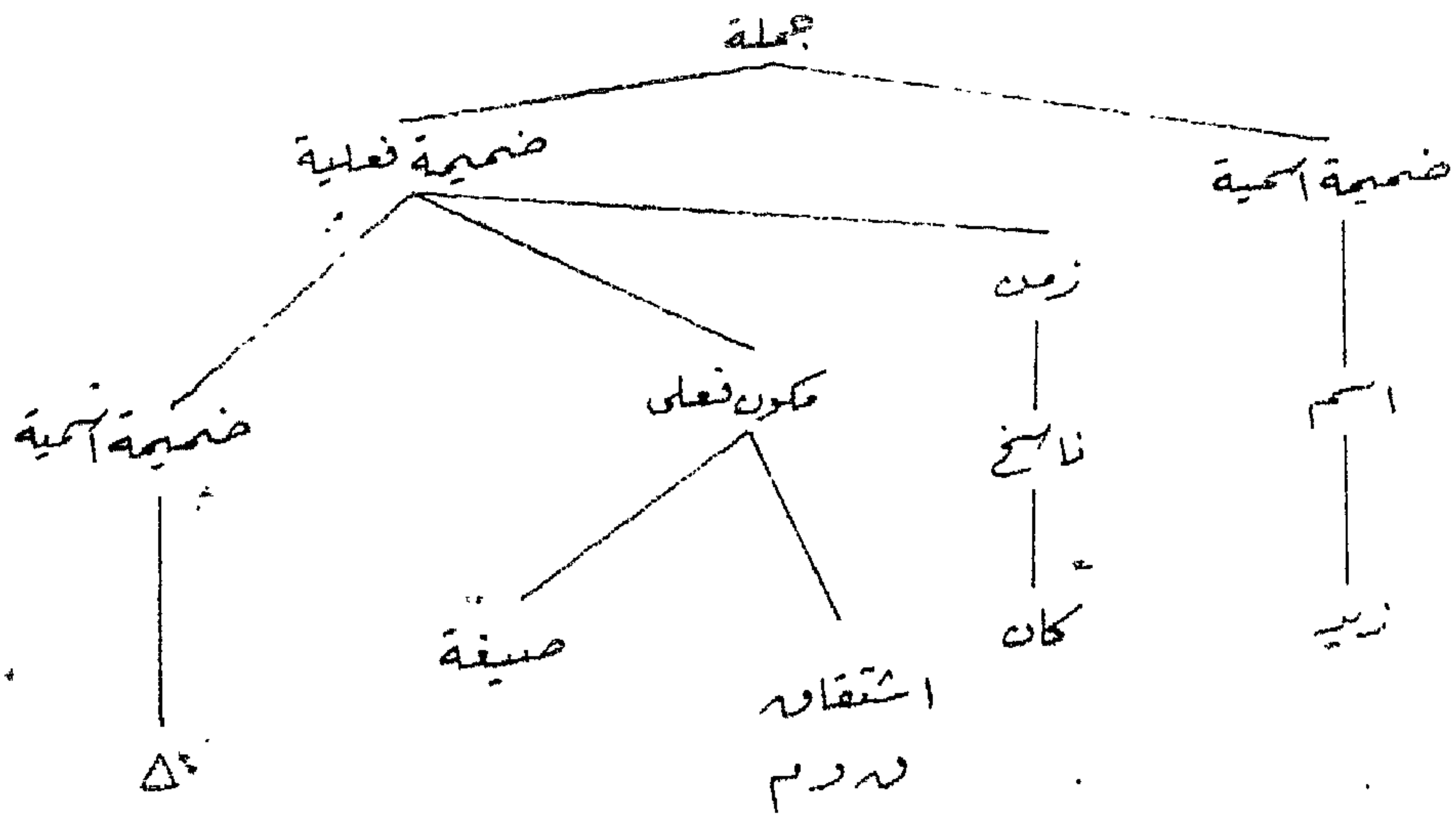
٣ - ظننت زيدا قائما :



الضميمة الاسمية الأخيرة فعناه اللازم مع اللازم والخالف مع المتعدى .

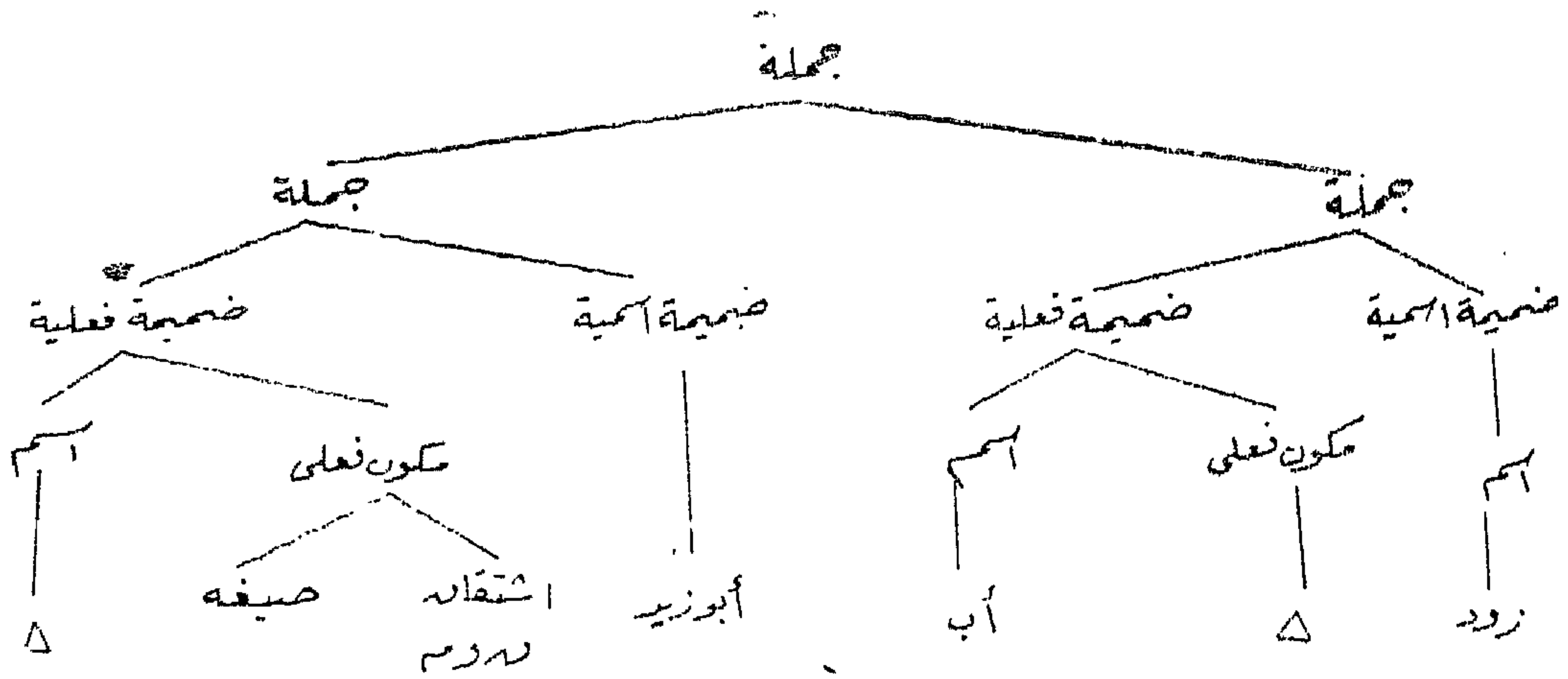
الأداة التي لم تظهر هي (أن) ولو ظهرت لترتب على ظهورها تنشيط قواعد تحويلية أخرى بالنسبة للإعراب . أما عدم ذكر

كان زيد قائما :



ويلاحظ :

- ١- أن المركب الفعلى مكون من الناسخ وخبره
 - ٢- أن الخبر بصورته الحاضرة قد يكون لازما كما فى المثال الذى لدينا وقد يكون
- مفعوله محذوف كما فى : كان زيد ضاربا تخمرا .
- زيد أبوه قائم :



إلى سكون فعلى = يجوز أو
يتخذ ، أو نحوها) .

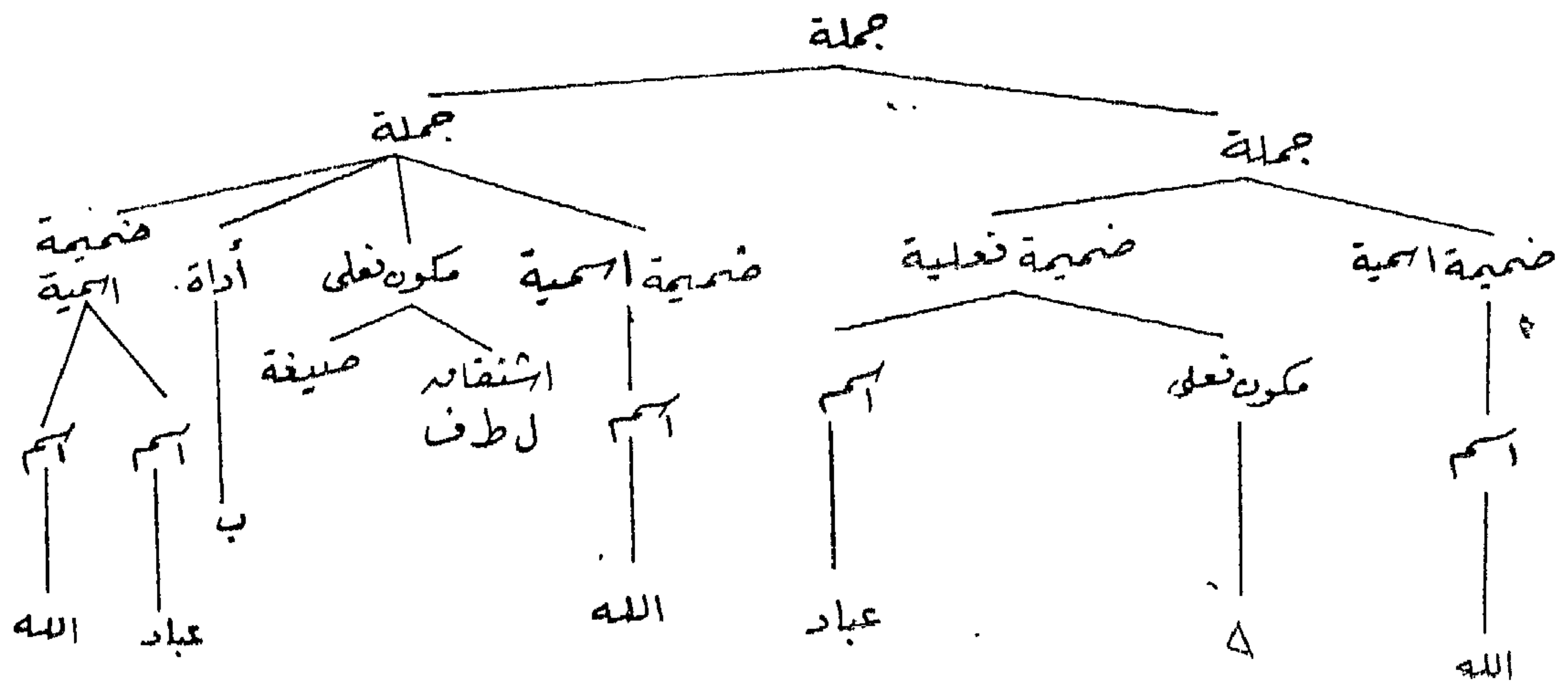
(ب) أبو زيد قائم .

ومعنى هذا التخطيط أن البنية العميقة
مكونة من شقين :

(أ) زيد له أب (حيث ترجحت

الملكية التي دلت عليها « له »

الله لطيف بعباده :



(ج) مرة أخرى تركنا الصيغة خالية

لنستطيع أن نضع فيها ما يمكن من
الأفعال والأوصاف والمصادر .

(د) هنا إذا تكررت الإضافة تعددت

الأسماء تحت الضميمة الاسمية
كما في : «الله يغفر ذنوب
عباده» .

يلاحظ هنا :

(أ) أن الضميمة الاسمية مكونة من

اسمين مما يدل على الإضافة .

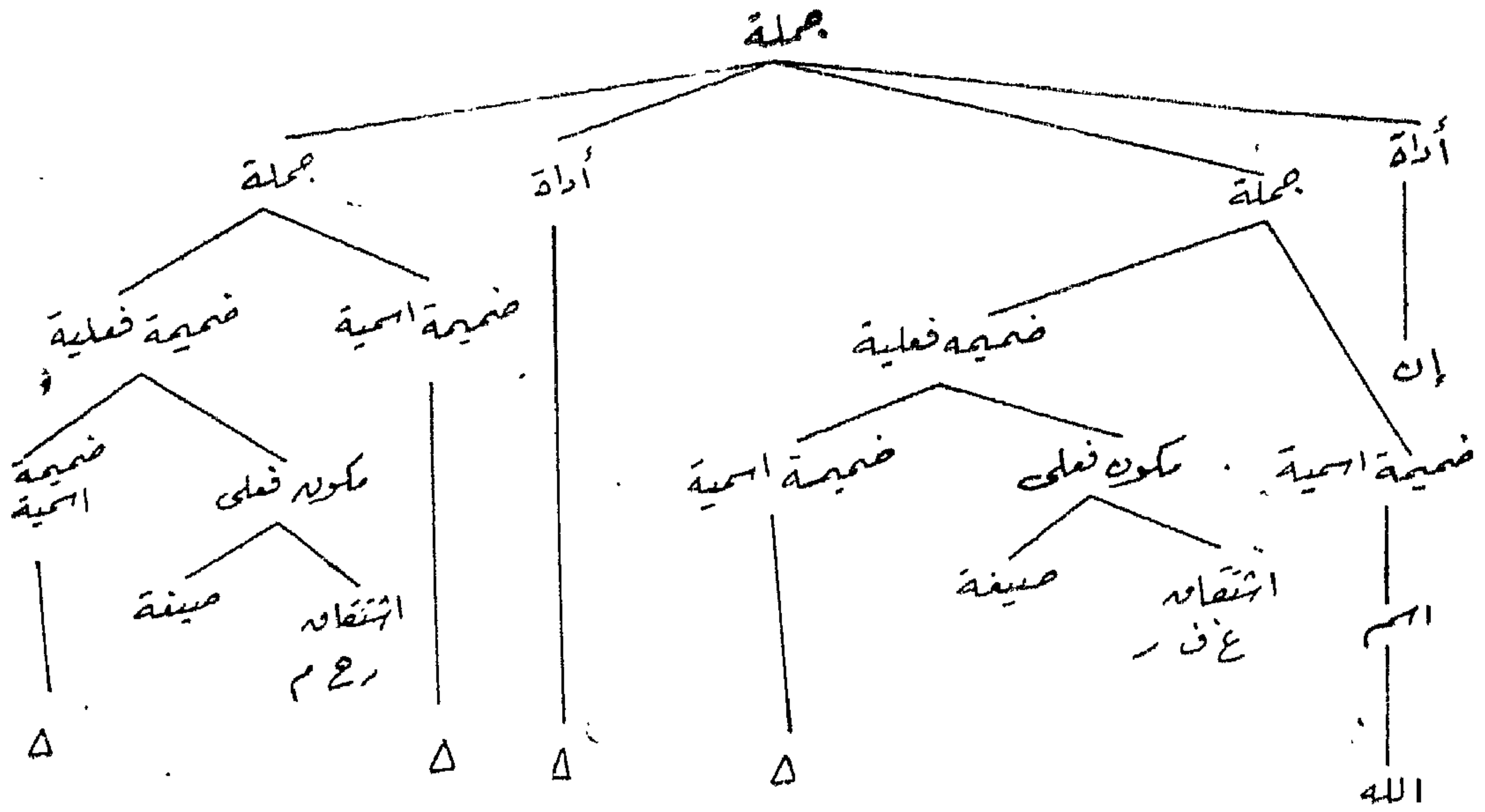
(ب) أن الاسم الثاني (الله) يتطابق

معجميا وإشاريا مع اسم سابق

فيتحول إلى ضمير يعود على

السابق .

إن الله غفور رحيم :



(ج) أن الأداة التي لم تذكر (Δ) هي واو عطف مقدر في البنية العميقة .

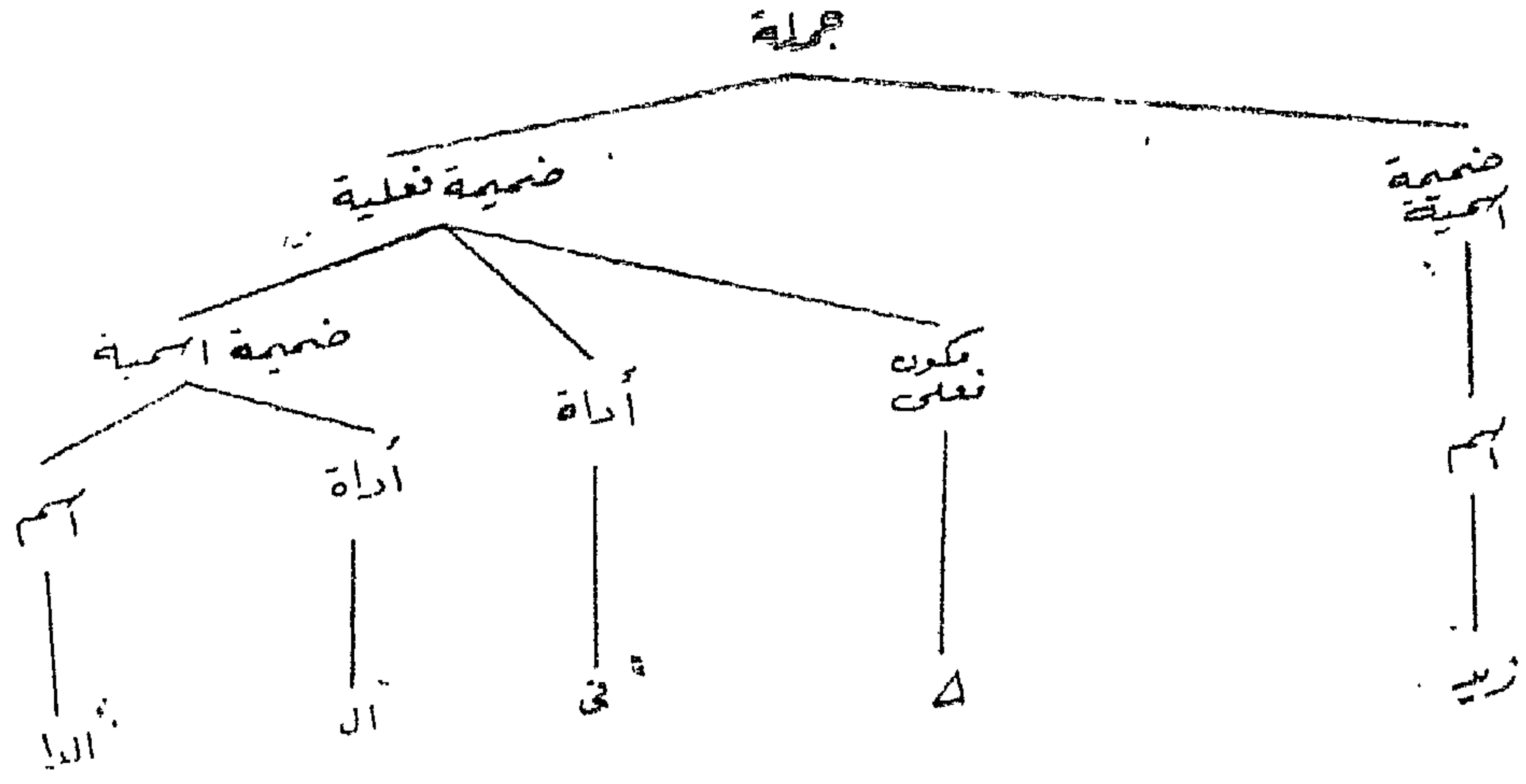
(د) أن الضميمة الاسمية الأولى في الحملة الثانية هي لفظ الجلالة أو ضميره وإن لم يذكر .

(هـ) نستطيع أن نغير الأصل الاشتقاقى للمكونين الفعلين فنحصل على بنىات أخرى عميقة لحمل سطحية مثل : إن الله لطيف خبير
 إن الله قوى قدير
 إن الله رحمن رحيم

يلاحظ هنا :

(أ) أن المكونين الفعلين من أصل اشتقاق متعدد ولكن المفعول لم يذكر (انظر ظننت زيدا قائما) .

(ب) أن البنية السطحية لهذه الحملة من قبيل تعدد الخبر ولكن البنية العميقة جعلت ذلك من قبيل تعدد الحملة أى أن تعدد الخبر عولج بتقدير تعدد المبتدأ أى تعدد الحملة .



وقد أحسن النحاة العرب صنعا من وجهة نظر هذا النموذج أن قدروا هذا المتعلق على عدم ذكره واعتبروه محذوفا جوازا وقسموه إلى كون عام وكون خاص .

ويلاحظ هنا أن إدخال المكون النعتي في الشجرة مع عدم ذكره في البنية السطحية للجمل يربط الوشائج العميقة بين هذه الجملية وجمل سطحية أخرى مثل :

استقر زيد في الدار زيد يقرأ في الدار
زيد مستقر في الدار ينام زيد في الدار إلخ

أو الاسم أو المكون الفعلي يعتمد على تطبيق قيود التوارد المعجمية التي أشرنا إليها عند قولنا ليسند الفعل يبكي إلى من يصح منه البكاء ثم العنصر الدلالي الذي يمدنا بالمعاني الضرورية للبنية السطحية ثم قواعد التحويل ، ثم العنصر الفونولوجي والذي يعبر بالألفاظ عن هذه المعاني .

والعنصر الذي تحكمه الشروط النحوية (كالتعدى واللزوم الخ) أو القيود المعجمية (كالإنسان والمعدود الخ) يعتبر عنصراً مركباً مكوناً من عدد من الخصائص التي تتطلب أن تراعى وتعتبر هذه الخصائص من القرائن النحوية . وتتدرج هذه الخصائص في الأهمية بحسب ضرورتها للمعنى فالشروط النحوية إذا لم تراعى خرج التركيب عن حدود الصحة أما الشروط المعجمية فإنها إذا لم تراعى يظل التعبير قابلاً للصحة إذا أمكن تفسيره في ظل الحجاز ، مثال ذلك :

١ - ضرب زيد عمراً . تعبير صحيح ومناسب .

٢ - قد زيد عمراً . تعبير خطأ لجمع بين المتنافيين (قد والاسم)

٣ - جلس زيد عمراً الخطأ أيسر ولكنه قائم بسبب لزوم الفعل مع وجود مفعول .

٤ - أكل زيد عمراً التركيب صحيح نحويًا ولكنه مخالف لقيود التوارد المعجمية ويصح تفسيره بالمجاز إذ يمكن للمعنى أن يكون غمطه حقه .

وهكذا يبدو أن النموذج التحويلي يمكن أن يطبق على اللغة العربية ، ويمكن للغة العربية أن يعاد وصفها لسانياً من خلاله . وقد حرصت على أن أشجر الحمل التي اخترتها لبيان بنيتها العميقة ، ولم أثقل على القارئ أو السامع بإيراد تفاصيل القواعد التي يمكن التعبير بها عن كل جملة وبخاصة لأن بعضها رموز منطقية إن سهلت قراءتها فن الصعب لبرازها في الكلام هذا من جهة ومن جهة أخرى كان يلزمني أن أعرب هذه الرموز، وهذا التعريب يتطلب الأناة والروية .

تمام حسان
عضو المجمع

